النصف الاخير من احياء العلوم عربي ٣١

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين كتاب شرح عجايب القلب

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السراير العالم بمكنونات الضماير المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلوة على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى اله الطيبين الطاهرين اما بعد فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله تعالى التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الاخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب الى الله وهو الكاشف لما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال الملك للعبيد واستخدام الراعي للرعية والصانع للالة والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو المعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وانما الساري الى الاعضاء من الفواحش آثاره وباظلامه واستنارته يظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل ولكن الخلق كلهم جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم وان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزاين الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ قد فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد ان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح صفات القلب واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الان من شرح عجايب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجايبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه الافهام وبالله التوفيق

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي اعلم ان هذه اربعة اسام تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعرفة هذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الاسامي وباشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح من معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا فمن ذلك لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الان شرح شكله وكيفيته فلا تتعلق به الاغراض الدينية وانما يتعلق به غرض الاطبا وهذا القلب موجود للبهايم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهايم بحاسة البصر فضلا عن الادميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي المدركة العالمة العارفة من الانسان وهو المخاطب والمعاتب ولهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقها به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للالة بالالة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفات وليس غرضنا من هذا الكتاب الا علوم المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشا سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا الاسرار الى ذكر حقيقتها اللفظ الثاني



الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى ساير اجزا البدن وجريانه في البدن وفيضان انوار الحيوة والحس والسمع والبصر والشم منه على اعضايه يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به والحيوة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطبا اذا اطلقوا الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس من غرضنا شرحه اذ المتعلق به غرض الاطبا الذين يعالجون الابدان فاما غرض اطبا الدين المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح اصلا المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معاني القلب وهو الذي اراده الله تعالى بقوله ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني يعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته اللفظ الثالث النفس وهذا ايضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سياتي بيانه وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية فهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله عليه السلام اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني هي اللطيفة التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله فانها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال الامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وساير المعلومات اللفظ الرابع العقل وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقايق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قايم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله عليه السلام اول ما خلق الله تعالى العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث فاذا قد انكشف لك ان معاني هذه الاسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم فهذه اربعة معان يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء ولاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القران والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشيا وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بساير البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب فكانه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن انه يرى انه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به

انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله ولا يستقيم هذه النسبة ايضا الا من
بعض الوجوه فشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنتجاوزه بيان جنود القلب قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه
في القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الان نشير الى بعض الجنود وله
جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان وهذا معنى الجند فاما جنده
المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة وان جميعها خادمة للقلب ومسخرة
له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا يستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت
واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخر الاعضاء والحواس للقلب يشبه من
وجه تسخر الملائكة لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان
في شيء وهو ان الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخر ولا خبر لها من نفسها
ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي خلق لاجله وهو السفر الى الله تعالى
وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وانما زاده العلم وانما
الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن ان يصل العبد الى الله تعالى ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان
المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الاخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين
فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم والبدن مركبه الذي به يصل الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان
يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو
الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التي هي الات الشهوة و
افتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي به
يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خارجة عن البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء اذا لم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء و
الفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها
وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ذكره ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منه في كتاب الشكر
فلنقنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي
كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي
جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر
والسمع والشم والذوق وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة
جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت الات لهذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش
بالاصابع وقوة البصر انما تبصر وتدرك الشيء بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانها من عالم الملك
والشهادة وانما نتكلم فيما ايدت به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة و
هي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان
بعد رؤية الشيء يغمض عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه
فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يذكر ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس
مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله تعالى قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل

فملك

فملك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بطول ومقصود
مثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم بيان
امثلة القلب مع جنوده الباطنة اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه و
تحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن
سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند اخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سياتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب
الله على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا
مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما
يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا الى فهمك بثلاثة امثلة المثال الاول ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه واعني بالنفس اللطيفة المذكورة
كمثل والي في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية
المفكرة كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية كصاحب الشرطة والعبد الجالب
للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل ودابه وعادته منازعة الوزير الناصح
في كل تدبير يدبره حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته في رايه ساعة فكما ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره معرضا عن
اشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا باشارته على ان الصواب في نقيض رايه وادب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له و
مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومامورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم
العدل بسببه فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وادبت الحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة واستعانت باحديهما على الاخرى تارة بان
تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها
اعتدلت قواه وحسنت اخلاقه ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال
تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث الاية وقال فيمن نهى النفس عن الهوى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وس
ياتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس المثال الثاني ان البدن كالمدينة والعقل اعني
المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة
بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد
عدوه فهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع
ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند لقاء الله فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر
الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر المثال
الثالث مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان
جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا
فهو خليق بان يعطب فضلا من ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال لغلبة
الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب والحمية في استيلائه بيان خاصية قلب الانسان اعلم ان جملة
ما ذكرناه قد انعم الله تعالى به على سائر الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة ايضا حتى
ان الشاة ترى الذئب بعينها وتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك ادراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه
واستاهل القرب من الله تعالى وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه

امور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الفرس الواحد لا يتصور
ان يكون في مكانين والجسم الواحد في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زائد على
ما ادركه واذا فهمت هذا في هذا العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات اظهر واما الارادة فهو انه اذا ادرك بالعقل عاقبة
الامر وطريق الصلاح انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى تعاطي اسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات
بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال عليها والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة
في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله تعالى العقل المعرف بعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك
للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضايعا على التحقيق فاذا اختص قلب الانسان بعلوم وارادات ينفك عنها سائر الحيوانات
بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما تحدث ذلك فيه عند البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة
في حق الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان احدهما ان يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة
المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون
حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب
الكتابة ولم يبلغها بعد الثانية ان تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال
الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة
مراتب لا تحصى تتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام
الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون ذلك سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين
منازل العلماء والحكماء والاولياء والانبياء ودرجات الترقي فيه غير محصورة اذ معلومات الله تعالى لا نهاية لها واقصى الرتب
رتبة النبي صلى الله عليه وسلم الذي تنكشف له كل الحقائق او اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة
يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين الى الله
ولا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته
علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي صلى الله عليه وسلم وكما لا يعرف
الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فلا نعرف
ما قد فتح على اولياء الله وانبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود
والكرم من الله تعالى غير مضنون بها على احد ولكن انما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم
نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سياتي بيانه والى
هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وبقوله حكاية عن ربه عز وجل لقد طال
شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا وبقوله من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى انوار العلوم لم تحتجب
عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني
فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله تعالى واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان
الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة تبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلم
هو العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب النفس والنفس
محل العلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر

وحسن

وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس
وسائر الحيوان في امور ويفارقها في امور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة بين
البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فهو حيوان ومن حيث صورته وقامته
كالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم و
العمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات
البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضريا ككلب او حقودا
كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضاء ولا حاسة من الحواس الا ويمكن
الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سياتي بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر
وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الاخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضاء
خدمه فيستقر هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ
مجرى صاحب بريد اذ تجمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى
ترجمانه ويجري الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بصقع من الاصقاع فيوكل العين
بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى
القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس منها ما يحتاج
اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا
شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه الجملة او استعملها لكن في مراعاة اعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة او في عمارة طريقه
دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الاخرة كان مخذولا شقيا كافرا لنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لاعداء
الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى هذا المثال الذي ضربناه اشار كعب الاحبار قال
دخلت على عائشة فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب ملك فاذا طاب
الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلعم قال علي كرم الله وجهه في تمثيل القلوب ان الله تعالى في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها
اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى اشداء على
الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابي بن كعب معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق
وقال زيد بن اسلم في لوح محفوظ هو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه امثلة القلب بيان مجامع
اوصاف القلب وامثلته اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي
الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره و
من حيث انه في نفسه امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد
بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة
والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف
الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص عن البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطنة فصار
شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق
الشياطين وكل انسان فيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في اهاب الانسان خنزير

في القلب فكان المجموع م

وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو
الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة و
العدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع
بالغضب يدعو الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه
والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان
يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا
تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها
قهروه واستخدموه فلا يزال يستنبط الحيل ويدقق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دايما في عبادة كلب او خنزير وهذا حال اكثر
الناس مهما كان اكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم الحجارة ولو كشف الغطا عنه
وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما في النوم او في اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة و
راكعا اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهواته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته او لرأى نفسه ماثلا
بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا للفكر في حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج
الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه
وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا و
الرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء قد سخره لخدمة هؤلاء فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء
صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير
والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة الغضب فينتشر منها الى القلب صفة
التهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستحقار وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم
وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة والتلبيس والتضريب
والغش والخب وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة و
الاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم و
جلاله ولاستغنى عن عبادة الغضب والشهوة ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة و
القناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط
قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات
والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي واصلة الى القلب
اما الآثار المحمودة فانها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب
في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله عليه السلام اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله من كان له من قلبه واعظ كان
عليه من الله حافظ وهذا هو الذي يستقر فيه الذكر قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان
مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين
قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تعالى ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع
بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك

يعمى القلب

يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه امر الآخرة و
ما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس
الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد نكت في
قلبه نكتة سوداء فان هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقد قال عليه السلام قلب المؤمن اجرد فيه سراج يزهر
وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله والمخالفة للشهوات مصقلات للقلب ومعاصيه مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه
ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فانها لا تخلو عن
كدورة وقد قال القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط
على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق كمثل القرحة
يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به وقد قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر
باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة اعلم ان محل
العلم هو القلب اعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة
الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة
تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها وكما ان المرآة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة امور فكذلك ههنا ثلاثة
امور القلب وحقائق الاشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الاشياء
والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة كما ان القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف
ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد فكما ان حصول السيف في اليد يسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد
كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما كان السيف موجودا واليد
موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه
لا يحصل في القلب فمن علم النار لا يحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمرآة اولى لان عين
الانسان لا يحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له فكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما ان المرآة لا تنكشف
فيها الصور لخمسة امور احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل والثاني لخبثه وصداه وكدورته وان
كان تام الشكل والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة والرابع لحجاب مرسل بين
المرآة والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه ان يحاذي بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب
مرآة مستعدة لان ينجلي فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة اولها
نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على وجه القلب من كثرة
الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله عليه السلام من قارف ذنبا فارقه
عقل لا يعود اليه ابدا اي حصل في قلبه كدورة لا يزول اثرها اذ غايته ان يتبعه بحسنة يمحوها فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لازداد
لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا فهذا خسران
ونقصان لا حيلة له فليس المرآة التي تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق والاقبال على طاعة الله تعالى
والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال عليه السلام من عمل

بما علم فيه الله علم ما لا يعلم. الثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه
ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس محاذيا بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية
او بتهيئة اسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التامل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه
من دقائق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها او مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال و
تفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك في صرف الهم الى شهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي. الرابع
الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبي على
سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من ان ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب
عظيم به حجب اكثر الخلق من المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات
تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق. الخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب
فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه
العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنجلي حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص الا
بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم فلا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على
مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما ان من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وانسان بل من اصل مخصوص هو
الفرس الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما
العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها
بل المثال ان يريد الانسان ان يرى قفاه في المرآة فانه اذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها
وراء القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع وبازائه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة اخرى
ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع
صورة هذه المرآة في المرآة الاخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات
وتحريفات اعجب مما ذكرناه في المرآة ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب
من معرفة حقائق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه
الاشارة بقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى ان له خاصية تميز
بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الامانة ومطيق
لها في الاصل ولكن يثبطه عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال عليه السلام كل مولود يولد على
الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه وقوله عليه السلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء اشارة
الى بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روي عن ابن عمر قال قيل اين الله في الارض قال في
قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفي الخبر انه قيل من خير الناس
فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا حسد ولذلك قال عمر رضي الله عنه رأى
قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها
السموات والارض اما جملتها فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع
الاطراف متناهي الاكناف فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهو الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوص بادراك البصائر فلا نهاية
له

نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله تعالى لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعة
واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من
افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته
وبمقدار ما تجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه قد افلح من زكاها ومراد
تزكيته حصول انوار الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلاث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض والثانية
ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال والثالثة ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو ان
تصديقك بكون زيد في الدار مثلا له ثلاث درجات الاولى ان يخبرك به من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول فان
قلبك يسكن اليه ويطمئن به بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم
وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاؤوا به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا
اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة واهله من اوائل رتب اصحاب
اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما
يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانه القي اليهم الخطأ والمسلمون
اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن القي اليهم كلمة الحق. المرتبة الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل
به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت
به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بان هذا صوت ذلك الشخص وهذا ايمان
ممزوج بدليل والخطأ ايضا ممكن ان يتطرق اليه لان الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر
ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا. المرتبة الثالثة ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك
وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي
في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطأ نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف
اما الدرجات فمثاله ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر يدركه في بيت او من
بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور
في تفاوت المشاهدة للامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وبكرا وعمرا وغير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة
ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة الى العلوم.

بيان حال القلب بالاضافة الى العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية
وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة الى دنيوية واخروية اما العقلية فنعني بها ما تقضي بها غريزة العقل
ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدرى من اين حصلت ولا كيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين
والشيء الواحد لا يكون قديما وحادثا موجودا ومعدوما فان هذه علوم يجد الانسان نفسه في الصبي مفطورا عليها ولا يدري متى حصل له هذا
العلم ولا من اين حصل اعني انه لا يدري فيه سببا قريبا والا فليس يخفى ان الله تعالى هو الذي خلقه والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال
وكلا القسمين يسمى عقلا قال علي كرم الله وجهه العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع
والاول هو المراد بقوله عليه السلام ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله لعلي اذا تقرب الناس الى الله بانواع البر فتقرب

انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي هو الذي يقدر على التقرب باستعمال
العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين والقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين
وقوة الابصار لطيفة تفقد في العمى وتوجد في البصير وان كان قد غمض عينيه او جن عليه الليل والعلم الحاصل منه جار مجرى ادراك البصر
ورؤيته لاعيان الاشياء وتأخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبى الى اوان التمييز او البلوغ يضاهي تأخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق
الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي به يسطر الله تعالى العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل
العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله جعله سببا لحصول نقش العلم
في قلوب البشر قال الله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه
من قصب ولا خشب كما انه ليس ذاته من جوهر ولا من عرض والموازنة بين البصيرة الباطنة وبين البصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه
الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة وهي كالفارس والبدن كالفرس
وعمى الفارس على الفارس اضر من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الاخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى
باسمه في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية
الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلام حتى يذكر في معرض الامتنان ولذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي اما العلوم الدينية فهي المأخوذة
بطريق التقليد من الانبياء عليهم السلام وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صفة القلب وبه
سلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة
اسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليه ولكن لا يمكن فهمه
بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السماع ولا بالسماع عن العقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد
العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية
كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذاء متى اهمل الدواء فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي
وظائف العبادات والاعمال التي ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية
واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من ظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية والكنى بالعلوم العقلية
ان الجمع بينهما غير ممكن ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله من ذلك بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض
فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير فيه فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه
نقصا في الدين وهيهات وانما مثاله الاعمى الذي دخل دارا فتعثر فيها باواني الدار فقال ما بال هذه الاواني تركت على الطريق لم لا ترد الى
مواضعها فقيل له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق لعماك فالعجب منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وتحيلها على
تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة و
النجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله كما فصلناه في كتاب العلم
وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الاخر ولذلك ضرب علي للدنيا والاخرة امثلة
ثلثة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احداهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في امور الدنيا و
في علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا في امور الاخرة والاكياس في دقائق علوم الاخرة جهالا في اكثر علوم الدنيا لان
قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال عليه السلام ان اكثر اهل الجنة البله اي البله في امور

الدنيا

الدنيا وقال الحسن لقد ادركنا اقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو ادركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل الكياسة
في سائر العلوم فلا يغرك جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك يجري امر الدنيا والاخرة
ولذلك قال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها الاية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة
غافلون وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا و
الدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله تعالى لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة
الالهية التي تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها اما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بامر الدنيا انصرفت عن الاخرة وقصرت عن الاستكمال فيها **بيان**
**الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار** اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب
في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي
يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد
من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل له ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي
في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا ويختص به الانبياء والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب
بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة
التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به الى يوم القيامة وتجلي
حقائق العلوم من مرآة اللوح المحفوظ في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد واخرى يزول
بهبوب الريح فكذلك قد تهب رياح الالطاف فتنكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام
فيعلم به ما سيكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فبه ينكشف الغطاء وفي اليقظة ايضا قد يكشف بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب من وراء ستر
الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في
محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد
للعلم فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل
رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون
والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى
ومهما حصل ذلك كان الله تعالى هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله تعالى امر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور
في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلالات فيه حقائق الامور الالهية فليس على المريد
الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله من الرحمة اذ الاولياء
والانبياء انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها
والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا ان يقطع علائق الدنيا بالكلية ويفرغ قلبه عنها ويقطع همته عن الاهل
والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيه وجود كل ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار
على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد
ان لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي
الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه الى ان يمحى اثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب
عليه الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي

الى هذا الحد واحتاج في استدامته هذه الحالة الى دفع الوساوس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات
الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من رحمته كما فتحها على الانبيا والاوليا بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت
مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلايق الدنيا فيلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود
وقد يتاخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد
ومنازل اوليا الله تعالى فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت درجاتهم ولا تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك
وتصفية وجلا ثم استعداد وانتظار فقط واما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاوه الى المقصد
على الندور فانه اكثر احوال الانبيا والاوليا ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطأوا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو
العلايق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حالة فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب قال عليه السلام قلب المومن بين اصبعين
من اصابع الرحمن وقال عليه السلام قلب المومن اشد تقلبا من القدر في غليانها وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض
البدن واذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقايق العلوم نشبث بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى ان تزول وينقضي
العمر قبل النجاح فيها فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك
الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يتعلم ولكن صار عالما فقيها بالوحي والالهام من غير تكرار وتعليق فانا ايضا ربما انتهى بي الرياضة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع
عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجا العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد من تحصيل
ما حصله العلما اولا وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لساير العلما فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس اعلم ان عجايب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك
الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفا بمثالين احدهما انه لو فرضنا حوضا
محفورا في الارض احتمل ان يساق الما اليه من فوقه بانهار تفتح اليه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر
الما الصافي فينفجر الما من اسفل الحوض ويكون ذلك الما اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الما والحواس
الخمسة مثل الانهار وقد يمكن ان يساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلى علما ويمكن ان يسد عنه
هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى يتفجر ينبوع العلم من داخله فان قلت
كيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجايب اسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقايق
الاشيا مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملايكة المقربين وكما ان المهندس يصور صورة ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود
على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى اخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك
النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته تتادى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من نظر الى السما والارض ثم غض بصره يرى
صورة السماء والارض في خياله حتى كانه ينظر اليها ولو انعدمت السما والارض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السما والارض في نفسه
كانه يشاهدها وينظر اليها ثم يتادى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه حقايق الاشيا التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب
موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا عن خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم
اربع درجات في الوجود وجود في اللوح وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه الوجود الحقيقي الحسي ويتبع وجوده الحقيقي الحسي وجوده
الخيالي اعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية
وبعضها جسمانية والروحانيات بعضها اشد روحانية من بعض وهذا لطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع



فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع اكنافها ثم يسري من وجوده في الحس وجوده في الخيال ثم منه وجوده في القلب فانك ابدا
لا تدرك الا ما هو واصل اليك ولو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجايب في القلوب و
الابصار ثم اعمى عن دركها بعض القلوب والابصار حتى صارت قلوب اكثر الخلق جاهلة بانفسها وبعجايبها فلنرجع الى المقصود فنقول القلب
يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيها صورة الشمس تارة من
النظر اليها وتارة من النظر الى الما الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ راى الاشيا فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى
عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الما من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا مانعا
له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الما اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك من التفجر من الارض وكما ان من نظر الى الما الذي يحكي عن
صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملايكة وباب مفتوح الى
الحواس الخمس المتمسكة بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة والملك ايضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى
الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتامل في عجايب
الرويا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر
الله تعالى قال النبي عليه السلام سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال
في وصفهم اقبل عليهم بوجهي اترى من واجهته بوجهي يعلم احد اي شي اريد ان اعطيه ثم قال اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون
عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الانبيا والاوليا وبين علوم العلما والحكما هذا وهو ان
علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكمة ياتي من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجايب القلب وتردده
بين عالمي الغيب والشهادة لا يمكن ان يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين المثال الثاني يعرفك الفرق
بين العملين اعني عمل العلما وعمل الاوليا فان العلما يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلب واوليا الصوفية يعملون في جلا
القلب وتطهيره وتصفيته وتصقيله فقط وقد حكي ان اهل الصين واهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر
راي الملك على ان يسلم اليهم صفة لينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم منها جانبا ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الاخر ففعل ذلك
وجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل اهل الصين من غير صبغ واقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل
الصين ايضا انهم قد فرغوا فتعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل لهم وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا وما عليكم
فارفعوا الحجاب فرفعوه فاذا جانبهم تتلالا منه عجايب الصنايع الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ كان قد صار كالمراة المجلوة
لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفا فكذلك عناية الاوليا بتطهير القلب وجلايه وتزكيته وصفايه حتى يتلالا فيه جلية الحق بنهاية
الاشراق كفعل اهل الصين وعناية العلما والحكما باكتساب علم الاصول وتحصيل نقشها في القلب وكيف ما كان الامر فقلب المومن لا يموت وعلمه
عند الموت لا ينمحي وصفاؤه لا يتكدر واليه اشار الحسن بقوله التراب لا ياكل محل الايمان ويكون وسيلة مقربة له الى الله تعالى اما ما حصله
من نفس العلم او ما حصله من الصفا والاستعداد لقبول نفس العلم والسعادة لا تحصل الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض
كما انه لا غنى الا بالمال وصاحب الدرهم غني وصاحب الخزاين غني وتفاوت درجات السعدا بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما يتفاوت درجات
الاغنيا بحسب قلة المال وكثرته والمعارف انوار ولا يسعى المومنون الى لقا الله تعالى الا بانوارهم قال تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد في
الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه فيضي مرة ويطفى مرة فاذا اضا قدم قدمه فمشى
واذا طفي قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمشي كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم كالسحاب ومنهم كانقضاض الكواكب
ومنهم من هو كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق اخرى وتجر منه رجل وتعلق اخرى

ويحسب جوانه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا ظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح وهذا ايضا هو قول القايل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان احاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمعه وايمان الصديقين نوره كنور النجوم والقمر وايمان الانبيا كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الافاق مع اتساع اقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدور بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جا في الخبر انه يقال يوم القيامة اخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا وان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها فكذلك قوله عليه السلام ليس شي خيرا من الف مثله الا الانسان المومن اشارة الى تفضيل قلب العارف المومن وانه خير من الف من عوام الناس وقد قال تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين تفضيل للمومن على المسلم والمراد به المومن العارف دون المقلد وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد بها الذين امنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل ذلك على ان اسم المومن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس قوله تعالى والذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المومنين بسبعماية درجة بين كل درجتين كما بين السما والارض وقال عليه السلام اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب فبهذه الشواهد يتضح تفاوت درجات اهل الجنة بحسب قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على من يخس حظه من ذلك وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اعلم ان من انكشف له ولو الشي اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي ان يومن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات اما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر على القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال النبي عليه السلام من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لا يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه في دعايه يسال النور فقال اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا حتى قال في شعري وبشري ولحمي ودمي وعظامي وسيل عليه السلام عن قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال عليه السلام لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شي اسره النبي الينا الا ان يوتي الله عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يوتي الحكمة من يشا انه الفهم في كتاب الله وقال تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم وكان ابو الدردا يقول المومن ينظر من ورا ستر رقيق والله انه الحق يقذفه الله تعالى في قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف ظن المومن كهانة وقال عليه السلام اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الايات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسيل بعض العلما عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من اسرار الله تعالى يقذفه في قلوب احبابه لم يطلع عليه بشر ولا ملك وقد قال عليه السلام ان من امتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرا ابن عباس رضي الله عنه وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة



قيل من الاشكال والشبهة

والقران مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم قال تعالى وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظ صار جاهلا انما العالم الذي ياخذ علمه من ربه اي وقت شا بلا حفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني واليه الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضه بوسايط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني هو الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مالوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الايات والاخبار والاثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر اظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم قال ابو بكر لعايشة انما هما اختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا وكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر في اثنا خطبته يا سارية الجبل الجبل اذ انكشف له ان العدو قد اشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس بن مالك قال دخلت على عثمان بن عفان وكنت لقيت امراة في الطريق فنظرت اليها نظرا شزرا وتاملت محاسنها فلما دخلت قال يدخل علي احدكم واثار الزنا ظاهرة في عينيه اما علمت ان زنا العينين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت له اوحي بعد النبي صلى الله عليه فقال لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة وعن ابي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرا عليه خرقتان فقلت في نفسي هذا واشباهه كل على الناس فناداني وقال والله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فاستغفرت الله في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني فلم اره وقال زكريا بن داوود دخل ابو العباس بن مسروق على ابي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت في نفسي من اين ياكل هذا الرجل قال فصاح بي يا ابا الفضل رد هذه الهمة الدنية فان لله الطافا خفية وعن احمد النقيب قال دخلت على الشبلي فقال مفتونا يا احمد فقلت ما الخبر فقال كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت ما انا بخيل فعاد مني خاطري وقال بل انك بخيل فقلت ما فتح اليوم علي بشي الا دفعته الى اول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمونس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال فاخذتها وقمت وخرجت واذا انا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال اعطها المزين فقلت ان جملتها دنانير فقال اوليس قلنا لك انك بخيل قال فناولتها المزين فقال اعتقدنا لما جلس الفقير بين ايدينا ان لا ناخذ عليه اجرا فرميت الدنانير في دجلة وقلت ما اعزك احد الا اذله الله عز وجل وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على ابي الخير التيناني فاعتقدت في نفسي ان اسلم عليه ولا اكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده فاذا به تبعني وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات وقال ابراهيم الرقي قصدته مسلما فصلى صلاة المغرب ولم يقرا الفاتحة مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت اليه وقلت ان الاسد قصدني فخرج وصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى وتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد وما حكي من تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمايرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر والسوال منه وسماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجايب الرويا الصادقة فانه ينكشف به الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظة اذ لا فرق بين النوم واليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات وكم من مستيقظ غايص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القران واذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقايق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في الوجود شخص يكاشف بالحقايق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن امن بالانبيا وصدق بالرويا الصادقة لزمه ان يقر بان للقلب بابين باب الى خارج وهو باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي فاذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم بالتعلم ومباشرة الاسباب المالوفة بل يجوز ان يكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا

فيه

بن

في

هم

ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجائب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت واما السبب في انكشاف الامور في المنام بالمثال
المحوج الى التاويل وكذلك تمثل الملائكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر
على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها وقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني ان املي عليه شيئا من ذكري
الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله تعالى فقلت الستما تكتبان الفرائض قالا بلى
قلت فيكفيكما ذلك وهذا اشارة الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب انما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين
سألت بعض الابدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق
الى صدره فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال لم يكن عندي في المسألة علم عتيد فسألت صاحب
الشمال فقال لا ادري فسألت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فسألته فحدثني بما اجبتك واذا هو اعلم منهما و
هذا معنى قوله عليه السلام ان في امتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك
بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال ابو سليمان الداراني القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة
فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملأ الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع و
الاعراض عن الشهوات الدنيا ولذلك كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانه ينجلي لهم امور
صادقة وقال بعض العلماء يد الله على افواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله تعالى لهم من الحق وقال آخر ان الله تعالى يطلع الخاشعين على
بعض سره

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها اعلم ان القلب كما ذكرناه في مثال قبة لها ابواب
تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من كل جانب او مثل مرآة منصوبة تجتاز عليها اصناف الصور المختلفة
فتتراءى صورة بعد صورة ولا تخلو عنها او هو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في
القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه
اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل او بقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر
في القلب وكذلك وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب
من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني
بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث
انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادة فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال
لا محالة فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما
يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين
مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث
لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما
استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة فكذلك لانوار القلب
وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي به يتهيأ القلب
لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك
عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه الله تعالى وسخره لذلك والشيطان
عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فهو الوسوسة فالوسوسة في مقابلة

الالهام

الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فالموجودات كلها متقابلة
مزدوجة الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وقال الحسن انما هما همان يجولان في
القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله امضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين
هذين المتسلطين قال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن والله سبحانه متعال عن ان يكون له اصبع مركبة من لحم وعظم ودم منقسمة
بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصها بل لفعلها في التقليب والترديد كما
انك تتعاطى الافعال باصابعك فالله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك
مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح
احدهما على الآخر وانما يترجح احد الجانبين على الآخر باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان
مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان
جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص و
طمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
ما من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم فلا يأمر الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف
الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها
لا يأمر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق
مجاله واقبل الملك والهم والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيتمكن ويستوطن ويكون اجتياز
الثاني اختلاسا واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وملكتها فامتلأت بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها
اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح آثار الملائكة
قال جابر بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء
عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى
لا عبد الله فلذلك تسلط عليه الشيطان وقد قال الله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه اشارة الى ان من الهه ومعبوده هواه فهو عبد الهوى لا عبد الله وقال
عثمان بن ابي العاص يا رسول الله ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي وقراءتي قال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل
عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله تعالى عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان
عن القلب الا ذكر شيء سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله وما يتعلق به فيجوز ان يكون
ايضا مجالا للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله تعالى
بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون
الذين الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف بقلوبهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان واذا ذكر الله خنس وانقبض و
اذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال تعالى
استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان نسي
الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح وكما ان الشهوات

ممزوجة بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه ان الشيطان ليجري من ابن آدم
مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى
اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين قال رسول الله صلى الله عليه
ان الشيطان قعد لابن آدم بطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له اتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر
وتذر ارضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه
فجاهد فقال رسول الله فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فذكر رسول الله معنى الوسوسة وهو هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد
انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم
يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال عليه السلام ما من احد الا وله شيطان فقد
اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه
جسم لطيف ام ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الان غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا
مثال من دخل في ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن طولها وعرضها ولونها وذلك عين الجهل فمصادفة الخواطر الباعثة على
الشر قد علم وذلك عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله
سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال
تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم الا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن نسبه واصله و
مسكنه نعم ينبغي ان يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعاملين فاما معرفة صفة ذاته وحقيقة
الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا يحتاج في المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه
داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك او لمة
الشيطان فان من مكائد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على
دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا
على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر
نعمه وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ
الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى
الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار
فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم ويظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان
وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ولذلك روي
ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له ايضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان
من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم
الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكائد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا
على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا
لتلبيسات الشيطان ومكائده فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه من لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى
الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون

اي انكشف

اي انكشف لهم الاشكال فاما من لم يروض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى ويكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر
وفيهم قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واغمض انواع علوم المعاملة الوقوف
على خدع النفس ومكائد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوساوس وتسلط عليهم الشيطان
وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها من خارج الحواس الخمس وابوابها من داخل
الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم يسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك
مداخل باطنة من التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يندفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله
فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الى الموت اذ لا يتخلص احد من الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه
شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشيطان مفتوحة الى قلبه لا تنغلق و
هي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة
والمجاهدة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فاذا لا خلاص للمؤمن عنه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف
قوته قال رسول الله صلى الله عليه ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال
قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الان مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبني بكتاب الله واهل التقوى لا يتعذر
عليهم سد ابواب الشيطان وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون
في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب
للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الواحد بهذه الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية
كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة هنا هو القلب المصفى بالتقوى
والشمس المشرقة هي العلم الغزير المستفاد من كتاب الله وسنة رسوله فيهما يهتدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة قال
عبد الله بن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال هذه سبل
على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه كثرة طرقه وقد ذكرنا
مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا للطريق الواضح
الذي لا يخفى الا ان يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك ما روي عن النبي عليه السلام انه قال كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية
فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتي بها الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها
فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها فلم يزل يوحي حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح ياتيك اهلها فاقتلها
فان سالوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه
فقال ماتت فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو
الذي قال الله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الآن الى حيلته واضطراره الراهب الى هذه الكبائر
وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسن فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب
في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله
من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب اعلم ان القلب مثاله مثال حصن والشيطان عدو يريد
ان يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على
حراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه فحماية القلب عن فساد الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب

الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل الشيطان وابوابه صفات
العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فمن ابوابه العظيمة الحسد والحرص
فمهما كان العبد حريصا على شيء اعماه حرصه واصمه اذ قال رسول الله حبك الشيء يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه
الحرص او الحسد لم يبصر فوجد الشيطان فرصة فحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا فاحشا فقد روي ان نوحا عليه السلام
لما ركب البحر وحمل في السفينة من كل زوجين اثنين كما امر راى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك
فتكون قلوبهم معي وابدانهم معك فقال نوح اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن بثلث ولا احدثك باثنين فاوحى
الى نوح انه لا حاجة بك الى الثلث مره فليحدثك بالثنتين فقال ما الثنتان فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما اهلك الناس الحسد والحرص فبالحسد
لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص فانه ابيح لادم الجنة كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب
غول العقل واذا اضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي موسى عليه السلام
فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله اذنبت وانا اريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي ان يتوب علي فقال موسى نعم فدعا
موسى ربه عز وجل فقيل يا موسى قد قضيت حاجتك فليسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فلقي موسى ابليس وقال قد امرت ان تسجد لقبر آدم عليه السلام ليتاب عليك فاستكبر
وغضب وقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلث لا اهلكك فيهن اذكرني
حين تغضب فان روحي في قلبك وعيني في عينك واجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره ولده
وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراة ليست بذات محرم لك فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار في هذا الى الشهوة والغضب
والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه عن سجوده لادم ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله وقد ذكر ان بعض الاولياء عليهم السلام
لابليس باي شيء تغلب ابن آدم قال آخذه عند الغضب وعند الهوى وقد ظهر ابليس لراهب فقال له اي اخلاق بني آدم اعون لك قال الحدة ان العبد
اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن ادم اذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى
اكون في راسه ومن ابوابه العظيمة حب التزين في الثياب والاثاث والدار فان الشيطان اذا راى ذلك غالبا على قلب انسان باض فيه وفرخ
فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره واذا اوقعه في ذلك فقد
استغنى عن ان يعاوده فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال يؤديه من شيء الى شيء الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى
ومن ذلك يخشى سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات و
الشهوات اسلحة الشيطان فقد روي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فراى عليه معاليق من كل شيء فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق فقال
هذه الشهوات التي اصيب بها بني آدم فقال فهل لي فيها شيء فقال ربما شبعت فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر فقال هل غير ذلك قال لا فقال لله
علي ان لا املا بطني من طعام ابدا فقال ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا ومن ابوابه العظيمة الطمع في الناس فانه اذا غلب الطمع
على القلب لم يزل الشيطان يحسن التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة
التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا اعلمك قال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا
قبلت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسال احدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت ومن ابوابه العجلة وترك التثبت في الامور
قال عليه السلام العجلة من الشيطان والتاني من الله وقال الله تعالى خلق الانسان من عجل وقال وكان الانسان عجولا وقال ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى
اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تامل ومهلة والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان
شره من حيث لا يدري روي انه لما ولد عيسى عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالوا اصبحت الاصنام قد نكست رؤوسها فقال هذا حادث قد حدث وقال مكانكم فطار

حتى

حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت
انثى قط ولا وضعت الا وانا حاضرها الا هذه فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة ومن ابوابه
العظيمة الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان
فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات يحتاج كل شهوة منها الى مائة دينار فلا يكفيه ما وجد
بل يحتاج الى تسعمائة اخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن انه صار غنيا بها وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشتري دارا
يعمرها ويشتري جارية ويشتري اثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها
عمق جهنم ولا آخر سواه قال ثابت لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى اعيوا ثم جاءوا وقالوا ما ندري
قال ابليس انا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء اليهم وقال قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي عليه السلام فينصرفون خائبين ويقولون
ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم وروي
ان عيسى عليه السلام توسد حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت راسه ورمى به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك
حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلوة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسد به فلا
يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسد به ولو لم يكن كذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا يتحرك رغبته الى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش
الوطيئة والمتنزهات الطيبة فانى ينشط لعبادة الله ومن ابوابه البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو
الى الادخار والكنز والعذاب الاليم هو الموعود للكانزين كما نطق به القران وقال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبني ابن آدم فلن
يغلبني على ثلث ان آمره باخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك
منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع الاموال والاسواق معشش
الشيطان روى ابو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا
قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لا يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر
قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصائد قال
النساء ومن ابوابه التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك الفساق والعباد جميعا
فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في طبع الانسان من الصفات السبعية فاذا خيل اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه
غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان ترى الواحد منهم يتعصب
لابي بكر وهو آكل للحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاطي لانواع الفساد ولو رآه ابو بكر رضي الله عنه لكان هو اول عدو له اذ موالي ابي بكر
من اخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته ان يضع حصاة في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فانى لهذا الفضولي ان يدعي
ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته وترى فضوليا آخر يتعصب لعلي وكان من زهد علي رضي الله عنه وسيرته انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ
وترى الفاسق لابسا لثياب الحرير ومتجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي ويدعيه وهو اول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من اخذ ولدا
عزيزا لانسان هو قرة عينه وحياة قلبه فاخذ يمزقه ويضربه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاءه كيف يكون حاله عنده
ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم من الاهل والولد بل من نفوسهم والمتجرون
لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى ابليس عدو الله وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم
القيامة عند الصحابة وعند اولياء الله بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في امة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا من ان يجروا على اللسان ذكرهم
مع قبح افعالهم ثم الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل للآخر ان من مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول

يقول لولدي فاطمة وهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيا وهذه امثال اوردناها من جملة الاهوا وهكذا حكم المتعصبين للشافعي و
ابي حنيفة ومالك واحمد وغيرهم من الايمة رضوان الله عليهم اجمعين فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول له كان مذهبي
العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما لك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مسلكي ومذهبي الذي سلكته
وذهبت فيها الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا فهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك به اكثر العالم وقد سلمت المدارس لاقوام قل من الله خوفهم و
ضعفت بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على
مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس على ذلك ونسوا امهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا والله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال الحسن بلغنا
ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الاهوا وقد صدق الملعون فانهم لا
يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب
والخصومات قال عبد الله بن مسعود قعد قوم يذكرون الله فاتاهم الشيطان ليقيمهم من المجلس ويفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون
حديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان
ومن ابوابه حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله وصفاته وامور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في
اصل الدين او يخيل اليهم في الله تعالى خيالا يتعالى الله عنه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره ويظن ذلك هو المعرفة والبصيرة
وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه وظنه واحرصهم
على السؤال من العلما قالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلقك فيقول الله فيقول فمن خلق الله
فاذا وجد احدكم ذلك فليقل امنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يامر في علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام الناس
دون العلماء وانما حق العوام ان يومنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم ويتركوا العلم الى العلما فالعامي لو يزني ويسرق كان خيرا له من ان يتكلم في العلم
فانه من تكلم بغير اتقان العلم في الله تعالى وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقايد والمذاهب
لا حصر لها وانما قصدنا بما اوردناه المثال ومن ابوابه سوء الظن بالمسلم ولذلك قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ومن يحكم بشر على
غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه وينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه
خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى ان رسول الله احترز من ذلك
روى علي بن الحسين ان صفية بنت حيي اخبرته ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا قالت فاتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان
من الانصار فسلما ثم مضيا فدعاهما فقال انها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله انظن بك الا خيرا قال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني
خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق على دينهما فحرسهما وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف
بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينظر الناس كلهم اليه بعين
واحدة بل بعين الرضى بعضهم وبعين السخط بعضهم وعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار
فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رايت انسانا يسي الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما
يرى غيره من حيث هو فان المومن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمومن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت
استقصا جميعها لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الادمي صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله فان قلت فما
العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاعلم ان علاج ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب
من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكرها وغرضنا في هذا الربع بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على ما سياتي شرحه ان
شا الله نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله لان حقيقة الذكر

لاتمكن

لا تتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان
الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا خصص ذلك بالمتقين ومثال الشيطان مثل كلب جائع يقرب منك فان
لم يكن بين يديك لحم او خبز فانه ينزجر بان تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك شي من ذلك وهو جائع فانه يهجم عليه ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب
الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه اذا
استقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر
فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وسائر الايات والاخبار الواردة في الذكر وقال ابو هريرة التقى شيطان المومن
وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر دهين سمين كاس واذا شيطان المومن مهزول اشعث اغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المومن ما لك قال انا
مع رجل اذا اكل سمى فاظل جائعا واذا شرب سمى فاظل عطشان واذا ادهن سمى فاظل شعثا واذا لبس سمى فاظل عريانا فقال الشيطان الكافر
لكني مع رجل لا يفعل شيا مما ذكرت فانا اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا
عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت
بينه وبين جنتك انك على كل شي قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن انت قال انا ابليس قال وما تريد قال اريد
ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة فلك والله لا امنعك منها قال والله لا امنعها من اراد ها فاصنع الان ما شئت وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم
بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرا ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل عليه السلام فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما ذرا في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال
ذلك فطفيت شعلته وخر على وجهه وقال الحسن نبيت ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرا
اية الكرسي وقال عليه السلام لقد اتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه والذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا
دعوة اخي سليمان عليه السلام لاصبح طريحا وقال عليه السلام ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غير فج عمر وهذا لان هذه القلوب كانت مطهرة عن مرعى
الشيطان وقوته وهو الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن طمع في ان يشرب دوا قبل
الاحتما والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع في ان ينفعه الدوا كما نفع الذي شربه بعد الاحتما وخلاء المعدة والذكر دوا والتقوى احتما وهو يخلي
القلب من الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا من غير الذكر اندفع الشيطان كما يندفع العلة بنزول الدوا في معدة خالية عن الاطعمة قال الله تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مولاه وان
ذكر الله تعالى بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط
نقلها علما الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك صلواتك فراقب قلبك اذا كنت في صلواتك كيف يجاذبه الشيطان
الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا الا في صلواتك ولا
يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت والصلاة محك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساويها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا
فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدوا قبل الاحتما ربما يزيد عليك الضرر فان اردت الخلاص من الشيطان فقدم
الاحتما بالتقوى ثم اردفه بدوا الذكر يفر الشيطان عنك كما كان يفر من عمر ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت
صديقه في السر اي انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني
استجب لكم وانت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعا قيل لابراهيم بن ادهم ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال
الله تعالى ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله تعالى ولم تقوموا بحقه وقراتم القران فلم تعملوا بحدوده وقلتم
نحب رسول الله وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا له وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطاتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار

فرضيتم ان تكون منها وعلمتم حب الجنة ولم تعملوا لها واذا متم عرفتم فرفعتم عيوبكم وراء ظهوركم وقدمتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجاب لكم فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفون فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل ولا تسأل عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو اليه فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا يامر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد وردت في ذلك اخبار وكما ان في الشياطين كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل ينفرد به وقد قال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يديه فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال ايوب بن يونس بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشؤون معهم وقال جابر بن عبد الله ان ادم صلى الله عليه وسلم لما اهبط الى الارض قال يا رب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة ان لم تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال يا رب زدني قال اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال يا رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح وقال ابليس يا رب هذا العبد الذي اكرمته علي ان لم تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال يا رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله غرورا وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلاثة اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهائم كما قال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها الاية وصنف اجسامهم اجسام بني ادم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام فقال اني اريد ان انصحك قال كذبت انت لا تنصحني ولكن اخبرني عن بني ادم قال هم عندنا ثلاثة اصناف اما صنف منهم فهم اشد الاصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن من ذلك في عناء واما الصنف الاخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم نتقلبهم كيف شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الاخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون بعض واذا راى صورته فهل هي صورته الحقيقية او هو مثال يتمثل له به وان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما لا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بانوار النبوة فما راى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في صورته الا مرتين وذلك انه ساله ان يريه نفسه على صورته فواعده بالبقيع وظهر له بحراء فسد الافق من المشرق الى المغرب وراه مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الادمي غالبا فكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من ارباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه باذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روي عن عمر بن عبد العزيز ان رجلا سال ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن ادم فراى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه وراى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة وقد راه

بعض

بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا الجنس يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد وان تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعنده يشرق اثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لان احدهما متصل بالاخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كله متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير ونحوها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث ويدل الشاة على انسان سليم الصدر وهكذا جميع ابواب الرؤيا والتعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثل بصورة محاكية للمعنى هي مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم

بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه ايات واخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء بالشرع فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم به او تعمل به وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للحفظة اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة وان تركها من اجلي فاكتبوها حسنة واذا هم بحسنة لم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ اخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت وفي لفظ اخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فاما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق عندنا في هذه المسالة لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدا ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امراة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لراها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف وهو الحياء او الخوف من الله تعالى او من عباده وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتامل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدا ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تاكد هذا الهم وصار ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا اربع احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان ايضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما العزم والهم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا خصاء امتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني ان اترهب قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سالت الله تعالى لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل

وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا متردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والأحوال تختلف فيه فالاختياري منه
يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به وأما الرابع وهو الهم بالفعل فإنه مؤاخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه
كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على
خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لأنه ترجح جده في
الامتناع وهمه به على الفعل وإن تعوق الفعل بعائق أو تركه بعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت له سيئة فإن همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد
في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فإن عملها فاكتبوها
بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جراي وحيث قال لم يعملها أراد به تركها لله تعالى فأما إذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب
أو غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم إنما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم أن من عزم ليلا على أن يصبح ويقتل مسلما أو يزني بامرأة فمات
تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا التقى المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه وهذا نص في أنه صار من أهل النار بمجرد الإرادة مع أنه قتل
مظلوما فكيف يظن أن الله تعالى لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك
كتبت حسنة فأما فوات المراد بعائق فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف
ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق
إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت بنو إسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا و
أطعنا فأنزل الله تعالى الفرج بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو
كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بد وأن يغلط وكيف لا يؤاخذ
بأعمال القلوب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا أي ما يدخل
تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فإن أتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا بها لأنه مختار وكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى
بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار إلى القلب وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم و
قال صلى الله عليه وسلم الإثم حواز القلب وقال البر ما اطمأن إليه القلب وإن أفتوك وأفتوك حتى إنا نقول إذا حكم القلب المفتي بإيجاب شيء وكان مخطئا فيه صار
مثابا عليه بل من ظن أنه متطهر فعليه أن يصلي فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب وإن تذكر ثم تركه كان معاقبا ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته
لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبية وإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصى وإن كانت زوجته كل ذلك نظرا إلى القلب دون الجوارح

**بيان أن الوسواس** هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق
فقالت فرقة إن الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لأنه عليه السلام قال فإذا ذكر الله خنس والخنوس هو السكوت فكأنه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم أصله
ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعبا بالذكر صار محجوبا عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمة فإنه قد يتكلم ولا يفهم وإن كان الصوت
يمر على سمعه وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبته للقلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند
الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في أزمنة متقاربة يظن لتقاربها أنها متساوقة وهو كالكرة التي عليها نقط متفرقة فإنك إذا
أدرتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الخنوس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا
وقالت فرقة إن الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام لا ينقطع وكما أن الإنسان قد يرى في حالة واحدة بعينيه شيئين فكذلك القلب
قد يكون مجرى لشيئين فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد إلا وله أربع أعين عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه وإلى هذا
ذهب المحاسبي والصحيح عندنا في هذا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة بأصناف الوساوس وإنما نظر كل واحد إلى صنف

من الوساوس

من الوساوس وأخبر عنه والوسواس أصناف الأول أن يكون من جهة التلبيس بالحق فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للإنسان لا تترك التنعم و
اللذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات
شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فإذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد إيمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن
يقول ليست النار أشد من الصبر على المعاصي ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضي إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله تعالى يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك
يوسوس إليه بالعجب في عمله فيقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما أعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضاءه
التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يعجب به فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله تعالى لأن المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع
من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور المعرفة والإيمان والصنف الثاني أن يكون وسوسته بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقينا
أنه معصية وإلى ما يظنه بغالب الظن فإن علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج وإن كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج
إلى مجاهدة في دفعه فيكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة الصنف الثالث أن يكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغائبة
والتفكر في غير أمر الصلاة مثلا فإذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساوقا جميعا
حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب وبعيد جدا أن يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا
إذ قال عليه السلام من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من حديث الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى
عليه الحب حتى صار كالمستهتر فإنا نرى المستوعب القلب بعدو قد تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غيره فكذا المستغرق
في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه
وإذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الإيمان بالله واليوم الآخر وإذا
تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوساوس علمت أن لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير
بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال في الوجود ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي أنه
عليه السلام نظر إلى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة وكان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على المنبر فرماه وقال نظرة إليه ونظرة إليكم وكان
ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر إلى خاتم الذهب وطراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رماه فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقودها
إلا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا لا يدعه الشيطان في صلاته من الفكر في ديناره أنه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى
لا يعلم به أو كيف يظهره حتى يتباهى به إلى غير ذلك من الوساوس فمن أنشب مخالبه في الدنيا وطمع أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن أن لا يقع عليه
الذباب فهو محال فالدنيا باب عظيم لوسواس الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فإن أبى أتاه
من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فإن أبى خفف عليه أعمال
البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده تشتد الحاجة فإنه آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة

**بيان** سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب إليه الآثار
والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته فإن
نزل الشيطان به فدعاه إلى الهوى نزل الملك به وصرفه عنه وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره وإن جذبه ملك إلى خير جذبه ملك آخر إلى
غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا وإليه الإشارة بقوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ولاطلاع
رسول الله على عظيم صنع الله في عجائب القلوب وتقلبه كان يحلف به ويقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا
أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي لفظ آخر إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه وضرب
له رسول الله ثلاثة أمثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب كمثل

ريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهراً لبطن وهذه التقلبات وعجيب صنع الله في تقليبها من حيث لا يهتدى إليه ولا يعرفه إلا المراقبون لقلوبهم والمراعون
لأحوالهم مع الله تعالى. والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة: قلب عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر عن خبائث الأخلاق فتنقدح
فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فينكشف
له بنور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه إلى العمل به فينظر الملك إلى القلب فيجده طيباً في جوهره طاهراً بتقواه مستنيراً بضياء
العقل معموراً بأنوار المعرفة فيراه صالحاً لأن يكون مستقره ومهبطه فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير و
كذلك على الدوام ولا يتناهى إمداده بالترغيب في الخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى. وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في
الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غروراً ولا يلتفت إليه. وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات
يصير معموراً على القرب بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضى والشوق والتوكل والتفكر
والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي أقبل الله تعالى بوجهه عليه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب والمراد بقوله تعالى يا أيتها النفس
المطمئنة. القلب الثاني القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالأخلاق المذمومة المفتحة فيه أبواب الشياطين المسدودة عنه أبواب
الملائكة. ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف
خدمة الهوى وأنس به واستمر على استنباط الحيل على موافقة الهوى ومساعدته فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط
فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والأماني ويوحي
بذلك زخرفاً من القول غروراً فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب
يملأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب
إمكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح
على وفق الهوى فظهرت المعصية إلى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله وقدره. وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى أرأيت من اتخذ إلهه هواه
أفأنت تكون عليه وكيلاً أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً وبقوله تعالى لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون
وبقوله تعالى وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. ورب قلب هذا حاله بالإضافة إلى جميع الشهوات ورب قلب هذا حاله بالإضافة إلى
بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى وجهاً حسناً لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه أو كالذي لا يملك
نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه أو كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من
عيوبه أو كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى وكل ذلك لتصاعد
دخان الهوى إلى القلب حتى يظلم وينطفئ منه أنوار البصيرة فينطفئ نور الحياء والمروءة والإيمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان. القلب الثالث
قلب يبدو فيه خاطر الهوى فيدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فتنبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة
وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في
تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس إلى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوي داعي الهوى ويقول ما هذا
التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى أحداً من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أفتترك ملاذ الدنيا لهم يتمتعون
منها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروماً شقياً مغبوناً يضحك عليك أهل الدنيا أو تريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت
ولم يمتنعوا أما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن فعل ذلك ولو كان شراً لامتنع عنه فتميل النفس إلى الشيطان وتنقلب إليه فيحمل الملك حملة
على الشيطان ويقول هل هلك إلا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة أفتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد أم تستثقل ألم الصبر

عن شهوتك

عن شهوتك ولا تستثقل ألم النار أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك معصية
غيرك أرأيت لو كنت في صيف وقد وقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أم تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس
خوفاً من حر الشمس ولا تخالفهم خوفاً من حر النار. فعند ذلك تميل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذباً بين الحزبين إلى أن يغلب على
القلب من هو أولى به فإن كانت الصفات التي في القلب غلبها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشياطين
معرضاً عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعداً لحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى. وإن كان الأغلب
على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان وتحريضه إياه على العاجلة وتهوينه أمر الآجلة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب
ما سبق من القضاء على جوارحه. وقلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن أي بين تجاذب هذين الحزبين وهو الغالب أعني التقليب والانتقال من حزب إلى
حزب. أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو حزب الشيطان فنادر من الجانبين. وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب إلى عالم الشهادة
بواسطة خزانة القلب فإنه من خزائن الملكوت ومهما ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القدر فمن خلق للجنة يسرت له الطاعة
وأسبابها ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصي وسلط عليه أقران السوء وألقي في قلبه حكم الشيطان فإنه بأنواع الحكم يغر الحمقى كقوله إن الله
رحيم فلا تبال وإن الناس كلهم ما يخافون الله تعالى فلا تخالفهم وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غداً يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً
يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم بإذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء
الله وقدره فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء إن ينصركم الله فلا غالب
لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلاً واستعملهم
بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل النار وعلامة أهل الجنة فقال إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي
جحيم. ثم قال تعالى فيما روي عن نبينا صلى الله عليه هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فتعالى الله الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فإن استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وإنما ذكرنا منه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها
لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشور عن اللباب بل يتشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيما ذكرناه كفاية له إن شاء الله تعالى

## كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة
الإنسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه
على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلاة على محمد عبد الله و
نبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح نور النبوة من أسارير جبينه ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله وأصحابه الذين
طهروا وجه الإسلام عن ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره. أما بعد فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين
وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين. والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات
الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الأبواب المفتوحة
إلى نار الله تعالى الموقدة التي تطلع على الأفئدة. كما أن الأخلاق الحسنة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن. والأخلاق الخبيثة
أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد وأين منه المرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد. ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط
قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفيها فوت حياة باقية أولى. و
هذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد
إلى تأنق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى التشمير في علاجها وإصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد أفلح من زكاها وإهمالها هو المراد بقوله
وقد خاب من دساها. ونحن في هذا الكتاب نشير إلى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الأمراض

فان ذلك ياتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الان النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد مناهجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن
مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغيير بالرياضة ثم بيان
السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلوب ثم بيان
الطريق الذي به يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق
ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احد عشر فصلا تجمع مقاصد الكتاب
ان شاء الله وحده.

**بيان** فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه ممتنا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق
عظيم وقالت عائشة كان خلق رسول الله صلى الله عليه القران وقوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه هو ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه اثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن وجاء رجل
الى رسول الله صلى الله عليه من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل
شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم
قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه اوصني فقال اتق الله حيثما كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال
خالق الناس بخلق حسن وسئل صلى الله عليه اي الاعمال افضل قال حسن الخلق وقال صلى الله عليه ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار
وقال الفضيل قيل يا رسول الله ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار
وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول اول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخا ولما خلق الله تعالى الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن
الخلق والسخا ولما خلق الله عز وجل الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه ان الله تعالى استخلص هذا الدين
لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخا وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال صلى الله عليه حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المؤمنين
افضلهم ايمانا قال احسنهم اخلاقا وقال صلى الله عليه انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سوء الخلق يفسد العمل
كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله انك امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال
كان رسول الله صلى الله عليه احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري قال كان رسول الله صلى الله عليه يقول اللهم حسنت
خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمرو قال كان النبي صلى الله عليه يكثر الدعاء يقول اللهم اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه قال كرم المؤمن دينه ومروته عقله وحسبه خلقه وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعراب يسالون رسول الله
يقولون ما خير ما اعطي العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه ثلث من لم تكن فيه او واحدة منهن فلا تعتدوا بشي من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله او حلم يكف به السفيه او خلق
يعيش به في الناس وكان من دعائه صلى الله عليه في افتتاح الصلوة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها
فانه لا يصرف سيئها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه السلم
من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه اليمن حسن الخلق وقال عليه السلم لابي ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس رضي الله عنه قال قالت
ام حبيبة يا رسول الله ارايت المراة منا يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لايهما تكون قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا
يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي
رواية درجة الظمان في الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه فقال اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي جاثيا على
ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فادخله على الله وقال انس قال النبي عليه السلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف
المنازل وانه لضعيف العبادة وروي ان عمر رضي الله عنه استاذن على رسول الله وعنده نسا من نسا قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته

فلما استاذن



فلما استاذن عمر تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه يضحك فقال عمر بابي انت وامي يا رسول الله مم تضحك فقال صلى الله عليه عجبت
لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر انت كنت احق ان يهبن يا رسول الله ثم اقبل عليهن عمر فقال يا عدوات انفسهن
اتهبنني ولا تهبن رسول الله فقلن نعم انت افظ من رسول الله واغلظ فقال صلى الله عليه ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم وقال عليه السلم
سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح

**الاثار** قال ابن لقمن لابيه عليهما الرحمة يا ابت اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال
فاذا كانتا اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلثا قال الدين والمال والحيا قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق
قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق والسخا قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو تقي نقي
لله ولي ومن الشيطان بري وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ
بسوء خلقه اسفل درك في جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخار المكسور
لا يرقع ولا يعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان
يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعلى الدرجات
وان قل علمه وعمله الحلم والتواضع والسخا وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف
وقال عمر خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها
كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم قال ما بين الله في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل له فما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل
لكل بنيان اساس واساس الايمان حسن الخلق وقال ابن عطا ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى صلى الله عليه واقرب
الخلق الى الله تعالى السالكون اثاره بحسن الخلق

**بيان** حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق

اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن وانه
ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وكان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى
حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسين حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي
هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال شاه الكرماني هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو ان يكون من الناس قريبا وفيما
بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو ارضا الخلق في السرا والضرا وقال ابو عثمان هو الرضا عن الله عز وجل وسئل سهل عن الخلق فقال ادناه الاحتمال
وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة وقال مرة ان لا تتهم مولاك في الرزق وتثق به وتسكن الى الوفا بما ضمن وتطيع مولاك ولا
تعصيه في جميع الامور فيما بينك وبينه وبينك وبين الخلق وقال علي كرم الله وجهه حسن الخلق في ثلث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسيع على العيال
وقال الحسين بن منصور هو ان لا يوثر فيك جفا الخلق بعد ما طالعت الحق وقال الخراز هو ان لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وامثاله كثير وهو
تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات ايضا وكشف الغطا عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق
والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة
الباطنة وذلك ان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والنفس
المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره باضافته الى نفسه فقال تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي فنبه به على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله والمراد بالنفس والروح في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة
للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة وتيسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا
سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنه افعالا قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من
يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخا ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان تصدر منه الافعال بسهولة من
غير روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخا والحلم فههنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح

الثاني القدرة عليهما الثالث المعرفة بهما الرابع هيئة للنفس بها تميل الى احد الجانبين وتتيسر عليها احد الامرين اما الحسن واما القبيح
فليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لرياء وليس هو عبارة
عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحدة وكل انسان خلق بالفطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق
البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد
النفس لان يصدر منها الامساك والبذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن
العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق
فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلث
اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات
وبين الجميل والقبيح في الافعال واذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله تعالى فيها ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا اما قوة الغضب فحسنها في ان يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها
في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة العقل والدين واما قوة العدل فهو في ضبط قوة الغضب والشهوة والعلم تحت اشارة العقل والشرع فالعقل
منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب وهو الذي ينفذ فيه الاشارة ومثال
الغضب مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي
يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه
بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها
يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي ذلك تهورا وان
مالت الى الضعف والنقصان سمي ذلك جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي ذلك شرها وان مالت الى النقصان سمي
جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان
زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى
تفريطها بلها والوسط الذي يختص باسم الحكمة فاذا امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة
للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما
في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تادب قوة
الشهوة بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة
الذهن وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء
ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء
والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الموصل الى الغرض واما المجنون
فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل اختياره وايثاره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال
والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ و
الاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب
واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها
الى الافراط والتفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق

والحسد

والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربع وهي الحكمة والشجاعة
والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منها
فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا
يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه
قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فيستحق ان يبعد كما ان الاول قريب من الملك المقرب فيستحق ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
ليتمم مكارم الاخلاق كما قال عليه السلام وقد اشار القران الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم
يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو
السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف
الله تعالى الصحابة فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال
فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه بيان قبول الاخلاق للتغير بطريق الرياضة اعلم ان بعض من غلبت البطالة
عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق فلم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق
لا يتصور تغييرها وان الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر والخلقة الظاهرة
لا يقدر على تغييرها فالقصير لا يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا الطويل يقدر على ان يجعل نفسه قصيرا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك
القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الشهوة والغضب وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى
المزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة و
ذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال عليه السلام حسنوا اخلاقكم وكيف
ينكر هذا في حق الادمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل البازي من الاستيحاش الى الانس والكلب من شره الاكل الى التادب والامساك والفرس
من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل
للادمي واختياره في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل
وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد
فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلا ان انضاف اليها التربية ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الشهوة والغضب لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى
لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى
نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة
الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا
اذ الصبي في مبدا الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد يتاكد
بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا مرضيا والناس فيه على اربع مراتب الاولى هو الانسان الغفل الذي لا يميز بين
الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تتم ايضا شهوته باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج
جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان الثانية ان يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم
يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره
اصعب من الاول اذ قد تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه من كثرة التعود للفساد والاخر ان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه

بالجملة غير قابل للرياضة ان استعمل لها جد وتشمير وحزم الثالثة ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل
وتربى عليها فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال الرابعة ان يكون مع نشوه على الراي
الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع قدره وهذا هو اصعب المراتب وفي مثله قيل
ومن التعذيب تهذيب الذيب والاول من هولاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق
شرير واما الخيال الاخر وهو ان الادمي ما دام حيا فلا تنقطع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطايفة
ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفايدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطعت شهوة
الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي اصل
الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال
الذي هو وسط بين الافراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور والجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا
ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف
يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء لم ينفكوا عن ذلك اذ قال رسول الله صلى الله عليه انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكره
فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا وكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الشهوة والغضب
الى الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولي الشهوة على
الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل عليه دلالة
لا شك فيها والذي يدل على ان المطلوب هو الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد
اثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال في الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال
صلى الله عليه خير الامور اوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم
والبخل من عوارض الدنيا والتبذير ايضا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما منهما اي لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على امساكه ولا يكون
حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب اليه وكان كمال القلب ان يخلو عن
الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه لعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط
بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين التهور والجبن والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا
طرفي قصد الامور ذميم وهذا هو المطلوب وهو ممكن نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب راسا ويذم امساك المال راسا ولا يرخص
في شي من ذلك لانه لو رخص في اقل شي منه اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه واذا قصد قلع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له
الا الكسر بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يطلب قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود ولا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن
بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال
الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وكمال فطري
بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الغضب والشهوة بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير بغير معلم عالما
وبغير مؤدب ادبيا كعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق
صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه
الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني بها حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف

تعاطي

تعاطي فعل الجود وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من اراد ان يحصل
لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك له خلقا
وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي
يبذله عن كراهية والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع العادات السيئة
وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة ومهما كانت
العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة
الى فعلها عن طوع ولذلك قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال عليه السلام اعبد الله في الرضى فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة
الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة وكراهية المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول
كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه عن السعادة قال طول العمر في طاعة الله تعالى ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا
مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب
وانما يتاكد تاثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقطع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله فلا يكون شي احب اليه من لقاء الله تعالى فلا
يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه الذي يوصله الى الله تعالى وذلك بان يكون
موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحا به ومستلذا له ولا ينبغي ان يستبعد مصير الصلاة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان للعادة في
النفس عجائب اعجب من ذلك فانا نرى الملوك المتنعمين في احزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح
الناس بغير قمار مع ان القمار ربما سلبه ماله وخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب
بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء بل ترى الفاجر العيار
يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى تقديمه الى الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه حتى
يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد
صارت احواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة
النساء فترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك
والعلماء وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة
تستلذ الباطل وتميل الى القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع
يضاهي الميل الى اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميلها الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام
والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني وميله الى مقتضيات الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى
ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سبب حياتها فكل قلب مال الى حب شي سوى الله تعالى
فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشي لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فقد عرفت بهذا قطعا ان
هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح
اعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه اثر
الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى
بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة ويحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب
تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة في نفسه فيصدر منه بالاخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان

الحسن الخط هو الذي جعله حسناً ولكن الأول متكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى النفس ثم انحط من النفس أثره إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن
طبعاً وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى ينعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه
النفس وكذلك من أراد أن يصير سخياً عفيفاً حليماً متواضعاً فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك له عادة طبعاً فلا علاج له إلا ذلك وكما
أن طالب فقه النفس لا ييأس من هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالأخلاق الحسنة
لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد ولكن العطلة يوم واحد تدعو إلى مثله
ثم تتداعى النفس للكسل وتهجر التحصيل رأساً فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان
عند الخاتمة وكما أن تكرار ليلة لا يحس تأثيره في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيئاً فشيئاً على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة
الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعات فإن الجملة الكثيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة
من الآحاد فلكل واحد منها تأثير من طاعة الأولى أثر وإن خفي فلها لا محالة ثواب لأن الثواب بإزاء الأثر وكذا المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل
يوم وليلة هكذا على التوالي فيسوف نفسه يوماً يوماً إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فهكذا من يستهين صغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي
إلى أن يختطفه الموت بغتة أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه ويتعذر عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن
تخليصه من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سداً الآية ولذلك قال علي إن الإيمان ليبدو في القلب لمعة بيضاء
فكلما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض فإذا استكمل العبد الإيمان ابيض القلب كله وإن النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء فكلما ازداد النفاق
ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله فإذا قد عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة باعتياد الأفعال
الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسترق من الطبع الشر والخير جميعاً فمن تظاهرت
في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتياداً وتعلماً فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلاً بالطبع واتفق له الأقران السوء فتعلم منهم و
تيسرت له أسباب الشر حتى تعوده فهو في غاية البعد من الله ومن تفاوتت به هذه الجهات فله درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه
صفته وحالته ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

**بيان** تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له و
الميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالاً فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وكسب الفضائل والأخلاق الجميلة
لها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه فكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وإنما تعتري المعدة المضرة بعوارض الأغذية و
الأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلاً صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي بالتعود والتعليم تكتسب الرذائل وكما
أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية والغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتزكية وتهذيب الأخلاق
والتغذية بالعلم وكما أن البدن إن كان صحيحاً فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وإن كان مريضاً فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك النفس
منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة الأخلاق فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفائها وإن كانت عديمة
الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج إلا بضدها إن كانت من حرارة فبالبرودة وإن
كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره
بالكف عن المشتهى تكلفاً وكما أنه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة
والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله عذاب يدوم بعد الموت أبد الآباد وكما أن كل مبرد
لا ينفع لعلة سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع
منه فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائص التي تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى إن الطبيب

لا يعالج



لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة وإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن
وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي
أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد
قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه
وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته فإن كان المريد مبتدئاً جاهلاً بحدود الشرع فيعلمه أولاً الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وإن
كان مشغولاً بمال حرام أو مقارفاً لمعصية فيأمره أولاً بترك ذلك فإذا تزين بالعبادات ظاهره وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن
الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه فإن رأى معه مالاً فاضلاً عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت
إليه وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره بأن يخرج إلى السوق للكدية والسؤال فإن عزة الرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولا ذل أعظم
من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فإن الكبر من الأمراض المهلكة وكذا الرعونة فإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن
ورأى قلبه مائلاً إلى ذلك فرحاً به ملتفتاً إليه فيستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش
عليه في النظافة فإن الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها
طول النهار فلا فرق بين أن يعبد الإنسان نفسه ويعبد صنماً فمهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله تعالى ومن راعى في ثوبه شيئاً غير كونه حلالاً وطاهراً
مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأساً أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي
أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزيل الدم وكما يرغب الصبي في المكتب باللعب
بالكرة والصولجان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك إلى الترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل عن ذلك بالترغيب في الآخرة و
كذلك من لم يسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل إلى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك إذا رأى
شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم لا يكلفه أن يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره ولا يأكل هو منها حتى يقوي بذلك نفسه فيتعود
الصبر وينكسر شرهه وكذلك إذا رآه شاباً متشوقاً إلى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على
الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والأدم رأساً حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبدأ الإرادة أنفع من الجوع وإن
رأى الغضب غالباً عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال
معه فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب وكان يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم
عادة له بحيث كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء
عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على قصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل
نفسه عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه في البحر إذ
خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية
الكتب وإنما الآن الغرض التنبيه على أن الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل إليه وقد جمع الله تعالى جميع ذلك في كلمة واحدة فقال
ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى والأصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فإذا عزم على ترك شهوة فقد تيسر السلو عن تلك الشهوة ويكون ذلك
من الله تعالى ابتلاء واختباراً فينبغي أن يصبر ويستمر فإنه إن عود نفسه نقض العزم ألفت ذلك وفسدت وإذا اتفق منه نقض عزم فينبغي أن يلزم نفسه
عقوبة عليه كما ذكرناه في معاتبة النفس من كتاب المحاسبة والمراقبة وإذا لم يخوف نفسه بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد الرياضة بالكلية

**بيان** علامات مرض القلب وعلامات عوده إلى الصحة

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به وإنما مرضه أن يتعذر عليه فعله
الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر مع نوع من الاضطراب فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش ومرض العين أن يتعذر منه الإبصار وكذلك مرض القلب

وهو أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ به وإيثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب العلم والحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للآدمي ما يتميز به عن البهائم ولم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقاع والإبصار وغيره بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها أشياء هو الله تعالى فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله تعالى فكأنه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم إلى قوله أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامة المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله إلا أن من الأمراض ما لا يعرفه صاحبه ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح وإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه لأن الأطباء هم العلماء وقد استولى المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءاة فهذه علامات أصل المرض فأما علامة عوده إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر إلى العلة التي يعالجها فإن كان يعالج داء البخل وهو المهلك المبعد عن الله تعالى فإنما علاجه ببذل المال وإنفاقه ولكنه قد يبذل المال إلى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير أيضا داء فيكون كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فإن أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فإن كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون إمساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فإن صار البذل لغير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الإمساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع إلى المواظبة على الإمساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الأفعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الإمساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سليما عن هذا المقام خاصة ويجب أن يكون سليما عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة إليها ولا متشوقة إلى أسبابها فعند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله تعالى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم أعني الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال إليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا أي الذين كان قربهم إلى الصراط أكثر من بعدهم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم إذ وجبت الفاتحة في كل ركعة ورأى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك فقال لقوله تعالى فاستقم كما أمرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي أن يجتهد الإنسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب

## بيان الطريق الذي يعرف به الإنسان عيوب نفسه

اعلم أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه وإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الناس جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يقف على عيب نفسه فله أربع طرق الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه شيخه وأستاذه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده الثاني أن يطلب صديقا صدوقا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما يكرهه من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه

فهكذا كان

فهكذا كان يفعل الأكابر من أئمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال سمعت أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال وهل بلغك غير هذا قال لا قال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول أنت صاحب سر رسول الله في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه وكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا وأعظم اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز فقل في الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفي عنك عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال ماذا أفعل بأقوام يخفون عني عيوبي فقد كان شهوة ذوي الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الأمر إلى أمثالنا وأبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على أن تحت ثوب أحدنا عقربا لتقلد منه منة وفرح بذلك واشتغل بإبعاد العقرب وقتلها وإنما نكايتها على البدن ولا يدوم ألمها إلا يوما فما دونه ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب ويخشى أن تدوم بعد الموت أبد الآباد والآلاف من السنين ثم إنا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بإزالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله ونقول وأنت أيضا تصنع كيت وكيت ويشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون هذا من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنسأل الله تعالى أن يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله الطريق الثالث أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فإن عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكر عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم الطريق الرابع أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فيطالب به نفسه وينسب نفسه إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك الأقران عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا زكيا بصيرا بالعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله تعالى نصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده

## بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين وإن عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فإن للإيمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله تعالى ولم يطلع على سببه وسره فهو من أهل الإيمان ومن صدق بذلك واطلع على سببه وسره فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى وقال تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال عليه السلام المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين أن النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويروى أن الله عز وجل أوحى إلى داود يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال عليه السلام لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس وقال عليه السلام المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل وقال كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواك في معصية الله تعالى إذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا إلا أن يغفر الله تعالى ويستر وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا أشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وقال يحيى بن معاذ كان أبو العباس يقول يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأني بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس ألا تستحين وقال الحسن ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي

جاهد النفس بأسياف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام وقلة الكلام واحتمال الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام
موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الإرادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شيء أشد من
الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى فإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام في غمد
التهجد وقلة المنام وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من سائر الأنام وتصفيها من ظلمة شهواتها
فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان
وكالملك المتنزه في البستان وقال أيضا أعداء الإنسان ثلاثة سلطانه ودنياه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس
بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها ومنعت قلبه الفوائد وقال جعفر بن حميد
أجمعت العلماء والحكماء أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم وقال أبو يحيى الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب
ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال وهيب بن الورد من أراد شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف بعدما ملك خزائن الأرض يا يوسف
إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وإن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف قال الله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وقال الجنيد
أرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد الحلاوة التي كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فقعدت فلم أطق القعود فخرجت فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح
على الطريق فلما أحس بي قال يا أبا القاسم إلى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال سألت محرك القلوب أن يحرك إلي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال
متى يصير داء النفس دواءها فقلت إذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه فقال اسمعي قد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت إلا أن تسمعيه من الجنيد قال فانصرف
فما عرفته وقال يزيد الرقاشي إليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي لا أحرمه في الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى أتكلم قال إذا اشتهيت الصمت قال متى أصمت
قال إذا اشتهيت الكلام وقال علي كرم الله وجهه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى ما يشتهيه قال
لنفسه اصبري فوالله ما أمنعك إلا من كرامتك علي فإذا اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالإيمان
بهذا واجب وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فيكشف بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها أن لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر
الضرورة فيكون مقتصرا من الأكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فإنه لو تمتع بشيء منه أنس به وألفه وإذا مات تمنى الرجوع
إلى الدنيا ولا يتمنى الرجوع إلى الدنيا إلا من لا حظ له في الآخرة بحال والخلاص عن ذلك لا يكون إلا بأن يكون القلب مشغولا بمعرفة الله تعالى وحبه والتفكر فيه وينقطع عن
الدنيا على ما يقطع عوائق الفكر والذكر فقط ومن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة رجل استغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات
المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثاني من استغرقت الدنيا قلبه فلم يبق لله تعالى ذكر في قلبه
إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا
أنه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار ولكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى
في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه وربما يقول القائل إن التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله تعالى فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا
رأس كل خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا أيضا وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا وقد قال إبراهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته
فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام
يا إبراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك من لدغ الزنابير فقال أفلا سألت أن يحميك من شهوة الرمان فإن
لدغ الرمان يجد ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها فإذا لا
يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الله تعالى ما لم يمنع النفس عن التنعم بالمباح فإن النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة
والفضول فحقه أن يلزمه السكوت إلا عن المهمات حتى يموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء
جميل لم يتحفظ عن النظر إلى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهى به الحلال هو بعينه الذي يشتهى به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فإن



لم تعود الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة فهذه إحدى آفات المباحات ووراءها آفة أعظم من هذه وهي أن النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن
إليها وتطمئن بها أشرا وبطرا حتى تصير ثملة كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر
الموت وأهوال القيامة وهذا هو موت القلب قال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور وقال تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو الآية
فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة عن التأثر بذكر الله تعالى واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها
لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الذكر فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد عن أسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها
وعلموا أن حلالها حساب وحرامها عذاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك في الدنيا والآخرة بالخلاص
عن أسر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي إذا قصد تأديبه ونقله عن توثبه وتوحشه إلى الاستئناس والتأديب فإنه
يحبس أولا في بيت ويخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما كان قد ألفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه
إلفا إذا دعاه أجاب ومهما سمع صوته رجع إليه وكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر
عن المألوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الأنس بذكر الله عوضا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل على المريد في
البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو يشق عليه إذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام
الذي يقدم إليه بدلا عن اللبن ولكنه إذا منع اللبن رأسا يوما بعد يوم وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد إلى الثدي
لم يرجع إليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويكرهه ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن الانسراح الذي
ألفته بالسلاسل والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور والدواب وتأديبها بأن
تمنع عن النظر والأنس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايله بالموت فيقال له أحبب ما أحببت فإنك مفارقه وإذا علم أنه من أحب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة
لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فإن ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أياما قلائل فإن العمر قليل بالإضافة إلى مدة حياة الآخرة
وما من عاقل إلا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغير ذلك شهرا ليتنعم به سنة وطول العمر بالإضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالإضافة إلى عمر
الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان يختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك
كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعظ أو بالعز في القضاء والولاية أو بكثرة الأتباع في التدريس والإفادة فينبغي أن
يترك أولا ما به فرحه فإنه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن إليها وذلك مهلك في
حقه ثم إذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس
حتى يقمع مادته مهما ظهر فإن لكل وسوسة سببا ولا تزول إلا بقطع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر إلا الموت والسلم بيان علامات
حسن الخلق اعلم أن كل إنسان جاهل بعيوب نفسه فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه و
حسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من إيضاح علامة حسن الخلق فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين
والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك ليعلم به حسن الخلق قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
إلى قوله أولئك هم الوارثون وقوله تعالى التائبون العابدون إلى قوله وبشر المؤمنين وقال تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم إلى قوله أولئك هم
المؤمنون حقا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما إلى آخر السورة فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه
على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض فليشتغل بتحصيل
ما فقده وحفظ ما وجده ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقال عليه السلام
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت
وذكر أن صفات الإيمان هي حسن الخلق فقال أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا وقال عليه السلام إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة وقال عليه السلام

من سرته حسنته او ساءته سيئته فهو مؤمن وقال عليه السلم لا يحل للمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال عليه السلام لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال
عليه السلم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكره وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال هو ان يكون كثير الحيا قليل
الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا
لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله و
يغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلوة والصيام والعبادة والمنافق
همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل احد الا من الله
والمنافق راج كل احد الا الله والمؤمن آمن من كل احد الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه
دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق
يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفا و
من اشتكى من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روي ان رسول الله كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه جذبا
شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق رسول الله قد اثرت فيها حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من
مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله فضحك ثم امر باعطائه ولما اكثرت قريش ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى
وانك لعلى خلق عظيم وحكي عن ابراهيم بن ادهم انه خرج الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال له انت عبد فقال نعم فقال اين العمران فاشار الى المقابر فقال
انما اردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب راسه بالسوط فشجه وصحه ورده الى البلد فاستقبله اصحابه فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي فقالوا
هذا ابراهيم بن ادهم فنزل الجندي عن دابته وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل له لم قلت انا عبد فقال انه لم يسالني انت عبد من قال لي انت عبد فقلت نعم
لاني عبد الله فلما ضرب راسي سالت الله تعالى له الجنة فقيل له كيف سالت الله تعالى له الجنة فقال علمت اني اوجر على هذا فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير
ونصيبه منى الشر ودعي ابو عثمان الحيري الى دعوة وكان الداعي يريد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع ابو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه
ثانيا فقال ترجع فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمان ثم جاء الثالثة حتى عامله بذلك مرات وابو عثمان لم يتغير فقال انما
اردت اختبارك فما احسن خلقك فقال ابو عثمان للذي رايت مني خلق الكلب لان الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر وروي ان ابا عثمان اجتاز بسكة
فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل الا زبرتهم فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم
يجز له ان يغضب وروي ان علي بن موسى الرضي كان يميل لونه الى السواد اذ كانت امه سوداء وكان له ببساتين على باب داره حمام وكان اذا دخل الحمام
فرغ له الحمام فدخل ذات يوم فاطبق باب الحمام ومر الحمامي الى بعض حوائجه فدخل رجل سوادي الحمام فراى علي بن موسى فظن انه بعض خدام الحمام فقال له قم
فاحمل الي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يامر فرجع الحمامي فراى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى ففزع وهرب وخلاهما فلما خرج
علي بن موسى وسال عن الحمامي فقال انه خاف مما جرى فهرب فقال لا ينبغي ان يهرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند امة سوداء وروي ان عبد الله الخياط كان
يقعد على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة وكان اذا خاط له يحمل المجوسي اليه دراهم زيوفا وكان عبد الله ياخذها منه ولا يخبره بذلك
ولا يردها عليه فمضى من الاتفاق ان عبد الله قام يوما من الحانوت لبعض حاجته فاتى المجوسي الى تلميذه واسترجع ما خاطه ودفع اليه دراهم زيفا فلما نظر
اليه التلميذ رده عليه فلما عاد عبد الله اخبره بذلك فقال بئسما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة مدة وانا اصبر عليه وآخذ الدراهم و
القيه في البئر لئلا يغر به مسلما وقال يوسف بن اسباط علامة حسن الخلق عشرة اشيا قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين
ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير
والكبير ولطف الكلام لمن دونه وفوقه وسئل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة
عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من خلقه قال بينما هو جالس في داره اذ جاءت جارية له بسفود

عليه

عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روع عليك انت حرة لوجه الله وقيل كان اويس القرني اذا راه الصبيان
يرمونه بالحجارة فقال يا اخوتاه ان كان ولا بد فارموني بالصغار كيلا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلوة وشتم رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه
فلما قرب من الحي وقف وقال ان بقي في نفسك شي فقله كيلا يسمعك بعض سفهاء الحي فيجيبوك وروي ان عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه
ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام فراه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام فقال بلى قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر
لوجه الله تعالى وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام
سوء لم تمسك هذا الغلام قال لاتعلم عليه الحلم فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقيت من الغل والغش بواطنها فاثمرت
الرضى بكل ما قدره الله وهذا منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن به حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن
الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون **بيان الطريق في رياضة الصبيان** في اول النشو ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم
اعلم ان الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه
فان عود الخير وعلمه نشا عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم ومؤدب له وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي
وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه وقد قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فان يصونه عن
نار الاخرة اولى وصيانته بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية
فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ويهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امراة صالحة متدينة تاكل الحلال
فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما راى فيه مخايل التمييز
فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحيا فانه اذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض
الاشيا قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحيي من شي دون شي وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو
مبشر بكمال العقل عند البلوغ والصبي المستحيي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تاديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام
فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه وان يقول بسم الله عند اخذه وان ياكل مما يليه وان لا يبادر الى الطعام قبل غيره ولا يحدق الى الطعام و
لا الى من ياكل ولا يسرع في الاكل وان يمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ ثوبه ولا يده ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير
بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من يكثر الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي المتادب
القليل الاكل ويحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان ويحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم
ويقرر عنده ان ذلك شان النسا والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر عليه ذلك ومهما راى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره
ويذم ذلك ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي اذا اهمل في
ابتدا نشوه خرج في الاكثر ردي الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لجوجا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التاديب
ثم يشتغل في المكتب فيتعلم القران واحاديث الاخبار وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الاشعار التي فيها
ذكر العشق واهله ويحفظ من مخالطة الادبا الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر
من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي
ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله ولا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك
ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك ان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا فتفتضح
بين الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة

الكلام معه إلا أحيانا وينبغي للأم أن تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح وينبغي أن يمنع من النوم نهارا فإنه يورث الكسل ولا يمنع من النوم ليلا
ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي أن يمنع من كل
ما يفعله خفية فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح فإذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه
الكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه أو بشيء من مطاعمه
وملابسه أو لوحه ودواته بل يعود التواضع والإكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة
إن كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفعة في العطاء لا في الأخذ وأن الأخذ لؤم وخسة وإن كان من أولاد الفقراء فيعلم أن الأخذ والطمع مهانة
ومذلة وأن ذلك من دأب الكلب فإنه يتبصبص في انتظار لقمة وبالجملة يقبح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر مما يحذر من
العقارب والحيات فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر من الحيات أكثر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكابر أيضا وينبغي
أن يعود أن لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فإن ذلك
دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي أن يمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه عادة أبناء اللئام ويمنع اليمين رأسا صادقا وكاذبا حتى
لا يتعوده في الصغر ويمنع من أن يبتدئ الكلام ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر سنا منه وأن
يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فإن ذلك
يسري لا محالة من القرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغي إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر
ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغي أن يؤذن له بعد الفراغ من المكتب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه
من تعب الأدب بحيث لا يتعب في اللعب فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في
الخلاص منه رأسا وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر سنا منه من قريب وأجنبي وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يترك
اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض الأيام من شهر رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب
ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فإذا وقع نشوؤه
كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور فيذكر له أن الأطعمة أدوية وإنما المقصود أن يقوى الإنسان بها على عبادة
الله تعالى وأن الدنيا كلها لا أصل لها إذ لا بقاء لها وأن الموت يقطع نعيمها وأنها دار ممر لا دار مقر وأن الموت منتظر في كل ساعة وأن الكيس
العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم عند الله تعالى درجته ويتسع في الجنان نعيمه فإذا كان النشوء صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا
مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وإن وقع النشوء بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس
والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبو الحائط عن التراب اليابس فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فإن الصبي خلق جوهره قابلا للخير والشر
وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال سهل بن عبد الله التستري
كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي خالي يوما ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند تقلبك
في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك
ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة إحدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر
فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده أيعصيه
إياك والمعصية فكنت أخلو فبعثوا بي إلى المكتب فقلت إني لأخشى أن يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع
فمضيت إلى الكتاب وحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت في مسألة وأنا
ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يبعثوا بي إلى البصرة أسأل عنها فجئت البصرة وسألت علماءها عنها

فلم يشف

فلم يشف أحد عني شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسألته عنها فأجابني فأقمت عنده مدة
أنتفع بكلامه وأتأدب بأدبه ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتي اقتصادا على أن يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فأفطر عند السحر
كل ليلة على أوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا إدام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين
ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله

## بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة

وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة اعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا إليها سالكا سبيلها مستهينا
بنعيم الدنيا ولذاتها فإن من كانت معه خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت إرادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا
للقاء الله فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر ولست أعني بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وإخلاص فإن ذلك يضاهي قول
من صدق بأن الجوهرة خير من الخرزة إلا أنه لا يدري من الجوهر إلا لفظه فأما حقيقته فلا ومثل هذا المصدق إذا ألف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه
إلى الجوهرة فإذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الإرادة والمانع من الإرادة عدم الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداة
والمذكرين والعلماء بالله الهادين إلى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم و
غاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فإن تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله وإن طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين إلى الهوى
عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الإرادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل
مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فإن تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبعثت له إرادة في حرث
الآخرة وتجارتها فينبغي أن يعلم أن له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الإرادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من
الأعداء القطاع لطريقه وله وظائف لا بد له من ملازمتها في وقت سلوك الطريق وأما الشروط التي لا بد من تقديمها في الإرادة فهي رفع السد والحجاب
الذي بينه وبين الحق فإن حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم
فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الحق أربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وإنما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى
له إلا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإيثار الخمول و
الهرب من أسباب الذكر وتعاطي أعمال تنفر قلوب الخلق وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله
تصديق إيمان ويحرص في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في اعتقاده الذي تلقفه
تقليدا فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فإن غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في قلبه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا إذ ليس من شرط
المريد الانتماء إلى مذهب معين أصلا وأما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى
ورد المظالم وإرضاء الخصوم فإن من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار
القرآن وتفسيره وهو لم يتعلم بعد لغة العرب فإن ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها أولا ثم الترقي منها إلى أسرار معانيه وكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة
أولا وآخرا ثم الترقي إلى أسرارها وأغوارها فإذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار
صالحا للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان
كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه
كالشجرة التي تنبت بنفسها فإنها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى
على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورد ولا صدر ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من
نفعه في صواب نفسه لو أصاب فإذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهي أربعة أمور الخلوة و
الصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فإن مقصود المريد إصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه أما الجوع فإنه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه

نوره ويذوب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته وفي رقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه
العروق الممتلية بالشهوات قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل لن يصير الابدال ابدالا الا باربع خصال
اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب امر ظاهر يشهد له التجربة وسياتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين
واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره فيضاف ذلك الى الصفا الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدري والمراة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق
ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الاخرة وحقارة الدنيا وافاتها فيتم بذلك رغبته عن الدنيا واقباله على الاخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع
غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم
ضرورة وقال ابراهيم الخواص اجمع رأي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة
من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير امره فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل
التجرد للذكر والفكر فيستريح اليه والصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما
دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كريهة كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها
ليتفجر اصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حالة اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا
عن قدر الضرورة وليس ذلك الا بالخلوة في بيت مظلم وان لم يكن له مكان مظلم فليلف راسه في جيبه او يتدثر بكساء او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق
ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن بها تدفع
عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله الا صفات القلب
التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي اعني تلك الصفات اسرار العلائق التي قطعها
في اول الارادة واثارها اعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلا بد وان يخلي الباطن عن اثارها كما اخلى الظاهر عن
اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص قد كفي اكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة
الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام و
يمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو
عن ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا الى علائقه قال الشبلي للحصري ان كان يخطر ببالك من الجمعة الى الجمعة التي تاتيني شيء غير الله فحرام عليك ان تاتيني وهذا
التجرد لا يكون الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا كان كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد
بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا
الله الله الله او سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة لسانه وتكون الكلمة كانها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه
حتى يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرا معه غالبا عليه
قد فرغ القلب عن كل ما سواه لان القلب اذا اشتغل بشيء خلا عن غيره اي شيء كان فاذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس
القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيء منه قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ذلك نقصانا فليجتهد في دفع ذلك
ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك
خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر او بدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك والخواطر منقسمة الى ما يعلم
قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله تعالى ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال
من فترة او نشاط او التفات الى علقة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه وان يستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر في حاله ويتامل في ذكائه وكياسته

فان علم

فان علم انه لو تركه واعرض عن الفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي ان يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وان علم ان ذلك
مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد القاطع الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي ان يتأنق الشيخ ويتلطف فان هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها
وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع
العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطأ كان من الهالكين ولذلك قال عليه السلام عليكم بدين العجائز وهو
تلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولذلك يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا
متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر ليشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد
في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد تقطعه قواطع كثيرة
من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الاحوال وما يبدو من اوائل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي ان يلازم حالته
جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم على ذلك وراس ماله الانقطاع عن الخلق الى الحق والخلوة قال بعض السياحين قلت لبعض الابدال المنقطعين
عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق قال ... وقال مرة دلني على عمل اجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام قال لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت
لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون
اليهم هلكة قلت هذه لعله قال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام هذا ما لا يكون ابدا فاذا منتهى الرياضة
ان يجد قلبه مع الله ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف
رحمة الله تعالى ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا واذا انكشف للمريد شيء من ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتجد النفس
فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القران
والاخبار وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات تحسين صورة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع والشيطان يخيل اليه ان هذا احياء منك لقلوب
الموتى الغافلين عن الله تعالى وانما انت واسطة بين الله وبين الخلق تدعو عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون
احسن كلاما واجزل لفظا واقدر على استجلاب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة
عباد الله تعالى الى الصراط المستقيم فيعظم فرحه بذلك ويقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن وازرني على اصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلا ان يحمل ميتا ليدفنه
اذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاءه من يعينه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من يعينه والغافلون قلوبهم موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففي كثرتهم استرواح
وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح بذلك وهذا عزيز الوجود فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح له اوائل الطريق فان
ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين ان الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال ان
هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته في التدريج الى لقاء الله تعالى فاما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي بيانه فان اغلب الصفات
على الانسان بطنه وفرجه ولسانه اعني به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج وانس
بها احب الدنيا ولا يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك لم تسمح النفس بترك الدنيا راسا وتمسك من
الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب
في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في كسر شهوة الكلام وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه
وكتاب في ذم الكبر والعجب وكتاب في بيان مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من هذا الربع ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه
في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض
القلوب اما تفصيلها فياتي في هذه الكتب ان شاء الله تعالى تم كتاب رياضة النفس بحمد الله وحسن توفيقه اللهم لك الحمد ولك الشكر ... في هذا الكتاب وجميع المؤمنين
والمؤمنات والمسلمين والمسلمات برحمتك يا ارحم الراحمين

كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين. الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويحرك دواعيه كل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ أوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع محله ومنزلته وتعليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه أما بعد فإن أعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم وحواء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ويتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة إلى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لأذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فإنها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وإنه ليس من عمل أحب إلى الله تعالى من جوع وعطش وقال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم البسوا واشربوا وكلوا في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلكم منزلة عند الله تعالى أطولكم جوعا وتفكرا وأبغضكم إلى الله تعالى كل نؤوم أكول شروب وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز أي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل مطعمه في الدنيا يقول انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما لأجلي اشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة يدعها إلا أبدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضل الجوع إذ قال فيه إن أقرب الناس من الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأحفياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الأرض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله تعالى افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها هم تبكي الأرض إذا فقدتهم ويسخط الله على كل بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الخرق تراهم شعثا غبرا يظن الناس أن بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة إذا رأيتهم في بلد فاعلم أنهم أمان لتلك البلد لا يعذب الله قوما هم فيهم الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك إخوانا عسى أن تنجو بهم وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فإنك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار وروى الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء وقال عيسى عليه السلام أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروي ذلك أيضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس وقيل مكتوب في التوراة إن الله ليبغض الحبر السمين لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولأجل ذلك قال ابن مسعود إن الله تعالى يبغض القارئ السمين وفي خبر مرسل إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر إن الأكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في معى واحد والمنافق يأكل في سبعة أمعاء أي يأكل سبعة أضعاف ما يأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضعاف شهوته ويكون المعى كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذه المعى وليس المعنى زيادة عدد معى المنافق على معى المؤمن وروى الحسن عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم فقلت وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظمأ وروي أن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عائشة رضي الله عنها تقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من اللحوق بأصحابي وإخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى وعن أنس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام وقال أبو هريرة ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وإن أبغض الناس إلى الله تعالى المتخمون الملأى وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة ونتن في الممات وقال شقيق البلخي العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال الفضيل بن عياض لنفسه أي شيء تخافين أتخافين أن تجوعي لا تخافي ذلك أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكان كهمس يقول إلهي أجعتني وأعريتني وفي ظلم الليالي أجلستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي إذا اشتد مرضه وجوعه يقول إلهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعا وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول إلهي أجعتني وأجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وإنما تفعل ذلك بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق الله وإذا شبعت فاذكر الجياع وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشائي أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح وقال أيضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه إلا من أحبه وكان سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا يأكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير الأكياس شيئا أنفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا أعلم شيئا أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضع العلم والحكمة في الجوع ووضع الجهل والمعصية في الشبع وقال ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقد جاء في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فإنما يأكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فإذا كان كذلك وجد الزيادة وقال الأبدال إنما صاروا أبدالا بإخماص البطون والسهر والصمت والخلوة وقال رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال إقبال الله تعالى على العبد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله تعالى وقال اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال ما مر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روي فسلم من المعصية ولو شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم بأي قيد أقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذللها بإخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى أن الله عز وجل ما صافى أحدا إلا بالجوع ولا مشوا على الماء

الا بالجوع والطويت لهم الارض الا بالجوع ولا والا الاسم الله تعالى الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار
انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلى فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال ابو بكر بن عبد الله المزني ثلثة يحبهم الله تعالى
رجل قليل الاكل وقليل النوم وقليل الراحة وروي عن عيسى انه مكث يناجي ربه ستين صباحا لم ياكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع
فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ قد اظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله تعالى فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان
كان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي وروي ان موسى عليه السلام لما قربه الله تعالى نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما ـــــن فوايد الجوع واي
السبع لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة للاذى فان كان كذلك ينبغي ان يعظم الفضل في كل ما
يتاذى به الانسان من ضربه نفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشيا الكريهة وما يجري مجراه فاعلم ان هذا نظير من قال ان شرب دوا فانتفع به وظن ان
منفعته لمرارة الدوا او لكراهته فاخذ يشرب كل ما هو مكروه في المذاق وذلك غلط بل نفعه في خاصية الدوا وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية
الاطبا فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلما ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من
شرب الدوا انتفع وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوايد الفايدة الاولى صفا القلب واتقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي
القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر
الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطي الفهم والادراك وقال ابو سليمان عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي وقال عليه السلام
احيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق وقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال عليه السلام من اجاع بطنه عظمت
فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبي عليه السلام من شبع ونام قسا قلبه ثم قال ان لكل شي زكوة وزكوة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله تعالى يوما
الا رايت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقايق الحق والشبع يمنع منه
والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحري ان تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست
الحكمة وقعدت الاعضا عن العبادة وقال ابو يزيد الجوع سحاب فاذا جاع العبد مطر القلب الحكمة وقال النبي عليه السلام نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع
والقربة الى الله تعالى حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فتطفى نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح الفايدة الثانية
رقة القلب وصفاوه الذي به يتهيا لادراك لذة المناجاة والتاثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتاثر
حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمان احلى
ما يكون العبادة الي اذا التصق بطني بظهري وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمان القلب اذا
جاع وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وبان فاذا تاثر القلب بلذة المناجاة امر ورا تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهي فايدة ثانية الفايدة الثالثة
الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدا الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل بشي كما تذل بالجوع فعنده تسكن
لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تاخرت عنها وما لم يشاهد الانسان
ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه وقهره وانما سعادته في ان يكون دايما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دايما جايعا
مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرض على رسول الله صلى الله عليه الدنيا وخزاينها قال لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت
وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن
اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الاخر الفايدة الرابعة ان
لا ينسى بلا الله تعالى وعذابه ولا ينسى اهل البلا فان الشبعان ينسى الجايع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلا الا ويتذكر به بلا الاخرة فيذكر من عطشه عطش
الخلق في عرصات القيمة ومن جوعه جوع اهل النار حتى انهم ليجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغسلين والمهل فلا ينبغي ان يغيب عن العبد



عذاب الاخرة والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلا نسي عذاب الاخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه
فينبغي ان يكون العبد في بلا او مشاهدة بلا واولى ما يقاسيه من البلا بلا الجوع فان فيه فوايد جمة سوى تذكر عذاب الاخرة وهذا احد الاسباب الذي اقتضى
اختصاص البلا بالانبيا والاوليا والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزاين الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجايع فذكر الجايع
والمحتاج احد فوايد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله تعالى والشبعان في غفلة عن الم الجايع الفايدة الخامسة و
هي من اكبر الفوايد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلا على النفس الامارة بالسو فان منشا المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة الشهوات
القوى لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح
الا بضعف الجوع واذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش
الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني ولان احمله على الشدايد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت او هممت بمعصية
وقالت عايشة اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فايدة واحدة بل
هي خزاين الفوايد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزاين الله تعالى واقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام
فيتخلص به من افات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فتفكه لا محالة باعراض الناس
ولا يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم واما شهوة الفرج فلا تخفى غايلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى
فلا يملك عينه فالعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الرديه وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش
به مناجاته وربما عرض في اثنا الصلوة وانما ذكرنا افة الفرج واللسان مثالا والا فجميع الاعضا السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد
صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط معه شيا من الشهوات وياكل نصف بطنه رفع الله عنه مونة النسا الفايدة السادسة
دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك كان يقول بعض الشيوخ على راس السفرة معشر المريدين لا تاكلوا كثيرا
فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب
والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواتها ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد
حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر
عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره الى التهجد ثم يحتاج الى مونة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه اخطارا ذكرناها في الطهارة
وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمان الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الافات والشبع
مجلبة له والجوع مقطعة له الفايدة السابعة تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه
بالاكل وربما احتاج الى زمان في شرى الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الما لكثرة شربه والاوقات المصروفة
الى هذه لو صرفها الى الذكر والمناجاة وساير العبادات لكثر ربحه قال السري رايت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما حملك على هذا فقال اني
حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه الا في ذكر الله تعالى وطاعته ومن
جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الما واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم
ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغله بالاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين
لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمان الداراني الى ست افات في الشبع
فقال من شبع دخل عليه ست افات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباعا و
ثقل العبادة وزيادة الشهوات وان ساير المومنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل الفايدة الثامنة ان يستفيد من قلة الاكل صحة
البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر

والفكر وبعض العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن وتبعات لا يخلو الانسان فيها بعد التعب عن انواع من
المعاصي واقتحام الشبهات وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك حكي ان الرشيد جمع اربعة اطبا هندي ورومي وعراقي وسوادي فقال ليصف كل
واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي
هو عندي الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة
وهذا داء قالوا فما هو عندك فقال الدواء الذي لا داء فيه عندي ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدق وذكر
لبعض الفلاسفة من اطبا اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من
هذا وانه لكلام حكيم وقال عليه السلام البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب حصل من هذا الخبر لا
من ذاك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال ياكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع وقال بعض
افاضل الاطبا في ذم الاستكثار ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان واضر ما ادخل معدته المالح ولان يقلل من المالح خير له من ان يستكثر
من الرمان وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما
الفائدة التاسعة خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه كل يوم
فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل وقد يتعب وربما احتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق
وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة قال بعض الحكما اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك اروح لقلبي وقال اخر اذا اردت ان استقرض
من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهو خير غريم لي وكان ابرهيم بن ادهم اذا سال اصحابه عن سعر الماكولات فيقال انه غال
فيقول ارخصوه بالترك وقال سهل الاكول مذموم في ثلثة احوال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الافات وان كان ممن يدخل عليه
شي فلا ينصف لله تعالى من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل
ما يحسم هذه الاحوال كلها وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال عليه السلام ادمنوا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في
سائر الشهوات ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله تعالى فهو من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
فانه انما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة واما المحتاج فتلهيه لا محالة الفائدة العاشرة ان يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على
اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد في الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله الا ما تصدق
فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع وكان الحسن اذا تلا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
الاية قال عرضها على السموات السبع الطباق الطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قال ان احسنت جزيت
وان اسات عوقبت فقالت لا ثم عرضها على الارضين كذلك فابت ثم عرضها على الجبال الصم الشوامخ البواذخ الصعاب الصلاب فقيل لها هل تحملين الامانة بما فيها
قالت وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما جهولا ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه عز وجل فقد رايناهم والله اشتروا
الامانة باموالهم فاصابوا الافا فماذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا قبورهم واسمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى باب
هذا السلطان يتعرضون بالبلاء وهم من الله تعالى في عافية فيقول احدهم تبيعني ارض كذا وكذا واتكى احدهم على شماله وياكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام
حتى اذا امتلات به الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتني بشي يهضم طعامي يا لكع اطعاما تهضم ام دينا تهضم اين الفقير اين الارملة اين المسكين اين اليتيم الذين
امرك الله بهم وهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقير ليدخر به الاجر فذلك خير له من ان ياكله حتى يضاعف عليه الوزر ونظر رسول الله
صلى الله عليه الى رجل سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لاخرتك واثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد
ادركت اقواما كان الرجل يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله فيقول والله لا اجعل هذا كله لبطني حتى اجعل بعضه لله تعالى فهذه عشر فوائد للجوع
يتشعب من كل واحدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الاخرة ولاجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الاخرة وباب الزهد

ق

ب

الامتلاء والطعام

والشبع

والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد يدرك معاني هذه الاخبار ادراك علم وبصيرة
فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كان لك نية المتادبين في التقليل بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع
وظائف الاولى ان لا ياكل الا حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما تجب رعايته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى
ثلث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناول المشتهيات وتركها اما
الوظيفة الاولى في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل الكثير وانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان
يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل رغيفين مثلا واراد ان يرد نفسه الى رغيف فينقص في كل يوم سبع ربع
رغيف وهو ان ينقص في كل يوم جزءا من ثمنية وعشرين جزءا او جزءا من ثلثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يضره ولا يظهر اثره فان شا فعل ذلك بالوزن وان
شا بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين
وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلث بالحيوة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهو الحيوة والعقل اكل وافطر ان كان صائما
وتكلف للطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال ينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا وراى ان صلوته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلوته قائما مع الاكل
وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلثة دراهم كنت اخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيق الارز فاسويه واجعله ثلثمائة وستين
كرة اخذ كل ليلة كرة افطر عليها فقيل له فالساعة كيف تاكل قال بلا حد ولا توقيت ويحكى عن الرهابين انهم قد يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام الدرجة
الثانية ان يرد نفسه بالرياضة الى نصف مد في اليوم والليلة وهو رغيف وشي مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الاكثر
كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر اذ كان ياكل سبع لقم او تسع لقم
الدرجة الثالثة ان يرد نفسه الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب
ولا يبقى شي للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس الدرجة الرابعة ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله
تعالى ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف باختلاف السن والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه
ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر على نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين
له حد الجوع الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احدها ان لا تطلب النفس الادم بل ياكل الخبز وحده بشهوة
اي خبز كان فمهما طلب خبزا بعينه او طلب اداما فليس ذلك بجوع وقيل ان يبزق فلا يقع عليه الذباب اي لا يبقى فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على
خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف ولم يلتفت
شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر
اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرنا انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى
منه وقد كان ابوذر يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه لا ازيد عليه شيئا حتى القاه فاني سمعته يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيمة
واحبكم الي من مات وهو على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين
ادامين واختلف عليكم الوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في اخر ولم تكونوا هكذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وقد كان قوت اهل الصفة مدا من
تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن رحمه الله يقول المؤمن مثل الغنيمة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق و
الجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال
سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المؤمن منها حلالا لان اكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط الوظيفة الثانية في وقت الاكل
ومقدار تاخيره وفيه ايضا درجات اربع الدرجة الاولى وهي العليا ان يطوي ثلثة ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى
المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلثين يوما واربعين يوما وانتهى الى ذلك جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن ابراهيم بن دحيم وابرهيم

للصديقين

ى

كل

التيمي

وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله وابراهيم بن احمد الخواص وقد كان ابو بكر الصديق
رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام وكان ابو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعا وروي ان الثوري وابراهيم بن ادهم كانا
يطويان ثلثا ثلثا كل ذلك يستعينون بالجوع على طريق الآخرة وقال بعض العلماء من طوى لله اربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف
ببعض الاسرار الالهية وقد حكي ان بعض اهل هذه الطائفة مر على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور وكلمه في ذلك كلاما كثيرا الى
ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي اربعين يوما وان ذلك معجزة لا تكون الا لنبي او صديق فقال له الصوفي ان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل
في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وازيدك ايضا فطوى الى تمام الستين
فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز الاربعين وكان ذلك سبب اسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه
عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه وحاجته الدرجة الثانية ان يطوي نفسه الى يومين الى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو
قريب يمكن الوصول اليه بالجد والاجتهاد الدرجة الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا اقله قل وما جاوز ذلك
اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة روى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش
واذا تعشى لم يتغد وكان السلف يأكلون في كل يوم اكلة وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك والاسراف فان اكلتين في يوم من السرف فكان الاكثر في يوم سرف
والاكلة الواحدة في يومين تقتير والاكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله تعالى ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب ان ياكلها سحرا
قبل طلوع الصبح فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم
وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة رضه قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته قط وان كان
ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفي حديث عائشة كان صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان يلتفت قلب
الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان يشغله ذلك عن حضور القلب في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه نصفين ان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر
ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التسحر فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن
كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس ان ياكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق في مواقيت الاكل وتباعده وتقاربه
الوظيفة الرابعة في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى
الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع عن الادام على الدوام
بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان واكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانسا له بلذات الدنيا حتى يألفها و
يكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه فيكون الموت سجنا له واذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا
عليه ومضيقا واشتهت نفسه الانفلات منها فيكون الموت اطلاقا لها واليه اشار يحيى بن معاذ الرازي حيث قال معاشر الصديقين جوعوا انفسكم لوليمة
الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك
يعظم الثواب بترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين يأكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح
على معنى ان من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن داوم عليه ايضا فلا يعصي بتناوله ولكن يتربى نفسه بالنعيم فيأنس بالدنيا ويألف اللذات ويسعى في طلبها فيجره
ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور معاصي وقال صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه
اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس ويتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى اذكر انك ساكن القبر فان ذلك يمنعك من كثير من الشهوات
وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الاطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله منه غاية السعادة حتى روي
ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما للآخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال
الآخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسير اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضه عن شربة ماء بارد

بعسل وقال اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله تعالى اعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة النفس وقد
روى نافع ان ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف فشويت وحملت
اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها
حتى وجدتها فاشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها اليه فقال الغلام للسائل هل لك ان تأخذ درهما وتتركها قال نعم فاعطاه
وردها فوضعها بين يديه وقال قد اعطيته درهما واخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تأخذ منه الدرهم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما
امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار
اشار به الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضه ان يزيد بن ابي سفيان يأكل انواع الطعام فقال
عمر لمولى له اذا علمت انه حضر عشاؤه فاعلمني فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فجاؤوا بثريد ولحم فاكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف
عمر يده وقال الله الله يا يزيد ابن ابي سفيان اطعام بعد طعام والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن عمير قال
ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا عاص له وروي ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ في الدار الآخرة
الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيغرف من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو اعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك
الماء فيقول لها يا ام فلان قد سددت عني كلب الجوع وروي عن مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم يشربه واهدي اليه يوما رطب فرده ودفعه في
الحلقة فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح
الرغيف واقبل يبكي وقال عجلت لي شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما رأيته اكل الملح حتى لقي الله وقال
مالك بن ضيغم مررت في سوق البصرة فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو اطعمتني الليلة من هذا فاقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار
بالبصرة خمسين سنة ما اكل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما اكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص
مني ولا انتقص مني ما زاد فيكم وقال مالك بن دينار طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي لبنا منذ اربعين سنة فوالله لا اطعمها حتى الحق بالله وقال
حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا فآليت ان لا تأكليه ابدا فسلمت
ودخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم بالسوق فرأى فيها من الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب
الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقته فبعث
به الى يتامى من الفقراء وعن موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة وعن احمد بن خليفة قال نفسي منذ عشرين سنة ما تطلب مني الا
الماء حتى تروى فما رويتها وروي ان عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال قد استحييت من نفسي ان ادافعها منذ سبع سنين سنة
بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها فلقيت صبيا فقال الست انت ابن فلان وقد مات ابوك قال بلى فناوله اياه واقبل يبكي ويقول ويطعمون
الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا فلم يذقه بعد ومكث عتبة الغلام يشتهي تمرا سنين فلما كان ذات يوم اشترى تمرا بقيراط ورفعه حتى يفطر عليه
قال فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع الناس فقال عتبة هذا لجرأتي عليك وشرائي التمر بالقيراط وقال لنفسه ما اظن اخذ الناس الا بذنبك علي الا تذوقيه فذلك
التمر واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا فاقبل ليلته يقول ويلك يا داود ما اطول حسابك يوم القيامة ولم ياكل بعده الا قفارا و
قال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها قال لانك تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقال وان انا
تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض اصحابه لا ابكى الله عينيك اعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد
عرفت صدق عزمه في الترك وهو اذا ترك شيئا لم يعاوده ابدا وقال جعفر بن نصير امرني الجنيد ان اشتري له التين الوزيري فاشتريته فلما
افطر اخذ واحدة ووضعها في فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف بي هاتف اما تستحيي تركته من اجلي ثم تعود اليه و
قال صالح المري قلت لعطاء السلمي اني متكلف لك شيئا فلا ترد علي كرامتي قال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدي بشربة من سويق قد لتته بسمن وعسل

وقلت له لا تبرح حتى تسويها وتشويها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشوها فاشتد ولمته وقلت سبحان الله تردون علي كل ما
قلي وجعلت لك ذلك فقال لا تسؤك هذا اني قد شويتها اول مرة وقد اوجدت نفسي في المرة الثانية على شويها فلم اقدر على ذلك كلما اردت ذلك ذكرت
قول الله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال صالح فبكيت وقلت في نفسي انا في واد وانت
في اخر وقال السري ان نفسي تطالبني منذ ثلثين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك
على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة وروي ان عابدا دعا بعض
اخوانه فقرب اليه رغيفا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار اجودها فقال له العابد مه اي شيء تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه
كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم وبني ادم حتى صار اليك ثم
انت بعد هذا تقلبه لا ترضى به وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا اولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة
ثم الملائكة التي تزجر السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض واخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم اتيت
قاسما الجوعي فسألته عن الزهد اي شيء هو فقال اي شيء سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت فقلت وانت اي شيء تقول فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر
ما يملك من بطنه كذلك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه يملكه الدنيا وكان بشر بن الحارث قد اعتل فسأل عبد الرحمن المتطبب عن شيء يوافقه من الماكول فقال تسألني
فاذا وصفت لك لم تقبل مني قال بشر صف لي حتى اسمع فقال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيذباجا فقال له بشر تعلم شيئا اقل من السكنجبين
يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم قال تعرف شيئا اقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال ماذا قال الخرنوب
الشامي قال فتعرف شيئا اقل من الاسفيذباج قال نعم حمص بسمن البقر في معناه فقال عبد الرحمن انت اعلم مني
بالطب فلم تسألني فقد عرفت ان هؤلاء كيف امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الاوقات
لانه كان لا يصفو لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليس من الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز
وما وراء الخبز شهوة وهذه هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل كل ما يشتهيه ويفعل
كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة
على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس
الاكل لينشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل او يجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب
الى الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرأ
جزءا من القران عقيب كل اكلة وكان سفيان الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في يوم واصله بالصلوة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكده
ومرة يقول اشبع الحمار وكده ومهما اشتهى شيئا من طيب الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكلها بدلا عنه لتكون قوتا ولا تكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين
عادة وشهوة ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدأ بالتمر فان قامت كفايتك به والا اخذت من الخبز بعد حاجتك ومهما
وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطافته وكان بعضهم يقول لاصحابه
لا تاكلوا الشهوات فان اكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة قال ابن عمر ما ياتينا من العراق فاكهة احب الينا من
الخبز فرأى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان يقال
له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الاخرة بشهواته وقال بعض اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا
فمنعتها فقويت مطالبتها واشتد جهادي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام فقلت له ماذا فعل الله بك قال لا احسن اصف لك
ما تلقاني به ربي عز وجل من النعم والكرامة وكان اول شيء استقبلني به خبز ارز وسمك فقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب وقد قال تعالى
كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا اسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس انفع من صيام سنة وقيامها

بيان



## بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور
اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه من فضائل الجوع ربما يومئ الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الشرع
ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومئ عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه
الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع
مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فانه ان اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع
ايضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل
كله نهى عن ذلك واذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه ولا يؤثر فيه
اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها والمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى
للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام والم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع
فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الادمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط
حلقة محماة على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر على الموضع الذي
هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك
الحلقة بالنملة والملائكة خارجة عن الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه احواله بهم البعد وابعد المواضع
عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاحوال المتقابلة وعنه عبر بقوله عليه السلام خير الامور اوساطها والى ذلك الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا
ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل بخفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في
بداية الامر اذا كانت النفس جموحة متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في
ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت رجع الى الاعتدال وترك تعذيبها وايلامها ومن هذا
السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه في نفسه فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمنع نفسه منها لانه قد فرغ عن تاديب
نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره والشهوة والجماح عن العبادة كان الاصلح لها الجوع الذي تحس بالمه في اكثر الاحوال
لتنكسر والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء ايضا الى الاعتدال وانما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكي طريق الاخرة اما صديق واما مغرور
احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما الاحمق فلظنه وغروره بنفسه انه الصديق
المستغني عن تاديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الى الصديق و
مسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام
بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير بالغة درجة الكمال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة كان عليه السلام يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول هل عندكم
من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذا صائم وقد كان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني كنت اردت الصوم ثم ياكل وخرج عليهم يوما فقال اني
صائم فقالت عائشة قد اهدي الينا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكي ان سهلا قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات
منها انه كان يقتات بورق النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التبن مدة ثلث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلاثة دراهم في ثلث سنين فقيل له وكيف انت في وقتك
فقال اكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت اني اكل كثيرا بل اني لا اقدر بمقدار واحد ما اكله وقد كان معروف الكرخي يهدى اليه طيبات
الطعام فياكل فقيل له ان اخاك بشرا لا ياكل وهذا فقال اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت
واذا جوعني صبرت ما لي وللاعتراض والتمييز ودفع ابراهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبز حوارى فقال

يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما فاكلت ودعوت نفرا منهم الاوزاعي
والثوري فقال له الثوري اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث فالذي ياخذ العلم من السماع
والنقل يقلد ابرهيم بن ادهم ويسمع عن مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح بيتي منذ عشرين سنة وعن سري السقطي انه قال انا منذ اربعين سنة
اشتهي ان اغمس جزرة في دبس فلم افعل فيراه متناقضا فيتحير او يقطع بان احدهما مخطئ والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق لكن بالاضافة الى اختلاف
الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط مخطئ والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق لكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال
المختلفة يسمعها فطن محتاط وغبي مغرور فيقول المحتاط انما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي وليس نفسي اطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء
من المتنعين من الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول وما نفسي باعصى من نفس معروف الكرخي وابرهيم بن ادهم فاقتدي بهما وارفع التقدير في ماكولي ومشروبي فانا
ايضا ضيف في دار مولاي فما لي وللاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وفي توقيره او في ماله وجاهه بتطريقة واحدة قام عليه واشتغل بالاعتراض و
هذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة ... الله عنه في
استرساله وانبساطه وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون اكله اذا اكل على نية ... فيكون عاملا لله تعالى في
اكله وافطاره وينبغي ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل وياكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرض عليه ماء بارد بعسل جعل
يدير الاناء في يده ويقول اشربها فتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها وهذه اسرار لا ينبغي لمن كاشف الشيخ مريده بها بل يقتصر على مدح الجوع
فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي ان يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني
عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابرهيم الخواص ان يخوض مع المريد
في كل رياضة كان يامره بها كيلا يخطر بباله ان الشيخ لم يامره بما لا يفعله فينفره ذلك عن رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى
حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط
ينبغي ان لا يترك في كل حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده ياكل لحما مادوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولحما و
يوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط
ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك اكل الشهوات او قلل الاكل اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان
عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات احداهما ان لا يقدر النفس على ترك بعض الشهوات فيشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة وياكل في
الخلوة ما لا ياكل في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل هل تعلم به باسا فقال ياكل في الخلوة ما لا ياكل في الجماعة
وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدة بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال
هو نقصان متضاعف فالكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين فقال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار لان الكافر كفر وظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله تعالى الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره والعارفون
يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلوب
الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين ولكن يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشوا عليه حاله
فنهاية الزاهد الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين
مرة بشربه ومرة بتركه فلا جرم اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطي جهرا فياخذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن
فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستر اصلاحا لغيرك فانه لو قصد اصلاح
غيره لكان اصلاح نفسه اهم عليه من غيره فهو انما يقصد الرياء المجرد ويروجه عليه الشيطان في معرض اصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس
يقتدي به في الفعل او لا ينزجر باعتقاده انه تارك للشهوات الآفة الثانية ان يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح بان يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف

شهو

شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل ولكن اطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة
الطعام فليأكل فهو اولى له قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة
وتكون قد نغصت عليها اذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الي شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك
افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك
شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الرياء اضر كثيرا من شهوة الطعام القول في كسر شهوة الفرج اعلم ان شهوة
الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين احداهما ان يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار
والمها اقوى آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق
الفائدة الثانية دوام النسل وبقاء الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل
في قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي و
بصري وقلبي ومنيي وقال عليه السلام النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة ما كان للنساء سلطنة على الرجال وروي ان موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه
اذ اقبل اليه ابليس عليه اللعنة وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه فقال السلام عليك قال له موسى من انت قال انا ابليس قال فلا حياك
الله ما جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله تعالى ومكانك منه قال فما الذي رأيت عليك قال به اختطف قلوب بني آدم قال فما الذي اذا صنعه الانسان
استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي
حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي
حتى احول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلاه علم موسى ما يحذر به بني آدم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما مضى الا لم ييأس ابليس
ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان قال للمرأة انت نصف
جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطئ وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصفه الغضب واعظم الشهوات شهوة النساء وهذه
الشهوة ايضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى التمتع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة او
يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطائفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهوتهم للاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض
الناس ادوية تقوي المعدة لعظم شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا كمن ابتلي بسباع ضارية وبهائم عادية فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها
ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص فان قلت فقد روي
في غريب الحديث انه عليه السلام قال شكوت الى جبريل ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم انه كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على
غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع والامر الثاني انه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع
وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها ان يستحيى منه حتى اعتقد ان الشهوة لا تقضى
الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فتكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل
لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة محتالا لاجلها وما العشق الا سعة افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا هم له وانما يجب
الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق الجاه والمال والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد
والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق في اول انبعاثه مثال من
يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب ليدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يتركها حتى تدخل وتجاوز
الباب ثم ياخذ بذنبها ويجرها الى وراء وما اعظم التفاوت بين الامرين في العسر واليسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما اواخرها فلا تقبل

العلاج الآخر وشدة يكاد يوازي نزع الروح فاذا افراط الشهوة ان تغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن
امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها بالجوع وبالنكاح
قال عليه السلام معاشر الشباب عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله اعلم ان
المريد لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا تغرنه كثرة
نكاح رسول الله صلى الله عليه فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع ما في الدنيا فلا تقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج
فقد ركن الى الدنيا وقال ما رأيت مريدا تزوج فثبت على ما كان وقيل له ما احوجك الى امرأة تستأنس بها فقال لا آنسني الله بها اي ان الانس بها يمنع الانس
بالله تعالى وقال ايضا ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤم وكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وقد كان استغراقه بحب الله بحيث كان يجد
احتراقه فيه الى حد كان يخشى في بعض الاحوال ان يسري ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة احيانا ويقول كلميني يا عائشة لتشغله
بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فقد كان طبعه الانس بالله تعالى وكان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق
اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا بها يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله في مثل هذه الامور فهو مغرور لان الافهام تقصر
عن الوقوف على اسرار افعاله صلى الله عليه فشرط المريد العزوبة في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة وهذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع
الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم
يحفظ عينه لم يحفظ فكره ويتفرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغائر وهو يؤدي على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن
لم يقدر على غض البصر لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما كان فتنة داود
عليه السلام من اجل النظرة وقال داود لابنه عليهما السلام يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف امرأة وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بدو الزنا قال النظر
والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطئ به يعني النظر وقال رسول الله صلى الله عليه سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه
الله تعالى ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال عليه السلام ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء قال عليه السلام اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من
النساء وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم الآية وقال لكل عضو من اعضاء بني آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان
وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبل والقلب يهم او يتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقالت ام سلمة استأذن ابن ام مكتوم
الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال صلى الله عليه احتجبا فقلنا اليس هو اعمى لا يبصرنا فقال الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير
حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح اولى به
فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى امرأة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه
بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان
مكشوفة فاقول لست اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء واخرى يابسة وماء صاف وماء كدر وشجرة عليها
اوراقها وازهارها وانوارها وشجرة تساقطت اوراقها فانه يميل الى احديهما طبعه وعينه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولاجل ذلك لا يشتهي ملامسة
الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة
فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة والسقوف
المزخرفة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون وقال بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك
من سبع ضار من غلام امرد يجلس اليه وقال سفيان لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا وعن بعض السلف قال سيكون
في هذه الامة ثلاثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذا آفة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض البصر وضبط
الفكر فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع وقال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدو ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله

فرأيت

فرأيت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت اليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت
وقد زال عني ما كان بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال تحب ان تذهب واضرب عنقك قلت نعم فقال
مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور فضرب بها عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك واشد منه فرأيت شخصا يخاطبني فيما
بين صدري وجنبي يقول ويحك كم تسأل الله دفع ما لا يحب دفعه تزوج قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك
شروط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع
ذلك في آداب النكاح فلا نطول باعادته وآية صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة
الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقد قال بعضهم ينبغي ان تكون
المرأة دون الرجل باربع خصال والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع وعلامة صدق الارادة
في دوام النكاح الخلق تزوج بعض المريدين امرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت الى ابيها فقالت قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله
منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلي اليه وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب الزفاف اصاب المرأة الجدري فاشتد حزن اهلها لذلك
خوفا ان يستقبحها فاراهم الرجل ان به رمدا ثم اظهر ان بصره ذهب حتى زفت اليه المرأة وزال عن اهلها ذلك الحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت ففتح
عينيه فقيل له في ذلك فقال تعمدته لاجل اهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اصحابك بهذا الخلق وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها
فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر على خلقها فيتأذى بها فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو اولى اذا لم
يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي وكان يملك غلة ثمانين الف درهم في كل يوم فكتب الى اهل
البصرة وعلمائها في امرأة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله عز وجل قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم
ثمانين الف درهم فليس يمضي الايام والليالي حتى اتمها مائة الف وانا اصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد
في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الغم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك
فيقتسموا تراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت واما انا فلو ان الله عز وجل خولني امثال ما خولك ما سرني ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذا اشارة
الى ان كل ما يشغل عن الله فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الاقرب وان عجز فالنكاح اولى به ودواء هذه الشهوة ثلاثة امور الجوع
وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح
والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من احد الا اتاه من قبل النساء وقال سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى
عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شيء اخوف عندي من النساء وعن عبد الله بن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جئته قال
اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا اخبرتنا فشهدناها ثم قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امرأة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما
املك الا درهمين او ثلاثة فقال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد وصلى على النبي وزوجني على درهمين او قال ثلاثة قال فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت
الى منزلي وجعلت اتفكر ممن آخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي واسرجت وكنت صائما فقدمت عشائي لافطر وكان خبزا
وزيتا فاذا بابي يقرع فقلت من هذا فقال سعيد ففكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فخرجت
فاذا سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الي فآتيك قال لا انت احق ان تؤتى قلت فما تأمر قال انك كنت رجلا عزبا
فتزوجت فكرهت ان تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت
من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاؤوني فقالوا ما شأنك فقلت
ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا او سعيد زوجك قلت نعم وها هي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ ذلك
امي فجاءت فقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها حتى اصلحها الى ثلاثة ايام قال فاقمت ثلاثة ايام ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل الناس واذا هي احفظ الناس

الناس لكتاب الله واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا اتيه فلما كان قريب الشهر اتيت
سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس فقال ما حال ذلك الانسان فقلت خير يا ابا محمد على ما يحب
الصديق ويكره العدو قال ان رابك شي فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب
قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط
في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف فاستعمال سعيد في الزواف تلك الليلة لعرف غايلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفيتها دفعا
بالنكاح ~~بيان~~ فضيلة من خالف شهوة الفرج والعين اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان
مقتضاها قبيح يستحيي منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها لعجز او خوف او لحيا او لمحافظة على حشمة وليس في شي من ذلك ثواب فانه
ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا يقدر فهذه العوايق فائدة وهو دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان
تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين
ولذلك قال عليه السلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال عليه السلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال
الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة ومع رغبتها فيه معروفة وقد اثنى الله عليه بذلك في كتابه وهو امام
كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة وروي ان سليمان بن يسار كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسالته نفسه فامتنع عليها
وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرايت في المنام يوسف عليه السلم فكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي هممت وانت سليمان الذي لم تهم اشار
به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه وعن سليمان ايضا ما هو اعجب من هذا وهو انه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق له حتى
نزلوا بالابوا فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق يبتاع شيا وقعد سليمان في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها واورع الناس فبصرت به اعرابية
من قلة الجبل فلما رات حسنه وجماله انحدرت وعليها البرقع والقفازان حتى وقفت بين يديه واسفرت عن وجه لها كانه فلقة قمر فقالت اهنئني
فظن انها تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها فقالت لست اريد ذلك انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الي ابليس ثم وضع راسه
بين كميه واخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رات ذلك سدلت البرقع على وجهها ورجعت راجعة حتى رجعت الى خيمتها فجا رفيقه فراه قد انتفخت
عيناه من البكا وانقطع حلقه فقال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي قال لا الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلث او نحوها فلم يزل به رفيقه حتى اخبره
بشان الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكا شديدا فقال له سليمان وانت ما يبكيك قال انا احق بالبكا منك لاني اخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عنها
فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف وسعى اتى الحجر واحتبى بثوبه فنعس وادا رجل وسيم جميل طوال له شارة حسنة ورائحة
طيبة فقال له سليمان من انت رحمك الله قال انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شانك وشان امراة العزيز لعجبا فقال له يوسف شانك وشان
صاحبة الابوا اعجب وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول انطلق ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوه
فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم اللهم كان لي ابوان شيخان
كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا فناى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نايمين فكرهت ان اغبق قبلهما
اهلا ولا مالا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك
ابتغا وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيا لا يستطيعون الخروج منه وقال الاخر اللهم كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الي
فاردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها
قالت لا احل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك
ابتغا وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم اني استاجرت اجرا فاعطيتهم اجرهم غير رجل
واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاني بعد حين فقال يا عبد الله ادّ الي اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر

والغنم

والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغا وجهك فافرج
عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا من افضل من يمكن من قضا هذه الشهوة فعف وتقرب منه من يمكن من قضا شهوة العين فان النظر مبدا الزنا
فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والافات كلها تنشا منه والنظرة الاولى اذا لم تقصدها لم تواخذ بها والمعاودة
تواخذ بها قال عليه السلم لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلا بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظرة تجعل في القلب شهوة وقل ما يخلو
الانسان عن ترددات وقوع البصر على النسا والصبيان مهما تخيل الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر على نفسه ان هذه المعاودة
عين الجهل فانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول ولا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ به وتالم لانه قصد التلذذ وقد فعل ما الميه
فلا يخلو في كلا حالته عن معصية وعن تالم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الافات وان اخطات عينه وحفظ الفرج مع التمكن
فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق لذلك يحكى عن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها الى حاجة لهم الى قرية اخرى
فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لانا اشد حبا لك مني ولكني اخاف الله تعالى قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش
حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبيا بني اسرائيل فساله فقال ما لك قال العطش قال تعال حتى ندعو حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي
من عمل فادعو قال فانا ادعو وامن انت فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه
فقال له زعمت ان ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التايب من الله
بمكان ليس لاحد من الناس مكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه
حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت
له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم افعل ما شيت فقال لها هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت والله ما وقفت موقفي هذا جهالة
مني بامرك ولكن معاذ الله ان يتشوف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير
وانتم معاشر العباد في مثل القوارير ادنى شي يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك قال فمضى الشاب الى منزله
واراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا وخرج من منزله فاذا بالمراة واقفة في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في الكتاب
بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة ان الله تعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد في معصية ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها
السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوما تكون السما كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثو
الامم لصولة الجبار العظيم واني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة
والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسالة فاني مشتغل عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين المهرب من هذه الاية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما راها من بعيد اراد الرجوع الى
منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدا الا بين يدي الله تعالى وبكت بكا كثيرا وقالت اسال الله تعالى الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل
عليك ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظة احملها واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله تعالى وهو
الذي يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكا شديدا اشد من بكاها الاول ثم انها لزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على
ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها فيقال له مم بكاوك وانت قد ايستها فيقول اني قد قطعت طمعها مني في اول امرها وجعلت قطيعتها
ذخيرة لي عند الله عز وجل وانا استحيي من الله ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده

كتاب افات اللسان
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي
احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزاين العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته وارسله
ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذي ارسله فاطلق بالحمد مقوله والفصح بالشكر على ما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله و
نشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده الذي اكرمه وبجله ونبيه الذي ارسله وانزل عليه كتابه اتوله وابان فضله ودين سبيله صلى الله عليه وعلى اله

واصلي به وعن قبله ما كثر عبيده وهلله اما بعد فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين
الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود ومعدوم وخالق او مخلوق متخيل او مظنون او معلوم او موهوم
الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او بباطل ولا شي الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد
في سائر الاعضا فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضا واللسان
رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد وله في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان
في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من
قيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والاخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله او اجله وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز
والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضا على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مونة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن افاته
وغوائله والحذر من مصايده وحبايله وانه اعظم الة الشيطان في استغوا الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع افات اللسان ونذكرها واحدة
واحدة بحدودها واسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من الاخبار والاثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر
افة الكلام فيما لا يعنيك ثم افة الفضول في الكلام ثم افة الخوض في الباطل ثم افة المرا والجدال ثم افة الخصومة ثم افة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع
والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم افة الفحش والسب وبذاة اللسان ثم افة اللعن اما لحيوان او جماد او
انسان ثم افة الغنا والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغنا وما يحل فلا نعيده ثم افة المزاح ثم افة السخرية والاستهزا ثم افة افشا السر ثم افة الوعد
الكاذب ثم افة الكذب في القول واليمين ثم افة الغيبة ثم افة النميمة ثم افة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم افة المدح ثم
افة الغفلة عن دقائق الخطا في فحوى الكلام ثم افة سوال العوام عن صفات الله عز وجل وعن الكلام وعن الحروف وانها حادثة او قديمة وهي اخر الافات ولا سيما
فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط باصول الدين ثم افة سوال العوام عن صفات الله عز وجل وفي فحوى الكلام ما يتعلق بذلك وجملتها عشرون افة بيان
عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال عليه السلام من صمت نجا
وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسال عنه احدا بعدك
قال قل امنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاوما بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على
خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال عليه السلام من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه
فقد وقي الشر كله والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلث بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر افات اللسان لما فرغنا من ذكر
افة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه عن اكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم و
الفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم افات اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون البطن لانه منفذه وقال معاذ بن جبل قلت يا رسول الله انواخذ بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل و
هل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما
تخاف علي فاخذ بلسانه ثم قال هذا وروي ان معاذا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله لسانه ثم وضع عليه اصبعه وقال انس بن مالك قال رسول الله
لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يامن جاره بوائقه وقال عليه السلام من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد
بن جبير مرفوعا الى رسول الله قال اذا اصبح ابن ادم اصبحت الاعضا كلها تذكر اللسان وتقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي
ان عمر اطلع على ابي بكر وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله فقال ان هذا اوردني الموارد ان رسول الله صلعم قال ليس شي من الجسد الا يشكو الى الله
تعالى اللسان على حدته وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم او انصت تسلم من قبل ان تندم قيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شي تقوله او
سمعته قال لا اني سمعت رسول الله يقول ان اكثر خطايا ابن ادم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله تعالى عذابه
ومن اعتذر الى الله تعالى قبل الله عذره وروي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت انبيك بما هو

املك

واستعمل بيتك

املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت وقال الحسن ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او
سكت فسلم وقيل ان عيسى قالوا له دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمان بن داود ان كان الكلام من
فضة فالصمت من ذهب وعن البرا قال جا اعرابي الى رسول الله فقال دلني على عمل يدخلني الجنة فقال اطعم الجائع واسق الظمان وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف
لسانك الا من خير وقال عليه السلام اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال عليه السلام ان الله تعالى عند لسان كل قائل فليتق الله امرو علم ما يقول وقال اذا رايتم المومن
صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال ابن مسعود قال النبي عليه السلام الناس ثلثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاجب
الذي يخوض في الباطل وقال النبي عليه السلام ان لسان المومن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشي تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بشي امضاه بلسانه
ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة اجزا تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال النبي عليه السلام من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه
ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به الاثار روي عن الصديق انه كان يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا اوردني الموارد وقال
ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما من شي احوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان اطلقته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة ال داود حق على العاقل ان
يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد فان من اكثر ذكر الموت
رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن
دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان على الناس اشد من حفظ الدينار والدرهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك في سائر عمله و
قال الحسن كانوا يتكلمون عند معاوية والاحنف ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر قال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت وقال ابو بكر بن عياش اجتمع اربعة
ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الاخر اني اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم
ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع عليه لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقيل ان المنصور
بن المعتمر لم يتكلم بعد العشا الاخرة اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا ودواة وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب
نفسه عند المسا فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة افات اللسان من الخطا والكذب والغيبة والنميمة والريا والنفاق والفحش والمرا
وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذا الخلق وهتك العورات فهذه افات كثيرة وهي سباقة الى اللسان
لا تثقل على اللسان ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والخائض فيها قلما يقدر على ان يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب
فان ذلك من غوامض العلم كما سياتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة
والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الاخرة وقد قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم الصمت امر وهو ان الكلام على
اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة اما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك
ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة ارباع
الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج بما فيه اثم من دقائق الريا والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن
عرف دقائق افات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد اوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم
ولا يعرف ما تحت احاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلما وفيما سنذكره من الافات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شا الله تعالى ونحن نعد الان
افات اللسان ونبتدي باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا قليلا ونوخر الكلام في الغيبة والكذب والنميمة فان النظر فيها اطول وهي عشرون افة الافة الاولى
الكلام فيما لا يعنيك اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك من جميع الافات التي ذكرناها من الغيبة والكذب والمرا والنفاق وغيرها وتتكلم فيما هو مباح
لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو ادنى
بالذي هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله تعالى عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله تعالى وسبحته وذكرته

لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك
ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فإنه وإن لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكرا ونظره إلا عبرة ونطقه إلا
ذكرا كذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من حسن إسلام
المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس استشهد غلام منا يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت
هنيئا لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج
يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أبشر يا كعب فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتألية على الله تعالى قال هي أمي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب
لعل كعبا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه ومعناه أنه تتهنأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وإن كان كلامه مباحا فلا تتهنأ له الجنة مع المناقشة
في الحساب فإنه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام
فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوثق عمل في نفسك ترجو به فقال إني لضعيف وإن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك
ما لا يعنيني وقال أبو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما
لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن أحسن من الدهم الموقوفة لا تكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا
فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعيب ولا تمار حليما ولا سفيها فإن الحليم يقليك وإن السفيه يؤذيك واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب
أن يذكرك به واعفه مما تحب أن يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالإجرام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا أسأل عما كفيت
ولا أتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي أمر أنا في طلبه منذ عشر سنين لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قيل وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض
لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في
أمرك الذين يخشون الله تعالى وحد ما لا يعنيك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر في حال ولا مال مثاله أن تجلس مع قوم فتحكي معهم أسفارك و
ما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته وإذا لقيت في الاجتياز حتى لم تمزج حكايتك زيادة ونقصان ويذكر للنفس من حيث البقاء
بما هو من الأحوال العظيمة والأعاجيب لتبجحه وتعزيه لشيء ما خلقه الله تعالى فإن مع ذلك كله مضيع وأنى يسلم من الآفات هذا إذا كان للشيء ما لا يتطرق
إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسولة فيها آفات فإنك تسأل غيرك مثلا عن عبادته فتقول هل أنت صائم فإن قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل الرياء وإن
لم يدخل سقطت عبادته عن ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبا وإن سكت كان مستحقرا إياك وتأذيت وإن احتال
لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الجواب وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك
سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم أنت وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين فربما يمنعه مانع
من ذكره فإن ذكره تأذى به واستحيا وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها والمسؤول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول
لا أدري فيجيب عن غير بصيرة ولست أعني بالتكلم فيما لا يعني هذه الأجناس فإن هذا يتطرق إليه إثم وضرر وإنما مثال ما لا يعني ما روي أن لقمان دخل على داود وهو
يسرد الدرع ولم يكن رآها قبل ذلك فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ داود قام ولبسه وقال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت
حكم وقليل فاعله أي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك فلم يسأله فهذا وأمثاله من الأسولة إذا لم يكن
فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب هو مما لا يعني وتركه من حسن إسلام المرء فهذا حده وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه
والمباسطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وأنه مسؤول عن كل كلمة وأن
أنفاسه رأس ماله وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين فإهماله وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم وأما من حيث العمل فالعزلة وأن
يضع حصاة في فيه وأن يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غيره فيما يعني على قدر الحاجة فإن من يعنيه
أمر أمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أي فضل عن الحاجة وهذا أيضا

مذموم

مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر قال عطاء بن أبي رباح إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله
أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو تنطق في حاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا
لديه رقيب عتيد أما يستحيي أحدكم أن لو نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره وكان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال إن الرجل
ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى إلي من الماء البارد على الظمآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول
أحدكم للكلب والحمار اللهم أخزه وما أشبه ذلك واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو
معروف أو إصلاح بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل المال وأطلقوا
فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا
فضلا وأطولنا علينا طولا وأنت وأنت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أشار به إلى أن اللسان إذا أطلق في الثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان
إلى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود أنذركم فضول الكلام حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل ليسكت ابنه فيقول
أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذابا وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل وروي أن سليمان عليه السلام
بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فأخبروه أنه مر في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك
فقال عجبت من الملائكة الكرام على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون وقال إبراهيم التيمي المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان له
تكلم وإلا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو
بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسناني فقال أفما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية أنه
قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال ما أوتي رجل شرا من فضل لسان وقال عمر بن عبد العزيز إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة وقال
بعض الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكتا فأعجبه السكوت فليتحدث وقال يزيد بن أبي حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب
إليه من الاستماع وإن وجد من يكفيه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر إن أحق ما طهر الرجل لسانه ورأى أبو الدرداء
امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال إبراهيم يهلك الناس في خلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث
عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني الآفة الثالثة الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق
وتنعم الأغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام وأما الكلام فيما لا يعني أو أكثر مما يعني فهو ترك
الأولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس
أو الخوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منها إلا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس
تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ
ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة
وكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا
وقال أبو هريرة إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم أعظم
الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل وإليه الإشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره
وقال سلمان أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤوا فإن بعض
ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر
في التوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها ويدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم
الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل الآفة الرابعة المراء والجدال وذلك منهي عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمار أخاك ولا تمازحه

ولا تعده موعدا فتخلفه وقال عليه السلام ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة ومن ترك المراء
وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه إن أول ما عهد إلي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة
الرجال وقال أيضا ما ضل قوم إلا أوتوا الجدل وقال أيضا لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقا وقال أيضا ست من كن فيه بلغ حقيقة
الإيمان الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتعجيل الصلاة في يوم الدجن والصبر على المصيبات وإسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق
وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فإنك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل وقال مسلم
بن يسار إياكم والمراء فإنها ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدال وقال مالك بن أنس ليس هذا
الجدال من الدين بشيء وقال أيضا المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا مماريا
معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت أخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي إلى السلطان وقال سفيان صاف من شئت ثم أغضبه
بالمراء فليرمينك بداهية تنغص عليك العيش وقال ابن أبي ليلى لا أماري صاحبي فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه وقال أبو الدرداء كفى بك إثما أن لا تزال مماريا
وقال عليه السلام تكفير كل لحاء ركعتان وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا
زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب
نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تترك أخاك عن قلى فقال لأني لا أشاريه ولا أماريه وما ورد في ذم المراء والجدال أكثر من أن يحصى وحد المراء هو كل اعتراض
على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض فكل كلام سمعته فإن كان حقا فصدق
به وإن كان باطلا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه بإظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة والعربية أو من جهة
النظم والترتيب بسوء تقديم وتأخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه لإظهار خلله وأما في المعنى فبأن يقول ليس
كما تقول وقد أخطأت فيه من كذا وكذا وأما في قصده فمثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه و
هذا الجنس إن جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والنكارة
أو التلطف في التعريف لا في معرض الطعن وأما المجادلة فعبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن
يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل بل يحب أن يكون هو المظهر له خطأه ليتبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأثم
به لو سكت وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار الفضل والتهجم على الغير بإظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها أما إظهار الفضل فهو من
قبيل تزكية النفس وهو من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فإنه يقتضي
أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإنما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات
المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهية بل هو معصية مهما حصل فيه إيذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الإيذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر
كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه
بما هو أعظم نكاية وأقوى في إفحامه وإلجامه وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتي
ذلك في كتاب ذم الكبر وكتاب ذم الغضب فإن علاج كل علة بإماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس
ويعسر الصبر عنه وروي أن أبا حنيفة قال لداود الطائي لم آثرت الانزواء قال لأجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا
تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد علي منه وهو كما قال لأن من يسمع من غيره الخطأ وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال
عليه السلام من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فإن المراء طبع فإذا ظن أن له عليه ثوابا
اشتد عليه حرصه وتعاون عليه الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة لا
بطريق المجادلة فإن المجادلة تخيل إليه أنها حيلة منه في التلبيس وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل

وما كان

وما كان داعيا أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال صلى الله عليه رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه وقال هشام بن عروة كان
يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة مدة وأثنى عليه الناس ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا إذا اجتمع
عليه سلطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها الآفة الخامسة الخصومة وهي أيضا مذمومة
وهي وراء المراء والجدال فالمراء طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن أمر يتعلق بإظهار
المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مالا أو حقا وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق فقد قالت
عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه إن أبغض الرجال إلى الله عز وجل الألد الخصم وقال أبو هريرة قال النبي عليه السلام من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله
عز وجل حتى ينزع وقال بعضهم إياك والخصومة فإنها تمحق الدين ويقال ما خاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن أبي بكرة فقال ما يجلسك
ههنا فقلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال إن لأبيك عندي يدا وإني أريد أن أجزيك بها وإني والله ما رأيت شيئا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل
للقلب من الخصومة قال فقمت لأنصرف فقال لي خصمي ما لك قلت لا أخاصمك قال عرفت أن الحق لي قلت لا ولكني أكرم نفسي عن هذا قال فإني لا أطلب منك شيئا هو لك فإن قيل
إذا كان للإنسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه أو في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم أن هذا الذم يتناول الذي يخاصم
بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فإنه قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي
يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة من أي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي على قصد التسلط أو على قصد الإيذاء وما
الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرة الحجة وإظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع أنه قد يستحقر
ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول إنما قصدي عناده وكسر عرضه وإني إن أخذت منه هذا المال ربما رميته في بئر ولا أبالي وهذا مقصوده اللدد
واللجاج وهو مذموم جدا فأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة ومن غير قصد عناد وإيذاء ففعله ليس بحرام
ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا فإن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب وإذا هاج الغضب نسي
المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات وأقل
ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الأمر على حد الواجب والخصومة مبدأ كل شر وكذا الجدال والمراء فينبغي أن لا يفتح بابه إلا لضرورة
وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الإثم ولا تذم خصومته إلا أنه
إن كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لأن معه ما يكفيه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آثما نعم أقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب
إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل وإما تكذيب فإن من جادل غيره أو
ماراه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال عليه السلام يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام وقد قال تعالى وقولوا للناس حسنا وقد
قال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسيا لأن الله تعالى يقول وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها وقال أيضا لو قال لي فرعون
خيرا لرددت عليه قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه إن في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام وروي
أن عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال اعبر بسلام فقيل يا روح الله تقول هذا للخنزير فقال أكره أن أعود لساني الشر وقال نبينا عليه السلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا
النار ولو بشق تمرة فإن لم تجد فبكلمة طيبة وقال عمر البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضي به جليسك فلا تكن
به عليه بخيلا فلعله يعوضك ثواب المحسنين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح فهذا كله في فضل الكلام الطيب ويضاده الخصومة و
اللجاج والجدال فإنه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر الآفة السادسة التقعر في الكلام بالتشدق
وتكلف الفصاحة والسجع والتصنع بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي
قال عليه السلام أنا والأتقياء من أمتي برآء من التكلف وقال عليه السلام إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون والمتفيهقون المتشدقون في كلامهم وقالت فاطمة رضي الله عنها قال
رسول الله شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال عليه السلام ألا هلك المتنطعون ثلاث مرات

والتنطع هو التعمق والاستقصا وقال عمر ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجا عمر بن سعد الى ابيه يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له
سعد ما كنت من حاجتك ابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله يقول ياتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقر الكلا بالسنتها وكانه انكر عليه ما قدمه صح
على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من افات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك تكلف السجع في المحاورات
اذ قضى رسول الله صلى الله عليه بغرة الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال عليه السلام اسجعا كسجع الاعراب
وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شي على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين
الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط ولا اغراب لان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ تاثير فيه فهو لايق به واما
المحاورات التي تجري لقضا الحاجات فلا يليق بها التسجيع والتشدق والاشتغال به من التكلف ولا باعث عليه الا الريا واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل
ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه الافة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو مذموم منهي عنه ومصدره الخبث واللوم قال عليه السلام اياكم و
الفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله عن ان تسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هولا فانه لا يخلص اليهم شي مما تقولون وتوذون الاحيا الا
ان البذا لوم وقال عليه السلام ليس المومن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال عليه السلام الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال عليه السلام اربعة يوذون اهل النار على ما
بهم من الاذى يسعون ما بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد اذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر
الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال عليه السلام لعايشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سو وقال عليه السلام البذا والبيان شعبتان من
شعب النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين وفي صفات الله تعالى
فان القا ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس واذا اجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن
ذكره مقرونا بالبذا يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال عليه السلام ان الله
لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وابي امامي فقال عليه السلام ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام
في شي وان احسن الناس اسلاما احاسنهم اخلاقا وقال ابرهيم بن ميسرة يقال الفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب او في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس
الا اخبركم باديا الدا اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمة الفحش واما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة ويجري اكثر
ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها
بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها قال ابن عباس ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة
وثم عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة
البلاد واوايلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضا الحاجة عن البول والغايط اولى من لفظ التغوط
والخراة وغيرهما فان هذا ايضا مما يخفى وكل ذلك مما يخفى ويستحيى منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش ولذلك يستحسن في العادة الكناية عن النسا فلا يقال
قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة كذا او من ورا الستر او قالت ام الاولاد والتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب
يستحيى منها فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع
ذلك من افات اللسان قال العلا بن هرون وكان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج خراج في ابطه فاتيناه نسأله لننظر ما يقول فقلنا من اين خرج فقال
من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذا واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق واهل الخبث واللوم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله
صلى الله عليه اوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرو عيرك بشي يعلمه فيك فلا تعيره بشي تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيا قال فما سببت شيا بعده
وقال عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي باس ان انتصر منه فقال المستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاتران وقال
عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم وقال عليه السلام سباب المومن فسوق وقتاله كفر وقال عليه السلام ملعون من سب والديه وفي رواية
من اكبر الكباير ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه قال يسب ابا غيره فيسب الاخر اباه الافة الثامنة اللعن اما لحيوان



او جماد او انسان وكل ذلك مذموم قال النبي عليه السلام المومن ليس بلعان وقال عليه السلام لا تلاعنوا بلعنة الله تعالى ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق
عليهم القول وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه في بعض اسفاره اذا امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال عليه السلام خذوا ما عليها واعروها فانها ردها
فانها ملعونة قال فكاني انظر الى تلك الناقة تمشي في الناس لا يعرض لها احد وقال ابو الدردا ما لعن الارض احد الا قالت لعن الله اعصانا لله وعن عايشة قالت سمعت رسول الله وان
ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا ابا بكر اللعانين والصديقين كلا ورب الكعبة اللعانين والصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلثا فاعتق ابو بكر يومئذ بعض رقيقه وجا الى
رسول الله وقال لا اعود وقال رسول الله صلى الله عليه ان اللعانين لا يكونون شفعا ولا شهدا يوم القيامة وقال انس كان رجل مع رسول الله على بعير فلعن بعيره فقال النبي عليه السلام يا عبد الله
لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جايز الا على من يتصف بصفة يبعده من الله تعالى وهو الكفر والظلم بان يقول
لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله تعالى بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول
الله عليه السلام اذا اطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلث الكفر والبدعة والفسق وللعن في كل واحد ثلث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والفسقة
والمبتدعة والثانية اللعن باوصاف اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض او على الزناة والظلمة واكلة الربا وكل ذلك جايز ولكن
في لعن اوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة وما لم يرد فيه لفظ ماثور ينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس
وفسادا الثالثة اللعن على الشخص وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك
فرعون لعنه الله وابو جهل لانه ثبت ان هولا ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر لانه
ربما يسلم فيموت مقربا عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد
فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله اي ثبته على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت الله تعالى الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سوال الكفر
وهو في نفسه كفر بل الجايز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك
اللعن خطر واذا عرفت هذا في حق الكافر فهو في زيد الفاسق او زيد المبتدع اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب على الاعيان الا من رسول الله فانه يجوز
ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول في دعايه اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من
لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عن ذلك اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بير معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شي او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظا
لمون يعني انهم ربما يسلمون فمن اين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر جازت لعنته وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجز كما روي ان رسول الله
سال ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطايف فقال هذا رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر
رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال رسول الله اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على
ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابنا للابا فكف الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه
فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يوتى به فقال عليه السلام لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك وهذا
يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جايز وعلى الجملة ففي لعن الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس مثلا فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز
لعن يزيد لكونه قاتل الحسين او امر به قلنا هذا لم يثبت فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا يجوز نسبة مسلم
الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا وقتل ابو لولوة عمر فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمى مسلم بكفر وفسق من غير تحقيق قال
عليه السلام لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال عليه السلام ما شهد رجل على رجل بالكفر الا با به احدهما
ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطيا لا
كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله انهاك ان تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات اشد وقال مسروق دخلت على عايشة فقالت ما فعل فلان
لعنه الله قلت توفي فقالت رحمه الله فقلت وكيف هذا قالت قال رسول الله لا تسبوا الاموات فانهم افضوا الى ما قدموا وقال عليه السلام لا تسبوا الاموات
فتوذوا الاحيا وقال عليه السلام ايها الناس احفظوني في اصحابي واخواني واصهاري ولا تسبوهم ايها الناس اذا مات الرجل فاذكروا منه خيرا قال

فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله او الآمر بقتله لعنه الله قلت يجوز على التفصيل بان يقال رحمه الله ان مات بعد التوبة ولعنه الله ان مات قبل التوبة
لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان الوحشي الذي قتل حمزة عم رسول الله قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة
لا تنتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان
بها والمؤمن ليس بلعان ولا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر او على الاجناس الموصوفين المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين والاشتغال
بذكر الله اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكي بن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت
فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عون انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان يخرج من صحيفتي
لا اله الا الله احب الي من ان يخرج لعن الله فلانا وقال رجل لرسول الله اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله تعالى الى الله عز وجل كل
طعان لعان وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد ان روى هذا لو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو
مثل ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان لا صحح الله جسمه
ولا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة الآفة السابعة الغناء والشعر
وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه لان يمتلئ
بطن احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلئ شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال اني اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم
عن شيء من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله تعالى خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مستكره وقال عليه السلام
ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد امر رسول الله بهجو الكفار والتوسع في المدح فانه وان كان كذبا فانه لا يلتحق بالتحريم
كالكذب كقول الشاعر ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله فان هذه عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان
كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته فقد انشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه ابيات لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع
منه قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه يخصف نعله وكنت اغزل فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت
قالت فنظر الي فقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا فلو رآك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره
فقال ما يقول يا عائشة ابو كبير الهذلي فقلت يقول ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل واذا نظرت الى اسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل
قالت فوضع رسول الله ما كان بيده وقام الي فقبل ما بين عيني وقال جزاك الله يا عائشة خيرا ما سررت مني كسروري منك ولما قسم عليه السلام الغنائم امر للعباس
بن مرداس باربع قلائص فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره وما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع
فقال عليه السلام اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له صلى الله عليه اتقول الشعر فجعل يعتذر ويقول
بابي انت وامي اني لاجد للشعر دبيبا على لساني كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم رسول الله صلى الله عليه وقال
لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين الآفة الثامنة المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله صلى الله عليه لا تمار
اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة فيها ايذاء لان فيها تكذيبا للاخ والصديق او تجهيله واما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيبة قلب فلم ينهى عنه فاعلم
ان المنهي عنه الافراط فيه او المداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموم واما الافراط فيه فانه
يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه
انه قال اني امزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر على ان يمزح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان
وقد قال عليه السلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال عمر من كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن
قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال رسول الله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال رجل لاخيه هل اتاك انك وارد
النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها فقال لا قال ففيم الضحك قال فما رئي ضاحكا حتى مات وقال يوسف بن اسباط اقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك

وقيل

وقيل ان عطاء السلمي لم يضحك اربعين سنة ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان
لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار
وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رايت في الجنة رجلا يبكي الست تتعجب من بكائه قيل بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ماذا يصير هو اعجب منه فهذه آفة
الضحك والمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول الله صلعم وقال القسم بن ابي معويه اقبل
اعرابي الى النبي عليه السلام على قلوص صعب فسلم فجعل كلما دنا الى النبي ليسأله نفر به وجعل اصحاب النبي عليه السلام يضحكون منه ففعل ذلك مرارا ثم وقصه فقتله
فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك قال نعم وافواهكم ملأى من دمه واما اداء المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر من مزح استخف
به وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي لا تمازح الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن العاص لابنه لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدنيء فيجترئ عليك
وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والمزاح فانها تورث الضغينة وتجر القبيحة تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من احاديث الرجال
وقال عمر بن الخطاب اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق وقال لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للنهى مقطعة للاصدقاء
فان قلت قد نقل المزاح عن رسول الله واصحابه فكيف ينهى عنه فاقول ان قدرت على ما قدر عليه وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا و
لا تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور مع الزنوج ابدا لينظر الى رقصهم ويتمسك بان رسول الله اذن لعائشة في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطأ اذ من
الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة عن بعض الصحابة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا
فقال واني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا وقال عطاء ان رجلا سأل ابن عباس فقال اكان رسول الله يمزح فقال ابن عباس نعم فقال الرجل فما كان مزاحه
فقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه كسى ذات يوم امراة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلا كذيل العروس وروى انس ان النبي صلعم
كان من افكه الناس وروى انه كثر التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى النبي فقال عليه السلام لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى
انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا وروى زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي عليه السلام فقالت ان زوجي يدعوك فقال
ومن هو الذي بعينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال عليه السلام ما من احد الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط
بالحدقة وجاءت امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال رسول الله احملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال عليه السلام وهل من بعير الا و
هو ابن بعير فكان يمزح بذلك وقال انس كان لابي طلحة ابن يقال له ابو عمير وكان رسول الله يأتيهم فيقول يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به وهو ولد العصفور
وقالت عائشة خرجت مع رسول الله صلى الله عليه في غزوة بدر فقال رسول الله تعالي حتى اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا
عليه فاستبقنا فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وذلك انه جاء يوما ونحن بذي المجاز وانا جارية قد بعثني ابي بشيء فقال اعطينيه فابيت وسعيت فسعى
على اثري فلم يدركني وقالت عائشة سابقني رسول الله فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك وقالت عائشة كان عندي رسول الله وسودة
فصنعت خزيرة وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلين او لالطخن وجهك فقالت ما انا بذائقته فاخذت شيئا من الصحفة فلطخت وجهها به
ورسول الله جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله ركبته لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله يضحك وروي ان الضحاك بن
سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه رسول الله قال ان عندي امرأتين احسن من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احداهما فتتزوجها وعائشة جالسة
تسمع فقيل ان تضرب الحجاب فقالت هي احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله من مسالة عائشة اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن ابي
سلمة ان رسول الله كان يدلع لسانه للحسن والحسين فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن لي الابن رجلا قد خرج وجهه وما قبلته
قط فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم واكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك من رسول الله معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال
عليه السلام لصهيب وبه رمد وهو ياكل تمرا اتاكل التمر وانت ارمد فقال انما اكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وقال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه
وروى ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي

الخزير دقيق الشعير يلبك بشحم

شروط قال فقضى رسول الله حاجته ثم طلع علي فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت فاستحييت قال وكنت بعد ذلك اتفرر منه كلما
رآني حياء منه حتى قدمت المدينة وبعدما قدمت المدينة حتى طلع علي يوما وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا
عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام فكنت اتفرر منه حتى لحقني وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال ابا عبد الله اما ترك
ذلك الجمل الشراد فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله تعالى وكان نعيمان
الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى النبي عليه السلام فيضربه بنعليه ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال عليه السلام
لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء بها الى النبي عليه السلام فيقول يا رسول الله هذا قد اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب
نعيمان بثمنه جاء به الى النبي وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول رسول الله او لم تهده لنا فيقول يا رسول الله والله لم يكن عندي ثمنه واحببت ان تأكله
فيضحك عليه السلام ويامر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب

الافة الحادية عشر السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستهانة
والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به
لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة حكيت انسانا فقال عليه السلام ما احب اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهذا اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب
وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك احدكم مما يفعل وقال عليه السلام ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب
من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه ثم يفتح له باب اخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل
ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما يأتيه وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار
الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما
يحرم في حق من يتأذى به فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح ان يسخر به كانت السخرية به من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وانما المحرم استصغار
يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بان يضحك على كلامه اذا تخبط فيه ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة وكالضحك على
خطه وعلى صنعته او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها

الافة الثانية عشر افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال صلى الله عليه اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي امانة وقال
عليه الصلاة والسلام الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك وروي ان معوية اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه
يا ابت ان امير المؤمنين اسر الي حديثا وما اراه يطوي عنك ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سرا كان الخيار اليه ومن افشاه كان الخيار عليه
قال فقلت يا ابت وان هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه قال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر قال فاتيت معوية فحدثته فقال يا وليد
اعتقك اخي من رق الخطأ فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولؤم اذا لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب اداب الصحبة فلا
نعيده

الافة الثالثة عشر الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال
الله تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وقال عليه السلام العدة عطية وقال الوأي مثل الدين او افضل والوأي الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام
فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فقيل انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه بل جاء بعد اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال
انه كان خطب الي ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق اشهدكم اني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن ابي الحمساء قال
بايعت النبي عليه السلام قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فاتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا هاهنا منذ ثلاث انتظرك
وقيل لابراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلاة التي تجيء وكان رسول الله صلى الله عليه اذا وعد وعدا قال عسى و
كان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان عند الوعد

عازما

عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق قال ابو هريرة قال النبي عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا
وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه اربع من كن فيه فهو منافق ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها
اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر فاما من عزم على الوفاء
فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه
معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي ان رسول الله كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتي بثلثة من السبي فاعطى اثنين وبقي واحد فاتت فاطمة بنت
رسول الله تطلبه منه وهي تقول الا ترى اثر الرحى بيدي فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لابي الهيثم فاثره به على فاطمة لما سبق
من موعده له مع انها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس
فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضائنة وراعيها قال هي لك وقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي
دلته على عظام يوسف كانت اكرم منك واجزل حكما حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة قال وكان الناس يضعفون ما احتكم
به حتى جعل مثلا فقيل اشح من صاحب الثمانين والراعي وقال عليه السلام ليس الخلف ان يعد الرجل ومن نيته ان يفي وفي لفظ اخر اذا وعد الرجل اخاه وفي
نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه

الافة الرابعة عشر الكذب في القول واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن اوسط سمعت
ابا بكر الصديق يخطب بعد وفاة رسول الله فقال قام فينا رسول الله مقامي هذا عام اول ثم بكى فقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار وقال ابو امامة
قال النبي عليه السلام ان الكذب باب من ابواب النفاق وقال الحسن كان يقال من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل
الذي بني النفاق عليه الكذب وقال عليه السلام كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك به مصدق وانت له كاذب وقال ابن مسعود قال النبي عليه السلام لا يزال
العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول
الاخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال عليه السلام الكذب ينقص الرزق وقال عليه السلام ان
التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس الله تعالى قد احل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال عليه السلام ثلثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم
المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال عليه السلام ما حلف حالف بالله تعالى فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى
يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه ثلثة يحبهم الله تعالى رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه وعلى اصحابه ورجل كان له
جار سوء يؤذيه فصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان مع قوم في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى
فصلى حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلثة يشنؤهم الله التاجر او البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال عليه السلام ويل للذي يحدث فيكذب
ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال رأيت كان رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والاخر جالس بيد القائم كلوب من حديد
يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الاخر فيمده فاذا مده رجع الاخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا قال هذا رجل
كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله بن جراد انه سأل النبي فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن
فقال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه فقال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله وقال ابو سعيد سمعت النبي عليه السلام يدعو ويقول اللهم طهر
قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال عليه السلام ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله
بن عامر جاء رسول الله الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطك فقال عليه السلام وما اردت ان تعطيه قالت تمرا فقال
اما انك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة وقال رسول الله لو افاء الله علي نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا وقال عليه السلام وكان متكئا الا
انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال النبي عليه السلام ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه
مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال النبي عليه السلام ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال النبي عليه السلام
تقبلوا الي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا

ايكم واحفظوا فروجكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا اما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم و
خطب عمر رضي الله عنه فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف
ويشهد ولم يستشهد وقال صلى الله عليه وسلم من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال عليه السلام من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم
بغير حق لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان وروي ان النبي عليه السلام رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال عليه السلام كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن
الا الخيانة والكذب وقالت عائشة ما كان من خلق اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما
ينحل من صدره حتى يعلم انه احدث لله عز وجل منها توبة وقال موسى عليه السلام يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال
لقمان عليه السلام يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال النبي عليه السلام في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا صدق
حديث وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال ابو بكر في خطبة بعد وفاة رسول الله قام فينا رسول الله مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال عليكم بالصدق
فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث واداء الامانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح
واما الاثار فقال علي رضي الله عنه اعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة وقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت
على ازاري وقال عمر احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة
وعن ميمون بن ابي شبيب قال جلست اكتب كتابا فاتيت على حرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت وعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت يثبت الله الذين امنوا
الاية وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني انما اتركه انفة وقيل لخالد بن صبيح ايسمى الكذاب بكذبة
واحدة هل يسمى كذابا قال نعم وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ما من خطيب الا عرضت خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه
بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شيء فقال له كذبت
فقال عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه بيان ما رخص فيه من الكذب اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل
درجاته ان يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون ماذونا فيه وربما
كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير من الصدق ارايت لو ان رجلا سعى خلف انسان بالسيف فدخل دارا فانتهى اليك فقال ارايت فلانا ما كنت قائله
الست تقول لم اره وما تصدق هذا الكذب واجب فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام
وان امكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجبة
فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود حرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلوب المجني عليه الا
بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان يحترز عنه ما امكن لانه اذا فتح باب الكذب فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على حد الضرورة فكان الكذب حراما
في الاصل الا لضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله يرخص في شيء من الكذب الا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح
والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا
وقالت اسماء بنت يزيد قال رسول الله كل الكذب يكتب على ابن ادم الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما وروي عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب رسول الله
كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ولقيت الاخر فقلت مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت
رسول الله فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو يعني بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح
عليك وروي ان ابن ابي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك احدوثة يكرهها فلما علم بذلك قام بعبد الله بن
الارقم حتى ادخله بيته فقال لامراته انشدك الله هل تبغضينني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك بالله قالت نعم فقال لابن الارقم اتسمع ثم انطلقا الى عمر فقال انكم لتحدثون
اني اظلم النساء واخلعهن فسل ابن الارقم فسأله فاخبره فارسل الى امراة ابن ابي عذرة فجاءت وعمتها فقال انت التي تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت
اني اول من تاب وراجع امر الله انه ناشدني فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المؤمنين قال نعم فاكذبي فان كانت احداكن لا تحب احدكم فلا تحدثه بذلك

قال اهل

٤٠

قال اهل البيوت التي تبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي اراكم تتهافتون
في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امراته
يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم او دفع عنه وقال علي كرم الله وجهه اذا حدثتكم عن رسول الله فلان اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه و
اذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به غرض مقصود صحيح له او لغيره اما ما له فمثل
ان ياخذه ظالم ويسأله عن ماله فله ان ينكره او ياخذه السلطان ويسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكر ويقول ما زنيت وما شربت وقال عليه السلام
من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى فللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه
وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسأل عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه ولو كانت
امراته لا تطيعه الا بوعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن
الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالاخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل
بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك
الميل الى الصدق اولى لان الكذب يباح لضرورة او حاجة مهمة فان شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد
ينبغي ان يحترز الانسان عن الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة بحق
الغير والاضرار به واكثر كذب الناس هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المراة لتحكي عن زوجها ما تفاخر به وتكذب
لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسماء سمعت امراة تسأل عن رسول الله قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لا يفعل اضارها بذلك فهل علي فيه شيء فقال
المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال عليه السلام من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا فتوى العالم
بما لا يحققه وروايته الحديث الذي ليس يتثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبي فان الصبي
اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد وتخويف كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب
بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح لقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح
فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا
ان يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه لما يؤدي الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي
وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطا محض اذ قال عليه السلام من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة اذ في الصدق مندوحة
عن الكذب فيما ورد من الايات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس من
الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا والكذب
على رسول الله من الكبائر التي لا يقاومها شيء بيان الحذر من الكذب بالمعاريض قد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب وقال عمر اما في
المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي ذلك عن ابن عباس وغيره وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن حاجة ولا ضرورة فلا
يجوز التعريض والتصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي
مذ فارقت الامير الا ما رفعني الله تعالى وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت ان تكذب فقل ان الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف
النفي عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ عاملا لعمر فلما رجع قالت له امراته ما جئت به مما ياتي به العمال من هدايا اهليهم ولم يكن جاءها بشيء فقال كان معي ضاغط
قالت كنت امينا عند رسول الله وابي بكر فبعث عمر معك ضاغطا وقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر فلما سمع عمر دعا معاذا وقال هل بعثت معك ضاغطا قال لم
اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيئا وقال ارضها به وقوله ضاغطا يريد به الله تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول
ارايت لو اشتريت لك ذلك فانه ربما لا يتفق له ذلك وكان ابراهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ههنا لئلا يكون كذبا

تشبيه رقيب يتعهد على العامل

وكان الشعبي اذا طلبه من يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعي اصبعك فيها وقولي ليس هاهنا وهذا كله في موضع الحاجة واما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا
يفهم الكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون
هذا كساكه امير المؤمنين فكنت اقول جزى الله امير المؤمنين خيرا فقال ابي يا بني اتق الكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم على ظن
كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل لا فائدة فيه نعم المعاريض مباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله عليه السلام لا يدخل الجنة عجوز وفي عين
زوجك بياض ونحملك على ولد البعير وما اشبهه فاما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الانصاري مع عثمان في قصة الضرير اذ قال له انه نعيمان وكما
يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بان امراة قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدي الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن له الا مطايبة فلا
يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة ايمانه قال رسول الله لا يستكمل المرء الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله
عليه السلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوي بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت
العادة به في المبالغة كقوله قلت لك كذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة فانه لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان
طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا ياثم وان لم يبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل
ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وادخلتها
على رسول الله ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب منه ثم ناوله عائشة فاستحيت الجارية فقلت لا تردي يد رسول الله
خذي منه قالت فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشيء تشتهيه
لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا فقال ان الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت
ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص فيقول فاين قول الطبيب وهو يقول لا تمس عينيك فاقول لا افعل
وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل لسانه عن اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة الى بني له فانكبت
عليه فقالت كيف انت يا بني فجلس الربيع فقال الضعيفة قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام
ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال رسول الله ان من اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى
غير ابيه او يري عينيه في المنام ما لم تر او يقول علي ما لم اقل وقال عليه السلام من كذب في حلمه كلف يوم القيامة ان يعقد بين شعيرتين الافة الخامسة عشر
الغيبة والنظر فيها طويل فنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة فقال ولا
يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله والغيبة تناول العرض وقد جمع الله بينه وبين الدم و
المال وقال صلى الله عليه لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قالا قال النبي عليه السلام اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا
ان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال انس قال رسول الله مررت ليلة اسري بي على اقوام يخمشون وجوههم باظفارهم
فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال سليم بن جابر اتيت رسول الله فقلت علمني خيرا ينفعني الله به فقال لا تحقرن من المعروف
شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستسقي وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابنه وقال البراء خطبنا رسول الله حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال
يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف
بيته واوحى الله تعالى الى موسى من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال انس امر رسول الله الناس بصوم
يوم وقال لا يفطرن احد حتى اذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فاذن لي لافطر فياذن له والرجل والرجل حتى
جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلك ظلتا صائمتين وانهما يستحيان ان ياتياك فاذن لهما فليفطرا فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم
تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان يستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم
فرجع الى النبي فاخبره فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما اعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله قد ماتتا او كادتا

ان تموتا فقال النبي عليه السلام ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحديهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملات القدح وقال للاخرى قيئي
فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما احل الله تعالى لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احديهما الى الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس وقال انس خطبنا
رسول الله فذكر الربا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلثين زنية يزنيها الرجل وان اربى الربا عرض الرجل المسلم
وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه في مسيرة فاتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال اما انهما يعذبان لا في كبيرة اما احدهما فكان يغتاب الناس واما الاخر فكان
لا يستنزه من البول ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرست على قبر فقال عليه السلام اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا
ولما رجم رسول الله صلى الله عليه الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر النبي عليه السلام وهما معه بجيفة فقال انهسا منها فقالا يا رسول الله ننهس
جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه وكانت الصحابة يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال
ابو هريرة من اكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الاخرة فقيل له كله ميتا كما اكلته حيا فياكله ويضج ويكلح ويروى ذلك مرفوعا كذلك ويروى ان رجلين كانا قاعدين
عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شيء فاقيمت الصلوة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في انفسهما ما قالا فاتيا عطاء
فسالاه فامرهما ان يعيدا الوضوء والصلوة وان كانا صائمين ان يقضيا صيام ذلك اليوم وعن مجاهد قال ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة
الذي ياكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر ان عذاب القبر ثلثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة وقال الحسن والله للغيبة اسرع في دين المؤمن
من الاكلة في الجسد وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان
تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وكان الحسن يقول ابن آدم انك لن تصيب حقيقة
الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله تعالى
من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى بن مريم والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا فقال عيسى ما اشد بياض اسنانه كانه نهاهم عن غيبة الكلب
ونبههم على انه لا يذكر من شيء من خلق الله الا احسنه وسمع علي بن الحسين رجلا يغتاب اخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال عمر اذكروا الله فانه شفاء
واياكم وذكر الناس فانه داء بيان معنى الغيبة وحدها اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه او في نسبه او في
خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته اما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع
ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه واما النسب بان تقول ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف او زبال او شيء مما يكرهه كيف ما كان واما الخلق
بان تقول سيء الخلق بخيل متكبر شديد الغضب مراء جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه واما في افعاله المتعلقة بالدين كقولك سارق وكذاب
وشارب خمر وخائن وظالم ومتهاون بالصلوة والزكوة ولا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز عن النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكوة موضعها ولا يحسن
قسمتها ولا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس واما فعله المتعلق بالدنيا كقولك انه قليل الادب متهاون بالناس ولا يرى لاحد حقا
على نفسه ويرى لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نؤوم وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه واما في ثوبه فبانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب
وقد قال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه به يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه امراة وكثرة صيامها وصلوتها
ولكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار وذكرت امراة اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذا وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام
بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه والدليل على اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب عاص لانه داخل
فيما ذكره رسول الله في حد الغيبة وكل هذا وان كنت صادقا فيه فانت به مغتاب عاص لربك واكل لحم اخيك بدليل ما روي ان النبي عليه السلام قال هل تدرون ما الغيبة
قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكرهه قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن
جبل ذكر رجل عند رسول الله فقالوا ما اعجزه فقال اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عائشة انها
ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال رسول الله اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلثة الغيبة والبهتان والافك وكل في كتاب الله فالغيبة ان تقول ما فيه والبهتان
ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين ابراهيم فقال النخعي ولم يقل

الاعور وقالت عائشة رضي الله عنها لا يغتابن احدكم احدا فاني قلت لامراة مرة وانا عند رسول الله ان هذه لطويلة الذيل فقال عليه السلام الفظي الفظي فلفظت بضعة
من لحم. بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه والتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول
والاشارة والايماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قول عائشة دخلت علينا امراة فلما ولت اومات
بيدي انها قصيرة فقال عليه السلام اغتبتها ومن ذلك المحاكاة كانه يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم ولما راى
رسول الله عائشة حاكت قال عليه السلام ما يسرني اني حاكيت انسانا ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في
الكتاب غيبة الا ان يقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي بيانه واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي او
ميت ومن الغيبة ان يقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رايناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه
جاز كان رسول الله صلى الله عليه اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا ولا يعين وقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم اذا كان معه
قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون
المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل
في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسال الله تعالى ان يعصمنا منها وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته
فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما نبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره وان يمدح
نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك
يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكائده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض
الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي الى المغتاب ويعلم ما يقوله فيذكر الله ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وباطله وهو يمن على الله تعالى بذكره جهلا منه
وغرورا وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسال الله تعالى ان يروح نفسه ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء له بل لو
قصد الدعاء لاخفاه في خلوة عقيب صلواته ولو كان يغتم به لاغتم بسبب اظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك
يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل
التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها وكانه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجبت ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الآن الا بالخير
وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله تعالى من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله المستمع
احد المغتابين وقد روي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه ليأكلا به الخبز فقال عليه السلام قد
ائتدمتما فقالا ما نعلمه فقال بلى انكما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل احدهما والآخر مستمعا وقال للرجلين اللذين قال احدهما اقعص الرجل
كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او
قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعله لزمه الاثم وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي في ذلك ان يشير
باليد اي اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال رسول الله من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره
فلم ينصره اذله الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق وقال ابو الدرداء قال النبي صلى الله عليه من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم
القيامة وقال ايضا من ذب عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب آداب الصحبة
وحقوق المسلمين فلا نطول باعادتها. بيان الاسباب الباعثة على الغيبة اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية تطرد في حق العامة
وثلاثة تختص باهل الدين والخاصة اما الثمانية فالاول ان يشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فانه اذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع
ان لم يكن ثم دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من
البواعث العظيمة على الغيبة الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر

وقطع المجلس

وقطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب
لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه
او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج
كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت الرابع ان ينسب الى شيء فيريد ان يتبرأ منه فيذكر
الذي فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله الخامس
ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه
اعلم منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال النعمة
عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه و
اكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق السابع اللعب
والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ومنشؤه التعجب والتكبر الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له
فان ذلك قد يجري في الحضور ويجري ايضا في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به واما الاسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها
شرور خباها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر الاول ان تنبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكر والخطأ في الدين
فيقول ما اعجب ما رايت من فلان فانه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في اظهار تعجبه فصار به مغتابا
من حيث لا يدري واثم ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل الثاني الرحمة
وهي ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا
فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان الى شر من حيث لا يدري والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه
وترحمه الثالث الغضب لله فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب
اذا كان لله عز وجل كان ذلك عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سياتي وروي
عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا لله تعالى فقال
اهل المجلس والله لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فادركه قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وحكى له ما قال
وساله ان يدعوه فدعاه وساله فقال قد قلت ذلك فقال صلى الله عليه لم تبغضه فقال انا جاره وانا به خابر والله ما رايته يصلي صلاة قط الا هذه المكتوبة قال
فسله يا رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها او اسات الوضوء لها او الركوع والسجود فيها فساله فقال لا فقال والله ما رايته يصوم شهرا قط الا هذا
الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل رآني قط افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا فساله فقال لا فقال والله ما رايته يعطي سائلا قط
ولا مسكينا ولا رايته ينفق من ماله شيئا في سبيل الخير الا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل رآني نقصت منها او ماكست
فيها طالبها الذي يسالها فساله فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك. بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة اعلم ان مساوي الاخلاق
كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة
والآخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها محبطة لحسناته وان يعلم انه يعطي
حسناته يوم القيامة الى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم يكن له حسنات نقل اليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله ومشبه عنده باكل
الميتة بل العبد يدخل النار بان تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وانما اقل الدرجات ان
ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في

حسنات العبد وروي ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي فمهما آمن العبد بما وردت به الاخبار
لم ينطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن
عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحيي من ان يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه وان كان ذلك عيبا
يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي الي
فاحسنه وان لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف
لعلم ان ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان
يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجة جملية واما التفصيل فهو ان ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع
سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو ان يقول ان امضيت غضبي عليه لعل الله تعالى يمضي غضبه علي بسبب
الغيبة اذ نهاني عنها فاستجرأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال عليه السلام ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله وقال عليه السلام من اتقى ربه
كل لسانه ولم يشف غيظه وقال عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله تعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في اي الحور شاء وفي بعض كتب الله تعالى يا ابن
آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق واما الموافقة فبان تعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضى المخلوقين فكيف ترضى
لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله تعالى ايضا
على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافحش الذنوب وهو الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الخيانة الى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف
ان التعرض لمقت الله اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم
وتهلك في الآخرة او تخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل ذم الله لك نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك كقولك ان اكلت الحرام
ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل
غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك ففي ذكرك غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين
على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعزى تردي نفسها من الجبل فهي ايضا تردي نفسها ولو كان لها لسان وصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس مني وقد اهلكت
نفسها فانا ايضا افعل كذلك لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك واما قصد المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح
في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت
ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق وهما ولو حصل لك من المخلوق اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا واما الغيبة للحسد فهي جمع بين عذابين لانك
حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك ايضا خاسرا في الآخرة لتجمع
بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه حسناتك فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك
او تنقل اليك سيئاته فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل واذا اراد الله نشر فضيلة طويت
اتاح لها لسان حسود واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في حسرتك وحيائك
وخجلتك وخزيك يوم يحمل سيئات من استهزأت به ويساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان تضحك منك فانك سخرت به
عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك يوم القيامة على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا
بنصرة الله تعالى اياه وتسليطه على الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما تنقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك
فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله لا يوجب الغيبة و
انما حبب الشيطان اليك الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير معرضا لغضب الله تعالى بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف اهلكت
دينك بدين غيرك او بدنياه فانت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر اخيك فاذا علاج ذلك كله المعرفة فقط والتحقق بهذه

الامور

الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة **بيان تحريم الغيبة بالقلب** اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم
عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما الخواطر
وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهي عنه ان يظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب وقد قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن
ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التأويل
فعند ذلك لا يمكنك ان لا تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفساق
وقد قال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فلا يجوز تصديق ابليس فان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق به لان
الفاسق يتصور ان يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك ان تصدق به حتى ان من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون تمضمض بالخمر
ومجه وما شربها او حمل عليها قهرا فكل ذلك دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها وقد قال عليه السلام ان الله حرم من المسلم دمه وماله وان يظن به
ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة او بينة عادلة فاذا لم يكن كذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها
ان حاله عندك مستور كما كان وان ما رأيته منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فاقول امارة عقد الظن ان
يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث
في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة
وفي الجوارح فبالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك وان المؤمن ينظر بنور الله
تعالى وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته فاما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت
به الكذب وذلك ايضا من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه وقد رد
الشرع شهادة الاب العدل للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك ان تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور حاله كان في ستر الله تعالى
عندي وكان امره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من امره وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن يكون من عادته التعرض للناس
وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق واذا كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في
امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا
يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا
وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستصغار وترتفع عليه بدالة الوعظ وليكن قصدك تخليصه
من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه لذلك من غير نصحك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت
قد جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس
وهو ايضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت ستر الله تعالى فيتوصل
الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك كان اسلم لقلبك ودينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حكم التجسس
وحقيقته فلا نعيده **بيان الاعذار المرخصة في الغيبة** اعلم ان المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع
ذلك اثم الغيبة وهي ستة امور الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان
يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به وقد قال عليه السلام ان لصاحب الحق مقالا وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه و
عقوبته الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روي ان عمر مر على عثمان وقيل على طلحة فسلم عليه فلم يرد فذهب الى ابي بكر
وذكر له ذلك فجاء ابو بكر اليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك قيل لعمر بن الخطاب ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب الآية فتاب ولم ير ذلك ممن قاله غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه

نحو غيبة وانما اباحه هذا القصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما الا ان يكون له مستفتيا كما تقول للمفتي قد ظلمني اخي او ابي او زوجتي فكيف
طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان تقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او اخوه او زوجته لكن التعيين مباح بهذا العذر لما روي عن هند انها قالت للنبي عليه السلام
ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وولدي افآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم
يزجرها اذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلمين من الشر فاذا رايت فقيها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان تتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته
وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة
على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب اخر فلك ان تذكر ذلك اذ في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر العبد والبايع
والمشتري احق بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير
لا على قصد الوقيعة وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب فان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله ان يصرح به قال رسول الله اترعون
عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس ان يكون الانسان
معروفا بلقب معرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول روى ابو الزناد عن الاعرج وسلمان عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك
لضرورة التعريف ولانه صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد عنه معدلا وامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى
ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص السادس ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة
الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف من ان يذكر له ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا اثم قال رسول الله من القى جلباب الحياء عن
وجهه فلا غيبة له وقال عمر بن الخطاب ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر به اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف
قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق والامام
الجائر فهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم قال عوف دخلت
على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله تعالى حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله تعالى غدا كان اصغر ذنب
اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج بيان كفارة الغيبة اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتاسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى
ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متاسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون
قد قارف معصية اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما احتج في ذلك بما روى انس بن مالك قال قال رسول الله كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال
مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن ابي رباح عن التوبة من الغيبة قال تمشي الى صاحبك وتقول له كذبت فيما قلت وظلمت
واسات فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ
وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي انه عليه السلام قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها منه من قبل
ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته وقالت عائشة لامراة قالت لاخرى
انها طويلة الذيل قد اغتبتها فاستحليها فاذا لا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسنات
فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد ويلازم ذلك حتى
يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة يوم القيامة وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل
من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله تعالى حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله تعالى ابدا فان قلت فما معنى قول رسول الله ينبغي
ان يستحلها وتحليل ما حرمه غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل
لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قول النبي ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق
بالعرض فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا اطلب مظلمتي في القيامة منه ولا اخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالا

ولا يسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء به فان رجع وخاصم كان قياس سائر الحقوق ان له ذلك بل صرح
الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الاخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا جثت الامم بين
يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له اجر على الله فلا يقوم الا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال تعالى خذ العفو وامر بالعرف الاية فقال رسول الله
يا جبريل ما هذا العفو فقال ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد روي عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه
طبقا من الرطب وقال بلغني انك اهديت الي حسناتك فاردت ان اكافئك عليها فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافئك على التمام الآفة السابعة
عشر النميمة وقد قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك ولد الزنا لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لم يكتم الحديث و
مشى بالنميمة دل على انه ولد الزنا استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة
الحطب قيل كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امراة لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح كانت تخبر انه مجنون
وقد قال عليه السلام لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة قال رسول الله ان احبكم الى الله احسنكم اخلاقا
الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات وقال عليه السلام الا
اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال ابو ذر قال رسول الله من اشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير
حق شانه الله بها في النار يوم القيامة وقال ابو الدرداء قال عليه السلام ايما رجل اشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله
ان يذيبه بها يوم القيامة في النار وقال ابو هريرة قال رسول الله من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن
ابن عمر عن رسول الله ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي [لا اسكن فيك] مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول
علي عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم لم يف به وروى كعب الاحبار انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما اجيب فاوحى الله اليه اني
لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا
ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي اتاك الله تعالى من العلم اخبرني عن السماء وما هو اثقل منها وعن الارض
وما هو اوسع منها وعن الحجر وما هو اقسى منه وعن النار وما هو احر منها وعن الزمهرير وما هو ابرد منه وعن البحر وما هو اغنى منه وعن اليتيم وما هو اذل منه
فقال له البهتان على البريء اثقل من السموات والحق اوسع من الارض والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد
من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم بيان حد النميمة وما يجب في ردها اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على
من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مخصوصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او
كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصا في المنقول عنه
او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم او
دفع لمعصية كما اذا راى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان
ما ينم به نقصا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة والباعث على النميمة اما ارادة السوء بالمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث
والخوض في الفضول وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا او فعل في حقك كذا او هو يدبر في افساد امرك او في ممالاة عدوك او تقبيح
حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال تعالى ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الاية والثاني
ان ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح له فعله قال تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر الثالث ان يبغضه في الله فانه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله
والرابع ان لا يظن باخيك الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم الخامس ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث
للتحقق لقوله تعالى ولا تجسسوا السادس ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا
وتكون قد اتيت ما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل عليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال له عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا كنت

من اهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ وان كنت صادقا كنت من اهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا
اعود اليه ابدا وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه فاخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطأت في الزيارة واتيتني بثلاث جنايات بغضت الي
اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة ويروى ان سليمن بن عبد الملك كان جالسا عند الزهري فجاءه رجل فقال له سليمن بلغني انك وقعت في
وقلت لي كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت وما قلت فقال سليمن ان الذي اخبرني صادق فقال الزهري له لا يكون النمام صادقا قال سليمن صدقت اذهب بسلام
وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر
والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن يسعى في قطع ما امر الله به ان يوصل قال الله تعالى ويقطعون ما امر الله
به ان يوصل الآية وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره والنمام
منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع قيل وما القاطع قال قاطع بين الناس وقيل هو النمام وقيل قاطع الرحم ويروى عن علي ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسأل
عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي اي
خصال المؤمن اوضع له قال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير
اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا اقطع
عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طبقة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى قبول السعاية
شرا من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء واخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقا لكان في
صدقه لئيما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال رسول الله الساعي بالناس
الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمن بن عبد الملك فاستأذن في الكلام وقال اني مكلمك يا امير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته
فان وراءه ما تحب ان قبلته قال قل قال يا امير المؤمنين قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم منهم
على ما ائتمنك الله تعالى عليه ولا تصغ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لم يألوا الامة خسفا والامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا اعلى قربهم
البغي والنميمة واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسؤول عما اجترموا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس
غبنا بائع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمن بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجل يقول فانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا
فخنت واما قلت قولا بلا علم فانت من الامر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري ما يزال يذكرك في قصصه
بشر فقال له عمرو يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي حين اعلمتني عن اخي ما اكره ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا و
القيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فوقع على ظهرها السعاية
قبيحة وان كانت صحيحة فالميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمن الحكيم لابنه يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت
بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وآمنهم من قبول ساع او سماع باغ يريد
افسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي
اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم
ينبغي ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك
لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات حتى اسحر عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت خليلا وتريد ان
تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تقتله فقام وقتلها فجاء اهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين وطال الامر الآفة
السابعة عشر كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال
رسول الله من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة قال رسول الله تجدون من شر الناس ذا الوجهين الذي ياتي هولاء بحديث وهولاء





بحديث هولاء وفي لفظ آخر الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله تعالى وقال مالك بن دينار قرأت
في التوراة بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال رسول الله ابغض خليقة الله تعالى الى الله يوم
القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا
الى الشيطان وامره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال الذي يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين
نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول الله مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر يموت رجل من اصحاب رسول الله
ولا تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم فقال نشدتك الله انا منهم ام لا قال اللهم لا ولا آمن منها احدا بعدك قال قلت فبماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد
ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة
ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرنا في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام واحد الى الآخر فهو
ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط فان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه
فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بان ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج
من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين ويثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه وقيل لابن عمر انا ندخل على
امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء
عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه وان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال
والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج
الى الامراء والى مراعاتهم ومراءاتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام
وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة استأذن رجل على رسول الله فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل الان له القول فلما خرج قلت يا رسول
الله قلت فيه ما قلت ثم النت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال وفي الكشر والتبسم فاما الثناء فهو كذب
صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح بمثله الكذب كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على
كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه الآفة الثامنة عشر المدح وهو منهي عنه في
بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات اربع في المادح واثنتان في الممدوح فاما المادح فهو
انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او احدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه الثانية
انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا
سبيل له الى الاطلاع عليه وروي ان رجلا مدح رجلا عند النبي فقال عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح ثم قال ان كان احدكم لا بد مادحا
اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة
كقوله انه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه اما اذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضي فان ذلك
خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنه سمع عمر رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته قال لا قال والله الذي لا اله الا
هو لا تعرفه الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا
لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه والظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه
يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال الحسن كان عمر جالسا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر
ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك يا امير المؤمنين قال ما لي ولك اما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك
منها شيء فاحببت ان اطاطئ منك الثانية هو انه اذا اثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه

منصوبا فاذا اطلقت الالسن بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال النبي قطعت عنق اخيك لو سمعها ما افلح وقال عليه السلام اذا مدحت اخاك في
وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثنا ولا مدحة الا تصاغرت
الي نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثنا عليه او مدحة الا ترايا له الشيطان ولكن المؤمن يراجع قال ابن المبارك لقد صدق كلاهما اما ما ذكره زياد
فذلك قلب العوام واما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال عليه السلام لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر
المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور او لان المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به
فان سلم المدح عن هذه الافات في حق المادح والممدوح لم يكن به باس وربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله على الصحابة فقال لو وزن
ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لعمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثنا يزيد على هذا ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم
ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر وقال رسول الله انا سيد ولد ادم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصده
الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله تعالى وبالقرب من الله عز وجل لا بكونه مقدما على ولد ادم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما
يفرح بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الافات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال عليه السلام وجبت لما اثنوا
على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني ادم جلساء من الملائكة فاذا ذكر اخاه بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره بشر قالت الملائكة ابن ادم المستور
عورته اربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه افات المدح واما الممدوح فعليه ان يكون شديد الاحتراز عن افة
الكبر والعجب وافة الفتور ولا ينجو منهما الا بان يعرف نفسه ويتامل في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وافات الاعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح
ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهية المدح باذلال المادح ولذلك قال عليه السلام احثوا
في وجوه المداحين التراب قال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثني على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هولاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال
اخر لما اثني عليه اللهم ان هذا عبدك يتقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي كرم الله وجهه لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تواخذني بما
يقولون واجعلني خيرا مما يظنون واثنى رجل على عمر فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على علي وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال علي انا دون ما تقول وفوق
ما في نفسك الافة الحادية عشرون الغفلة عن دقائق الخطا في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين ولا يقدر على تقويم
اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله ومثاله ما قال حذيفة قال النبي
لا يقل احدكم ما شا الله وشئت ولكن ليقل ما شا الله ثم شئت وذلك لان العطف المطلق يقتضي تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس
جا رجل الى رسول الله فكلمه في بعض الامر فقال ما شا الله وشئت فقال عليه السلام اجعلتني لله عدلا بل ما شا الله وحده وخطب رجل عند رسول الله فقال
من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابراهيم
يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم ان
يقول اللهم اعتقنا من النار وقالوا العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه
فقال حذيفة ان الله تعالى يغني المؤمنين عن شفاعة محمد ويكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم
القيامة حمارا رايتني خلقته خنزيرا رايتني خلقته وعن ابن عباس ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر قال عليه السلام ان الله ينهاكم
ان تحلفوا بابائكم وقال عمر والله ما حلفت بها منذ سمعتها وقال لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله لا يقولن
احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اما الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي وربتي ولكن سيدي وسيدتي
فكلكم عبيد والرب الله سبحانه وقال عليه السلام لا تقولوا للفاسق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال رسول الله من قال انا بري من الاسلام فان
كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من
افات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله عليه السلام من صمت نجا لان هذه الافات كلها معاطب ومهالك وهي على طريق المتكلم



فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فعساه يسلم
عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا يسلم عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين الافة العشرون سؤال
العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او حادثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القران الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب
والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل ولا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي
فهي اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القران والتسليم لما جاء به الرسل من
غير بحث وسوالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله تعالى ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسوال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو
موجب للعقوبة وكل من سال عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال رسول الله ذروني ما تركتكم فانما هلك من
كان قبلكم بسوالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وقال انس سال الناس رسول الله يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد
المنبر فقال سلوني فلا تسالوني عن شي الا اخبرتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال ابوك حذافة فقام اليه اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال
ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله افي الجنة انا ام في النار فقال لا بل في النار فلما راى الناس غضب رسول الله امسكوا فقام عمر فقال رضينا
بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا فقال اجلس يرحمك الله اما علمت لموفق وفي الحديث نهى رسول الله عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السوال وقال
عليه السلام يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد حتى يختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ
بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت اية التلاعن الا لكثرة السوال وفي قصة موسى والخضر ما ينبه على المنع من السوال قبل اوان الاستحقاق اذ قال فان اتبعتني
فلا تسالني عن شي حتى احدث لك منه ذكرا فلما سال عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تواخذني بما نسيت فلما لم يصبر حتى سال ثلثا قال هذا فراق بيني وبينك
وفارقه فسوال العوام عن غوامض الدين من اعظم الافات وهو من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف القران يضاهي اشتغال من
كتب اليه الملك كتابا رسم فيه امورا فلم يشتغل بشي منها وضيع زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق ام حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذا تضييع العامي
حدود القران واشتغاله بحروفه اهي قديمة او حادثة وكذا سائر صفات الله تعالى والله اعلم بالصواب

## كتاب ذم الغضب والحقد والحسد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته الا الراجون ولا يحذر سوء غضبه وسطوته الا الخائفون الذي استدرج
عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر
كيف يعملون وامتحن بهم حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون وعرفهم انه لا يخفى عليه شي مما يسرون وما يعلنون وحذرهم ان ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال تعالى ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والصلوة على محمد صلى الله عليه رسوله الذي يسير تحت لوائه المتقون وعلى اله واصحابه
خير الائمة المهديين والسادة المرضيين صلوة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله تعالى وما سيكون ويحظى ببركتها الاولون والاخرون وسلم تسليما كثيرا اما
بعد فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر
الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد
قويت فيه قرابة الشيطان الرجيم حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شان الطين السكون والوقار وشان النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطراب والاستعار ومن [illegible] ما في بطونهم
ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومغيضهما مضغة اذا صلحت صلح معها سائر الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق
العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه عن القلب ان كان وينفيه ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر
يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وافات الحسد والحقد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب
ثم بيان حقيقة الغضب واسبابه ثم بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم
بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتايجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول
في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب

وطلبه في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به يعالج مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

## بيان ذم الغضب

قال الله تعالى إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنعم عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل أدخل به الجنة قال عليه السلام لا تغضب ثم أعاد عليه مرارا كل ذلك يرجع إليه أن لا تغضب وعن عبد الله بن عمر قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم ماذا يبعدني من غضب الله قال أن لا تغضب قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال أبو هريرة قال النبي عليه السلام ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله سيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال أبو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى لا تغضب قال يا أخي لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر قال لا تقتن مالا قال هذا عسى أن يكون وقال عليه السلام الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل وقال عليه السلام ما غضب أحد إلا أشفى على جهنم وقال له رجل أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب

## الآثار

قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك أن تثب وثبة فتقع في النار وعن ذي القرنين أنه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما أزداد به إيمانا ويقينا قال لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومعته فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يجبه فقال افتح فإني إن ذهبت ندمت فلم يلتفت إليه فقال إني أنا المسيح قال الراهب إن كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله منك فقال إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجئتك لتسألني عما شئت فأخبرك قال ما أريد أن أسألك عن شيء قال فولى مدبرا فقال الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم قال الحدة إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول وكيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحمق جوابه وقال مجاهد قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما أملك فلانا لنفسه قال إذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم إياك والغضب فإنه يصيرك إلى ذل الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل وقال ابن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه إذا لم يغضب وما علمك بأمانته إذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فأطرق عمر طويلا ثم قال أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا لا والله لا كان ذلك إلا أن ذهب وسكت عنك وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة فأقل الناس غضبا أعقلهم فإن كان للدنيا كان دهاء ومكرا وإن كان للآخرة كان علما وحلما وقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر إذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب وقال بعضهم من أطاع غضبه وشهوته قاداه إلى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة وإحسان في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر إذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لابن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه من تكفل لي أن لا يغضب يكون معي في درجتي في الجنة ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليهم فقال الشاب أنا ووفى به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لأنه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر أربعة أركان الغضب والشهوة والخرق والطمع

## بيان حقيقة الغضب

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم سماه في كتابه أما السبب الداخل فهو أنه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الرطوبة والحرارة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان فخلق الله تعالى الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب وأما الأسباب الخارجة التي يتعرض لها الإنسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر إلى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الغضب من النار وغرزه في الإنسان وعجنه بطينته فمهما قصد في غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع إلى أعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فإن صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وإن كان على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط والإفراط والاعتدال أما التفريط فبفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه إنه لا حمية له ولذلك قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فمن فقد قوة الحمية والغضب أصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله الصحابة بالشدة والحمية فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب وأما الإفراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية فرب إنسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار كما قال عليه السلام وبرودة المزاج تطفئه وتكسر سورته وأما الأسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذي لا أصبر على المحال ولا أحتمل من أحد أمرا ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فإذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا وإن استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فإن معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان إلى الدماغ مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى إلى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه شيئا وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحى أو انطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي أن يصبر إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فيتشقق وتنهد أعاليه على أسافله وذلك لإبطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لأجزائه فهكذا حال القلب مع الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظا إذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذ أعماه الغضب وأصمه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه أقبح من قبح ظاهره فإن الظاهر عنوان الباطن وإنما قبحت صورة الباطن أولا ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالمثمرة فهذا أثره في الجسد وأما أثره على اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبيح الكلام الذي يستحيي منه ذوو العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فإن هرب منه المغضوب عليه أو فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الأرض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير

وربما سقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيكسر القصعة مثلا والصحاف
والمائدة ويتعاطى أفعال المجانين ويشتم البهائم والجمادات ويخاطبها ويقول إلى متى منك يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى إنه ربما رفسته دابة فيرفس
الدابة ويقابلها بذلك وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة بالمساءة والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السر
وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة و
الأمة واحتمال الذل من الأخساء وصغر النفس والقماءة وهو أيضا مذموم إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهي خنوثة قال عليه السلام إن سعدا لغيور وإنا
أغير من سعد والله أغير مني وإنما جعلت الغيرة لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت
الصيانة في نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكر وقد قال عليه السلام خير أمتي أحداؤها يعني في الدين وقد قال تعالى لا تأخذكم بهما رأفة في
دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه إذ لا تتم الرياضة إلا بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم
وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده
وهو الوسط الذي وصفه رسول الله حيث قال خير الأمور أوساطها فمن مال غضبه إلى الفتور حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور واقتحام
الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أدق من الشعر وأحد من السيف فإن
عجز عنه فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل الآية فليس كل من عجز عن الإتيان بالخير كله ينبغي أن
يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة
أم لا اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا أن الرياضة إليه تتوجه وإياه تقصد وظن آخرون أنه أصلا لا يقبل العلاج وهو رأي من ظن
أن الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقي الإنسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب
وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد وأن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فإنه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة وإن قصد بالمكروه غضب لا محالة
إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام أما الأول فهو ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه
بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي هو لعطشه
فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان عن كراهة زوالها وعن غيظ على من يتعرض لها القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير
والغلمان والدواب فإن هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكنزان ويغضب
على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الإنسان عن أصل الغيظ عليه فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها
ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على قدر الحاجة فلا يغضب بأخذها فإنه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها
لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه
فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالي لو جلس في صف النعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة
هي التي أكثرت محاب الناس ومكارههم فأكثرت غضبهم وكلما كانت الإرادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص لأن الحاجة صفة نقص
فمهما كثرت الحاجة كثر النقص والجاهل أبدا جهده في أن يزيد حاجاته وشهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات
الرديئة ومخالطة قرناء السوء إلى أن يغضب لو قيل له إنه لا يحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا يقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري
مجراه من هذه الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض
كالكتاب مثلا للعالم فإنه يضطر إليه فيحبه فيغضب على من يحرقه أو يغرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل إلى
القوت إلا بها فإن ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله عليه السلام
بقوله من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الأمور وسلم له هذه الأمور الثلث

يتصور

يتصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها أما القسم الأول فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب
ولكن لكي يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة
حتى يصير الاحتمال والحلم خلقا له راسخا فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان
الغضب في الباطن وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث لأن ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه
من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه وأما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة
إلى الانفكاك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها
قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن قلبه ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لم يغضب إذا ضربه غيره فالغضب تبع
الحب فالرياضة في هذا تنتهي إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي إلى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون فإن قلت الضروري من
القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على أحد وإن كان يحصل به كراهية وليس من ضرورة
كل كراهية غضب فإن الإنسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها من الله فلا يغضب
على أحد من خلقه إذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم ولا يغضب على من يذبح شاته التي
هي قوته كما لا يغضب على موتها إذ يرى الموت والذبح من الله تعالى فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى
الكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام فنقول
الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف تغلب في أحوال مختطفة ولا تدوم ويرجع القلب
إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله وإنه كان يغضب حتى
تحمر وجنتاه حتى قال اللهم إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك
يوم القيامة قال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله أكتب عنك ما قلت في الغضب والرضى فقال عليه السلام اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا الحق
وأشار إلى لسانه فلم يقل صلى الله عليه إني لا أغضب ولكن قال عليه السلام إن الغضب لا يخرجني عن الحق أي لا أعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة مرة فقال لها
ما لك جاءك شيطانك فقالت وما لك شيطان قال عليه السلام بلى ولكن دعوت الله تعالى فأعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بالخير ولم يقل عليه السلام لا شيطان
لي وأراد شيطان الغضب لكن قال عليه السلام لا يحملني على الشر وقال علي كرم الله وجهه كان رسول الله لا يغضب للدنيا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم
لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته
وما لا بد له في دينه فإنما يغضب لله تعالى فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد أصل الغيظ فيما هو ضروري إذا كان القلب مشغولا بضروري أهم منه
فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فإن استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الإحساس بما عداه وهذا كما أن سلمان لما شتم قال إن خفت
موازيني فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال
يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعتها لم يضرني ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول وسب رجل أبا بكر فقال ما ستر الله
عنك أكثر فكأنه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى النقصان إذ كان ينظر إلى نفسه
بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكأنه كان مشغولا بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء وكان منكرا
على نفسه ما يلقيه إليه الشيطان فلم يغضب لما نسب إليه وسب رجل الشعبي فقال إن كنت صادقا فغفر الله لي وإن كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الأقاويل
دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون قد أثر ذلك في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الغالب
على قلوبهم فإذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فإذا يتصور فقد الغيظ إما باشتغال القلب بمهم أو بغلبة
نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن طريق الخلاص

من بات الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب المراياة عن القلب تخلص من
اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه بيان الاسباب المهيجة للغضب قد عرفت ان علاج
كل علة بحسم مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال
فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى عليه السلام الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والتعيير والمما راة
والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب
فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك
من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب اب واحد وانما اختلفوا في الفضل اشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والكبر اكبر الرذائل
وهي راسها واصلها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة واما
المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفت ذلك واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة
والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الآخرة واما الهمز فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزأ بك واما التعيير فبالحذر عن
القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل
الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات تفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر
عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت ايضا
عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث للغضب عند الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى
تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب الى القلب بسببه
وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآيته ان اضعف الناس ان المريض اسرع غضبا من الصحيح
والمراة اسرع غضبا من الرجل وكذلك الصبي والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضيلة فالرذل
يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى يغضب على اهله وولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال عليه السلام ليس الشديد بالصرعة انما
الشديد من يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بان تتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء و
العلماء والحكماء واكابر الملوك والفضلاء وضد ذلك منقول عن الاراذل من الاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء والذين لا عقل لهم ولا فضل بيان علاج الغضب
بعد هيجانه اعلم ان ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه
المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو ستة امور الاول ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ و
العفو والحلم فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفي عنه غيظه قال مالك بن اوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وامر بضربه
فقلت يا امير المؤمنين خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان عمر يرددها ويقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
وكان يتامل الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فخلى الرجل وامر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرا والكاظمين الغيظ وقال
لغلامه خل عنه الثاني ان يخوف نفسه بعقاب الله تعالى وهو ان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم آمن
ان يمضي الله تعالى غضبه علي يوم القيامة احوج ما اكون الى العفو وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا
امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك ضربا اي القصاص في القيامة وقيل
ما كان في بني اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة فيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقراها حتى يسكن غضبه
الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه
بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من اعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه

العاجلة

العاجلة بل يقدم بعضها على بعض الا ان يكون محذوره ان يتشوش عليه في الدنيا فراغه للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه الرابع ان
يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره في حال الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة به
الحليم الهادي التارك للغضب للانبياء والاولياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين ان يتشبه بالكلاب والسباع واراذل الناس وبين ان يتشبه بالانبياء
والعلماء والصالحين في عادتهم لتميل نفسه الى حب الاقتداء بهؤلاء الكبراء والاقتداء بهم ان كان قد بقي معه مسكة من عقل الخامس ان يتفكر في السبب الذي يدعوه
الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا
في اعين الناس فليقل لنفسه ما اعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك
وانت تحذرين من ان تصغري في اعين الناس ولا تحذرين من ان تصغري عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغي
ان يكظم لله تعالى ولعظمته عز وجل وحده له فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة اشد من ذله لو انتقم الآن افلا يحب ان يكون هو القائم يوم القيامة
ليقم من اجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا وامثاله من معارف الايمان ينبغي ان يكرره على قلبه السادس ان يعلم ان غضبه من تعجبه من
جريان الشيء على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله تعالى ويوشك ان يكون غضب الله تعالى عليه اعظم من غضبه
واما العمل فان يقول بلسانه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله ان يقال عند الغيظ وكان عليه السلام اذا غضبت عائشة اخذ
بانفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن فيستحب ان يقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس
ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالاضطجاع والجلوس السكون فان سبب الغضب
الحرارة وسبب الحرارة الحركة وقد قال عليه السلام ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا
فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل بذلك فليتوضأ بالماء البارد او ليغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء وقد قال عليه السلام اذا غضب
احدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ و
قال ابن عباس قال النبي عليه السلام اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة كان النبي عليه السلام اذا غضب وهو قائم جلس فاذا غضب وهو جالس اضطجع فذهب غضبه
وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله الا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض ص
وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع وهو التراب ليستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب
الغضب وروي ان عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن
قال لي ابي اوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما وروي ان ابا ذر قال لرجل في خصومة بينهما يا
ابن الحمراء فبلغ ذلك رسول الله فقال يا ابا ذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه فقال نعم فخرج ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول
الله فقال عليه السلام يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما
فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف واعطى كل
صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد
غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطي
الثانية وفيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء فذهب غضبه فاعطي الثالثة وفيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذلك اي لا تعطل الحدود و
غضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله فضيلة كظم الغيظ قال الله تعالى والكاظمين الغيظ
ذكر ذلك في معرض المدح وقال عليه السلام من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال عليه السلام
اشدكم من ملك نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا عند القدرة وقال عليه السلام من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله تعالى قلبه يوم القيامة رضى
وفي رواية ملأ الله تعالى قلبه امنا وايمانا وقال ابن عمر قال رسول الله ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى وقال ابن عباس س

قال رسول الله صلى الله عليه ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال عليه السلام ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها
عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله جوفه نورا او قلبه ايمانا وقال عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله تعالى على رؤوس الخلائق ويخيره في اي الحور
شاء الاثار قال عمر من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله تعالى لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك
بالمسالة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل فتذاكروا
الزهد فاجمعوا ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه
فقال له رجل يا امير المؤمنين الم تسمع ان الله تعالى يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما كانت نارا فاطفئت وقال
محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله تعالى اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل
الى سلمان فقال له يا عبد الله اوصني قال لا تغضب قال لا اقدر قال ان غضبت فامسك لسانك ويدك فضيلة الحلم اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان
كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار
اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل لكن
ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا وقال عليه السلام انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه
التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال ابو هريرة قال رسول الله اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم ولينوا لمن تعلمون ولمن
تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا الى ان التكبر والتجبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعائه اللهم اغنني
بالعلم وزيني بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال ابو هريرة قال عليه السلام ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله فقال عليه السلام تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال عليه السلام خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي كرم الله وجهه قال عليه السلام
ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة
اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي واحلم عنهم فقال عليه السلام ان كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال من الله معك ظهير ما دمت
على ذلك المل يعني الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فاوحى الله تعالى الى النبي عليه السلام
اني قد غفرت له بذلك وقال عليه السلام ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم يا رسول الله قال كان رجل فيمن كان قبلكم اذا اصبح يقول اللهم اني قد تصدقت
اليوم بعرضي على من ظلمني وقيل في تفسير قوله تعالى ربانيين اي حلماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل
عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن ابي رباح يمشون على الارض هونا اي حلما وقال ابن ابي حبيب في قوله تعالى وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد
في قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله اصبح ابن مسعود وامسى كريما
ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي عليه السلام اللهم لا يدركني ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العليم
ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وقال عليه السلام ليليني منكم ذوو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا
فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروي انه وفد على النبي الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين
حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله يرى ما يصنع ثم اقبل يمشي الى رسول الله فقال عليه السلام ان فيك خلقين يحبهما الله تعالى قال ما هما بابي وامي يا رسول الله
فقال عليه السلام الحلم والاناة قال خلتان تخلقتهما او خلتان جبلتهما فقال عليه السلام خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله
وقال عليه السلام ان الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذيء السائل الملحف وقال ابن عباس قال رسول الله ثلاث من لم تكن فيه واحدة
منهن فلا تعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال عليه السلام اذا جمع الخلائق يوم القيامة نادى
مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون
ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين الاثار

قال عمر



قال عمر تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال علي ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس
بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله تعالى واذا اسات استغفرت وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم بن صيفي دعامة العقل الحلم و
جماع الامر الصبر وقال ابو الدرداء ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال
تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي ان اول عوض الحليم من حلمه ان الناس كلهم انصاره على الجاهل وقال معاوية لا يبلغ العبد مبلغ الراي
حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معاوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي الرجال اسخى
قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان
كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وقال رجل سمعت عليه من اهل البصرة بحلم فاستعبدني رقابا وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال
يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحى وقال رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد انك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك وروي عن
علي بن الحسين انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعد من الله
وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير وقال معاوية لعرابة بن اوس بم سدت قومك يا عرابة فقال يا امير المؤمنين
كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر
بن محمد انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر واني اريد ان اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد كان
يقال من اساء فاحسن اليك فقد جعل لك حاجزا من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم و
من يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر ياثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية
الله يحفظ ومن يحذر الله يامن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسال الله يفتقر ومن يامن مكر الله يخذل ومن يستعن بالله ولا يستعن بغيره يظفر وقال رجل لمالك
بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء فقال انت اذا اكرم علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك اهديت لك حسناتي وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله تعالى
يسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لاسبنك سبا يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لا معي ومر عيسى عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال
لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال عليه السلام كل واحد ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا تعرف الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب
ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخاك الا عند حاجتك اليه ودخل على حكيم صديق له فقدم اليه الطعام فخرجت امراة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت
المائدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال تذكر يوما كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فافسدت ما عليها
فلم يغضب احد منا فقال نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسري عنه وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل الم وضرب رجل قدم حليم فاوجعه
فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت به فوقعت عن بحث الغضب وقال محمود الوراق سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب وان كثرت منه علي الجرائم
وما الناس الا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم فاما الذي فوقي فاعرف قدره واتبع فيه الحق والحق لازم واما الذي دوني فان قال صنت عن اجابته عرضي وان لام لائم
واما الذي مثلي فان زل او هفا تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا
يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذا سائر المعاصي وانما القصاص والغرامة على
ما ورد الشرع به وفصلناه في الفقه واما السب فلا يقابل بمثله لقوله عليه السلام ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان
يتهاتران وشتم رجل ابا بكر وهو ساكت فلما ابتدا ينتصر منه قام رسول الله فقال يا رسول الله انك كنت جالسا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال عليه السلام
ان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه وانما نهي عن التعيير بمثله
نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي والذي يرخص فيه ان يقول من انت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بني هذيل
فقال ابن مسعود وهل انت الا من بني امية ومثل قوله يا احمق وقال مطرف ابن عبد الله كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حمقا من
بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله

ما سيء الخلق ما ضيق الرحمة ثلاث لمن له عرض وكان ذلك عيبه وكذلك قوله لو كان فيك خير ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت وجزاك الله وما
استحق منك فهذا النميمة والكذب والغيبة وسب الوالدين حرام بالاتفاق لما روي انه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند
سعد فقال سعد مه يا رجل ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام
ولا هو مثل الحرام كالنسبة الى الزنا والسب والفحش ما روت عائشة رضي الله عنها ان ازواج رسول الله ارسلن فاطمة رضي الله عنها فجاءت فقالت يا رسول الله ارسلني ازواجك جل
يسالنك العدل في ابنة ابي قحافة والنبي عليه السلام نائم فقال يا بنية اتحبين ما احب قالت نعم قال عليه السلام فاحبي هذه فرجعت اليهن فاخبرتهن فقلن ما
ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي تساميني في الحب فجاءت فقالت بنت ابي بكر وبنت ابي بكر فما زالت تذكرني وانا ساكتة انتظر
ان ياذن لي رسول الله فاذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال عليه السلام كلا انها ابنة ابي بكر يعني انك لا تقاوميها في الكلام وقولها سببتها ليس المراد
به الفحش من الكلام بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق مثل قولها انا بنت ابي بكر وما لعرابنت جحش وما لهذا ونحو ذلك مما يشبه هذا
الكلام وقال النبي المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه اولئك وهو رخصة
في الايذاء جزاء على ايذائه السابق باللسان ولا يبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الفضل تركه فانه يجر الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على قدر الحق فيه و
السكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فور الغضب ولكن يعود سريعا
ومنهم من يكف في الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء
الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا اشرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع
الرضى فهذه بتلك وقال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله الا ان بني ادم
خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء
وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب في الحال يهيج ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب
ولانه يكون متشفيا غيظه ومريحا نفسه فيكون صاحب حظ فينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه ورأى عمر سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه
السكران فرجع عمر فقيل له يا امير المؤمنين لما شتمك تركته قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان لغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز
لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى
الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال عليه السلام المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة
الغضب والحقد يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به و
هذا من فعل المنافقين وسياتي ذمه والثاني ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء الثالث ان تهجره وتصارمه و
تنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك
ستر ونحوه السادس ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه السابع ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او
رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الافات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله تعالى به ولكن تستثقله بالباطن ولا تنهى
قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له او بترك الدعاء
له او الثناء عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب و
لما حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه لانه تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا ياتل اولو الفضل منكم الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم الآية
فقال ابو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك
مقام الصديقين وهو من فضائل اعمال المقربين فللمحقود عليه ثلاثة احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ولا نقصان
وهو العدل والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالث ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو

احساد

اختيار الصديقين والاول منتهى درجة الصالحين ولنذكر الان فضيلة العفو والاحسان فضيلة العفو اعلم ان معنى العفو ان يستحق
حقا فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه وقد قال تعالى خذ العفو وامر بالعرف الآية وقال تعالى وان تعفوا
اقرب للتقوى وقال رسول الله ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله تعالى
الا زاده الله تعالى بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل باب مسالة الا فتح الله عليه باب فقر وقال عليه السلام التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا
يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة ما رايت رسول الله منتصرا
من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك حرمة من محارم الله تعالى فاذا انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما مما
ما لم يكن اثما وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال عليه السلام الا اخبرك بافضل اخلاق اهل
الدنيا والاخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال عليه السلام قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا وكذلك
سئل ابو الدرداء عن اعز الناس قال الذي اذا قدر عفا فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي يشكو مظلمة فامره النبي ان يجلس واراد ان ياخذ له مظلمته
فقال عليه السلام ان المظلومين هم المفلحون يوم القيامة وابى ان ياخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة قال رسول الله من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس قال
قال رسول الله اذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ابي هريرة س
ان رسول الله لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال عليه السلام ما تقولون وما تظنون فقالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم
قالوا ذلك ثلاثا فقال عليه السلام اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وقال
سهيل بن عمرو لما قدم رسول الله مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب
وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال عليه السلام اقول كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين وعن انس قال قال رسول الله اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قال
من ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا وكذا الفا فدخلوها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله لا ينبغي لوالي امر ان يؤتى بحد
الا اقامه والله تعالى عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا الآية وقال جابر قال رسول الله ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة
شاء وزوج من الحور العين من شاء من عفا عن قاتله وقرا في دبر كل صلاة قل هو الله احد عشر مرات وادى دينا خفيا فقال ابو بكر او احداهن يا رسول
الله قال او احداهن الا شك فيه وقال ابراهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم
وانه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا
ظلمه ووقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى مظلمتك كما هي خير لك واجبت عليك ولم تشفها اخرتها الى يوم القيامة فليسعها عفوك وقال مسلم بن يسار لرجل
دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن ان لا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر قال بلغنا ان الله عز وجل يامر
مناديا يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم اهل العفو فيكافئهم الله تعالى بما كان من عفوهم عن الناس وقال هشام بن محمد اتي النعمان
بن المنذر برجلين احدهما قد اذنب ذنبا عظيما فعفا عنه والاخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب بفضلها ولقد تعاقب في اليسير
وليس ذاك لجهلها الا ليعرف حلمها ويخاف شدة بطشها وعن مبارك بن فضالة قال اوفد سوار بن عبد الله وفدا من اهل البصرة الى جعفر وكنت فيهم اذ
اتي برجل فامر بقتله فقلت في نفسي يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير المؤمنين الا احدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا
كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فيقول من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا ل
فقال والله لسمعته من الحسن فقلت والله لسمعته من الحسن فقال خلينا عنه وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح
والافضال وروي ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا القرنين اكان نبيا فقال لا ولكنه انما اعطي ما اعطي بالخصال
كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد وقيل ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم
قدر فعفا وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم

ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها افتجادل الله تعالى ولا تكلم عندك كلاما فقال هشام بلى ويحك فتكلم
وروي ان سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه انه من اعدائنا فقال بل استروا عليه لعل الله يستر علينا يوم القيامة وجلس ابن مسعود في السوق
يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون على من اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان الذي اخذها
فقال عبد الله ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراة على الذنب فاجعله اخر ذنوبه وقال الفضيل ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان
جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكني مثلتني واياه بين يدي الله فاشرف عقلي على
ادحاض حجته فبكائي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب ليلا وهو على البصرة امير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه على الحكم فما كنا معه الا
بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس
ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به اداله منهم ورفع ذكره واعلى كلمته وجعله على خزائن الارض فماذا صنع حين اكمل له امره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه قال الحكم وانا اقول لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ولو لم اجد الا ثوبي هذا لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الى
صديق له يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتي عبد
الملك بن مروان باسارى ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى قال ان الله تعالى قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم
وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ اخا له فقال له ان جئت باخيك والا ضربت عنقك قال ارايت ان جئتك بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي
قال نعم قال انا اتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين ابراهيم وموسى عليهما السلام ثم تلا ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر
وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان
فضيلة الرفق اعلم ان الرفق
محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها
شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة
وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة انه من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من خير الدنيا والاخرة
ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والاخرة وقال عليه السلام اذا احب الله تعالى اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال عليه السلام ان الله تعالى ليعطي على الرفق ما لا يعطي
على الخرق واذا احب الله تعالى عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا قد حرموا وقال عليه السلام ان الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال
عليه السلام يا عائشة ارفقي فان الله تعالى اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال عليه السلام من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال عليه السلام ايما وال ولي فرفق ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة وقال عليه السلام تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال عليه السلام الرفق
يمن والخرق شؤم وقال عليه السلام التأني من الله والعجلة من الشيطان وروي ان رجلا جاء الى النبي فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير
فقال الحمد لله الحمد لله مرتين او ثلاثا ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوص هل انت مستوص مرتين او ثلاثا قال نعم قال عليه السلام اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان
رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته عنه وعن عائشة انها كانت مع رسول الله في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله يا عائشة عليك
بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه
بلغ عمر ان جماعة اشتكوا من عماله فامرهم ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله تعالى
واثنى عليه ثم قال ايها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ايها الرعاة ان للرعية عليكم حقا واعلموا انه لا حلم احب الى الله تعالى
ولا اعم من حلم امام ورفقه وليس جهل ابغض الى الله ولا اعم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من ياخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه وقال
وهب بن منبه الرفق ثنى الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين اخوه والصبر امير جنوده
وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص
لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون ذا اناة وتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناوأة من يقدر على ضررك وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق
قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه اشارة الى انه لا بد من
مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر
الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى الحدة والعنف اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق اكثر ولذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون



العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد هكذا
قال عمر بن عبد العزيز وروي ان عمرو بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه في التأني فكتب اليه معاوية اما بعد فان التفهم في الخير زيادة ورشد وان الرشيد
من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطئ او كاد ان يكون مخطئا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق
ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن ابي عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة الين منها تجري مجراها وقال ابو حمزة الكوفي
لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيئا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متان
ليس كحاطب ليل فهذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل
من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة او اشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في
الاكثر
القول في ذم الحسد وحقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته
بيان ذم الحسد اعلم ان الحسد ايضا من نتائج الحقد
والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرع الغضب والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في الحسد خاصة احاديث كثيرة قال
رسول الله الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال عليه السلام في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله فقال يطلع عليكم الان من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينطف
لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال النبي مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما
قام النبي تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلاثا فان رايت ان تؤويني اليك حتى تمضي الثلاث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث
ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولا يقوم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مضت الثلاث وكدت ان
احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف عملك فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذي
بلغ بك ذلك فقال ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد على احد من المسلمين في نفسي غشا ولا احسد احدا على خير اعطاه الله اياه قال عبد الله هي التي بلغت بك وهي
التي لا نطيق وقال عليه السلام ثلاث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا
حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلاث لا ينجو منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال عليه السلام دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد
والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم
بما يثبت لكم ذلك افشوا السلام بينكم وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال انه سيصيب امتي داء الامم قالوا وما
داء الامم قال عليه السلام الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج وقال عليه السلام لا تظهر الشماتة
لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وروي ان موسى عليه السلام لما تعجل الى ربه راى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه فسال ربه
ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا
قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال عليه السلام اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال
فيتحاسدون ويقتتلون وقال عليه السلام استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال عليه السلام ان لنعم الله اعداء قيل ومن اولئك قال عليه السلام
الذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وقال عليه السلام ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين
بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد
الاثار قال بعض السلف ان اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس
ادم ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية وحكي ان عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء
فقال وما ذاك قال اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ثم قرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الاية واياك والحرص فانه اخرج ادم من الجنة
امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض ياكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فاكل منها فاخرجه الله منها ثم قرا اهبطا منها الى اخر الاية
واياك والحسد فانما قتل ابن ادم اخاه حين حسده ثم قرا واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق الايات واذا ذكر اصحاب رسول الله فاسكت واذا ذكر القدر فاسكت

وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا. وقال بكر بن عبد الله: كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيكه
إساءته. فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال: إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر. فقال الملك: وكيف يصح
ذلك عندي؟ قال: تدعوه إليك فإنه إذا دنا منك يضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر. فقال له: انصرف حتى أنظر. فخرج من عند الملك فـ
دعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيكه إساءته. فقال له الملك:
ادن مني، فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم. فقال الملك في نفسه: ما أرى فلانا إلا قد صدق. وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة،
فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله: إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به إلي. فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به
فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: خط الملك لي بصلة. فقال: هبه لي. فقال: هو لك. فأخذه ومضى به إلى العامل، فقال العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك. قال: إن الكتاب
ليس هو لي، الله الله في أمري حتى تراجع الملك. فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة. فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به. ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل
قوله، فعجب الملك وقال: ما صنعت بالكتاب؟ قال: لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له. فقال له الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر. قال: ما قلت ذلك. قال: فلم وضعت يدك على فيك؟
قال: لأنه أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه. قال: صدقت، ارجع إلى مكانك فقد كفاك المسيء إساءته. وقال ابن سيرين: ما حسدت أحدا على شيء من أمر
الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار. وقال رجل
للحسن: هل يحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب، نعم ولكن غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولسانا. وقال أبو الدرداء: ما أكثر عبد ذكر الموت إلا
قل فرحه وقل حسده. وقال معاوية: كل الناس أقدر على رضاه إلا الحاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها. ولذلك قيل: كل العداوة قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك من حسد.
وقال بعض الحكماء: الحسد جرح لا يبرأ، وحسب الحسود ما يلقى. وقال أعرابي: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد، إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه. وقال الحسن: يا ابن آدم لم تحسد
أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله تعالى، وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار. وقال بعضهم: الحاسد لا ينال من
المجالس إلا مذمة وذلا، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا، ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولا، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا.

بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه. اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة، فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان: إحداهما أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها،
وهذه الحالة تسمى حسدا؛ فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه. الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي
لنفسك مثلها، وهذه تسمى غبطة، وقد تختص باسم المنافسة، وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة، ويوضع أحد اللفظين بدل الآخر، ولا حجر في الأسامي بعد فهم
المعاني. وقد قال عليه السلام: المؤمن يغبط والمنافق يحسد. فأما الأول فهو الحسد، وهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على
تهييج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق، فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها، فإنك لا تحب زوالها من حيث إنها نعمة بل من حيث هي آلة الفساد، ولو
أمنت فساده لم يغمك بنعمته. ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها، وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله تعالى في تفضيل بعض عباده على بعض، وذلك لا عذر
فيه ولا رخصة، وأي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة؟ وإلى هذا أشار القرآن بقوله تعالى: إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم
سيئة يفرحوا بها. وهذا الفرح شماتة، والحسد والشماتة متلازمان. وقال تعالى: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم الآية، فأخبر أن حبهم زوال نعمة الإيمان
حسد. وقال تعالى: ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء. وذكر الله تعالى حسد إخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم بقوله: إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا الآية،
فلما كرهوا حب أبيه له وساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه فغيبوه عنه. وقال تعالى: ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، أي لا تضيق به صدورهم ولا يغتمون، فأثنى
عليهم بعدم الحسد. وقال تعالى في معرض الإنكار: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله. وقال تعالى: كان الناس أمة واحدة، إلى قوله: إلا الذين أوتوه من
بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم. قيل في التفسير: حسدا. وقال تعالى: وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم. فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته، وأمرهم
أن يتألفوا بالعلم، فتحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد أن ينفرد بالرياسة وقبول القول، فرد بعضهم على بعض. وقال ابن عباس: كانت اليهود قبل أن يبعث النبي
إذا قاتلوا قوما قالوا: نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذي تنزله إلا ما نصرتنا، فكانوا ينصرون. فلما جاء النبي من ولد إسماعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم
إياه. فقال تعالى: وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، إلى قوله: أن يكفروا بما أنزل الله بغيا، أي حسدا. وقالت صفية بنت

حيي للنبي: جاء أبي وعمي من عندك فقال أبي لعمي: ما تقول فيه؟ قال: أقول إنه النبي الذي بشر به موسى. قال: فما ترى؟ قال: أرى معاداته أيام الحياة. فهذا حكم
الحسد في التحريم. وأما المنافسة فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوب إليها وإما مباحة. وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل
المنافسة. وقال قثم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة، قال لهما علي: لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمركما عليها،
فقالا له: ما هذا منك إلا نفاسة، والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك. أي هذا منك حسد، وما حسدناك على تزويجه إياك فاطمة. والمنافسة مشتقة في
اللغة من النفاسة. والذي يدل على إباحة المنافسة قوله تعالى: وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. وقال تعالى: سابقوا إلى مغفرة من ربكم. وإنما المسابقة عند خوف
الفوت، وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد منهما أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها. كيف وقد صرح رسول الله
بذلك فقال: لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس. ثم فسر ذلك في حديث أبي
كبشة الأنماري فقال: مثل هذه الأمة مثل أربعة: رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول: رب لو أن لي
مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله، فهما في الأجر سواء. وهذا منه حب لأن يكون له مثل ما له من غير حب زوال النعمة عنه. قال: ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه
في معاصي الله تعالى، ورجل لم يؤته الله تعالى فيقول: لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل بمثل عمله فيه، فهما في الوزر سواء. فذمه رسول الله من جهة تمنيه المعصية
لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ما له. فإذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها ما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له. نعم إن كانت تلك
النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة، وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إن لم يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام. وإن
كانت النعمة من الفضائل كإنفاق الأموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها، وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة.
وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته واللحوق به في النعمة، وليس فيها كراهة للنعمة. وكان تحت هذه النعمة أمران: أحدهما راحة المنعم عليه، والآخر ظهور نقصان غيره
وتخلفه عنه، وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته، ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات. نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض
الزهد والتوكل والرضى، ويحجب عن المقامات الرفيعة، ولكنه لا يوجب العصيان. وههنا دقيقة غامضة وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه
ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان، وإنما يزول نقصانه إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود، فإذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن
شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشهى عنده من دوامها، إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره، وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه. فإن كان بحيث
لو ألقي الأمر إليه ورد إلى اختياره لسعى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما، وإن كان يدعه التقوى عن إزالة ذلك فيعفى عنه ما يجده في طبعه من
الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه. ولعله المعني بقوله عليه السلام: ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة. ثم قال
عليه السلام: وله منهن مخرج: إذا حسدت فلا تبغ، أي إن وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به. وبعيد أن يكون الإنسان مريدا للحاق بأخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك
عن ميل إلى زوال النعمة، إذ لا يجد لا محالة ترجيحا على دوامها. فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام، فينبغي أن يحتاط فيه فإنه موضع الخطر، وما من أحد إلا وهو
يرى فوقه بعض معارفه وأقرانه ممن يحب أن يساويه، ويكاد يجره ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوي الإيمان رزين التقوى. ومهما كان محركه خوف
التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره إلى الحسد المذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته، إذ لم يقدر هو أن يرتقي إلى مساواته
بإدراك النعمة. وذلك لا رخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا، ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله، وتكون كراهته لذلك
من نفسه كفارة له. فهذه حقيقة الحسد وأحكامه. وأما مراتبه فهي أربعة: الأولى أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه، وهذا غاية الخبث.
الثانية أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره، وهو يحب أن تكون له، ومطلوبه
تلك النعمة لا زوالها عنه، ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها. والثالثة أن لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها، فإن عجز عن مثلها أحب
زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما. والرابعة أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم يحصل فلا يحب زوالها عنه. وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا، والمندوب
إليه إن كان في الدين. والثالثة فيها مذموم وغير مذموم، والثانية أخف من الثالثة، والأولى مذموم محض. وتسمية الرتبة الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع،
ولكنه مذموم. قال الله تعالى: ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض. فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم، وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم.

بيان أسباب الحسد والمنافسة

اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان امرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا
والتنعم بها وانما نظرنا الان في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة اسباب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت
المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد الخير له وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس
الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه
وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل
تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص
بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب السبب الاول العداوة
والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان من اذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه
الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك الى كرامة نفسه عند الله فمهما اصابت عدوه
بلية فرح وظن انها مكافاة من جهة الله تعالى له على بغضه وانها لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له
عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي اذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما
ان يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا امنا
واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم الاية وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد
بدت البغضاء من افواههم والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه
السبب الثاني التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا
تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته ولكن لا يرضى بالترفع عليه السبب الثالث
الكبر وهو ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد والمتابعة له في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما
يتشوف الى مساواته او الى ان يترفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا
كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطئ له رؤوسنا فقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه لو
كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم السبب الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية
اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم
واحبوا زوال النعمة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب اخر من الاسباب وقالوا متعجبين
ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة وقال تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم الاية السبب الخامس الخوف
من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد
الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين
لاستاذ واحد في نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين
المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب
كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل به الى اغراض له السبب السادس حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توسل به الى مقصود وذلك كالرجل الذي
يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو
سمع بنظير له في اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير
ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوفا من فوات مقصود سوى محض الرياسة

بدعوى

بدعوى الانفراد وهذا وراء ما في آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في الدنيا وفي قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء
اليهود ينكرون معرفة الرسول ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم السبب السابع خبث النفس وشحها بالخير على عباد الله فانك تجد
من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم به عليه يشق عليه ذلك واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم
وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله تعالى على عباده كانهم ياخذون ذلك من خزانته وملكه ويقال البخيل من
يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينهم وبينه لا عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث
في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا
خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته اذ يستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في
شخص واحد فيعظم فيه الحسد ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل يهتك حجاب المجاملة فيظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات تجتمع
فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها

السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب

وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب فيهم
ويتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم
روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه عنه وابغضه وثبت الحقد في قلبه فعند
ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه وتترادف جملة من الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في
بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهما
فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية اسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم
والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب
والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز
الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز اخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد
عنه الى طرف السوق فلا جرم كان حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه
الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك العالم يحسد العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم
بينهما على مقصود واحد اخص فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل يجمع متناسبين فلذلك
كثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي
يتفاخر بها ومنشا جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الاخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب
معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت سمواته وارضه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد
يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك
لا يكون بينهم محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق ايضا فيما عند الله لان اجل ما عند الله
من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ولا مزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا
لان المال اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الاخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلا قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر
او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلا قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره بها وان يفرح بذلك فالفرق بين العلم والمال
ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه والمال اجسام واعيان لها
نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت

ارضه وسمائه صار ذلك الملك من كل نعيم ولم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه ولا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان من عرف الله لو عرف مثل معرفته لم ينقص من
لذته بل زادت لذته بمؤانسته فيكون لذته في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم
العارف وجنته معرفته التي هي صفته وامن من زوالها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها
دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين
ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فما الظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذا لا يتصور
ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال الا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في
الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة برآء عن الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان
اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود
يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن
لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء لسعة اقطارها وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعيما لا
زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الآخرة
الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنها رأيك وضعفت فيها رغبتك فانت في ذلك معذور فالعنين لا يشتاق
الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين وكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها الرجال رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم
يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن
القلب اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك
في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدين والدنيا ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت
الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت
ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته
وفارقت اولياء الله وانبياءه عليهم السلام في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تاكل حسنات
القلب كما تاكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا عليك في الدنيا فهو انك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم
الله تعالى عن نعمة يفيضها عليهم ولا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الاعداء لك وما تشتهي
لاعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى
الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما اعجب من عاقل ان
يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة واما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه
فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من اقبال ونعمة فلا بد وان يدوم الى اجل قدره الله تعالى ولا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار
ولكل اجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق بالاذى فاوحى الله تعالى اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في
الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام اقبالها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا عليه اثم في الآخرة
ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه اولا لنفسك فانك ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعم تزول
بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان ايضا لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو
يضلونكم وما يضلون الا انفسهم اذ ما يريده الحاسد لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد

فكانه

فكانه يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل و
الغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد ايضا يشتهي ان يخص بهذه الخاصية ولست اولى من غيرك فنعمة الله عليك في ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت
بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا
اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه اعني انك بذلك تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة
مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله تعالى عليك نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاضفت اليه نعمة الى
نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب
اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان
يطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه فيتقطع قلبك حسدا ولذلك قيل لا مات اعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد لا زلت محسودا على نعمة
فانما الكامل من يحسد ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيه من
غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة
وصرت مذموما عند الخلق والخالق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى توصلت الى ادخال
اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدى اعدائك لانه لما رآك محروما عن نعمة العلم والورع والجاه ولما اختص به عدوك عنك خاف ان تحب ذلك له فتشارك في
الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحوق بدرجة الاكابر في الدين لم تفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف
ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي عليه السلام الرجل يحب القوم
ولم يلحق بهم فقال النبي المرء مع من احب وقام اعرابي ورسول الله يخطب فقال يا رسول الله متى الساعة فقال عليه السلام ما اعددت لها قال ما اعددت لها كثير صلاة و
لا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر بغيتهم كان حب الله ورسوله
قال انس ونحن نحب الله ورسوله وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو ان نكون معهم وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام
ولا يصوم حتى عد اشياء فقال هو مع من احب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع ان تكون عالما فكن
متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله قد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن كيف حسدك ابليس ففوت
عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك اخاك وحملك على الكراهية حتى اثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطئ في دين الله وينكشف
خطؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحوق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم
وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث اهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف ابعدك ابليس
عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تدخل بها البتة فقد نفذ فيك حسد ابليس وما نفذ في عدوك حسدك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرأيت نفسك
ايها الحاسد في صورة من يرمي حجرا الى عدوه ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غيظه فيعود فيرميه ثانيا اشد من
الاول فيرجع الحجر على عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى و
اعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان لا بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الحجر العائد لم يفوت الا العين ولو بقيت
لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله تعالى والى النار فلان تذهب عينه في الدنيا خير من ان
تبقى له عين يدخل بها النار فيلقمها لهب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم ازال نعمة الحاسد اذ السلامة
من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت
بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بي [illegible] لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف
وجحود الحق واطلاق اليد واللسان بالفواحش في التشفي [illegible] وهو الداء الذي فيه هلك الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان

بذهن صاف وقلب حاضر انطفى من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك لنفسه ومفرح لعدوه ومسخط لربه ومنغص عيشه واما العمل النافع فهو ان يحكم
الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيكلف لسانه المدح له والثنا عليه وان حمله على التكبر
عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عليه الزم نفسه الزيادة في الانعام عليه فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه و
احبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد واحبه وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثنا والمدح واظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم
عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود على الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك
قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت حمله العدو على العجز او على النفاق والخوف وان ذلك مذلة ومهانة فان ذلك من خدع الشيطان ومكائده بل المجاملة
تكلفا كان او طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلب الى التآلف والتحاب وبه تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض
فهذه ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا ولكن النفع في الدوا المر فمن لم يصبر على مرارة الدوا لم ينل حلاوة الشفا وانما تهون مرارة هذا
الدوا اعني التواضع للاعدا والتقرب اليهم بالمدح والثنا بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضا الله تعالى وحب ما احبه وعزة النفس
وترفعها عن ان يكون في العالم شي على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد ما لا يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من
هذا الذل الا باحد امرين اما ان يكون ما تريد او ان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله
بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدوا الكلي فاما الدوا المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني و
سياتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين
وتطفية ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقا مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد وان يحسد من استاثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس
دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه راسا فلا يمكنه **بيان** القدر الواجب في نفي الحسد عن
القلب اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن
حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك في الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول
او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك في باطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك
كراهية لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم
الاية وقال تعالى ودوا لو تكفرون وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم **اما** الفعل فهو غيبة وكذب وبغي وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد
بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هي معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة
على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون
تلك الكراهية من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا **فاما**
تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما تيسر لهما من نعمة او تنصب عليهما من بلية سوا فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا
الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين
واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعال الله فيراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب بعد ذلك الى طبعه
ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهته والزم قلبه هذه الحالة فقد ادى ما كلف وقد ذهب ذاهبون الى انه لا ياثم اذا لم يظهر الحسد على
جوارحه لما روي عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث لا يخلو منهن مؤمن وله منهن مخرج
فمخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهية من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه
من البغي ومن الايذا فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل بظاهره على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل من احب
مساءة المسلم فهو حاسد فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الايات والاخبار ومن حيث



المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد في ارادته مساءة مسلم واشتماله بالقلب عليه من غير كراهية وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك ثلاثة احوال **احدها**
ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا
لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه **الثاني** ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا **الثالث** وهو
بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا محل الخلاف
والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله اعلم بالصواب تم كتاب الغضب والحقد والحسد بحمد الله وحسن توفيقه وصلى الله على محمد وآله

## كتاب ذم حب الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا
وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا حسناتها بسيئاتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي
مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امراة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها اسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي
فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا اقبلت لم يومن شرها ووبالها ان احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب
دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة وكل مغرور بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها
الى التحسر مسيره شانها الهرب من طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها
عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا
صاروا من احبابها كشرت لهم عن انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فاذاقتهم قواتل سمامها ورشقتهم بصوائب سهامها بينا اهلها
في سرور وانعام اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا منهم جميع ما طلعت
عليه الشمس جعلته حصيدا كان لم يغن بالامس تمني اصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى ياملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم
هبا منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من كان من اهله واصحابه له في الدين ظهيرا
وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا **اما** بعد فان الدنيا عدوة لله وعدوة لاوليا الله وعدوة لاعدا الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق
على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها واما عداوتها لاوليا الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر
في مقاطعتها واما عداوتها لاعدا الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا
اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم عن السعادة ابد الاباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون بل
يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون واذا عظمت غوائل الدنيا و
شرورها فلا بد اولا من معرفة حقيقة الدنيا وما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه و
يوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله سبحانه
بسبب الفضول منها ان شا الله تعالى **بيان** ذم الدنيا الايات الواردة في ذم الدنيا كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها
ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبيا عليهم السلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة
فيها فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على اهلها قالوا من هوانها القوها فقال والذي نفسي بيده للدنيا
اهون على الله من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ما وقال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
وقال عليه السلام الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ابو موسى الاشعري قال عليه السلام من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه
فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئة وقال زيد بن ارقم كنا مع ابي بكر فدعا بشراب فاتي بما وعسل فلما ادناه من فيه
بكى وبكى حتى ابكى اصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لم يقدروا على مسالته ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما الذي ابكاك
قال كنت مع رسول الله ورايته يدفع عن نفسه شيا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك فقال هذه الدنيا مثلت لي
فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك ثم رد ذلك ولم يشرب به رضي الله عنه وعن محبيه وقال صلى الله عليه يا عجبا

كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروي انه عليه السلام وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما
قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذا اشارة الى ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال عليه السلام ان الدنيا حلوة
خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام
لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه وقال صاحب الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال ايضا
يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان الله عصي فيها وان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تنال
الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم
على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة
وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى
بن يسار [illegible] ان الله لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروي ان سليمان [illegible] حوكب والطير تظله والجن والانس
[illegible] بدعي [illegible] بني اسرائيل [illegible] يا ابن داود لقد اتاك الله ملكا عظيما فسمع سليمان [illegible] فقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما اعطي
ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت
او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال عليه السلام الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له
ولها يسعى من لا يقين له وقال عليه السلام من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا
وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة قال لي رسول الله يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعها بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي
واتى بي واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤوس اناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص حرصكم وتأمل
املكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فاصبحت والناس
يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد
فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروي في بعض الكتب ان الله تعالى لما اهبط آدم الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال
داود بن هلال مكتوب في صحف ابراهيم يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا اهون
علي منك كل شأنك صغير والى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك ان لا تدومي لاحد ولا يدوم لك احد وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار
الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضى ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم الا النور يسعى امامهم والملائكة
حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتي وقال عليه السلام الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر اليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لادنى
اوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شيء اني لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وروي في اخبار آدم عليه السلام انه لما اكل الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل
ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة ولذلك نهي عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال قل له اي شيء تريد قال
ادم اريد ان اضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له اي مكان تريد ان تضعه اعلى العرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا
يصلح لذلك ولكن اهبط الى الارض وقال عليه السلام ليجيئن اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال عليه السلام
نعم كانوا يصومون ويصلون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه وقال عليه السلام في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري
ما الله صانع به وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت
لكم وانتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الآخرة والدنيا
في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وروي ان جبريل قال لنوح عليه السلام يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت
من احدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يكنك قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا عليه السلام احذروا الدنيا فانها اسحر
من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله ذات يوم على اصحابه ثم قال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا و



طال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله تعالى علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم
لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء و
هو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه الله ثواب خمسين صديقا وروي ان عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر و
الرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ اليه فرفعت له خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد
فوضع يده عليه فقال الهي لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فاوحى الله تعالى اليه مأواك في مستقر من رحمتي لازوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي و
لاطعمن في عرسك اربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا انظروا عرس الزاهد عيسى ابن مريم وقال عليه السلام ويل لصاحب
الدنيا كيف يموت ويتركها ويأمنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف اتتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا
عمله كيف يفتضح غدا بذنبه واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار
هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروي ان رسول الله بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت
الانصار بقدومه فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله فلما صلى رسول الله انصرف فتعرضوا له فتبسم حين رآهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء قالوا اجل
يا رسول الله قال عليه السلام ابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما
تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل يا رسول الله وما بركات
الارض فقال عليه السلام زهرة الدنيا وقال عليه السلام لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا
اهلها موتى في الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم
فسأل الله عز وجل فاوحى الله تعالى اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز من الارض ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب
لبيك يا روح الله وكلمته فقال ما حالكم وما قصتكم فقال بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قال بحبنا للدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان
حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا بها واذا ادبرت حزنا وبكينا عليها قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال
فكيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو ام اكبكب فيها فقال المسيح للحواريين
لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال انس كانت ناقة رسول الله العضباء لا تسبق فجاء اعرابي
بناقة له فسبقتها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله انه حق على الله ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وقال عليه السلام من ذا الذي يبني على موج البحر
دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله تعالى عليه فقال ابغضوا الدنيا يحببكم الله وقال ابو الدرداء قال رسول الله لو
تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال ابو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على انفسكم
ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن تغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون
فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع اهواءها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم
على البر لتحاببتم ما لكم تناصحون في امر الدنيا ولا تناصحون في امر الدين ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها
كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها املك بامركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف
في طلب امر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد فأتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن
اليه قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم لتصيبون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون
على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك
في وجوهكم ولا يتغير حالكم اني لارى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم
على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله تعالى اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان

فكم خير ما سعتكم ولن تطلبوا ما عند الله بحبوه سيرا وبالله استعين على نفسي وعليكم وقال عيسى يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين
كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا ويشهد بمعناه اري رجالا بادنى الدين قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما
استغنى الملوك بدنياهم عن الدين وقال عيسى يا طالب الدنيا لتبر فتركك ابر وابر وقال رسول الله لا يتكلم بقلب دنيا ما كل ايمانكم كما ما كل النار الحطب واوحى
الله الى عيسى يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشد عليك منها ومر موسى برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي
من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا الا اشــــــــا وقال علي من جمع ست خصال لم
يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا ولها من عرف الله تعالى فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الآخرة وطلبها
وعرف الدنيا فرفضها وقال الحسن رحمه الله لقد لقيت اقواما كانت الدنيا عندهم [illegible] ما ذقتها الى من انتم عليها ثم راحوا خفافا وقال ايضا من نافسك في دينك فنافسه
ومن نافسك في دنياك فالقها اليه في نحره وقال لقمان يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان وشراعها
التوكل على الله لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال الفضيل طالت علي في هذا الحرف قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقال بعض
الحكما انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشا ليلك او غدا يومك فلا تهلك في اكله وصم الدنيا وافطر
على الآخرة فان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لراهب كيف ترى الدنيا قال تخلق الابدان وتجدد الآمال وتقرب المنية وتبعد الامنية قال فما حال
اهلها قال من ظفر بها تعب ومن فاته نصب وقد وشد ومن يجد الدنيا لعيش يسر وسوف لعمري عن قليل يلومها اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها
وقال بعض الحكما كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها ولا اسكن اليها فعيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة او بلية نازلة
او منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما ان تزيد واما ان تنقص وقال سفيان اما ترى النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت في
غير اهلها وقال ابو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر وليس
لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتاك الله تعالى منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه
ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو واخذ نفسه بذلك لا تعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق
من حانوته شيئا فيجي في طلبه فياخذك قال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا
خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا الذي عظم ما حقره الله تعالى وقال
ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وقد قيل وما المال والاهلون الا ودائع ولا بد يوما ان ترد الودائع
وزارت رابعة اصحابها فذكروا الدنيا واقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر من ذكره وقيل لابن
ادهم كيف انت فقال نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع اخر ابن طالب الدنيا وان طال عمره
ونال من الدنيا سرورا وانعما كبان بنى بنيانه فاقامه فلما استوى ما قد بناه تهدما اخر هي الدنيا تقول لمن عليها حذار حذار من بطشي وفتكي فلا يغرركم مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي
اطلك بم آذن بالزوال وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش
الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس جعل الله الدنيا ثلاثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود
والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقيل الدنيا جيفة فمن ارادها فليصبر على معاشرة الكلاب وفيها انشدهم وقيل في معناه يا خاطب الدنيا الى نفسها تنح عن خطبتها تسلم
ان التي تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق اخر يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا افنى القرون التي كانت منعمة كر الجديدين اقبالا وادبارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سفارا هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تعانق في الفردوس ابكارا ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي لك ان لا تامن النارا
وقال ابو امامة الباهلي لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال ان كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا
الاوثان وانما اغدوا عليهم واروح بثلث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله تبع لذا وقال رجل لعلي كرم الله وجهه صف لنا الدنيا

فقال

فقال وما اصف لكم من دار من صح فيها ما أمن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب وقيل لعلي كرم الله
في حلالها وقال الطول ام اقصر فقال اقصر حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلما يعني الدنيا وقال ابو سليمان
الداراني اذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها فاذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة واللئيم تزحم الكريم وهذا
تشديد صعب نرجوا ان يكون ما ذكره سيار بن الحكم اصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فايهما غلب كان الآخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا
يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي حيث قال الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضي احداهما تسخط الاخرى
وقال الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يبالون اشرقت الدنيا عنهم ام غربت ادهبت الى ذا ام ذهبت الى ذا
وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق ويصل منه رحمه ويحسن فيه هل له ان يتنعم فقال لا لو كانت الدنيا كلها له ما كان له منها الا الكفاف
ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها في الآخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب
ثوبه وقيل لما قدم عمر الشام استقبله ابو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه وساله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر لو اتخذت متاعا
فقال يا امير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم
الرحمن بحبهم الدنيا وقال وهب قرات في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بني
انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعد عنها وقال سعيد بن مسعود اذا رايت العبد تزداد دنياه وتنقص
آخرته وهو راض بذلك فهو المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رايت قوما ارغب فيما كان رسول الله يزهد فيه منكم والله ما مر
على رسول الله ثلث الا والذي عليه اكثر من الذي له وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى لا تغرنكم الحياة الدنيا من قال هذا من خلقها ومن اعلم بها انا فيكم واحذركم ايها الناس
وحدودا اياكم وما تشغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح على نفسه رجل باب شغل منها الا اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا
مسكين ابن ادم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان اخذه من حله حوسب به وان اخذه من حرام عذب به ابن ادم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته
ولا يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكانك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فاجابه عمر السلام
عليك كانك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل وقال الفضيل الدخول في الدنيا هين ولكن التخلص منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف الموت حقا كيف يفرح وعجبا لمن
يعلم ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان الحساب حق كيف ينصب وقدم على معاوية رجل من نجران عمره
مائتا سنة فساله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد مولود ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا
الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سلني ما شئت قال لعمر مضى فترده او اجل قد حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال فلا حاجة لي اليك وقال داود الطائي
يا ابن ادم فرحت ببلوغ املك فانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك وقال بشر من سال الله الدنيا فانما يسال طول الوقوف بين يديه وقال
ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الزق به شيء يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن ادم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل
ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال ابو سليمان الداراني لا يصبر عن شهوات الدنيا الا
من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري
اي عذاب الله ينزل وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنا منها لمن اهانها وقال ايضا
اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد اعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وقال بعضهم يدعو يا من يمسك السما
ان تقع على الارض الا باذنه امسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر ارايت لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل
الله واجتنب محارم الله ويعظم الدنيا في عينه فيؤتى به يوم القيامة فيقال هذا الذي عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى
يكون حاله ومن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال ابو حازم اشتدت مؤونة الدنيا والآخرة فاما مؤونة الآخرة
فانك لا تجد فيها اعوانا واما مؤونة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال ابو هريرة الدنيا

٨

موقوفة بين السماء والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها الى يوم القيامة يا رب يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لا شيء اسكتي يا لا شيء وقال
ابن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد اخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت
قدمه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة وضيع نفسه قيل انه كان يفعل و
كان وكان من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال
لمن تركها فقيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال
الجنيد كان الشافعي من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدين وعظ اخا له في الله وخوفه بالله فقال يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى
الخراب صائر وساكنها الى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى
الله وارض برزق الله لا تستسلف من دار بقائك في دار فنائك فان عيشك فيء زائل وجدار مائل اكثر من عملك واقصر من املك وقال ابن ادهم
لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي لا تحبه في
الآخرة كانك لا تحبه في اليقظة وعن اسمعيل بن عياش كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا يا خنزيرة فلو وجدوا لها اسما اقبح من هذا لسموها
به وقال كعب ليحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل
ان يلقاه وقال الدنيا بلغ من شومها ان تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله تعالى فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا
كان كمطفئ النار بالتبن وقال بندار اذا رأيت ابناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في سخرة الشيطان وقال ايضا من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها
يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الآخرة صفته بنورها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن اقبل على الله احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا
لا حد لقيمته وقال علي كرم الله وجهه انما الدنيا ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو
مذقة ذباب واشرف المشروبات الماء ويستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل
الرجال واشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال والله ان المرأة لتزين احسن شيء منها ويراد اقبح شيء منها باب المواعظ في ذم الدنيا
وصفتها قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة غرارة
خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس
لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها
يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل على
الدواء من دليل او هل الى الطبيب من سبيل فتدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان اوصى ولماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف
جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان
ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فجمع
عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال
بعض الملوك لبعض العلماء ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه
فتفرقه او تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بشيء هو ضنين به من احبابه والدنيا احق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة
فيما تهب بينا هي تضحك لصاحبها اذ اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد تعقد التاج
على راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن
البصري الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما انزل آدم اليها عقوبة فاحذرها يا امير المؤمنين فان الزاد منها
تركها والغنى فيها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي

قليلا

قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت
بغرورها وختلت بآمالها وتشوفت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم
قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله حين اخبره عنها متذكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد
فشغل فيها لبه حتى زلت عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته فلم
يرغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من الطلب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المؤمنين وكن اسر ما تكون فيها احذر
ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور اشخصته الى مكروه السار فيها لاهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخاء فيها بالبلاء
وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وادبر ولا يدرى ما هو آت فينتظر امانيها كاذبة وآمالها باطلة صفوها
كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد
ايقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله تعالى عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك بمفاتيحها
وخزائنها لا ينقص عند الله تعالى جناح بعوضة فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله تعالى امره او يحب ما ابغضه خالقه او يرفع ما وضعه مليكه فزواها
عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله تعالى بمحمد حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية
عنه عن ربه جل وعز انه قال لموسى اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت
اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء وللصيف مشارق الشمس وسراجي
القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض امسي وليس لي شيء واصبح وليس لي شيء وليس على الارض احد اغنى مني وقال وهب بن منبه لما بعث الله
تعالى موسى وهرون الى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذي لبسه من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبكما ما متع
به منها فانما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين رآها ان مقدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت ولكني ارغب
بكما عن ذلك فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي
الشفيق ابله عن مبارك الغرة وما ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين لي اوليائي بالذل والخشوع والخوف الذي يثبت في قلوبهم
فيظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي اياه يأملون
ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا
الثائر له يوم القيامة وفي خطبة علي كرم الله وجهه قال ايها الناس اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم
الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى الزوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولا يسلم من
شرها نزالها بينا اهلها في رخاء وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة والعيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما اهلها
اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل قد
مضى من كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد آثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم بالية وديارهم خالية
وآثارهم عافية استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب
بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار و
دنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى فاصبحوا بعد الحياة امواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب
واسكنوا التراب فظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكأن قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى
والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد تناهت الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل
بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت

رحمه ان الله تعالى يقول ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الاية جعلنا
الله واياكم عاملين بما يحبه ومتبعين لما يرضاه واحيانا بحياته واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد رحيم ودود وقال بعض الحكماء الايام سهام و
الناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي
في بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت مر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار
وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجنها الحكيم وقد اعيت الواصفين لعيوبها بظاهر افعالها وما تأتي به من العجائب اكثر
مما يحيط به الواعظ مستوصف ايه رب الى الصواب وقال حكيم وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها الدنيا وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك
فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته واحداثه تتوالى على الانسان بالتغير والنقصان والدهر موكل
بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور وخطب عمر بن عبد العزيز فقال ايها الناس انكم خلقتم
لامر ان كنتم تصدقون به وتعملون ما تظهرون من افعالكم فانكم حمقى وان كنتم تكذبون به فانتم هلكى فانما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله
انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق ولا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما انتم اليه صائرون وفيه
خالدون ثم غلبه البكاء ونزل وقال علي بن ابي طالب في خطبته اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم و
ان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا فكانهم قد قطعوه وافضوا الى علم فكانهم قد بلغوه وكم عسى ان يجري المجرى حتى ينتهي الى
الغاية وكم عسى ان يبقى له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا ترجوا نعيمها فانها الى زوال
عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم اهل العلم والعقل والمعرفة والادب ان الله تعالى قد اهان الدنيا
ولم يرضها لاوليائه وانها حقيرة عنده وان رسول الله زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا فضلا احرزوا منها ما يكفي وتركوا ما
يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادنى ما سد الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الاخرة انها باقية فتزودوا منها كزاد
الراكب خربوا الدنيا وعمروا بها الاخرة نظروا الى الاخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرحلون اليها
بابدانهم صبروا قليلا ونعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم بيان صفة الدنيا بالمثل اعلم ان الدنيا
سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر اليها وتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر
اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن فالساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا يدرك
حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة وانشد الحسن لما ذكرت الدنيا احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع وكان الحسين بن علي يتمثل
ويقول يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زائل حمق وكان يرى انه من قوله وقال نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة
لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة وحلوا فاصابته الشمس فانتبه يقول الا انما الدنيا كظل بنيته ولا بد يوما ان ظلك زائل مثال اخر للدنيا من حيث
التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد افلاتها تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام ويشهد وان اعراضها كالغيمة لمن يتمسك منها بحبل غرور
قال رسول الله الدنيا حلم واهلها عليها مجازون ومعاقبون وما الكون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره
وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه وكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لبعض الحكماء اي شيء اشبه بالدنيا
قال احلام النائم مثال اخر للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها لبنيها اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك اخرا و
هي كامرأة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم وقد روي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز شمطاء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت
قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم
واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر مثال اخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي تشبه عجوزا متزينة
تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها

قال العلائي



قال العلائي رأيت الدنيا في النوم عجوزا كبيرة منقبضة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها يعجبون منها وينظرون اليها فجئت فنظرت و
تعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت او ما تعرفيني قلت لا ادري من انت قالت انا الدنيا قلت اعوذ بالله من شرك قالت ان
احببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم وقال ابو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون
ويرقصون فلما كانت بحذائي اقبلت علي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك ما صنعت بهؤلاء ثم بكى ابو بكر وقال رأيت هذا قبل ان اقدم بغداد وقال الفضيل بن عياض قال ابن
عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوهة خلقها تشرف على الخلائق فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة
هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي و
اشياعي فيقول الله الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب
واذا لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شيء رآه الناس واذا اقبلت كانت اقبح شيء رآه الناس عجوز شوهاء شمطاء زرقاء عمشاء
قال فقلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت لها من انت قالت انا الدنيا مثال اخر للدنيا ومسير الناس بها اعلم
ان الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهو ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل
وهي ايام حياتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل ولذلك قال رسول الله ما لي وللدنيا
انما مثلي ومثل الدنيا كراكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقعد في ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف
انقضت ايامه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة وقصبة على قصبة ورأى بعض الصحابة يبني بيتا من خص فقال عليه السلام ارى الامر اعجل
من هذا وانكر ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهذا مثال واضح فان الحياة الدنيا معبرة الى الاخرة والمهد
هو الميل الاول على رأس القنطرة واللحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة قريبة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها
ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها فلا بد من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت تعبر عليها غاية الجهل والخذلان مثال
اخر للدنيا في لين ملمسها وخشونة مصدرها اعلم ان اوائل امور الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة خروجه منها كحلاوة الخوض فيها وهيهات
فالخوض فيها سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي بن ابي طالب الى سلمان يذكر مثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض
عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن احذر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور
اشخصه عنه مكروه والسلام مثال اخر للدنيا في تعذر الخلاص منها بعد الخوض فيها قال النبي عليه السلام انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في
الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلائقها عن
بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا من اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك
ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة وقال عيسى عليه السلام بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ
به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب ولم تمتهن تصعب و
تتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق ما لم يتخرق يوشك ان يكون وعاء للعسل كذلك القلوب
ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسها النعيم فسوف تكون اوعية للحكمة وقال نبينا عليه السلام انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب
اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله مثال اخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق قال انس قال رسول الله صلى الله عليه مثل هذه الدنيا مثل ثوب
شق من اوله الى آخره فبقي معلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع مثال اخر لتأدية علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك قال عيسى عليه السلام مثل
طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله مثال اخر لمخالفة اول الدنيا لاخرها وآخرها لاولها ولنضارة اوائلها وخبث عواقبها
اعلم ان شهوات الدنيا لذتها كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في القلب من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة
اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى

والذي لقي شدة وكراهته والناس بها عند الموت اشد بل هي في حال المصيبات وهي دار الدنيا مثل هذه فان من نهبت داره واخذ ولده
وماله يكون مصيبته وتفجعه والمه في كل ما فقده بقدر لذته فيها وحبه لها وحرصه عليها وكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى
وامر ولا معنى للموت الا فقد ما في الدنيا وقد روي عن النبي عليه السلام انه قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن
والماء قال بلى قال والى م يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال عليه السلام فان الله تعالى ضرب مثل الدنيا لما يصير اليه طعام ابن آدم وقال ابي بن كعب قال رسول الله
ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر ما يخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه الى ما يصير وقال رسول الله ان الله تعالى ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم
للدنيا مثلا وان قزحه وملحه وقال الحسن قد رايتهم يطيبونه بالافاويه والطيب ثم يرمونه حيث رايتم وقال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه
قال ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر اني اريد ان اسألك واستحيي فقال لا تستحي وسل قال اذا قضى احدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه
فقال نعم ان الملك يقول له انظر الى هذا ما بخلت به انظر الى ما صار وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول
انظروا الى ثماركم ودجاجكم وعسلكم وسمنكم مثال آخر في نسبة الدنيا الى الآخرة قال رسول الله ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر
بم يرجع مثال آخر للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم مثلهم كمثل قوم ركبوا
سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم
الحاجة وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى [illegible] وجعل ينظر الى
ازهارها وانوارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ في تربتها احجارها وجواهرها
ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات
السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه
باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ضيقا وصارت ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذها ولم يقدر على رميها
ولم يجد في السفينة مكانا لها فحملها في السفينة على عنقه وهو متأسف على اخذها وليس ينفعه التأسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب
وبعد في متفرجه ومتنزهه عنه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل تلك الثمار واشتمام تلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار
والتنعم بتلك الازهار والانوار من تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك
ينشبت بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله او ريح او صوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه من الانصراف لو
اراد فلما بلغه نداء السفينة انصرف مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي على الشط حتى مات جوعا وعطشا وبعضهم لم يبلغه النداء
وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف
المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الازهار والاحجار فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت
عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكمدت تلك الالوان والاحجار وظهر نتن رائحتها فصار مع كونها مضيقا عليه مؤذيا له بنتنه ووحشته فلم يجد
حيلة الا ان القاها في البحر هربا منها وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه الاسقام بتلك الروائح والاطعمة فبلغ سقيما
مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة قريبة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع
ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امرهم وما اقبح
من يزعم انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض وهو الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء منها لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا
عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم [illegible]
في تحديثهم [illegible] عوائل الدنيا قال الحسن بلغني ان رسول الله قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا
ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفذوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل



في حلة تقطر راسه ماء فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال على ما انتم قالوا على ما ترى
قال ارايتكم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال اعطوني عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله
لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء
ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم
بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا من بين اسير وقتيل مثال آخر
لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد
واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل رسمه وظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما
استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله تعالى في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على
المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفوا اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه امثلة الدنيا وآفاتها
وغوائلها بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان يجتنب منها وما
الذي لا يجتنب فلا بد وان نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين
من احوال قلبك فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة
في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلاثة اقسام القسم الاول ما يصحبك في الآخرة
وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم
بشريعة نبيه واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده
من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته ويستلذها بحيث لو منع
عنها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل وقال بعضهم اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود
في القبر فهذا قد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال عليه السلام
حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهي
من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست
من الدنيا القسم الثاني وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة
على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان
والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر
طويل اذ روي عن عمر رضي الله عنه انه استعمل ابا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه عمر من عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به
عن عمران الدنيا حين اراد الله خرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك الى دمشق انت واهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه القسم
الثالث وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأتى للانسان
البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد من الدنيا على قصد
الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار
من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى وحبه لله تعالى وصفاء القلب وطهارته لا تحصل
الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله تعالى الا بدوام الفكر وهذه
الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب

الله تعالى كما ورد في الاخبار ان اعمال العباد تناضل عنه فاذا جا العذاب من قبل رجليه جا قيام الليل يدفع عنه واذا جا من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه
الحديث كما اوردناه في الانس والحب فمتم السعادات وهي موصلة العبد الى لذة اللقا والمشاهدة وهذه السعادة تعجله عقيب الموت الى ان يدخل اوان الروية
في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق
وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع امنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب
الا الدنيا وقد غصبت منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طريق الحيلة في الرجوع اليه وما حال من كان له واحد يوخذ عنه ذلك الواحد وليس الموت عدما انما هو فراق
لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الاخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهو الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض
اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن لا ينال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه العبد
من الدنيا للاخرة لم يكن من ابنا الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للاخرة وان اخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من ابنا الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة
في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم
ان طول الموقف في عرصات القيامة لاجل الحساب ايضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب اذ قال عليه السلم حلالها حساب وحرامها عذاب وقد قال ايضا حلالها
عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها
لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقا لها هو ايضا عذاب فقس حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرة مع علمك
بانها سعادات منصرمة لا بقا لها ومنغصة بكدورات لا صفا لها فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمها وتنقطع الدهور دون غاياتها فكل من تنعم في الدنيا ولو
بسماع صوت من طائر او بالنظر الى خضرة او شربة ما بارد فانه ينقص من حظه في الاخرة اضعافه وهو المعني بقوله عليه السلم هذا من النعيم الذي تسال عنه اشارة الى الما البارد
والتعرض لجواب السوال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر اعتزلوا عني حسابها حيث كان به عطش فعرض عليه ما بارد
بعسل فادار في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعون الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته
اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلم وضع راسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان في
ملكه كان يطعم الناس لذايذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه امتحانا وشدة فان الصبر عن لذايذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا زوي الله تعالى الدنيا
عن نبينا عليه السلام فكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله تعالى البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم و
امتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا به عليه وقد عرفت بهذا ان
كل ما ليس لله فهو للدنيا وما هو لله تعالى فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله تعالى فاقول الاشيا ثلثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله تعالى وهو الذي
يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحض المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورتها لله تعالى ويمكن ان يجعل لغير الله تعالى و
هي ثلثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلث اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى امر الله تعالى واليوم الاخر فهو لله تعالى وليس من الدنيا فان كان الغرض
من الفكر طلب العلم للتشوف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال والحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار من
الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته انها لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن ان يكون معناه لله تعالى وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاوه وبقا ولده فان
كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله تعالى بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال عليه السلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله تعالى
وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسئلة وصيانة لنفسه جا يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك
العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه
الله تعالى في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي منها تحصل هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الى
قوله تعالى ذلك متاع الحيوة الدنيا فقد عرفت ان كل ما هو لله تعالى فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله تعالى ان قصد به وجه الله والاستكثار
منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة

غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر منها وبينهما وسايط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب
من حد الضرورة ما امكن اقتدا بالانبيا والاوليا اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى ان اويسا القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه
فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان ياتي عليهم السنة والسنتان والثلث لا يرون وجهه وكان يخرج الى المسجد للصلوة اول الاذان ثم يعود الى منزله بعد العشا الاخرة
وكان طعامه ان يلتقط النوى فكلما اصاب حشفا خباه لافطاره فان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته وكان لباسه ما يلتقط من المزابل من قطع الاكسية يغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربما
مر الصبيان فيرجمونه ويظنونه مجنونا فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ترجموني فارموني بحجارة صغار فاني اخاف ان تدموا عقبي فيحضر وقت الصلوة ولا اصيب الما هكذا
كانت احواله وسيرته ولقد اعظم رسول الله صلى الله عليه امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن اشارة اليه ولما ولي عمر قال ايها الناس من كان منكم من اهل العراق
فليقم فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم
الا رجلا واحدا فقال له عمر اقرني انت قال نعم قال اتعرف اويس بن عامر القرني ووصفه له فقال نعم وما تسال عن ذاك يا امير المومنين والله ما فينا احمق منه ولا اجن منه
ولا احوج منه ولا ادنى منه فبكى عمر ثم قال ما قلت الا اني سمعت رسول الله يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول
من عمر قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويسا القرني واسال عنه حتى وجدته على شاطي الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه فعرفته بالنعت الذي نعت
لي به فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الراس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه مهيب المنظر فسلمت عليه فرد علي السلام ونظر الي فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان
يصافحني فقلت رحمك الله يا اويس وغفر لك كيف انت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي اياه ورقتي عليه اذ رايت من حاله ما رايت حتى بكيت وبكى ثم قال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان
كيف انت يا اخي ومن دلك علي فقلت الله فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت حين عرفني ولا والله ما رايته قبل ذلك اليوم ولا رآني فقلت
من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال نباني العليم الخبير وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان المومنين ليعرف بعضهم
بعضا ويتحابون بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نات بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله بحديث اسمعه منك قال اني لم ادرك
رسول الله صلى الله عليه ولم تكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله ولكن رايت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه كما بلغكم ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسي ان اكون
محدثا او مفتيا او قاضيا في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرا علي اية من القران اسمعها منك وادع لي بدعوات واوصني بوصية احفظها عنك
فاني احبك في الله تعالى حبا شديدا فقام واخذ بيدي على شاطي الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق
الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه ثم قرا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم
فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان ويوشك ان تموت فاما الى جنة واما الى نار ومات ابوك ادم وماتت امك حوا ومات نوح و
مات ابرهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الله ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد رسول رب العالمين ومات ابو بكر صاحب الغار خليفة رسول الله وخليفة المسلمين
ومات عمر بن الخطاب اخي وصفيي ثم قال يا عمراه يا عمراه فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت فقال قد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال انا وانت في الموتى كان قد كان
ثم صلى على النبي ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي اياك يا هرم بن حيان كتاب الله تعالى ونعي الصالحين المومنين فقد نعيت الي نفسي ونفسك عليك بذكر
الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح للامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تعلم فتدخل النار يوم
القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام
في الدنيا حيث ما كان وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه
عني خير الجزا ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا اراك بعد اليوم رحمك الله فاني اكره الشهرة
والوحدة احب الي لاني شديد الغم مع هولا الناس حيا فلا تسال عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم ارك وترني فاذكرني وادع لي فاني
ساذكرك وادعو لك ان شا الله انطلق انت هاهنا حتى انطلق انا هاهنا فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي ففارقته يبكي وابكي فجعلت انظر الى قفاه حتى دخل
بعض السكك ثم سالت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشي رحمه الله فهكذا كانت سيرة ابنا الاخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت بما سبق في بيان

الذي هو سيرة الانبيا والاوليا ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضرا واقلته الغبرا الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الاخرة وهو كل ما
اريد به الله تعالى مما يوخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله تعالى فذلك ليس من الدنيا ويبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا
يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد والراحلة وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج
فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك طريق الاخرة بالعلم والعمل هو من الاخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ
البدن وتنعمه بشي من هذه الاسباب كان منحرفا عن الاخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد سبعة ايام طاويا فسمعت
في الليلة الثامنة هاتفا وانا بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله تعالى عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك فاعلم ذلك بيان ماهية الدنيا
في نفسها واشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ
وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور وقد يظن ان الدنيا عبارة عن احادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها
قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فالارض فراش للادميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب
ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الادمي للاقتيات والتداوي واما المعادن فيطلبها الادمي
للالات والاواني كالنحاس والرصاص او للنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهايم اما البهايم فيطلب
لحومها للاكل وظهورها للزينة والمركب واما الانسان فقد يطلب الادمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري
والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الادميين فهذه هي الاعيان التي يعبر
عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النسا والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث اما
النسا والبنين فمن الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهو من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على اللالي واليواقيت وغيرها والخيل المسومة والانعام
وهي البهايم والحيوانات والحرث هو النبات والزرع فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها
وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والريا والسمعة
وسو الظن والمداهنة وحب الثنا وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها العلاقة الثانية مع
البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم و
مالهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان
التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الجمل في طريق الحج
الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها و
يكسوها الوان الثياب ويحمل اليها انواع الحشيش ويبرد لها الما بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقايه في البادية فريسة
للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة وانما يلتفت الى الدابة بقدر الضرورة فكذلك
البصير لا يهمه في سفر الاخرة ولا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الما الا لضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام البطن وبين اخراجه
من البطن في ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما شغل الناس عن الله تعالى البطن فان القوت ضروري
وامر الملبس والمسكن اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليه لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم
منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ونحن
نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف
انستهم انفسهم وعاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان
مضطر الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذا والبقا والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد والمطر ولدفع اسباب الهلاك

عن المال والاهل ولم يخلق الله تعالى القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهايم فان النبات يغذي
الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يوثر في بدنه فيستغني عن البنا ويقنع بالصحرا ولباسها شعورها وجلودها فيستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت
الحاجة الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوايل الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبنا اما البنا فللمسكن
والحياكة وما يكتنفها من امر الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل وهي ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه
الله تعالى من صيد او معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير
صنع ادمي وكذلك ياخذ من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة ادمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات
تفتقر الى ادوات والات كالحياكة والفلاحة والبنا والاقتناص والالات انما توخذ اما من النبات وهو الاخشاب او من المعادن كالحديد و
الرصاص وغيرهما او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلاثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهولا هم عمال الالات ونعني بالنجار
كل عامل في الخشب كيفما كان وبالحداد كل من يعمل في جواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس واما احاد الحرف
فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات واجزايها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر
الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقا جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما
والثاني التعاون على تهيية اسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيية
اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم تجتمع طايفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص
الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى الاتها ويحتاج الالة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس
وهو يفتقر الى حراسة القطن والات الحياكة والخياطة وامور كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماعات ثم لو اجتمعوا
في صحرا مكشوفة لتاذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت به وبما معه من الالات والاثاث والمنازل
تدفع الحر والبرد وتدفع اذى الجيران من اللصوصية ولكن جميع المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنزل فافتقر اهل المنازل الى التناصر والتعاون
والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة
الزوج على الزوجة وولاية الابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى القوام ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على
البهايم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت فاما المراة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون
فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة
ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى او مرض او هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضايعا لهلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد
من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماعات صناعات اخرى فمنها صناعة المساحة التي
بها تعرف مقادير الارض لتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل
الى فصل الخصومة والتوسط بينهم ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى
لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة
من التمييز والعلم والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعايش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد بالحرب
مع الاعدا مثلا لتعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست
الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم وارزاقهم الاموال الضايعة التي لا مالك لها ان كانت او تصرف اليهم الفي والغنايم ان كانت العداوة مع الكفار
فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم
بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات اخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين

وارباب الاموال وهم العمال والذي يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والذي يجمع عنده ليحفظه الى وقت الحاجة وهم الخزان والذي يفرق عليهم بالعدل وهم العارض للعساكر وبعض العمال لو تولاه عدد لا يحصيهم لابطاء بحكم النظام فيحدث من الحاجة الى ملك يدبرهم ولعين وظائف لعمل لكل عامل شخص ويحاسب الكل واحد بالحق

بدوام النفقة في اخراج الخراج واعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من ضابطات

الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم من اهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال

هولاء ايضا محتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فيحدث الحاجة الى المال الفرع مع المال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس والصناعات

من طوائف الاول الفلاحون والرعاة والمحترفون والثاني بنيه الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالث المترددون بين الطائفتين في الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة واشباههم فانظر كيف ابتدا الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ما ذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح

بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا انها هي الى غير حد محصور وكانها هاوية لا نهاية لها ولعمقها ومن وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي

وهذه هي الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والالة ما يتخذ من اعيان الارض وما عليها وما يتفع بها والالات الاخرية ثم الامكنة

التي ياوي الانسان اليها وهي البيوت ثم الامكنة التي يسعى فيها للمعيشة كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والانعام الات الالات

وقد يكون في الالات ما هو حيوان كالكلب الة للاصطياد والبقر الة الحراثة والفرس الة للحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس بها

الة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن بها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما الى ان يبذل ما عنده

للاخر حتى ياخذ منه عوضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذا بالته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى الالة فلا يبيعه

والفلاح اذا طلب الالة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع الة كل صناعة ليترصد

بها صاحبها ارباب الحاجات والى ابنية يجمع اليها ما يحمله الفلاحون من الطعام فيشتريه المحتاج منهم وصاحب الابنية فيترصد بها ارباب الحاجات فظهرت لذلك الاسواق

والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار ارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة

والاموال ثم يحدث لا محالة التردد بين البلاد والقرى فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الالات وينقلون ويتعيشون به لينتظم امور

البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لم يوجد فيها كل الالة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم

عليه حرص جمع الاموال فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار لاغراض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم اما قاطع الطريق

واما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس و

ارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها

فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكرى نوعا من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب

البياعات الحاجة الى النقدين فان من يريد ان يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري ان المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في اجناس مختلفة

كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين فيعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم

يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير

فحدثت الحاجة الى دار الضرب والى الصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه الحرف

لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبى ولا يشتغل به او يمنعه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان

ياكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون عن اللصوص والمكدين ويحفظون

عنهم اموالهم فيفتقرون الى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون في يده شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطرق

كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب او التسلق عند انتهاز الفرصة للغفلة واما ان يكونوا طرارا ونشالا الى غير ذلك من انواع

التلصص الحادثة بحسب ما انتجته الافكار المصروفة الى استنباطها واما المكدي فانه اذا طلب ما يسعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة

فلا يعطى شيئا فافتقروا الى حيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعورون اولادهم وانفسهم بالحيلة

ليعذروا بالعمى فيعطوا واما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض وإظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابت من غير استحقاق ليكون

ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون افعالا واقوالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها حتى يسمحوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب

ثم قد ينتهي تعجبهم بزوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعوذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة او الكلام المنثور المسجع

مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت او الذي

يحرك داعية العشق من اهل المجون وصنعة الطبالين في الاسواق وما يشبه الضرب وليس منه كبيع التعويذات والحشيش الذي يتخيل انه ادوية

فيخدع بذلك الصبيان ونحو اصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤوس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم

استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم بانواع الكدية وانواع الحيل ... وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق

واعمالهم التي اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فضلوا وتاهوا وسبق الى

عقولهم الضعيفة بعد ان كدرتها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت اراؤهم على عدة اوجه فطائفة غلبهم الجهل والغفلة

فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش في الدنيا اياما فنجتهد حتى نكتسب القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكتسب حتى ناكل

فياكلون ليكتسبوا ويكتسبون لياكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل ليلا

ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل فلا

يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا همهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة

ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادات فشغلهم ذلك عن الله واليوم الاخر وطائفة ظنوا ان السعادة في كثرة

الاموال والاستغناء بكنز الكنوز فاسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكسبون ويجمعون

ولا ياكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دابهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من ياكله في الشهوات

واللذات فيكون للجامع تعبه ووباله وللاكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك من غيرهم ولا يعتبرون وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة في حسن الصيت

وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروة فهؤلاء يتعبون في كسب المعاش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع ما لهم الى الملابس الحسنة

والدواب النفيسة ويزخرفون ابواب الدور وما يقع عليه اعين الخلق حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة فهمتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد موقع

نظر الناس وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا همهم الى استجرار الناس الى الطاعة

بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بها على طائفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا اعظم وان

ذلك غاية المطلوب وهذا اغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله تعالى وعن عبادته وعن التفكر في

اخرتهم ومعادهم ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس

والمسكن فنسوا ما تراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم اوائل اسبابها الى اواخرها وتداعى بهم ذلك الى مهاو لم يمكنهم الرقي منها

فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه

وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الاخرة وانصرفت

الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به

الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه منها فهذا شان المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان

ولم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة ان الدنيا دار محنة وبلاء والاخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد

في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب في ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محن الدنيا وبلاياها والوصول الى سعادة الاخرة

واخطأ والطريق وظنت طائفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد وان يعدم اثار الصفات البشرية ويقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة
والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه طريق العبادة
وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الزندقة والالحاد والكفر لهذا وظن بعضهم ان هذا
التعب كله انما هو لله تعالى وان الله سبحانه مستغني عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيده عبادة متعبد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة
وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم ومعرفتهم بالله عز وجل وجلاله واحسن ترك سقطوا عن نفوسهم حملهم التكليف والعبادات
حيث اعتقدوا ان الله عز وجل تعالى مستغني عن عبادة العباد وظن طائفة اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا
حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة والتكليف فتركوا السعي والعبادة وزعموا انهم ارتفع محلهم في معرفة الله تعالى عن ان يمتهنوا بالتكليف
وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهي
السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فياخذ منها قدر الزاد واما الشهوات
فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل
ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فياخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك ما يمنع من الحر والبرد
حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله بكنه همته واشتغل بالعبادة والذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا
يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فانه عليه السلام لما قال الناجي منها واحدة
قالوا يا رسول الله ومن هم قال اهل السنة والجماعة فقيل من اهل السنة والجماعة قال ما انا عليه واصحابي وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذي
فصلناه من قبل فانهم كانوا ما ياخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط ولا افراط بل كان امرهم بين ذلك
قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

## كتاب ذم حب المال بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم
فيها بتقلب الاحوال وردهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع واليأس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة و
البخل والجود والفرح بالموجود والاسف على الفائت المفقود والاسف على المفقود والامساك والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضى
بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وايهم آثر الدنيا على الاخرة بدلا وابتغى عن الاخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلوة
على محمد صلى الله عليه الذي نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى اله واصحابه الذين سلكوا سبيل الحق ذللا وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان
فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى لاحد عنها ثم اذا وجدت
فلا سلامة لاحد منها فان فقد المال حصل الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبته الا خسرانا وبالجملة فهي لا تخلو
من الفوائد والافات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها من شرها من المسائل المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر
في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل
في الدنيا عامة اذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب
والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الان في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوائل
وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده صفة الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحديهما محمودة و
الاخرى مذمومة وللحريص حالتان طمع فيما في ايدي الناس او تشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان الامساك
بحكم البخل والشح والانفاق واحديهما مذمومة والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء

عن الغموض فيها مهم ونحن نشرح ذلك في اربعة عشر فصلا ونبين ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم
علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم
مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر بيان ذم المال وكراهية حبه قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
الاية وقال انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها وقال تعالى الهاكم التكاثر وقال تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه
استغنى الاخبار قال رسول الله صلى الله عليه حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال عليه السلام ما ذئبان ضاريان
ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال عليه السلام هلك المكثرون الا من قال بها هكذا وهكذا
وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك شر قال عليه السلام الاغنياء وقال عليه السلام سياتي بعدكم قوم ياكلون اطائب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النساء
والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون
ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف
خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال عليه السلام دعوا الدنيا لاهلها
من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال عليه السلام يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت
فامضيت وقال رجل يا رسول الله مالي لا احب الموت فقال عليه السلام هل معك مال قال نعم قال عليه السلام قدمه فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب
ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال عليه السلام اخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي
يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه الى قبره هو اهله والذي يتبعه الى محشره فعمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على
ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال عليه السلام لكنهما عندي والمدر سواء وكتب سلمان الى ابي الدرداء يا اخي اياك ان تجمع من
الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله تعالى فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد
اديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله في فما يزال كذلك حتى
يدعو بالويل والثبور وكل ما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه
في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الان ما ورد في المال خاصة وقال عليه السلام اذا مات العبد قالت
الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال عليه السلام لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا الاثار روي ان رجلا نال من ابي الدرداء واراه
سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف راى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وان يفضي الى
الطغيان ووضع علي رضي الله عنه درهما على كفه وقال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروي ان عمر ارسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا
قالوا ارسل اليك عمر فقالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته صررا وجعلته فيه وقسمته في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت
اللهم لا تدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت اول نساء رسول الله صلى الله عليه لحوقا به وقال الحسن والله ما اعز الدرهم احد الا اذله الله تعالى و
قيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ووضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان ان الدراهم
والدنانير ازمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الرازي الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تاخذه فانه ان لدغك قتلك
سمه قيل وما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك فقالت ابغض
الدرهم والدينار وذلك لان الدراهم والدنانير هي الدنيا اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل اني وجدت فلا تظنوا غيره
هذا التورع عند هذا الدرهم فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان تقاك تقوى المسلم وقيل ايضا لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق ساق ومنه رفعه
ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه وروي انه دخل مسلمة بن عبد الملك بن مروان على عمر بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه
احد قبلك تركت ولدك ليس لهم دينار ولا درهم وكان عنده ثلاثة عشر من الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه فقال اما قولك لم ادع لهم دينارا ولا درهما فاني

لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانا ولدي احد رجلين اما مطيع لله تعالى فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله تعالى فلا
ابالي على ما وقع وروي ان محمد بن كعب القرظي اصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي
لولدي وروي ان رجلا قال لابن عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك ولدك بخير فاخرج ابن عبد ربه من ماله الف درهم وقال يحيى بن معاذ
مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله بيان مدح المال والجمع
بينه وبين الذم اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع من القرآن قال تعالى ان ترك خيرا الآية وقال رسول الله نعم المال الصالح للرجل
الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما الآية وقال تعالى ممتنا على عباده
ويمددكم باموال وبنين الآية وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال
ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر وانه ليس بخير محض ولا
هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد
مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعيم
الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس واكيسهم قال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم
استعدادا له وهذه السعادة لا تنال الا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة و
الفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة اخسها والمال من جملة الخارجات و
ادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ويرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر الشريف المطلوب سعادتها فانها
تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن
وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب
فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة لكمال النفس خير ومن عرف فائدة
الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه فاذا المال آلة ووسيلة
الى مقصود صحيح ويصلح ان يجعل آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذا محمود مذموم
محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد في الخبر
ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله تعالى وكان المال مسهلا لها وموصلا اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية
فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره وقال عليه السلام اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا
واستعاذ ابراهيم عليه السلام فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان يعتقد الالهية
في شيء من الحجارة وانما عنى بعبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال عليه السلام تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش
فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان خفي لا يوجب الخلود في النار
وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار بيان تفصيل آفات المال وفوائده اعلم ان المال مثل
حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده امكنه ان يحترز من شرها ويستدر من خيرها اما
الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشهورة مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها
واما الدينية فينحصر جميعها في ثلاثة انواع النوع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على العبادة اما في العبادة فهو كالاستعانة
به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير محروم من فضلهما واما فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس
والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب منصرفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به

فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ
الدنيا فقط النوع الثاني ما يصرفه الى الناس وهو اربعة اقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض والاستئجار اما الصدقة فلا يخفى ثوابها
وانها لتطفئ غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها فيما تقدم واما المروءة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة
وما يجري مجراه فان هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب
صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروءة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت
اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو
الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهو ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله ما وقى المرء به عرضه كتب له به صدقة وكيف
لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة والاحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشرع واما الاستئجار فهو
ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي
هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وخبزه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج
اليه وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل غرضك فانت متعوب اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور ان يقوم به غيرك فتضييع
الوقت في غيره خسران النوع الثالث ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى
ونصب الجباب في الطرق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات
متمادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد
بين الخلق وكثرة الاخوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب وكل ذلك مما يقتضيه المال في الحظوظ الدنيوية واما الآفات فدينية ودنيوية اما الدينية
فثلاث الاولى ان يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا تقدر ومهما كان الانسان آيسا عن
نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة انبعث والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان
صبر وقع في الشدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء الثانية ان يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات
فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم
بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا اليه لا يصبر عنه ويجره البعض الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه
بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراءاة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الرديئة لينتظم له امر دنياه ويتيسر له
تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلابد وان ينافقهم ويعصي الله تعالى في طلب رضاهم فان سلم الانسان من الآفة الاولى
وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكذب والكبر والغيبة
والنميمة وسائر المعاصي التي تختص بالقلب واللسان ولا يخلو عن التعدي ايضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة الى حفظه
واصلاحه الثالثة وهي التي لا ينفك عنها احد وهو ان يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله تعالى فهو خسران ولذلك قال عيسى
عليه السلام في المال ثلاث آفات ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله قال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه قال يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا
هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى والفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا
في خصومة الفلاح وخيانته وسرقته ومحاسبته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء
في التقصير في العمارة وصاحب التجارة يمسي متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذا صاحب المواشي وسائر اصناف الاموال
هكذا وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع اطماع
الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة من الآفات الدينية سوى ما يقاسيه ارباب

الاموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والتعب والهم في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها فاذا ترياق المال اخذ القوت
منه وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم وآفات (بيان) ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في ايدي الناس اعلم ان الفقر محمود
كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه
ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والمسكن والملبس ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد الشهر
فان تشوق الى الكثير وطول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات
الخارقة للمروات وقد جبل الآدمي على الحرص وقلة القناعة قال عليه السلام لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا
التراب ويتوب الله على من تاب وقال ابو واقد الليثي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوحي اليه اتيناه فعلمنا مما اوحي اليه فجئته يوما فقال عليه السلام
ان الله عز وجل يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتاء الزكوة ولو ان لابن آدم واديا من الذهب والفضة لاحب ان يكون له ثاني ولو كان له ثاني
لاحب ان يكون اليهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ابو موسى الاشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها
ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم في الآخرة ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على
من تاب وقال عليه السلام منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال عليه السلام يهرم ابن آدم ويشب منه اثنان الامل وحب المال وقيل الحرص و
لما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله عليه السلام على القناعة فقال عليه السلام طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع
به وقال عليه السلام ما من احد غني او فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى
عليه السلام عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال عليه السلام اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا و
هي راغمة ويروى ان موسى سأل ربه فقال اي عبادك اغنى قال اقنعهم بما اعطيته قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه قال ابن مسعود قال
رسول الله ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وعن ابي هريرة قال لي رسول الله يا ابا هريرة
اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال ابو هريرة قال النبي عليه السلام كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس و
احب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى عليه السلام عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله عظني و
اوجز فقال عليه السلام اذا صليت فصل صلوة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما في ايدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند
رسول الله تسعة او ثمانية او سبعة فقال عليه السلام الا تبايعون رسول الله قلنا اوليس قد بايعناك يا رسول الله فقال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا
فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلام نبايعك فقال على ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة
خفية ولا تسألوا الناس شيئا قال فلقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسأل احدا ان يناوله اياه (الاثار) قال عمر ان الطمع
فقر وان اليأس غنى وانه من يئس عما عند الناس استغنى عنهم وقيل لحكيم ما الغنى فقال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وانشد العيش ساعات تمر
وخطوب ايام تكر اقنع بعيشك ترضه واترك هواك وانت حر فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويقول
من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا بها وخير ما ابتليتم به ما خرج من ايديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن
آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك فقال
التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله تعالى قال في بعض الكتب يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها
الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا
ولا يأتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له او ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه
فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل لحكيم اي شيء اسر للعاقل واي شيء اعون له على دفع الحزن قال
اسرها له ما قدم من صالح العمل واعونها له على دفع الحزن الرضى بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهنأهم عيشا

القانع

القانع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وقيل ارفه بالا فتى يمشي على ثقة
ان الذي قسم الارزاق يرزقه فالعرض منه مصون لا يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه ان القناعة من يحلل بساحتها لم يلق في ظلها هما يؤرقه
آخر حتى متى انا في حل وترحال وطول سعي وادبار واقبال ونازح الدار لا انفك مغتربا عن الاحبة لا يدرون ما حالي بمشرق الارض طورا ثم بالمغرب
لا يخطر الموت من حرصي على بالي ولو قنعت اتاني الرزق في دعة ان القنوع الغنى لا كثرة المال وقال عمر الا اخبركم بما استحل من مال الله حلتان لشتائي
وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم فوالله ما ادري ايحل ذلك ام لا كانه شك في
ان هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته و
تطلب انت ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وانشد
اراك يزيدك الاثراء حرصا على الدنيا كانك لا تموت فهل لك غاية ان صرت يوما اليها قلت حسبي قد رضيت قال الشعبي حكي ان رجلا صاد قبرة فقالت
ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك واشويك واكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلاث خصال هي خير لك من اكلي اما الواحدة فـ
وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على راس الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قال لا تلهفن على ما فات فخلى عنها
وخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت الى الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي
درتين كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة قالت انت قد نسيت الثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا
تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انه يكون انا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالا
ثم طارت فذهبت وهذا مثال ضرب لفرط طمع الآدمي فانه يعميه الطمع عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك
قيد في رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك قال ابو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب عليها بالذهب فلما رآني
تبسم فقلت فائدة اصلح الله امير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني امية فاستحسنتهما وقد اضفت اليهما ثالثا وانشد
اذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لاخرى ينفتح لك بابها فان قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوآت الامور اجتنابها فلا تك مبذالا لعرضك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عقابها
وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد ان وعوها وعقلوها فقال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر
لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء فيطلبه فيذهب عليه دينه واما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب ان يفوتها شيء ويكون لك الى هذا
حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا
مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان وقال حكيم من عجيب امر
الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الموت
بالتحقيق واوحى بعدم البقاء (بيان) علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة اركان الصبر
والعلم والعمل ومجموع ذلك في خمسة امور الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد عن نفسه
ابواب الخرج ما امكن ويرد نفسه الى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأي
طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال
في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الاصل في القناعة ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق قال النبي عليه السلام ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال
عليه السلام ما عال من اقتصد وقال عليه السلام ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والسخط وروي ان رجلا
رأى ابا الدرداء يلتقط حبا من الارض وهو يقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس قال عليه السلام الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء
من بضع وعشرين جزءا من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال عليه السلام من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله احبه الله وقال عليه السلام
اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من اهم الامور الثاني اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون

شديد الاضطراب لأجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بد أن يأتيه وإن لم يشتد حرصه فإن شدة
الحرص ليست هي السبب في وصول الأرزاق بل ينبغي أن يكون واثقا بوعد الله إذ قال وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وذلك أن الشيطان
يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض أو تعجز وتحتاج إلى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر
يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله تعالى لتوهم تعب في ثاني الحال لا يكون وربما لا يكون وينشد
ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر وقد دخل ابنا خالد على رسول الله فقال لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما
فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر عليه السلام بابن مسعود وهو حزين فقال له عليه السلام لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق
يأتك وقال عليه السلام أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الإنسان عن
الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد ولذلك يحصل لا محالة مع الإجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق العبد من حيث لا يحتسب
أكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله
قال عليه السلام أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا أي لا يترك التقي فاقدا للضرورة بل يلقي
الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه وقال المفضل الضبي قلت لأعرابي من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فإذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش إلا من
حيث ندري لم نعش قال أبو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا منها هو لي فلن أعجله قبل أجله ولو طلبته بقوة السماوات والأرض وشيئا منها هو لغيري
فذلك لم أنله فيما مضى ولا أرجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي أي هذين أفني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف
الشيطان وإنذاره بالفقر الثالث أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع من الذل فإذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته إلى القناعة
لأنه في الحرص لا يخلو عن تعب وفي الطمع لا يخلو عن ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطلع عليه أحد وفيه ثواب الآخرة
وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فإن من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس
فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الإيمان قال عليه السلام عز المؤمن
استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فأنت نظيره واحتج إلى من شئت فأنت أسيره وأحسن إلى من شئت فأنت أميره
الرابع أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الأكراد والأعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء
وإلى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الخلق أو على الاقتداء بمن
هو أعز أصناف الخلق عند الله تعالى حتى يهون بذلك عليه الصبر على القليل والقناعة باليسير ثم ينظر إذا أن يتنعم في البطن فالحمار أكثر أكلا منه وإن يتنعم في
الوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه وإن تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو أعلى رتبة منه وإن قنع بالقليل ورضي باليسير لم يساهمه في رتبته إلا الأنبياء و
الأولياء الخامس أن يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه من آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الأمن والفراغ
ويتأمل ما ذكرناه من آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الأمن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه من آفات المال وما فيه من خوف
السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الأمن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه من الآفات في المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام فإنه إذا لم يقنع
بما يكفيه التحق بزمرة الأغنياء وأخرج عن جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه فإن الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من
فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتنعمون في الملابس والمطاعم ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول لم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف
الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم بالتقشف وقال أبو ذر أوصاني خليلي أن أنظر إلى من هو دوني لا
إلى من هو فوقي أي في الدنيا وقال أبو هريرة قال رسول الله إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله تعالى عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الأمور
يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهرا طويلا فيكون كالمريض الذي
يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء **بيان فضيلة السخاء** اعلم أن المال إن كان مفقودا فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص

ولئن كان موجودا فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فإن السخاء من أخلاق الأنبياء وهو أصل من أصول
النجاة وعنه عبر النبي حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن إلى الجنة وقال جابر قال
رسول الله قال جبريل قال الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فأكرموه بهما ما صحبتموه
وعن عائشة قالت قال رسول الله ما جبل الله وليا له إلا على السخاء وحسن الخلق وعن جابر قال قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال الصبر والسماحة
وقال عبد الله بن عمرو قال رسول الله خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله عز وجل فالسخاء وحسن الخلق وأما اللذان
يبغضهما الله عز وجل فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت
يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال عليه السلام إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام وقال أبو هريرة قال رسول
الله السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا أخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا أخذ بغصن منها فلم يتركه
حتى يدخله النار وقال أبو سعيد الخدري قال النبي قال الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم فإني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه
من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله عليه السلام تجافوا عن ذنب السخي فإن الله آخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال رسول الله
الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير وإن الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة وقال عليه السلام إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي
الأخلاق ويكره سفسافها وقال أنس إن رسول الله لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه قال فأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من
شاء الصدقة فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وقال ابن عمر قال عليه السلام إن لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد
فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله عنه وحولها إلى غيره وعن الهلالي قال أتي رسول الله صلى الله عليه بأسرى من بني العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا
فقال علي يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال عليه السلام نزل علي جبريل عليه السلام فقال اقتل هؤلاء واترك
هذا فإن الله تعالى شكر له سخاء فيه وقال عليه السلام إن لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن ابن عمر قال قال رسول الله طعام الجواد دواء
وطعام البخيل داء وقال عليه السلام من عظمت نعمة الله تعالى عنده عظمت مؤونته وحوائج الناس إليه فمن لم يحتمل تلك المؤونة عرض تلك النعمة للزوال
وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شيء لا تأكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عائشة قال رسول الله عليه السلام الجنة دار الأسخياء وقال أبو هريرة
قال عليه السلام إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل
سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل وأدوأ الداء البخل وقال النبي عليه السلام اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس أهله فإن أصبت أهله فقد أصبت
أهله وإن لم تصب أهله فأنت أهله وقال عليه السلام إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور و
النصح للمسلمين وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله إن الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله ووجه طلاب
المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءهم كما ييسر الغيث إلى البلدة المجدبة فيحييها ويحيي بها أهلها وقال رسول الله كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل
على نفسه وأهله فهو له صدقة وما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله تعالى خلفها وقال عليه السلام كل معروف صدقة والدال
على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان وقال عليه السلام كل معروف فعلته إلى غني أو فقير صدقة وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى لا تقتلوا السامري
فإنه سخي وقال جابر بعث رسول الله بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله فقال إن الجود لمن
شيمة أهل ذلك البيت [illegible] وقال علي كرم الله وجهه إذا أقبلت الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفنى وإذا أدبرت فأنفق منها فإنها
لا تبقى وأنشد لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف فإن تولت فأحرى أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف وسأل معاوية
الحسن بن علي عن المروءة والنجدة والكرم فقال أما المروءة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والإقدام في [illegible]
وأما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل
ورفع رجل إلى الحسن رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألني الله تعالى

ولئن كان [illegible]

عن رجل فقال مدنس بدنه حتى اقرأ فعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بفعاله وسئل بعض الاعراب فقيل من
سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا وقال علي بن الحسين من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدي بحقوق الله
في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يتيقن ثواب الله تعالى تاما وقيل للحسن ما السخي قال ان تجود بما لك في الله تعالى وقيل ما الحزم قال
ان تمنع مالك فيه وقيل ما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة
الا وان الله تعالى يقول اني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللؤم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة وقال حذيفة
رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته وراى الاحنف بن قيس رجلا وفي يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس لك حتى يخرج
من يدك وانشد ابن المال اذا امسكته فاذا انفقته فالمال لك وسمي واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا راى امراة ضعيفة اعطاها شيئا
وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى اخيه الحسين يعتب عليه اعطاء الشعراء فكتب اليه الحسين خير المال ما وقي العرض وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء فقال السخاء
البر بالاخوان والجود بالمال قال وورث ابي خمسين الف درهم فبعث بها صررا الى اخوانه وقال قد كنت اسال الله تعالى لاخواني الجنة في صلواتي فابخل عليهم بالدنيا
وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قال فان لم يكن قال من كثرت ايادي
عنده وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شبة كيف رايت الناس
في داري فقال يا امير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع
فاذا اصطنعت صنيعة فاعمل بها لله او لذوي القرابة اودع فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب
الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت له اهلا حكايات ــــــــــ الاسخياء روى محمد بن المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عائشة قالت ان ابن الزبير
بعث الى عائشة بمال في غرارتين قالت اراه ثمانين ومائة الف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فطوري
فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة اما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه قالت لو كنت ذكرتيني لفعلت وعن ابان بن عثمان قال
اراد رجل ان يضار عبيد الله بن العباس فاتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملؤوا عليه الدار فقال ما هذا فاخبر الخبر فامر
عبيد الله بشراء فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فاكلوا حتى صدروا فقال عبيد الله لوكلائه اموجود
لنا كل ما اردت قالوا نعم قال فليحضر هؤلاء عندنا في كل يوم وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين لاخيه الحسن لا تلقاه ولا تسلم عليه
فلما خرج معاوية قال الحسن ان علينا دينا فلا بد لنا من اتيانه فركب في اثره ولحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمروا عليه بختي عليه ثمانون الف درهم وقد اعيى وتخلف
عن الابل وقوم يسوقونه الى المدينة فقال اصرفوه بما عليه الى ابي محمد وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثني ابي انه رفع رقعة الى المامون يذكر
فيها كثرة الدين وقلة الصبر عليه فوقع المامون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان سخاء وحياء فاما السخاء فهو الذي اطلق ما في يدك واما الحياء فهو
الذي يمنعك عن ابلاغنا ما انت عليه وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت اصبت فازدد في بسط يدك وان لم تكن اصبت فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على
قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن انس ان النبي قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله الى كل عبد بقدر
نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي والله لمذاكرة المامون اياي الحديث احب الي من الجائزة وهي مائة الف درهم وسال رجل الحسن
بن علي حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء لشكرك
فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤونة الاحتيال والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر العطية واعذر على المنع فدعا
الحسن وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة الف فاحضر خمسين الفا قال فما فعل الخمسمائة دينار قال هي عندي قال
احضرها فاحضر فدفع الدنانير والدراهم الى الرجل وقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليه الحسن رداءه لكرى الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا
درهم فقال ولكني ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون
مثله وقد زوج بنته من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس واخذ بايديهم وادخلهم داره ففتح صندوقا فاخرج منه ستة بدر



فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا
عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم اولياء الله ففعل وفعلوا وقيل لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد اميرهم فقال والله لاعلمن الشيطان اني عدوه
فعال محاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه الف الف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة الف فلما تعذر عليه
ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم الى من لم تنله صلته فنتسموها وكان ابو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق علي بن
ابي طالب الا وهبت لي نخلتك بموضع كذا فقال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها ايضا وكان ذلك اضعاف ما طلب الرجل وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه
بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي بعشرة الاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني محبوسا
ففعل ذلك فلم يمس حتى دفعت اليه عشرة الاف درهم واخرج ابو مرثد من الحبس وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة
واراد الدخول على معن فلم يتهيا له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة ثم القاها
في الماء الذي يدخل بستان معن وكان معن على راس الماء فلما بصر بالخشبة اخذها وقراها وعليها مكتوب ايا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي الى معن سواك شفيع
فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشر بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من
تحت البساط وقراها فدعا بالرجل ودفع اليه مائة الف درهم فلما اخذها تفكر الرجل وخاف ان ياخذ ما اعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قراها
ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وقال ابو الحسن المدائني خرج الحسن والحسين
وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم
فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ثم قالوا هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى
اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم وذبحها وكشطها ثم هيات لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا
رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر
من قريش ثم بعد مدة الجاتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها على رؤوسهما ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك
المدينة فاذا الحسن جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث غلامه فدعا العجوز وقال لها يا امة الله تعرفيني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا فقالت العجوز بابي انت
وامي انت هو قال نعم فامر الحسن فاشتري لها من غنم الصدقة الف شاة وامر لها الحسن بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال بكم وصلك
اخي فذكرت له فامر لها الحسين بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين فذكرت له الفي دينار والفي شاة فامر
لها بالفي دينار والفي شاة وقال لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها بذلك كله وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده
فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رايتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي واعوذ بالله ان طار
بجناحك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بالف دينار فدفعها الى الغلام وقال استنفق هذه فنعم ما ادبك اهلك وحكي ان قوما من العرب جاؤوا
الى قبر بعض اسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد جاؤوا من سفر بعيد فراى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك ان تبادل بعيرك هذا
بنجيبي وكان السخي الميت مخلفا نجيبا معروفا به وكان لهذا الرجل بعير سمين فقال في النوم نعم فباعه في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد
هذا الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه فاذا الدم يثج من نحر بعيره فقام اليه فنحره وقسم لحمه وطبخوه واشتووا وقضوا حاجتهم ثم رحلوا
وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان باسم ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان شيئا
وذكر الميت صاحب القبر فقال نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه وقال هو ابي وقد رايته في النوم وهو يقول لي ان كنت ابني فادفع نجيبي
الى فلان وسماه وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال
الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة الاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك
استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك فابكاني واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي في السوق بتسعين الف درهم

فلما كان الليل سمع بكا من اهل دار خالد فقال لاهله ما لهولاء يبكون قالوا يبكون لدارهم قال يا غلام ائتهم فاعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا وقيل انفذ الرشيد
الى مالك بن انس خمسماية دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب هرون الرشيد وقال اعطيته خمسماية دينار وتعطيه انت الف دينار
وانت من رعيتي فقال يا امير المومنين ان لي في كل يوم من غلتي الف دينار فاستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكي انه لم يجب عليه الزكوة مع ان دخله كل
يوم الف دينار وروي ان امراة سالت الليث بن سعد شيا من عسل فامر لها بزق من عسل فقيل له انها كانت تقنع بدون هذا فقال انها سالت على قدرها فنعطيها
على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثماية وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكيت شاة فعلى وكان خيثمة بن عبد الرحمن يعود
بالغداة والعشي ويسالني عنها هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل
الي في علة الشاة اكثر من ثلثماية دينار من بره واني استعفي الله تعالى حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا وقال عبد الملك بن مروان لاسما بن خارجة بلغتني عنك خصال فحدثني
بها فقال هي من غيري احسن منها مني قال عزمت عليك الا حدثتني بها فقال يا امير المومنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما فدعوت عليه قوما الا
كانوا امن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسالني شيا فاستكثرت ما اعطيته اياه ودخل سعيد بن خالد على سليمن بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا
فاذا لم يجد شيا كتب لمن ساله صكا على نفسه حتى يخرج عطاوه فلما نظر اليه سليمن تمثل بهذا البيت اني سمعت مع الصباح مناديا يا من يعين على الفتى المعوان وقال له
حاجتك قال ديني قال وكم هو قال ثلثون الف دينار فقال لك دينك ومثله وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطا اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين
فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر فنادى مناد من كان عليه لقيس حق فهو منه حل فكسرت درجته عشية من كثرة من عاده وعن ابي اسحق قال
صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت لست من اهل هذا المسجد فقيل ان الاشعث بن قيس الكندي
قدم البارحة من مكة فامر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين وقال الشيخ ابو سعد الخركوشي النيسابوري سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المطلبي
بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقرا شيا فولد لبعضهم مولود قال فجئت اليه فقلت ولد لي مولود وليس معي شي فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشي
فجا الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم وكلمت جماعة في دفع شي لمولود فلم يتفق لي شي ثم قام واخرج دينارا فكسره بنصفين
وناولني نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يفتح عليك بشي قال فاخذته وانصرفت واصلحت امري بما تيسر لي قال فراى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال
سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسماية دينار واحملها الى هذا
الرجل فلما كان من الغد تقدم الرجل الى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا مكان الكانون واخرجوا الدنانير وجاوا بها ووضعوها بين
يديه فقال هذا مالكم وليس لرويای حكم فقالوا هو يتسخا ميتا ولا نتسخا حيا فلما الحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة واخذ منها
دينارا فكسره بنصفين فاعطاه النصف الذي اقرضه وحمل النصف الاخر وقال يكفيني هذا وتصدق به على الفقرا قال ابو سعد فلا ادري اي هولاء اسخى
روي ان الشافعي لما مرض مرض موته قال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغ ذلك الرجل فحضر وقال ايتوني بتذكرته فاتي بها فنظر فيها فاذا
على الشافعي سبعون الف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه اي اراد به هذا قال ابو سعد الخركوشي الواعظ لما قدمت مصر طلبت
منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرايت جماعة من احفاده وزرتهم فرايت فيهم سيما الخير واثار الفضل فقلت بلغ اثره في الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مصداقا
لقوله تعالى وكان ابوهما صالحا وقال الشافعي لا ازال احب حماد بن ابي سليمن لشي بلغني عنه انه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد ان
ينزل اليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط اليه فسوى زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه من
قلتها وانشد الشافعي لنفسه يا لهف نفسي على مال افرقه على المقلين من اهل المروات ان اعتذاري الى من جاء يسالني ما ليس عندي من احدى المصيبات وعن الربيع
ان رجلا قبل ركاب الشافعي فقال يا ربيع اعطه اربعة دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعا الى مكة بعشرة الاف درهم فضرب
خباه في موضع خارج من مكة فنثرها على ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه يقبض قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شي وعن ابي ثور قال اراد
الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيا من سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسالته
عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف اكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيه

وانشد



وانشد الشافعي رضي الله عنه لنفسه ارى نفسي تتوق الى امور ويقصر دون مبلغهن مالي فلا نفسي تطاوعني ببخل ولا مالي يبلغني فعالي وقال محمد بن عباد المهلبي
دخل ابي على المامون فوصله بماية الف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فرفع ذلك الى المامون فلما عاد اليه عاتبه المامون في ذلك فقال يا امير المومنين منع
الموجود سوء الظن بالمعبود فوصله بماية الف اخرى وقام رجل الى سعيد بن العاص فساله فامر له بماية الف درهم فبكى فقال سعيد ما يبكيك فقال ابكي على الارض
كيف تاكل مثلك فامر له بماية الف اخرى ودخل ابو تمام على ابراهيم بن شكلة بابيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وامر حاجبه بنيله ما يصلحه
وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه ان حراما قبول مدحتنا وترك ما نرتجي من الصفد كما الدنانير والدراهم في البيع حرام الا يدا بيد
فلما وصل الى ابراهيم البيتان قال لحاجبه كم اقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلثين الف درهم وجيني بدواة فكتب اليه عاجلتنا فاتاك عاجل برنا قلا ولو
امهلتنا لم نقلل فخذ القليل وكن كانك لم تسل ونكون نحن كاننا لم نفعل ويروى انه كان لعثمن على طلحة خمسون الف درهم فخرج عثمن يوما الى المسجد فقال له طلحة قد
تهيا مالك فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة على مروتك وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرايت منه ثقلا فقلت ما لك فقال اجتمع عندي
مال وقد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك ففرقه فيهم فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم فسالت الخادم كم كان فقال اربعماية الف وجا اعرابي الى طلحة
فساله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه الرحم ما سالني بها احد قبلك ان لي لارضا قد اعطاني بها عثمن ثلثماية الف درهم فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها
من عثمن ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمن ودفع اليه الثمن وقيل بكى علي فقيل له ما يبكيك فقال لم جسني قال للاعرابي اربعماية درهم دين علي فوزن له اربعماية درهم
واخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امراته لم اعطيته اذ شق عليك فقال انا ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي به

باب ذم البخل

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله الاية وقال تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل الاية
وقال رسول الله اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال عليه السلام اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا
دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم وقال عليه السلام لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خاين ولا سيء الملكة وفي رواية ولا جبار
وفي رواية ولا منان وقال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال عليه السلام ان الله تعالى يبغض ثلثة الشيخ الزاني والبخيل
المنان والعيل المختال وقال عليه السلام مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيا الا
اتسعت ووفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع
هو يوسعها ولا تتسع وقال عليه السلام خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق وقال عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان
ارد الى ارذل العمر وقال عليه السلام اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانه
اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال عليه السلام شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع و
قتل شهيد على عهد رسول الله فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال النبي وما يدريك انه شهيد فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال
جبير بن مطعم بينا نسير مع رسول الله ومعه الناس مقفله من حنين علقت رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه
فوقف رسول الله فقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا وقال عمر قسم رسول الله
قسما فقلت غير هولاء كانوا احق به منهم فقال عليه السلام انهم خيروني بين ان يسالوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على
رسول الله فاخبره بما قالا فقال له عليه السلام لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة الى ماية ولم يقل ذلك ان احدكم ليسالني فينطلق في مسالته متابطها وهي نار
فقال عمر لم تعطيهم وهي نار فقال عليه السلام يابون الا ان يسالوني ويابى الله لي البخل وروي عن ابن عباس عن رسول الله انه قال الجود من جود الله تعالى فجودوا
يجد الله تعالى لكم الا ان الله تعالى خلق الجود فجعله في صورة شجرة وجعل راسها راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها بسدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها
الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة الا ان السخا من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل في صورة شجرة وخلق اغصانها من مقته وجعل راسه
راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال عليه السلام السخي شجرة

فقال له لم تبكي وقد صنعت ما صنعت فقال ابكي لاني لم اتعهد حاله حتى احتاج الى ان يسالني صح

شئت في النار ولا يلج النار الا بخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال عليه السلام
اي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال عليه السلام بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك
لنزنه بالبخل فقال عليه السلام اي داء ادوى من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء بن معرور وقال علي قال عليه السلام
ان الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته وقال ابو هريرة قال عليه السلام لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد وقال عليه السلام السخي الجهول احب الى الله تعالى من
العابد البخيل وقال عليه السلام خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال عليه السلام لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال عليه السلام يقول قائلكم الشحيح
اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي ان رسول الله كان يطوف بالبيت فاذا رجل
متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي قال رسول الله وما ذنبك صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك
اعظم ام الارضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال رسول الله ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي
يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي قال رسول الله فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله
اعظم واعلى قال عليه السلام ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل لياتيني يسالني فكانما يستقبلني بشعلة من النار فقال
رسول الله اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الف الف عام وبكيت حتى تجري من دموعك الانهار
وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لكبك الله تعالى في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار اما علمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل
فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الاثار وقال ابن عباس لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم
قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها
اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور العين فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا
اسكنك بخيلا وقالت ام البنين اخت عمر بن عبد العزيز اف للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله انا لنجد باموالنا ما
يجد البخيل ولكنا نصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله تعالى بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم وقال علي في
خطبة له انه سياتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو الشح اشد من البخل
لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى ياخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يده وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في جهنم
البخل او الكذب وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول
متانيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب
مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط الله عليه من لا يرحمه وقال الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون
قال البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك
تلفا ولمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكانما يرى السائل ملك الموت اذا
اتاه وقال ابو حنيفة رحمه الله لا ارى ان اعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامون الامانة
وقال علي كرم الله وجهه ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء واكل القديد و
حك الجرب وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له قال النبي عليه السلام انك لبخيل ومدحت امراة عند النبي فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما
خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء
الا بغض ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى عليه السلام ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض
الناس اليك قال احب الناس الي المؤمن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان
يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك حكايات البخلاء قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه

تنبيه

بعض

بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منها فاكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت وجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف
حاله للطبيب فقال لا باس عليك تقيا ما اكلت فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض اموت والله ولا اتقيا طباهجة ببيض وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا و
بين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا قال نعم فقرا والزيتون وطور سينين فقال واين التين قال
التين تحت كسائك ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه شيئا فحبسه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال
بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت المقلى وحكي ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه فقال له قائل
صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قال فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فما ياكل معه احد قال بلى الذباب فقال
سوءة لك انت خاص به وثوبك مخرق قال انا والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوءا ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل
ومعهما يعقوب يضمنون عنه ابرة ويسالونه اعارتها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل ويقال كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم
بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم اليه ارسل غلامه فاشترى له راسا فاكله فقيل له نراك لا تاكل الا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك فقال نعم الراس اعرف
سعره فآمن خيانة الغلام فيه ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك وآكل منه
الوانا عينه لونا واذنه لونا ودماغه لونا ولسانه لونا والغلصمة لونا واكفى مؤونة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امراة من
اهله ما لي عليك ان رجعت بالجائزة فقال ان اعطيت مائة الف درهم اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربعة دوانيق واشترى لحما بدرهم فدعاه
صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو دخلت فاكلت كسرة وملحا
فيابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا اذ سال سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد
المسالة عليه فقال له بورك فيك فلما سال الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رايت
اصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما بيان فضيلة الايثار وفضله اعلم ان السخاء والبخل كل واحد ينقسم الى درجات
فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما
ان السخاء قد ينتهي الى ان يسخو على غيره مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة
فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لاكلها فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان
الاخلاق عطايا يضعها الله تعالى حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله تعالى على الصحابة به فقال ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
وقال عليه السلام ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له وقالت عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا و
لكنا نؤثر على انفسنا ونزل برسول الله عليه السلام ضيف فلم يجد عند اهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف الى اهله فوضع بين يديه الطعام وامر امراته
باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله لقد عجب الله من صنيعكم الليلة الى ضيفكم ونزلت والذين
يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من اخلاق الله تعالى والايثار اعلى درجات السخاء وكان ذلك من ادب رسول الله حتى سماه الله عظيما فقال وانك
لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى عليه السلام يا رب ارني بعض درجات محمد وامته فقال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة
فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي فكشف له عن ملكوت السموات فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله فقال يا رب بماذا بلغت به هذه
الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبواته من جنتي حيث يشاء وقيل
خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص
فاكله ثم رمى اليه الثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم آثرت هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب انه جاء من مسافة
بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الام على السخاء ان هذا لاسخى مني فاشترى الحائط والغلام
وما فيه من الالات واعتق الغلام ووهبه منه وقال عمر رضي الله عنه اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله راس شاة فقال ان اخي فلانا احوج مني اليه فبعث به اليه فلم
يزل يبعث به الواحد الى الاخر حتى تداوله سبعة ابيات حتى رجع الى الاول وبات علي كرم الله وجهه على فراش رسول الله فاوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل
اني آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر الاخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة واحباها فاوحى الله تعالى اليهما افلا كنتما مثل علي آخيت

عليهما السلام

بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحيوة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي
بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد وحكي عن ابي الحسن الانطاكي
انه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفعوا
اذا الطعام بحاله ولم ياكل واحد منهم شيا ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة جاءه سائل ولم يكن عنده شي فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر
اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شي من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار
الي ان نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي الي ان انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به آخر فقال آه فاشار هشام ان انطلق به اليه فجئته فاذا
هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال عباس بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر
بن الحارث فانه اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه واعطاه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة
وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد
ثم رجع بعد ساعة ومعه عشرون كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب فيها فما زالت تاكلها وذلك الكلب ينظر اليها حتى اكلتها وبقي العظام فرجعت
الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى العظام فاكل ما بقي عليها من اللحم قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار واحوال الاولياء في كتاب الفقر
والزهد فلا نعيده ههنا **بيان حد السخا والبخل وحقيقتهما** لعلك تقول عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان
بخيلا وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من الانسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا
من البخل وما من انسان الا ويجد في نفسه حب المال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك احد عن البخل واذا كان الامسا[ك]
مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخا الذي يستحق العبد به صفة السخا وثوابها فنقول قد قال قائلون
حد البخل منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا
بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوها عليه او تمرة اكلوها من ماله يعد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن
انه ياكل معه فاخفاه عنه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه وان اريد به انه يستصعب بعض العطايا
فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطا بلا من واسعاف
على غير روية وقيل الجود عطا من غير مسالة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطا لما امكن وقيل الجود عطا على رؤية ان المال لله تعالى
والعبد لله تعالى فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخا ومن اعطى الاكثر وابقى لنفسه شيا فهو صاحب جود ومن
قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود
وهو صلاح الحاجات للخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث
يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي ان يكون الجود والسخا عبارة عنه
اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخا وقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فالجود
وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه
فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه
الى ما يجب صرفه اليه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروة والعادة والسخي
هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع اداء الزكوة ويمنع عياله واهله
النفقة او يؤديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف او الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب له ان يعطي من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل
واما الواجب بالمروة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله استقبح منه
ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح
في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح اقل منه في المعاملة فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما به المضايقة من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة

ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شري الكفن مثلا او شري الاضحية او شري خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة
من صديق او اخ او قريب او زوجة او ولد او اجنبي وبمن منه المضايقة من صبي او امراة او شيخ او شاب او عالم او جاهل او موسر او فقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث
ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع او بحكم المروة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان
صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكوة والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم من حفظ المال والمضايق في الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروة لحب
المال فهو بخيل ثم تبقى درجة اخرى وهو ان يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروة ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل
غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الاخرة فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل عند
عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا ويرون امساكه لدفع النوائب مهما وربما يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه ان كان في جواره
محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكوة الواجبة وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف حال المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه
فمن ادى واجب الشرع وواجب المروة اللائقة به فقد تبرا من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخا ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت
نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا يتوجه اجود من بعض واصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروة هو الجود لكن بشرط ان يكون عن طيب
نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة او مكافاة او شكر او ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود
في نفسه والجود هو بذل الشي من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى واما الادمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشي الا لغرض ولكن
اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الاخرة او اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل يسمى جوادا وان كان الباعث عليه الخوف من الهجا مثلا او من
ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اعراض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن
بعض المتعبدات انها دخلت على حبان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اسأله عن مسالة فقالوا لها سلي عما شئت واشاروا الى حبان بن هلال
فقالت ما السخا عندكم قالوا العطا والبذل والايثار قالت هذا السخا في الدنيا فما السخا في الدين قالوا ان نعبد الله سبحانه سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون
على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرة فباي شي تسخيتم عليه
قالوا فما السخا عندك يرحمك الله قالت السخا عندي ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما
يشا اما تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيا بشي ان هذا في الدنيا لقبيح وقال بعض المتعبدات لبعض الحسب اترى السخي في
الدراهم والدنانير فقط قال ففيم قالت السخا عندي في بذل المهج وقال المحاسبي السخا في الدين ان تسخو بنفسك تتلفها لله تعالى ويسخو قلبك ببذل مهجتك و
اهراق دمك لله بسماحة من غير اكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن تمام السخا بترك
الاختيار على الله حتى يكون هو الفاعل لك بما لا تحسن اختياره لنفسك **بيان علاج البخل** اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان
احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم
او شهر او في سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد قام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاهم كبقا نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال عليه السلام الولد مبخلة
مجبنة محزنة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجي الرزق قوي البخل لا محالة السبب الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا
اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته ويفضل آلاف وهو شيخ لا ولد له ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير
عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع او ياخذها اعداوه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان ياكل او يتصدق
منها بحبة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى برؤه ومثاله مثال رجل عشق شخصا فاحب رسوله
لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم تنسى الحاجات ويصير
الذهب كانه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من راى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا من حيث قضا حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة
فهذه اسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران
وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم
انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فالله كافيه وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية ويرجع مظلمته اليه

ويعالج قلبه ايضا بكثرة التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله تعالى به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التامل
في احوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس
مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق ولا يحفظ من المال الا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بان يحصل ثواب بذله
فهذه ادويته من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والاخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فاذا
حركت الداعية فينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه حكي ان ابا الحسن البوشنجي كان يوما في الخلاء
فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج فقال لم آمن على نفسي ان تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا يزول صفة البخل
الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج
البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في الماء كان اولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار
بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء و
يزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن
ليشغل عن الثدي الا ليسلي عنه الى غيره ولذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب ويكسر سورته بها ويسلط
الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها بها الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده
كالمال فلا فائدة فيه فانه يقطع علة ويزيد في اخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب فان كان البذل
يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل اغلب على قلبه ومثال دفع بعض هذه الصفات ببعض ما يقال ان الميت يستحيل جميع
اجزائه دودا ثم ياكل بعض الديدان بعضا حتى يقل عددها ويأكل بعضها بعضا حتى يرجع الى اثنين قويين عظيمين ثم لا يزالان يتقاتلان الى ان يغلب
احدهما الاخر فياكله ويسمن به ثم لا يزال يبقى وحده جائعا الى ان يموت وكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها فيجعل الاضعف
قوت الاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم يقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات ان لا يعمل بمقتضاها
فانها تقتضي لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد
اخرى ماتت صفة البخل وصارت صفة البذل طبعا وسقط التعب فيه فاذا علاج البخل بعلم وعمل والعلم يرجع الى معرفة آفة البخل والعمل يرجع الى البذل على سبيل
التكلف ولكن قد تقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة فيه واذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر له العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء
وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم فكان
اذا توهم من مريد فرحه بزاويته نقله الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه فاذا رآه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح بها يامره
بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان
له الف محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد من ذلك امتحن به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد
سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك حمل الى بعض الملوك قدح فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال
لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا قال وكيف قال ان انكسر كان مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله
وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر ثم اتفق ان انكسر يوما فعظمت مصيبة الملك عليه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان
جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة لاولياء الله اذ يغمهم بالصبر عنها وعدوة لله اذ تقطع طريقه على عباده و
عدوة لنفسها فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل
نفسه ويضاده حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يانس به ولم يفرح به الا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس بخل و
ما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط دجلة اذ لا يبخل احد به لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة بيان مجموع الوظائف
التي على العبد في ماله اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية ياخذها الراقي ويستخرج منها الترياق وياخذها الجاهل
فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف الاولى ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه

حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه الثانية ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام
كمال السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الذل وهتك المروءة وما يجري مجراه
الثالثة في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة مسكن وملبس ومطعم ولكل واحد ثلاث
درجات ادنى واوسط واعلى وما دام مائلا الى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا ويجيء من جملة المحقين وان جاوز ذلك وقع في هاوية
لا آخر لها ولعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد الرابعة ان يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما
ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء الخامسة ان يصلح نيته
في الاخذ والترك والانفاق والامساك فياخذ ما ياخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له فاذا فعل ذلك لم يضره وجود
المال ولذلك قال علي لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك
وسكناتك لله مقصورة على عبادة او ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك
بهما صارا عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان تكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص وازار وفراش وآنية لان كل ذلك مما يحتاج اليه في الدين وما فضل عن الحاجة
ينبغي ان يقصد به ان ينتفع به عبد من عباد الله تعالى فلا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا
تضره كثرة المال ولكن لا ياتي ذلك الا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اغنياء الصحابة
شابه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق ياخذ الحية ويتصرف فيها ليخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا
جلدها فاخذها اقتداء به فتقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف انه قتيل وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل شعر
هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت المجسة لانت وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال
ان يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال بيان ذم الغنى ومدح الفقر اعلم انهم اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد
اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن حقيقة الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب نذكر على ان الفقر افضل واعلى من الغنى على الجملة من غير التفات
الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره المحاسبي في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن
بن عوف وتشبه بهم نفسه والمحاسبي حبر الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات وكلامه
جدير بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء بلغنا ان عيسى عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون
وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل
يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي شهوته من
الدنيا ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم الآخرة بصلاح الدنيا
فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون
اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور
العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم
على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم ثم قال
الحارث اخواني هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في
العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الاخسرون او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فاني رايت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه انواع
الهموم وفنون المعاصي والى البوار والتلف مصيره فرح الهالك برجائه فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين
فيا لها من مصيبة ما افظعها ورزية ما اجلها فراقبوا الله تعالى اخواني ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله تعالى فانهم يتكالبون
على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم اموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال
ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون ان احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك لانك متى

زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى و
أفضل من تركه فقد ازدريت محمداً والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الزهد والرغبة في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم
يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله لم ينصح للأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال
خير للأمة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء عليه لقد كان للأمة ناصحاً وعليهم مشفقاً وبهم رؤوفاً ومتى زعمت أن جمع المال أفضل
فقد زعمت أن الله تبارك وتعالى لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم الله عز وجل أن جمع المال خير لهم أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل في
الجمع فلذلك نهاهم عنه وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون
تدبر بما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال ابن عوف وقد ود ابن عوف في القيامة أنه لم يؤت من الدنيا إلا
قوتاً ولقد بلغني أنه لما توفي ابن عوف قال أناس من أصحاب رسول الله إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً وأنفق
طيباً وترك طيباً فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضباً يريد كعباً فمر بلحي بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعباً فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هارباً حتى دخل
على عثمان يستغيث به وأخبره بالخبر فأقبل أبو ذر يقتص الأثر في طلب كعب حتى دخل دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هارباً من أبي ذر
فقال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن لقد خرج رسول الله يوماً نحو أحد وأنا معه فقال عليه السلام الأكثرون هم الأقلون يوم
القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وورائه وقليل ما هم ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال يا رسو
لله ما يسرني أن لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قال عليه السلام يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله
يريد هذا وأنت يا ابن اليهودية تقول لا بأس بما ترك عبد الرحمن كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حرفاً حتى خرج خوفاً منه وبلغنا أن عبد الرحمن قدمت عليه
عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة ما هذا قيل عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف قالت صدق الله وصدق رسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها
فقالت سمعت رسول الله يقول إني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعياً ولم أر أحداً من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها
حبواً فقال عبد الرحمن إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاءها أحرار لعلي أدخلها معهم سعياً وبلغنا أن النبي عليه السلام قال لعبد الرحمن أما إنك أول من
يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت أن تدخلها إلا حبواً فيا أيها المفتون ما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الأموال
في سبيل الله تعالى مع صحبته لرسول الله وبشراه بالجنة يوقف في عرصة القيامة وأهوالها بسبب مال اكتسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وأنفق
منه قصداً وأعطى في سبيل الله سمحاً منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبواً فما ظنك بأمثالنا الغرقى في فتن الدنيا وبعد فالعجب
كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على أوساخ الناس وتتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج
بعبد الرحمن بن عوف وتزعم أنك إن جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت الصحابة وفعلهم ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن فتياه وسأصف لك أحوالك وأحوال
السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالاً وأكلوا طيباً وأنفقوا
قصداً وقدموا فضلاً ولم يمنعوا منها حقاً ولم يبخلوا بها ولكنهم جادوا لله بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها في الشدة آثروا الله تعالى على أنفسهم كثيراً فبالله
أكذلك أنت والله إنك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فإن أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبالله في أرزاقهم واثقين وبمقادير الله سبحانه
مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا
إلا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهرتها فبالله أكذلك أنت ولقد بلغنا أنهم
كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله تعالى وإذا رأوا الفقر مقبلاً عليهم قالوا مرحباً بشعار الصالحين وبلغنا أن بعضهم كان إذا
أصبح وعند عياله شيء أصبح كئيباً حزيناً وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحاً مسروراً فقيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت
لست كذلك فقال إني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كان لي برسول الله صلى الله عليه أسوة حسنة وإذا كان عند عيالي شيء حزنت واغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد عليه السلام
أسوة وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا
واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا فبالله أكذلك أنت إنك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف
أحوالك أيها المفتون ضد أحوالهم وذلك أنك تطغى عند الغنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء

ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وأنت تأنف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء
الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به إثماً وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا أن رسول الله قال شرار أمتي الذين غذوا
بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليجيء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها وأنت في غفلة فأقدمت على ذلك فقد حرمت نعيم الأبد بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة
في الدنيا وقد بلغنا أن من طلب الدنيا للتكاثر بها أو للتفاخر بها لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث لما حل بك من غضب الله حين أردت التكاثر
والعلو نعم وعساك المكث في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله تعالى وأنت تكره لقاء الله تعالى والله عز وجل للقائك أكره وأنت في غفلة وعساك
تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا أن النبي عليه السلام قال من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة وأنت تأسف على ما فاتك غير
مكترث بقربك من عذاب الله ولعلك تخرج من دينك أحياناً لتوفير دنياك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سروراً بها ولقد بلغنا أن رسول الله
قال من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه وبلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على الحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك
في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله وعساك تعنى بأمور دنياك أضعاف ما تعنى بأمور آخرتك وعساك مصيبتك في
معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ
كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضي المخلوقين مساخطاً لله كيما تكرم وتعظم ويحك فكأن احتقار الله لك في القيامة أهون عليك من احتقار
الناس إياك وعساك تخفي من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها وكأن الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس وكأن
العبيد أعلى لك قدراً من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي الألباب وهذه المثالب فيك أف لك لقد تلوثت في الأقذار وتحتج بمال الأبرار
هيهات هيهات ما أبعدك عن السلف والله لقد بلغني أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم إن الذي لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم
وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاماً منكم لكبائر المعاصي فليت أطيب ما لك وأحله مثل شبهات أموالهم وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على
حسناتهم أن لا يقبل الله وليت صومك على مثل إفطارهم وليت اجتهادك في العبادات على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم
ولقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان
الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله عز وجل وفريق أمثالكم في السفالة أو يعفو الله الكريم بفضله وبعد فإن زعمت
أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر أمرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم أو تحسب أنك محتاط
في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام أفتطمع من نفسك في مثل
هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك فكن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات
الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه قال من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام أيها المغرور أما علمت أن خوفك
من الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله تعالى من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله تعالى وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال
لأن تدع درهماً واحداً مخافة أن لا يكون حلالاً خير لك من أن تتصدق بألف دينار من شبهة لا تدري أيحل لك أم لا فإن زعمت أنك أتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات
وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله تعالى ويحك إن كنت كما زعمت بالغاً في الورع فلا تتعرض للحساب فإن خيار الصحابة خافوا المسألة وبلغنا أن
بعض الصحابة قال ما يسرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقه في طاعة الله تعالى ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله قال
لأني غني عن مقام يوم القيامة فيقول عبدي من أين كسبت وفي أي شيء أنفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الإسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلاً
من الحساب مخافة أن لا يقوم خير المال بشره وأنت بغاية الأمن والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الأوساخ ثم تزعم أنك تجمع المال من الحلال ويحك وأين
الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجوداً لديك أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة أن يفسد
قلبه أفتطمع أن يكون قلبك أتقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شيء من الحق في أمرك وأحوالك لئن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفس أمارة بالسوء ويحك
إني لك ناصح أرى لك أن تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر ولا تتعرض للحساب فإنه بلغنا عن رسول الله أنه قال من نوقش الحساب عذب وقال عليه السلام يؤتى
بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالاً من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حلال وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار

ويمنى برجل مجمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال له قف لعلك قصرت في طلب هذا بتضييع ما فرضت عليك من صلوة لم تصلها لوقتها وفرطت في
شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فقال لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت فقال لعلك اختلت في هذا المال في شيء
من مركب او ثوب باهيت به فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد من قرابتي امرتني
ان اعطيه قال فيجيء اولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته واغنيته اباه ولم اضيع حق احد منهم وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا قال فان
اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال قف الآن هات شكر نعمة انعمها الله تعالى عليك من اكلة او شربة او لقمة او لذة فلا
يزال يسأل ويحك من الذي يعرض لهذه المسألة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وادى الفرائض كلها بحدودها حوسب
هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك ولاجل هذه المسائل خاف المتقون
ان يتلبسوا بالدنيا ورضوا بالكفاف منها وعملوا باعمال انواع البر بكسب الحلال فلك لهؤلاء الاخيار اسوة حسنة فان ابيت وزعمت انك بالغ في
الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال لزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال الا بحق ولم تتغير بسبب المال فلك مما يجب
الله تعالى ولم تسخط الله تعالى في شيء من سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فينبغي لك ان تحذر بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا
وقفوا للسؤال وتستبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى عليه السلام لا حبس عليك للمسألة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه بلغنا ان
رسول الله صلى الله عليه يدخل صعاليك المهاجرين قبل اغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال عليه السلام يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل اغنيائهم فيتمتعون ويأكلون
والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي انتم حكام الناس وملوكهم فاروني ماذا صنعتم فيما اعطيتكم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ما سرني ان
لي حمر النعم ولا الفوز بالرعيل الاول مع محمد صلى الله عليه وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع ع
عن رسول الله صلى الله عليه وجل المتقون لقد بلغني ان بعض الصحابة عطش فاستسقى فاتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وابكى ثم مسح الدموع
عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما اكثر البكاء قيل له اكل هذا لاجل هذه الشربة فقال نعم بينا انا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وما معه في البيت
احد غيري فجعل يدفع عن نفسه ويقول اليك عني فقلت له فداك ابي وامي ما ارى بين يديك احدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت الي بعنقها ورأسها و
وقالت لي يا محمد خذني فقلت اليك عني فقالت ان تنج مني يا محمد فانه لا ينجو مني احد من بعدك فاخاف ان تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله صلى الله عليه
يا قوم هولاء الاخيار يبكون وجلا ان تقطعهم عن رسول الله شربة من حلال ويحك وانت في انواع النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى
الانقطاع افلك يا اعظم جهلك فانك ان تخلفت في القيامة عن محمد وصحبه لتنظرن اهوالا جزعت منها الملائكة والانبياء ولئن قصرت عن السباق
فليطولن عليك اللحاق ولئن اردت الكثير لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت باحوال المتخلفين
لتنقطعن عن اصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين تدبر
ويحك ما سمعت وتعزوا انك بعثت الي فيما خبر السلف تبتغي بالتقليل زاهدا في الحلال تبذل مالك موثرا على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لغد ل
مبغضا للتكاثر والغنى راضيا بالفقر والبلاء فرحا بالقلة والمسكنة مسرورا بالذل والضعة كارها للعلو والرفعة قويا في امرك والا تعين على الرشد
فليكن صدحاسبت نفسك في الله تعالى واحكمت امورك كلها على ما وافق رضوان الله تعالى ولن توقف في المسائلة والمحاسبة مثل المتقين وانما جمع المال
الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ايها المغرور تدبر الامر واحسن النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر لله تعالى والتذكر و
التوكل والفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسائلة وآمن من روعات القيامة واجزل للثواب واعلى لقدرك عند الله اضعافا و
بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لو ان رجلين احدهما في حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله تعالى لكان الذاكر افضل وسئل بعض اهل العلم عن الرجل
يجمع المال لاعمال البر قال تركه ابر له وبلغنا ان بعض خيار التابعين سئل عن رجلين احدهما طلب الدنيا حلالا فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه
واما الآخر فانه جانبها ولم يطلبها ولم يتناولها فايهما افضل قال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها افضل مما بين مشرق الارض ومغربها ويحك
هذا الفضل لك بتركك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل ان تركت الاشتغال بالمال ان ذلك اروح لبدنك واقل لتعبك وانعم لعيشك وارخى لبالك لك
واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت بترك المال افضل ممن طلب المال لاعمال البر وشغلك بذكر الله تعالى افضل من بذل المال في سبيل الله تعالى

فاجمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تتأسى
بنبيك عليه السلام اذ هداك الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا
وسر تحت لواء المصطفى سابقا الى جنة المأوى فانه بلغنا عنه عليه السلام انه قال سادة المؤمنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض
لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولا يقدر ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا الا يا اخي متى جمعت المال من بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك
للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرمة تجمعه يوم ترك اعمال
البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحي من دعواك ايها المغرور ويحك ان كنت مفتونا بحب الدنيا فكن مقرا بان الخير والفضل في الرضى بالبلغة و
مجانبة الفضول ولكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باساءتك فذلك انجا لك وادنى حيلة من الحساب مهوا لك واقرب الى الفضل من طلب
الحج جمع المال احوانيا اعلموا ان دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من اورع واهدهم في المباح لم ونحن في زمان الحلال فيه
مفقود فكيف لنا منه مبلغ القوت والسكن وستر العورة فاما جمع المال في عصرنا فعاذنا الله واياكم من ذلك وبعد فاني لك مثل تقوى الصحابة وورعهم
وزهدهم واحتياطهم واين لك مثل ضمائرهم وحسن نياتهم ذهبت والله بادواء النفوس واهوائها وعرفوا يكنهم الورود فالسعادة للمخفين يوم الورود
وحزن طويل لاهل التكاثر والتخليط وقد نصحت لكم ان عقلتم والقابلون لذلك قليل ومن الله ادائكم لكل خير برحمته هو اعمر ما يا سمه ورحم الله وهو لك س
ان اظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد علمي وشهد لذلك جميع الصحابة الذي اوردنا ما في ذم الدنيا ومن كتاب الفقر والزهد وما روي عن ابي امامة
الباهلي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني
مالا فقال يا ثعلبة اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق
ان دعوت الله تعالى ان يرزقني الله تعالى مالا لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن قال رسول الله اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود
فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات في
الجماعة الا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الاخبار وسأل رسول الله صلى الله عليه عنه فقال ما فعل ثعلبة بن
حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبروه من كله فقال عليه السلام يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم ونزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث صلى الله عليه رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما بأخذ الصدقة
وامرهما ان يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال عليه السلام مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة
واقرأاه كتاب رسول الله فقال ما هذه الا الجزية ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما فقام الى خيار
ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد ان نأخذ هذا منك فقال بل خذوها نفسي بها طيبة وانما هي اجيبا الى ان تعرفها
فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال اروني كتابكما فنظر فيه وقال هذا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا النبي
فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلما ودعا للسليمي فاخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي فانزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن اتانا
الى قوله بما كانوا يكذبون وعند رسول الله رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما انزل فيه فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا
فخرج ثعلبة حتى اتى النبي فسأله ان يقبل منه صدقته فقال عليه السلام ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال عليه السلام هذا عملك قد
امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض رسول الله جاء بها الى ابي بكر فابى ان يقبلها منه وجاء بها الى عمر فابى ان يقبلها وتوفي ثعلبة
بعد في خلافة عثمان مطاعن المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشؤم الغنى اثر رسول الله الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى انه روي
عن عمران بن الحصين انه قال كانت لي من رسول الله منزلة وجاه فقال عليه السلام يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله
قلت نعم بابي انت وامي فقام وقمت معه حتى وقف بباب منزل فاطمة فقرع الباب فقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل يا ابي انت وامي يا رسول الله
قال عليه السلام انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت والذي بعثك بالحق ما علي الا عباءة فقال اصنعي بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي
قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال عليه السلام شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال عليه السلام
عليك

يا بنتاه كيف اصبحت قالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام اكله فقد اجهدني الجوع فقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلث واني لاكرم على الله منك ولو سألت ربي لاطعمني ولكني اثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت يا رسول الله واين اسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران فقال اسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الاخرة فانظر الان الى حال فاطمة وهي بضعة من رسول الله كيف اثرت الفقر وتركت المال ومن راقب احوال الانبيا والاوليا واقوالهم وما ورد من اخبارهم واثارهم لم يشك في ان فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال وقد روي عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى عليه السلام فقال اكون معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف فقال لا ادري قال فانطلق ومعه صاحبه فراى ظبية ومعها خشفان لها فدعا احدهما فاتاه فذبحه واشتوى منه فاكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل اسألك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف فقال لا ادري ثم انتهيا الى وادي ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال اسألك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري فانتهيا الى مفازة فجلسا واخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا او كثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلثة اثلاث ثم قال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف فقال انا الذي اخذته فقال عيسى عليه السلام فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشتري طعاما ناكله قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شي اقاسم هولاء هذا المال لكني اصنع في هذا الطعام سما فاقتلهما واخذه جميعه قال ففعل وقال ذانك الرجلان لاي شي نجعل لهذا ثلث المال لكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة واولئك الثلثة عنده قتلى فمر بهم عيسى وهم على تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها وحكي ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس في ايديهم شي مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم في ذلك معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين فقال ما لي اليه حاجة فان كان له حاجة فلياتني فقال ذو القرنين صدق فاقبل اليه ذو القرنين وقال له ارسلت اليك لتاتيني فابيت فها انا قد جئت فقال لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لي اراكم على الحالة التي لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذلك قال ليس لكم دنيا ولا شي افلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا انما كرهناهما لان احدا لم يعط منهما شيا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها وكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها قالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها وراينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن ادم ادنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما راى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في الاخرة ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال اتدري من هذا يا ذا القرنين قال لا ومن هو قال هذا ملك ملكه الله تعالى بعده وقد كان يرى ما يصنع الذي كان قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله تعالى وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما اتاني الله من هذا المال والملك قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من المال والملك والدنيا ولا اجد احدا يعاديني لرفضي ذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشي فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على افات الغنى مع ما قدمناه من قبل والله اعلم

## كتاب ذم الجاه والرياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا العيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا فانه المتفرد بالملكوت والملك فهو اغنى الاغنياء عن الشرك والصلوة على محمد وعلى اله وعلى اصحابه المبرئين عن الخيانة والافك وسلم تسليما كثيرا اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من اواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما يبتلى به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الاخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعات وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رايه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس واثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضه موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان حياته بالله وبعبادته المرضية وانما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة ويرى انه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله تعالى والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد اثبتت اسمه في ديوان المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل اخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة الشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين الشطر الاول في حب الجاه والشهرة وفيه ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهية الذم وبيان اختلاف احوال الناس في الذم والمدح فهي اثنا عشر فصلا منها تنشا معاني الرياء فلا بد من تقديمها

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله تعالى ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وقال جابر بن عبد الله قال عليه السلام بحسب المرء من الشر الا من عصمه الله تعالى من السوء ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم ولقد ذكر الحسن الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع قال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي رضي الله عنه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره الا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلثة قام ورأى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ راه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود من منزله يوما فاتبعه اناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قل ما يلبث معه قلوب الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقى هذا من قلب المؤمن وروي ان رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني فقال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسال ولا تسال فافعل وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس كثيرون فقال لولا اني اعلم ان الله يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله واليوم في تشميره وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار الناهق يشير به الى طلب الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيد والثياب الردية اذ الابصار

متواليا جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث أوصني فقال أخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس

**بيان فضيلة الخمول** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبر لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال عليه السلام ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل مستكبر جواظ وقال أبو هريرة قال رسول الله إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتخلخل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم وقال عليه السلام إن من أمتي من لو أتى أحدكم يسأله دينارا لم يعطه إياه ولو سأله درهما لم يعطه إياه ولو سأله فلسا لم يعطه إياه ولو سأل الله تعالى الجنة لأعطاها إياه ولو سأله الدنيا لم يعطها إياه وما منعها إياه لهوانه عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وروي أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فإذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله فقال ما يبكيك قال سمعت رسول الله يقول إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط الناس بالمدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد رسول الله فبينما هم في دعائهم إذ دخل عليهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين أوجز فيهما ثم بسط يديه فقال رب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغيم وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إني أتيتك في حاجة فقال ما هي قال دعوة تخصني بها قال سبحان الله أنت أنت وتسألني أن أخصك بدعوة قال ما الذي بلغك ما رأيت قال أطعت الله فيما أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض وقال أبو أمامة قال رسول الله إن أغبط أوليائي عندي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع وصبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمر أحب عباد الله إلى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى عيسى ابن مريم وقال الفضيل بلغني أن الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترك ألم أخمل ذكرك وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني في نفسي من أوضع خلقك واجعلني عند الناس من أوسط خلقك وقال الثوري وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعباء وقال إبراهيم بن أدهم ما قرت عيني يوما من الدنيا قط إلا مرة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن فجرني المؤذن برجلي حتى أخرجني من المسجد وقال الفضيل إن قدرت على أن لا تعرف فافعل وما عليك أن لا تعرف وما عليك أن لا يثنى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الأخبار والآثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وإنما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد فإن قلت فأي شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فاتتهم فضيلة الخمول فاعلم أن المذموم طلب الشهرة فأما وجودها من جهة الله من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء وهم كالغريق الضعيف إذا كان معه جماعة من الغرقى فالأولى به أن لا يعرفه أحد منهم فإنهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما القوي فالأولى أن يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك

**بيان ذم حب الجاه** قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا جمع بين إرادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة للخالي عن الإرادتين جميعا وقال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها الآية وهذا أيضا متناول بعمومه لحب الجاه فإنه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها قال رسول الله حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال عليه السلام ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم وقال عليه السلام لعلي إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء

**بيان معنى الجاه وحقيقته** اعلم أن الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الأعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما أن الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير أي يقدر عليهما ليتوصل بهما إلى الأغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ الدنيا فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس أي يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه ومآربه وكما أنه يكتسب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي أن يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فإن انقياد القلب حال للقلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما أن محب المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغي أن يكون الأحرار له عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه طالب الجاه وراء ما يطلبه مالك الرق بكثير فإذا معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس أي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والإطراء فإن المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والإعانة فإنه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبيد في أغراضه وكالإيثار بالمجالس وترك المنازعة والتعظيم والتوقير والمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص إما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يعتقده الناس كمالا فإن هذه الأوصاف كلها تعظم محله في القلوب فيكون سببا لقيام الجاه

**بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب إلا بشدة المجاهدة** اعلم أن السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي أن يكون أحب من المال كما يقتضي أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو أنك تعلم أن الدراهم والدنانير لا غرض في أعيانهما إذ لا يصلح بعينهما لمطعم ولا لمنكح ولا ملبس وإنما هي والحصباء بمنزلة ولكنهما محبوبان لأنهما وسيلة إلى جميع المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الإنسان بها إلى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال ولملك القلوب ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه الأول أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم أو الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فإن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له فإذا الجاه آلة ووسيلة إلى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال أيضا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه أحب الثاني هو أن المال معرض للتوى والتلف بأن يسرق أو يغصب أو يطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه إلى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق إليه أخطار كثيرة وأما القلوب إذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي الغصاب وأثبت الأموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة بأنفسها وذو الجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها نعم إنما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله الثالث أن ملك القلوب ينمو ويسري ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة فإن القلوب إذا أذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيره أفصحت الألسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب أيضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا استطار في الأقطار اقتنص القلوب ودعاها إلى الإذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد إلى واحد ويتزايد وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمائه إلا بتعب ومقاساة والجاه أبدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بالثناء استحقرت الأموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فإن قلت فالإشكال قائم في المال والجاه جميعا فلم ينبغي أن يحب الإنسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به إلى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج إلى الملبس والمسكن والمطعم أو كالمبتلى

بمرض أو عقوبة إذا كان لا يتوصل به إلى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم فالمحتاج يدفع العقوبة عن نفسه لا يزال أبدا محبا للمال وللجاه معلوم أن كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب وفي الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الأموال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الإنسان اتساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقاصي البلاد التي يعلم قطعا أنه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليبروه بمال أو ليعينوه على غرض من أغراضه ومع اليأس من ذلك فإنه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل فإنه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان أحدهما جلي تدركه الكافة والآخر خفي وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن أفهام الأذكياء فضلا عن الأغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا الغواصون فأما السبب الأول فهو دفع ألم الخوف لأن الشفيق بسوء الظن مولع والإنسان وإن كان مكفيا في الحال فإنه طويل الأمل ويخطر بباله أن المال الذي فيه كفايته ربما تلف فيحتاج إلى غيره وإذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفزع إليه إن أصابت هذا المال جائحة فهو أبدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف إلى أن يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وهذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الأباعد عن وطنه وبلده فإنه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه ويحتاج إلى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلا إحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف وأما السبب الثاني وهو الأقوى أن الروح أمر رباني به وصفه الله تعالى إذ قال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ومعنى كونه ربانيا كونه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلا إلى صفات بهيمية كالأكل والوقاع وإلى صفات سبعية كالقتل والضرب والإيذاء وإلى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والإغواء وإلى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الأمر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوبا بالطبع للإنسان والكمال في التفرد بالوجود فإن المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى كان ذلك نقصا في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى الواحد إذ ليس معه موجود سواه فإن ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما أن إشراق نور الشمس في أقطار الأرض ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبوعا فإذا معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فإنه بطبعه محب لأن يكون هو المتفرد بالكمال ولذلك قال بعض المشايخ ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله أنا ربكم الأعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فإن العبودية قهر على النفوس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي أشار إليها قوله تعالى قل الروح من أمر ربي ولكن لما عجزت النفوس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته وإنما الكمال بعد أن يسلم له التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فإن أكمل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فإن لم يكن منك فأن تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لأنه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فإنه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الإرادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فأحب الإنسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء الموجودة معه إلا أن الموجودات منقسمة إلى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله وصفاته وإلى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليها قدرة الخلق كالأفلاك والكواكب وملكوت السماوات ونفوس

الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار وإلى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالأرض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فإنها قابلة للتأثير والتغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فإذا انقسمت الموجودات إلى ما يقدر الإنسان على التصرف فيه كالأرضيات وإلى ما لا يقدر على ذلك كذات الله تعالى والملائكة والسماوات فأحب الإنسان أن يقدر على السماوات بالعلم والإحاطة والاطلاع على أسرارها فإن ذلك نوع استيلاء إذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت القدرة والعالم كالمستولي عليه فلذلك أحب أن يعرف الله والملائكة والأفلاك والكواكب وجميع عجائب السماوات وعجائب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فإنه قد يشتهي أن يعرف اللعب به فإنه كيف وضع ومن يرى صنعة عجيبة من الهندسة أو الشعوذة أو جر الثقيل أو غيره وهو يستشعر في نفسه نقص العجز والقصور عنه فيتشوق إلى معرفة كيفيته فهو متألم بنقص العجز ومتلذذ بكمال العلم إن علمه وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي يقدر الإنسان عليها فإنه يحب بالطبع أن يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان أجساد وأرواح أما الأجساد فهي الدراهم والدنانير والأمتعة فيجب أن يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فإن ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية محبوبة بالطبع فلذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد أشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في أجساد الأشخاص بالاستسخار وإن لم يملك قلوبهم فإنها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا ويقوم جولته فيها فإن الحشمة القهرية أيضا لذيذة لما فيها من القدرة القسم الثاني نفوس بني آدم وقلوبهم وهي أنفس ما على وجه الأرض فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها ليكون مسخرا له متصرفا تحت إشارته وإرادته فهو كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب إنما تتسخر بالحب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال فإن كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الإنسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فإنه محل الإيمان والمعرفة وهو الواصل إلى لقاء الله تعالى والساعي إليه فإذا معنى الجاه تسخير القلوب ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من أوصاف الربوبية فإذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والجاه والمال من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم أو مقدور فلا يسكن الشوق ولا يزول النقصان فلذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان فإذا مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل إنسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو أمر وراء كونه محبوبا لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه العلة تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الإنسان من العلم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع المشكلات لأن في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع إلا أن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط لا بد من بيانها

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له

قد عرفت أنه لا كمال بعد التفرد بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فإنه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى والثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا كشفا تاما فإن المعلومات مكشوفة لله تعالى بأتم أنواع الكشف على ما هي عليه ولذلك مهما كان علم العبد أوضح وأتقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان أقرب إلى الله عز وجل والثالث من حيث بقاء العلم أبد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فإن علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فلذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان أقرب إلى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وأزليات أما المتغيرات فمثالها العلم بكون زيد في الدار فإنه علم له معلوم ولكن يتصور أن يخرج من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا وكلما اعتقدت اعتقادا موافقا له ويتصور أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصانا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة أرض وبعدد البلاد وتباعد ما بينها من الأميال والفراسخ وسائر ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الأعصار والأمم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزيبق تتغير من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب القسم الثاني هو المعلومات الأزلية وهي جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات

فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا فكل ذلك داخلة في معرفة الله تعالى وما يجب له
وما يستحيل في صفاته وما يجوز في افعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السما والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به هو
الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت فيكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين ايديهم وبايمانهم
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي يكون هذه المعرفة راس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة
النور بسراج اخر يقتبس منه فيكمل النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع له في ذلك فمن ليس له اصل معرفة الله تعالى لم يكن
له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق
بعض فاذا لا سعادة الا في معرفة الله واما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة له اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيرهم ومنها ما له منفعة في
الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والاخبار والفقه فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة التفسير ومعرفة التفسير تعين على
معرفة ما في القران من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد في استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله
تعالى كما قال تعالى قد افلح من زكاها وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما
الكمال في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله ويندرج فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى
ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لائقا باحكام الجاه والريا ولكن اوردناه
لاستيفا اقسام الكمال واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من
الاشيا عقيب ارادته وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله تعالى كما قررناه من كتاب الصبر والشكر وكتاب التوحيد والتوكل وفي مواضع شتى من ربع
المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهو وسيلة له الى
كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى الة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في
استيفا هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس والمسكن وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله تعالى فلا خير فيه
البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل والخلق اكثرهم فرقوا في هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجسام بقهر الحشمة
وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه
فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله ومن ملائكته وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى واما الحرية فالخلاص من اسر الشهوات
وغموم الدنيا والاستيلا عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع اثار الغضب والشهوة عن النفس
من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتاثر عليه فمن كان عن التغير والتاثر بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب
وبالملائكة اشبه ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده في اقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى عدم ونقصان فان
التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كانت موجودة وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال للذات فاذا الكمالات ثلثة ان عددنا عدم التغير
بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا كمال العلم وكمال الحرية واعني به عدم العبودية للشهوات وارادات الاسباب الدنيوية وللعبد طريق الى اكتساب كمال
العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية معه بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان ينقطع بالموت و
معرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل يبقى كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انكب الجاهلون واكبوا على وجوههم اكباب العميان فاقبلوا
على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقا له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم اللذين اذا حصلا كانا ابدا لا انقطاع
لهولا هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا فالعلم والحرية هما الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على
القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السما الاية وقال واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السما الى قوله
فاصبح هشيما تذروه الرياح فكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحيوة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان
كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منها الى الكمال الحقيقي بيان ما يحمد

من حب الجاه وما يذم منه مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمها حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحيوة الدنيا وينقطع بالموت كالمال
والدنيا مزرعة الاخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن ان يتزود منه للاخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة
المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام او المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه
ورفيق يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة فليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به
مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب استاذه ما يحسن به ارشاده وتعليمه ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك
على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال ولا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان لا يكون المال والجاه في اعيانهما
محبوبين بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره بيت ماء لانه مضطر اليه لقضا حاجته ويود لو استغنى عن قضا الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء
وهذا على التحقيق ليس بحب لبيت الماء فكل ما يراد للتوسل به الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل اليه وتدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب
زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما انه لو كفي قضا الحاجة لكان
لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول فكذلك المال والجاه قد
يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوسل الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته
مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل
الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى المال والجاه بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الريا المحظور كما سياتي فان قلت طلبه الجاه
والمنزلة في قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيف ما كان او يباح الى حد مخصوص وعلى وجه مخصوص
فاقول يطلب ذلك على ثلثة اوجه وجهان منها مباح ووجه منها محظور اما الوجه المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة
هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهو حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول واما بالمعاملة واما
المباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف عليه السلم فيما اخبر عنه الرب تعالى اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم فانه طلب
المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه والثاني ان يطلب اخفا عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته
به وهو ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به
كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن
جملة المحظورات تحسين الصلوة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك ريا وهو تلبيس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله تعالى وهو مراء بما يفعله فكيف
يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض
او في غيره فلا يجوز له ان يملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال بيان السبب في حب المدح والثنا وارتياح النفس به وميل الطبع
اليه وبغضه للذم ونفرته منه اعلم ان لحب المدح والتذاذ القلب به اربعة اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب
وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو
اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة ابيض
اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق
اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثنا عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال علمه وكمال ورعه
ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الامور وتطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينة وثقة
باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثنا من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول الا عن تحقيق وذلك
كفرح التلميذ بثنا استاذه عليه بالكياسة والذكا وغزارة العلم والفضل فانه في غاية اللذة وان صدر ممن يجازف في الكلام او لا يكون بصيرا في ذلك
الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم
فلذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح السبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح

وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته
وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المثني ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدر يسير فلا يدل
المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم لان الفائت به اعظم السبب
الثالث ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا مختص بثناء
يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس السبب الرابع ان المدح يدل
على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة
وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر
تمنع المادح وقوته فيكون ثناء القوي الممتنع عن التواضع اشد لذة وهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به اللذة وقد
تفترق فتنقص اللذة اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب او سخي او عالم
بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية
اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهي استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء
بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه لذة لفوات الاسباب
الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك لتعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة
فان من لا يعرف سبب المرض لا يمكنه معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض بيان علاج حب الجاه اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور
الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق
واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب
الشرف والمال وافسادهما في الدين بذئبين ضاريين وقال عليه السلام انه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل والنفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول
والفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه اذن من المهلكات
فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله
احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فاخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد
لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين
لهم فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان
ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الاخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب الى
عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت وقد مات فانظر كيف مد نظره الى المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز
حيث كتب اليه في جوابه وكذلك كانك بالدنيا لم تكن وكانك بالاخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان
العاقبة للمتقين فاستحقروا المال والجاه في الدنيا وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك
قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى وقال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه من حب
الجاه بالعلم بالافات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود مقصود بالايذاء وخائف
على جاهه على الدوام ومحترز من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل
ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء
كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي ارتجاؤها في الدنيا بمخوفها فضلا عما يفوت في الاخرة فبهذا ينبغي ان يعالج ذو البصيرة الضعيفة
واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة
افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويانس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذ اقتحموا

الفواحش

الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم من اعين الناس فيسلموا من افة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين
واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد
بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد
الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن انه يشرب الخمر فيسقط من اعين الناس وهذا في جوازه نظر
الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما راوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير
كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه
واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته
في البلدة التي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته وربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت
نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتالمت وربما توصلت
الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب
للجاه والمنزلة ومن احب الجاه فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع فيهم فاذا
احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس راسا اصبح الناس كلهم عنده كالارذال فلا يبالي اكان له منزلة في قلوبهم او لم يكن كما لا يبالي بما
في قلوب الذين هم في اقصى المشرق والمغرب لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى
عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع
ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او قلة او علة وينظر في احوال السلف وايثارهم الذل على العز
ورغبتهم في ثواب الاخرة بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهية الذم اعلم ان اكثر الناس انما هلكوا لخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم
كلها موقوفة على ما يوافق رضى الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح و
يكره الذم اما السبب الاول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت
متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة تستحق بها الفرح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق الفرح كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كان من اعراض الدنيا
فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول اشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بمدح المادح بل بوجودها والمدح ليس هو سبب
وجودها فلا يحسن ان يفرح به بل بسبب وجودها وهو الله تعالى هو المستحق للحمد والمدح تبارك وتعالى وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع
فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله زلفى ولكن خطر الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح
بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله تعالى
عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله تعالى لا من المادح والمدح تابع له فلا ينبغي ان تفرح
بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول
سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح التي تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان
ثم يفرح بذلك فكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من
غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله تعالى عليك وان كذب فينبغي ان يغمك ولا تفرح به واما السبب الثاني
وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب اخر فهذا يرجع الى حب قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بها بل ينبغي ان يبغض
مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان افة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه في افات اللسان وقال بعض السلف من فرح بمدح فقد امكن
الشيطان من ان يدخل في بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وروي في بعض
الاخبار ان صح فهو قاصم الظهر وهو ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت فمات على ذلك

دخل النار وهذا امر عظيم وقال عمر المدح هو الذبح ويحكى وقطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيمة وقال عليه السلام لاصحابه الا لا تمادحوا و
اذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور حتى ان بعض
الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال انت يا امير المؤمنين خير مني واعلم فغضب وقال اني لم آمرك ان تزكيني وقيل لبعض الصحابة لا يزال
الناس بخير ما ابقاك الله فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم عبدك هذا تقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح
خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق وكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض اليهم المدح من الخلق لان الممدوح هو المقرب
الى الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد عن الله تعالى فلا يلتفت في الدنيا مع الاشراف الى مدح الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح
غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الارزاق والآجال بيد الله تعالى
قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب الدنيا واشتغل بما يهمه من امر دينه

بيان علاج كراهية الذم

قد سبق ان العلة في كراهية
الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلاثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد النصح
والشفقة واما ان يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت واما ان يكون كاذبا فان كان صادقا مع قصد الاول فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه وتحقد
عليه بسببه بل ينبغي ان تتقلد منته فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلك حتى تتقيه فينبغي ان تفرح به وتشتغل بازالة الصفة
المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها فاما اغتمامك بسببه وكراهيتك له وذمك اياه فانه غاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذ
ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك
اسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك و
ثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان تحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل ايها الملوث
بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدائه
فينبغي ان يغتنمه واما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك اراده الله لك والا فانهاك عن توبيخ اليه فهذه
نعمة لك عند الله فلم تغضب عليه بقول انتفعت به وتضرر هو به الحالة الثالثة ان يفتري عليك بما انت بريء منه عند الله تعالى فينبغي ان لا تكره ذلك
ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة امور احدها انك ان خلوت عن ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله واشباهه وما ستره الله من عيوبك اكثر فاشكر الله
تعالى اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بريء عنه الثاني ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بعيب انت منه بريء
وطهرك عن ذنوب انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا
الحسنات التي تقربك الى الله تعالى وانت تزعم انك تحب القرب من الله تعالى واما الثالث فهو ان المسكين جنى على دينه حتى سقط من عين الله تعالى
واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله تعالى عليه فتشمت الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم
اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة وقال اعلم
اني ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهية المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك
في قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمال في قلبك مطاعا وكان
همك الى تحصيل المنزلة في قلوب معروفة ولا ينال ذلك الا بالهدم للدين فلا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه
فان ذلك بعيد جدا

بيان احوال الناس في المدح والذم

اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح الحالة
الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه او يحب مكافأته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات
المعصية في هذا الباب الثانية ان يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح بالمدح باطنه ويرتاح للمادح
ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال الحالة الثالثة وهي اول درجات الكمال ان يستوي عنده
ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته ان لا
يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجد في المادح وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح

فوق ما يجد في قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطري له اشد
نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من اعدائه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لا تكون زلة المادح اخف على قلبه وفي عينه من
زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح
الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان
يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف تسوي بينهما وانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس
فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من الكبائر والمعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذي مدحه
لا يخلو عن مذمة غيره فلا يجد في نفسه نفرة عنه لمذمته غيره كما يجد لمذمته نفسه فالمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذا العابد
المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله تعالى ومن لم يطلع على مكايد الشيطان
وآفات النفوس فاكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الآية الحالة الرابعة
وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد
له الى مهمه ومهد اليه حسناته وقد قال عليه السلام رأس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى وقد روي في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا لو صح
اذ روي انه قال عليه السلام ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من قال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب
المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل واما
الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثالثة لم نف بها لانها لا بد وان تتسارع
الى اكرام المادح وقضاء حاجته ويتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حاجته ولا نقدر ان نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في سريرة
القلب ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان فانه ان وجد فهو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما
بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما الدرجات في المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل
الى نيله بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من
يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب
وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح
سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التي قبله وان جاهد نفسه في ذلك
وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور اليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر ولم
يغتم ولم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح وينكر
عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه يحبه فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص
والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب وآخره اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره
الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيسها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم
عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون
عنده غنيمة اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون جبرا للعيوب التي هو عاجز عن
اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيها لا يتفرغ معه لغيره فيما
بينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احداها ولا يقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل تم الشطر الاول من الكتاب

---

الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يراءى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان ما يحبط
العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات
خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي فصول

بيان ذم الرياء اعلم ان الرياء والمرائي عند الله ممقوت وقد شهد بذلك الاخبار والآيات والآثار قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن
صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى في
مدح المخلصين انما نطعمكم لوجه الله الاية فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله والرياء ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و
لا يشرك بعبادة ربه احدا انزل ذلك فيمن يطلب الاجر والحمد بعبادته واعماله واما الاخبار فقد قال النبي عليه السلام حين سأله رجل فقال يا رسول الله
فيم النجاة فقال عليه السلام ان لا يعمل العبد بطاعة الله ويريد بها الناس وروى ابو هريرة في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ
لكتاب الله كما اوردناه في كتاب الاخلاص وان الله يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع
كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ فاخبر صلى الله عليه انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذي احبط اعمالهم وقال ابن عمر قال رسول الله من راءى راءى الله
به ومن سمع سمع الله به وفي حديث اخر طويل ان الله تعالى يقول لملائكته ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه ان اخوف ما اخاف عليكم
الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال عليه السلام الرياء يقول الله يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون
لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال عليه السلام استعيذوا بالله من جب الحزن قالوا وما هو يا رسول الله قال عليه السلام واد في جهنم اعد للقراء المرائين
وقال عليه السلام من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن رأسه ولحيته
ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال لا يقبل الله تعالى
عملا فيه مقدار ذرة من رياء وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني رسول الله صلى الله عليه يقول ان ادنى
الرياء شرك وقال عليه السلام اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي ايضا ترجع الى خفايا الرياء ودقائقه وقال عليه السلام سبعة في ظل العرش يوم لا ظل
الا ظله الحديث وذكر رجل تصدق بيمينه فكاد ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان يفضل عمل السر على عمل الجهر سبعين ضعفا وقال عليه السلام ان المرائي ينادى
يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رأيت النبي عليه السلام يبكي فقلت ما يبكيك قال
امرا تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤون باعمالهم وقال رسول الله صلى الله عليه لما خلق الله الارض
مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت
الحديد ثم امر الله تعالى الماء فاطفأ النار وامر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقالوا نسأل الله تعالى فقالوا يا ربنا ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى
لم اخلق شيئا هو اشد من ابن ادم حين يتصدق بصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ
حدثني حديثا سمعته من رسول الله قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه قال لي يا معاذ قلت لبيك بابي
انت وامي قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك
قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها وقد جللها عظما فيصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى حين
امسى له نور كنور الشمس حتى اذا صعدت به الى السماء الدنيا زكته وكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان
لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك
الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس
في مجالسهم قال ويصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صيام وصدقة وصلاة قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا
واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني انه يتكبر على الناس في مجالسهم قال ويصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر
الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا
ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال ويصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا
الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى بعلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه
كان يحسد الناس ومن يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال ويصعد
الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه

الملك صح

انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله اصابه بلاء وضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال ويصعد الحفظة
بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة الاف ملك فيجاوزون به الى
السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به
وجه ربي انه اراد بعمله غير الله تعالى انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصوتا في المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري
وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله تعالى عمل المرائي قال ويصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت
وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى قال فيقول
الله تعالى لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا
وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد بي و
ان كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم
ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الاخرة ولا تتكبر في مجلسك لكيلا يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم
على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار قال الله تعالى والناشطات نشطا تدري ما هي يا معاذ قلت ما هي بابي انت
وامي يا رسول الله قال صلى الله عليه كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي انت وامي من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على
من يسره الله عليه قال الراوي فما رأيت اكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث واما الاثار فروي ان عمر رأى رجلا يطأطئ رقبته
فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب ورأى ابو امامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت
لو كان هذا في بيتك وقال علي للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال
رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد به وجه الله ومحمدة الناس فقال لا شيء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة
ان الله يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك الحديث وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال ان احدنا يصطنع المعروف يحب ان يحمد ويوجر فقال اتحب ان تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا
فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقل هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال اقتص مني فقال لا
بل ادعها لله ولك فقال عمر ما صنعت شيئا اما ان تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده فقال فنعم اذا وقال الحسن لقد صحبت اقواما
ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى في الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا
مخافة الشهرة وقال ان المرائي ينادى يوم القيامة باربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال
الفضيل بن عياض كانوا يراؤون بما يعملون وصار الناس اليوم يراؤون بما لا يعملون ويكلفون وقال عكرمة ان الله تعالى يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية
لا رياء فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الاردياء فلا بد لقلوب
المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وان
محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل بن عياض من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري اظهر السمت بالليل فانه اشرف من سمتك بالنهار
لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال ابو سليمان التوقي على العمل اشد من العمل وقال ابن المبارك ان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قيل
كيف ذلك قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر بيان حقيقة الرياء وما يراءى به اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية
والسمعة مشتقة من السماع واما الرياء اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائتهم خصال الخير فحد الرياء طلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة العباد
بطاعة الله تعالى فالمرائي هو العابد والمراءى هم الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصده اظهار
ذلك والمراءى به كثير تجمعه خمسة اقسام وهي مجامع اقسام ما يتزين العبد به للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة
وكذلك اهل الدنيا يراؤون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات اهون من الرياء بالطاعات القسم الاول
الرياء في الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الاخرة وليدل بالنحول على
قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن في الدين وكذلك يرائي بتشعث الراس ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح

الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلوب
باعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء
بحكم العادة مخصوص صح

الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور وارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعو النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة
ويقرب منها خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم فان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف
الجوع هو الذي ضعف قوته وعن هذا قال عيسى عليه السلام اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذا روي عن ابي هريرة وذلك كله لما يخاف
عليه من نزغات الشيطان بالريا وكذلك قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين فهذه مراياة اهل الدين بالبدن فاما اهل الدنيا فيراءون باظهار السمن
وصفا اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن والثوب وقوة الاعضا وتناسبها الثاني الريا بالزي والهيئة اما الهيئة فبتشعيث
الراس وحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدو في الحركة وابقا اثر السجود وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وتقصير
الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه انه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس المرقع والصلاة
على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس عن حقائق التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ليرى به انه قد
انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم
انه من اهل العلم والمراءون بالزي على طبقات فمنهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي
بغلظها وقصرها ووسخها وتخرقها ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه كان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه من ان يقول الناس قد
بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من الملوك والتجار ولو لبسوا
الفاخرة ردهم القرا ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم الاعين اعني اعين الملوك والاغنيا فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك
يطلبون الاصواف الرقيقة والاكسية الرفيعة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب احدهم قيمة ثياب الاغنيا ولونه وهيئته هيئة
ثياب الصلحا فيلتمسون القبول عند الفريقين وهولا لو كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من اعين الملوك والاغنيا ولو
كلفوا لبس الديبقي والكتان الرقيق الابيض او المقصب المعلم وان كان قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا و
كل طبقة منهم رأى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه او الى ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا فمراياتهم بالثياب النفيسة
والمراكب الرفيعة وانواع التوسع في المسكن والملبس واثاث البيت وفره الخيول والثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون
في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الثياب ما لم يبالغوا في الزينة الثالث الريا بالقول وريا اهل الدين بالوعظ والتذكير
والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال في المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين
بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت
في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الحزن والخوف وادعا حفظ الحديث ولقا الشيوخ والدق على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف
انه بصير بالحديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والريا ليظهر قوته
للناس في علم الدين والريا بالقول كثير وانواعه لا تنحصر واما اهل الدنيا فمراياتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب
للاغراب على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب الرابع الريا بالعمل كمراياة المصلي بطول القيام ومده وتطويل الركوع والسجود
واطراق الراس وترك الالتفات واظهار الهدو والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج والصدقة واطعام الطعام والاخبات
في المشي عند اللقا كارخا الجفون وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين رجع الى
الوقار واطراق الراس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله تعالى حتى يكون
يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحا ومنهم من اذا سمع هذا استحيى من ان تخالف مشيته في الخلوة مشيته
بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه تخلص به عن الريا وقد تضاعف به رياؤه فانه صار في
خلوته ايضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملا لا لخوف من الله وحيا منه واما اهل الدنيا فمراياتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين و
تقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على طلب الجاه والحشمة الخامس المراياة بالاصحاب والاتباع والزائرين والمخالطين
كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلما ليقال ان فلانا قد زار فلانا وعابدا من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه او ملكا



من الامرا او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم
فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراياته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت
الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراءون وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى
الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبيئته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره
او صومعته لتشوش عليه ولم يقنع بعلم الله تعالى ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قطع طمعه عن اموالهم ولكنه يحب
مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في اسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين
من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثنا والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند
الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يديه فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف و
اموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهولا شر طبقات المرائين الذين يراءون بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الريا وما به يقع الريا فان قلت
فالريا حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الريا هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان
بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك الجاه و
كما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به من الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال فيما
اخبر الله تعالى عنه انه قال اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع وترياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال تلهي وتطغي وتنسي ذكر الله و
الدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد وفتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول ان تملك المال الكثير حرام فلا نقول ايضا ان تملك
القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال
ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرهما واما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر
فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفا الراشدين ومن بعدهم من علما الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين
ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراياة وهو ليس بحرام لانه ليس ريا بالعبادة بل بالدنيا
وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم من قول وفعل والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يخرج الى الناس
او على اصحابه ينظر في حب الما ويسوي عمامته وشعره فقلت او تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم
نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مامورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من اعينهم لم يرغبوا في اتباعه
فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله لئلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن لو قصد قاصد به ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان
يحترز من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يانس بهم فاذن المراياة بما ليس من العبادات قد يكون مباحا و
قد يكون طاعة وقد يكون مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب به ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنيا لا في معرض العبادة والصدقة
ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذا مراياة وليس بحرام وكذلك امثاله اما العبادات كالصدقة والصلاة والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان
احداهما ان لا يكون له قصد الا الريا المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس يقصد العبادة ثم لا يقتصر على
احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دل عليه الآيات والاخبار والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد
وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله تعالى وانه من اهل الدين وليس هو كذلك والتلبيس ايضا في امر الدنيا حرام حتى لو قضى
دين جماعة لم يعلموا وخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر والثاني
يتعلق بالله تعالى وهو انه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلقه فهو مستهزئ بالله عز وجل والله غني عن ذلك قال قتادة اذا رايا العبد قال الله تعالى
انظروا الى عبدي كيف يستهزئ بي ومثاله ان يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية
من جواري الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزا بالملك اذ لم يقصد التقرب اليه بالخدمة بل قصد به عبدا من عبيده فاي استحقار يزيد على

ان يقصد التقرب بطاعة الله تعالى مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا انه ظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله
تعالى وانه اولى بالتقرب من الله تعالى اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته واي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات
ولهذا سماه رسول الله الشرك الخفي والشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سياتي بيانه في درجات الرياء ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ او
خفيف بحسب ما به المراياة ولو لم يكن في الرياء الا انه يركع ويسجد لغير الله تعالى لكان فيه كفاية فانه وان لم يقصد التقرب الى الله تعالى فقد قصد غير الله ولعمري
لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة ان يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون
بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظمه باظهار
نفسه صورة التعظيم لله تعالى فعن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون
من نفعه او ضره ورزقه واجله ومصالح حاله اكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم واقبل بقلبه عليهم يستميل بذلك قلوبهم ولو
وكله الله اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف
لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بل يقول الانبياء عليهم السلام فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل
الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يترقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي ان تشك في ان المرائي بطاعة الله في سخط الله تعالى
من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا في صدقته وصلاته وخلوته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص
وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما نقلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت انه لا اجر له اصلا

درجات الرياء

اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلاثة المراءى به والمراءى لاجله
ونفس قصد الرياء الركن الاول نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة عبادة الله والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان
كان كذلك فلا يخلو اما ان تكون ارادة الثواب اغلب واقوى او اضعف او مساوية لارادة العبادة فتكون الدرجات اربعا الدرجة الاولى وهي اغلظها
ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو
الممقوت عند الله وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداها فهذه الدرجة العليا من الرياء الثانية
ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الرياء يحمله على
العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل فلا ينفي عنه المقت والاثم الثالثة ان يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث
لو كان كل واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة او كان كل واحد لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد
مثل ما اصلح فنرجو ان يسلم راسا براس لا له ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه
في كتاب الاخلاص الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم فالذي
نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله تعالى انا اغنى
الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الرياء ارجح الركن الثاني المراءى به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول
العبادات والى الرياء باوصافها القسم الاول وهو الاغلظ الرياء بالاصول وهو على ثلاث درجات الدرجة الاولى الرياء باصل الايمان و
هو اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله
تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله اذا جاءك المنافقون الى قوله ان المنافقين لكاذبون اي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك
قوله في الحيوة الدنيا الآية وقال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا الآية وقال تعالى يراؤن الناس الآية والآيات في هذا المعنى كثيرة وكان النفاق يكثر في
ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة
ميلا الى قول الملاحدة او يعتقد طي بساط الشرع والاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين
المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر الثانية الرياء
باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله تعالى ولكنه دون الاول بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره

باخراج

باخراج الزكوة خوفا من ذمه والله يعلم منه انه لو كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة وهو في جمع وعادته ترك الصلوة في الخلوة وكذلك
يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه او يبر والديه لا عن رغبة
ولكن خوفا من الناس او يغزو او يحج كذلك فهذا مراء معه اصل الايمان بالله تعالى يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لغيره
لم يفعل ولكنه يترك العبادة للكسل وينشط عند اطلاع الناس فيكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم
من خوفه من عقاب الله تعالى ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله تعالى وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن
اصل الايمان من حيث الاعتقاد الثانية ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكنه يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها
في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثاره لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة المريض
واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة او طلبا
للمحمدة ويعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق و
هذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الله واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكان
على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذه هي انواع الرياء باصول الدين والعبادات القسم الثاني الرياء باوصاف العبادات لا باصولها و
هي ايضا على ثلاث درجات الدرجة الاولى ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا
راه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم الجلوس بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس
يبالي باطلاع الله تعالى عليه في الخلوة فاذا اطلع عليه آدمي احسن الصلوة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او متكئا فدخل غلامه فاستوى جالسا واحسن
الجلسة كان ذلك منه تقديما للغلام واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكوة من
الدنانير الردية ومن الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرجه من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لاجل الخلق لا اكمالا لعبادة الصوم خوفا من
المذمة فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوق على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن
الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا السنتهم بالذم والغيبة فانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان
عندك وتلبيس وليس كذلك فان ضررك من نقصان صلوتك وهي خدمة منك لمولاك اعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك
اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه فضلا وولاية يتقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك
وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي ان تكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي فيه حالتان
احديهما ان يطلب بذلك المحمدة والمنزلة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو
خففت لكانت صلوتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة من الصلوة دفع ذمهم ولا ارجو عليه ثوابا فهو خير من ان
اترك تحسين الصلوة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص وان لم تحضره النية فينبغي ان يستمر على عادته في
الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراياة بطاعة الله تعالى فان ذلك استهزاء كما سبق الدرجة الثانية ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله
في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال
والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكوة واعتاق الرقبة الغالية في
الكفارة وكل ذلك مما لو خلا ونفسه لكان لا يقدم عليه الثالثة ان يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده
الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى يحرم بالصلوة
فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائى به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم الركن الثالث المراءى لاجله فان للمرائي مقصودا لا محالة
لانه يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلاث درجات الدرجة الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده
التمكن من معصية كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء
والاوقاف او الوصايا واموال الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوات والصدقات ليستاثر بما يقدر عليه منها او يودع الودائع فياخذها

وبخدمتها او ليسلم اليه الاموال التي يتيسر من طريق الحج فيحمل بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امراة او الى غلام لاجل الفجور او لاجل التزوج بالمراة وقد يحضرون في مجالس العلم والتذكير والوعظ وحلق القراء يتظاهرون بالرغبة في سماع العلم والقران وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امراة او غلام وهولاء ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هولاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى الفجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى

والرتبة الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد اما امراة بعينها لينكحها او امراة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم زاهد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه

الرتبة الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي ويطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك ان سبق الى الضحك او بدا منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ما اعظم غفلة الادمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان لا ينظر اليه بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون او يصومون الاثنين والخميس او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا من ذلك وكالذي يعطش في يوم عرفة او في يوم عاشوراء او في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يقال انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجله او يدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح بانه صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يري انه صائم ثم يري انه مخلص ليس بمراء وانه يحترز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى الشرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا او تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن به انه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني اصوم فهذا وما يجري مجراه من علامات الرياء فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء في الباطن اما المخلص فانه لا يبالي كيف ينظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وان كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسياتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب هي اخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلاء بافات النفوس وغوائل القلوب

بيان الرياء الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل

اعلم ان الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا هو ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد مخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك ولكن اذا اطلع الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية

فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق واثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا راى الناس احب ان يبداوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان يسامحوه في البيع والشرى وان يوسعوا له في المكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كان نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه قال ان الله تعالى يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدئون بالسلام الم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب بن منبه ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان نكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلا بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه وياكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم فقالوا هذا قال كيف انت قال كالناس وفي حديث اخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان يخلص اعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة باخلاصهم على ملا من الخلق اذ علموا ان الله تعالى لا يقبل في القيامة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بان ارباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والبهرج والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يتزودونه من التقوى فاذا شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك من نفسه تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم والصبيان الرضع ام غابوا اطلعوا على حركته ام لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا اجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله او بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة اقسام الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم واظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره اليه والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به الثاني ان يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل في الاخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ستر الله على عبد ذنبا في الدنيا الا ستره عليه في الاخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل الثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر اخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في طاعة فله مثل اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص من اجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع

قلوب الشجر وقلبه ما في وسطه

حبهم للمطيع وميل قلوبهم الى الطاعة اذ عن اهل الايمان عن ربك اهل الطاعة فيمقته ويحسن او ينهه ويهتم به او ينسبه الى الرياء ولا يحمله
عليه فهذا فرح محمود ايمان بعباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم له واما المذموم وهو الخامس وهو
ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه وبيان
ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو اما ان ورد عليه
بعد فراغه من العمل او قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص
سالما عن الرياء فما يطرأ عليه بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن ذكره واظهاره ولكن
اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة
في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الاخبار والآثار ما يدل على انه يحبط فقد روي عن ابن مسعود انه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة
فقال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله انه قال لرجل صمت الدهر يا رسول الله فقال عليه السلام ما صمت وما افطرت فقال بعضهم انما قال ذلك لانه
اظهره وقيل هو اشارة الى كراهية صوم الدهر وكيف ما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله وعن ابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل
عن عقد الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى و
معاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ منها فان ذلك قد يبطل الصلوة ويحبط العمل اما اذا ورد وارد الرياء
قبل الفراغ من الصلوة وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائها وارد الرياء قبل الفراغ فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل واما ان يكون رياء
باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم به حبط اجره ومثاله ان يكون في تطوع فتجددت له نظارة او حضر ملك من الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه
او يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلوة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة
وقد قال عليه السلام العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب اوله اي النظر الى خاتمته وروي ان من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهذا منزل على الصلوة
في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء منه مفرد فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلوة واما اذا كان وارد الرياء
بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلوته ففرح بحضورهم وانعقد الرياء وقصد تحسين الصلوة لاجل نظرهم وكان لولا
حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة
مغمورا فهذا ايضا ينبغي ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ ما يغلبها ويغمرها
ويحتمل ان يقال لا يفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء اصل قصد الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد ذهب الحارث المحاسبي
الى الاحباط في امر هو اهون من هذا فقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو حب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا
فصارت فرقة الى انه حبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال واقطع عليه
بالحبط ان لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل قد قال
الحسن انما هما حالتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روي ان رجلا قال لرسول الله يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه
فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الاثر والخبر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله لا تضره الثانية ان يدع العمل ولا يمنعه
الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا انعقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم تضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة اوجه احدها
انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ والثاني انه اراد ان يسر به للاقتداء به او لسرور آخر محمود مما ذكرناه
من قبل لا سرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب من الامة الى ان السرور بالمحمدة له اجر وغايته ان يعفى عنه فكيف يكون للمخلص
اجر وللمرائي اجران والثالث انه قال اكثر من روى الحديث يرويه غير متصل الى ابي هريرة بل اكثرهم يوقفه على ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات
الواردة في الرياء اولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل اظهر ميله الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث
الدين وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار
التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او اغلب منه

اما اذا كان ضعيفا بالاضافة فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ومعنى لم يفسد الصلوة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي اوجب
عليه صلوة خالصة لله والخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله تعالى فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما
اوفى مما اوردناه الآن فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ واما بعد الفراغ القسم الثالث الذي يقارن
حال العقد بان يبتدئ الصلوة على قصد الرياء فان استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يقضي ولا يعتد بصلوته وان ندم عليه في اثناء ذلك واستغفر ورجع
قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه فرقة قالت لم تنعقد صلوته مع قصد الرياء فليستأنف وفرقة قالت تلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد
افعاله دون تحريمة الصلوة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه فلا يخرج التحريم عن كونه عقدا وفرقة قالت لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله تعالى بقلبه و
يتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا
ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلوة والركوع والسجود لا يكون الا لله تعالى ولو سجد لغير الله تعالى لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم
زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلوته ومذهب الفرقتين الاخيرتين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال
تلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصحا كانا زيادة في الصلوة فتبطل الصلوة وكذلك قول من يقول لو ختم
بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو ضعيف ايضا لان الرياء يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه
هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن لو خلا بنفسه لم يصل
ولما رأى الناس تحرم بالصلوة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا ايضا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلوة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين
وههنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهر له الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون
في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلوة وحج فان كانت في صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب ومن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الآخر وان كانت في صلوة تقبل
الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا فان كان نفلا فحكمها ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذا اجتمع في قلبه
الباعثان ولا يمكن ان يقال ان صلوته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من صلى التراويح وتبين من قرائن احواله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة و
لولا اجتماع الناس خلفه وخلا في بيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب ايضا بتطوعه فيصح
باعتبار ذلك القصد صلوته ولا يصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما
يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم
يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشأ صلوة تطوعا لاجل الرياء فهذا في محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال الواجب صلوة
خالصة لله تعالى ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد ذلك فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض
عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلوة في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلوة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال
في تعارض البواعث في اصل الصلوة اما اذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون اصل الصلوة كمن بادر الى الصلوة في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا
لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلوة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلوته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلوة من حيث
انها صلوة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا ابعد عن القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور
باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد ان يفسد الصلوة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسألة غامضة من حيث ان الفقهاء
لم يتعرضوا لها ومن الفقهاء والذين خاضوا فيه ولم يلتفتوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء من صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص
على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والله اعلم

**دواء الرياء و طريق معالجة القلب فيه**

قد عرفت مما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن
ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد اذ الصبي
يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب حب التصنع عليه بالضرورة و

يترشح ذلك في قلبه ونفسه وانما يشعر بكون ذلك مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك احد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف اخرا وفي علاجه مقامان احدهما قطع عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال المقام الاول في قطع عروقه واستيصال اصوله واصله حب الجاه والمنزلة واذا فصل رجع الى ثلاثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار من الم المذمة والطمع فيما في ايدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعث للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابيا سال النبي فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور او مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والمنزلة في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال عليه السلام من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر تقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملا دفتي راحلته ورقا وقال عليه السلام من غزا لا يبغي الا عقالا فله ما نوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فيتصدق معهم بالقليل كيلا يذم بالبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات كيلا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على الم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلاثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الان ما يخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المال فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المال سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم ما فيه من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤوس الاشهاد يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا راقبت قلوب العباد واستهزات بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الاخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعض ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم عليه ايضا ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة واما الطمع لما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله تعالى ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطي واذا اصاب فلا تفي لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا ما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل اجله ولا يوخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه افة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله تعالى عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراء وممقوت عند الله ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بالمدح والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال له رسول الله كذبت ذاك الله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار واي شر لك من ذم الناس وانت عند الله محمود في زمرة المقربين فمن احضر في قلبه الاخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق

بالخلق ايام الحيوة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطائف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للاخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء واما الدواء العملي فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وقد روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا ولم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتاييد والتسديد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما المقام الثاني في دفع العارض منه في اثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه عن اعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فقد لا يتركه الشيطان في اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء ولا تنقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة وقد تجتمع في وقت واحد وقد تترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال مالك وللخلق علموا او لم يعلموا والله عالم بحالك فاي فائدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من قبل من افة الرياء وتعرضه للمقت عند الله في القيامة وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة افة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الاباء والنفس تطاوع اقواهما واغلبهما فاذا لا بد في رد الرياء من ثلاثة امور المعرفة والكراهة والاباء وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليها وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره ويعزب عن القلب المعرفة السابقة بافات الرياء وشؤم عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد وخوف الذم وهو كالذي يتحرز عن الغضب ويوصي نفسه بالكظم ثم يجري من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى ما عزم عليه ويمتلئ قلبه غيظا بحيث يمنع من تذكر افة الغضب ويشغل عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب ولذلك قال جابر بايعنا رسول الله تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلات بالخوف فنسوا العهد السابق حتى ذكروا واكثر الشهوات التي تهجم فجاة هكذا تكون اذ تنسي معرفة مضرتها الداخلة تحت الوعد ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له خاطر الرياء الذي يعرضه لسخط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال ويسوف بالتوبة او يتشاغل عن التفكر في ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه اليه الا الرياء وهو يعلم ذلك ولكن يستمر عليه فتكون الحجة عليه اوكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله تعالى ولا تنفعه معرفته اذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن يقبل مع ذلك داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة ان تصرف عن الفعل فاذا لا فائدة الا في اجتماع الثلاث وهي المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الاخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التامل في افات الحيوة الدنيا وعظيم نعيم الاخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغصب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وانوار العلوم فان قلت فمن وجد من نفسه كراهية الرياء وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته

اياه الا انه كان يحبه ولميله وغفر حبيب اليه فهل يكون في زمرة المرائين فاعلم ان الله لم يكلف العبد الا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن
نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينازع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهية استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين واصل
الايمان بالله تعالى واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية من اداء ما كلف ويدل على ذلك من الاخبار ما روي ان اصحاب رسول الله شكوا اليه وقالوا تعرض
لقلوبنا اشياء لان نخر من السما فتخطفنا الطير او تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم به قال عليه السلام او قد وجدتموه قالوا نعم قال عليه السلام ذلك
صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة له ولا يمكن ان يقال اراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة
والريا وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع ضرر الاصغر اولى ولذلك روي عن النبي عليه السلام في
حديث ابن عباس انه قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك
وما كان من نفسك ورضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادها بالاباء والكراهية والخواطر
التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب المهيجة للريا من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل
الا ان للشيطان هنا مكيدة وهي انه اذا عجز عن حمله على قبول الريا خيل اليه ان صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال
حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله تعالى فهو حرمان لكل نقصان ومنزلته
معه لحظة ان ذلك اسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله تعالى وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق و
التعريج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك والرتبة الثانية ان يعرف ان القتال والجدال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا
يشتغل بمجادلته والرتبة الثالثة انه لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهية الريا وكذب الشيطان فيستمر
على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة والرتبة الرابعة ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسد عند جريان اسباب الريا فيكون
قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله تعالى واخفا الصدقة والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ
الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع وروي عن الفضيل بن غزوان انه قيل له ان فلانا يذكرك فقال والله لاغيظن من امره قيل ومن امره قال
الشيطان ثم قال اللهم اغفر له اي لاغيظه بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه مخافة من ان يزيد في حسناته وقال
ابراهيم التيمي ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطيعه وليحدث عند ذلك خيرا فاذا راه كذلك تركه وقال ايضا اذا راك الشيطان
مترددا اطمع فيك واذا راك مداوما على الخير ملّك وقلاك وضرب الحارث المحاسبي لهذه الاربعة مثالا احسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلس
العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك مبتدع وخاف ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد فمنعه وصرفه عنه ودعاه
الى مجلس ضلال فابى فلما ان عرف اباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرده ضلالته وهو يظن ان ذلك مصلحة وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر ما يجري
فلما مر الثاني نهاه واستوقفه فوقف فدفعه في نحر الضال ولم يشتغل بالمجادلة والقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فمر به
الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان عليه فخاب منه رجاؤه بالكلية فمر الرابع فلم يتوقف له واراد ان يغيظه فزاد في عجلته وترك
الاول والثاني في المشي فيوشك ان عادوا ومروا عليه مرة اخرى ان يعاود الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعود خيفة من ان يزداد فائدة باستعجاله فان قلت فهل للشيطان
اذا كان له يعرف نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظار الورود او يجب التوكل على الله تعالى ليكفيه هو الدافع له او يجب الاشتغال بالعبادة
والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة اوجه فذهبت فرقة من اهل البصرة الى ان الاقويا قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله
فاشتغلوا عنه بحبه واعتزلهم الشيطان وايس منهم وخنس عنهم كما ايس من ضعفا العباد في الدعوة الى الخمر والزنا فصارت ملاذ الدنيا عندهم وان كان مباحا
كالخمر والخنزير واخلوا منها قلوبهم بالكلية فلم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من اهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج
اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن ايقن بان لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس له امر ولا يكون الا ما اراده الله تعالى
فهو الضار والنافع والعارف يستحيي منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره
البصريون من ان الاقويا قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن الدنيا بالكلية وهو وسيلة الشيطان فكاد يكون غرورا اذ الانبيا لم يتخلصوا من وسواس



الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وساوس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله تعالى واسمائه وفي تحسين البدع
والضلال وغيره ولا ينجو احد من الخطر فيه ولذلك قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان الآية وقال عليه السلام انه
ليغان على قلبي مع ان شيطانه قد اسلم ولا يأمر الا بخير ومن ظن ان اشتغاله بحب الله تعالى اكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم والانبيا فهو مغرور
ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحوا عليهما السلام في الجنة التي هي دار الامن والسرور بعد ان قال الله لهما ان هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما الآيات ومع انه لم ينه الا عن شجرة واحدة واطلق لهما ما وراء ذلك مما اراد فاذا لم يامن نبي من الانبيا وهو في الجنة دار الامن والسعادة من كيد
الشيطان فكيف يجوز لغيره ان يامن في دار الدنيا وذلك منبع الفتن والمحن ومعدن الملاذ والشهوات المنهي عنها وقال موسى عليه السلام لما اخبر الله تعالى عنه
انه من عمل الشيطان الآية ولذلك حذر الله تعالى منه جميع الخلق فقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان الآية وقال تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
والقرآن كله تخويف وتحذير منه فكيف يدعي الامن منه والحذر من الحذر حيث امر الله تعالى به لا ينافي الاشتغال بحب الله فان الحب له من حب امتثال امره وقد امر
بالحذر من العدو كما امر بالحذر من الكفار فقال تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الآية فاذا لزمك
بامر الله تعالى الحذر من العدو الكافر وانت تراه فبان يلزمك الحذر من العدو الذي يراك ولا تراه اولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك
ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك واشار الى الشيطان فكيف وليس في الغفلة عن العدو الكافر الا قتل هو شهادة وفي اهمال الحذر من
الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله تعالى الاعراض عما حذر الله تعالى وبه بطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم ان ذلك
قادح في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله تعالى منه
والحذر مما امر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل لا يناقض لعدم التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد
ان الهادي والمضل هو الله ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه في التوكل وهذا ما اختاره المحاسبي وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله
يشبه ان يكون كلام العباد الذين لا يغزر علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق بالله تعالى يستمر على الدوام وهو بعيد ثم
اختلف هذه الفرقة على ثلاثة اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله العدو فلا ينبغي ان يكون شي اغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له
فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب عن ذكر الله تعالى واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان
منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما تعرض من حيث لا نحتسب
وان تجردنا لذكره كنا قد اهملنا ذكر الله تعالى فالجمع اولى وقال العلما المحققون غلط الفريقان اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله ولا يخفى غلطه
وانما امرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف يجعل ذكره اغلب الاشيا على قلبنا وهو منتهى غرض العدو ثم يؤدي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى
فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله وهو الاشتغال به فيوشك ان يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يؤمر بانتظار الشيطان ولا بادمان
ذكره واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله تعالى
وقد امر الله تعالى الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق
به وسكن الحذر فيه يشتغل بذكر الله تعالى ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له
تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله تعالى لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من ان يفوته مهم عند طلوع
الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على ان ينتبه في ذلك الوقت فينتبه في الليل مرات قبل الوقت لما استكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغال العبد بذكر
الله تعالى لا يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو اذ كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد امات عنه الهوى واحيى فيه نور العقل و
العلم واماط عنه ظلمة الشهوات واهل البصيرة اشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر
شر العدو واستضاؤوا بنور الذكر حتى اضاء وانور الذكر خواطر العدو فمثال القلب مثال حوض يراد تطهيره من الماء الكدر ليتفجر منه الماء الصافي فالمشتغل بذكر
الشيطان قد ترك فيه الماء القذر والذي جمع بين ذكره وذكر الشيطان قد نزح الماء القذر من جانب ولكن تركه جاريا اليه من جانب آخر فيطول تعبه ولا يجف اليبس
عن الماء القذر والبصير هو الذي حفر المجرى للماء القذر فسده وملاه بالماء الصافي فاذا جاء الماء الكدر دفعه بالسكون والتيسر من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب

الرخصة في قصد اظهار الطاعات اعلم ان في الاسرار بالاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الريا وفي الاظهار فائدة الاقتداء و
ترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الريا وقال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار ايضا فائدة ولذلك اثنى الله تعالى على
السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والاخر في التحدث
بالعمل الاول اظهار نفس العمل كالصدقة في الملا لترغيب الناس ومثله كما روي عن الانصاري الذي جا بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما راوه فقال
عليه السلام من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر من تبعه ويجري سائر الاعمال هذا المجرى من الصلوة والحج والعمرة والغزو وغيره ولكن الاقتدا في الصدقة
على الطباع اغلب نعم الغازي اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فهو افضل له لان الغزو في اصله من اعمال العلانية
لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في صلوة الليل لينبه جيرانه واهله ليقتدى به فكل عمل لا يمكن
اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوائب الريا واما ما يمكن اسراره كالصدقة و
الصلوة فان كان اظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذا حرام وان لم يكن فيه ايذا فقد اختلف الناس في
الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة وقال قوم السر افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة افضل من السر
ويدل عليه ان الله تعالى امر الانبياء باظهار العمل للاقتدا وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله عليه السلام له اجرها و
اجر من عمل بها الى يوم القيامة وقد روي ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن به على عمل السر سبعين
ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الريا وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف
من ظهور الريا ومهما حصل شائبة الريا لم ينفعه اقتدا غيره وهلك به ولا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احدهما ان يظهره
حيث يعلم انه يقتدى به او يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدي به اهله دون جيرانه وربما يقتدي به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدي به اهل محلته وانما
العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى النفاق والريا وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار
من غير فائدة وانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتدا به والثانية ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الريا الخفي فيدعوه
الى الاظهار بعذر الاقتدا وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقويا المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغي ان
يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل عليهم حتى
تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالما في الدنيا الم ساعة وليت كان الهلاك بالريا مثله لا بل عذابه دايم مدة مديدة وهذه مزلة اقدام العلما والعباد فانهم
يتشبهون بالاقويا في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط اجورهم بالريا والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه لو قيل
له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد اخر من اقرانك ويكون لك في السر مثل اجر العلانية فان مالت نفسه الى ان يكون هو المقتدى وهو المظهر للعمل فباعثه
الريا دون طلب الاجر واقتدا الناس ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار
لولا ملاحظة لاعين الخلق ومراياتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم
الاعمال الظاهرة عن الافات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة شيئا والسلامة في الاخفا وفي الاظهار من الاخطار ما لا تقوى عليه امثالنا فالحذر
من الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفا والله اعلم القسم الثاني ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا اشد
لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد يجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار الدعاوي عظيمة الا انه لو تطرق اليه الريا لم يؤثر في
افساد العمل والعبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه اهون والحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى
عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتدا والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الافات لانه
ترغيب في الخير والترغيب في الخير محثوث عليه وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقويا قال سعد بن معاذ ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت
نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبي عليه السلام يقول قولا قط الا علمت انه حق وقال عمر ما ابالي
اصبحت على عسر او على يسر لاني لا ادري ايهما خير لي وقال ابن مسعود ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها وقال عثمان ما تغنيت
ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله وقال شداد بن اوس ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى ازمها وكان قال

لغلامه ائتنا بالسفرة لنعبث بها حتى ندرك الغدا وقال ابو سفيان لاهله حين حضرته الوفاة لا تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال
عمر بن عبد العزيز ما قضى الله في بقضا قط فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما اصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله تعالى فهذا كله اظهار للاحوال الشريفة
وفيها غاية المراياة اذا صدرت ممن يراءى به وفيها غاية الترغيب اذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتدا جائز للاقويا بالشروط التي ذكرناها فلا
ينبغي ان يسد باب اظهار العمل والطباع مجبولة على التشبه والاقتدا بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس انه ريا فيه خير كثير لكنه غرور وشر للمرائي
فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتدا بمن هو مراء عند الله وقد روي انه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقرآن
في البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الريا فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي فيه خير كثير
لغيره اذا لم يعرف رياه وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما ورد في بعض الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم

الرخصة في كتمان الذنوب وكراهية اطلاع الناس عليه وكراهية ذمهم له اعلم ان الاصل في الاخلاص استوا السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل
عليكم بعمل العلانية قال يا امير المومنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم تستحي منه وقال ابو مسلم الخولاني ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا
اتياني اهلي والبول والغايط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس
عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن انه من المحظور وليس كذلك بل
المحظور ان يستر ذلك ليرى الناس انه ورع وانه خائف مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي واما الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده
فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه الاول ان يفرح بستر الله تعالى عليه فاذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك الله ستره
يوم القيامة اذ ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في الدنيا ستر عليه في الاخرة وهذا غم ينشا من قوة الايمان الثاني انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي
ويحب سترها كما قال عليه السلام من ارتكب شيا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله تعالى بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما احبه الله تعالى
وهذا ينشا من قوة الايمان بكراهة الله تعالى ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه الثالث ان يكره ذم الناس
له به من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله فان الطبع يتاذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره المدح
الذي يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان الرابع
ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهيته لذم الناس من حيث يتاذى طبعه فان الذم مولم للقلب كما ان الضرب مولم للبدن وتالم القلب بالذم ليس بحرام ولا
الانسان به عاص وانما يعصي اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتالم
به نعم كمال الصدق في ان يزول عنه رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه بان الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا
واكثر الطباع تتالم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تالم بالذم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة في الدين فانهم شهدا الله وذمهم يدل على
ذم الله وعلى نقص في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم لفوات الحمد بالورع كانه يحب ان يحمد بالورع فلا يجوز ان يحب ان يحمد بطاعة الله
فيكون قد طلب المدح بطاعة الله تعالى ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهية والرد واما كراهية الذم بالمعصية من حيث الطبع
فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس ذما وحمدا فكم من صابر عن لذة
الحمد لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وفقد اللذة لا يولم واما الذم فانه مولم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال واما
كراهية الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله تعالى فان ذلك غاية النقصان في الدين
بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله وذمه له اكثر الخامس ان يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله تعالى به وهو من الايمان وعلامته ان يكره
ذمه لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق فيه بين نفسه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع السادس ان يستره كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء
الم الذم فان الذم مولم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يومن شره وقد يخاف شر من اطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله ان يستر
حذرا منه السابع مجرد الحيا فانه نوع الم وراء الم الذم والقصد بالستر وهو خلق كريم يحدث في اول الصبا مهما اشرق عليه نور العقل فيستحي من
القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود قال رسول الله صلى الله عليه الحيا خير كله وقال عليه السلام الحيا لا ياتي الا بخير وقال الحيا شعبة من الايمان وقال
ان الله يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي بان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحيا فهو اشد حالا ممن يستتر ويستحي

الا ان الحيا ممزوج بالريا ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراي انه مستحيي وان سبب تحسينه العبادات هو الحيا من الناس
وذلك كذب بل الحيا خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الريا او داعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان
الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا انه يستحيي من رده ويعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض رياء ولا لطلب
ثواب فله عند ذلك احوال احدها ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحيا وهذا فعل من لا حيا له فان المستحيي اما ان يتعلل او يقرض
فان اعطى فيتصور له ثلاثة احوال احدها ان يمزج بالريا الحيا بان يهيج الحيا قبح الرد فيهيج خاطر الريا ويقول ينبغي ان تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر
اسمك بالسخا او يعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى فقد اعطى بالريا وكان المحرك للريا هيجان الحيا الثاني ان يتعذر عليه الرد بالحيا
ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطا فيهيج داعي الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب
صديق وذلك محمود عند الله فتسخو النفس بالاعطا لذلك فهذا مخلص هيج الحيا اخلاصه الثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا
حب لمحمدته لانه لو طالبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحيا وهو ما يجده في قلبه من الم الحيا ولولا الحيا لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب
او الارذال لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحيا ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحيي من المباحات
ايضا حتى انه يرى مستعجلا في المشي فيعود الى الهدو او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حيا وهو عين الريا وقد قيل ان بعض الحيا ضعف
وهو صحيح والمراد به الحيا مما ليس بقبيح كالحيا من الوعظ من الناس وامامة الناس في الصلوة وهو في النسا والصبيان محمود وفي العقلا غير محمود وقد
تشاهد معصية من شيخ فيستحيي من شيبته ان ينكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهو الحيا الحسن والحسن منه ان يستحيي من الله تعالى
فلا يضيع الامر بالمعروف والقوي لا يوثر الحيا من الله بفعل الحيا من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب التي تجوز لاجلها ستر القبائح و
الذنوب فالسادس ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجري عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة لا تجري في اظهار الطاعة وهي العذر
ويختص ذلك بالايمة او بمن يقتدى به فبهذه العلة ينبغي ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون منه ستر العاصي هذه الاعذار وليس
في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة
فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على ما يحبني الله ويحبني الناس قال ازهد
في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبك الناس فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان يحب ذلك
ليعرف به حب الله لك فانه اذا احب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم ان يحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلوتك وعلى طاعة بعينها فان
ذلك طلب عوض على طاعة الله تعالى عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان يحب ان يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المعينة فحبك ذلك
كحبك المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما
بيان ترك الطاعات خوفا من الريا ودخول الافات
اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الافات ما نذكره
وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة للشدائد ومجاهدات وانما يصير لذيذا من حيث انه يوصل
الى حمد الناس وحمدهم لذيذ وذلك لاطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضا والولايات و
الحسبة وامامة الصلوة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الافة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة القسم الاول
للطاعات اللازمة التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج فخطرات الريا فيها ثلث احدها ما يدخل قبل العمل فيبعث على
الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على
ان يدفع عن نفسه باعث الريا ويقول لها الا تستحيين من مولاك لا تسخين بالعمل لاجل عبادة حتى اندفع باعث الريا وتسخو النفس بالعمل لله عز وجل عقوبة للنفس
على خاطر الريا وكفارة عليه فليشتغل بالعمل الثانية ان ينبعث لاجل الله تعالى ولكن يعترض الريا مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل
لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الريا وتحصيل الاخلاص بالمعالجة التي ذكرناها من الزام النفس كراهية الريا والابا عن
القبول الثالثة ان يعقد على الاخلاص ثم يطرا الريا ودواعيه فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكنه يرجع الى عقد الاخلاص ويرده نفسه اليه
قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الريا فاذا لم تجب ودفعت يقول لك هذا العمل ليس بخالص

فانت مرائي وتعبك ضائع فاي فائدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من ترك العمل لخوفه
ان يكون مرائيا كمن سلم مولاه اليه حنطة فيها تراب وقال خلصها من التراب ونقها منه تنقية بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم تخلص
خلاصا صافيا نقيا فيترك العمل من اصله ويترك الاخلاص مع اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا
على الناس ان يقولوا انه مرائي فيعصون الله تعالى به فهذا من مكائد الشيطان لانه اسا الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فبضره
قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مرائي هو عين الريا ولولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا انه مرائي او قالوا انه مخلص
واي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه مرائي وبين ان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكائد
الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول لك الان يقول الناس انك تركت العمل
ليقال انك مخلص لا تشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض القى في قلبك حلاوة معرفة الناس بتزهدك
وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه الا بان تلزم قلبك معرفة افة الريا وهو انه ضرر في الاخرة ولا نفع فيه
في الدنيا لتلزم الكراهة والابا قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل
ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الريا والزم قلبك الحيا من الله تعالى اذا
دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد
في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان انت مرائي فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من كراهية الريا وخوفك منه وحيائك
من الله وان لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الريا فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد ممن شرع في العمل لله فانه
لا بد وان يبقى معه اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة روي ان ابراهيم النخعي دخل عليه انسان فاطبق المصحف
وترك القراءة وقال لا يرى هذا انا نقرا كل ساعة وقال ابراهيم التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا اعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن
كان احدهم يمر بالاذى ما يمنعه من دفعه الا كراهية الشهرة وكان احدهم يأتيه البكا فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد ورد فيه اثار كثيرة فلنا
هذا معارض بما ورد من اظهار الطاعات مما لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ اقرب الى خوف الشهرة من البكا واماطة
الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل فالافضل انما يقدر عليه الاقويا دون الضعفا فالافضل ان
يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه ولارباب الاعمال في ذلك معالجات بحسب الاحوال فالافضل لمن يخاف الشهرة والافضل يختلف ان يكون بالاقويا
واما اطباق النخعي المصحف فيمكن ان يكون لعلمه بانه يحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستيناف القراءة بعد خروجه لاشتغاله بمكالمته فرأى
ان لا يراه في القراءة ابعد عن الريا وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك واما ترك دفع الاذى فذلك ممن يخاف على نفسه افة
الشهرة واقبال الناس عليه ويشغلهم اياه عن عبادات هي اكبر من رفع خشبة عن الطريق فيكون تركه لاجل المحافظة على عبادات هي اكثر منها
لا لمجرد خوف الريا واما قول التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت فيجوز ان يكون المراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان
ذلك يورث العجب وكذا العجب بالسكوت المباح محظور فهو عدول من مباح الى مباح حذرا من العجب فاما الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه على ان
الافة تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن الانسان مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الافة
ثم كلام الحسن في ترك البكا واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية احوال الضعفا الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق و
انما ذكره تخويفا للناس من افة الشهرة وزجرا عن طلبها القسم الثاني ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الافات والاخطار واعظمها الخلافة
ثم القضا ثم التذكير ثم التدريس والفتوى ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة فهي من افضل العبادات اذا كان مع ذلك العدل والاخلاص
قال النبي صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين عاما وقال صلى الله عليه وسلم اول
من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط احدهم وقال ابو هريرة قال رسول الله ثلاثة لا ترد دعوتهم والامام العادل احدهم وقال صلى الله عليه وسلم اقرب الناس مني مجلسا
يوم القيامة امام عادل رواه ابو سعيد الخدري فالخلافة والامارة من اعظم العبادات ولم يزل المتقون يحترزون منها ويتولونها ويهربون من
تقلدها وذلك لما فيه من عظم الخطر اذ تتحرك به الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلا ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا

فإذا صادفت الولاية محبوبة كان الوالي ساعياً في حظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وإن كان حقاً ويقدم
على ما يزيد في مكانته وإن كان باطلاً وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شراً من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر
يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم ما من وال عشرة إلا جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه أطلقه عدله أو أوبقه جوره رواه معقل بن
يسار وولاه عمر ولاية فقال يا أمير المؤمنين أشر علي فقال اجلس واكتم علي وروى الحسن أن رجلاً ولاه النبي فقال خر لي فقال اجلس وكذلك حديث
عبد الرحمن بن سمرة إذ قال له يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أوتيتها بمسألة وكلت إليها وقال أبو بكر لرافع بن عمر
لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع ألم تقل لي لا تأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك من لم يعدل
فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد في فضل الإمارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضاً وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص
الأقوياء في الدين لا ينبغي أن يمتنعوا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا بها فيهلكوا وأعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تأخذه
في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فأيس منهم
فهؤلاء لا يحركهم إلا الحق ولا يسكنهم إلا الحق ولو زهقت فيه أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الإمارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه
الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير إذا ذاقت لذة الولاية وأن
تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الأمر فتكره العزل فيداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لأن
هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه إلا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية
للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزماً لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل
بعد الشروع والعزل مؤلم فهو كما قيل طلاق الرجال العزل فإذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل إلى المداهنة وإهمال الحق وتهوي به في قعر جهنم و
لا يستطيع النزوع منه إلى الموت إلا أن يعزل قهراً وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال
والطلب فهو أمارة الشر ولذلك قال عليه السلام لا نولي أمرنا من سألنا فإذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف في الولاية عرفت أن نهي أبي بكر رافعاً عن الولاية
ثم تقلده لها ليس بمتناقض وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والإمارة فهو في معناهما فإن كل ذي ولاية أمير أي له أمر نافذ والإمارة
محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه أيضاً عظيم مع العدول عن الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان
في النار وقال من استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الإمارة ينبغي أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلده الأقوياء الذين لا تأخذهم
في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء إلا بمداهنتهم وإهمال بعض الحقوق والواجبات لأجلهم ولأجل المتعلقين بهم
إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أو لم يطيعوه فليس له أن يتقلد القضاء وإن تقلد فعليه أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذراً مرخصاً له
في الإهمال للحقوق أصلاً بل إذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي أن يفرح بالعزل إن كان يقضي لله فإن كان لم تسمح نفسه بذلك فهو إذاً يقضي لاتباع
الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثواباً وهو مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع
الأسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته أيضاً عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى
ما وجدوا إليه سبيلاً وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لي ودفن بشر كذا وكذا قمطرة من كتب الحديث وقال إني لأشتهي
أن أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم وإقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة
فإذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلاً ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وإن كان حقاً ويصير مصروف
الهمة بالكلية إلى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثاً وحكمة إلا ويكون فرحه بها من حيث إنها تصلح لأن يذكرها على رأس المنبر وكان
ينبغي أن يكون فرحه بها من حيث إنه يسلك بها طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل بها أولاً ثم يقول إذا أنعم الله تعالى علي بهذه النعمة ونفعني بهذه
الحكمة فأقصها ليشاركني في نفعها إخواني المسلمون فهذا أيضاً مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والمنزلة والأكل بالدين
والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن يرتاض نفسه وتقوى في الدين همته ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود إليه فإن قلت
فمهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله عن طلب الإمارة وتوعد عليها حتى قال إنكم تحرصون

على الإمارة وإنها حسرة يوم القيامة وندامة إلا من أخذها بحقها وقال عليه السلام نعمت المرضعة وبئست الفاطمة وأراد بها الإمارة ومعلوم أن
السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعاً وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك
للضعفاء ولم ضرب عمر أبي بن كعب حين رأى قوماً يتبعونه وهو في ذلك يقول أبي سيد المسلمين وكان عليه السلام يقرأ عليه القرآن ويقول
أنزل علي القرآن وأمرت أن أقرأ عليك فمنع عمر أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع وذلة على التابع فتتبع العلة في ذلك وعمر رضي الله عنه كان بنفسه
يخطب ويعظ ولا يمتنع منه واستأذن رجل عمر أن يعظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال أتمنعني من نصح المسلمين فقال أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ
الثريا وذلك لأنه إذا رأى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والخلافة والقضاء والإمارة مما يحتاج الناس إليه في دينهم ودنياهم
كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منها فتنة ولذة فلا فرق بينها فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهي
رسول الله عن القضاء لم يؤد إلى تعطيل القضاء بل الرياسة وحبها يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة من الخلق في العلوم لا يترك العلوم تندرس
بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والأغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لأفلتوا من الحبس والقيد وقطعوا السلاسل وطلبوا
وقد وعد الله تعالى أن يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم إني أقول مع
هذا إذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلاً فليس في النهي عنه إلا امتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة
فإن لم يكن في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعاً للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخيله إلى العوام أنه إنما يريد الله بوعظه وأنه
تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فإن قال لست أملك نفسي فنقول اشتغل وجاهد لأنا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك
الناس كلهم إذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل
هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم وبالرجل الفاجر الواعظ هو الذي يرغب في الناس وينقد في الد
بكلامه وظاهر سيرته فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأعصار من الكلمات المزخرفة والألفاظ المسجعة المقرونة بالأشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين و
تخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت فيجب إخلاء البلاد منهم فإنهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وإنما كلامنا في واعظ
حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في علماء السوء ما يبين لزوم الحذر
من فتن العلم وغوائله وقد قال عيسى عليه السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول و
الأماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون
الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكي من أعمالكم
جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأي الناس أخس منكم لو تعلمون
ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلاً مهلاً ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع
السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء و
لا كأحرار كرام يوشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم
يسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم وقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء
شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة
هم الخاسرون فإن قلت هذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يهدي الله بك رجلاً
خير لك من الدنيا وما فيها وقال النبي عليه السلام أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه إلى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي أن يقال للعالم
اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن تمم العمل وجاهد فاعلم أن فضل العلم كثير وخطره عظيم كفضل
الخلافة والإمارة ولا نقول لأحد من عباد الله اترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة إنما الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث
ولا نقول له أيضاً اتركه ما دام يجد في نفسه باعثاً دينياً ممزوجاً بباعث الرياء فأما إذا كان لا يحركه إلا الرياء فترك الإظهار أنفع له وأسلم وكذلك نوافل
الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وساوس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات

صعفه وانما تعظم في الولايات في التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلث الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها
جماعة من السلف خوفا من الافة الثانية الصلوة والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الافة
وذلك لضعف الافات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله تعالى بادنى قوة الرتبة الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي
لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات فالصلوات ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوي
ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي ان يتركها الضعيف راسا دون القوي ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انها بالولايات
اشبه وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلاب
الثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها ايضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم امسك واخر طلب فوق
قوته ثم تصدق به فقال القاعد افضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله وقال ابو الدرداء ما يسرني اني اقمت على درج
مسجد دمشق اصيب كل يوم خمسين دينارا اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشرى ولكني اريد ان اكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات النوافل وقال قوم الجلوس في دوام ذكر
الله افضل والاخذ والعطاء يشغل عن ذكر الله تعالى وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر بها تركك للدنيا ابر وقال اقل ما فيه انه يشغله اصلاحه
عن ذكر الله وذكر الله اكبر وافضل وهذا فيمن سلم من الآفات واما من يتعرض لافة الرياء فتركه لها والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه افضل وبالجملة
ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب ان يعمل ويدفع الآفة فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير
بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما
تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات فهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر
فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الافة وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في
المباحات فضلا عن الصدقات افضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل الكسب والانفاق او التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الافات
فاما المال الحاصل من الحلال فتفرقته افضل بكل حال من امساكه فان قلت وباي علامة يعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير
مريد رياء الناس فاعلم ان لذلك علامات احديها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا او اغزر منه علما والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم
لا بأس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة
والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روي عن سعيد بن ابي مروان قال
كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض ابواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت
في المسجد فلم ير حلقة احفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى له
عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له ايضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام يتكلم
به في كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لابلون الحسن اليوم ولانظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه على ان يزيد في كلامه يتقرب اليه او
يحمل الحسن هيبة الحجاج على ان ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى اخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه
وهو غير ملتفت اليه رفع الحجاج يده فوضعها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس واشباهها فاتخذوها حلقا وعادة فانه
بلغني عن رسول الله ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من امر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها ثم قال افتر الحجاج فتكلم
حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ نهض وسار فجاء رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين الا تعجبون اني رجل
شيخ واني اغزو فاكلف فرسا وبغلا واكلف فسطاطا وان لي ثلثمائة درهم من العطاء وان لي سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق له الحسن واصحابه
والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن راسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا
غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة واذا اغزى اخاه اغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب واشده
فقام رجل من الشام كان جالسا الى الحسن فسعى بالحسن الى الحجاج في الحال وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان اتته رسل الحجاج فقالوا اجب الامير

فقام الحسن واشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رايته فاغرا فاه يضحك وانما كان
يتبسم فاقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كانكم تظنون ان ليس الخيانة الا في الدينار والدرهم ان الخيانة اشد الخيانة
ان يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار اني اتيت هذا الرجل فقال اقصر عليك لسانك وقولك اذا غزا عدو الله غزا كذا وكذا
واذا اغزى اخاه اغزاه كذا لا ابا لك تحرض علينا الناس اما على ذلك لا نتهم نصيحتك فاقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنه وركب
الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة او تسألون عن شيء والا فارجعوا فما يبقى هذا
من قلب العبد فبهذه العلامات واشباهها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد
اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فهم الخاسرون

### ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح

اعلم ان الرجل قد يبيت
مع القوم في موضع فيقومون للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل كله او بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا راهم انبعث نشاطه للموافقة
حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلي مع انه كان لا يعتاد الصلوة بالليل اصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له نشاط الصوم
ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب
في عبادة الله وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات او تستهويه الغفلة فربما يكون مشاهدة
الغير سبب زوال الغفلة او تندفع العوائق والاشغال في بعض المواضع فينبعث النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد
مثل تمكنه من النوم على فراش وثير او تمكنه من التمتع بزوجته او المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال باولاده او مطالعة حساب مع معامله
واذا وقع في موضع غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتر رغبته عن الخير وحصلت له اسباب باعثة على الخير كمشاهدة اياهم وقد اقبلوا على الله تعالى واعرضوا
عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله تعالى فتتحرك داعيته للدين لا للرياء وربما تفارقه النوم لاستنكاره الموضع او سبب
اخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح به وقتا قليلا فيكون ذلك
سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة
لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم منها قوي الباعث فهذا وامثاله من
الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان عند ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا
اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على صلواتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما
اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل
فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاع الناس عليك
وهذا امر مشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف ان المحرك هو الرياء فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصي الله بطلب
محمدة الناس بطاعة الله وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه انه
لو راى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلوة وهم لا يرونه فان سخت نفسه بها
فليصل فان باعثه الحق وان كان يثقل ذلك على نفسه لو غاب عن اعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط
الصلوة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن ان يكون نشاطه لتحرك نشاطهم بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك
بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع في النفس الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي ان يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي
ان يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده
لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قسوة القلب حين يبكون ولا تدمع
عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القسوة فيتباكى ام لا فان
لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب فينبغي ان يترك التباكي قال لقمان لابنه لا ترى الناس انك تخشى الله ليكرموك
وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والانين عند القرآن او الذكر او بعض مجاري الاحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتاسف

فقام

وتارة يكون المشاهد يحزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك محمود وقد يقترن به الرغبة في دلالة على انه
الحزين ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهي الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان اباها ولم يقبلها واخلص سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك
وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله وقد يكون اصل الانين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور
لانه في حكم الابتداء بمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله ويدعو الى زيادة تحزين للصوت او رفع له او
حفظ الدمعة على الوجه حتى يبصر بعد ان استرسلت لخشية الله ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فيضعف قواه من الخوف
فيسقط ثم يستحي ان يقال انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة
عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فيجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليري دوام
حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف
والانين فيتكئ على غيره ويري انه يضعف عن القيام او يتمايل في المشي ويقرب الخطى ليظهر انه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات
النفس فاذا خطرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على ضميره وهو له اشد مقتا كما روي عن
ذي النون انه قام وزعق فقام معه شيخ رأى فيه اثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جاء في الخبر تعوذوا
بالله من خشوع النفاق وانما خشوع النفاق ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله عز وجل من عذابه وغضبه فان
ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها مشتبهة
بولغت فليكن في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن اين هو فان كان لله فامضه واحذر مع ذلك ان يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على
وجل من عبادتك اهي مقبولة ام لا لخوفك على الاخلاص فيها واحذر ان يتجدد لك خاطر الركون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا
فاذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله تعالى عليك ومقته لك وتذكر ما قاله احد الثلاثة النفر الذين حاجوا ايوب عليه السلام اذ قالوا يا ايوب اما علمت ان العبد
تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم اعوذ بك ان يرى الناس اني اخشاك وانت لي ماقت وكان من دعاء علي
بن الحسين اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح فيما اخلو سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي ومضيعا لما انت مطلع عليه
مني ابدي للناس احسن امري وافضي اليك باسوء عملي تقربا الى الناس بحسناتي وفرارا منهم اليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك اعذني من ذلك
يا رب العالمين وقد قال احد الثلاثة لايوب الم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم
فهذه جملة افات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليه ففي الخبر ان للرياء سبعين بابا وقد عرفت ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب الذر و
بعضه اخفى من دبيب النملة وكيف يدرك ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته ادرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه من غير
تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها

بيان ما ينبغي للمريد ان يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه اعلم ان اولى ما يلزم المريد قلبه في
سائر اوقاته القناعة بعلم الله تعالى في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله تعالى الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله فاما من خاف غيره و
ارتجاه واشتهى اطلاعه على محاسن احواله فان كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهية ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من الخطر والتعرض للمقت
وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل
العظيم او الخوف العظيم او البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون
قدرك ويحرمون عن الاقتداء بك ففي مثل هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظيم عمله عظيم ملك الاخرة ونعيم الجنة ودوامه ابد الاباد
وعظم غضب الله تعالى ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان اظهاره لغيره محبب اليهم وسقوط عند الله واحباط للعمل العظيم فيقول وكيف
اتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لي على رزق ولا اجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان ييأس عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص
الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لان المخلط الى ذلك احوج من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله
بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا يخلو فرائضه عن النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم تسلم صار ماخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط
الى الاخلاص احوج وقد روى تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسب العبد يوم القيامة فان نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع



اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار فياتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة واجتهاده في جبر الفرائض
وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح على السيئات
فيدخل الجنة فاذا ينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره واذا فعل جميع
ذلك فينبغي ان يكون وجلا من عمله خائفا انه ربما داخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده مجوزا ان يكون الله تعالى قد احصى
عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتداء العقد بل ينبغي ان يكون متيقنا في الابتداء
انه مخلص ما يريد بعمله الا الله تعالى حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية احبطت
عمله من رياء او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل بالاخلاص وشك في انه هل افسده برياء فيكون رجاء القبول اغلب
وبذلك يعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والرياء شك وخوفه لاجل ذلك الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق
وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله تعالى بالسعي في حوائج الناس وافادة العلم ينبغي ان يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى
حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر وحمد ومكافأة وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم
مساعدة في شغل وخدمة او مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه او ترددا منه في حاجة فقد اخذ اجره فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع
هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه الذي علمه ليكون له مثل اجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فيرجو ان لا يحبط ذلك اجره اذا كان لا ينتظره
ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون ذلك حتى ان بعضهم وقع في بئر فجاء قوم فادلوا الحبل ليرفعوه فحلف عليهم ان
لا يقف معهم من قرأ عليه اية من القرآن او سمع منه حديثا خيفة من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخي اهديت لسفيان الثوري ثوبا فرده علي فقلت له
يا ابا عبد الله لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي قال علمت ذلك ولكن اخوك يسمع مني الحديث فاخاف ان يلين قلبي لاخيك اكثر مما يلين لغيره و
جاء رجل الى سفيان ببدرة او بدرتين وكان ابوه صديقا لسفيان وكان سفيان ياتيه كثيرا فقال له يا ابا عبد الله في نفسك من ابي شيء فقال
يرحم الله اباك كان وكان واثنى عليه كثيرا فقال يا ابا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا المال فاحب ان تاخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان
ذلك فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فرده علي فرجع فقال احب ان تاخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكانه كانت اخوته مع ابيه في الله تعالى
فكره ان ياخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم املك نفسي ان جئت اليه فقلت ويلك اي شيء قلبك هذا حجارة عد انه ليس لك عيال اما ترحمني اما ترحم اخوتك
اما ترحم عيالنا فلما اكثرت عليه قال يا مبارك تاكلها هنيئا مريئا واسأل عنها انا فاذا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله تعالى في
اهتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم نفسه طلب حمد الله وثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم وعند الخلق وربما يظن ان له ان يرائي المعلم
بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لان ارادته بطاعته غير الله تعالى خسران في الحال والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر
في الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي ان يتعلم لله ويتعبد لله تعالى ويخدم المعلم لله تعالى لا ليكون له في قلبه منزلة ان كان يريد ان
يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا بان لا يعبدوا الا الله تعالى ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدمهما لطلب المنزلة عندهما الا من حيث
ان رضى الله تعالى في رضى الوالدين ولا يجوز له ان يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال وسيكشف الله تعالى عن ريائه وتسقط
منزلته من قلب الوالدين ايضا واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي ان يلزم قلبه ذكر الله تعالى والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم
محله فان ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته وانما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدري انه المخفف للعمل
عليه قال ابراهيم بن ادهم تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم انت في صومعتك فقال منذ سبعين
سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفي وما دعاك الى هذا قلت احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير
الذي بحذائك قلت نعم قال انهم ياتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة
فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي نور المعرفة فقال حسبك او ازيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت
عن صومعته فادلى الي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي ادخل الدير فقد رأوا ما ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمع النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي
ادلى اليك الشيخ قلت من قوته قالوا وما تصنع به نحن احق به فساوموا قلت عشرون دينارا فاعطوني عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي الذي

ضيعت ملك بعضهم قال تكلم ملك بعشرين دينارا قال الخطاب فلوسا وصمم بعشرين الف لا اعطوك هذا عن لا نعمه فانظر كيف يكون عن بعده
وحوز ما حسن اقبل على ربك ودع الذهاب والمجي فالمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وعند ذلك يشعر العبد به فينبغي ان يكره
نفسه الحذر عنه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهايم بمثابة فلو تغيروا او عن اعتقادهم لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهية ضعيفة ان وجدها في
قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه وانه لو كان في عبادة فاطلع الناس عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو
دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل السرور بالركون اليه فيرجى له ان لا يخيب سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم
في الخشوع والانقباض لئلا ينبسطوا اليه فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد يكون شهوتها في الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فيطالبها
في دعواه قصد الانقباض بموثق من الله تعالى غليظ وهو انه لو علم ان انقباضهم عنه انما حصل بان يعدو سريعا او ياكل كثيرا او يضحك لتسمح نفسه بذلك فاذا لم
تسمح به وسمحت بالعبادة فيشبه ان يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه
الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه
انه لو كان له صاحبان احدهما غني والاخر فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه عند اكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع
فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كانت استراحته الى مشاهدة الاغنياء اكثر فهو مراء او طامع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في الرغبة الى الاخرة ويحبب اليه
القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف يستروح الى الغني اكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكي انه لم ير الاغنياء في مجلس اذل منهم في مجلس الثوري
كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون انهم فقراء في مجلسه نعم لك زيادة اكرام الغني اذا كان اقرب اليك وكان بينك وبينه حق او سابقة
ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله من الغني فايثارك له لا يكون الا طمعا ورياء
ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك لرياء خفي او طمع كما قال ابن السماك لجارية له ما لي اذا
اتيت بغداد فتحت لي الحكمة فقالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عند الغني ما لا يحضر
عند الفقير ومكائد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله تعالى من قلبك وتتجرد بالشفقة على نفسك بقية عمرك ولا
ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في ايام متقاربة وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد امكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف
الهلاك على نفسه في كل ساعة لو انسع في الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد فيه شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وحاور الصيادلة
وعود نفسه شرب الادوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن سقمه في كل يوم يزداد نقصانا
لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر في توالي الالام والاوجاع عليه وتاديه ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة الاعداء به اشتد
عليه شرب الدواء والكفر ما يستفيده من الشفاء الذي يتوسط التمتع بملكه ونعيمه في عيش هني وبدن صحيح وقلب رخي وامر نافذ فخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة
المكروهات فكذلك المومن المريد لملك الاخرة احتمى عن كل ما يهلكه في اخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة
والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل عليه غضب من الله تعالى فيهلك ورجاء ان ينجو من عذابه فخف ذلك عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة امره
وبما اعد له من النعيم المقيم في رضوان الله تعالى ابد الاباد ثم علم ان الله رحيم كريم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤوفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن
التعب والنصب ولكن اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا احتمل التعب في بدايته اقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء
وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وامده
بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول عز وجل من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول تعالى لقد طال شوق الابرار
الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد في البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورافته ورحمته

تم كتاب ذم الجاه والرياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

## كتاب ذم الكبر والعجب

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه
مسكين خاضع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع القادر الذي بهر ابصار الخلائق جلاله وبهاؤه
وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز



عن وصف كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصفه
علاؤه وقصر ايدي القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست
اسماؤه والصلاة على محمد الذي انزل معه النور المنتشر ضياؤه حتى اشرقت بنوره اكناف العالم وارجاؤه وعلى اله واصحابه الذين هم احباء الله واولياؤه
وخيرته واصفياؤه وسلم تسليما كثيرا اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال
ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داءان مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان
بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات ونحن نستقصي بيانهما
من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب الشطر الاول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع
وبيان حقيقة الكبر وافته وبيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر وبيان ما به التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان اخلاق المتواضعين وما فيه
يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه

بيان ذم الكبر قد ذم الله

الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر وقال
اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون وقال فبئس مثوى المتكبرين وقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار
وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد الاخبار قال رسول الله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار
رجل في قلبه مثقال حبة من ايمان وقال ابو هريرة قال رسول الله يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما القيته في النار وعن
عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو على المروة فتواقفا فمضى ابن عمرو واقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا ابا
عبد الرحمن قال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم انه سمع رسول الله يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر اكبه الله في النار على وجهه وقال النبي لا يزال الرجل
يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي
الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا يقول لو كان
في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول
وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها اخر وبالمصورين وقال لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الملكة وقال تحاجت الجنة والنار
فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من
اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال رسول الله بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى
بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدا والمنتهى وعن ثابت انه
بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا لما حضرته الوفاة
دعا ابنيه وقال اني امركما باثنتين وانهاكما عن اثنتين انهاكما عن الشرك والكبر وامركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو وضعت في كفة
الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت ارجح منهما ولو ان السموات والارض وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها
وامركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال النبي عليه السلام اهل النار
كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المقلون وقال عليه السلام ان احبكم الينا واقربكم منا في الاخرة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم
الينا وابعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون وقال عليه السلام يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الذر تطؤهم الناس ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى
سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة اهل النار وقال ابو هريرة قال النبي عليه السلام يحشر الجبارون
والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن ابي بردة فقلت له يا بلال ان اباك
حدثني عن ابيه عن النبي عليه السلام انه قال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار عنيد فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال عليه السلام
ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل
الجنة الكبر والدين والغلول الاثار قال ابو بكر لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب بن منبه لما

(في الهامش: اولياؤه / بيانهما / تعالى / بنيه / قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قال المتكبرون)

خلق الله جنة عدن نظر اليها وقال انت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد
رجليه فلم يقبضهما وجلس الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى اثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب
لابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة او مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وقيل في تفسير قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول
وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل او كثر وسئل سلمان عن السيئة التي لا ينفع معها
حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصالي وفخوخا وان من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بانعم الله تعالى والفخر باعطاء
الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله تعالى

ذم الاختيال واظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب

قال رسول الله صلى الله عليه لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في بردة اذ اعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال
من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن اسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول اي بني ارفع
ازارك فاني سمعت رسول الله يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء وروي ان رسول الله بصق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى
ابن آدم اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت
اتصدق واني اوان الصدقة وقال النبي عليه اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية فيها
اختيال وقال صلى الله عليه من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وعن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن
اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن
نظرة فقال اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي حميق ينظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ
بامر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها والله ان يمشي احدهم طبيعته او يتخلج تخلج المجنون في كل عضو من اعضائه لله نعمة وللشيطان به لعنة فسمع
ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة
فقال ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله كان القبر قد وارى بدنك وكانك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم وروي
ان عمر بن عبد العزيز حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليس هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم
لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه فقال اتدري من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك فلا
اكثر الله في المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين او ثلاثا وروي ان مطرف بن عبد الله الشخير رأى المهلب وهو يتبختر
في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني فقال بل اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت بين ذلك تحمل العذرة
فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر واذا ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع

فضيلة التواضع

قال رسول الله صلى الله عليه ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال عليه ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة
يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال عليه طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير
معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي سلمة المديني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله عندنا بقبا وكان صائما
فأتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد فيه حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل
فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وروي
ان النبي عليه السلام كان في نفر من اصحابه في بيته ياكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل اجلسه على فخذه ثم قال اطعم فكأن
كان رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال رسول الله خيرني ربي بين امرين عبدا رسولا او ملكا
نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبريل فرفعت رأسي اليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا واوحى الله تعالى الى موسى انما اقبل صلوة
من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال عليه الكرم التقوى والشرف التواضع
واليقين الغنى وقال عليه طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم
القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله يوم القيامة وقال بعضهم بلغني ان النبي عليه السلام قال اذا هدى الله تعالى عبدا للاسلام

وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله تعالى وقال عليه السلام اربع لا يعطيهن الله الا من يحب
الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء
وقال عليه السلام التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا لله يرحمكم الله وروي ان عليه السلام كان يطعم فجاءه رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا
يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي الى جنبه وقال عليه السلام انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه
وقال عليه السلام لاصحابه يوما ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال عليه السلام اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا
لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار

الاثار

قال عمر ان العبد اذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال
انتعش رفعك الله واذا تكبر وعدا طوره رهصه الله الى الارض وقال اخسأ خسأك الله فهو في نفسه كبير وفي اعين الناس حقير حتى انه لاحقر
عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان
الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت ثم قال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة
يا جرير اتدري ما ظلمة النار يوم القيامة قلت لا قال فانه ظلم الناس بعضهم على بعض في الدنيا وقالت عائشة انكم لتغفلون افضل العبادة التواضع
وقال يوسف بن اسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع هو ان
تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وقال ابن المبارك راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك
في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من
اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة وقيل اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا انعمت عليك بنعمة
فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك وقال كعب ما انعم الله تعالى على عبد نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا اعطاه الله تعالى نفعها في الدنيا
ورفع له بها درجة في الآخرة وما انعم الله تعالى على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها لله الا منعه الله تعالى نفعها في الدنيا و
فتح له طبقا من النار يعذبه ان شاء او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان اي الرجال افضل قال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة
وترك النصرة عن قوة ودخل ابن السماك على هرون الرشيد فقال يا امير المؤمنين ان تواضعك في شرفك اشرف لك من شرفك فقال ما احسن
ما قلت فقال يا امير المؤمنين ان امرءا اتاه الله جمالا في خلقته وموضعا في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في
حسبه كتب في ديوان الله من خالص الله فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان بن داود صلوات الله عليهما اذا اصبح تصفح وجوه
الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء في الثياب الدون فكذلك
فاكره ان يراك الفقراء في الثياب المرتفعة وروي انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن اتدرون ما التواضع التواضع
ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رايت له فضلا عليك وقال مجاهد ان الله تعالى لما اغرق قوم نوح شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي
فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال ابو سليمان ان الله عز وجل اطلع على قلوب الادميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام
فخصه من بينهم بالكلام وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم اشك في الرحمة لولا اني كنت فيهم اني اخشى انهم حرموا بسببي وقيل ارفع ما يكون
المؤمن عند الله اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون العبد عند الله ارفع ما يكون عند نفسه وقال زياد النميري الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر
وقال مالك بن دينار لو ان مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان يسبقني احد الى الباب الا رجل بفضل قوة او سعي قال فلما بلغ ابن
المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال موسى بن القاسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل
فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال فرايت النبي عليه السلام في النوم فقال ان الله تعالى دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل
وجاء رجل الى الشبلي فقال ما انت وكان هذا دابه وعادته فقال انا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي ابادك الله تعالى او تجعل لنفسك
مكانا وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود وقال من راى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن ابي الحسن [illegible] قال رايت
علي بن ابي طالب في المنام فقلت يا امير المؤمنين عظني فقال ما احسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله واحسن من ذلك
تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله تعالى وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه

هو متكبر فقيل متى يكون متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ويتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه ومعرفته بربه ثم معرفته
بنفسه وقال ابو سليمان لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع احد مصايد الشرف وكل نعمة محسود
عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذي التكبر
عليك بماله تواضع وقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح وقال لا عز الا لمن تذلل لله تعالى
ولا رفعة الا لمن تواضع لله تعالى ولا امن الا لمن خاف الله ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله تعالى وقال ابو علي الجوزجاني النفس معجونة بالكبر والحرص و
الحسد فمن اراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد الله تعالى به خيرا لطف به فاذا هاجت في نفسه نار الكبر ادركها التواضع
مع نصرة الله تعالى واذا هاجت نار الحسد ادركتها النصيحة مع توفيق الله واذا هاجت في نفسه نار الحرص ادركتها القناعة مع عون الله تعالى وعن
الجنيد انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا انه روي عن النبي انه قال يكون في اخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم وقال الجنيد التواضع عند
اهل التوحيد تكبر ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها وعن عمرو بن شيبة
قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على
الجسر فاذا انا برجل حاسر حاف طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتامله فقال لي ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رايته بمكة ووصفت له الصفة
فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع فيه الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم
النخعي هيبة الامير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذته بطنه كانه امراة
ماخض وقال هذا من اجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس وكان بشر الحافي يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل
لعبد الله بن المبارك فقال اعطاك الله ما ترجوه فقال ان الرجا يكون بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت رجال من قريش عند سلمان فقال سلمان لكني
خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم وقال ابو بكر الصديق وجدنا الكرم في التقوى
والغنى في اليقين والشرف في التواضع

**حقيقة الكبر وافته**

اعلم ان الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو
اعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق اما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على
الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه
فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سياتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده
لتصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا
ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه
مع ذلك لو راى نفسه احقر لم يتكبر ولو راى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند
هذه الاعتقادات الثلث يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتزاز وهزة وفرح وركون
الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال النبي عليه السلام اعوذ بك من نفخة الكبر ولذلك
قال عمر اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استاذنه ان يعظ بعد صلوة الصبح فكان الانسان مهما راى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام
كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم
الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمراتها ويسمى ذلك تكبرا
فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومواكلته وراى ان حقه ان يقوم
ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا لخدمة عتبته فان كان دون ذلك
فيانف من مساواته ويتقدم عليه في مضايق الطرق ويرتفع عليه في المحافل وينتظر ان يبداه بالسلام ويستبعد ان قصر في قضاء حوائجه ويتعجب منه وان
حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين
واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة من خلق الكبر كثيرة

وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى احصائها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وافته عظيمة وغائلته هائلة وفيه هلك الخواص من الخلق وقلما ينفك
عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس وكيف لا تعظم افته وقد قال عليه السلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا عن
الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس تغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر ان يحب للمؤمنين
ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو راس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق
وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز
ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من ازدراء الناس واغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب الكبر والعز مضطر اليه
ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر والاخلاق الذميمة متلازمة
والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الايات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين
قال الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم الى قوله وكنتم عن اياته تستكبرون ثم قال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد
اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله فقال ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال يقول
الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق قيل في التفسير سادفع فهم القران عن قلوبهم وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت قال ابن جريج ساصرفهم عن ان يتفكروا فيها و
يعتبروا بها ولذلك قال عيسى عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الا ترون
ان من شمخ براسه الى السقف شجه ومن طاطا اظله واكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله جحود الحق في
حد الكبر والكشف عن حقيقته فقال من سفه الحق وغمص الناس

**درجات المتكبر عليه واقسامه ودرجات الكبر فيه**

اعلم ان
المتكبر عليه هو الله او رسله او سائر خلقه وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذا التكبر باعتبار
المتكبر عليه ثلثة اقسام الاول التكبر على الله وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود
عليه اللعنة فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره عليهم لعائن الله
تترى فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان
يكون عبدا لله الاية وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن الاية القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد
لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة
ولكن لا يطاوعه نفسه للانقياد للحق وللتواضع للرسل كما حكى الله تعالى عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا وقال ان انتم الا بشر مثلنا وقال لئن اطعتم بشرا
مثلكم انكم اذا لخاسرون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وقال وقالوا لولا انزل عليه ملك وقال فرعون عليه اللعنة
فيما اخبر الله عنه او جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا قال وهب قال له
موسى امن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن
اتباع موسى وقالت قريش لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم قال قتادة هو الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة
من النبي عليه السلام اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال الله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا وقال تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي
استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم لفقرهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل
الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الاية واخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين ازدروهم
فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل
كونه صلى الله عليه محقا ومنهم من عرف ذلك ومنعه الكبر من الاعتراف قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما
وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله تعالى وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله والتواضع لرسوله صلى الله عليه القسم الثالث
التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتابى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويانف عن

مساوانهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا عظيم من وجهين احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلا لا يليق الا بالملك
القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شي فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله في صفة لا يليق الا بجلاله عز وجل ومثاله
ان ياخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت وما اعظم تهدفه للخزي والنكال وما اشد استجراءه على
مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق الا
بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان التكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك
ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستاثر بما حق الملك ان يستاثر به منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم يبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد
د
بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبريا عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون
ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر انه يدعو الى
مخالفة الله في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون
ل
عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الاخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه
من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران الاية فكل من يناظر للغلبة والافحام لا
ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وروي عن
عمر انه قراها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يامر بالمعروف فقتل فقام اخر فقال ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي
خالفه والذي امره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال عليه السلم
لا استطعت فما منعه الا الكبر قيل فما رفعها بعد ذلك اي اعتلت يده فاذا تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله وانما ضرب ابليس ايضا
مثلا وما حكي من احواله الا ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله
تعالى به فكان مبداه الكبر على ادم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر الله وكان ذلك سبب هلاكه ابد الاباد فهذه افة من افات الكبر على العباد عظيمة
ولذلك شرح رسول الله الكبر بهاتين الافتين اذ ساله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى افمن الكبر هو فقال عليه السلم
لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث اخر من سفه الحق وقوله غمص الناس اي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه و
هذه هي الافة الاولى وسفه الحق هو رده وهي الافة الثانية فكل من راى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق
وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف ان يخضع لله ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله والرسل

بيان ما به الكبر اعلم انه لا يتكبر

الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي والديني هو العلم والعمل والدنيوي هو
النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب الاول العلم وما اسرع الكبر الى العلما ولذلك قال عليه السلم افة العلم الخيلاء فلا يلبث
العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبدءوه بالسلام
فان بدا احدا منهم بالسلام او رد عليه ببشر او قام له او اجاب له دعوة راى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون
من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالط
منهم ويستسخره في حوائجه فان قصر واحد منهم فيه استنكره كانهم عبيده او اجراؤه وكان تعليمه العلم صنيعة منه لديهم ومعروف اليهم واستحقاق حق عليهم
هذا فيما يتعلق بالدنيا واما في امر الاخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم
وهذا بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلما وعظم خطر العلم فيه كما
سياتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذه العلوم يزيد خوفا وتواضعا وتخشعا ويقتضي ان يكون بحيث يرى ان كل الناس خير منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره
في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال ابو الدردا من ازداد علما ازداد من الله وجعا وهو كما قال فان قلت فما بال بعض العلما يزدادون بالعلم كبرا وامنا
فاعلم ان لذلك سببين احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي وانما العلم الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر امره في لقاء الله والحجاب
منه وهذا يورث الخشية والتواضع عادة دون الكبر والامن قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما فاما ما ورا ذلك كعلم الحساب والطب واللغة والشعر

والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلا منها امتلا كبرا ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات اولى بان تسمى علوما بل
العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطرق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا السبب الثاني ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردي
النفس سيئ الاخلاق فلم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم
اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السما حلوا
صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها واهوائها
فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد تكبرا واذا كان الرجل خائفا
مع جهله فاذا ازداد علما علم ان الحجة قد تاكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلة وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به ولاجل ذلك قال الله تعالى لنبيه
واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف اوليائه فقال اذلة على المومنين اعزة على الكافرين
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه فيما رواه العباس يكون قوم يقرءون القران لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرانا القران من اقرا منا ومن اعلم منا
ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر لا تكونوا جبابرة العلما فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استاذن تميم الداري
عمر في القصص فابى ان ياذن له وقال انه الذبح واستاذنه رجل كان امام قوم انه اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا و
صلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا اني رايت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثله لا يسلم فكيف
يسلم الضعفا من متاخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض عالما يستحق ان يقال له عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه
فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسري
الينا سيرته وسجيته وهيهات فانى يسمح اخر الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول وقد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا
عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله بقوله سياتي على الناس زمان
من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة الياس مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر ما كا
نوا
عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشيره ونسال الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله والثاني العمل و
العبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا اما الدنيا فهو انهم يرون
غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم
على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلما وكانهم يرون عبادتهم منة على الخلق واما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا
وهو الهالك تحقيقا مهما راى ذلك قال النبي عليه السلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدر بخلق
الله تعالى مغتر بالله امن من مكر الله غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال رسول الله صلى الله عليه كفى بالمرء شرا ان يحقر
اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه في نفسه استعظاما ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه والخلق يدركون النجاة
بتعظيمهم اياه لله تعالى فهم يتقربون الى الله تعالى بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد منهم كانه مترفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه
لصلاحه ان ينقلهم الله الى درجته في العمل وما اجدره اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الله الى حد الاهمال كما روي ان رجلا في بني اسرائيل يقال له خليع
بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل اخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على راس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به قال الخليع في نفسه انا خليع بني
اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله ان يرحمني واقبل يجلس اليه فقال لئن اقرب منه استصغارا لنفسه يقول ذلك في نفسه
فجلس اليه فقال العابد انا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فانف منه وقال له قم عني فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان مرهما
فليستانفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث اخر فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا يعرفك ان الله انما يريد من العبيد قلوبهم فالجا
هل
والعاصي اذا تواضع وذل هيبة لله وخوفا منه فقد اطاع الله بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب ولذلك روي ان رجلا في بني اسرائيل
اتى عابدا من بني اسرائيل فوطي على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتالي علي بل انت لا يغفر الله لك و
لذلك قال الحسن وحتى ان صاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الافة قلما ينفك عنها العباد وهو انه لو استخف به مستخف او اذاه موذي

استبعد ان يغفر الله له ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله ولو اذى مسلما اخر لم يستنكره ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع
بين الكبر والعجب وغفلة عن الاغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه ولما اصيب بنكبة زعم انه من كراماته
وان الله ما اراد به الا شفاء غليله والانتقام منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة اذوا الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من
قتلهم ومنهم من ضربهم ثم ان الله امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الاخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم
على الله من انبيائه وانه قد انتقم له بما لا ينتقم لانبيائه به ولعله في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس
من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين تهب ريح او تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الاخر بعرفات
كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه
وذاك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله جميع
عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شيء يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون ولذلك روي ان رجلا ذكر بخير للنبي ص فقبل ذلك يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني ارى في وجهه سفعة من الشيطان
فسلم ووقف على النبي واصحابه فقال له النبي اسالك بالله حدثتك نفسك انه ليس في القوم افضل منك قال اللهم نعم فراى رسول الله بنور النبوة ما
استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه افة لا ينفك عنها احد من العباد الا من عصمه الله تعالى لكن العلماء والعباد في افة الكبر على ثلث درجات الاولى
ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ في نفسه شجرة الكبر ولكنه قطع
اغصانها بالكلية الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم
ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين
ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطاطا ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال
عليه السلم التقوى ههنا واشار الى القلب فقد كان رسول الله اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال
الحرث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله يعجبني من القراء كل طلق مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله في المسلمين
مثله ولو كان الله يرضى ذلك لما قال لنبيه واخفض جناحك الاية وهؤلاء الذين يظهر اثر الكبر على شمائلهم واحوالهم احق حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو
الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل
اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقيص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم افطر
منذ كذا وكذا ولا انام بالليل واختم القران في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان بسوء فهلك ولده
او اخذ ماله او مرض او ما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلي وان [illegible]
من ان يقال عنه اعبد منه او اقوى منه في دين الله واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورايت من الشيوخ فلانا وفلانا
ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو انه يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يغلب
ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارات وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب
بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها حتى يرد على من اخطا فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطا واحد
منهم ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه اعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر واثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين من
يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف
يستعظم نفسه ويتكبر على غيره والنبي يقول انه من اهل النار وانما العظيم من خلا قلبه عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي
فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه
يلزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل الثاني التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب
وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له اموال وعبيد ويانف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر فيقول لغيره

يا نبطي ويا هندي ويا ارمني من انت ومن ابوك انا فلان بن فلان واني لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع مثلك يتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين
في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفا ذلك نور بصيرته ويترشح منه كما
روي عن ابي ذر قال قاولت رجلا عند النبي فقلت له يا ابن السوداء فقال يا ابا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل قال ابو ذر
فاضطجعت وقلت للرجل قم فطا على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله انه راى لنفسه فضلا لكونه ابن بيضاء وان ذلك خطا وجهل وانظر كيف تاب و
كيف قلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين تفاخرا فقال احدهما انا فلان
بن فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي عليه السلم افتخر رجلان عند موسى فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى قل
للذي افتخر بل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم وقال عليه السلم ليدعن قوم الفخر باباءهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان
التي تدوف بانافها القذر الرابع التفاخر بالجمال وذلك يجري اكثره بين النساء ويدعو ذلك الى التنقيص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس
ومن ذلك ما روي عن عائشة انها قالت دخلت امراة على رسول الله فقلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال النبي قد اغتبتها وهذا منشؤه خفي الكبر
لانها لو كانت قصيرة ايضا لما ذكرتها بالقصر فكانها اعجبت بقامتها واستقصرت المراة في جنب نفسها فقالت ما قالت الخامس الكبر بالمال وذلك
يجري بين الملوك في الخزائن وبين التجار في بضاعتهم وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر
عليه ويقول انت مكد ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي يساوي اكثر من جميع ما
معك وانا انفق في اليوم ما لا تاكله في السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقر وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وافة الغنى واليه الاشارة
بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه وقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يوتين خيرا من جنتك
الاية فكان ذلك تكبرا منه بالمال والولد ثم بين الله تعالى عاقبة امره بقوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على
قومه في زينته حتى قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف
السابع التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين
العلماء في المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على
اقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة
الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشيء على
من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما يتكبر على مثله او فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم
ولحسن اعتقاده في نفسه

## البواعث على الكبر واسبابه المهيجة له

اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي
ثمرته ونتيجته وينبغي ان يسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب
واحد وهو العجب كما سياتي معناه فاذا اعجب بنفسه وبعلمه وبعمله وبشيء من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما الكبر الظاهر فاسبابه ثلثة سبب في المتكبر وسبب
في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما
هو الرياء فيصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والرياء اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر
التكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن
قد غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم
من رذل لا تطاوعه النفس على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه وبغضه له ويحمله على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان
يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسال عما هو جاهل به واما الحسد
فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى جحود الحق حتى يمنع من قبول النصيحة و
تعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده او اقاربه حسدا وبغيا عليه فهو
يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق المتكبرين وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه

وأما الرياء فهو أيضا يدعو إلى أخلاق المتكبرين حتى إن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن
يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر
عليه وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فإنه يتكبر أيضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك من ينتمي إلى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب
ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بأنه لا يستحق
ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين وكأن اسم المتكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن
كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بعين الاستحقار وهو إن سمي متكبرا فلأجل التشبه بأفعال الكبر

أخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر من أثر التواضع والتكبر

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا وإطراقه رأسه وجلوسه متربعا ومتكئا وفي أقواله حتى
في صوته ونغمته وصيغته في الإيراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لأفعاله وفي سائر تقلباته في أحواله
وأقواله وأفعاله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بأن يحب قيام الناس له أو بين يديه وقد قال
علي كرم الله وجهه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله وكانوا إذا
رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته ومنها أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه وقال أبو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه
وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده إذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال ما يبقي هذا من قلب العبد وكان
رسول الله يمشي في بعض الأوقات مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم إما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما أخرج
الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لأحد هذين المعنيين ومنها أن لا يزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع
روي أن سفيان الثوري قدم الرملة فبعث إليه إبراهيم بن أدهم أن تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا أبا إسحاق تبعث إليه بمثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف
تواضعه ومنها أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد فمس
فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فأخذ ثيابي فجرني إلى نفسه وقال لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة وإني لا أعرف فيكم رجلا شرا مني قال أنس كانت الوليدة من
ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها أن يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر
دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله وعنده أصحابه يأكلون فما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي بجنبه وكان عبد الله بن عمر لا يحبس
عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى إلا أقعدهم على مائدته ومنها أن لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه روي أن عمر بن عبد العزيز أتاه
ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم إلى المصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال أفأنبه الغلام فقال هي أول
نومة نامها فقام وأخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر وخير
الناس من كان عند الله متواضعا ومنها أن لا يأخذ متاعه ويحمله إلى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله يفعل ذلك وقال علي رضي الله عنه لا ينقص
الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت أبا هريرة أقبل من
السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان على المدينة فقال أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك وعن الأصبغ بن نباتة قال كأني أنظر إلى عمر
معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رأيت عليا اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له أحمل عنك
يا أمير المؤمنين قال لا أبو العيال أحق أن يحمل ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي البذاذة من الإيمان قال هرون سألت معنا
عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب خرج إلى السوق وبيده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها
من أدم وعوتب علي في إزار مرقوع فقال يقتدي بي المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس إني لأغسل ثوبي
هذين فأنكر قلبي ما داما نقيين ويروى أن عمر بن عبد العزيز كان قبل أن يستخلف تشترى له الحلة بألف دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان
تشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما أجوده لولا لينه فقيل له أين لباسك ومركبك ومعطرك فقال إن لي نفسا ذواقة تواقة وإنها لم تذق من الدنيا طبقة إلا تاقت إلى
الطبقة التي فوقها حتى إذا ذاقت الخلافة وهي أرفع الطبقات تاقت إلى ما عند الله وهو الجنة وروى أبو سعد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه
قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل القصد عند الجدة و

الجدة وإن أفضل العفو عند القدرة وقال رسول الله من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء مرضاته كان حقا على الله أن يدخر له عبقري
الجنة فإن قلت فقد قال عيسى جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق و
غمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم أن الثوب الجيد ليس من ضرورته أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذي أشار إليه رسول الله
وهو الذي عرفه ثابت بن قيس إذ قال إني امرؤ حبب إلي من الجمال ما ترى فعرف أن ميله إلى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فإنه
ليس من ضرورته أن يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرضى بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر أن يطلب التجمل إذا رآه الناس و
لا يبالي إذا انفرد بنفسه كيف يكون وعلامة طالب الجمال أن يحب الجمال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من الكبر فإذا انقسمت الأحوال
تنزل قول عيسى على بعض الأحوال على أن قوله هو خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب وقول نبينا إنه ليس من الكبر يعني أن الكبر لا يوجبه ويجوز أن
لا يوجبه الكبر ثم يكون هو موجبا للكبر وبالجملة فالأحوال تختلف في مثل هذا والمحمود هو الوسط في اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة وقد
قال رسول الله كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب
الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية وإنما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب أهل الصلاح وقد قال عيسى ما لكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم
قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية ومنها أن يتواضع بالاحتمال إذا سب وأوذي وأخذ حقه فذلك هو الأصل
في الورع والزهد وقد أوردنا ما نقل عن السلف في احتمال الأذى في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة رسول الله
فيه ينبغي أن يقتدى ومنه ينبغي أن يتعلم وقد قال ابن أبي سلمة قلت لأبي سعيد الخدري ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمطعم والمركب فقال
يا ابن أبي سلمة قلت لأبي سعيد الخدري ما ترى فيما أحدث الناس من الزي أخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو
سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف
النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه إذا أعيا ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه وينقلب إلى
أهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتديا على كل من استقبله من صغير أو كبير أسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله و
حلة لمخرجه لا يستحيي من أن يجيب إذا دعي وإن كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعي إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة
لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس شديدا في غير عنف متواضعا في غير مذلة جوادا من غير سرف رحيما
لكل ذي قربى قريبا من كل ذمي ومسلم رقيق القلب دائم الإطراق لم يبشم قط من شبع ولم يمد يده إلى طمع قال أبو سلمة فدخلت على عائشة أم المؤمنين فحدثتها بما
قال أبو سعيد فقالت ما أخطأ حرفا ولكن قصر ما أخبرك أن رسول الله لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث إلى أحد شكوى وكانت الفاقة أحب إليه من اليسار والغنى و
إنه كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتى بكنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها
لفعل وربما بكيت رحمة له مما أوتي من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني
من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في
معيشتي أن يقصر بي دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي قالت عائشة فوالله
ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله فما نقل من أحواله يجمع جملة أخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله ولم يرض لنفسه
بما رضي هو به فما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به ولذلك قال عمر إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا
نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخول الشام وقال أبو الدرداء اعلم أن لله عبادا يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض
فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدور
لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير جزع وتواضع من غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله
لله واستخلصهم لنفسه وهم الأربعون صديقا أو ثلثون رجلا قلوبهم
على مثل قلب إبراهيم خليل الرحمن لا يموت منهم الرجل حتى
يكون الله قد أنشأ من يخلفه واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون على من تحتهم ولا يحسدون أحدا ولا يحرصون على الدنيا
هم أطيب الناس خبرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن
مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا يدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا إلى الله واشتياقا إليه وقدما في

في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي فعلمت ان ابا الدرداء لما سمعت صفته اشد فعالاً من هذه الصفة وكيف لي
ان ابلغها قال ما يشكك وبين ان يكون من اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة وحرصك عليها
تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك قال واعلم الله من عبد حسن الطلب الا فتح عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله
المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن ابي كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته

الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال
الادوية القاطعة له وفي معالجته مقامان احدهما استئصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب والثاني دفع العارض منه
بالاسباب الخاصة التي يتكبر بها الانسان على غيره المقام الاول في استئصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمي فهو
ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع
والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا تليق العظمة والكبرياء الا بالله اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفين واما
معرفته نفسه فهي ايضاً تطول ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله تعالى فان في القرآن علم الاولين
والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره الى قوله ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الآية الى اول خلق الانسان والى آخر امره والى وسطه
فلينظر الانسان ليفهم معنى هذه الآية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئاً مذكوراً وقد كان في كتم العدم دهوراً ثم لم يكن لعدمه اول واي شيء اخس و
اقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من اذل الاشياء ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
ثم جعله عظماً ثم كسى العظام لحماً فقد كان هذا بداية وجوده وحيث صار شيئاً مذكوراً الا انه ما صار مذكوراً الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق
في ابتدائه كاملاً بل خلقه جماداً ميتاً لا يبصر ولا يسمع ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته
وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من اي
شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ومعنى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه
فجعلناه سميعاً بصيراً كذلك خلقه اولاً ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذه اشارة الى ما تيسر له في مدة حياته الى الموت ولذلك قال من نطفة امشاج
نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً ومعناه انه احياه بعد ان كان جماداً ميتاً تراباً اولاً ونطفة ثانياً واسمعه
بعدما كان اصم وبصره بعدما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها واغناه
بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان
ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا
انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك القلة والذلة والخساسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجوداً بعد العدم
وحياً بعد الموت وناطقاً بعد البكم وعالماً بعد الجهل وهادياً بعد الضلال وبصيراً بعد العمى وقوياً بعد الضعف وقادراً بعد العجز وغنياً بعد الفقر فكان
في ذاته لا شيء واي شيء اخس من لا شيء واي قلة اقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئاً وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض
ليعرفه خسة ذاته فيعرف بها نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل
له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين وعرفه خسته اولاً فقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه احواله فمن اين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء
وهو على التحقيق اخس الاخساء واضعف الضعفاء نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط
عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطبائع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من اجزائه
البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرهاً ويعطش كرهاً ويمرض كرهاً ويموت كرهاً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً يريد ان يعلم الشيء
فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينساه ويريد ان ينسى الشيء ويغفل عنه فلا يغفل عنه ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوساوس والافكار بالاضطرار
فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ويشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما يكون حياته فيه يستلذ الاطعمة فتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي

وتنفعه وتحييه لا يأمن في لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو
مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا شيء من غيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه واني يليق الكبر به لولا جهله فهذا اوسط
احواله فليتأمله واما آخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره
وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جماداً كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب
فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فيصير رميماً ورفاتاً ويأكل الدود اجزاءه
فتبتدئ بحدقتيه فتقلعهما وبخديه فتقطعهما وبسائر اجزائه فيصير روثاً في اجواف الديدان ويصير جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان
ويهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير تراباً يعمل منه الكيزان ويعمر به البنيان فيصير مفقوداً بعدما كان موجوداً
وصار كأن لم يغن بالامس حصيداً كما كان في اول امره امداً مديداً وليته بقي كذلك فما احسنه لو ترك تراباً لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شديد
البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة وارض مبدلة وجبال مسيرة
ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له
اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما تنطق
به او تعمله من قليل وكثير وصغير وكبير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك واحصاه الله عليك فهلم الى الحساب واستعد
للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعاً من هول هذا الخطاب قبل ان تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهدها قال يا ويلتنا
ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا آخر امره وهو معنى قوله ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا حاله والتكبر بل ما له والفرح في لحظة
فضلاً عن البطر والتجبر فقد ظهر له اول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله ربما اختار ان يكون كلباً او خنزيراً ليصير مع البهائم تراباً ولا يكون
انساناً يسمع خطاباً ويلقى عذاباً وان كان عند الله مستحقاً للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن
الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو رأى اهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا
ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى به في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة فمن هذا حاله في العاقبة الا ان يعفى عنه وهو
على شك من العفو فكيف يتكبر وكيف يرى نفسه شيئاً حتى يعتقد له فضلاً واي عبد لم يذنب ذنباً استحق به العقوبة الا ان يعفو الكريم بفضله اذ الخبر
حتى على بعض الملوك بما استحق به ان يسوط ويحبس في السجن وهو ينتظر ان يخرج الى العرض ويقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق وليس يدري ايعفى عنه
ام لا فكيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر على من في السجن الذي هو فيه وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله ولا يدري كيف يكون
امره ويكفيه ذلك حزناً وخوفاً واشفاقاً ومهانة وذلاً فهذا هو العلاج العلمي القامع لاصل الكبر واما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى
ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفنا وحكيناه من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه كان يأكل على الارض ويقول انما انا
عبد آكل كما يأكل العبيد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوباً جديداً فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوماً لبست اشار به الى العتق في الآخرة ولا
يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلاة جميعاً وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة اسرار
لاجلها كانت عماد الدين ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائماً وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديماً يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد
الواحد سوطه فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا اخر الا قائماً فبايعه
النبي ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى المذلة والضعة امروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه
امر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائماً هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضه حتى يصير
التواضع له خلقاً فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعاً وذلك لخفي العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك والملكوت والقلب من عالم الملكوت المقام الثاني فيما يعرض من التكبر بالاسباب
السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا
يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة السبب الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما
ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا فالمتكبر بالنسب ان كان خسيساً في صفات ذاته

فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت انما انت دودة خلقت من بولي افترى ان التي خلقت
من بول انسان اشرف من الذي خلقت من بول فرس هيهات فهما متساويان والشرف للانسان لا للدودة والثاني ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده
فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله
من سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حما مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه انتسابه اذ يقال يا اذل من
التراب ويا انتن من الحماة ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فنقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب
اليه من الاب فليحقر نفسه بذلك ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن اين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده فاذا
اصله من التراب وفصله من النطفة فلا اصل له ولا فصل وهذا غاية خسة النسب فالاصل يوطا بالاقدام والفصل يغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي
للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه انه من بني هاشم واخبره بذلك
والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذا اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن حجام هندي يتعاطى القذر وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم
يبق له شك في صدقهم افترى ان ذلك يبقي شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره
فهذا حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب او يتعاطى عمل الدم بالحجامة لكان يعلم به
خسة نفسه لمماسة اعضاء ابيه للتراب والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه عنها هو في نفسه
السبب الثاني الكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه راى من القبائح ما
يكدر عليه تعززه بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم
في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط بيده في كل يوم مرتين ويتردد الى الخلاء كل يوم مرة او مرتين ليخرج من باطنه ما لو راه لاستقذره
فضلا عن ان يمسه او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حالة توسطه وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم
الحيض واخرج من مجرى الاقذار اذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال انس كان ابو بكر
الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر الينا انفسنا فيقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه
خرا اذ راه يتبختر قبل خلافته فهذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهده بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار
اقذر وانتن من الدواب المهملة التي لا تتعهد نفسها قط فاذا نظر انه خلق من اقذار واسكن في اقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار
لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار في البوادي فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه
القبائح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر به على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جمال الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حال يتصور
ان يزول بمرض او جدري او قرحة وسبب من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر
بالجمال لمن اكثر تاملها. السبب الثالث التكبر بالقوة والايدي ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد
من بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة لو دخلت اذنه لقتلته
او شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه
ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوي الانسان فلا يكون اقوى من حمار او بقرة او فيل او جمل واي افتخار في صفة يسبقك فيها البهائم. السبب
الرابع والخامس الغنى وكثرة المال وفي معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن
ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع الكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد
ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا من القدر ولو تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر
خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تامل راى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف يسبقك به اليهودي
واف لشرف ياخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوامه ووجوده وهو في
الاخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقي وان استرجعه

زال وما انت الا عبد مملوك لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك فلا بد وان يزول كبره ومثاله ان يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة
منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فاخذه واخذ
جميع ما في يديه وهو مع ذلك يخشى ان يعاقبه وينكل به لتفريطه في امواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فراى نفسه محبوسا في منزل قد احدقت به
الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحد منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة افترى من هذا
حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وقوته وكماله ام يذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه و
اعضاءه وهو مع ذلك بين افات وشهوات وامراض واسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته وقوته اذ يعلم انه لا قدرة
له ولا قوة فهذه طريق علاج الكبر بالاسباب وهو اهون من علاج الكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جديران بان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما ايضا نوع
من الجهل خفي كما سنذكره. السبب السادس الكبر بالعلم وهو اعظم الافات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد و
ذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب
ان للعلم طغيانا كطغيان المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم
ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله تعالى على اهل العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العالم عشره وانه
من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال عليه السلام يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه
فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت امر بالمعروف ولا اتيه وانهى عن الشر واتيه وقد مثل الله تعالى من يعلم و
لا يعمل بالكلب والحمار فقال مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الاية اريد به علماء اليهود وقال في بلعم بن باعوراء واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا الاية حتى
قال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث قال ابن عباس اوتي بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض ومثل الخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه
يلهث او تتركه يلهث اي سواء اتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يامر بالخير الذي لا ياتيه فمهما
خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا
بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان لا يكون قد ملك قط فكم من عالم يشتهي في الاخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه
فهذا الخطر يمنع التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي ان يكون العالم عند نفسه اكبر من الصحابة وقد كان بعضهم
يقول يا ليتني لم تلدني امي وياخذ الاخر تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الاخر ليتني كنت طيرا اوكل وكل ذلك خوفا من خطر العاقبة وكانوا
يرون انفسهم اسوا حالا من الطير والتراب ومهما اطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال عنه الكبر وراى نفسه كانه شر الخلق ومثاله عبد امره
سيده بامور فشرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها وشك في بعضها انه هل اداها كما يرتضيه مولاه ام لا فاخبره مخبر ان مولاه ارسل
اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به المجهود امر برفع حسابه وفتش
عن جميع احواله وعن اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده
مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري انه من اي الفريقين يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر
على احد من الخلق بل يتواضع رجاء ان يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر ربه بما باشر بجوارحه ومن ذنوب
في باطنه من الرياء والحسد والعجب والنفاق وغيرها وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة. الثاني ان العالم يعرف ان الكبر
لا يليق الا بالله وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت
لنفسك قدرا فلا قدر لك فلا بد وان يكلف نفسه ما يحبه مولاه وان كان يستبقي انه لا خير له فيه فلا ان يتصور ذلك وهذا يزيل الكبر عن الانبياء اذ علموا ان
من نازع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم الله بان يستصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضا مما يحمله على التواضع لا محالة فان قلت
فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله وكيف يغنيه ان يخطر بباله
خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان
يسلم الكافر ويختم له بالايمان ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الاخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو عند الله من اهل النار

وهو لا يدري ذلك وكم من مسلم نظر إلى عمر قبل إسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الإسلام وفاق جميع المسلمين إلا أبا بكر وحده
فالعواقب مطوية عن العباد والسعيد العاقل الذي لا ينظر إلا إلى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا مرادة للعاقبة فإذا من حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل إن نظر إلى جاهل
قال إن هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهو أعذر مني وإن نظر إلى عالم قال إن هذا قد علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد أطاع
الله قبلي فكيف أكون مثله وإن نظر إلى صغير قال إني عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالإسلام ويختم
لي بما هو عليه فليس دوام الهداية إليّ كما لم يكن ابتداؤها إليّ فملاحظة الخاتمة تقدر على أن ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة
الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر من الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهم
إلى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا أن يشتغل بخوف غيره فإن الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل إنسان على نفسه وإذا حبس جماعة في جناية
وتوعدوا بأن تضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض وإن عمهم الخطر إذ شغل كل واحد منهم هم نفسه عن الالتفات إلى غيره حتى كأن كل واحد
هو وحده في مصيبته وخطره فإن قلت فكيف أبغض المبتدع في الله وأبغض الفاسق في الله وقد أمرت ببغضهم ثم مع ذلك أتواضع لهم فالجمع بينهما
متناقض فاعلم أن هذا أمر مشتبه على أكثر الخلق إذ يمتزج غضبك لله في إنكار البدعة والفسق بكبر النفس والإدلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل
وعالم مغرور إذا رأى فاسقا جلس بجنبه أزعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه غضب لله كما وقع لعابد بني إسرائيل مع خليعهم وذلك لأن الكبر
على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فإن الغضبان أيضا يتكبر على من يغضب عليه والمتكبر يغضب
وأحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما إلا الموفقون والذي يخلصك من هذا أن يكون الحاضر في قلبك عند مشاهدة الفاسق
والمبتدع أو أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ثلاثة أمور أحدها التفاتك إلى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني
أن يكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك
وإذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة إبهام عاقبتك وعاقبته فإنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فإن قلت
فكيف أغضب مع هذه الأحوال فأقول تغضب لمولاك وسيدك إذ أمرك أن تغضب له لا لنفسك وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك
على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة وأعرفك ذلك بمثال لتعلم أنه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على المغضوب
عليه وترى قدرك فوق قدره فأقول إذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل
بما لا يليق به ويغضب عليه فإن كان الغلام مطيعا محبا لمولاه فلا يجد بدا من أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب وإنما يغضب عليه لمولاه لأنه أمره ولأنه يريد
التقرب بامتثال أمره إليه ولأنه جرى من ولده ما يكرهه مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد
لا محالة أعز من الغلام فإذا ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر إلى المبتدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرهما عند الله في الآخرة
أعظم لما سبق لهما من الحسنى في الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الأمر محبة لمولاك إذ جرى ما يكرهه مع التواضع
لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة فهكذا يكون بغض العلماء الأكياس ويضم إليه الخوف والتواضع وأما المغرور فإنه يتكبر ويرجو لنفسه
أكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة وهذا غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله تعالى واعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الأمر. السبب
السابع التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي
أن يتكبر عليه كيف ما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل
من أصحابي إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فإن قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات وكما
أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك وإذا كان هذا أمرا غائبا
عنه لم يجز له أن يحتقر عالما بل يجب عليه أن يتواضع له فإن قلت فإن صح هذا فينبغي أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام فضل العالم على العابد
كفضلي على أدنى رجل من أصحابي فاعلم أن ذلك كان يمكن لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيه فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال
الجاهل الفاسق بذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به وإذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فإذا كل واحد من العالم والعابد خائف
على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا أمر غيره فينبغي أن يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال هذا حال العابد مع العالم

فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين فينبغي أن لا يتكبر على المستور فلعله أقل منه ذنبا وأكثر منه عبادة وأشد حبا لله
وأما المكشوف حاله فإنه لم يظهر لك من الذنوب إلا ما يزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنبا لأن عدد ذنوبك
وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائه حتى تعلم الأكثر نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي أن
تتكبر إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله وتخيل الخطأ فيه كل ذلك شديد عند الله فرب عبد جرى
عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله والإخلاص والخوف والتعظيم
ما أنت خال منه وقد كفر ذلك سيئاته فسيكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والإمكان البعيد فيما عليك ينبغي أن يكون قريبا عندك
إن كنت مشفقا على نفسك فلا تشتغلن بما هو محتمل لغيرك بل بما هو مخوف في حقك فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فإذا تفكرت
في هذا الخطر كان لك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعا حتى بلغ
العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره وهو أن يرى الناس كلهم خيرا منه وإنما الناس عنده فرقتان ففرقة هي أفضل منه
وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو متواضع للفرقتين جميعا بقلبه إن رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى أن يلحق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو
وأهلك أنا فلا تراه إلا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله تعالى فيرحمه الله تعالى
ويتوب عليه ويختم له بالحسنى بالسعادة وأحسن الأعمال وبري ظاهر فذلك شر لي ولا يأمن فيما أظهر من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فأحبطتها ثم قال فحينئذ
كمل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة من جوز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء بشقاوته فما له سبيل إلى أن يتكبر بحال من الأحوال نعم إذا
غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روي أن عابدا أوى إلى جبل فقيل له في النوم ائت فلانا الإسكاف فسله أن يدعو لك فأتاه
فسأله عن عمله فأخبره أنه يصوم الدهر ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول إن هذا لحسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة الله تعالى فعاد
فأتي في النوم ثانيا وقيل له ائت الإسكاف فقل له ما هذا الصفار بوجهك فأتاه فسأله فقال له ما رأيت أحدا من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا
فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أي يؤتون الطاعة وهم على وجل عظيم من قبولها و
قال تعالى إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملائكة مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم
على العبادات على الدؤوب بالإشفاق فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشيته مشفقون فمتى زال الحذر والإشفاق بما سبق به القضاء
في الأزل وينكشف عند خاتمة الأجل غلب عليه الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الخوف
وهو مسعد فإذا ما يفسده العابد بإضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر إليهم بعين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر
عن القلب لا غير إلا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبعها ونسيت وعدها فعن
هذا لا ينبغي أن يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي أن يكمل بالعمل ويجرب بأفعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه أن يمتحن النفس
بخمس امتحانات هي أدلة على استخراج ما في الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة الامتحان الأول أن يناظر في مسألة مع واحد من أقرانه
فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه وإخراجه الحق فذلك يدل على أن فيه
كبرا دفينا فليتق الله فيه وليشتغل بعلاجه أما من حيث العلم فبأن يذكر خسة نفسه وخطر عاقبته وأن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى وأما بالعمل فبأن
يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق ويطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلا
عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني فالحكمة ضالة المؤمن فإذا وجدها ينبغي أن يشكر من دل عليها فإذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق
عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم ففيه كبر فإن كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في الملأ فليس فيه كبر وإنما فيه رياء فليعالج
الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع وإن ثقل عليه في الخلوة والملأ جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتخلص من الآخر فليعالج كلا الداءين فإنهما
جميعا مهلكان الامتحان الثاني أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فإن ثقل
ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف النعال أو يجعل بينه وبين الأقران
بعض الأرذال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر فإن ذلك يخف على نفوس المتكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر

ويكبر ايضا باظهار التواضع بل ينبغي ان يتقدم على اقرانه ويجلس تحتهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك الذي يخرج خبث الكبر عن الباطن الا مثل الغالب
ان يحب صوت الفقر ويترك السوق في حاجة الرفق والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها
جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل الكبر الخامس ان لا يستنكف
ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقته من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر ورياء فان كان يثقل ذلك مع خلو الطريق فهو كبر وان
كان لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض النفس والقلب وعللهما المهلكة لها ان لم يتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب
الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم وروي عن عبد الله بن سلام
انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفونك قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته
من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة ام كاذبة وروي عن عمر بن الخطاب وحمل قربة على عاتقه فقال له اصحابه يا امير المؤمنين ما حملك على هذا فقال
ان نفسي اعجبتني فاردت ان اذلها وفي الخبر من حمل الفاكهة والشيء فقد برئ من الكبر السادس ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس
عن ذلك في الملا وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز له مسح يلبسه بالليل في الخلوة وقد قال عليه السلام من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر
وقد قال عليه السلام انما انا عبد آكل بالارض والبس الصوف واعتقل الشاة والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وروي ان ابا موسى
الاشعري وكان اذ ذاك امير الكوفة قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر
فما يختص بالملا فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فاعرف ذلك فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه    بيان الغاية في خلق

خلق التواضع اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة وطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا
ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله اوساطها فمن يتقدم على امثاله
فهو متكبر ومن يتاخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه الاسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وعدا الى
باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن يقرب من درجته
فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون
على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذا سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى
يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل فهو متكلف لا متواضع
بل الخلق ما يصدر الفعل عنه بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف
النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق
والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس من الميل الى
طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان واحدهما افحش وكذلك نهاية التكبر ونهاية التخسس والتذلل مذمومان واحدهما اقبح من الاخر
والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان اخلاق الكبر و
التواضع    الشطر الثاني من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب
على الجملة وبيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه    ذم العجب وآفته اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله وسنة رسوله قال الله تعالى ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ذكر ذلك في معرض الانكار وقال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في اعجابهم
بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب
فيه وقال عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حين ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رايت شحا مطاعا وهوى
متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب
والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب حاصلة له في اعتقاده والقانط فجمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى
قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول الله يوم احد

بنفسه فاكب عليه حتى اصيبت كفه فكانه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك فيه عمر فقال ما زال يعرف في طلحة نأو منذ اصيبت
اصبعه مع رسول الله والنأو هو الكبر في اللغة الا انه لم ينقل عنه انه اظهره ذلك واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس لعمر اين
انت عن طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم ياخذوا حذرهم وقال مطرف لان ابيت نائما و
اصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما واصبح معجبا وقال عليه السلام لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب اكبر الذنوب
وكان بشر بن منصور من الذين اذا رؤوا ذكر الله والدار الاخرة لمواظبته على العبادة فاطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف
عن الصلاة قال له لا يعجبك ما رايت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة متى يكون الرجل مسيئا
قال اذا ظن انه محسن وقال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم
جدا    آفة العجب اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات
الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن
تفقدها فينساها وما يتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه ولا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن انه يغفر له واما العبادات والاعمال فانه
يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر
سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب
يغتر بنفسه وبربه ويامن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له على الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه
العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب برايه وعلمه وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورايه
ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالراي الخطا الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح
ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فان كان رايه في امر دنيوي فيتحقق فيه وان كان في امر ديني لا سيما
فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال
اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته ان يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وقد
استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه    حقيقة العجب والادلال وحدهما اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم
بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احداهما ان يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا
يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهو ان يكون
غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير وشرف لا من حيث انه عطية من الله ونعمة منه فيكون فرحه
به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله تعالى بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها زال العجب بذلك عن
نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه
منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا من الله تعالى واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا
ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات
او استبعد تخلفه عن قضاء حاجته كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلاة المدل لا ترفع
فوق راسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب
لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها
بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله فانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال
وهو من مقدمات الكبر واسبابه    علاج العجب على الجملة اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضدها وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه
المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت الاختيار كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب
بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب به

انما تعجب به اما من حيث انه فيه وهو محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان تعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري
فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف تعجب بما ليس اليه وان كان تعجب به من حيث انه هو منه واليه و
باختياره حصل وبقدرته وقوته تم فينبغي ان تتامل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان جميع
ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه وآثره على غيره
من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا وسيلة ولا جمال بل لاجل خدمته فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من
فضل الملك وحكمه وايثاره له من غير استحقاق فاعجب به بنفسه من اين وما سببه ولم ينبغ ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم
ولا يقدم ولا يؤخر الا بسبب فلولا انه تفطن في من الصفات المحمودة الباطنة ما اقتضى الايثار بالخلعة لما آثرني بها فيقال له وتلك الصفة ايضا من خلعة الملك و
عطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كانت من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب
به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس واما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان
يعطيك الفرس والغلام معا او يعطيك احدهما بعد الآخر فان كان الكل منه فينبغي ان تعجب بجوده وفضله لا بنفسك واما اذا كانت تلك الصفة من غيره فلا
يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المتفرد بايجاد الموصوف والصفة
فانك ان اعجبت بعبادتك وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فستقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده
ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذا لا معنى
لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل ايضا من وجوده وفضله
فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي واني انا عملتها واني انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع ع
فكيف لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا اعجب بها فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة اما صريح
الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
هذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك
العلم والعقل وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من
جهتك معه في الاختراع الا انه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم
ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل
هو من خلق الله سيأتي تقريره في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الذي فيه مسامحة ما وهو ان تحسب ان العمل حصل
بقدرتك وسائر اسباب عملك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك ووجود عملك وارادتك وقدرتك وسائر اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى
لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله تعالى ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات
ومفاتيحها القدرة والعلم والارادة وهي بيد الله لا محالة ارأيت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن فلو جلست على بابها و
حول حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قريب بان تبسط يدك اليه فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح
وسلطك عليها ومكنك منها فمددت اليد واخذتها كان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح او بما اليك من مد اليد اليه واخذه فلا تشك في انك ترى ذلك
نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد واخذ المال قريب انما الشان كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحرك
الدواعي والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف
العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره ه
اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد عليهم وصرفها عنك وسلط اخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب
الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير
وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك اذا

اذا عرفت ذلك فاذا لا تتصرف ولا تتكل الى المقدور لا تسلط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا
تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما تستبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق لق
سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلا وافقره ممن افاض الله عليه المال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض على
هذا نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الحال اذ
يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني اياهما فهلا جمعتهما لي او هلا رزقتني احدهما والى هذا اشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال
العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله و
غناه عوضا عن عقلك وفقرك لامتنع منه فاذا ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكثر فلم يتعجب منه والمراة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الذميمة
القبيحة فتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص به مثل ذلك القبح ولا تدري المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت
بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذا نعمة الله عليها اكثر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيتها الجهال كقول من
اعطاه الملك فرسا فيقول ايها الملك لم لا تعطيني الغلام وانا صاحب فرس فيقول لولا انك تتعجب من هذا لم اعطك الفرس فهب اني ما اعطيتك اصلا اصارت نعمتي عليك
وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشا جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله واوصافه كل ذلك
نعمة من عند الله ابتداه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخشوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب
بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك لما قال داود يا رب ما تاتي ليلة الا وانسان من آل داود قائم ولا ياتي يوم الا وانسان من آل داود صائم و
في رواية ما من ساعة من ليل او نهار الا وعابد من آل داود يعبدك اما يصوم او يصلي واما يذكرك فاوحى الله اليه يا داود ومن اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا
بي ولولا عوني اياك ما قويت وساكلك الى نفسك قال ابن عباس انما اصاب داود ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ اضافه الى آل داود مدلا به حتى وكل الى
نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال داود عليه السلم يا رب ان بني اسرائيل يسالونك بابراهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يا رب
وانا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى اني لم اخبرهم باي شيء ابتليهم ولا في اي سنة وشهر ولا في اي يوم وانا مخبرك في سنتك وشهرك ويومك
غدا بامراة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله عليهم وقالوا لا نغلب اليوم
من قلة وكلوا الى انفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم الآية وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلم قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد
علي امر الا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا ايوب انى لك ذلك اي من اين لك ذلك قال فاخذ رمادا ووضعه على راسه وقال
منك يا رب فرجع من نسيانه اضافة ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبي عليه السلم لاصحابه به
وهم خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحابه بعده يتمنون ان يكونوا ترابا
وتبنا وطيرا مع صفاء اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج القاطع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك
على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف
من ذلك فيقول ان من لا يبالي ان يحرم من غير جناية ويعطي من غير وسيلة لا يبالي ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له
بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال

اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

اعلم ان العجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا
يتكبر به كعجبه بالراي الخطا الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام الاول ان يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وحسن
صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرض الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في
اقذار باطنه وفي اول امره وفي آخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور حتى استقذرتها الطباع
الثاني القوة والبطش كما حكي عن قوم عاد حين قالوا فيما اخبر الله عنهم من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على
عسكر موسى فثقبه الله تعالى حتى صار في عنقه وقد يتكل المؤمن ايضا على قوته كما روي عن سليمان انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة ولم يقل ان شاء الله فحرم ما
اراد من الولد وكذلك قول داود ان ابتليتني صبرت وكان اعجابا بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس الى التهلكة والمبادرة الى الضرب
والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبها الله تعالى بادنى آفة يسلطها عليه

الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالراي والعقل وترك المشورة واستجهال
الناس المخالفين له ولرايه ويخرج الى قلة الاصغا الى اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغنا بالراي والعقل واستحقارهم واهانتهم وعلاجه ان يشكر الله تعالى
على ما رزقه الله تعالى من العقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يامن ان يسلب عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر
عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس اكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله وان يتهم عقله وينظر الى
الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف مقدار
عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدائه لا من اصدقائه فان من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا الرابع
العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق له موال وعبيد
وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف اباه في افعالهم واخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بابائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازرا على
النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به فقد ساواهم في النسب وشاركهم
في القبايل والشعوب من لم يومن بالله وكانوا عند الله شرا من الكلاب واخس من الخنازير ولذلك قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
اي لا تفاوت في انسابكم لاجتماعكم في اصل واحد ثم ذكر فايدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال
ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولما قيل لرسول الله من اكرم الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمي الى نسبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا
وانما نزلت هذه الاية حين اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يوذن
فقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال عليه السلام ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية اي كبرها كلكم بنو ادم وادم من تراب وقال عليه السلام يا معشر
قريش لا ياتي الناس بالاعمال يوم القيامة وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اي اعرض عنكم فبين انهم ان مالوا
الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب
عمة رسول الله اعملا لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيا فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة ابائه التواضع اقتدى
بهم في التقوى والتواضع والا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت
فقد قال عليه السلام لفاطمة وصفية بعد قوله اني لا اغني عنكما من الله شيا الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وقال عليه السلام اترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها
بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم منتظر شفاعة رسول الله والنسيب ايضا جدير بان يرجوها ولكن بشرط ان
يتقي الله ان يغضب عليه فانه لا ياذن لاحد في شفاعته فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يوذن في الشفاعة والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند
ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملوك فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ولا
يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وبقوله تعالى لا تنفع الشفاعة الا من اذن له
الرحمن ورضي له قولا واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيها والى ما لا يشفع وجب الخوف والاشفاق لا محالة فلو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما امر
قريشا بالطاعة ولما نهى فاطمة عن المعصية ولكان ياذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الاخرة لتكمل لذتها في الاخرة
فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اعتمادا على رجا الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من اب او اخ او غيره
وذلك جهل لان سعي الطبيب وهمته وحذقه تنفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطب اثر على الجملة
ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي ان تفهم عناية الشفعا من الانبيا والصلحا للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك
لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيله وخير الخلق بعد رسول الله الصحابة وقد كانوا يتمنون ان يكونوا بهايم من خوف الاخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفا
قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله اياهم بالجنة خاصة وساير المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخشوع والخوف قلوبهم فكيف يعجب
بنسبه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية
الجهل وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وانهم ممقوتون عند الله ولو نظر الى صورهم في النار وانتانهم
واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرا من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استقذارا لهم واستحقارا ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصما

بهم والملايكة اخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرا الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب
اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله على سلامة دينهم ويستغفروا لابايهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض السادس
العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما ان سكن في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون
ضرا ولا نفعا وكم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد
ولا اهل ولا قريب ولا حميم ولا عشير ويسلمونه الى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيا وهو في احوج اوقاته اليهم وكذلك
يهربون منه يوم القيامة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امري منهم يوميذ شان يغنيه فاي خير فيمن يفارقك في
اشد احوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة والصراط الا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم
من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك السابع العجب بالمال كما قال الله تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا وراى رسول
الله رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام اخشيت ان يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر في افات
المال وكثرة حقوقه وعظم غوايله وينظر الى فضيلة الفقرا وسبقهم الى الجنة في القيامة والى ان المال غاد ورايح ولا اصل له والى ان في اليهود
من يزيد عليه في المال والى قوله عليه السلام بينما رجل يتبختر في حلة له قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة اشار
به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال ابو ذر كنت مع النبي عليه السلام فدخل المسجد فقال لي يا ابا ذر ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب جياد
ثم قال ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب خلقان فقال يا ابا ذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب
ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنيا وشرف الفقرا عند الله وكيف يتصور من المومن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المومن عن الخوف من
تقصيره في القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزي والبوار فكيف يعجب بماله الثامن العجب بالراي
الخطا قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر رسول الله ان ذلك يغلب على اخر هذه الامة
وبذلك هلكت الامم السالفة اذ افترقت فرقا وكل معجب برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بارايهم
والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الراي الخطا جاهل
بخطيه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الدا الذي لا يعرف والجهل دا لا يعرف فتعسر مداواته جدا لان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله و
يزيله عنه الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه لا يصغي الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب
الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرايه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له دليل قاطع من كتاب او سنة او دليل
عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد و
تشمر في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يومن عليه الغلط في بعض الامور والصواب
لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله تعالى واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شي
وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر ويتبع سنة السلف ويومن بجملة ما جا به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسوال عن تفصيل
بل يقول امنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وساير الاعمال فان خاض في المذاهب والبدع والتعصب
في العقايد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على ان يشتغل في عمره بشي غير العلم فاما الذي عزم على التجرد للعلم فاول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك
مما يطول الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة في اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقويا المويدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا فنسال الله
العصمة من الضلال ونعوذ بالله من الاغترار بخيالات الجهال

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

## كتاب ذم الغرور

الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج اوليايه من الظلمات
الى النور ومورد اعدايه ورطات الغرور والصلوة على محمد مخرج الخلايق من الديجور وعلى اله واصحابه الذين لم تغرهم الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله
الغرور صلوة تتوالى على ممر الدهور وكر الساعات والشهور اما بعد فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة
فلا نعمة لله على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما

سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالأكياس وأرباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام والهدى والمغترون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدورهم ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا وإذا عرف أن الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح أجناس مجاري الغرور وأصناف المغترين من العلماء والصالحين والقضاة الذين اغتروا بمبادي الأمور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير إلى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فإن ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغني عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف الصنف الأول من العلماء الصنف الثاني من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من أرباب الأموال والمغتر من كل فرق فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الأهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلوة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لا يتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولنبدأ بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حده وحقيقته

## ذم الغرور وحقيقته وأمثلته

اعلم أن قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني كاف في ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين وقال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذ الجهل هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل إلا أن كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تكون دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه فأكثر الناس إذا مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لهما أمثلة لحقيقة الغرور المثال الأول غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحيوة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور أما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فإذا هي خير فلا بد من إيثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وإلى هؤلاء الإشارة بقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان أما التصديق بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله في قوله تعالى وما عند الله خير وأبقى وقوله تعالى والآخرة خير وأبقى وقوله تعالى وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور وقوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وقد أخبر النبي عليه السلام بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله أبعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا إيمان العامة وهو يخرج من الغرور وهذا ينزل منزلة تصديق الصبي والده في أن حضور المكتب خير من حضور الملعب مع أنه لا يدري وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فإن كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلان أحدهما أن الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله إن النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس وليس الأمر كذلك بل إن كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير منه وإن كان أقل منها فالنسيئة خير منه فإن هذا الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة

فلا يأخذه وإذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الأطعمة تركها في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الأسفار في الحال لأجل الراحة والربح نسيئة فإن كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة وليس هو عشر عشير جزء من ألف ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحدا ليأخذ ألف ألف بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بأنواع المنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فإذا قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة وهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق وأريد به خاص فغفل به المغرور عن خصوص معناه فإن من قال النقد خير من النسيئة أراد به خير من نسيئة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصليه باطل إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله وإلا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي إدراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده وتعبه في الاقتناص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وعلى وكل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول إني لو لم أتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وإن اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالإضافة إلى ما أخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر قريب بالإضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة فإن كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني إلا التنعم أيام حياتي وقد كنت في العدم من الأزل إلى الآن لا أتنعم فأحسب أني بقيت في العدم وإن كان ما قيل صدقا فأبقى في النار أبد الآباد وهذا لا يطاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين إن كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وإن كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مغرور وأما الأصل الثاني من كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين ولتيقنه مدركان أحدهما الإيمان والتصديق تقليدا للأنبياء والعلماء وذلك أيضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة عن آخرهم على أن دواءه النبت الفلاني فإنه تطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر في عمله بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر إلى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها وجدهم خير خلق الله وأعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على اختلاف أصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم إلى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الأنبياء فكما أن قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلماء وهذا القدر من الإيمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والإلهام للأولياء ولا تظنن أن معرفة النبي لأمر الآخرة ولأمور الدين تقليد لجبريل بالسماع منه كما أن معرفتك تقليد للنبي عليه السلام حتى تكون معرفتك كمعرفته وإنما تختلف في المقلد فقط هيهات فإن التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من أمر الله الأمر الذي يقابل النهي لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالأمر الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله فقط لأن ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الأمر وعالم الخلق ولله الأمر والخلق فالأجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق إذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فإنه من عالم الأمر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من إفشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسماني غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم عليه السلام وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته فإنها في جوار الرب وأنه أمر رباني وحنينه إلى جوار الرب له طبعي ذاتي إلا أن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب عن ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم

ينسنا ادفعل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اى الخارجون عن مقتضى طبعهم وفطنة انفسهم ثم قال فسقت الرطبة
من اكمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه اشارة الى اسرار يمتنع استكشاف روابطها العارفون ويشمئز عن سماع الغافلين القاصرون فانه
تضربهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة و
ولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادي مقامات الانبيا واخر مقامات الاوليا اول مقامات الانبيا ولنرجع الى الغرض فالمقصود ان غرور
الشيطان بان الاخرة شك يدفع بالقياس الجلي وبالاستبصار ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله وهجروا الاعمال
الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لانهم اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم
عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا واثروها ومجرد الايمان
لا يكفي للفوز قال تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال اعلم ان الاحسان ان تعبد الله كانك تراه و
قال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الى اخر السورة فوعد المغفرة في جميع كتاب الله منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلا
مغرورون اعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المتنعمين بها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما
بعده فهذه امثلة الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكفار والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول
بعضهم في انفسهم وبالسنتهم انه لو كان لله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا واسعد حالا كما اخبر الله تعالى عن قول الرجلين المتحاورين اذ قال
وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا
بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج امراة على الف دينار وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا يفنى ويخرب الا اشتريت قصرا في الجنة
لا يفنى واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا في الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه
الكافر ويقول ما هناك شي وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان فليكونن لي في الاخرة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين
مالا وولدا فقال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا وروي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه
فلم يقض لي فقلت اني اخذه في الاخرة فقال اذا صرت الى الاخرة فان لي هناك مالا وولدا فاقضيك منه فانزل الله تعالى قوله افرايت الذي كفر باياتنا وقال
لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب الايات وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من اقيسة
ابليس وذلك انهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعم الاخرة ومرة ينظرون الى تاخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة كما قال
تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم و
يستحقرونهم فيقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا
وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن في المستقبل ايضا كما قال الشاعر لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي وانما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة
والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب لما احسن الي والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ
ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الاخر فالذي
يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف
يريد فيلعب ولا يدخل المكتب وياكل ما يشتهي فيظن هذا الصبي المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه ولم يمنعه
ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا وشهواتها فانها مهلكات ومبعدات من الله وان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام و
الشراب وهو يحبه هكذا ورد في الخبر وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته وراوا ذلك امارة المقت والاهمال واذا
اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبلت عليه الدنيا ظن انها كرامة من الله تعالى واذا صرفت عنه ظن انه هوان كما اخبر الله تعالى
عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا تبين ان ذلك غرور
قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان
او فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما البصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات [illegible]

الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله تعالى ويدرك ذلك بالالهام في منازل العارفين وشرحه من جملة علوم المكاشفة
ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بالله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال و
بنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال فتحنا عليهم ابواب كل شي حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم
بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة لتزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما
وقال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله فمن امن به تخلص عن هذا الغرور
فان منشا هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وهامان وقارون والى ملوك الارض
كيف احسن اليهم ابتدا ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله مكره واستدراجه فقال فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال ومكروا مكرا ومكرنا مكرا
وقال ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال
السيد اياه وامهاله وتمكينه من النعم على حبه له بل ينبغي ان يحذر ان يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبان يجب ذلك في حق الله تعالى مع
تحذيره واستدراجه اولى فاذا من امن مكر الله فهو مغتر ومنشا هذا الغرور انه استدل بنعم الدنيا على انه كريم عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل
الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور اما
الثاني فهو غرور العصاة من المؤمنين بالله بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسميتهم تمنيهم واغترارهم
رجا وظنهم ان الرجا مقام محمود في الدين وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد في بحار رحمته وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه
بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الابا وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة ابائهم في الخوف والورع والتقوى
وظنهم انهم اكرم على الله من ابائهم اذ اباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور امنون وذلك نهاية الاغترار بالله فقياس
الشيطان للعلوية ان من احب انسانا احب اولاده وان الله قد احب اباكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة ونسي المغرور ان نوحا صلوات الله عليه اراد ان يستصحب
ولده في السفينة فقال ان ابني من اهلي فقال انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وان ابراهيم صلى الله عليه استغفر لابيه فلم ينفعه وان نبينا صلى الله عليه وسلم استاذن
ان يزور قبر امه ويستغفر لها فاذن في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر امه لرقته لها بسبب القرابة حتى ابكى من حوله فهذا اغترار بالله وهذا
لان الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي فكما انه لا يبغض الاب المطيع لبغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي لحبه للوالد المطيع ولو كان الحب يسري
من الاب الى الولد لاوشك ان يسري البغض ايضا بل الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه كمن ظن انه يشبع باكل ابيه ويروى بشرب
ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي ابيه فالتقوى فرض عين فلا يجزي والد عن ولده شيئا وكذلك جزاء التقوى يوم يفر المرء من اخيه
وامه وابيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فياذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب فان قلت فاين الغلط في قول العصاة
والفجار ان الله كريم وانا نرجو عفوه ورحمته فهذا الكلام صحيح مقبول من القلب فاعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول الظاهر
مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله ولكن غير الشيطان اسمه فسماه رجا حتى خدع به الجهال وقد شرح الله تعالى الرجا فقال ان الذين امنوا و
الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجا بهم اليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الاخرة اجر وجزاء على الاعمال قال تعالى جزاء
بما كانوا يعملون وقال انما توفون اجوركم يوم القيامة افترى ان من استؤجر على اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما
وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد الجميع ثم جلس ينتظر الاجرة ويزعم ان المستاجر كريم افتراه العقلاء في
انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجا وبين الغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك
امانيهم يترجحون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل انا نرجو الله فقال
مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو
معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن او امن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور وكما انه اذا نكح ووطي وانزل بقي مترددا في امر الولد
بين الرجا والخوف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الافات عن الرحم وعن الام الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا امن وعمل الصالحات وترك السيئات

وبقي مترددا بين الخوف والرجا يحاف ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسو ويرجو من فضل الله ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ له دينه من
صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو الكيس ومن عدا هوله فهم المغرورون
بالله سبحانه وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نباه بعد حين وعند ذلك يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي علمنا
انه كما لا يولد الولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت الزرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الاخرة ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الان
صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وكلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير الم يسمعكم سنة الله في عباده وانه توفى
كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ولو انا سمعنا
رسلك وعقلنا ما الصحيح وعقلنا عن الله اوامره ونواهيه ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجا
وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال الشيطان واني تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى
فيجب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجا ويتذكر ان الله لم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له امرهم بالانابة وهي الرجوع وقال اني لغفار لمن تاب
وامن فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة
فقال له الشيطان لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجو ادراك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة وجعل يرجو
تاخير الامام الصلاة لاجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب التي لا يعرفها فهو مغرور والثاني ان تفتر نفسه عن فضائل الاعمال
ويقتصر على الفرائض فيرجي نفسه نعيم الله تعالى وما وعد الصالحين حتى ينبعث من الرجا نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد افلح
المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجا الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجا الثاني يقمع
الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة وعلى تشمر في العبادة فهو رجا وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا
خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك ولايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب عفو كريم رحيم فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو الغرة وعند هذا واجب
على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الاباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه
فكيف لا اخافه ولا اغتر به فالخوف والرجا قائدان وسائقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمني وغرور ورجا كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا
واعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعي للاخرة فذلك غرور وقد اخبر عنه النبي وذكر ان الغرور سيغلب على اخر هذه الامة وقد كان ما وعد به النبي عليه السلام فقد كان الناس
في الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة ويخافون على انفسهم طول الليل والنهار في طاعة الله تعالى يبالغون في التقوى والحذر
من الشبهات والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الان فترى الخلق امنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم
في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين انهم واثقون بكرم الله وفضله وراجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله وفضله ما لم يعرفه الانبياء و
الصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالتمني وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكا اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الخوف
والرجا وقد قال رسول الله صلى الله عليه فيما رواه معقل بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه القران في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم
كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اسا قال يغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القران وما فيه ومثله
اخبر عن النصارى واليهود اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعنى ورثوا الكتاب اي هم علماؤه ومعنى ياخذون عرض هذا الادنى اي
شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقران من اوله الى اخره تحذير وتخويف لا يتفكر متفكر فيه الا ويطول
حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على رفعها وخفضها ونصبها وكانهم يقرؤون شعرا
من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجا والغرور
ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصي الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انه يترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيات اكثر وهذا
غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من اموال المسلمين والشبهات اضعافه ولعل ما تصدق به هو من مال المسلمين

وهو يتكل عليه ويظن ان اكل الف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال او الحرام وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان و
في الكفة الاخرى الف واراد ان يشيل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه و
لا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه او يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم
بما لا يرضاه الله تعالى طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر مائة مرة ويغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل
تسبيحه مائة مرة او الف مرة وقد كتبها الكرام الكاتبون وقد اوعده الله بالعقاب على كل كلمة وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ابدا يتامل
في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين يظهرون من الكلام ما لا يضمرونه الى غير ذلك من افات
اللسان وذلك محض الغرور لعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه
حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته ما كان يعده ويحصيه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه اجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا
على قيراط يفوته في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوات الفردوس الاعلى ونعيمها ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى امر ان
شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جا به القران وانا نبرا الى الله ان نكون من اهل الكفران
فسبحان من صدنا عن التنبه والتيقن مع هذا البيان وما اجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا
على اباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى

اصناف المغترين واقسام فرق كل صنف من الاصناف وهم اربعة اصناف الصنف الاول
اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي
والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم
بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله تعالى فهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله و
بصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم
لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم تكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دوا مركب
من اخلاط كثيرة لا يعرفها الا الحذاق من الاطبا فيسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدوا وفصل له الاخلاط
وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطها وعجنها فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن
ورجع الى بيته وهو يكررها ويقرؤها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيا هيهات لو كتب منه الف نسخة
وعلمه الف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيا الا ان يزن الذهب ويشتري الدوا ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر
على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتما وبشروطه فاذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه
ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة وما زكى
نفسه منها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال الله تعالى قد افلح من زكاها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها و
علمها الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدوا لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله تعالى وثوابه والعلم يجلب الثواب و
يتلو عليه الاخبار الواردة في فضائل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه واطمان اليه واهمل العمل وان كان كيسا فيقول
للشيطان اتذكرني فضائل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وقوله تعالى مثل الذين حملوا
التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقال عليه السلام من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عليه السلام
يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى وكقوله شر الناس العلماء السوء وقول ابي الدردا ويل للذي لا يعلم مرة ولو شا الله
لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات اي ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال عليه السلام اشد الناس عذابا يوم القيامة
عالم لم ينفعه الله بعلمه وما اوردنا في كتاب العلم في باب علامات علما الاخرة اكثر من ان يحصى الا انه لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في
فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بعين البصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره
بفضيلة العلم هو الذي اخبره بذم العلما السو وان حالهم عند الله اشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تاكد حجة الله عليه غاية الغرور

وأما الذي يدعي علم المكاشفة كالعلم بالله وصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع أمر الله تعالى وحدوده فغروره أشد ومثاله مثال
من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به
أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به عليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب
منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا إليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة غلمانه
ومعاملته رعيته فهذا مغرور جدا إذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط وبمعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك أقرب إلى نيله المراد من قربه والاختصاص
به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسامي دون المعاني إذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور أن
يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد
لا يخافه فكأنه ما عرف الأسد فمن عرف الله عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم أنه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله آلافا مؤلفة وأبد عليهم العذاب
أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء فل معناه العلماء بالله على الحقيقة وقيل في فاتحة
الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتى الحسن عن مسألة فأجاب فقيل إن فقهاءنا لا يقولون ذلك
فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه لا يداري ولا يماري ينشر حكمة الله فإن قبلت منه حمد الله وإن ردت
حمد الله فالفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من
المغرورين وفرقة أخرى أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة
عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وإرادة السوء للأقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو
مكب عليها غير متحرز عنها ولا يلتفت إلى قوله عليه السلام أدنى الرياء الشرك الخفي وإلى قوله عليه السلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وإلى قوله الحسد
يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وإلى قوله حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل إلى غير ذلك من الأخبار التي أوردناها في
جميع ربع المهلكات في الأخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله عليه السلام إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى
قلوبكم وأعمالكم فتعهدوا الأعمال ولم يتعهدوا القلوب والقلب هو الأصل إذ لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها
نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة وكبيت مظلم باطنه وضع السراج على ظهره حتى استنار ظاهره وباطنه مظلم وكرجل قصد الملك ضيافته إلى داره فجصص باب
داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتنقية الزرع من الحشيش بقلعه
من أصله فأخذ يجز رأسه ويقطعه فلا يزال يقوى أصله وينبت لأن مغارس المعاصي هي الأخلاق الذميمة في القلب فمن لا يطهر القلب منها لم يتم له الطاعات
الظاهرة إلا مع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء
وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن وفرقة أخرى علموا أن هذه الأخلاق
الباطنة مذمومة من جهة الشرع إلا أنهم لعجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منفكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك وإنما يبتلى به العوام دون من
بلغ مبلغهم في العلم فأما هو فأعظم عند الله من أن يبتليه ثم إذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين و
إظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام أنف المخالفين من المبتدعين فإني لو لبست الدون من الثوب وجلست في الدون من المجلس لشمت بي أعداء الدين وفرحوا
به وكان ذلي ذلا على الإسلام ونسي المغرور أن عدوه الذي حذره مولاه منه هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به ونسي أن النبي عليه السلام بماذا نصر الدين
وبماذا أرغم الكافرين ونسي ما روي عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر في بذاذة زيه عند قدومه إلى الشام فقال إنا
قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والدبيقي والإبريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم
أنه يطلب عز العلم وشرف الدين به وكذلك مهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال إنما هذا غضب
للحق ورد على المبطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد أنه لو طعن في غيره من أهل العلم أو منع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته
وظلمه ولم يظن بنفسه مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من خبث باطنه
وكذا يرائي بأعماله وعلومه وإذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا إلى دين الله فيتخلصوا من عقاب الله

ولا يتأمل المغرور أنه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن كان له عبيد مرضى يريد
معالجتهم لم يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا فلا يخليه الشيطان أيضا ويقول إنما ذلك لأنهم إذا اهتدوا بي كان الأجر لي و
الثواب لي فإنما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الخمول وإخفاء العلم أكثر من ثوابه
في الإظهار وحبس مع ذلك في السجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع إلى موضعه الذي به ظهوره ورياسته من التدريس أو وعظ
أو غيره وكذلك يدخل على السلاطين ويتودد إليهم ويثني عليهم ويتواضع لهم وإذا خطر له أن التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات إنما ذلك
عند الطمع في أموالهم وأما أنت فغرضك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول
عند ذلك السلطان فصار يشفع في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين لثقل ذلك عليه ولو قدر على أن يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب
عليه لفعل ذلك وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم إلى أن يأخذ من أموالهم وإذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وأنت إمام المسلمين
وعالمهم وبك قوام دين الله تعالى أفلا يحل لك أن تأخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة أمور أحدها في أنه مال لا مالك له فإنه يعرف أنه يأخذ الخراج من
المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء قيام وأولادهم وورثتهم أحياء وغايته وقوع الخلط في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخلطها
فلا خلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشره وإن كان كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في
قوله إنك من مصالح المسلمين والثالث في قوله وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والإقبال على الرياسة
والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال للدين وقوام مذهب الشياطين لا إمام الدين
إذ الإمام هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والإقبال على الله كالأنبياء والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والإقبال
على الدنيا فلعل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال عيسى عليه السلام للعالم السوء إنه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء
ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هذه الأعصار المتأخرة خارج عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة أخرى
أحكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد و
طلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون إذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان
وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها وأهملوها وإنما مثالهم مثال من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش
له فقلعه إلا أنه لم يفتش عما لم يخرج بعد رأسه من تحت الأرض وظن أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت
التراب فأهملها وهو يظن أنه قد طهرها فإذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك
ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى أن باعثه الحرص على
إظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الآفاق وانطلاق الألسنة عليه
بالثناء والمدح بالزهد والعلم والتقديم له في المهمات وإيثاره في الأغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الإصغاء عند حسن اللفظ والإيراد والورع صح
والتمتع بتحريك الرؤوس على كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر الأقران و
الأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من إطلاق اللسان بالطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن إدلال
بالتميز واعتداد بالتخصص ولعل هذا المسكين المغرور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر الإمارة وعز الانقياد والتوقير وحسن الثناء فلو تغيرت عليه القلوب
عليه واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فعساه يتشوش عليه قلبه ويختلط لذلك وظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج إلى أن
يكذب في تغطيته وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عمن عرف حق فضله ويعرفه
إن كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض أصحابه بل بعض من يتوهم أنه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع وإنما ذلك لأنه أطوع له وأتبع لمراده وأكثر
ثناء عليه وأشد إصغاء إليه وأحرص على خدمته وعلمه يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لإخلاصه وصدقه ولقيامه بحق علمه صلى الله تعالى
عليه وسلم نعم ما في حلقته ويرى أن ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد على ذلك الثواب في إيثار الخمول والعزلة على ص
وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة والإخفاء لذة القبول وعز الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بني آدم أنه بعلمه امتنع مني

مجهلة وقع في حبائل وعساه لو وعد مثل ذلك الثواب في ايثار الخمول والعزلة واخفا العلم لم يرغب فيه لكنه يصنف ويجتهد فمن اين انه يحب علم الله لنفعه به
دانا يوديه استطهانه اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحي عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب الاستماع من التصنيف انما يرجع
الى المصنف والله عالم بانه المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو عن الثنا على نفسه اما صريحا بالدعاوى العريضة الطويلة واما ضمنا بالطعن في غيره ليستبان من
طعنه في غيره انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه لعله
لا يعزيه اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره ادنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيجعله قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الالفاظ
وتسجيعها وتحسين نظمها كيلا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل عما روي ان بعض الحكما
وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه قل له قد ملات الارض نفاقا اني لا اقبل من نفاقك شيا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين
اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياها فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه الكثر
تبعا ام غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى
واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص
على الثنا عليه كما اثنى من قبل مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز عنه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لافة من الافات التي كانت تلحقه في هذه الفئة
وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك فلا يزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن في دينه
وفي ورعه ليحيل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح به وان اثني عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه
اذا ذكرت عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك فهذا وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن له الا الاكياس
ولا يتنزه عنها الا الاقويا ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفا الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه وتسوؤه ويكرهه ويحرص على اصلاحه
فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله بعلمه و
عمله الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا
في العمل بالعلم ولنذكر الان غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغرورون اما لاستغنائهم عن اصلاح ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه
فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعاش وخصصوا اسم الفقه بها و
سموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن عن الحرام والرجل
عن المشي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والريا والحسد وسائر المهلكات فهولا مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل
والاخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدوا واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به
علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك محتاج الى تعلم الدوا واستعماله فاشتغل بتعلم دوا الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه
رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامراة وتسالني عنها وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الرياسة
واتباع الشهوات والحسد والكبر والريا وسائر المهلكات وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله و
اشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض ولا يحتاج الى شي من ذلك قط في عمره
لنفسه واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور
بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال بفروض الكفايات قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وكان قد قصد
بالفقه وجه الله فانه وان قصد به وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل واما غروره من حيث
العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله وربما طعن على المحدثين وقال انهم نقلة وحملة اسفار لا يفقهون
وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه امنا من الله
مغترا به متكلا على انه لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور
وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجية ليستشعر الخوف ويلازم التقوى

اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود
هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في سبيل الله الة والبدن مركب وانما العلم المهم
هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن
الله فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه
ليس من الحاج في شي ولا بسبيل وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هولا من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والا
الالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف
لانواع التشبيبات الموذية فهولا هم سباع الانس طبعهم الايذا وهمتهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم
لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام
الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهولا قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى ولكن زادوا
اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب
وهو كتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيهما واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية انما ابدع لاظهار الغلبة والافحام
واقامة سوق الجدل به فغرور هولاء اشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على
المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطريق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا
يكون لعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما سموه ادلة عقائدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لا يعتقد مذهبهم و
لم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم
اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما اوتيت من حيث انها لم تتهم رايها ولم تحكم اولا شروط الادلة
ومنهاجها فراى الشبهة دليلا والدليل شبهة واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات في دين
الله وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ولم يبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن او ليس بكامل ولا مقرب عند الله فلهذا الظن
الفاسد قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملت نفسها وقلبها حتى عميت عليها ذنوبها وخطاياها الظاهرة والبا
وهي تظن ان اشتغالها بالجدل اولى واقرب عند الله وافضل لكنها لالتذاذها بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن دين الله عميت بصيرتها
فلم تلتفت الى القرن الاول فان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع والاهوا فما جعلوا اعمارهم ودينهم عرضة للخصومات
والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا من حيث راوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة
ما يدل الضال على ضلالته واذا راوا مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو
الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل اعني في الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم قط بعد هدى الا اوتوا الجدل
وخرج رسول الله يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال ابهذا بعثتم ابهذا امرتم ان
تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا اول خلق الله بالحجاج والجدال ثم انه لما زاد
رسول الله وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سوال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة
القران المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان
يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس من اهل الحزم لم يغتروا بما كان على الصحابة مع
مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم لانهم قالوا لن نضيع العمر الا فيما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخض فيما لا نامن على انفسنا
الخطا في تفاصيلها ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدلنا بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها
لتترك الدنيا للاخرة اولى هذا لو لم يثبت لي انه نهي عن الجدل والخصومة فكيف وقد ثبت نهيه وكيف ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى ان اتفقد نفسي
وصفاتها ما يبغضه الله وما يحبه لانتزه عما يبغضه واتمسك بما يحبه وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ والتذكير واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس

وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بأنفسهم
أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه
العوام من المسلمين وغرور هؤلاء أشد الغرور لأنهم يعجبون بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم ما تبحروا في علم المحبة إلا وهم محبون لله وما
قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها منزهون ولولا أنه مقرب عند الله تعالى
لما عرف معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله تعالى وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن
من الله تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى أنه من المتوكلين على الله وهو
من المتكلين على العز والجاه والمال والأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الإخلاص فيترك الإخلاص في الوصف ويصف
الرياء ويذكره ويرائي بذكره ليعتقد فيه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها
فهو يظهر الدعاء إلى الله تعالى وهو منه فار ويخوف بالله وهو منه آمن ويذكر بالله وهو له ناس ويقرب إلى الله وهو منه متباعد ويحث على الإخلاص و
هو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا لو منع عن مجلسه الذي
يدعو الناس فيه إلى الله تعالى لضاقت عليه الأرض بما رحبت ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه
لمات غما وحسدا ولو أثنى أحد من المترددين إليه على بعض أقرانه أو دخل على أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه فهؤلاء أعظم خلق الله غرة وأبعدهم من
التنبه والرجوع إلى السداد لأن المرغب في الأخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه
وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وإنما المخوف ما يتلوه على عباده وهم يخافون وهو ليس بخائف نعم إن ظن
بنفسه أنه موصوف بهذه الصفات المحمودة أمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أنه يدعي مثلا حب الله تعالى فما الذي تركه من محاب الدنيا
لأجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الأنس بالله فمتى طال أنسه بالخلوة ومتى
استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة إذا أحدق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش
من حبيبه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يمتحنون أنفسهم في هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ
والمغترون يحسنون بأنفسهم الظنون وإذا كشف الغطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أقتابهم فيدورون بها كما يدور الحمار بالرحى
كما ورد في الخبر لأنهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وإنما وقع الغرور لهؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا من أصول
هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضى بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم ما قدروا على وصف ذلك وما
رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها إلا لاتصافهم بها وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للتعلم وأن
كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارق آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل ربما زاد أمنه وقل خوفه وظهر إلى
الخلق ميله وضعف في قلبه حب الله تعالى وإنما مثاله مثال مريض يصف الدواء ويصف دواء الصحة ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر
على وصف الصحة والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض ولا يفارق بدنه بدنهم وإنما فارقهم في الوصف والعلم بالطب فظنه عند علمه
بصفة الصحة أنه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالحب والخوف والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق
بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور ومنهم فرقة أخرى عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل الزمان كافة إلا من عصمه الله تعالى على الندور في بعض أطراف البلاد إن كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات
والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للإغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها فأكثر همهم في الأسجاع
والاستشهاد بأشعار العرب في الوصال والفراق وغرضهم أن تكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الإنس
ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فإن الأولين إن لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم وأما هؤلاء فإنهم يصدون عن سبيل الله
ويجرون الخلق إلى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما إذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب
فإنه يشهد من فرقه إلى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا ويضل كثيرا فلا يخفى وجه كونه مغرورا وفرقة أخرى

منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك
على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر عن الجندية والسوقية إذ حفظ كلام الزهاد
وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الغرض وصار مغفورا له وأمن من عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل الدين يكفيه
وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم وفرقة أخرى استغرقوا أوقاتهم في علم الحديث أعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منها وطلب الأسانيد
الغريبة العالية فهمة أحدهم أن يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول أنا أروي عن فلان ولقيت فلانا ومعي من الإسناد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه
منها أنهم كحملة الأسفار فإنهم لا يصرفون العناية إلى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر ليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم ومنها أنهم إذا لم يفهموا
معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها ولا يعملون به أيضا ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة معالجة القلب ويشتغلون بتكثير الأسانيد
وطلب الأسانيد العالية ولا حاجة بهم إلى شيء من ذلك ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضا لا يقومون بشرط السماع فإن السماع بمجرده و
إن لم تكن فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التفهم بعد الإثبات والعمل بعد التفهم فالأول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر
وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم لم يحكموا صنعة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في
السماع فإذا كبر تصدى لأن يسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث أو ينسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف
وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور إذ الأصل في الحديث أن يسمع من رسول الله فيحفظ كما سمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية
عن الحفظ والحفظ عن السماع فإن عجزت عن سماعه من رسول الله سمعته من الصحابي أو التابعي وصار سماعك عن الراوي كسماع من يسمع من رسول الله وهو أن
تصغي لتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا أو أخطأ علمت خطأه وللحفظ طريقان أحدهما أن تحفظ بالقلب
وتستديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الأحوال والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل إليه يد من يغيره
ويكون حفظك للكتاب في صندوقك أو في خزانتك فإنه لو امتدت إليه يد غيرك فإذا لم تحفظه ربما لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرا
لما سمعته وقلبك آمنا من التغيير والتحريف فإذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك وجوزت أن
يكون ما فيه مغيرا أو يكون قد غير حرف منه فالنسخة التي سمعتها لم يجز لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فإنك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة
فإذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها لم يكن لك أن تقول إني سمعت ذلك وقد قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول
الشيوخ كلهم في هذا الزمان إنا سمعنا ما في هذا الكتاب إذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب صريح وأقل شروط السماع أن يجري الجميع على السمع مع
نوع من الحفظ ليشعر بالتغيير ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون ثم إذا بلغ
الصبي وأفاق المجنون سمع منه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فإن كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لأنه
لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ فإن استجرأ جاهل فقال يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب
سماع الجنين في البطن فأي فرق بينهما فإن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فإذا سمع هذا وهو إنما يثبت الحديث دون الصوت فليقتصر إذا
صار شيخا على أن يقول سمعت بعد بلوغي أني في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا أدري ما هو ولا خلاف في أن الرواية
كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب ولو جاز إثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لأنه سمع صوتا غفلا لجاز إثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية
الجهل ومن أين يؤخذ هذا وهل للسماع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها فكيف يؤديها كما سمعها
من لا يدري ما سمعه فهذا من أفحش أنواع الغرور وقد بلي به أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيوخا إلا الذين سمعوا في الصبى على هذا
الوجه مع الغفلة إلا أن المحدثين في ذلك جاها وقبولا فخاف المساكين أن يشترط ذلك فيقل من يجتمع في حلقهم من الشيوخ فينقص جاههم ويقل أيضا أحاديثهم
التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك ولعلهم قد اصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يكون بحيث يقرع سمعه صوت وإن كان لا يدري ما يجري وصحة
السماع لا تعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم علماء أصول الفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا
معرورين في اقتصارهم على النقل وفي إفنائهم أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد وإعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار بل الذي يقصد من الحديث
سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روي عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السماع فكان أول حديث روي قوله عليه السلام من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه

مام وقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة
والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انه قد غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فافنى
هولاء اعمارهم في دقائق النحويين وفي صناعة الشعراء وغرائب اللغة وما لم يكن يغني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها وزعم ان العلوم لا
يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيف ما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك
الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع عمره في لغة الترك والهند وانما فارقها لاجل ورود الشريعة بها
فيكفي من اللغة علم الغريب في الاحاديث ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فاما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه و
اعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل بها فهو ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القران واقتصر عليها وهو غرور اذ
المقصود من الحروف المعاني والحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفراء فضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه
السكنجبين فهو من جهال المغرورين فكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب والقراءات والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها او تجردوا لها وعرجوا
عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه
وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك
وهي القشرة العليا العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغرورون الا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته
فتجاوزها الى ما وراءها حتى وصل الى لباب العمل وطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب و
الافات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه ومنازل له بالاضافة الى الله تعالى اليه وكل من لم يبلغ المقصد
فقد خاب سواء كان في المنزل القريب او في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات
وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم فكان الغرور بها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية
مشتركة في انها محمودة كما تشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى والثاني محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذ القشر مقصودا
وعرج عليه فهو مغتر به وفرقة اخرى عظم غرورهم في علم الفقه ان حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق
واساؤوا تاويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطأوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتوى مما يكثر ولكن هذا نوع
غرور عم الكافة الا الاكياس منهم فنشير الى امثلة له فمن ذلك فتواهم بان المراة مهما ابرات عن الصداق برئ الزوج بينه وبين الله وذلك خطأ بل الزوج قد يسيء الى
الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج ليتخلص فهو ابراء لا عن طيب نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شيء منه
نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فان الانسان قد يريد بقلبه ما لا تطيب به النفس فان الانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وانما طيبة النفس ان
تسمح نفسها بالابراء من ضرورة تقابلها حتى اذا ترددت بين ضررين اختارت اهونهما فهذه مصادرة على التحقيق بالاكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع
على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع عليه الخلق ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيامة
للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابراء ولذلك لا يحل مال الانسان الا عن طيبة نفس منه فلو طلب من انسان مالا على ملأ من الناس فاستحيى
من الناس الا ان يعطيه وكان يود ان يكون سواله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس وخاف الم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار اهون الالمين
وهو الم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم القلب ببذل المال فيختار اهون
الالمين والسوال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله ظاهر وانما حاكم الدنيا هو
الذي يحكم بالملك لظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يوخذ على
هذا الوجه فهو حرام الا ترى الى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد ان غفر له يا رب كيف لي بخصمي فامر بالاستحلال منه وكان خصمه ميتا فامر بندائه في
صخرة بيت المقدس فناداه يا اوريا فاجابه لبيك يا نبي الله اخرجتني من الجنة فماذا تريد فقال اني اسات اليك في امر فهبه لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله
فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبريل هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع فبين له فناداه فقال لبيك فقال اني اذنبت اليك ذنبا قال الم اهبه لك
قال لم لا تسالني ما ذلك الذنب قال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا فذكر شان المراة فانقطع الجواب فقال يا اوريا الا تجيبني فقال يا نبي الله ما هكذا تفعل الانبياء حتى

اقف معك بين يدي الله فاستقبل داود الصراخ والبكاء والنياح حتى وعده الله ان يستوهبه منه في الاخرة فهذا ينبهك على ان الهبة من غير طيبة القلب لا تفيد
وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون في الابراء والهبة وغيرهما الا اذا خلا الرجل واختياره حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لا ان
تضطر بواعثه الى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكوة في اخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكوة فالفقيه يقول سقطت الزكوة
فان اراد به ان مطالبة الساعي والسلطان قد سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك
المال او كمن باع لحاجته الى المبيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين وسر الزكوة فان سر الزكوة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال عليه
السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وانما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحبه
للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال ان استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله مال المصالح
للفقيه ومقدار حاجته والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الاموال والفضول والشهوات والحاجات بل كل ما لا تتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض
الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها في العبادة وسلوك طريق الله فكل ما يتناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله
وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في امثال ذلك لملأنا منه مجلدات والغرض التنبيه على امثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول
الصنف الثالث ارباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلوة ومنهم من غروره في تلاوة القران ومنهم في الحج ومنهم
في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور الا الاكياس وقليل ما هم فمنهم فرقة اهملوا الفرائض واشتغلوا
بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء المحكوم بطهارته
في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة واذا ال الامر الى اكل الحلال قدر الاحتمالات القوية بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا
الاحتياط من الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة اذ توضا عمر من جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع ابوابا من الحلال خوفا
من الوقوع في الحرام ثم في هولاء من يخرج الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلوة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها ايضا عن
وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة اول الوقت وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو اعز الاشياء فيما له مندوحة
عنه الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطرق ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك وفرقة اخرى غلبت عليهم
الوسوسة في نية الصلوة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلوة عن الوقت وان تم تكبيره يكون في قلبه بعد
تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في التكبير اول الصلوة ثم يغفلون في جميع الصلوة ولا
يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم في تصحيح النية في اول الصلوة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم
وفرقة اخرى تغلب عليهم الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء
وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلوته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القران والاتعاظ به وصرف الفهم الى اسراره وهذا من اقبح انواع
الغرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القران من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هولاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان فغافل
عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما اجدره بان تقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل في اودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني
القران لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القران من مقاصد
التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القران الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه مالكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهي فلم
يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه وتكرار حفظه فاغتر بمولاه الا انه يكرر الكتاب بنغمة وصوت كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة
ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما تراد لكيلا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد
يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله وسماع كلامه وانما هي لذته في صوته ولو ردد الحانه بشعر او كلام
اخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرف ان لذته بكلام الله من حسن نظمه ومعانيه او بصوته وفرقة اخرى منهم اغتروا بالصوم
وربما صاموا الدهر وربما صاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون السنتهم عن الغيبة وخواطرهم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الافطار والسنتهم عن
الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور وفرقة اخرى اغتروا

فالحج معرجون إلى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الإسلام
ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث
والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله في كسب الحرام أولا وفي إنفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه
من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الأخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه
فهو مغرور. وفرقة أخرى أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالمعروف والخير وينسى نفسه وإذا أمرهم
بالخير عنف وطلب العز والرياسة وإذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول
عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة
وقال لم أخذ حقي وزاحمني على مرتبتي وكذلك من يتقلد إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام المسجد فإن تقدم غيره وإن كان أورع
منه وأعلم منه ثقل عليه. وفرقة أخرى جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بها فلم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم متعلقة ببلادهم
ملتفتة إلى قول من يعرفهم إن فلانا مجاور بمكة وتراه يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذا وكذا سنة وإذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح القول بالتحدي وأحب أن يعرفه
الناس بذلك ثم إنه يجاور ويمد عينه إلى الطمع في أوساخ أموال المسلمين وإذا جمع منها شيئا شح عليها وأمسكها ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه
الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وأن يقال إنه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل
فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك
إلا من جملة كتاب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج والزكاة وتلاوة القرآن وسائر القربات من الكتب التي
ترتبها فيها. وإنما الغرض الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق في الكتب. وفرقة أخرى زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون
ومن المسكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه إما بالوعظ وإما بالعلم أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون
الأمرين وباء بأعظم المهلكين فإن الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا
وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر أن منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لا بد أن يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث
الأخلاق. نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتطاول بها على الأغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار
ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل
زهده ولو قيل له إنه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من ألذ أبواب الدنيا ويرى نفسه
أنه زاهد في الدنيا فهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الأغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل إلى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين إلى
غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان. وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويختم
القرآن في كل يوم وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم فلا يظن
ذلك بنفسه وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كفة
حسناته وهيهات فذرة من ذي تقوى وخلق من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس
وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فإذا قيل له أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن
أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه. وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم
اعتدادها بالفرائض فترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في
أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى ما تقرب إلي المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل
قد يتعين على الإنسان فرضان أحدهما يفوت والآخر لا يفوت أو نفلان أحدهما يضيق وقته والآخر متسع فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا
ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فإن المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على البعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل
وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره وتقديم الأهم من فروض الأعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت



على ما لا يفوت وهذا كما يجب أن تقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل من أبر يا رسول الله قال أمك قال ثم من
قال ثم أباك قال ثم من قال أدناك فأدناك فينبغي أن يبدأ في الصلة بالأقرب وإن استويا فبالأحوج فإن استويا فبالأتقى والأورع وكذلك من لا تفي
ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج وهو من تقديم فرض أهم على فرض هو دونه وكذلك إذا كان على العبد ميعاد
ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وإن كان هو طاعة في نفسه وكذلك قد يصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على
أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإيذاؤهم محذور والحذر من الأذى أهم من الحذر من النجاسة وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تحصى
ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لأن المغرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث يترك
بها طاعة واجبة هي أهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة المتعلقة بالجوارح
والمتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجهم فمعرفة ما هو يحتاج إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجاه ولذة
المباهاة وقهر الأقران والتقدم عليهم يعمي عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بمهم دينه. الصنف الثالث المتصوفة وما أغلب
الغرور عليهم والمغترون منهم فرق. ففرقة منهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله تعالى اغتروا بالزي والهيئة والمنطق فساعدوا الصادقين
من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة وفي السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس
على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما
تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر
من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها
ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير و
القطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه. وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال
من المقاتلين تثبت أسماؤهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من أقطار المملكة فتاقت نفسها إلى أن يقطع مملكة فلبست درعا ووضعت على
رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الأبطال أبياتا وتعودت إيراد تلك الأبيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيفية
تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها في الديوان فلما وصلت إلى المعسكر
أنفذت إلى ديوان العرض وأمر العارض بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحتهما وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنائها في الشجاعة
فلما جردت عن المغفر والدرع ونظر ما تحتهما فإذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها أجئت لتستهزئي بالملك وتستخفي في
أهل حضرته والتلبيس عليه فلما عرضوا حالها على الملك قال خذوها فألقوها قدام الفيل لسخفها فألقيت إلى الفيل فهكذا يكون حال المدعين
للتصوف في القيامة إذا كشف الغطاء وعرضوا على القاضي العدل الأكبر الذي لا ينظر إلى الزي والمرقع بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى
زادت على هؤلاء في الغرور إذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة اللباس والرضى بالدون وأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيهم
فتركت الخز والإبريسم وطلبت المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة ولبست من الثياب ما هو أرفع قيمة من الخز والإبريسم وظن
أحدهم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثياب وكونها مرقعة وينسى أنهم إنما لونوا ثيابهم لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ وإنما
لبسوا المرقع إذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فأما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن أين يشبه
ما اعتادوه فهؤلاء أظهر حماقة من كافة المغرورين فإنهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الأطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين
ولا يجتنبون أنواع المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدي بهم ومن
لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة. وفرقة أخرى ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والأحوال والملازمة في
عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن
أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى إن الفلاح
ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار

ويستحقرون بذلك جميع العباد والعلماء فيقولون في العباد إنهم أجراء متعبون ويقولون في العلماء إنهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق
وأنه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا
سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه وفرقة منهم وقعت في الإباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال
والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي فلم أتعب نفسي وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد
كلفوا ما لا يمكن وإنما يغتر به من لم يجرب وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال ولا يعلم الأحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الغضب والشهوة من أصلهما بل
تأديبهما بحيث ينقادا لحكم الشرع والعقل ويقول بعضهم الأعمال بالجوارح لا وزن لها وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة إلى
معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام و
استغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة أنفسهم عن درجة الأنبياء إذ كان يصدهم عن
طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية وأصناف غرور أهل الإباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على
أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل إحكام العلم من غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أصنافهم
يطول وفرقة أخرى جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الأعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضى
والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله ويزعم أنه واله بالله ولعله قد تخيل في
الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله وعن إيثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور
حياء من الخلق ولو خلا لما تركها حياء من الله وليس يدري أن ذلك بدعة لم ينقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فما فهموا التوكل المخاطرة
بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب وما من
مقام من المقامات المنجيات إلا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن إعادته وفرقة
أخرى ضيقت على أنفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال المحض الخالص وأهملت تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من
أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين أن الله لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الأعمال دون
طلب الحلال بل لا يرضيه إلا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفيه وينجيه فهو مغرور وفرقة منهم ادعوا حسن الخلق
والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وإنما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة
والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون أن غرضهم الإرفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من
الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر أتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذون أموال السلاطين وينفقون عليهم وبعضهم يأخذونها لينفقوا في طريق
الحج على الصوفية ويزعم أن غرضه البر والإرفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم
بأخذ الحرام والإنفاق منه ومثالهم مثال من يسرق الحرام في طريق الحج ليعمر مساجد فيطينها بالعذرة ويزعم أن قصده العمارة وفرقة أخرى
منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما
وحرفة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا
عيب والالتفات إلى كونه عيبا عيب ويشغفون بكلمات مسلسلة يضيعون الأوقات في تلفيقها ومن جعل جميع عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم
علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه وفرقة أخرى جاوزوا هذه الرتبة وابتدءوا سلوك
الطريق وانفتحت لهم أبواب المعرفة فلما تشمموا من مبادئ المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات إليها والتفكر فيها
وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه
وحرم عن الوصول إلى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قط قبل ذلك مثلها فوقف ينظر حتى فاته
الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك وفرقة أخرى جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة
ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات إليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله فظنوا أنهم وصلوا إلى الله فوقفوا وغلطوا

[illegible marginal note]

بلغ

فإن لله سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل وإليه الإشارة بقول إبراهيم إذ قال إخبارا عنه
فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به هذه الأجسام المضيئة فإنه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدة
والجهال يعلمون أن الكوكب ليس بإله فمثل إبراهيم لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية والبقال ولكن المراد به نور من الأنوار التي هي من حجب الله تعالى و
هي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول إلى الله إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظها
وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل إبراهيم لما رأى ملكوت السموات حيث قال وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه
في أول ما يلقاه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترقى إليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه ذلك حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا
وصول إلا بعده فقال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمته غير خال عن الهوي في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا أحب الآفلين إني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والأرض وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الأول وأول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه
فإنه أمر رباني وهو نور من أنوار الله أعني سر القلب الذي يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليتسع لجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره إشراقا
عظيما إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه
ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فإن لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به
ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس إذ المتجلي
يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر وقال القائل [illegible] حتى إذا ما ليت بصفو الراح [illegible]
وبهذه العين نظرت النصارى إلى المسيح فرأوا إشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء
فيمد إليه يده ليأخذه وهو مغرور وأنواع الغرور في طريق السلوك إلى الله لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع العلوم أعني علوم المكاشفة
وذلك مما لا رخصة في شرحه ولعل القدر الذي ذكرناه إنما كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع
بسماعه بل ربما يستضر به إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراجه من الغرور الذي هو فيه إذ ربما يصدق بأن الأمر أعظم
مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجداله المزخرف ويصدق أيضا بما يحكى من المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله ومن عظم غروره ربما أصر
مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل الصنف الرابع أرباب الأموال والمغرورون منهم فرق ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس
والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون أساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا
فيه من وجهين أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشى والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في
إنفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فإذا قد عصوا الله بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله تعالى وردها إلى ملاكها إما بأعيانها و
إما برد بدلها عند العجز فإن عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها إلى الورثة فإن لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أهم المصالح وربما يكون
الأهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن لا يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على
بنائها لبقاء أسمائهم بها لا لبقاء الخير والثاني أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير والإنفاق على الأبنية فلو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا
واحدا ولا يكتب اسمه أو لم يكتب اسمه على الموضع الذي أنفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولولا أنه يريد وجه الناس
لا وجه الله لما افتقر إلى ذلك وفرقة أخرى ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهي أيضا مغرورة بها من وجهين أحدهما الرياء
وطلب الثناء فإنه ربما يكون في جواره أو في بلده فقراء وصرف المال إليهم أهم من صرفه إلى المساجد وزينتها وإنما يخف صرفها إلى المساجد ليظهر ذلك بين الناس
الثاني أنه يصرفه إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة لقلوب المصلين ومختطفة أعينهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور
القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى أنه من الخيرات ويعتد ذلك وسيلة إلى الله تعالى وهو بذلك
قد تعرض لسخط الله وهو يظن أنه مطيع له وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرف من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك
في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد للتواضع وحضور القلب مع الله قال مالك بن دينار دخل رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب

وقال رجل يدخل بيت الله وهو لا يريد الصلوة فكتب على المكان عبد الله صدقة فهكذا ينبغي ان يعظم المساجد وهو ان يرى الوسخ في المسجد بنفسه حتى يزيله
على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا فيه قال الله قال الحواريون للمسيح انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتي امتي بحق
اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وان احب
الاشياء الى الله القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء قال رسول الله اذا زخرفتم مساجدكم و
حليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبريل عليه السلام فقال ابنه سبعة اذرع طوله في السماء لا تزخرفه
ولا تنقشه فغرور هذا من حيث انه راى المنكر معروفا واتكل عليه وفرقة اخرى ينفقون الاموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون
بها المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما اخذ منهم جناية عليهم و
كفرانا وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في اخر الزمان يكثر الحاج بلا
سبب يهون عليهم السفر ويبسط عليهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره ماسور الى جنبه لا يواسيه
وروى ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال قد عزمت على الحج فتامرني بشيء فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي درهم قال فاي شيء تبتغي
بحجك نزهة او اشتياقا الى البيت او ابتغاء مرضاة الله تعالى قال ابتغاء مرضاة الله قال فان اصبت رضى الله وانت في منزلك وتنفق الفي درهم اتفعل ذلك كل
قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة انفس مديون يقضي به دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه وان قوي قلبك ان تعطيها
واحدا فافعل فان ادخال السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها
كما امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا نصر سفري اقوى في قلبي فتبسم بشر واقبل عليه وقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس
ان يقضي به وطرا فاظهرت اعمال الصالحين وقد آلى الله تعالى على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين وفرقة اخرى من ارباب الاموال يحفظون الاموال
ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القران وهم مغرورون لان البخل
المهلك قد استولى على قلوبهم فهم محتاجون الى قمعه باخراج المال وقد اشتغلوا بطلب فضائل هم مستغنون عنها ومثاله من دخلت في ثوبه حية
وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغني كثير الصوم
والصلوة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره انما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من تجويعه لنفسه ومن صلوته
لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء وفرقة اخرى غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكوة فقط ثم انهم يخرجونها الى من يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار في
خدمة او من لهم فيه على الجملة غرض او يسلمون الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية
ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن انه مطيع لله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله تعالى عوضا من غيره فهذا وامثاله من غرور ارباب الاموال لا يحصى
انما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور وفرقة اخرى من عوام الخلق وارباب الاموال والفقراء اغتروا بالحضور في مجالس الذكر واعتقدوا ان
ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه
مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن
الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكا وربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد
على ان يصفق ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما يجري
او الجائع يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية وينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذا سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله
شيئا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير افعالك حتى تقبل على الله وتعرض عن الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة
لك كنت مغرورا فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص منه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب الياس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر
من خفايا الافات فاقول الانسان اذا فترت همته في شيء اظهر الياس واستعظم الامر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل
واستنبط بدقيق النظر خفايا الطريق الى الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد ان يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده عنه استنزله او
اراد ان يستخرج الحوت من اعماق البحر استخرجه او اراد ان يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال استخرجه او اراد ان يقتنص الوحوش المطلقة

في البوادي والصحارى اقتنصها او اراد ان يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها او اراد ان ياخذ الافاعي والحيات و
يعبث بها اخذها واستخرج الترياق من اجوافها او اراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت فعل او اراد ان يعرف مقادير الكواكب
وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الالات وسخر الفرس والكلب للصيد وسخر
البازي لاقتناص الطيور وهيا الشبكة لاقتناص السمك الى غير ذلك من دقائق الحيل كل ذلك لان همه امر دنياه وذلك معين له على دنياه ولو همه امر
اخرته فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل عنه وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو اصبح وهمه هذا
الهم الواحد بل هو كما قيل لو صح منك الهوى ارشدت للحيل وهذا شيء لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت
ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت فقد قربت الامر فيه مع انك اكثرت في
ذكر مداخل الغرور فبماذا ينجو العبد من الغرور فاعلم انه ينجو منه بثلاثة امور العقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة امور لا بد منها اما العقل فاعني به
الفطرة الغريزية والنور الاصلي الذي به يدرك الانسان حقائق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على
التحفظ من الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في اصل الفطرة وهذا ان لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته
بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوي عملهما
وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن ابي الدرداء
انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف
ولا يعلم منزلته عند الله يوم القيامة فقال رسول الله انما يجزى على قدر عقله وقال انس رضه اثنى رجل عند رسول الله خيرا فقال رسول الله كيف
عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضيلته ومن خلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يتقرب الناس على
قدر عقولهم وقال ابو الدرداء كان رسول الله اذا سمع عن رجل شدة عبادة يسال عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ
وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون والذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله في اصل الفطرة
فان فاتت بلادة وحماقة فلا تدارك لها الثاني المعرفة واعني بها ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الاخرة فيعرف
نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله والنظر الى وجهه الكريم
فقط ولا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه وليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجائب القلب وكتاب الشكر وكتاب
التفكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله ويحصل به التنبه على الجملة وكمال المعرفة وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب
في هذا الكتاب الا في علم المعاملة واما معرفة الدنيا فيستعين عليها بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت ليتبين له ان لا نسبة للدنيا الى
الاخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والاخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الاخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصير
اهم اموره ما يوصله الى الله وينفعه في الاخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة
كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الاخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه و
المال فان ذلك هو المفسد للنية ومهما كانت الدنيا احب اليه من الاخرة وهوى نفسه احب اليه من رضى الله فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب على
حب الله
قلبه بمعرفة الله وبنفسه الصادرة من كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم اعني العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما
يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بافات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد اودعناه كتب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات
شروطها فيراعيها وافاتها فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه منها فياخذه بادب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه
ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة فان المانع من الله تعالى الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعلم من ربع
المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد ان يوضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر عن الانواع التي اشرنا اليها من الغرور
واصل ذلك ان يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا عنه حتى يقوى به الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها
فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فاقول يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس

الى ما عرفته وهو من اهل الله فان المريد المخلص اذا فرغ عن تهذيب الاخلاق وراقب القلب حتى صفاه عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم
وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق
الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ ياتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فياتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على الخلق والشفقة
على دينهم والنصح والدعاء الى الله فينظر بعين الرحمة الى العبيد فيراهم حيارى في امرهم سكارى في دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون
وفقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فغلبت على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى السعادة
وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ولا مؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كرجل به داء عظيم لا يطاق المه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره
لا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء سهلا صافيا من غير مؤنة ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرأ
وصح وطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعدما يئس من اللذة واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر
الى كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها قد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فتذكر ان دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم
بسهولة ويكون في اقرب زمان فاخذته الرقة والرحمة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى
الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد الخلق قد مرضت قلوبهم واعضل داؤهم وقرب هلاكهم وشقاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من
ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد مجال الفتنة فلما اشتغل به وجد الشيطان مجال الفتنة فدعاه الى
الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغم
والحركات والتصنع في الزي والهيئة فاقبل الناس يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ راوه شافيا لدائهم محضا للشفقة
والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من ابائهم وامهاتهم واقاربهم فاثروه بابدانهم واموالهم وصاروا له خولا كالخدم والعبيد يخدمونه ويقدمونه في
المحافل ويحكمونه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة فاصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها
كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة
وامارة انس النفس بالطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو اخطأ فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه ما وجد من الغضب بادر
الشيطان فخيل اليه ان ذلك غضب لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور وربما اخرجه ذلك الى الوقيعة
فيمن رد عليه فوقع في الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك
اذا سبقت الضحكة او فتر عن بعض الاوراد جزعت النفس عن ان يطلعوا عليه فيسقط قبوله اتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الاعمال
والاوراد لاجلهم والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك لئلا يفتر رأيهم عن طريق الله وينكرون الطريق فتوكل وانما ذلك خدعة وغرور بل
هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا يجزع نفسه من اطلاعهم على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت
القلوب الى قبوله وزاد اثر كلامه في القبول على كلامه فشق ذلك عليه ولولا ان النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله
ان يرى الرجل جماعة من اخوانه قد وقعوا في بئر وتغطى راس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقي بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجر من راس البئر
وشق عليه فجاء من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه او كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لا محالة اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح
خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من اعانه او كفاه لم يثقل عليه ارأيت لو اهتدوا جميعا بانفسهم اما كان ينبغي ان يثقل عليه فمهما وجد ذلك
في نفسه دعاه الشيطان الى جميع ذلك كبائر القلوب وفواحش الجوارح واهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء
فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس فنقول اذا لم يكن له قصد الا في هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه او اهتدوا بانفسهم وانقطع
بالكلية طمعه عنهم وعن ثنائهم واموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقرن به حمد الله ونظر اليهم كما
ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطاع الطمع عن طلب
المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فما
لم ير الناس كالماشية التي لا يلتفت الى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالشمع

الذي يضيء لغيره ويحترق في نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا من استجمع هذه الرتبة خلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فاقول
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة ولولا حب الناس للدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه
عليه السلام علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكره كونه مهلكا لا ينزع الحب عن قلب الاكثرين الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب
الدنيا من الخطر ولم يترك ذلك خوفا من ان يترك نفسه الشهوات المهلكة التي سلطها الله عز وجل على عباده ليسوقهم بها الى الجحيم تصديقا لقوله ولكن حق القول مني
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فكذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع
الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصي بقول الله عز وجل وبقول اهل العلم ان ذلك حرام فانظر لنفسك ولا تشتغل عن حيث
الناس فان لله تعالى ان يصلح خلقه كثيرا فساد شخص واحد واشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله ليؤيد هذا الدين
باقوام لا خلاق لهم وانما يخشى ان يسد طريق الانتفاع فاما ان يخرس السنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا
فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح او نصح وراعى شروط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه
وما الذي بقي بين يديه من الاخطار وحبائل الاغترار فاعلم انه يبقى عليه اعظم وهو ان الشيطان يقول له قد اعجزتني وافلت مني بذكائك وكمال عقلك
وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما اصبرك وما اعظم عند الله محلك اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري
فيصغي اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان
يا ابن ادم اذا ظننت انك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من الله عز وجل لا منه وان مثله لا يقوى
على دفع الشيطان الا باذن الله تعالى ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن اقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل
بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول يخاف عليه الغرور بفضل الله تعالى والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الحالة
في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن امن مكر الله فهو خاسر جدا بل
طريقه ان يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه ان يكون قد سد عليه صفة من صفات قلبه من حب الدنيا والرياء وسوء الخلق والالتفات الى غير الله و
هو غافل عنه ويكون خائفا ان يسلب حاله في كل طرفة عين غير امن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه
الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال افلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك
قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذن المغرور هالك والمخلص
الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب اولياء الله ابدا فنسال الله عز وجل حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها تم ربع المهلكات

## بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين كتاب التوبة

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب وبحمده يتنعم اهل النعيم في دار الثواب وباسمه يتسلى الاشقياء وان ارخي دونهم الحجاب
وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب ومسبب الاسباب
ونرجوه رجاء من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التواب ونمزج الرجاء بالخوف مزج من لا يرتاب انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ونصلي على محمد وصحبه والتابعين صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب اما بعد فان التوبة
عن الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين وراس مال الفائزين واول اقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين و
مطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ولابينا آدم صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء اجمعين وما اجدر الاولاد بالاقتداء بالاباء والاجداد
فلا غرو ان اذنب الادمي واجترم فهي سنة اعرفها من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم ولكن الاب اذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد ان هدم
فليكن النزوع اليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم ولقد قرع ادم سن الندم وتندم على ما سبق منه وتقدم فمن اتخذه قدوة
في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون التدارك سجية الشياطين والرجوع
الى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الادميين فالتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان والتجرد للشر شيطان والتلافي للشر بالرجوع
الى الخير بالحقيقة انسان فقد ازدوج في طينة الانسان شائبتان واصطحب فيه سجيتان فكل عبد مصحح نسبه اما الى الملك او الى ادم او الى الشيطان

فلنكتب قد امام البرهان على صحة نسبته الى آدم بملازمته حد الانسان والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان فاما تصحيح النسب
بالتجرد لمحض الخير الى الملائكة فخارج عن حيز الامكان فان الشر معجون مع الخير في طينة الانسان عجنا محكما لا يخلصه الا احدى النارين نار الندم
او نار جهنم فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان عن خبائث الشيطان والى الان اختيار اهون الشرين والمبادرة الى اخف النارين
قبل ان يطوى بساط الاختيار ويساق الى دار الاضطرار اما الى الجنة واما الى النار واذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في
صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والادوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر اربعة اركان

الركن الاول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص في جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت
مقبولة الركن الثاني فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله وبيان كيفية توزيع
الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغائر الركن الثالث في بيان شروط التوبة في دوامها
وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان اقسام التائبين في دوام التوبة الركن الرابع في السبب الباعث على التوبة وكيفية
العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين وتتم المقصود بهذه الاركان الاربعة ان شاء الله تعالى

## الركن الاول في نفس التوبة

بيان حقيقة التوبة وحدها

اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة امور مرتبة علم وحال وفعل فالعلم اول والحال ثاني والفعل ثالث والاول موجب
للثاني والثاني موجب للثالث ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله تعالى في الملك والملكوت اما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين
العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم القلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات
محبوبه تألم فان كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى
انبعث من هذا الالم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال والماضي والاستقبال اما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان
ملابسا واما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى آخر العمر واما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر
فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات واعني بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة
عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الايمان مهما اشرق على القلب نار الندم فيتألم به القلب حيث يبصر باشراق
نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فرأى محبوبه وقد
اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث تلك النيران بارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في
الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مترتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده
ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر وبهذا الاعتبار قال عليه السلام الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره
وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ فان هذا
يعرض لمجرد الالم ولذلك قيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفا ونشر
بساط الوفا وقال سهل التستري التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالصمت والخلوة واكل الحلال وكانه اشار ثم
الى المعنى الثالث من التوبة والاقاويل في حد التوبة لا تنحصر واذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها
قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الامور اهم من طلب الالفاظ المجردة

بيان وجوب التوبة وفضلها

اعلم ان وجوب التوبة ظاهر بالآيات والاخبار وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على ان يسعى بنوره
الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة فالسالك اما اعمى لا يستغني عن القائد في خطوة واما بصير يهدى الى اول الطريق ثم
يهتدي بنفسه وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوة فيفتقر الى ان يسمع في
كل قدم نصا من كتاب الله او سنة رسوله وربما يعوزه ذلك فيتحير فسير هذا وان طال الزمان وعظم الجد مختصر وخطاه قاصرة ومن
سعد بشرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بادنى اشارة لسلوك طرق معوصة وقطع عقبات متعبة ويشرق في قلبه نور
القرآن ونور الايمان وهو لشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان فكانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدي

الله لنوره من يشاء فهذا لا يحتاج الى نقل منقول في كل واقعة فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي
ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان يعلم ان معنى الواجب ما هو واجب في الوصول الى سعادة
الابد والنجاة من هلاك الابد فانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى وقول القائل صار واجبا
بالايجاب حديث محض فان ما لا غرض لنا عاجلا وآجلا في فعله فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه علينا غيرنا او لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه
الوسيلة الى سعادة الابد وعلم انه لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهي محترق بنار الفراق و
نار الجحيم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله تعالى
الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله تعالى طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم
ان الذنوب التي هي اعراض عن الله تعالى واتباع لمحاب الشياطين اعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله فلا يشك في ان الانصراف عن طريق
البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم فانه ما لم يعلم ان الذنوب اسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه
في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في ان المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول الى المحبوب وهكذا يكون الايمان الحاصل
عن نور البصيرة واما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود اكثر الخلق ففي الاتباع والتقليد له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك
فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا امر على العموم وقال
تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الآية ومعنى النصوح الخالص لله خاليا عن الشوائب مأخوذ من النصح و
يدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال عليه السلام لله افرح بتوبة
عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد
عليه الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها
زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وفي بعض الالفاظ من فرحه اذا اراد شكر الله قال انا ربك وانت عبدي ويروى عن
الحسن قال لما تاب الله تعالى على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل فقالوا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم
يا جبريل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فاين مقامي فاوحى الله اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة من دعاني منهم لبيته كما لبيتك ومن
سألني المغفرة لم ابخل عليه لاني قريب مجيب يا آدم واحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب والاخبار والآثار في ذلك لا تحصى
والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناه العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات عن الله وهذا داخل في وجوب الايمان ولكن قد تدهش الغفلة
عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير
في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه واما الندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع
الم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله فان قلت تألم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف
بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد
ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله وفعله والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق
عند ذوي البصائر وما سوى هذا ضلال فان قلت افليس للعبد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا ان الكل من خلق الله بل الاختيار
ايضا من خلق الله والعبد مضطر في الاختيار الذي له فان الله تعالى اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في
القلب بان هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دونه مانع يتعذر معه تناوله
ام لا ثم خلق العلم بانه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع
شهوة الطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة اذ بعد
تمام القدرة والارادة يكون حصول الفعل ضروريا فتحصل الحركة فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزام الارادة وهما من خلق الله وانجزام الارادة
يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما ايضا من خلق الله ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله في خلقه ولن تجد

لانه تعالى لا يخلق حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة
المجزومة ما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس اما في الحال او في المآل ولا يخلق العلم ايضا
الا باسباب اخر ترجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبعي يستتبع الارادة الجازمة والارادة والقدرة ابدا تستتبع الحركة وهكذا الترتيب في كل
فعل والكل من اختراع الله ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فلذلك يجب تقدم البعض وتأخر البعض كما لا يخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا
بعد الحياة ولا يخلق الحياة الا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لا ان الحياة تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لا ان العلم
يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة لا ان العلم يولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة الا
جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود الا ممكن وللامكان ترتيب لا يقبل التغير لان التغير محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل
ذلك الوصف من الجود الالهي والقدرة الازلية عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتيب و
العبد مجرى هذه الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداه وعنه
العبارة بقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وعن القضاء الكلي الازلي العبارة بقوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر واما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء
والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد وبعد خلق علم بما اليه
ميله يسمى الادراك والمعرفة فاذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق اهل عالم الملك والشهادة المحجوبون
عن عالم الغيب والملكوت وقالوا يا ايها الرجل قد تحركت وكتبت ورميت ونودي من وراء حجب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما
قتلتم ولكن الله قتلهم قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه جبر محض ومن قائل انه اختراع صرف ومن
متوسط مائل الى انه كسب ولو فتح لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد منهم صادق من وجه وان القصور شامل لجميعهم فلم
يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علمه بجوانبه وتمام علمه ينال باشراق النور من كوة نافذة الى عالم الغيب وانه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط
مناط سلسلتها بمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا ان لا خالق الا الله ولا مبدع سواه فان قلت قد قضيت على كل واحد من القائلين
بالجبر والاختراع والكسب بانه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال فاعلم
ان جماعة من العميان سمعوا انه قد حمل الى البلد حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته
باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على اذنه فقالوا قد عرفناه فلما
انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت اجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر الا انه الين منها وقال الذي لمس
الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه واملس لا خشونة فيه وليس في غلظ الاسطوانة اصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الاذن لعمري هو لين و
خشونة فصدق احدهما فيه ولكن قال ما هو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وانما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه اذ اخبر كل
واحد عما اصابه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه صورة الفيل واستبصر بهذا المثال واعتبر
فانه مثال اكثر ما اختلف الناس فيه واذا كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرك امواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو بيان
ان التوبة واجبة بجميع اجزائها الثلثة العلم والندم والترك فان الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جملة افعال الله تعالى المحصورة بين علم العبد
وارادته وقدرته المتخللة بينها وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله

بيان وجوب التوبة على الفور اما وجوبها على الفور فلا يستراب
فيه اذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان وهو واجب على الفور والمتفصي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل فان هذه المعرفة
ليست من علوم المكاشفات التي لا تتعلق بعمل بل هي من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر باعثا على العمل فالعلم
بضرر الذنوب انما اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو
مؤمن وما اراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكاشفات كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي وانما اراد
به نفي الايمان لكون الزنا مبعدا عن الله وموجبا للمقت كما اذا قال الطبيب هذا سم فلا تتناوله فاذا تناوله يقال تناوله وهو غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن

بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله اصلا فالعاصي بالضرورة ناقص
الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومثاله
قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون مقصوص
الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة من الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها واظلافها وهذا
مثال مطابق فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان
مقطوع الاطراف مفقوء العينين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان يموت فتزايله الروح الضعيفة
المنفردة التي تخلفت عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان تقتلع شجرة ايمانه اذا صدمتها
الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم تنتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال
عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقي بالطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع
اني مؤمن كما انك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر انا شجرة وانت شجرة وما احسن جواب شجرة الصنوبر اذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم
اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقلع اصولك وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار شعر
وسوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار فهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما انقطع نياط العارفين خوفا من دواهي الموت ومقدماته الهائلة
التي لا يثبت عليها الا الاقلون فالعاصي للايمان كالمأكولات المضرة بالابدان فلا تزال تجتمع في الباطن حتى تغير مزاج الاخلاط وهو لا يشعر بها الى ان
يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك العاصي فان كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات في كل
حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ذلك واذا كان متناول السم اذا ندم يجب عليه ان يتقيأ ويرجع عنه بابطاله واخراجه
عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه الا هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي الذنوب اولى
بان يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة وهي العمر فان المخوف من هذا السم فوت الآخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك
العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذي يتضاعف اضعاف ابعاد الدنيا دون عشر عشير مدته اذ ليس لمدته آخر البتة فالبدار البدار الى التوبة
قبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز الامر فيه اختيار الاطباء ولا ينفع بعده الاحتماء ولا ينجع بعده نصح الناصحين ووعظ الواعظين
وتحق الكلمة عليه بانه من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون الى قوله انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
فلا يغرنك لفظ الايمان فتقول المراد بالآية الكافر اذ بين لك ان الايمان بضع وسبعون بابا وان الزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن فالمحجوب عن الايمان الذي
هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن الايمان الذي هو اصل كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف التي هي فروع سيساق الى الموت المعدوم للروح التي هي
اصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الاصل ولا فرق بين الاصل والفرع الا في شيء واحد وهو ان وجود الفرع وبقاءه يستدعي وجود
الاصل واما وجود الاصل فلا يستدعي وجود الفرع ولكن بقاؤه يستدعي وجود الفرع فبقاء الاصل بالفرع ووجود الفرع بالاصل فعلوم المكاشفة وعلوم
المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والاصل فلا يستغني احدهما عن الآخر وان كان احدهما في رتبة الاصل والآخر في رتبة التابع وعلوم المعاملة اذا لم تكن باعثة
على العمل فعدمها خير من وجودها فانها اذا لم تعمل عملها الذي تراد له قامت مؤيدة للحجة على صاحبها ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل
الفاجر كما اوردنا من الاخبار في كتاب العلم

بيان ان وجوب التوبة عام في الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل
على هذا اذ قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا فعمم الخطاب ونور البصيرة ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب الى الشيطان
ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان الى اغواء الانسان
اذ كمال العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشياطين والعقول
جنود الملائكة فاذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للآخر فانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة
فمهما غلب احدهما ازعج الآخر بالضرورة واذا كانت الشهوة تكمل في الصبي والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب
به انس والف لا محالة لمقتضيات الشهوة بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه من ايدي

فالعاصي ناقص الايمان

ص

منها

الكلمة

ن

ن

فالعاصي اذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب عصيانه كالصحيح
المنهمك في الشهوات المضرة اذا كان لا يخاف الموت
بسبب صحته ان الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض خاف الموت
وكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم اذا ختم له بالسوء
وجب الخلود في النار فالعاصي

اعدائه شيا شيا على التدريج فان لم يتوب فلم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وانجز اللعين موعوده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان كمل
العقل وقوي كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر الى العبادات ولا معنى للتوبة الا
هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس في الوجود آدمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي
هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة فكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان نبيا كان او
غبيا فلا تظنن ان هذه الضرورة اختصت بآدم فلا تحسبن هذا الا الغدر وخرجها سجية نفس كل غبي بنية هذا بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس الانس
لا يمكن فرض خلافه ما لم تبدل السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها فاذا كل من بلغ جاهلا كافرا فعليه التوبة من كفره وجهله فان بلغ مسلما تبعا لابويه
غافلا عن حقيقة اسلامه فعليه التوبة عن غفلته بتفهم معنى الاسلام فانه لا يغني عنه اسلام ابويه شيا ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن
عادته والفه للاسترسال فانه لا يغني عنه اسلام ابويه ورا الشهوات من غير صارف بالرجوع الى قالب حدود الله في المنع والاطلاق والانفكاك والاسترسال
وهو من اشق ابواب التوبة وفيه هلك الاكثرون اذا عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل ان التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور ان يستغني عنها احد
من البشر كما لم يستغن عنها آدم فخلقة الولد لا تتسع لما لم يتسع له خلقة الوالد اصلا واما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو
عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه الانبيا كما ورد في القرآن والاخبار من خطايا الانبيا وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فان خلا في بعض الاحوال عن معصية
الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن
غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع
ولا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم
والليلة سبعين مرة فاستغفر الله الحديث ولذلك اكرمه الله تعالى بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فاذا كان هذا حاله فكيف حال غيره فان
قلت لا يخفى ان ما يطرا على القلب من الهم والخواطر نقص وان الكمال في الخلو عنه وان القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وانه كلما ازدادت
المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من اسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا فرائض وقد اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال
والتوبة عن هذه الامور ليست بواجبة اذ ادراك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال فاعلم انه قد سبق ان الانسان لا يخلو
في مبدا خلقته عن اتباع الشهوات اصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما
يرتفع من نفس الانسان ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرآة عند تراكمه خبثا كما قال تعالى
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده
وصار لا يقبل التصقيل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الآثار التي انطبعت في
القلب كما لا يكفي في ظهور الصور في المرآة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الآثار وكما يرتفع الى
القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات وترك الشهوات فيمحى ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله عليه السلام اتبع السيئة
الحسنة تمحها فاذا لا يستغني العبد في حال من احواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات هذا في قلب حصل
اولا صفاؤه وجلاؤه ثم اظلم باسباب عارضة فاما التصقيل الاول ففيه يطول الشغل اذ ليس شغل الصيقل في ازالة الصدا عن المرآة كشغله في عمل
اصل المرآة فهذه اشغال طويلة لا تنقطع اصلا وكل ذلك يرجع الى التوبة فاما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال فاعلم ان الواجب
له معنيان احدهما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل كافة الخلق به لم يخرب العالم ولو كلف الناس كلهم ان
يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يودي ذلك الى بطلان التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ احد للتقوى
بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات ليست واجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني
هو الذي لا بد منه للوصول الى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول اليه كما يقال الطهارة
واجبة في صلاة التطوع اي لمن يريدها فانه لا يتوصل اليها الا بها فاما من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة لاجلها و
كما يقال العين والاذن واليد والرجل شرط في وجود الانسان يعني انه شرط لمن يريد ان يكون انسانا كاملا ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى درجات
العلى في الدنيا فاما من قنع باصل الحياة ورضي بان يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ولا يد ولا رجل فاصل
الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا يوصل الا الى اصل النجاة واصل النجاة كاصل الحياة وما وراء اصل النجاة من السعادات التي بها تنتهي الحياة
يجري مجرى الاعضاء والآلات التي بها تتهيا الحياة وفيه سعي الانبيا والاوليا والعلما والامثل فالامثل وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم
ولاجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى الى ان توسد حجرا في منامه فجا اليه الشيطان فقال اما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال
نعم وما الذي حدث فقال توسدك لهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لا تضع راسك على الارض فرمى عيسى بالحجر ووضع راسه على الارض وكان رميه الحجر
توبة عن ذلك التنعم افترى ان عيسى عليه السلام لم يعرف ان وضع الراس على الارض لا يسمى واجبا في فتاوى العامة افترى ان نبينا صلى الله عليه لما
شغله الثوب الذي كان عليه علم في صلوته حتى نزعه وشغله شراك نعله الذي جدده حتى اعاد الشراك الخلق ما علم ان ذلك ليس واجبا في
شرعه الذي شرعه لكافة العباد فاذ علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل ذلك الا لانه كان مؤثرا في قلبه اثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي
قد وعد به افترى ان الصديق بعد ان شرب اللبن وعرف انه من غير وجهه ادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معه روحه ما علم من الفقه
هذا القدر وهو ان ما اكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في فتوى الفقه اخراجه فلم تاب عن اكله بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه
وهل كان ذلك الا لسر وقر في قلبه عرفه ذلك السر ان فتوى العامة حديث آخر وان خطر طريق الآخرة لا يعرفه الا الصديقون فتامل احوال
هولاء الذين هم اعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله واياك مرة واحدة ان يغرك الحياة الدنيا واياك ثم اياك الف
مرة ان يغرك بالله الغرور فهذه اسرار من استنشق مبادي روايحها علم ان لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في كل نفس من انفاسه
ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب على الفور من غير مهلة ولقد صدق ابو سليمان الداراني حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوات
ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال هذا لان العاقل اذا
ملك جوهرة نفيسة فضاعت منه بغير فايدة بكى عليها لا محالة وان ضاعت منه وكان ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منه اشد وكل ساعة
من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها فانها صالحة لان توصلك الى سعادة الابد وتنقذك من شقاوة الابد واي جوهر
انفس منها فاذا ضيعتها في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وان صرفتها الى المعصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فان كنت لا تبكي على هذه المصيبة
فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك اعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها انه صاحب مصيبة فان نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا
ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس افلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد وقع الياس عن التدارك قال بعض العارفين ان ملك الموت اذا
ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستاخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف والحزن والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج
منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من قوله عز وجل وحيل بينهم وبين
ما يشتهون واليه الاشارة بقوله تعالى من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا
اذا جا اجلها فقيل الاجل القريب الذي يطلبه معناه انه يقول العبد عند كشف الغطا للعبد يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه الى ربي واتوب واتزود
صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة فيقال فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر
بروحه وتتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت
نفسه فان كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضا بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه
على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن
بل انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو اثرها بحسنة يردفها بها قبل
ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت ياتي بغتة
ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان يتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل
المحو والثاني ان يعاجله المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك
من هلك الا بالتسويف فيكون تسويده للقلب حاضرا نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة الى ان يختطفه الاجل فياتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو الا

من اتى الله بقلب سليم فالقلب امانة الله عند عبده والعمر امانة الله عنده وكذا سائر اسباب الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخطر
قال بعض العارفين ان لله تعالى الى عبده سرين يسرهما اليه على سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له عبدي قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا
نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي
عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء او اضعتها فالقاك بالمطالبة والعذاب واليه الاشارة بقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم
وبقوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

ان التوبة اذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة اعلم انك اذا فهمت معنى القبول
لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر المستمدون من انوار القرآن علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الآخرة
في جوار الله ومستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل فكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة
ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور
الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون وكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب
المظلم لا يقبله الله تعالى لان يكون في جواره وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالماء الحار والصابون ينظفه لا محالة
فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف
فهو مقبول فانما عليك التزكية والتطهير واما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله تعالى قد افلح المؤمنون
وقوله تعالى قد افلح من زكاها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة اقوى واجلى من المشاهدة بالبصر ان القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثرا متضادا
يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للآخر لفظ النور كما يستعار للعلم وان بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما
فكأنه لم يعرف من الدين الا قشوره ولم يعلق به الا اسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره
اجهل واعني به قلبه اذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف نفسه فمن يتوهم ان التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول
والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك ان تتراكم
الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب
وذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن منه فهذا حال امتناع اصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة
الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله تعالى بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل الآيات والاخبار
والآثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب
الى غير ذلك من الآيات وقال صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة العبد الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبسط يده
بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس
بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال ايضا ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف
ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا فارا منه حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ويروى ان حبشيا
قال اني كنت اعمل الفواحش فهل لي من توبة قال صلى الله عليه وسلم نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله اكان يراني وانا اعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت
فيها نفسه ويروى ان الله لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال
الله تعالى وعزتي وجلالي لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح وقال ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار في هذا
لا تحصى واما الآثار فقد قال سعيد بن المسيب انزل قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب و
قال الفضيل قال الله تعالى بشر المذنبين بانهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين اني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال طلق بن حبيب ان حقوق
الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة الم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في ام الكتاب
ويروى ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اذنب فاوحى الله اليه وعزتي لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك لئن لم تعصمني لاعودن
فعصمه الله وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتني لم اوقعه في الذنب وقال حبيب بن ابي ثابت

تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول اما اني كنت مشفقا منه فيغفر له وروي ان رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب الم به هل
له من توبة فاعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فرأى عينيه تذرفان فقال ان للجنة ثمانية ابواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به
لا يغلق ابدا فاعمل ولا تيأس وقال عبد الرحمن بن ابي القاسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله عز وجل قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف فقال اني لارجو ان يكون المسلم احسن حالا عند الله ولقد بلغني ان العبد اذا عمل عملا من اعمال البر دخل به الجنة ولقد بلغني ان توبة المسلم كاسلام
بعد اسلام الكافر وقال عبد الله بن سلام لا احدثكم الا عن نبي مرسل او كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من
طرفة عين وقال عمر اجلسوا الى التوابين فانهم ارق افئدة وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال اذا تاب علي وقال آخر انا من ان احرم التوبة
اخوف مني من ان احرم المغفرة اي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة ويروى انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين
سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قائلا يقول
ولا يرى شخصا احببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك وقال ذو النون المصري ان لله عبادا نصبوا
اشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عي ولا بكم وانهم هم البلغاء الفصحاء
العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت افكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا
تحت رواق الندم وقرأوا صحيفة الخطايا فاورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة ترك الدنيا واستلانوا خشونة
المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت ارواحهم في العلى حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحار الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا
جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن
العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة فمقبولة لا محالة فان قلت اتقول ما قاله المعتزلة من ان قبول التوبة واجب على الله فاقول
لا اعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله الا ما يريده القائل بقوله ان الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب
الماء وجب زوال العطش وانه اذا منع الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريده المعتزلة بالايجاب على الله بل
اقول خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا للعطش والقدرة متسعة لخلافه لو سبقت به المشيئة فلا واجب على
الله ولكن ما سبقت به الارادة الازلية فواجب كونه لا محالة فان قلت فما من تائب الا وهو شاك في قبول توبته والشارب لا يشك في زوال عطشه فلم يشك
فيه فاقول شكه في القبول كشكه في وجود شرائط الصحة فان للتوبة اركانا وشروطا دقيقة كما سيأتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في
دواء شربه للاسهال في انه يسهل وذلك لشكه في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره
وادويته فهذا وامثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سيأتي في شروطها ان شاء الله تعالى الركن الثاني فيما عنه التوبة
وهي الذنوب صغائرها وكبائرها اعلم ان التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به
واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله في ترك او فعل ويستدعي تفصيل ذلك شرح التكليفات من اولها الى آخرها
وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط اقسامها

اقسام الذنوب بالاضافة الى صفات العبد اعلم ان للانسان اخلاقا
واوصافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وغوائله ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات
بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط في المعجون منه اثرا من الآثار كما اقتضى السكر
والخل والزعفران في السكنجبين آثارا مختلفة فاما ما يقتضي النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنى وحب دوام
البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كأنه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات
العظيمة التي هي كالامهات لاكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع
والامر بالفساد والمكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة الى البدع والضلال الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء
شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات الرابعة الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب
والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع منها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة فالصفة البهيمية

من التي تغلب أولا ثم يتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم إذا اجتمعت استعملت العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالأخرة تغلب
الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه أمهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب من هذه
المنابع على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق وإضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها
على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة إلى بيان تفصيل ذلك فإنه واضح قسمة ثانية اعلم أن الذنوب
تنقسم إلى ما بين العبد وبين الله وإلى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد بينه وبين الله خاصة كترك الصلوة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق
بحقوق الغير كتركه الزكوة وقتله النفس وغصبه الأموال وشتمه الأعراض وكل متناول من حق الغير فإما نفس أو طرف أو مال أو عرض أو دين
أو جاه وتناول الدين بالإغواء والدعاء إلى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج أسباب الجرأة على الله كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على
جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالأمر فيه أغلظ وما بين العبد وبين الله إذا لم يكن شركا فالعفو فيه أرجى وأقرب وقد جاء في الخبر الدواوين ثلثة ديوان
يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله وأما الذي لا يغفر فالشرك وأما الديوان الذي لا يترك
فمظالم العباد أي لا بد وأن يطالب بها حتى يعفى عنها قسمة ثالثة اعلم أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون
لا صغيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضعيف إذ قال الله تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال تعالى الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش
إلا اللمم وقال عليه السلام الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة يكفرن ما بينهن إن اجتنبت الكبائر وفي لفظ آخر كفارات لما بينهن إلا الكبائر وقد قال عليه السلام فيما رواه عبد الله
بن عمرو بن العاص الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع
إلى إحدى عشرة فما فوق ذلك فقال ابن مسعود هن أربع وقال ابن عمر هن سبع وقال عبد الله بن عمرو هن تسع وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع
يقول هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع وقال مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما أوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل
ما أوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل إنها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود لما سئل عنها اقرأ من أول سورة
النساء إلى رأس ثلثين آية منها عند قوله إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة إلى هنا فهو كبيرة وقال أبو طالب المكي الكبائر سبع
عشرة جمعتها من جملة الأخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم أربع في القلب وهو الشرك بالله والإصرار على معصيته
والقنوط من رحمته والأمن من مكره وأربع في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا أو يبطل بها حقا وقيل هي التي
يقتطع بها مال مسلم باطلا ولو سواكا من أراك وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كل ما يغير الإنسان وسائر الأجسام عن موضوعات
الخلقة وثلث في البطن وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربوا وهو يعلم واثنان في الفرج وهما الزنا واللواط واثنان في
اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من عشرين وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين
قال ومن جملة عقوقهما أن يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما وإن سألاه حاجة فلا يعطيهما وإن يسباه فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما أو يعطشا
فلا يسقيهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء إذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فإنه جعل أكل الربوا ومال اليتيم من الكبائر وهي جناية
على الأموال ولم يذكر في كبائر النفوس إلا القتل وأما فقء العين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأنواع العذاب لم يتعرض له و
ضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه لا شك في أنه أكبر من أكل ماله كيف وفي الخبر من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم
وهذا زائد على قذف المحصن وقال أبو سعيد الخدري وغيره من الصحابة إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله من الكبائر
وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا أن نظر الناظر في السرقة أهي كبيرة أم لا لا يصح ما لم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها
كقول القائل السرقة حرام أم لا إذ لا مطمع في معرفته إلا بعد تقرير معنى الحرام أولا ثم البحث عن وجوده في السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهمة ليس لها
موضوع خاص لها في اللغة ولا في الشرع وذلك لأن الكبير والصغير من المضافات وما من ذنب إلا وهو كبير بالإضافة إلى ما دونه وصغير بالإضافة إلى ما فوقه
فالمضاجعة مع الأجنبية كبيرة بالإضافة إلى النظر صغيرة بالإضافة إلى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالإضافة إلى الضرب صغيرة بالإضافة إلى قتله نعم للإنسان
أن يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ونعني بوصفها بالكبيرة أن العقوبة بالنار عظيمة وله أن يطلق على ما أوجب الحد مصيرا إلى أن ما
عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله أن يطلق على ما ورد في نص الكتاب النهي عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمه ثم يكون عظيما و

كبيرة

وكبيرة لا محالة بالإضافة إذ منصوصات القرآن أيضا تتفاوت درجاتها فهذه الإطلاقات لا حرج فيها وما نقل من ألفاظ الصحابة يتردد بين هذه
الجهات ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات نعم من المهمات أن تعلم معنى قول الله تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقول رسول
الله صلى الله عليه الصلوات الخمس كفارات لما بينهن إلا الكبائر وقول رسول الله رمضان إلى رمضان كفارات لما بينهن فإن هذا إثبات حكم للكبائر والحق في ذلك
أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلم استعظامه إياها وإلى ما يعلم أنها معدودة في الصغائر وإلى ما يشك فيه فلا يدرى حكمه فالطمع في معرفة حد
حاصر أو عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فإن ذلك لا يمكن إلا بالسماع من رسول الله بأن يقول إني أردت بالكبائر عشرا أو خمسا ويفصلها فإذا لم يرد هذا
بل ورد في بعض الألفاظ ثلث من الكبائر وفي بعضها سبع من الكبائر ثم ورد أن السبتين بالسبة الواحدة من الكبائر وهو خارج عن السبع والثلث علم أنه لم يقصد به العدد
والحصر فكيف يطمع في عدد ما لم يعده الشرع وربما قصد الشرع إبهامه ليكون العباد منه على وجل كما أبهم ليلة القدر ليعظم جد الناس في طلبها نعم
لنا سبيل كلي يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق وأما أعيانها فنعرفها بالظن والتقريب ونعرف أيضا أكبر الكبائر بالتحقيق فأما أصغر
الصغائر فلا سبيل إلى معرفته وبيانه أنا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعا أن مقصود الشرائع كلها سياق الخلق إلى جوار الله تعالى و
سعادة لقائه وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله ومعرفة صفاته وكتبه ورسله وإليه الإشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أي
ليكونوا عبيدا لي ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فلا بد أن يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الأقصى ببعثة الأنبياء
ولكن لا يتم هذا إلا في الحيوة الدنيا وهو المعنى بقوله عليه السلام الدنيا مزرعة الآخرة فصار حفظ الدنيا أيضا مقصودا تابعا للدين لأنه وسيلة إليه والمتعلق
من الدنيا بالآخرة شيئان النفوس والأموال فكل ما يسد باب معرفة الله تعالى فهو أكبر الكبائر ويليه ما يسد باب حيوة النفوس ويليه ما يسد باب
المعايش التي بها حيوة النفوس فهذه ثلث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب والحيوة على الأبدان والأموال على الأشخاص ضروري في مقصود
الشرائع كلها وهذه ثلثة أمور لا يتصور أن تختلف فيها الملل فلا يجوز أن يبعث الله نبيا يريد ببعثته إصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم
عن معرفته ومعرفة رسله أو يأمرهم بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال فحصل من هذا أن الكبائر على ثلث مراتب الأولى ما يمنع من معرفة الله ومعرفة
رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر إذ الحجاب بين العبد وبين الله هو الجهل والوسيلة المقربة له إليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر
جهله ويتلو الجهل الذي يسمى كفرا الأمن من مكر الله والقنوط من رحمته فإن هذا أيضا عين الجهل فمن عرف الله لم يتصور أن يكون آمنا ولا أن يكون آيسا ويتلو
هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله وبعضها أشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله وأفعاله
وشرائعه وأوامره ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر وهي تنقسم إلى ما يعلم أنها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن وإلى ما يعلم أنه لا يدخل وإلى ما يشك فيه
وطلب رفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع الرتبة الثانية النفوس إذ ببقائها وحفظها تدوم الحيوة وتحصل المعرفة بالله فقتل النفس
لا محالة من الكبائر وإن كان دون الكفر لأن ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود إذ الحيوة الدنيا لا تراد إلا للآخرة والتوصل بها إلى
معرفة الله تعالى ويتلو هذه الكبيرة قطع الأطراف وكل ما يفضي إلى الهلاك حتى الضرب وبعضها أكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لأنه لو اجتمع
الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الوجود قريب من قطع الوجود وأما الزنا فإنه لا يفوت أصل الوجود ولكن يشوش الأنساب
ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الأمور التي لا ينتظم العيش إلا بها بل كيف يتم النظام مع إباحة الزنا ولا ينتظم أمور البهائم ما لم يتميز الفحل منها
بإناث يختص بها عن سائر الفحول ولذلك لا يتصور أن يكون الزنا مباحا في أصل شرع قصد به الإصلاح وينبغي أن يكون الزنا في الرتبة دون القتل لأنه ليس
يفوت دوام الوجود ولا يمنع أصله ولكن يفوت تمييز الأنساب ويحرك من الأسباب ما يكاد يفضي إلى التقاتل بل ينبغي أن يكون أشد من اللواط لأن الشهوة
داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم أثر الضرر بكثرته الرتبة الثالثة الأموال فإنها معايش الخلق ولا يجوز تسلط الناس على تناولها
كيف شاءوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما بل ينبغي أن تحفظ لتبقى ببقائها النفوس إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها وإن أكلت أمكن
تغريمها فليس يعظم الأمر فيها نعم إذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك له فينبغي أن يكون ذلك من الكبائر وذلك بأربع طرق أحدها الخفية وهي السرقة فإنه إذا
لم يطلع عليه غالبا كيف يتدارك والثاني أكل مال اليتيم وهذا أيضا من الخفية وأعني به في حق الولي والقيم فإنه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير
لا يعرفه فتعظيم الأمر فيه واجب بخلاف الغصب فإنه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة في الوديعة فإن المودع خصم فيه ينتصف لنفسه الثالث تفويتها بشهادة
الزور الرابع أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فإن هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز أن تختلف الشرائع في تحريمها أصلا وبعضها أشد من بعض

وكلها دون القتل لانه المتعلقة بالنفوس وهذه لا يبعد جزئيات ان تكون من الكبائر وان لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن كثر الوعيد
عليها وعظم في مصالح الدنيا تاثيرها واما اكل الربا فليس فيه الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد ان يختلف الشرائع
في مثله واذا لم يجعل الغصب الذي هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فاكل الربا اكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع وان عظم
الشرع الربا بالزجر عنه فقد عظم ايضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير الى ان اكل دانق بالغصب او الخيانة من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في
مظنة الشك واكثر ميل الظن الى انه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي ان يختص الكبائر بما لا يجوز اختلاف الشرائع فيه ليكون ضروريا في الدين فبقي مما ذكره ابو طالب
المكي القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين اما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بان يكون من الكبائر وقد دل عليه تشديدات الشرع و
طريق النظر ايضا لان العقل محفوظ كما ان النفس محفوظة بل لا خير في النفس دون العقل فازالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر فلا شك
في انه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وايجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم امره فيعد ذلك
من الكبائر بالشرع وليس في قوة البشرية الوقوف على جميع اسرار الشرع فان ثبت اجماع في انه كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف فيه مجال واما القذف
فليس فيه الا تناول الاعراض والاعراض دون الاموال في الرتبة ولتناولها مراتب فاعظمها التناول بالقذف بالاضافة الى الفاحشة الزنا وقد عظم الشرع امره واظن
ظنا غالبا ان الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب الحد به كبيرة فهذا بهذا الاعتبار لا يكفره الصلوات الخمس وهو الذي نريده بالكبيرة الآن ولكن من حيث انه يجوز
ان يختلف الشرائع فيه فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمه بل كان يجوز ان يرد الشرع بان العدل الواحد اذا راى انسانا يزني فله ان يشهد ويجلد
المشهود عليه بمجرد شهادته فان لم يقبل شهادته فيحد فليس ضروريا في مصالح الدنيا وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات
فاذا الحق هذا بالكبائر موقوف على حكم الشرع واما من ظن ان له ان يشهد وحده او ظن انه يساعده على الشهادة غيره فلا ينبغي ان يجعل في حقه
من الكبائر واما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس او مرض او غيره واما الفرار من الزحف وعقوق
الوالدين فهذا ايضا ينبغي ان يكون من حيث القياس في محل التوقف واذا قطع بان سب الناس بكل شيء سوى الزنا والضرب والظلم عليهم بغصب اموالهم
واخراجهم من مساكنهم وبلادهم واجلائهم من اوطانهم ليس من الكبائر اذ لم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو اكثر ما قيل فيه فالتوقف في هذا ايضا غير
بعيد ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة فليلحق بالكبائر فاذا رجع حاصل الامر الى انا نعني بالكبيرة ما لا تكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى
ما علم انه لا تكفره قطعا والى ما ينبغي ان تكفره والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والاثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا نص كتاب
او سنة واذ لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال فان قلت فهذا اقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده
فاعلم ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز ان يتطرق اليه الابهام لان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من
حيث انها كبيرة بل موجبات الحدود معلومة باسمائها كالسرقة والزنا وغيرهما وانما حكم الكبيرة ان الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا امر يتعلق بالآخرة
والابهام اليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤن على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله ان
تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة مثل من يتمكن من امراة ومن مواقعتها فيكف
نفسه عن الوقاع فيقتصر على نظر او لمس فان مجاهدة نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان
كان عنينا او لم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف امر آخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له
لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها
في السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع فكل هذه احكام اخروية ويجوز ان يبقى بعضها في محل الشك و
يكون من المتشابهات فلا يعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بالفاظ مختلفة فقد روى ابو هريرة انه قال الصلاة
الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل وما ترك السنة قال الخروج من الجماعة و
نكث الصفقة ان يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله فهذا وامثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما
فان قلت الشهادة لا تقبل الا ممن اجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس بشرط في قبول الشهادة وهذا من احكام الدنيا فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة
بالكبائر فلا خلاف في ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب من اواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه

من الكبائر وقال الشافعي اذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم ارد شهادته فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل على ان الشهادة
نفيا واثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تقدح في العدالة الا ما لا يخلو الانسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس
وسوء الظن والكذب في بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا
على حد المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه ذنوب لا يتصور
ان ينفك الشاهد عن قليلها او كثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامور الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم
يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة الشرب في وقت الشرب
والخلوة بالاجنبيات وامثال هذه الصغائر من هذا القبيل والى مثل هذا المنهاج ينبغي ان ينظر في قبول الشهادة وردها الى الكبيرة والصغيرة ثم آحاد
هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها لاثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة
تكبر بالمواظبة عليها كما ان المباح يصير صغيرة بالمواظبة عليه كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء وغيرهما على الدوام فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت
واعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك صفاتك واحوالك يسمى الداني القريب منها دنيا والمتاخر آخرة ونحن
الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن في الدنيا وهي عالم الملك ونتكلم في شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم
الملك والشهادة الا بضرب الامثال ولذلك قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا لان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير فكذلك ما يكون في يقظة
الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا في كسوة الامثال واعني بكسوة الامثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلاثة امثال فقد جاء رجل الى ابن سيرين
فقال رايت كان في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الفجر قال صدقت وجاء آخر فقال
رايت كاني اصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو يرد الى الاصل
فنظر فاذا جاريته كانت امه وقد سبيت في صغره وقال آخر رايت كاني اقلد الدر في اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها فكان كما قال والتعبير
من اوله الى آخره امثال تعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعني بالمثل اداء المعنى في صورة ان نظر الى معناه وجده صادقا وان نظر الى صورته وجده كاذبا
فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ قد صدر منه روح الختم ومعناه
وهو المنع الذي يراد الختم له وليس للانبياء ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم انهم في النوم
والنائم لا يكشف له عن شيء الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك قال عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهو من المثال الذي لا يعقله الا
العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز حد ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذي يسمى تاويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الامثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا و
اصبعا تعالى عن قوله ولذلك من قوله ان الله خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثله تعالى عن قوله علوا كبيرا
ومن ههنا زل من زل في صفات الالهية حتى في الكلام وجعلوه حرفا وصوتا الى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد يرد في امر الآخرة ضروب
امثلة يكذب بها الملحدون بجمود نظرهم على ظاهر المثال وتناقضه عندهم كقوله يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيذبح فيثور الملحد الاحمق
ويكذب ويستدل به على كذب الانبياء ويقول يا سبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال ولكن الله تعالى عزل هؤلاء
الحمقى عن معرفة اسرار الله تعالى فقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين ان من قال رايت في منامي انه جيء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البلد
وذبح فقال المعبر صدقت والامر كما رايت وهذا يدل على ان الوباء ينقطع ولا يعود الى هذا البلد قط لان المذبوح وقع الياس منه فاذا المعبر صادق
في تعبيره وهو صادق في رؤيته وترجع حقيقته الى ان الملك الموكل بالرؤيا وهو الذي يطلع الارواح عند النوم على ما في اللوح المحفوظ عرفه ما في اللوح
المحفوظ بمثال ضربه لان النائم انما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل ايضا انما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالاضافة الى الآخرة
نوم فيوصلون المعاني الى الافهام بالامثلة حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك ما يعجزون عن ادراكه دون ضرب المثل فقوله يؤتى بالموت
في صورة كبش املح مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول الياس عن الموت وقد جبلت القلوب على التاثر بالامثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها ولذلك عبر القرآن

بل ولكن يكون عن نهاية القدرة وهو صلى الله عليه وسلم تعوذ منه بقوله يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فان القلب بين اصبعين من اصابع الرحمن عز سره فقد اشرنا الى حكم ذلك في كتاب قواعد
العقايد من ربع العادات فلنرجع الان الى الغرض فالمقصود ان تعرف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيات ولا يمكن الا بضرب الامثال
فلنضرب من المثل الذي تصوير معناه الصورة فنقول الناس في الاخرة ينقسمون اصنافا وتتفاوت درجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر
كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الاخرة الدنيا في هذا المعنى اصلا والبتة فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته
الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لا تبديل لها الا انا ان عجزنا عن احصاء احاد الدرجات فلا نعجز عن احصا الاجناس فنقول الناس في الاخرة ينقسمون
بالضرورة الى اربعة اقسام هالكين ومعذبين وناجين وفائزين ومثاله في الدنيا ان يستولي ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم
مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويخلي بعضهم فهم الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفائزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الا باستحقاق فلا
يقتل الا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له في اصل الدولة ولا يعذب الا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخلي الا معترفا له برتبة
الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا على من ابلى عذره في النصرة والخدمة ثم ينبغي ان تكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجات
خدمتهم واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة او تنكيلا بالمثلة بحسب درجات معاندتهم وتعذيب المعذبين في الشدة والخفة وطول المدة وقصرها واتحاد
انواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب الى درجات لا تنحصر فكذلك فافهم ان الناس في الاخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك
ومن معذب مدة ومن ناج يحل في دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون الى من يحلون في جنات عدن او جنات المأوى او جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون
الى من يعذب قليلا والى من يعذب الف سنة الى سبعة الاف سنة وذلك اخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر وكذا الهالكون الايسون من رحمة الله تتفاوت دركاتهم
وهذه الدرجات والدركات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها اما الرتبة الاولى وهي الهلاك ونعني بالهالكين الايسين من رحمة
الله تعالى اذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه ايس من رضى الملك واكرامه فلا تغفل عن معاني المثال وهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين
للدنيا المكذبين بالله وبرسله وكتبه فان السعادة الاخروية في القرب من الله تعالى والنظر الى وجهه وذلك لا ينال اصلا الا بالمعرفة التي يعبر عنها بالايمان والتصديق
والجاحدون هم المنكرون والمكذبون هم الايسون من رحمة الله ابد الاباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وبانبيائه المرسلين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
لا محالة وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقا في نار جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا
للحور العين انما مطلبنا اللقا ومهربنا من الحجاب فقط وقالوا من يعبد الله لعوض فهو لئيم اذ يعبده لطلب جنته او لخوف ناره بل العارف يعبده لذاته فلا
يطلب الا ذاته فقط واما الحور والفواكه فقد لا يشتهيها واما النار فلا يتقيها اذ نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ونار جهنم لا شغل
لها الا مع الاجسام والم الاجسام يستحقر مع الم الفؤاد ولذلك قيل وفي فؤاد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها فلا ينبغي ان ينكر هذا في عالم الاخرة
اذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا فقد روي من غلب عليه الغضب في القتال او الوجد فعدا على النار وعلى اصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة
ما في قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لان الغضب نار في القلب قال رسول الله الغضب قطعة من
النار واحتراق الفؤاد اشد من احتراق الاجساد والاشد يبطل الاحساس بالاضعف كما تراه فليس الهلاك من النار والسيف الا من حيث انه يفرق بين
جزئين يرتبط احدهما بالاخر برابطة التاليف الممكن في الاجسام فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه المرتبط به برابطة تاليف اشد احكاما من تاليف الاجسام
فهو اشد ايلاما ان كنت من ارباب البصاير ومن ارباب القلوب ولا يبعد ان لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الالم ويستحقره بالاضافة الى الم الجسم فالصبي لو
خير بين الم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين الم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بالم الحرمان عن رتبة السلطان اصلا ولم يعده الما وقال
العدو في الميدان مع الصولجان احب الي من سرير الف سلطان مع الجلوس عليه بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلوا وبين فعل جميل يقهر
به الاعدا ويفرح به الاصدقا لاثر الهريسة والحلوا وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام
لذيذا وذلك لمن استرقته صفات البهايم والسباع ولم تظهر فيه الصفات الملكية التي لا يناسبها ولا يلذها الا القرب من رب العالمين ولا يولمها الا البعد
والحجاب وكما لا يكون الذوق الا في اللسان والسمع الا في الاذان فلا تكون هذه الصفة الا في القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا سمع له ولا بصر
ليس له لذة الالحان وحسن الصور والالوان وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقران مفلسا
من القلب ولست اعني بالقلب هذا اللحم الذي تكتنفه عظام الصدر بل اعني به السر الذي هو من عالم الامر وهذا اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه

وسائر الاعضاء



وسائر الاعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والامر جميعا ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى قل الروح من امر ربي هو الملك والامير لان بين عالم الامر
وبين عالم الخلق ترتيبا وعالم الامر امير على عالم الخلق وهي اللطيفة التي اذا صلحت صلح لها ساير الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف
ربه وعند ذلك يشم العبد مبادي روايح المعنى المطوي تحت قوله ان الله تعالى خلق ادم على صورته وتنظر بعين الرحمة الى الجامدين على ظاهر لفظه
والى المتعسفين في طرق تاويله وان كانت رحمته على الجامد على اللفظ اكثر من رحمته على المتعسف في التاويل فان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة
اولئك اكثر وان اشتركوا في مصيبة الحرمان عن حقيقة الامر وحقيقته فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكمة يختص بها من يريد ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولنعد الى الغرض فقد ارخينا الطول وطولنا النفس في امر هو اعلى من علوم المعاملة التي نقصدها في هذا الكتاب فقد ظهر
ان رتبة الهلاك ليست الا للجهال المكذبين وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله لا تدخل تحت الحصر ولذلك لم نورده الرتبة الثانية رتبة المعذبين
وهذه رتبة من تحلى باصل الايمان ولكن قصر في الوفا بمقتضاه فان راس الايمان هو التوحيد وهو ان لا يعبد الا الله تعالى ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه
هواه فهو موحد بلسانه لا بحقيقته بل معنى قولك لا اله الا الله معنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهو ان تذر بالكلية غير الله ومعنى قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه ادق من الشعر واحد من السيف مثل الصراط الموصوف في الاخرة
فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في امر يسير ولا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم
فذلك يقتضي لا محالة نقصانا في درجة القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك الكمال الفايت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القران فيكون
كل مائل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب امرين احدهما قوة الايمان
وضعفه والثاني كثرة اتباع الهوى وقلته واذ لا يخلو بشر في غالب الامر عن واحد من الامرين قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك
حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ولذلك قال الخائفون من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار واردون وشككنا في
النجاة ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال الحسن ليتني كنت ذلك الرجل واعلم ان في
الاخبار ما يدل على ان اخر من يخرج من النار بعد سبعة الاف سنة وان الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة الاف سنة حتى يجوز
بعضهم على النار كالبرق الخاطف ولا يكون له فيها لبث وبين اللحظة وبين سبعة الاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وساير
المدد وان الاختلاف بالشدة لا نهاية لاعلاه وادناه التعذيب بالمناقشة في الحساب كما ان الملك قد يعذب بعض المقصرين في الاعمال
بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع اخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة
وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب باخذ المال وقتل الولد واستباحة الحرم وتعذيب الاقارب وقطع اللسان
واليد والاذن والانف وغيرها فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الاخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الايمان وضعفه
وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيات وقلتها اما شدة العذاب فبشدة قبح السيات وكبرها واما كثرته فبكثرتها واما اختلاف انواعه
فباختلاف انواع السيات وقد انكشف هذا لارباب القلوب مع شواهد القران بنور الايمان وهو المعنى بقوله وما ربك بظلام للعبيد وبقوله تعالى
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وبقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وبقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك
مما ورد في الكتاب والسنة من كون الثواب والعقاب جزا على الاعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب الرحمة والعفو ارجح اذ قال تعالى فيما
حكى عنه نبيه عليه السلام سبقت رحمتي غضبي وقال وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فهذه الامور الكلية من ارتباط الدرجات
والدركات بالحسنات والسيات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فاما التفصيل فلا يعرف الا ظنا ومستنده ظواهر الاخبار ونوع حدس
يستمد من انوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكباير واحسن جميع الفرايض اعني الاركان الخمس
ولم يكن منه الا صغاير متفرقة لم يصر عليها فيشبه ان يكون عذابه بالمناقشة في الحساب فقط فانه اذا حوسب رجحت حسناته على سياته اذ ورد
في الاخبار ان الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن وكذلك اجتناب الكباير بحكم نص القران مكفر للصغاير واقل درجات
التكفير ان يدفع العذاب ان لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه فينبغي ان يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ
من الحساب في عيشة راضية نعم التحاقه باصحاب اليمين او بالمقربين ونزوله في جنات عدن او في الفردوس الاعلى فذلك يتبع اصناف الايمان

لان الايمان ايمانان ايمان تقليدي كايمان العوام يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه وايمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف
فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح ان الكل الى الله مرجعه ومصيره اذ ليس في الوجود الا الله وصفاته وافعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون في
الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب من الملا الاعلى وهم ايضا على اصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله ودرجات
العارفين في المعرفة لا تنحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكن وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وانما يغوص فيه الغواصون بقدر قواهم وبقدر ما سبق لهم في
الازل فالطريق الى الله لا نهاية لمنازله والسالكون لسبيل الله لا نهاية لدرجاتهم واما المؤمن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين
وهم ايضا على درجات فالاعلى من درجات اصحاب اليمين تقارب رتبته الادنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر وادى الفرائض كلها
اعني الاركان الخمسة التي هي النطق بكلمتي الشهادة باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج فاما من ارتكب كبيرة او كبائر او اهمل بعض اركان الاسلام
فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الاجل التحق بمن لم يرتكب لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ اصلا وان
مات قبل التوبة فهذا امر مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة لا سيما اذا كان ايمانه تقليديا
فان التقليد وان كان جزما فهو قابل للانحلال بادنى شك وخيال والعارف البصير ابعد عن ان يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان
يعذبان الا ان يعفو الله عنهما فيزيد عذابهما على عذاب المناقشة في الحساب ويكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الاصرار ومن حيث الشدة
بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف اصناف السيئات وعند انقضاء مدة العقاب ينزل البله المقلدون في درجات اصحاب
اليمين والعارفون المستبصرون في اعلى عليين ففي الخبر اخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشر اضعاف ولا تظنن ان المراد به تقدير
بالمساحة لاطراف الاجسام بان يقابل فرسخ بفرسخين او بعشرة فان هذا جهل بطريق ضرب الامثال بل هذا كقول القائل اخذ منه جملا
واعطاه عشرة امثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنانير واعطاه مائة دينار فان لم يفهم من المثل الا المثل في الوزن والثقل فلا يكون
مائة دينار مثل الجمل لان مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة الاخرى لم تكن عشر عشيره بل هي موازنة معاني الاجسام وارواحها
دون اشخاصها وهياكلها فان الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لمعناه فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة امثاله
بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والابل بل لو اعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها
مائة دينار وقال اعطيته عشرة امثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهري فان روح الجوهر لا يدرك بمجرد البصر بل بفطنة اخرى وراء
البصر ولذلك يكذب به الصبي بل القروي والبدوي ويقول ما هذه الجوهرة الا حجر وزنها مثقال ووزن الجمل الف مثقال فقد كذب في
قوله اني اعطيته عشرة امثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده الا ان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل في قلبه
النور الذي يدرك ارواح الجواهر وسائر الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله
في هذه الموازنة اذ قال الجنة في السموات كما ورد في الاخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة امثال الدنيا في الدنيا وهو اعجز البالغ
عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك تفهيم البدوي وكما ان الجوهري مرحوم اذا ابتلي بالقروي والبدوي في تفهيم الموازنة فالعارف مرحوم اذا ابتلي
بالابله البليد في تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال عليه السلام ارحموا ثلاثة عالما بين جهال وغني قوم افتقر وعزيز قوم ذل والانبياء مرحومون بين الامة بهذا السبب
ومقاساتهم لقصور عقول الامة عنهم والعياذ بالله وكذلك امر الله تعالى وهو بلاء موكل بهم من سبق بتوكيله القضا الازلي وهو المعني بقوله عليه السلام البلاء موكل بالانبيا
ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فلا تظنن ان البلاء الذي يصل الى الانبياء نوح وابراهيم والبلاء العظيم الذي يتجاوز الحد بهم
الله الاعرار ولذلك لما اوذي رسول الله بالكلام بعض الناس قال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر فاذا لا يخلو الانبيا عن الابتلا بالجاحدين
وكذلك لا يخلو الاوليا والعلما عن الابتلا بالجاهلين ولذلك قلما ينفك الاولياء عن ضروب من الايذا وانواع البلاء بالاخراج من البلاد والسعاية بهم الى
السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب ان يكون اهل المعرفة عند اهل الجهل من الكافرين كما يجب ان يكون المعاوض عن الجمل الكبير
جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين فاذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله انه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات واياك ان
تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك في الحواس الخمس واياك ان تصدق بحماريتك التي تعرض على
السموات والارض فابين ان يحملنها واشفقن منها فادراك ما يخرج عن عالم الحواس واياك ان تصدق بحماريتك الامانة التي عرضت وذلك السر الذي فارقت به

الجاحد وسائر البهائم من حيث عزل ذلك وعطله واهمله وقنع بدرجة البهائم ولا يجاوز المحسوسات فهو الذي اهلك نفسه بتعطيلها وتضييعها بما لا عراض
عنها ولا يكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم فكل من لم يعرف الا المدرك بالحواس الخمس فقد نسي الله اذ ليس الله مدركا في هذا العالم بالحواس
وكل من نسي الله انساه الله لا محالة نفسه ونزل الى رتبة البهائم وترك الترقي الى افق الملأ الاعلى وخان في الامانة التي اودعها الله تعالى وانعم بها عليه
كافر لنعمته ومتعرض لنقمته الا انه اسوأ حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت واما هذا فعنده امانة سترجع لا محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة
ومصيرها وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت الى هذا العالم الفاني وغربت فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب العالم من مغربها وتعود الى
بارئها اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن الحضرة الربوبية والمظلمة ايضا راجعة الى الحضرة اذ المرجع والمصير
للكل اليه الا انها ناكسة رأسها عن جهة اعلى عليين الى جهة اسفل السافلين ولذلك قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم فبين انهم
عند ربهم الا انهم منكوسون منحوسون قد انقلبت وجوههم الى اقفيتهم وانتكست رؤسهم عن جهة فوق الى جهة سفل وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه
فنعوذ بالله من الضلال والنزول في منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة امثال الدنيا او اكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست اعني
بالتوحيد ان يقول بلسانه لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وايدي الغزاة عن ماله ومدة بقا
الرقبة والمال مدة الحياة فحيث لا تبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان وانما ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد ان لا يرى الامور كلها الا من الله
وعلامته ان لا يغضب على احد من خلقه بما يجري عليه اذ لا يرى الوسائط وانما يرى مسبب الاسباب كما سياتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس
من له من التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له مثقال خردلة او ذرة فمن في قلبه مثقال دينار فهو اول من يخرج من النار وفي الخبر اخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار
من ايمان واخر من يخرج من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال والذرة على تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بمثقال
الذرة على سبيل ضرب المثال كما ذكرنا من الموازنة بين اعيان الاموال والنقود واكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك
فاما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير اليها ففي الاثر ان العبد ليوقف بين يدي الله وله من الحسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة فيقوم اصحاب
المظالم فيكون قد سب عرض هذا واخذ مال هذا وضرب هذا فيقتص من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقال
القوا من سيآتهم على سيآته وصكوا له صكا الى النار وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم اذ ينقل اليه عوضا عما ظلمه
به وقد حكي عن ابن الجلا ان بعض اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه يستحله فقال لا افعل فليس في صحيفتي حسنة افضل منها فكيف امحوها وقال هو
او غيره ذنوب اخواني من حسناتي اريد ان ازين بها صحيفتي فهذا ما اردنا ان نذكره من اختلاف العباد في المعاد في درجات السعادة والشقاوة وكل
ذلك حكم بظاهر الاسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض بانه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض اخر بانه عارض خفيف لا يحتاج الى علاج فذلك
ظن يصيب في اكثر الاحوال ولكن قد تثوب الى المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق الى ذي العارض الخفيف اجله من حيث لا يطلع
عليه وذلك لاسرار الله تعالى الخفية في ارواح الاحيا وغموض الذي يثير الاسباب بقدر معلوم اذ ليس في قوة البشر الاطلاع على كنهها
فكذلك النجاة والفوز في الاخرة لها اسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ونعبر عن ذلك السبب الخفي المفضي الى النجاة بالعفو والرضى وعن
المفضي الى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشية الازلية التي لا يطلع الخلق عليها فلذلك يجب علينا ان نجوز العفو عن العاصي وان كثرت
سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وان كثرت طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب وهو اغمض من ان يطلع عليه صاحبه
فكيف غيره ولكن قد انكشف لارباب القلوب انه لا عفو عن عبد الا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا غضب الا بسبب باطن يقتضي البعد عن الله تعالى ولولا
ذلك لم يكن العقوبة والعفو جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد ولا قوله
ان الله لا يظلم الناس شيئا وكل ذلك صحيح فليس للانسان الا ما سعى وسعيه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وما غيروا
ما بانفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهذا كله قد انكشف لارباب القلوب انكشافا اوضح من المشاهدة
بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيه اذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها وانما الشان في انفتاح بصيرة القلب والا
فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب والى ذلك الاشارة بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى الرتبة الثالثة رتبة الناجين واعني بالنجاة السلامة
فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه ان يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين و

الذين لم تبلغهم الدعوة في أطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم تكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من أهل الجنة ولا من أهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبّر الشرع عنه بالأعراف وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الآيات والأخبار ومن أنوار الاعتبار فأما الحكم على التعيين كالحكم بأن الصبيان منهم فهو من الظنون وليس من اليقين والاطلاع على الغيب يقتبس من عالم النبوة ويبعد أن يرتقي إليه رتبة الأولياء والعلماء والأخبار في حق الصبيان أيضا متعارضة حتى قالت عائشة لما مات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فأنكر رسول الله ذلك وقال وما يدريك فالإشكال والاشتباه على هذا المقام الرتبة الرابعة الفائزون وهم العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون فإن المقلد وإن كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من أصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم هو الذي أجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقوله عليه السلام قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم فأما الحور والقصور والفواكه واللبن والعسل والخمر والحلي والأساور فإنهم لا يحرصون عليها ولو أعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون إلا لذة النظر إلى وجه الله الكريم فهي غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى عن أنفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه فإنه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بأنه فني عن نفسه ومعناه أنه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت إليه لا نفسه ولا غير نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قرة أعين لا يتصور أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور أن تخطر صورة الألوان والألحان على قلب الأكمه والأصم إلا إذا رفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعا أنه لم يتصور أن يخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق ورفعه بكشف الغطاء فعند ذلك يدرك ذوق الحيوة الطيبة وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزيع الدرجات على الحسنات

**بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب**

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب ١ منها الإصرار والمواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب دفعة لم يؤثر ولذلك قال عليه السلام خير الأعمال أدومها وإن قل والأشياء تستبان بأضدادها فإذا كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل فالكثير المتصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره فكذا القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام القلب إلا أن الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة ومقدمات وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق العود إليها ربما كان العفو فيها أرجى من صغيرة واظب الإنسان عليها عمره ٢ ومنها أن يستصغر الذنب فإن الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله وكلما استصغره كبر عند الله لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به واستصغاره يصدر عن الإلف به وذلك يوجب شدة الأثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة فإن القلب لا يتأثر بما يجري في الغفلة وقد جاء في الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله فإذا نظر إلى عظيم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة وقد أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة للتابعين إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله من الموبقات إذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله أتم فكانت الصغائر عندهم بالإضافة إلى جلال الله كبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي في أمور لا يتجاوز في أمثالها عن العارف لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة قدر المخالف ٣ ومنها السرور بالصغيرة والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها في تسويد قلبه حتى إن من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته إياه كما يقول أما رأيتني كيف مزقت عرضه ويقول المناظر في مناظرته أما رأيتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى أخجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول المعامل في التجارة أما رأيت كيف روجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غبنته في ماله

وكيف استحقرته فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر فإن الذنوب مهلكات وإذا دفع إليها العبد وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي أن يكون في مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله فالمريض الذي يفرح بأن ينكسر إناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجى شفاؤه ومنها أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإمهاله إياه ولا يدري أنه إنما أمهل مقتا ليزداد بالإمهال إثما فيظن أن تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله تعالى كما قال تعالى ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول الآية ومنها أن يأتي الذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتيه في مشهد غيره فإن ذلك جناية منه على ستر الله الذي سدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه ذنبه أو أشهده فعله فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فغلظت به فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر وفي الخبر كل الناس معافى إلا المجاهرين يبيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وهذا لأن من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالإظهار كفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا تذنب فإن كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين ولذلك قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية ثم يهونها عليه ٦ ومنها أن يكون المذنب عالما يقتدى به فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الإبريسم وركوبه مراكب الذهب وأخذه مال الشبهة من أموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده إليهم ومساعدته إياهم بترك الإنكار عليهم وإطلاقه اللسان في الأعراض وتعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه إلا الجاه كعلم الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا في العالم أياما متطاولة فطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه وفي الخبر من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء وقال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم والآثار ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الأتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق أهلها وفي الإسرائيليات أن عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة فعمل في الإصلاح دهرا فأوحى الله إلى نبيهم قل له إن ذنبك لو كان فيما بينك وبيني لغفرته لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فأدخلتهم النار فبهذا اتضح أن أمر العلماء خطر فعليهم وظيفتان إحداهما ترك الذنب والأخرى إخفاؤه وكما تتضاعف أوزارهم على الذنوب فكذلك تتضاعف ثوابهم على الحسنات إذا اتبعوا فإذا ترك التجمل والميل إلى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي به العلماء والعوام فيكون له مثل ثوابهم وإن مال إلى التجمل مالت طباع من دونه إلى التشبه به ولا يقدرون على التجمل إلا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فحركات العلماء في طرفي الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها إما بالربح وإما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة منها

**الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر**

وقد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصي حائلا بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شرط فلا بد من بيانها أما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسيأتي وأما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء والفكر فمن استشعر عقوبة نازلة بولده أو ببعض أعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه وأي عزيز أعز عليه من نفسه وأي عقوبة أشد من النار وأي شيء أدل على نزول العقوبة من المعاصي وأي مخبر أصدق من الله ورسوله ولو أخبره إنسان واحد يسمى طبيبا أن ولده المريض لا يبرأ وأنه سيموت منه طال في الحال حزنه فليس ولده بأعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ولا الموت بأشد من النار ولا المرض بأدل على الموت من المعاصي على سخط الله والتعرض بها للنار فألم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر جالسوا التوابين فإنهم أرق أفئدة ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهة وبالرغبة نفرة وفي الإسرائيليات أن الله سبحانه قال لبعض أنبيائه وقد سأله قبول توبة عبد بعد أن اجتهد سنين في العبادة ولم ير قبول توبته فقال وعزتي وجلالي لو شفع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه فإن قلت فالذنوب هي أعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها فأقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتناثر شعره وفلجت أعضاؤه فإذا قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا فإن قلت لا فهو جحد للمشاهد والضرورة بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم أيضا لشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلمه بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بمثل هذا الإيمان ولما عز مثل هذا الإيمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى إلا معرضا عن الله تعالى متهاونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي أن يدوم إلى الموت

وينبغي أن يجدد هذه المراقبة في جميع الذنوب وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجدد غسل البشرة في الغسل الثاني عن الجنابة مهما علم أن بعض ذلك الجسم لم
يكن قد صونه من الغسل إلى غاية ولم يكن قد صونه إلى تعرض سرقته وزناه من حيث إنه سرقة وزنا بل من حيث إنه مخالفة أمر الله وذلك جار في كل ذنب وليطلب القصد الذي
يبعث منه وهو أن التدارك إما أن يتعلق بالحال وهو أن يترك كل محظور هو ملابس له ويؤدي كل فرض هو متوجه عليه في الحال وإما أن يتعلق بالماضي وهو تدارك
ما فرط وإما بالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت وشرط صحته فيما يتعلق بالماضي أن يرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه بالسن أو الاحتلام
ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهراً شهراً ويوماً يوماً ونفساً نفساً وينظر إلى الطاعات ما الذي قصر فيه منها وإلى المعاصي ما الذي قارفه منها فإن كان
قد ترك صلاة أو صلاها في ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشروط النية فيقضيها عن آخرها فإن شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي
يستيقن أنه أداه ويقضي الباقي وله أن يأخذ فيه بغالب الظن الذي يصل إليه على سبيل التحري والاجتهاد وأما الصوم فإن كان قد تركه في سفر أو مرض ولم
يقضه أو أفطر عمداً أو نسي النية بالليل ولم يقض فيعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائه وأما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من
أول ملكه لا من زمان البلوغ فإن الزكاة واجبة في مال الصبي فيؤدي ما علم بغالب الظن أنه في ذمته فإن أداه لا على وجه يوافق مذهبه بأن لم يصرف إلى الأصناف
الثمانية أو أخرج البدل وهو على مذهب الشافعي فيقضي جميع ذلك فإن ذلك لا يجزئه أصلاً وحساب الزكاة ومعرفة ذلك مما يطول ويحتاج فيه إلى تأمل شاف ويلزمه
أن يسأل في كيفية الخروج عنه من العلماء وأما الحج فإن كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق الخروج والآن قد أفلس فعليه الخروج فإن لم يقدر مع الإفلاس
فعليه أن يكتسب من الحلال قدر الزاد فإن لم يكن له كسب ولا مال فعليه أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكوات أو الصدقات ما يحج به فإنه إن مات قبل الحج مات عاصياً
قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً والعجز الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها وأما
المعاصي فيجب أن يفتش من أول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه
ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله من حيث لا يتعلق بمظالم العباد كنظر إلى غير محرم وقعود في
مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاهي وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها
وبأن يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذاً من قوله عليه السلام اتق
الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها بل من قوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبمجالس الذكر ويكفر القعود
في المسجد جنباً بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثاً بإكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله وبأن يكتب مصحفاً ويجعله
وقفاً ويكفر شرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو أطيب وأحب إليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وإنما المقصود سلوك طريق المضادة فإن المرض يعالج بضده فكل
ظلمة ارتفعت إلى القلب بمعصية فلا يمحوها إلا نور يرتفع إليها بحسنة من جنسها لكن تضادها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي أن يمحو كل سيئة بحسنة من
جنسها لكن تضادها فإن البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه أصدق والثقة به أكثر من أن يواظب
على نوع واحد من العبادات وإن كان ذلك أيضاً مؤثراً في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله ويدل على أن الشيء يكفر بضده أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع
الدنيا في القلب السرور بها والأنس إليها والحنين إليها فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له إذ القلب يتجافى بالهموم والغموم
عن دار الهموم وقال عليه السلام من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهموم وفي لفظ آخر إلا الهم بطلب المعيشة وفي حديث عائشة إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له أعمال
تكفرها أدخل الله عليه الغموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال إن الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور القلب بوقفة
الحساب وهول المطلع فإن قلت هم الإنسان غالباً بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة فاعلم أن الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة
ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد روي أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له
عند الله قال أجر مائة شهيد فإذاً الهموم أيضاً مكفرات حقوق الله فهذا حكم ما بينه وبين الله وأما مظالم العباد ففيها أيضاً معصية وجناية على حق
الله فإن الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضاً فما يتعلق منه بحق الله تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والإتيان بالحسنات التي هي أضدادها
فيقابل إيذاءه الناس بالإحسان إليهم ويكفر غصب أموالهم بالتصدق بملكه الحلال ويكفر تناول أعراضهم بالقدح والغيبة بالثناء على أهل الدين وإظهار ما
يعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله ويكفر قتل النفوس بإعتاق الرقاب لأن ذلك إحياء إذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده والإعتاق إيجاد لا يقدر
الإنسان على أكثر منه فيقابل الإعدام بالإيجاد وبهذا تعرف أن ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل بإعتاق الرقبة

(في الهامش: الهموم — وما يتعلق منه بحق الناس)

ثم إذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد إما في النفوس أو الأموال أو الأعراض أو القلوب أعني به الإيذاء
المحض أما النفوس فإن جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها إلى المستحق إما منه أو من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وإن كان
عمداً موجباً للقصاص فبالقصاص فإن لم يعرف فيجب عليه أن يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فإن شاء عفا عنه وإن شاء قتله ولا تسقط عهدته
إلا بهذا ولا يجوز له الإخفاء وليس هذا كما لو زنى أو شرب أو سرق أو قطع الطريق أو باشر ما يجب فيه حد الله فإنه لا يلزمه في التوبة أن يفضح نفسه و
يهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله بل عليه أن يستتر بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله قريب
من التائبين النادمين فإن رفع أمره إلى الوالي حتى أقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله بدليل ما روي أن ماعز بن مالك أتى رسول الله
فقال يا رسول الله إني قد ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني فرده فلما كان من الغد أتاه فقال يا رسول الله إني قد زنيت فرده الثانية فلما
كان في الرابعة حفر له ثم أمر به فرجم فكان الناس فيه فريقين فقائل يقول لقد هلك ولقد أحاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة أصدق من توبته فقال
عليه السلام لقد تاب توبة لو قسمت على أمة لوسعتهم وجاءت الغامدية فقالت يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني فردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله لم
تردني لعلك تريد أن تردني كما رددت ماعزاً فوالله إني لحبلى قال أما الآن فاذهبي حتى تلدي فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة فقالت هذا قد ولدته
قال اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتته بالصبي وفي يده كسرة خبز فقالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين
ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها وأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع رسول الله عليه السلام
سبه فقال مهلاً يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فصلى عليها فدفنت وأما القصاص وحد القذف
فلا بد من تحليل المستحق منه وإن كان المتناول مالاً تناوله بغصب أو خيانة أو غبن في معاملة بنوع تلبيس كترويج زائف أو ستر عيب من المبيع أو نقص أجرة
أجير أو منع أجرته فكل ذلك يجب أن يفتش عنه لا من حد بلوغه بل من أول مدة وجوده فإن ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي إخراجه بعد البلوغ إن كان الولي
قد قصر فيه فإن لم يفعل كان ظالماً مطالباً به إذ يستوي في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والدوانق من أول يوم حياته إلى
يوم توبته قبل أن يحاسب في القيامة وليناقش قبل أن يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه فإذا حصل مجموع ما عليه بظن غالب
ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه وليكتب أسامي أصحاب المظالم واحداً واحداً وليطف في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم أو ليؤد حقوقهم وهذه التوبة
تشق على الظلمة وعلى التجار فإنهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر عليه فإن عجز فلا يبقى له
طريق إلا أن يكثر من الحسنات حتى تفيض عنه يوم القيامة فيؤخذ حسناته وتوضع في موازين أرباب المظالم وليكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فإنه إن
لم تف بها حسناته وتوضع في موازين أرباب المظالم ولكن كثرة حسناته بقدر حمل من سيئات أرباب المظالم فيهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تائب في رد
المظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الأجل قريباً فينبغي أن يكون تشميره للحسنات
والوقت ضيق أشد من تشميره الذي كان في المعاصي في متسع الأوقات هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته أما أمواله الحاضرة فليرد إلى المالك ما يعرف
له مالكاً معيناً وما لا يعرف له مالكاً فعليه أن يتصدق به فإذا اختلط الحرام بالحلال عرف قدر الحرام بالاجتهاد وتصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله
في كتاب الحلال والحرام وأما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم أو يعيبهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه أو آذى قلبه بفعل من
أفعاله وليستحل واحداً واحداً منهم ومن مات أو غاب فقد فات أمره ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات لتؤخذ عوضاً في القيامة وأما من وجده وأحله
بطيبة قلب منه فذلك كفارته وعليه أن يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالإحلال
وادخر ذلك في القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته أو يحمله من سيئاته فإن كان في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه لتأذى بمعرفته كزناه بجاريته
أو أهله أو نسبته باللسان إلى عيب من خفايا عيوبه يعظم أذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له إلا أن يستحل منها ثم تبقى له
مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب وأما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفه المجني عليه
فلم تسمح نفسه بالإحلال بقيت المظلمة عليه فإن هذا حقه فعليه أن يتلطف به ويسعى في مهماته وأغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فإن الإنسان
عبد الإحسان وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فإذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالإحلال فإن أبى إلا الإصرار فيبقى له
تلطفه به واعتذاره إليه من جملة حسناته التي يمكن أن يجبر بها في القيامة جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه

(في الهامش: فحفر له)

صعيد

في ابتدائه حتى اذا اتى باحدهما الاخر او زاد عليه اخر ذلك منه عوضا في القيامة حكم الله له عليه كما يقلف في الدنيا اذا عجز عن جبله فامتنع من له المال عن العفو
او عن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض شاء ام ابى فكذلك يحكم في صعيد القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين وفي الخبر المتفق عليه من الصحيحين عن ابي
سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه
قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فاتاه فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال
نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها ناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا
نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب
انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه حكما بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي
اراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية فكان الى القرية الصالحة اقرب منها بشبر فجعل من اهلها وفي رواية فاوحى الله الى هذه ان تباعدي والى هذه ان
تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له فبهذا تعرف انه لا خلاص الا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال ذرة فلا بد للتائب من تكثير الحسنات
هذا حكم القصد المتعلق بالماضي واما العزم المرتبط بالاستقبال فهو ان يعقد مع الله عقدا موكدا ويعاهده بعهد وثيق انه لا يعود الى تلك الذنوب ولا
الى امثالها كالذي يعلم في مرضه ان الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جزما انه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم يتاكد في الحال وان كان يتصور
ان تغلبه الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون تائبا ما لم يتاكد عزمه في الحال ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول امره الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم و
احراز قوت حلال فان كان له مال موروث حلال او كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان راس المعاصي اكل الحرام فكيف يكون تائبا مع الاصرار
عليه ولا يكتفي بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات في الماكولات والملبوسات وقال بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله
سبع مرات لم يبتل بها وقال اخر من تاب عن ذنب واستقام سبع سنين لم يعد اليه ابدا ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما
يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وان لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن
الشرب والزنا واللواط والغصب مثلا وليس هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام
مجمل بل نقول لمن قال لا تصح ان عنيت به ان تركه بعض الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فما اعظم خطاك فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب
وقلتها سبب لقلته ونقول لمن قال تصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة او الفوز فهذا ايضا خطا بل النجاة والفوز
بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا اسرار عفو الله فان قال من ذهب الى انه لا يصح اني اردت به ان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على
السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل ان يندم عليها دون الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل
ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لان توجعه لاجل فوات محبوبه سواء كان بالسيف او بالسكين فكذلك توجع العبد لفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة او بالزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض
فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفوتة للمحبوب من حيث انها معصية فلا يتصور ان يكون على بعض المعاصي فلو جاز هذا لجاز ان يتوب عن شرب
الخمر من احد الدنين دون الاخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحدة وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان المعاصي الات للمعصية والمعصية
من حيث مخالفة الامر واحدة فاذا معنى عدم الصحة ان الله تعالى وعد التائبين رتبة لا تنال تلك الرتبة الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات فهو كالملك
المرتب على الايجاب والقبول فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول يقال العقد لم يصح اي لم يترتب عليه الثمرة وهو الملك وتحقيق هذا ان ثمرة
مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونها معصية
وذلك يعم جميع المعاصي وهو كلام مفهوم واقع يستنطق المنصف بتصديقه ونقول التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو اما ان تكون عن الكبائر
دون الصغائر او عن الصغائر دون الكبائر او عن كبيرة دون كبيرة اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فممكن لانه يعلم ان الكبائر اعظم عند الله واجلب
لسخطه ومقته والصغائر اقرب الى تطرق العفو اليها فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويتندم عليه كالذي يجني على اهل الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون
خائفا من الجناية على الاهل مستحقرا للجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر
التائبون في الاعصار الخالية ولم يكن واحد منهم معصوما فلا تستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا اخف
منه على وجه يشعر معه بانه لا يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وان اكلهما جميعا بحكم شهوته

ويندم على اكل العسل دون السكر الثاني ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله
من بعض كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه بان ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو اليه فهذا ايضا ممكن كما في
تفاوت الصغائر والكبائر لان الكبائر ايضا متفاوتة في انفسها وفي اعتقاد مرتكبها ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب
الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح له ان الخمر مفتاح الشرور وانه اذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فبحسب ترجح شرب الخمر عنده ينبعث منه
خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل وندما على الماضي الثالث ان يتوب عن صغيرة او صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذي يتوب عن
الغيبة او عن النظر الى غير المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر وهو ايضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف من معاصيه و
نادم على فعله ندما اما ضعيفا واما قويا ولكن يكون لذة نفسه في تلك المعصية اقوى من الم قلبه في الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة
واسباب توجب قوة الشهوات فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه فان سلم عن شهوة اقوى منه بل لم يعارضه الا
ما هو اضعف منه قهر الخوف الشهوة وغلبها واوجب ذلك ترك المعصية وقد يشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه ويكون له ضراوة ما بالغيبة
وثلب الناس والنظر الى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا ينقمع به هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك
بل يقول هذا الفاسق في نفسه ان قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا ينبغي ان اخلع العذار وارخي العنان بالكلية بل اجاهده
في بعض المعاصي عساني اغلبه فيكون قهري له في البعض كفارة لبعض ذنوبي ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق ان يصلي ويصوم ولقيل له ان كانت
صلاتك لغير الله فلا يصح وان كانت لله فاترك الفسق لله فان امر الله فيهما واحد ولا يتصور ان تقصد بصلاتك التقرب الى الله ما لم تتقرب بترك الفسق
وهذا محال بل يقول لله علي امران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان وانا مليء في احدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الاخر فانا اقهره فيما اقدر عليه و
ارجو بمجاهدتي فيه ان يكفر عني بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا
سبب له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن وجوده والخوف اذا كان من فعل ماض اورث الندم والندم يورث العزم
وقد قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني يتبين
ان التوبة عن بعض الكبائر غير ممكن لانها متماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرض لسخط الله نعم يجوز ان يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في اقتضاء
السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة المعاصي تاثيرا في كثرة العقوبة فيتاب عن الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله
كالمريض الذي حذره الطبيب الفاكهة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا انه لا يمكن ان يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله
بل لا بد ان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقي عليه اما في شدة المعصية واما في غلبة الشهوة واذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلافه في
حالتي الخوف والندم فيتصور اختلافه في الترك فندم على ذلك ووفى بعزمه على الترك فهو ممن لم يذنب وان لم يكن قد اطاع الله في جميع
الاوامر والنواهي فان قلت فهل تصح توبة العنين من الزنا الذي قارفه قبل طريان العنة قلنا لا لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم
على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ولكني اقول لو طرا عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق بها ضرر
الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فاني ارجو ان يكون
ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته اذ لا خلاف في انه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيبه كان من التائبين وان لم تطرا عليه حالة تهيج فيها
الشهوة وتتيسر اسباب قضاء الشهوة ولكنه تائب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغا اوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذا لا يستحيل ان يبلغ
قوة الندم في حق العنين هذا المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا على تركه بادنى خوف والله مطلع على ضميره
وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله والحقيقة في هذا ترجع الى ان ظلمة المعصية تنمحي عن القلب بشيئين احدهما حرقة الندم والاخر
شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى الندم بحيث يقوى على محوه دون المجاهدة ولولا
هذا لقلنا ان التوبة لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوات مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على
اشتراطه اصلا فان قلت اذا فرضنا تائبين احدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب والاخر بقي في نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها ويمنعها
فايهما افضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء فيه فقال احمد بن ابي الحواري واصحاب ابي سليمان الداراني ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل الجهاد

وقال قائل المتنعم بذلك الآخر أفضل لأنه لو فتر في توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في معرض الفتور عن المجاهدة وما
قاله كل واحد من القولين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه أن الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان إحداهما أن يكون انقطاع
نزوعه إليه بسبب فتور في نفس الشهوة فقط فالمجاهد أفضل من هذا إذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة يقينه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع
على قوة النفس ودليل قوة الدين وأعني بقوة الدين قوة الإرادة التي تنبعث بإشارة العقل وتقمع الشهوة المنبعثة بإشارة الشياطين فهاتان قوتان
تدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القائل إن هذا أسلم لأنه لو فتر لم يعد إلى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الأفضل فيه خطأ وهو كقول القائل
العنين أفضل لأنه في أمن من خطر الشهوة والصبي أفضل من البالغ لأنه أسلم والمفلس أفضل من الملك القاهر القامع لأعدائه لأن المفلس لا عدو له
والملك ربما يغلب مرة وإن غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بأن العز في الأخطار وأن العلو بشرطه
اقتحام الأغوار بل هو كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب أفضل في صنعة الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لأنه آمن من
أن يجمح به فرسه فينكسر أعضاؤه عند السقوط على الأرض وآمن من أن يعضه الكلب ويعتدي وهذا خطأ بل صاحب الكلب والفرس إذا كان قويا عالما
بطريق تأديبهما أعلى رتبة وأحرى بدرك سعادة الصيد الحالة الثانية أن يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة إذا
بلغ مبلغ قمع هيجان الشهوة حتى تأدبت بأدب الشرع فلا تهيج إلا بإشارة الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها فهذا أعلى رتبة من المجاهد المقاسي
لهيجان الشهوة وقمعها وقول القائل إن لذلك فضل الجهاد فقصور عن الإحاطة بمقصود الجهاد فإن الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود قطع ضراوة
العدو حتى لا يستجرك إلى شهواته وإن عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين فإذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت في
المجاهدة فأنت بعد في طلب الظفر ومثال الحال في قهر العدو واستيلائه بالإضافة إلى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم
ومثاله أيضا من علم كلب الصيد وراض الفرس فيهما فإن من عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجماح بالإضافة إلى من هو مشغول بمقاساة التأديب
بعد وبعدل ابن هذا قوم فظنوا أن الجهاد هو المقصود الأقصى ولم يعلموا أن ذلك طلب الخلاص من عوائق الطريق وظن آخرون أن قمع الشهوات بالكلية
بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فعجز عن ذلك فظن أنه محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الإباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك
جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات فإن قلت فما قولك في تائبين أحدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر
فيه والآخر جعله نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق بالندم عليه فأيهما أفضل فاعلم أن هذا أيضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تنصب
ذنبك بين عينيك وقال آخرون حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالإضافة إلى حالين وكلام المتصوفة أبدا يكون
قاصرا فإن عادة كل واحد أن يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فتختلف الأجوبة لاختلاف الأحوال وهذا نقصان بالإضافة إلى درجة العلم
فإن معرفة الأشياء على ما هي عليه أفضل الأصول ولكنه كمال بالإضافة إلى الهمة والإرادة والجد حتى يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه
أمر غيره فطريقه إلى الله نفسه ومنازله أحواله وقد يكون طريق العبد إلى الله العلم والتعليم والطرق إلى الله كثيرة وإن كانت مختلفة في القرب والبعد
والله أعلم بمن هو أهدى سبيلا مع الاشتراك في أصل الهداية فنقول حضور الذنب وذكر التفجع عليه كمال في حق المبتدي لأنه إذا نسيه لم يكثر
احتراقه فلا تقوى إرادته وانبعاثه لسلوك الطريق ولأن ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع إلى مثله فهو كمال بالإضافة إلى الغافل
ولكنه بالإضافة إلى سالك الطريق نقصان فإنه شغل مانع من سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغي أن لا يعرج على غير السلوك فإن ظهرت له مبادي الوصول
والكشف لأنوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات إلى ما سبق من أحواله وهو الكمال بل لو عاق عن الطريق إلى بحر البلد
نهر حاجز طال تعب المسافر في عبوره من حيث إنه كان قد خرب جسره من قبل فجلس على شاطئ النهر يبكي بعد عبوره تلهفا على تخريبه الجسر كان هذا
فاته آخر استغل به بعد الفراغ منه ذلك [illegible] أن لم يمكن الوقت وقت الرحيل بأن كان ليلا فتعذر السلوك وكان على طريقه أنهار وهو خائف على نفسه
أن يخربها فليطل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله فإن حصل العزم البتة فالوقت يتسع لأن يعود إلى مثله
وسلوك الطريق أولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه إلا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك وقد أشرنا إليه
تلويحا في كتاب العلم وفي ربع المهلكات بل من شرط دوام التوبة أن يكون كثير الفكر في النعيم في الآخرة ليزيد رغبته ولكن إن كان تائبا فينبغي
أن لا يشغل فكره في كل ما له حظ في الدنيا كالحور والقصور فإن ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة بل ينبغي أن يسلك من طريق النظر

إلى وجه الله تعالى فقط فكذلك لا ينظر في الذنب فلذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدي أيضا قد يستضر به فيكون النسيان أفضل
له عند ذلك ولا يصدنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود ونياحته فإن قياسك نفسك على الأنبياء قياس في غاية الاعوجاج لأنهم قد ينزلون
في أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات اللائقة بأممهم فإنهم ما بعثوا إلا لإرشادهم فعليهم التلبيس بما تنتفع أممهم بمشاهدته وإن كان ذلك نازلا عن ذروة
مقامهم فقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة إلا ويخوض معهم فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس ولكن
تسهيلا للأمر على المريد ولذلك قال عليه السلام إني لا أنسى ولكن أنسى لأشرع وفي لفظ إنما أسهو لأسن ولا تتعجب من هذا فإن الأمم في كنف شفقة الأنبياء
كالصبيان في كنف شفقة الآباء وكالمواشي في كنف الرعاة أما ترى الأب إذا أراد أن يستنطق ولده الصغير كيف ينزل إلى درجة نطق الصبي كما قال عليه السلام للحسن
كخ كخ لما أخذ تمرة من الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن أن يقول ارم هذه التمرة فإنها حرام ولكنه لما علم أنه لا يفهم منطقه ترك الفصاحة
ونزل إلى لكنته بل الذي يعلم شاة أو طائرا يصوت به رغاء أو صفيرا تشبها بالبهيمة والطائر تلطفا في تعليمه فإياك أن تغفل عن أمثال هذه الدقائق
فإنها مزلة أقدام العارفين فضلا عن الغافلين

**أقسام العباد في دوام التوبة**

اعلم أن طبقات التائبين أربع الطبقة الأولى أن يتوب
العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات
مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة في التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات الحسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح
واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله عليه السلام سبق المفردون المستهترون
بذكر الله وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا فإن فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضع الذكر عنهم وأهل هذه الطبقة على رتب
من حيث النزوع إلى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صراعها وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس
ولكنه مليء بجهادها وردها ثم تتفاوت درجات النزاع أيضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الأنواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر
فمن مختطف قريب من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا أعلى وأفضل
إذ كل سيئة فإنما تمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء إنما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا
من الله واشتراط هذا بعيد وإن كان لا ينكر عظم أثره لو وقع ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فيهيج الشهوة ويحضر الأسباب حتى يتمكن ثم
يطمع في الانكفاف فإنه لا يأمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقه الفرار من الأسباب الميسرة له حتى يسد طرقها على
نفسه ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فبه تسلم توبته في الابتداء الطبقة الثانية تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وترك كبائر
الفواحش كلها إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري أحواله من غير أن يقدم عزما على الإقدام عليها ولكنه
كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز من أسبابها التي تعرضه لها وهذه النفس جديرة بأن تكون هي النفس
اللوامة إذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له من الأحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين رأي وقصد وهذه أيضا رتبة عالية وإن كانت نازلة عن
الطبقة الأولى وهي أغلب أحوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدمي فقلما ينفك عنه وإنما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح
كفة الحسنات فأما أن تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال تعالى الذين يجتنبون كبائر الإثم
والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة فكل إلمام يقع بصغيرة لا عن توطين نفس عليه فهو جدير بأن يكون من اللمم المعفو عنه وقد قال تعالى
والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فأثنى عليهم مع ظلمهم أنفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه وإلى مثل هذه
الرتبة الإشارة بقوله عليه السلام فيما رواه علي رضي الله عنه خياركم كل مفتن تواب وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة تفيء أحيانا وتميل أحيانا وفي الخبر لا بد للمؤمن
من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة أي الحين بعد الحين فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين ومن
يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناول من الفواكه والأطعمة الحارة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار
وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب
والفقيه بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال علي رضي الله عنه كل
بني آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون وقال أيضا المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه أي واه بالذنوب راقع بالندم والتوبة وقال تعالى

أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة فوصفهم بدرء السيئة بالحسنة الطبقة الثالثة أن يتوب ويستمر على الاستقامة
مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة الذنوب
مع القدرة والشهوة وإنما قهرته لمن تعود لسانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذبا يسبق لسانه إلى ما تعود فقال استغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه
إلى أن يقول ما أحمقك وما أقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة إذا حدث بظهور مبادي الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله وإن تعود الفضول
قال لعنه الله فيعصي في إحدى الكلمتين ويسلم في الأخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى إن الله لا يضيع أجر المحسنين ومعاني
قوله تعالى وإن تك حسنة يضاعفها فانظر كيف ضاعفها إذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة للسان حتى دفع تلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول
هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان وهو يود لو أقدره الله على قمعها وكفاه شرها هذه أمنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم أفعله
وسأتوب عنه وأجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين
قال الله تعالى فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما تعاطاه مرجو فعسى الله أن يتوب عليهم
وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع أمره في المشيئة فإن تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وإن
غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى أن يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الأزل لأنه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم
دل تعذره على أنه سبق له في الأزل أن يكون من الجاهلين فينبغي أن يضعف الرجاء في حقه وإذا تيسرت له أسباب المواظبة على التحصيل دل على أنه سبق له في الأزل أن يكون
من جملة العالمين فكذلك ارتباط درجات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الأسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الأغذية والأدوية
وارتباط حصول فقه النفس الذي يستحق المناصب العلية في الدنيا والآخرة بترك الكسل والمواظبة على فقه النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم
بالعلم إلا نفس صارت فقيهة بطول التعلم فلا تصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين إلا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير هكذا سبق
في الأزل بتدبير الأرباب ولذلك قال تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب
نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامة الخذلان قال عليه السلام إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة ستين سنة حتى يقول الناس إنه من أهلها ولا يبقى بينه وبينها إلا شبر فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها فإذا الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس خاتمة لما قبلها إذ يمكن أن يكون الموت متصلا به فليراقب الأنفاس ولا يقع
المحذور ويرعى الحسنة حتى لا يتبع الحسنة السيئة الطبقة الرابعة أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث
نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهوته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي الأمارة بالسوء الفرارة من الخير و
يخاف على هذا سوء الخاتمة وأمره في مشيئة الله فإن ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وإن ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص
ولو بعد حين ولا يستحيل أن يشمله عموم العفو بسبب خفي لا يطلع عليه ولكن التعويل على هذا يستحيل أن يدخل الإنسان خرابا ليجد كنزا فيتفق أن يجد ولا أن يجلس
في البيت ليعلمه الله تعالى بالعلوم من غير تعلم كما كان للأنبياء وطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار
وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الأعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليس من اجتهد تعلم وليس من اتجر استغنى وليس من
صام وصلى غفر له فالناس كلهم هلكى إلا العالمين والعالمون هلكى إلا العاملين والعاملون هلكى إلا المخلصين والمخلصون على خطر عظيم
وكما أن من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم أنه ينتظر فضل الله بأن يرزقه كنزا يجده تحت الأرض في بيته الخرب يعد عند ذوي
البصائر من الحمقى والمغرورين وإن كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله وهو مقصر في الطاعة مصر
على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة معدود عند أرباب القلوب من المعتوهين والحمقى فيا للعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته في صورة حسنة إذ يقول
إن الله كريم وجنته ليست تضيق عن مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويقتحم الأوعار في طلب الدينار وإذا قيل له إن الله كريم ودنانير خزائنه
ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول ما
هذا الوسواس السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وإنما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره رب الأرباب وأجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم المغرور أن رب
الآخرة ورب الدنيا واحد وأن سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وأنه قد أخبر إذ قال وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فكيف يعتقد أنه كريم في الآخرة وليس بكريم
في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم التسوية بين كسب المال ومقتضاه التقوى عن العمل للملك المقيم والنعيم الدائم وأن ذلك بحكم الكرم يعطى من غير جهد ولا جزء

وهذا ينفعه مع سوء الاجتهاد في عالم الآخرة فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا إلا انتكاس على أم الرأس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحبه جدير
بأن يكون من جملة من تحت قوله تعالى ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا أي أبصرنا أنك صدقت إذ قلت وأن ليس
للإنسان إلا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب الباعث بالضرورة
إلى سوء المنقلب والمآب فصل فيما ينبغي أن يبادر إليه التائب إن جرى عليه ذنب إما عن قصد أو شهوة غالبة أو عن إلمام بحكم الاتفاق اعلم أن الواجب عليه
التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضادها كما ذكرنا طريقه فإن لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي
أن يترك الواجب الثاني وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا والحسنات المكفرة للسيئات إما بالقلب أو باللسان أو
بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق بأسبابها فأما بالقلب فليكفره بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق
ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على سائر العباد وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين
والعزم على الطاعات وأما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من صنوف
الاستغفار كما أوردناه في كتاب الدعوات والأذكار وأما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات وفي الآثار ما يدل على أن الذنب
إذا تبع بثمانية أعمال كان العفو عنه مرجوا أربعة من أعمال القلوب وهي التوبة والعزم على التوبة وحب الإقلاع عن الذنب وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة
وأربعة من أعمال الجوارح وهو أن يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة
ثم يصوم يوما وفي بعض الآثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الأخبار يصلي أربع ركعات وفي الخبر إذا عملت سيئة
فأتبعها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وفي الخبر الصحيح
أن رجلا قال يا رسول الله إني عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا المسيس فاقض علي بحكم الله فقال أوما صليت معنا صلاة الغداة قال بلى فقال إن الحسنات
يذهبن السيئات وهذا يدل على أن ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة إذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله الصلوات الخمس كفارات لما بينهن إلا الكبائر فعلى
الأحوال كلها ينبغي أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات فإن قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الإصرار وفي
الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان بعضهم يقول أستغفر الله من قولي أستغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين
وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار فاعلم أنه قد ورد في فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الدعوات والأذكار
حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول فقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وكان بعض الصحابة يقول كان لنا أمانان
ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار فإن ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن
يكون للقلب فيه شركة كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله وكما يقول إذا سمع صفة النار نعوذ بالله من غير أن يتأثر به قلبه وهذا يرجع إلى مجرد
حركة اللسان ولا جدوى له فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق إرادة وخلوص نية ورغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح
لأن تدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال عليه السلام ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهي عبارة عن
الاستغفار بالقلب وللتوبة والاستغفار درجات وأوائلها لا تخلو عن الفائدة وإن لم تنته إلى أواخرها ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه
وأحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء فإن عصى قال يا رب استر علي فإذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فإذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة فإذا
عمل قال يا رب تقبل مني وسئل أيضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح
والإنابة أعمال القلب والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الخلق ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون
عنده مأواه ثم التنقل إلى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا
يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش
وسئل أيضا عن قوله عليه السلام التائب حبيب الله فقال إنما يكون حبيبا إذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون الآية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل
فيما يكرهه حبيبه والمقصود أن للتوبة ثمرتين إحداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير أيضا درجات
فبعضه محو لأصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وإن خلا عن حل عقدة

للاصرار عن اوائل الدرجات وليس يخلو عن الغفلات اصلا فلا ينبغي ان يهمل ذرة من خير فانه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فلا يخلو ذرة من الخير عن
اثر كما لا يخلو شعيرة تطرح في الميزان عن اثر ولو خلت الشعيرة الاولى عن اثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح الميزان باحمال الذر وذلك بالضرورة
محال بل يترجح ميزان الحسنات بذرات الخيرات الى ان يثقل فيشيل كفة السيئات فاياك وان تستصغر ذرات الطاعات فلا تاتيها وذرات المعاصي
فلا تتقيها كالمراة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد وتقول اي غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب ولا
تدري المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذا التضرع والاستغفار بالقلب
حسنة لا يضيع عند الله تعالى اصلا بل اقول الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة
مسلم او فضول كلام بل هو خير من السكوت فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه وانما يكون نقصانا بالاضافة الى عمل القلب ولذلك قال قائل
اذا استعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول وما ذكره حق فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها
ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ما تعود فقال استغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه الى
ان يقول ما احمقك وما اقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث بظهور مبادي الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله واذا تعود الفضول قال
لعنه الله فيعصي في احدى الكلمتين ويسلم في الاخرى وسلامته من اثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين ومعاني
ومعاني قوله وان تك حسنة يضاعفها فانظر كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن
والفضول هذا التضعيف في الدنيا للادنى من الطاعات وتضعيف الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون فاياك ان تلمح في الطاعات مجرد الافات فتفتر رغبتك في
الطاعات والعبادات فان هذه مكيدة يروجها الشيطان بلعينه على المغرورين ويخيل اليهم انهم ارباب البصائر واهل التفطن للخفايا والسرائر فاي خير
في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب وانقسم الخلق في هذه المكيدة الى ثلثة اقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات اما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة
حق اردت بها باطلا فلا جرم اعذبك مرتين وارغم انفك من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه
واما الظالم المغرور فاستشعر في نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فاسعف الشيطان وتدلى
بحبل غروره فتمت بينهما المشاكلة والموافقة كما قيل وافق شن طبقه وافقه فاعتنقه واما المقتصد فلم يقدر على ارغامه باشراك القلب في العمل وتفطن
لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب ولكن اهتدى الى كماله بالاضافة الى السكوت والفضول فاستمر عليه وسال الله تعالى ان يشرك القلب مع اللسان
في اعتياد الخير فكان السابق كالحائك مثلا ذمت حياكته فتركها واصبح كاتبا والظالم المتخلف كالذي ترك الحياكة واصبح كناسا والمقتصد كالذي عجز عن
الكتابة فقال لا انكر مذمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى الكناس فاذا عجزت عن الكتابة فلا اترك الحياكة ولذلك قالت رابعة
استغفارنا يحتاج الى استغفار فلا تظن انها تذم حركة اللسان من حيث انه ذكر الله بل تذم غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه
فان سكت عن الاستغفار باللسان ايضا احتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد فهكذا ينبغي ان يفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد والا جهلت معنى ما قال القائل
حسنات الابرار سيئات المقربين فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا ينبغي ان يوخذ من غير اضافة بل ينبغي الا يستحقر ذرات الطاعات والمعاصي ولذلك قال
جعفر الصادق ان الله تعالى خبا ثلثا في ثلث رضاه في الطاعات فلا تحقروا منها شيا فلعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها
شيا فلعل غضبه فيه وخبا ولايته في عباده فلا تحقروا منهم احدا فلعله ولي الله وزاد وخبا اجابته في دعائه فلا تتركوا الدعاء فربما كانت الاجابة

فيه الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار اعلم ان الناس قسمان شاب لا صبوة له نشا على الخير واجتناب الشر
وهو الذي قال فيه رسول الله يعجب ربكم من الشاب الذي لا صبوة له وهذا عزيز نادر والقسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم منقسمون الى مصرين
والى تائبين وغرضنا ان نبين العلاج في حل عقدة الاصرار ونذكر الدواء فيه فاعلم ان شفاء التوبة لا يحصل الا بالدواء ولا يوقف على الدواء ما لم يوقف على
الداء اذ لا معنى للدواء الا مناقضة اسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وابطاله ولا يبطل الشي الا بضده ولا سبب للاصرار
الا الشهوة والغفلة ولا تضاد الغفلة الا العلم ولا تضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة راس الخطايا قال
الله تعالى اولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون فلا دواء للتوبة الا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر كما يجمع في السكنجبين بين حلاوة
السكر وحموضة الخل ويقصد بكل واحد منهما غرض اخر في العلاج بمجموعهما فيقمع الاسباب المهيجة للصفرا فهكذا ينبغي ان تفهم علاج القلب عن مرض الاصرار فاذا

لهذا الدواء اصلان احدهما العلم والاخر الصبر فلا بد من بيانهما فان قلت اينفع كل علم لحل عقدة الاصرار ام لا بد من علم مخصوص فاعلم ان كل العلوم
جملتها ادوية لامراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما ان علم الطب ينفع في علاج الامراض بالجملة ولكن يختص كل علة بعلم مخصوص فكذلك دوا الاصرار
فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الابدان ليكون ذلك اقرب الى الفهم فنقول يحتاج المريض الى التصديق بامور الاول ان يصدق على الجملة بان
للصحة والمرض اسبابا يتوصل اليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الاسباب وهذا هو الايمان باصل الطب فان من لا يومن به لا يشتغل بالعلاج ويحق
عليه الهلاك وبوزانه من الدين الايمان باصل الشرع وهو ان للسعادة في الاخرة سببا وهو الطاعة وللشقاوة سببا وهو المعصية وهو الايمان
باصل الشرايع وهذا لا بد من حصوله اما عن تحقيق او تقليد وكلاهما من جملة الايمان الثاني انه لا بد ان يعتقد المريض في طبيب معين انه عالم بالطب
حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس ولا يكذب فان ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان وبوزانه من الدين العلم بصدق الرسول
والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف الثالث انه لا بد وان يصغي الى الطبيب فيما يحذره عنه من تناول الفواكه والاشيا المضرة
على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتما فيكون شدة الخوف باعثا له على الاحتما وبوزانه من الدين الاصغاء الى الايات والاخبار المشتملة
على الترغيب في التقوى والتحذير عن ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى الى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوي
على الصبر الذي هو الركن الاخر في العلاج الرابع ان يصغي الى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتما عنه ليعرفه اولا تفصيل ما يضره
من افعاله واحواله واكوله ومشروبه فليس يجب على كل مريض الاحتما عن كل شي ولا ينفعه كل دوا بل لكل علة خاصة علم خاص ودوا خاص وبوزانه من الدين
ان كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مومن ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة وانما حاجته في الحال متعلقة الى العلم بانها ذنوب ثم الى
العلم بافاتها وقدر ضررها في الدين ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بتكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها اطباء الدين وهم
العلماء الذين هم ورثة الانبياء فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان لا يدري انه مذنب فعلى العالم ان يعرفه
ذلك بان يتكفل كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد فيعلم اهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان
يسال عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الانبيا والانبيا ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على
ابواب دورهم في الابتدا ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مراة معه
لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم
فان الخلق لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل والفرع فالدنيا دار مرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها
الا سقيم ومرض القلوب اكثر من مرض الابدان والعلماء اطبا والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم الى السلطان
ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن الناس وانما صار
مرض القلوب اكثر من مرض الابدان لثلث علل احدها ان المريض به لا يدري انه مريض والثاني ان عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف
مرض البدن فان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع عنه وما بعد الموت غير مشاهد فقلت النفرة عن الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل
على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال الثالث وهو الدا العضال فقد الطبيب فان الاطبا هم العلما وقد مرضوا في هذه
الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا الى اغوا الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم
مرضا لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الاطبا فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تامرون بالعلاج
وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم الداء وعظم الوبا وانقطع الدوا وهلك الخلق لفقد الاطبا بل اشتغل الاطبا بفنون الاغوا فليتهم اذ لم ينصحوا لم يغشوا
واذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون الى ذلك
الا بالارجا وتغليب اسباب الرجا وذكر دلائل الرحمة لان ذلك الذ في الاسماع واخف على الطباع فتنصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا
مزيد جراة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله تعالى ومهما كان الطبيب جاهلا او خائنا اهلك بالدوا حيث يضعه في غير موضعه فالخوف والرجا دوا ان
ولكن لشخصين متضادي العلة اما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا تطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فيكسر سورة
اسرافه في الخوف بذكر اسباب الرجا ليعود الى الاعتدال وكذا المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع منها بحكم القنوط والياس استعظاما لذنوبه

التي يستحث نعالج القلب بأسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب فأما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي بذكر الأسباب الرجاء فيضاهي معالجة
المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال والأغبياء فإذا فساد الأطباء هو الداء المعضل الذي لا يقبل الدواء أصلا فإن قلت فاذكر الطريق الذي
ينبغي أن يسلكه الواعظ في وعظه مع الخلق فاعلم أن ذلك يطول وإنه لا يمكن استقصاؤه نعم نشير إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار وحمل الناس
على ترك الذنوب وهي أربعة أنواع النوع الأول أن يذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما ورد في الأخبار والآثار مثل
قوله عليه السلام ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر
يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ويقول الآخر يا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفي بعض الروايات فجلسوا فتذاكروا ما علموا ويقول
الآخر يا ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا وقال بعض السلف إذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست
ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبها عليه وإن لم يستغفر كتبها وقال بعض السلف ما من عبد يعصي إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن
سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفا عن عبدي وأمهلاه فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب إلي فأغفر
له لعله يستبدل صالحا فأبدل له حسنات فذلك معنى قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده وفي حديث
عمر بن الخطاب الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله تعالى الطابع فيطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب
كالكف المفتوحة كلما أذنب ذنبا انقبضت أصبع حتى تنقبض الأصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو القفل وقال الحسن إن بين العبد وبين الله حدا من المعاصي
معلوما إذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها لخير والأخبار والآثار في ذم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى فينبغي أن يستكثر الواعظ منها
إن كان وارث رسول الله فإنه ما خلف دينارا ولا درهما إنما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما أصابه النوع الثاني حكايات الأنبياء والسلف
الصالحين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل أحوال آدم صلوات الله عليه في عصيانه وما لقيه من الإخراج من
الجنة حتى روي أنه لما أكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستحى التاج والإكليل من وجهه أن يرتفعا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ
التاج عن رأسه وحل الإكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش اهبطا من جواري فإنه لا يجاورني من عصاني قال فالتفت آدم إلى حواء باكيا وقال هذا
أول شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب وروي أن سليمان لما عوقب على خطيئته لأجل التمثال الذي عبد في داره أربعين يوما وقيل إن المرأة
سألته أن يحكم لأبيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لمكانها منه فسلب ملكه أربعين يوما فهرب تائها على
وجهه وكان يسأل بكفه فلا يطعم فإذا قال أطعموني إني سليمان بن داود ضرب وشج وحكي أنه استطعم من بيت امرأة فطردته وبزقت في وجهه
وفي رواية فأخرجت عجوزة جرة فيها بول فصبته على رأسه إلى أن أخرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء أربعين يوما أيام العقوبة
قال فجاءت الطير فعكفت على رأسه وجاءت الجن والإنس والشياطين والوحوش واجتمعت حوله واعتذر إليه بعض من كان جنى عليه فقال لا ألومكم
فيما فعلتم من قبل ولا أحمدكم في عذركم الآن هذا أمر كان من السماء ولا بد منه وروي في الإسرائيليات أن رجلا تزوج امرأة من بلدة أخرى وأرسل
عبده ليحملها إليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم قال فنبأه الله ببركة تقواه وكان نبيا في بني إسرائيل وفي قصص موسى عليه السلام
أنه قال للخضر عليه السلام بم أطلعك على علم الغيب قال بترك المعاصي لأجل الله تعالى وروي أن الريح كانت تسير سليمان عليه السلام فنظر إلى قميصه نظرة
وكان عليه قميص جديد فكأنه أعجبه فوضعته الريح فقال لم فعلت ولم آمرك قالت إنما نطيعك إذا أطعت الله وروي أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب
أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لقولك لإخوته أخاف أن يأكله الذئب لم خفت عليه الذئب ولم ترجني ولم نظرت إلى غفلة إخوته
ولم تنظر إلى حفظي له وتدري لم رددته عليك قال لا قال لأنك رجوتني وقلت عسى الله أن يأتيني بهم جميعا وبما قلت اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا
تيأسوا من روح الله وكذلك لما قال يوسف عليه السلام اذكرني عند ربك قال الله تعالى فأنساه الشيطان ذكر ربه الآية وأمثال هذه الحكايات لا تحصر ولا
يرد بها القرآن والأخبار ورود الأسمار بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أن الأنبياء لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز
عن غيرهم من الذنوب الكبار نعم كانت سعادتهم في أن عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة والأشقياء يمهلون ليزدادوا إثما ولأن عذاب الآخرة
أشد وأكبر فهذا أيضا مما ينبغي أن يكثر جنسه على أسماع المصرين فإنه نافع في تحريك دواعي التوبة إليه النوع الثالث أن يقرر
عندهم أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل في أمر الآخرة ويخاف

من عقوبة

من عقوبة الله في الدنيا أكثر لفرط جهله فينبغي أن يخوف به فإن الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الأمر كما حكي في قصة داود وسليمان
حتى إنه ليضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد يسقط منزلته عن القلوب ويستولي عليه أعداؤه وقال عليه السلام إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه
وقال ابن مسعود إني لأحسب أن العبد ينسى العلم بذنب يصيبه وهو معنى قوله عليه السلام من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا وقال بعض
السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصا في المال إنما اللعنة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله أو شر منه وهو كما قال لأن اللعنة هي الطرد
والإبعاد فإذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد أبعد والحرمان عن رزق التوفيق أعظم حرمان وكل ذنب يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف فيحرم
العبد به عن رزقه النافع في مجالسة العلماء المنكرين للذنوب وعن مجالسة الصالحين بل يمقته الصالحون وحكي عن بعض العارفين أنه كان يمشي في وسط
الوحل جامعا ثيابه محترزا حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشي في وسط الوحل وهو يبكي ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب
ويجانبها حتى يقع في ذنب وذنبين فعندها يخوض في الذنوب خوضا وهو إشارة إلى أن الذنب يتعجل عقوبته بالانجرار إلى ذنب آخر ولذلك قال الفضيل
ما أنكرت من تغير الزمان وجفاء الإخوان فذنوبك ورثتك ذلك وقال بعضهم إني لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال بعضهم أعرف العقوبة
حتى في فأر بيتي وقال بعض صوفية الشام نظرت إلى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت أنظر إليه فمر بي ابن الجلاء الدمشقي فأخذ بيدي فاستحييت منه
فقلت يا أبا عبد الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت
بعد ثلاثين سنة وقال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا يفوت أحدا صلاة جماعة إلا بذنب يذنبه وفي الخبر ما أنكرتم من زمانكم فبما غيرتم
من أعمالكم وفي الخبر يقول الله تعالى إن أدنى ما أصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي وحكي عن أبي عمرو بن علوان في قصة
يطول ذكرها فيها قال كنت قائما أصلي ذات يوم فخامر قلبي هوى طاولته بفكري حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت على الأرض واسود جسدي كله و
استترت في البيت فلم أخرج ثلاثة أيام وكنت أعالج غسله في الحمام بالصابون فلا يزداد إلا سوادا حتى انكشف ذلك بعد ثلاث فلقيت الجنيد وكان
قد وجه إلي فأشخصني من الرقة فلما أتيته قال لي أما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فساررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك بزفرة فأخرجتك
من بين يدي الله فلولا أني دعوت الله لك وتبت إليه عنك للقيت الله تعالى بذلك اللون قال فعجبت كيف علم ذلك وهو ببغداد وأنا بالرقة واعلم أن الذنب
لا يسود وجه العبد ولكن يسود وجه قلبه فإن كان سعيدا أظهر السواد على ظاهره لينزجر وإن كان شقيا أخفي عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والأخبار
كثيرة في آفات الذنوب من الفقر والمرض وغيرهما بل من شؤم الذنب في الدنيا على الجملة أن يكتسب من صفته فإن اسمه كان مشتقا منه و
يحرم حبل الصبر حتى يتضاعف شقاؤه وإن أصابته نعمة كان استدراجا له ويحرم حبل الشكر حتى يعاقب على كفرانه وأما المطيع فمن بركة طاعته أن تكون
كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته النوع الرابع ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد
الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير أهله وضع الدواء في غير موضعه بل ينبغي أن يكون
العالم كالطبيب الحاذق يستدل أولا بالنبض والسحنة ووجوه الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها فليستدل بقرائن الأحوال على خفايا الصفات
وليتعرض لها وقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال له واحد أوصني ولا تكثر علي فقال لا تغضب وقال له آخر أوصني فقال عليك باليأس مما في أيدي الناس
فإن ذلك هو الغنى وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع وإياك وما يعتذر منه وقال رجل لمحمد بن واسع أوصني فقال أوصيك أن تكون ملكا في
الدنيا والآخرة فقال كيف لي بذلك فقال ازهد في الدنيا فإنه صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الأول مخائل الغضب فنهاه عنه وفي السائل الآخر مخايل الطمع
في الناس وطول الأمل وتخيل محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ أوصني فقال كن رحيما أكن لك بالجنة زعيما فكأنه تفرس فيه
آثار الفظاظة والغلظة وقال رجل لإبراهيم بن أدهم أوصني فقال إياك والناس وعليك بالناس فلا بد من الناس فإن الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس
ذهب الناس وبقي النسناس وما أراهم بالناس بل غمسوا في ماء اليأس فكأنه تفرس فيه آفة المخالطة أو أخبر عما هو الغالب على حاله في وقته وكان الغالب
آفاته بالناس والكلام على قدر حال السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل وكتب معاوية إلى عائشة أن اكتبي لي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت إليه من عائشة
إلى معاوية سلام عليك أما بعد فإني سمعت رسول الله يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس
والسلام عليك فانظر إلى فقهها كيف تعرضت للآفة التي تكون الولاة بصددها وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت مرة أخرى أما بعد فاتق الله
فإنك إذا اتقيت الله كفاك الناس وإذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام فإذًا على كل ناصح أن يكون عنايته مصروفة إلى تفرس الصفات

الخفية وتوسم الأحوال اللائقة ليكون اشتغاله بالمهم فإن حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكن والاشتغال بوعظ ما هو مستغن عن
الوعظ فيه تضييع زمان فإن قلت فإن كان الواعظ يتكلم في جمع يسأله عن الأدوية بطريق الحال أن يعظهم فكيف يفعل فاعلم أن طريقه في ذلك أن يعظهم بما
يشترك كافة الخلق في الحاجة إليه إما على العموم وإما على الأكثر فإن في علوم الشرع أغذية وأدوية فالأغذية للكافة والأدوية لأرباب العلل ومثاله
ما روي أن رجلا قال لأبي سعيد الخدري أوصني فقال عليك بتقوى الله فإنه رأس كل خير وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام وعليك بالقرآن فإنه
نور لك في أهل الأرض وذكر في أهل السماء وعليك بالصمت إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن أوصني فقال أعز أمر الله يعزك الله
وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وأنفق فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون
عيالا وعلى أعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فإن الصلاة أفضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا
الوجهين وقال أيضا لابنه يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير أرب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فإن مالك ما قدمت ومال
غيرك ما تركت يا بني من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لأبي حازم أوصني فقال
كل ما لو جاءك الموت عليه رأيته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك الموت عليه رأيته مصيبة فاجتنبه وقال موسى عليه السلام للخضر أوصني فقال كن بساما ولا
تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على
خطيئتك يا ابن عمران وقال رجل لمحمد بن كرام أوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل لحامد اللفاف أوصني فقال
اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف كيلا يدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا إلا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام إلا فيما لا بد منه و
ترك مخالطة الناس إلا فيما لا بد منه وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فخف ما خوفك الله واحذر ما حذرك الله وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند
الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن رضي الله عنهما يسأله أن يعظه فكتب إليه أما بعد فإن الهول الأعظم والأمور المفظعات أمامك
ولا بد من مشاهدة ذلك إما بالنجاة وإما بالعطب واعلم أن من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غنم
ومن خاف أمن ومن أمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم فإذا زللت فارجع وإذا ندمت فأقلع وإذا جهلت فسل وإذا غضبت فأمسك
وكتب مطرف بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم أما بعد فإن الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي
جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة أما بعد فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله
أما أولياء الله فغمتهم وأما أعداؤه فغرتهم وكتب أيضا إلى بعض عماله أما بعد فقد أمكنتك المقدرة من ظلم العباد فإذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك
واعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئا إلا كان زائلا عنهم وباقيا عليك واعلم أن الله تعالى آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام فهكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة
ووعظ من لا يدرى خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل الأغذية التي يشترك الكافة في الانتفاع بها ولأجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت
المعاصي واستشرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون أسجاعا وينشدون أبياتا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العوام
وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا عن القلب ليصل إلى القلب بل القائل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف وإذا كان طب الطبيب أول علاج
المرضى فطب العلماء أول علاج العاصين فهذا أحد أركان العلاج وهو الأصل الثاني الصبر ووجه الحاجة إليه أن المريض إنما يطول مرضه
لتناوله ما يضره وإنما يتناول ذلك إما لغفلته عن مضرته وإما لشدة غلبة شهوته فله سببان وما ذكرناه علاج الغفلة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجها
قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله أن المريض إذا اشتدت ضراوته بأكول مضر فطريقه أن يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم
يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الألم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة
في المعاصي كالشاب مثلا إذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه وحفظ قلبه أو حفظ جوارحه في السعي وراء شهواته فينبغي أن يستشعر ضرر ذنبه
بأن يستقري المخوفات التي جاءت فيه من كتاب الله وسنة رسوله فإذا اشتد خوفه تباعد من الأسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو حضور
المشتهى والنظر إليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل تناول لذائذ الأطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم إلا بصبر ولا يصبر إلا
عن خوف ولا يخاف إلا عن علم ولا يعلم إلا عن بصيرة وافتكار أو عن سماع وتقليد فأول الأمر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل
مصروف إلى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث لا محالة من تمامه خوفه وإذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج والتوفيق لله

وتيسير من ورائه فمن أعطى من نفسه حسن الإصغاء واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى
وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ثم لا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما علينا إلا الهدى الإرشاد طريق الهدى وإن لنا للآخرة والأولى
فإن قلت فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان لأن ترك الذنب لا يمكن إلا بالصبر والصبر لا يمكن إلا بمعرفة الخوف والخوف لا يحصل إلا بالعلم والعلم بضرر الذنوب و
التصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان فكأن من أصر على الذنب لم يصر عليه إلا لأنه غير مؤمن فاعلم أن هذا لا يكون لفقد الإيمان
بل يكون لضعف الإيمان إذ كل مؤمن مصدق بأن المعصية سبب البعد عن الله وسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب أمور أحدها أن العقاب
الموعود غيب ليس بحاضر والنفس جبلت متأثرة بالحاضر فتأثرها بالموعود ضعيف بالإضافة إلى تأثرها بالحاضر الثاني أن الشهوات الباعثة على الذنوب
لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالمخنق وقد قوي ذلك واستولى بسبب الاعتياد والإلف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الآجل
شديد على النفس ولذلك قال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال بل تؤثرون الحياة الدنيا وقد عبر عن شدة الأمر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله عليه السلام إن الله خلق النار فقال لجبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها فقال وعزتك لا يسمع بها أحد
فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر فنظر فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها وخلق الجنة فقال اذهب فانظر إليها فنظر
فقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر إليها فنظر فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد فإذا كون الشهوة مرهقة
في الحال وكون العقاب متأخرا إلى المآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول أصل الإيمان فليس كل من يشرب في مرضه الثلج لشدة عطشه مكذبا
بأصل الطب ولا مكذبا بأن ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الألم المنتظر الثالث أنه ما من مذنب إلا وهو
في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد بأن ذلك يجبره إلا أن طول الأمل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير فمن حيث
رجاؤه التوفيق للتوبة ربما يقدم عليه مع الإيمان الرابع أنه ما من مؤمن موقن إلا وهو معتقد أن الذنب لا يوجب العقوبة إيجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب
وينتظر العفو اتكالا على فضل الله فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب مع بقاء أصل الإيمان نعم قد يقدم المذنب بسبب خامس يقدح في أصل الإيمان
وهو كونه شاكا في صدق الرسول وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب تناول ما يضره في المرض فإن كان المحذر ممن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطب فيكذبه أو يشكل
فيه ولا يبالي به فهذا هو الكفر فإن قلت فما علاج الأسباب الخمسة فأقول هو الفكر وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول وهو تأخر العقاب
أن كل ما هو آت قريب وأن غدا للناظر قريب وأن الموت أقرب إلى كل أحد من شراك نعله فما يدريه لعل الساعة قريب والمتأخر إذا وقع صار ناجزا ويذكر
نفسه أنه أبدا في دنياه يتعب نفسه في الحال لخوف أمر في الاستقبال إذ يركب البحار ويقاسي الأسفار لأجل الربح الذي يظن أنه يحتاج إليه في ثاني الحال بل لو
مرض وأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت وكان الماء البارد ألذ الأشياء عنده تركه مع أن الموت ألم لحظة إذا لم يخف
ما بعده ومفارقة الدنيا لا بد منها فكم نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أزلا وأبدا فلينظر كيف يبادر إلى ترك ملاذه بقول ذمي لم تقم معجزة على طبه
فيقول كيف يليق بعقلي أن يكون قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة ولا يشهد له إلا عوام الخلق وكيف يكون
عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة مقداره خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف
نفسه تركها ويقول إذا كنت لا أقدر على تركها في أيام العمر وهي أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبد الآباد وإذا كنت لا أطيق ألم الصبر فكيف
أطيق ألم النار وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كثرة همومها وكدوراتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر عن نعيم الآخرة
وأما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويف لأن المسوف يبني الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء فلعله لا يبقى و
إن بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال إلا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف إذ تتأكد
بالاعتياد فليست الشهوة التي أكدها الإنسان بالاعتياد كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك المسوفون لأنهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون
أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبدا شاق وما مثال المسوف إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة
فقال أؤخرها سنة ثم أعود إليها وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا أعظم
من حماقته إذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فأخذ ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف وأما المعنى الرابع وهو انتظار
عفو الله فعلاجه ما سبق وهو كمن ينفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل الله أن يرزقه العثور على كنز في أرض خربة فإن إمكان العفو

من الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من يوقع النهب على الظلمة في بلده وذخاير امواله في صحن داره وقدر على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال
انتظر من فضل الله ان يسلط غفلة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ الى داري واذا انتهى الى داري مات على باب الدار فان الموت ممكن والغفلة ممكنة
فانا انتظر ذلك فهذه الحماقة واما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الاسباب التي تعرف صدق الرسل وذلك يطول ولكن يمكن علاجه بعلم قريب يليق
بحد عقله فيقال له ما قاله الانبيا المويدون بالمعجزات صدقه هل هو ممكن او تقول اعلم انه محال كما اعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة
واحدة فان قال اعلم استحالته كذلك فهو احمق معتوه وكانه لا وجود لمثل هذا في العقلا وان قال انا شاك فيقال فلو اخبرك شخص واحد مجهول
عندك وانت تاكل طعاما بان حية قد ولغت فيه والقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تاكله او تتركه وان كان الذ الاطعمة فيقول اتركه لا
محالة لاني اقول ان كذب فلا يفوتني الا هذا الطعام والصبر عنه وان كان شديدا فهو قريب وان صدق فيفوتني الحيوة والموت بالاضافة الى الم الصبر
على الطعام واضاعته اشد فيقال يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الانبيا كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة العلما والحكما والاوليا بل جميع اصناف
العقلا ولست اعني بهم جهال العوام بل ذوي الالباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلا الا من صدق باليوم الاخر
واثبت ثوابا او عقابا وان اختلفوا في كيفيته فان صدقوا فقد اشرفت على عذاب يبقى ابد الاباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية
المكدرة فلا يبقى له توقف ان كان عاقلا مع هذا الفكر اذ لا نسبة لمدة العمر الى ابد الاباد بل لو قدرنا الدنيا مملوة بالذرة وقدرنا طايرا يلتقط في كل الف
الف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص من ابد الاباد شي فكيف يفتر راي العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لاجل سعادة تبقى ابد الاباد
وذلك لا منتهى له ولذلك قال ابو العلا المعري زعم المنجم والطبيب كلاهما لن تحشر الاموات قلت اليكما ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما
ولذلك قال علي لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان شاكا ان صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا والا فقد تخلصنا وهلكت اي العاقل يسلك طريق
الامن في جميع الاحوال فان قلت هذه امور جلية ولكنها ليست تنال الا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر واستثقلته وما علاج القلوب لردها الى
الفكر لا سيما من امن باصل الشرع وتفصيله فاعلم ان المانع من الفكر امران احدهما ان الفكر النافع هو الفكر في اهوال الاخرة وعقباتها وشدايدها
وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم وهذا فكر لداغ مولم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في امور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة
والثاني ان الفكر شغل في الحال مانع من لذايذ الدنيا وقضا الشهوات وما من انسان الا وله في كل حال من احواله وفي كل نفس من انفاسه شهوة قد تسلطت
عليه واسترقته فصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة فيه او في تعاطي قضا الشهوة والفكر يمنعه من ذلك
واما علاج هذا المانع فهو ان يقول لقلبه ما اشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده تالما بذكره مع استحقار الم مواقعته فكيف تصبر
على مقاساته اذا وقع وانت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتالم به واما الثاني وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا فهو ان يتحقق
ان فوات لذات الاخرة اشد واعظم فانها لا اخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية
عن كدر وكيف وفي التوبة عن المعاصي والاقبال على الطاعات تلذذ بمناجاة الله سبحانه واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الانس به ولو لم يكن
للمطيع جزا على عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله لكان ذلك كافيا فكيف بما يضاف اليه من نعيم الاخرة نعم هذه اللذة
لا تكون في ابتدا التوبة ولكن بعد الصبر عليها مدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا فالنفس قابلة ما عودتها تتعود والخير عادة و
الشر لجاجة فاذا هذه الافكار هي المهيجة للخوف المهيج لقوة الصبر عن اللذات ومهيج هذه الافكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقرع القلب باسباب
تتفق لا تدخل في الحصر فيصير الفكر موافقا للطبع فيميل القلب اليه ويعبر عن السبب الذي اوقع الموافقة بين الطبع وبين الفكر الذي هو سبب الخير
بالتوفيق اذ التوفيق هو التاليف بين الارادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الاخرة وقد روي في حديث طويل ... قال
يا امير المومنين اخبرنا عن الكفر على ما بني فقال على اربع دعايم على الجفا والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلما
ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الاماني فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب فما ذكرناه بيان لبعض افات الغفلة
عن التفكر وهذا القدر في التوبة كاف واذا كان الصبر ركنا من اركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فنذكره في كتاب مفرد ان شا الله تعالى تم كتاب التوبة بحمد الله وعونه

بسم الله الرحمن الرحيم

## كتاب الصبر والشكر

الحمد لله اهل الحمد والثنا
المتفرد برداء الكبريا المتوحد بصفات المجد والعلا المويد صفوة الاوليا بقوة الصبر على السرا والضرا والشكر على البلا والنعما والصلوة على محمد



سيد الانبيا وعلى آله سادة الاصفيا وعلى اصحابه ائمة الاتقيا صلوة محروسة بالدوام عن الفنا ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضا
اما بعد فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الاثار وشهدت له الاخبار وهما ايضا وصفان من اوصاف الله تعالى
واسمان من اسمائه الحسنى اذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الايمان ثم هو غفلة عن وصفين من اوصاف الرحمن ولا سبيل
للوصول الى القرب من الله تعالى الا بالايمان وكيف يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به الايمان ومن به الايمان والتقاعد عن معرفة الصبر و
الشكر تقاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك ما به الايمان فما احوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط
احدهما بالاخر ان شا الله تعالى الشطر الاول في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف اسمائه باختلاف
متعلقاته وبيان اقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة الى الصبر وبيان دوا الصبر وما يستعان به عليه فهذه سبعة فصول وهي
تشتمل على جميع مقاصده

### بيان فضيلة الصبر

قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القران في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات
والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال
ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى اولئك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة
الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر وانه نصف الصبر قال الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به فاضافه الى نفسه من بين
العبادات ووعد الصابرين بانه معهم فقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا
يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فالهدى
والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين واستقصا جميع الايات في مقام الصبر يطول واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سيا
تي بيانه وقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل
ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف ان تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السما عند ذلك فمن صبر
واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرا قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وروى جابر انه سئل رسول الله
عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال ايضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله الحج عرفة وقال ايضا افضل الاعمال
ما اكرهت عليه النفوس وقيل اوحى الله الى داود تخلق باخلاقي وان من اخلاقي اني انا الصبور وفي حديث عطا عن ابن عباس لما دخل رسول الله
على الانصار فقال امومنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة ايمانكم قالوا نشكر على الرخا ونصبر على البلا ونرضى بالقضا فقال
مومنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله
لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار في هذا لا تحصى واما الاثار فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري
عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل من الاخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله تعالى واعلم ان الصبر ملاك الايمان
وذلك بان التقوى افضل البر والتقوى بالصبر وقال علي كرم الله وجهه بني الاسلام على اربع دعايم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ايضا الصبر من
الايمان بمنزلة الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعم العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلوة
والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير واشار به الى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكان حبيب بن ابي حبيب
اذا قرا هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجباه اعطى واثنى اي هو المعطي للصبر وهو المثني وقال ابو الدردا ذروة الايمان
الصبر للحكم والرضى بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل واما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة
الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه

### بيان حقيقة الصبر ومعناه

اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين
ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما ينتظم من ثلثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال تثمر
الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين الى الله واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة
يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقايد وكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة والصبر على التحقيق
عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والانس والبهايم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك في

البهائم والملائكة اما في البهائم فلنقصانها واما في الملائكة فلكمالها وبيانه ان البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على
الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا واما الملائكة فانهم
جردوا للشوق الى الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة
الجلال بجند آخر يغلب الصوارف واما الانسان فانه يخلق في ابتداء الصبى ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه الا شهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه ثم يظهر فيه
شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما
ومطالبهما وليس في الصبي الا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله بفضله وسعة جوده اكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه
بمقاربة البلوغ ملكين احدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين احداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة
بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصالح العواقب بل الى مقتضى شهوتها في الحال فقط فلذلك
لا تطلب الا اللذيذ واما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطلبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات له مغبات
مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به ولكن لا قدرة له على
دفعه فافتقر الى قوة وقدرة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه
بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده كما ان نور الهداية ايضا
يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر ولنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات
بمقتضياتها باعث الهوى ولنفهم ان القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة
الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره
واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين فاذن
ترك الافعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال يثمرها المعرفة بعداوة
الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات في الدنيا والآخرة فاذا قوي يقينه اعني المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله قوي
ثبات باعث الدين واذا قوي ثباته تمت الافعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة
والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما الموكلان بهذين الجندين باذن الله وتسخيره اياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما
الموكلان بكل شخص من الآدميين واذا عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلى من رتبة الملك المقوي لم يخف عليك ان جانب اليمين الذي هو اشرف الجانبين من
جنبتي الدست ينبغي ان يكون مسلما له فهو اذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة
معرض عن صاحب اليمين ومسيء اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب له حسنة وكذا بالاسترسال معرض عن صاحب
الشمال تارك للاستمداد منه فهو به مسيء اليه فيكتب عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيكتب له به حسنة وانما تثبت هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما
كاتبين اما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة واما الكاتبون فلاثباتهما الحسنات والسيئات وانما يكتبان في صحائف مطوية في سر
القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجملة ما يتعلق بهما من عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وكل شيء من عالم
الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى واعني بالقيامة الصغرى حالة
الموت اذ قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال له ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وفيها يقال كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا واما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى
النار زمرا لا آحادا والهول الاول هو هول القيامة الصغرى ولجميع اهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان ارضك
الخاصة بك تتزلزل في الموت فانك تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلدة صدق ان يقال قد زلزلت ارضهم وان لم تتزلزل البلاد المحيطة بها بل لو تزلزل مسكن
الانسان وداره فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت عليه
من غير نقصان واعلم انك ارضي مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك فقط واما بدن غيرك فليس بحظك والارض التي انت جالس عليها بالاضافة

الى بدنك ظرف ومكان وانما تخاف من تزلزله ان تتزلزل بدنك بسببه والا فالهواء ابدا متزلزل وانت لا تخشاه اذ ليس تتزلزل به بدنك فحظك
من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهي ارضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال ارضك ورأسك سماء ارضك وقلبك شمس ارضك وسمعك وبصرك
وسائر حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر ارضك وشعورك نبات ارضك واطرافك اشجار ارضك وهكذا الى جميع اجزائك فاذا انهدم بالموت
اركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها فاذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال
نسفا فاذا اظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا فاذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذا انشق دماغك
فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالاخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار
تعطيلا فاذا فارق الروح الجسد فقد حملت الارض فمدت حتى القت ما فيها وتخلت ولست اطول بموازنة جميع الاهوال والاحوال ولكني اقول بمجرد الموت يقوم
عليك هذه القيامة ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي تنتفع
بالكواكب والاعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانه قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة
غيره ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه اذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن لا رأس له فلا سماء له فمن اين تنفعه السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى والخوف
بعد اسفل والهول بعد مؤخر وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال واعلم ان هذه
الصغرى وان طولنا في وصفها فانا لم نذكر عشر عشير اوصافها فهي بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان
ولادتين احداهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام وهو في الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم وله في سلوكه الى الكمال منازل واطوار من
نطفة وعلقة ومضغة وغيرها الى ان يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم
الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا الى الرحم بل اوسع واعظم فقس الآخرة بالاولى فما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشأة الثانية الا على قياس النشأة الاولى بل اعداد النشآت ليست محصورة في اثنين واليه الاشارة بقوله تعالى ونُنشئكم
فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين
العوراء الى احد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالاعور الدجال فما اعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الاهوال
فان كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال فلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى او ما سمعت قول سيد الانبياء كفى بالموت واعظا او ما
سمعت بكربه صلى الله عليه وسلم عند الموت حتى قال اللهم هون على محمد سكرات الموت او ما تستحيي من استبطائك هجوم الموت اقتداء بالغافلين
الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فيأتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون
ويأتيهم الشيب رسولا منه فلا يعتبرون فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون افيظنون انهم في الدنيا خالدون او لم يروا كم
اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون ام يحسبون ان الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ان كل لما جميع لدينا محضرون ولكن
ما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين وذلك لانا جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم
أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولنرجع الى الغرض فان هذه تلويحات تشير الى امور هي اعلى من علوم المعاملات فنقول قد ظهر ان الصبر
عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصية الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا على
الصبيان والمجانين اذ ذكرنا ان الحسنة في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل الى الاستفادة
فلا يتصور منهما اقبال واعراض ومهما لا يمكن الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال والاعراض ولعمري انه قد يظهر مبادئ اشراق
نور الهداية عند سن التمييز وينمو على التدريج الى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح الى ان يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد الى
مضار الآخرة بل الى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوة اذا بلغ عشرا ولا يعاقب في الآخرة ولا يكتب عليه من الصحف ما ينشر في الآخرة بل
على القيم العدل والولي البر الشفيق ان كان من الابرار وكان على سمت الكرام البررة الاخيار ان يكتب على الصبي سيئته وحسنته على صحيفة
قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشر عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا شأنه في حق الصبي فقد ورث اخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال
بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والصديقين المقربين واليه الاشارة بقوله عليه السلام انا وكافل اليتيم كهاتين

كون

الصبر نصف الإيمان اعلم أن الإيمان تارة يختص في إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا
وللمعارف والأعمال أبواب وله شعب ولفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان بضعا وسبعين بابا واختلاف هذه الإطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد
من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين أحدهما أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعا فيكون للإيمان ركنان
أحدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ
اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى
والكسل فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الاعتبار
الثاني أن يطلق على الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما وله
بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الاعتبار كما كان اليقين أحد الشطرين بالاعتبار د
الأول وبهذا النظر قال ابن مسعود الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع هذا أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث
الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان
الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال عليه السلام بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لأن كمال الصبر بالصبر عن
دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان فهكذا ينبغي أن يفهم تقديرات الشرع لحدود الأحوال والأعمال في
نسبتها إلى الإيمان والأصل فيه أن يعرف كثرة أبواب الإيمان فإن اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة

**الأسامي التي تتجدد للصبر بالإضافة** بالإضافة

إلى ما عنه الصبر اعلم أن الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة من العبادات أو من غيرها
وإما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا إذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب
الآخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب إن كان صبرا عن شهوة البطن والفرج يسمى عفة وإن كان على احتمال ل
مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الهلع والجزع وهو
إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة
تسمى البطر وإن كان في حرب ومقاتلة يسمى شجاعة ويضاده الجبن وإن كان في كظم الغيظ والغضب يسمى حلما ويضاده السفه وإن كان في نائبة
من النوائب مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وإن كان في إخفاء كلام سمي كتمان السر و
سمي صاحبه كتوما وإن كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وإن كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره والأكثر
أخلاق الإيمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيمان فقال هو الصبر لأنه أكثر أعماله وأعزها كما قال عليه السلام الحج عرفة وقد جمع الله تعالى
أقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال والصابرين في البأساء والضراء إلى قوله وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فإذا هذه
أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من الأسامي يظن أن هذه أحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الأسامي مختلفة والذي
يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني أولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الأسامي فإنها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي
الأصول والألفاظ هي التوابع ومن يطلب الأصول من التوابع لا بد أن يزل وإلى الفريقين الإشارة بقوله تعالى أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن
يمشي سويا على صراط مستقيم فإن الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا إلا بمثل هذه الانعكاسات

**أقسام الصبر بحسب اختلافه في القوة**

والضعف اعلم أن باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال أحدها أن يقهر داعي الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة ويتوصل إليه بدوام م
الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون إلى هذه الرتبة هم الأقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
فهؤلاء لازموا الصراط المستقيم واستووا على الطريق القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين وإياهم ينادي المنادي يا أيتها النفس
المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية الحالة الثانية أن تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند
الشياطين ولا يجاهد ليأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا أعداء
الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله وأمر من أمر الله وإليهم الإشارة بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني



لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد إرشادهم فأعرض
عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالأماني وهو غاية الحمق
كما قال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال
أنا مشتاق إلى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست أطمع فيها أو لم يكن مشتاقا إلى التوبة ولكن قال إن الله تعالى غفور رحيم كريم فلا حاجة به
إلى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته فقد صار عقله
في يد شهوته كمسلم أسير في أيدي الكفار وهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور كان حمارا يستسخر ويسلط من كان حقه أن
يتسلط عليه وإنما استحق المسلم أن يكون متسلطا لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإنما الكافر يستحق أن يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل
بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس مسلما
الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله كان كمن استرق مسلما لكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ أعز أولاده وسلمه إلى أبغض أعدائه فانظر كيف
يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته لأن الهوى أبغض إله عبد في الأرض عند الله والعقل أعز موجود خلق في الأرض الحالة الثالثة أن
يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد لا من الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا
صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق إليه أيضا ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فإنه إما أن يغلب جميع الشهوات ت
أو لا يغلب شيئا منها أو يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض أولى كون
والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالأنعام بل هم أضل إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق
له ذلك وعطله فهو الناقص حقا والمدبر يقينا ولذلك قيل ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام وينقسم الصبر أيضا باعتبار
العسر واليسر إلى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا وإلى ما يكون من غير شدة تعب
بل يحصل بأدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر وإذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى
فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فإن الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى
حملة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته إعياء ولا لغوب ولا يضطرب فيه نفسه ولا يبهر ولا يقدر على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد
وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فإنه على الحقيقة صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما أذعنت
الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا كما سيأتي في كتاب الرضا فالرضا
أعلى من الصبر ولذلك قال عليه السلام اعبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاث
مقامات أولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثاني الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالث المحبة لما يصنع به مولاه
وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر وكأن هذا الانقسام
يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا واعلم أن الصبر أيضا ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات ت
فرض وعن المكاره نفل والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة
فتهيج غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في
الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الإيمان لا ينبغي أن يخيل إليك أن جميعه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة

**مظان الحاجة إلى الصبر وأن العبد لا يستغني عنه في حال من الأحوال**

اعلم أن جميع ما يلقاه العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين أحدهما
هو الذي يوافق هواه والآخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد
هذين النوعين أو كليهما فهو إذا قط لا يستغني عن الصبر النوع الأول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال و
الجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور
فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إليها والانهماك في ملاذها المباحة منها أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان فإن الإنسان

لطغى أن رآه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها إلا الصديقون وقال سهل التستري الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله تعالى عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وقال إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وسلم الولد مجبنة مبخلة محزنة ولما نظر إلى ابنه الحسن رضي الله عنه يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة إني لما رأيت ابني يتعثر لم أملك نفسي أن أخذته ففي ذلك عبرة لأولي الأبصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ويعلم أن ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب وأن يرعى حقوق الله في ماله بالإنفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر ما أنعم الله عليه به وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا تقدر والصبر على الحجامة والفصد إذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء النوع الثاني ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات أو المعاصي أو لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب أو لا يرتبط أوله باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهي إذن ثلاثة أقسام القسم الأول ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان الضرب الأول الطاعة والعبد يحتاج إلى الصبر عليها والصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهره فرعون من قوله أنا ربكم الأعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فأظهره إذ استخف قومه فأطاعوه وما من أحد إلا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وإن كان ممتنعا من إظهاره فإن استشاطته وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر إلا عن إضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فإذن العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع إلى الصبر على طاعته في ثلاثة أحوال الأولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعقد العزم على الإخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس وقد نبه عليه صلى الله عليه وسلم إذ قال إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا المعنى قدم الله الصبر على العمل فقال إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات الحالة الثانية حالة العمل كيلا يغفل عن الله في أثناء العمل ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الأدب إلى الآخر فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا أي صبروا إلى تمام العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم وكما قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل وهو محتاج إلى الصبر عليهما وقد جمعهما الله تعالى في قوله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى فالعدل هو الفرض والإحسان هو النفل وإيتاء ذي القربى هي المروءة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج إلى الصبر الضرب الثاني المعاصي فما أحوج العبد إلى الصبر عنها وقد جمع الله تعالى أنواع المعاصي في قوله تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال عليه السلام المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي مقتضى بواعث الهوى وأشد أنواع الصبر عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة فإن العادة طبيعة خامسة فإذا انضافت العادة إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله فلا يقوى باعث الدين على قمعها ثم إن كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وأنواع المزاح المؤذي للقلوب وضروب من الكلمات التي يقصد بها الإزراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فإن ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان أحدهما نفي الغير

والثاني

والثاني إثبات النفس وبها تتم له الربوبية التي في طبعه وهي ضد ما أمر به من العبودية ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات تعسر الصبر عنها حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها وعموم الأنس بها فترى الإنسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في أعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر من أن الغيبة أشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلا إلا بأن يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن أصبح وهمومه هم واحد وإلا فإن لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس عنه القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو أوذي بفعل أو قول أو جني عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر به رسول الله فاحمرت وجنتاه ثم قال يرحم الله أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر وقال تعالى ودع أذاهم وتوكل على الله وقال تعالى واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وقال ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور أي تصبروا عن المكافأة ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم الآية وقال عليه السلام صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك ورأيت في الإنجيل قال عيسى عليه السلام لقد قيل لكم من قبل إن السن بالسن والأنف بالأنف وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الأيمن فحول إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه إزارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه يتعاون فيه على باعث الدين باعث الشهوة وباعث الغضب جميعا القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار أوله وآخره كالمصائب مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الأعضاء وبالجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضي الله عنهما الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه صبر على أداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة وصبر عن محارم الله فله ستمائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لأن كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم وأما الصبر على بلاء الله فلا يقدر عليه إلا ببضاعة الصديقين فإن ذلك شديد على النفس ولذلك قال عليه السلام أسألك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا فهذا صبر مستنده حسن اليقين وقال عليه السلام قال الله تعالى إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني إلى عواده أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فإن أبرأته أبرأته ولا ذنب له وإن توفيته فإلى رحمتي وقال داود عليه السلام يا رب ما جزاء الحزين على المصائب يبتغي مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الإيمان فلا أنزعه عنه أبدا وقال أبو سليمان والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال عليه السلام قال الله تعالى إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا وقال عليه السلام انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال عليه السلام من أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها إلا فعل الله ذلك به وقال أنس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ما أنعم الله تعالى على عبد نعمة فانتزعها منه فعوضه منها الصبر إلا كان ما عوضه منها أفضل مما انتزع منه وقرأ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم قالوا أحباؤك جاؤوا زائرين فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ويقال إن امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا عليه السلام من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك ويروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فإذا هي قد أخذت من كمه فقال بارك الله له فيها لعله أحوج إليها مني وروي عن بعضهم

انه كان مر بقتيل بسالم مولى ابي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس فاني صائم فان
عشت الى الليل شربته فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى
اختياره فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا يكون في نفسه كراهية للمصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام
الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الامور
داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر الرضى بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة عنده فاسترجعت كما روي عن
الرميصاء ام سليم رضي الله عنها انها قالت توفي ابن لي وزوجي ابو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية البيت فقدم ابو طلحة فقمت فهيأت له افطاره فجعل
يأكل فقال كيف الصبي فقلت بأحسن حال بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ اشتكى باسكن منه الليلة ثم تصنعت له احسن ما كنت اتصنع له قبل ذلك حتى اصاب مني حاجته
ثم قلت الا تعجب من جيراننا فقال وما لهم فقلت اعيروا عارية فلما طلبت منهم جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله وان الله قبضه
اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأوا
القرآن وروى جابر انه صلى الله عليه وسلم قال رأيتني دخلت الجنة فاذا انا بالرميصاء امرأة ابي طلحة وقيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة من غيره
ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع على الميت اذ يكون ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما
مات ابراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك ايضا لا يخرج عن مقام الرضا
فالمقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه اذا عظم المه وسيأتي ذلك في كتاب الرضا ان شاء الله تعالى وكتب ابن ابي نجيح يعزي
بعض الخلفاء ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم حق الله عنده فيما ابقاه له واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك
هو المأجور فيك واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه فاذا من دفع الكراهية التفكر في نعم الله تعالى عليه بالثواب
ما حبب للصابرين نعم من مكارم الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والامراض والصدقة فقد ظهر لك
بهذه القسمة ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة و
الانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وسوسة الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن واكثر جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له او
في مستقبل لا بد ان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان تضييع زمان وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد
به انسا بالله او عن فكر يستفيد به معرفة بالله ليستفيد بالمعرفة محبة الله فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات ومقصورا عليها
ولا يكون كذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره او من يتوهم انه ينازعه و
يخالف غرضه بظهور امارة له منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس في حبه حتى في اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم
وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دائم فللشيطان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جند الطير و
الشهوة عبارة عن حركة جند السير وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين و
الطين طبعه السكون والنار طبعها الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته
ساجدا للمخلوق من الطين فابى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذا حيث لم يسجد الملعون لابينا
آدم عليه السلام فلا ينبغي ان يطمع في سجوده لاولاده ومهما كف عن القلب وسوسته وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد ظهر انقياده واذعانه والانقياد
والاذعان سجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه وعلامته دلالة بالاصطلاح عليه ولو جعل وضع الجبهة على الارض
علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح بين يدي المعظم المحتشم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدهشك صدف الجوهر
عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قنع من عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب فتحقق ان الشيطان من المنظرين فلا
يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا ان تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد
الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في
القدح فانك ان اردت ان يخلو القدح من الهواء من غير ان تشغله بالماء او بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول

بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشيطان ومن غفل عن الله ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال تعالى ومن يعش
عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين
به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم يتزوج فرخه ويبيض مرة اخرى ويفرخ وهكذا يتوالد نسل
الشيطان توالدا اسرع من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده فلا تزال تتولد النار من النار ولا
ينقطع البتة بل يسري شيئا فشيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا تبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا
يبقى للشيطان مجال اذا لم تكن شهوة فاذا تأملت علمت ان اعدى عدوك شهوتك وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد
سئل عن التصوف ما هو فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن اولى بالصبر عن
ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت

## دواء الصبر وما يستعان به عليه

اعلم ان الذي انزل الداء انزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر و
ان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التي منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض
الى علم آخر وعمل آخر وكما ان اقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منها مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة
وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه شهوة بحيث ليس
يملك معها فرجه او يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه او يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه ولا يزال يحدثه بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن المواظبة
على الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اردنا ان يغلب
احدهما الآخر فلا سبيل لنا فيه الا تقوية من اردنا ان تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فاما
باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة امور احدها ان ينظر الى مادة قوتها وهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد
من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة الثاني قطع
اسبابه المهيجة له في الحال فانما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع
البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية قال صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهو سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه الا
تغميض الاجفان او الهرب من صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه الثالث تسلية النفس
بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات منه ما يغني عن المحظورات وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر
فان قطع الغذاء يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا يقمع الشهوة في حق اكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له
وجاء فهذه ثلاثة اسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فتسقط قوته والثاني
يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها والثالث يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل اليه طبعها
حتى يبقى معها من القوة ما تصبر معه على التأديب واما تقوية باعث الدين فانما تكون بطريقين احدهما اطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين و
الدنيا وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي اوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة
اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان
يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان فتارة يضعف وتارة يقوى فان قوي قوي باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وان ضعف ضعفه
وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر واقل ما اوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر الثاني ان يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى
تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرئ عليها وتقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر
منها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة فقوة الممارسين للاعمال الشاقة تزيد على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء و
الصالحين وذلك لان قواهم لم تتأكد بالممارسة فالعلاج الاول يضاهي اطماع المصارع في الخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون
سحرته عند اغرائه اياهم بموسى حيث قال وانكم لمن المقربين والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة مباشرة اسباب ذلك منذ
الصبى حتى يأنس به ويستجرئ عليه وتقوى فيه منته فترك بالكلية المجاهدة بالصبر يضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة

الهوى عليها مهما ادمن هذا منهاج العلاج في جميع انواع الصبر ولا يمكن استقصاؤه وانما اشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة واثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوساوس لا تزال تجاذبه من جانب الى جانب وهذا لا علاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء والاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم يصر الهموم هما واحدا وهو الله تعالى ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير باطن في ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله وسائر ابواب معرفة الله حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المرتبة في كل لحظة من الاذكار والقراءة والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الاوقات الا بعضها اذ لا يخلو في جميع اوقاته عن حوادث تتجدد فيشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايذاء انسان وطغيان من يخالطه اذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض اسباب المعيشة فهذا احد الانواع الشاغلة واما النوع الثاني فهو ضروري اشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب المعاش فان تهيئة ذلك ايضا يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له اكثر الاوقات ان لم يهجم به ملمة وواقعة وفي تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر الفكر وينكشف فيه من اسرار الله في ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على عشر عشيره في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاء الى هذا هو اقصى المقامات التي يمكن ان تنال بالاكتساب والجهد فاما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله في الاحوال والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانها توازي اعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان المجذوب الى اسفل السافلين لا ينجذب الى اعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب اليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها اسباب سماوية اذ قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وهذا من اعلى انواع الرزق والامور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى ييسر الله اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب اجله كالذي يصلح الارض وينقيها من الحشيش ويبث فيها البذر وكل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدري متى يقدر الله اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله انه لا يخلي سنة عن مطر فكذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغي ان يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الارادة والاخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة كما يقوي انتظار الامطار في اوقات الربيع وعند ظهور الغيم يقوي انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وايام رمضان فان الهمم والانفاس اسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته حتى تستدر بها الامطار في اوقات الاستسقاء وهي لاستدرار امطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت اشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من اقطار الجبال والبحار بل الاحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانما انت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج الا الى ان تنكسر الشهوة وترفع الحجاب فتشرق انوار المعارف من باطن القلب فاظهار ماء الارض بحفر القنى اقرب واسهل من استدرارها اليها من مكان بعيد منخفض عنها ولكونه حاضرا في القلب ومنسيا بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الايمان تذكرا فقال وليتذكر اولوا الالباب وقال ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وانما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر وقال الجنيد رحمه الله السير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب الحق شديد والسير من النفس الى الله صعب شديد والصبر مع الله اشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق واشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان لذة الغلبة والرياسة والاستعلاء والاستتباع اغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون اغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة للامور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وليس القلب مذموما على حبه ذلك وانما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر اذ حسده على كونه من عالم الامر فاضله واغواه وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب الا بقاء لا فناء له وعزا لا ذل فيه وامنا لا خوف فيه وغنى لا فقر معه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها من اوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد ان يطلب ملكا عظيما لا آخر له وطالب الملك طالب العلو

والعز

والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان ملك مشوب بانواع الالام ومخوف سريع الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا الم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا في العاجلة فجاءه الشيطان وتوسل اليه بواسطة العجلة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل اليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال عليه السلام الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر امكانه ولم يتدل الموفق بحبل غروره اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة فعبر تعالى عن المخذولين وقال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وقال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق ارسل الله الملائكة الى الرسل واوحى اليهم بما على الخلق من اهلاك العدو واغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا اصل له ان سلم ولا دوام له اصلا فنادوا فيهم يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم الآية فالتوراة والانجيل والزبور وصحف موسى وكل كتاب منزل ما انزل الا لدعوة الخلق الى الملك الدائم المخلد والمراد منهم ان يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة اما ملك الدنيا فالزهد فيها والقناعة منها باليسير واما ملك الآخرة فالقرب من الله بادراك بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل فيه وقرة عين اخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه بان ملك الآخرة يفوت به اذ الدنيا والآخرة ضرتان ولعلمه بان الدنيا لا تسلم له ايضا ولو كانت تسلم لكان يحسده ايضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهم في التدبيرات وكذلك اسباب الجاه ثم لا تسلم ويتم الاسباب ينقضي العمر حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا وقال واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا والزهد في الدنيا لما ان كان ملكا حاضرا حسد الشيطان عليه فصد عنه ومعنى الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين واشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة يصير عبدا للبطن والفرج وسائر الاغراض فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستسخره زمام الشهوة آخذا بمخنقه الى حيث يريد ويهوى فما اعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هل يكون الا معكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة فقال كيف اطلب منك حاجة وملكي اعظم من ملكك فقال كيف قال من انت عبده فهو عبد لي فقال كيف ذلك فقال انت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكت ذلك كله فهم عبيدي فهذا اذا الملك في الدنيا وهو الذي يسوق الى الملك في الآخرة فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة والذين وفقوا للاستبداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه فيسهل عليك حينئذ النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا في الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان الف الجاه وانس به ورسخ فيه بالعادة مباشرة اسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد وان يضيف اليه العمل وعمله في ثلاثة امور احدها ان يهرب عن موضع الجاه كيلا يشاهد اسبابه فيعسر عليه الصبر مع الاسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة للشهوة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الارض اذ قال تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني ان يكلف نفسه في اعماله افعالا بخلاف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بنقائضها حتى يترسخ باعتياده ضد ما قد ترسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة الثالث ان يراعي في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا فشيئا الى ان تنقمع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله عليه السلام ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وبقوله لا تشادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه فاذا ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه انموذج لما لم نذكره وقوانين طرق المجاهدة في كتاب

رياضة النفس من ربع المهلكات واتخذه دستورا لتعرف به علاج الصبر في جميع الأقسام التي فصلناها من قبل فإن تفصيل الآحاد يطول
ومن راعى التدريج ترقى به الصبر إلى حالة يشق عليه الصبر دونها كما كان يشق عليه الصبر معه فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان
مكروها عنده مشربا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف إلا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فإن الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا
فيشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب وإلى هذا أشير بما حكي عن بعض العارفين أنه سأل الشبلي عن الصبر أيه أشد فقال الصبر في الله فقال لا
فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله قال لا قال فأيش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى
اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر
عن الله جفاء وقد قيل في معناه الصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر في سائر الأشياء محمود وقيل أيضا الصبر يجمل في المواطن كلها إلا عليك فإنه لا يجمل
هذا ما أردنا شرحه من علوم الصبر وأسراره

الشطر الثاني من الكتاب في الشكر وفيه ثلاثة أركان الركن الأول في فضيلة الشكر
وحقيقته وأقسامه وأحكامه الركن الثاني في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة الركن الثالث في بيان الأفضل من الصبر والشكر الركن
الأول في نفس الشكر

فضيلة الشكر اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع أنه قال ولذكر الله أكبر فقال اذكروني أذكركم
واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وقال وسنجزي الشاكرين وقال تعالى مخبرا عن إبليس لأقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر
ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال لئن
شكرتم لأزيدنكم واستثنى في خمسة في الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء وقال فيكشف ما تدعون إليه إن
شاء وقال يرزق من يشاء وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من أخلاق الربوبية إذ قال تعالى والله شكور حليم و
قد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وأما الأخبار فقد
قال عليه السلام الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر وروي عن عطاء أنه قال دخلت على عائشة فقلت أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت
أي شأنه لم يكن عجبا أتاني في ليلة فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافي حتى مس جلده جلدي ثم قال يا بنت أبي بكر ذريني أتعبد لربي قالت قلت إني
أحب قربك فأذنت له فقام إلى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه
فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا
ولم لا أفعل وقد أنزل الله علي إن في خلق السماوات والأرض الآية وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا ينقطع أبدا وإلى هذا السر يشير ما روي أنه
مر بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فأنطقه الله فقال منذ سمعت قول الله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة فأنا أبكي من خوفه فسأل أن
يجيره من النار فأجاره ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة أو أشد
قسوة ولا تزول قسوته إلا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروي عنه عليه السلام أنه قال ينادى يوم القيامة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب
لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء وقال عليه السلام
الحمد رداء الرحمن وأوحى الله تعالى إلى أيوب إني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي في كلام طويل وأوحى الله أيضا في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام
إذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أستزيدهم وبالنظر إلي أزيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه فأي
المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود الشكر نصف الإيمان

حد الشكر وحقيقته اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الأصل فيورث
الحال والحال يورث العمل أما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه
ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الإحاطة بحقيقة الشكر فإن كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن
الإحاطة بكمال معانيه فالأصل الأول العلم وهو العلم بثلاثة أمور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها
يتم الإنعام ويصدر الإنعام منه عليه فإنه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل إليه النعمة من المنعم بقصد وإرادة فهذه الأمور لا بد من معرفتها هذا في
حق غير الله فأما في حق الله فلا يتم إلا بأن يعرف أن النعم كلها من الله وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد

إذ دخل

إذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الأولى في معارف الإيمان التقديس ثم إذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد و
ما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة
الثالثة إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر
حسنات ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة وقال أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله و
قال ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله ولا تظنن أن هذه الحسنات بإزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في
القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا إله إلا الله تدل على التوحيد والحمد لله تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بإزاء
هذه المعارف التي هي من أنوار الإيمان واليقين واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الأفعال فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشيء فإن رأى
لوزيره أو وكيله دخلا في إيصال ذلك إليه فهو إشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه من وجه ومن غيره من وجه فيتوزع
فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك نعم لا يستضر بتوحيده في حق الملك وكمال شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيعه الذي كتبه
بقلمه وبالكاغد الذي كتب عليه فإنه لا يفرح بالكاغد والقلم ولا يشكرهما لأنه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث
هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم أن الوكيل الموصل والخازن أيضا مضطران من جهة الملك في الإيصال وأنه لو رد الأمر إليهما ولم يكن من جهة
الملك إرهاق وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلما إليه شيئا فإذا عرف ذلك كله كان نظره إلى الخازن الموصل كنظره إلى القلم والكاغد فلا يورث ذلك
شركا في توحيده من إضافة النعمة إلى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم في يد
الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فإن الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت أم أبت كالخازن
المضطر الذي لا يجد سبيلا إلى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما أعطاك حبة مما في يده فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر
إذ سلط الله عليه الإرادة وهيج عليه الدواعي وألقى في قلبه أن خيره في الدنيا والآخرة في أن يعطيك ما أعطاك وأن غرضه المقصود في الحال
والمآل لا يحصل إلا به وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلا إلى تركه فهو إذا إنما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء
لما أعطاك ولو لم يعلم أن منفعته في منفعتك لما نفعك فهو إذا إنما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى هو
يرجوها وإنما الذي أنعم عليك هو الذي سخره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والإرادات ما صار به مضطرا إلى الإيصال إليك فإن عرفت
الأمور كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى في مناجاته
إلهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم أن ذلك مني فكانت معرفته شكرا فإذا لا تشكر إلا بأن تعرف أن الكل منه فإن خالجك
ريب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل به وبغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك
ينقص عملك فهذا بيان هذا الأصل الأصل الثاني الحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو
أيضا في نفسه شكر على تجرده كما أن المعرفة شكر ولكن إنما يكون شكرا إذا كان جامعا شروطه وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالإنعام
ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلا فنقول الملك الذي يريد الخروج إلى سفر فأنعم بفرس على إنسان يتصور أن يفرح المنعم عليه
بالفرس من ثلاثة أوجه أحدها أن يفرح بالفرس من حيث إنه فرس وأنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وأنه جواد نفيس وهذا فرح من لا
حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فأخذه لكان فرحه مثل هذا الفرح الوجه الثاني أن يفرح به لا من حيث إنه
فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح
به أصلا لاستغنائه عن الفرس أو لاستحقاره له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث أن يفرح به ليركبه فيخرج في
خدمة الملك ويحتمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقي إلى درجة الوزارة من حيث إنه ليس يقنع بأن يكون محله في قلب الملك أن
يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لأن لا ينعم الملك بشيء من ماله على أحد إلا بواسطته ثم إنه ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة
أيضا بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالأول
لا يدخل فيه معنى الشكر أصلا لأن نظر صاحبه مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا حال كل من فرحه بنعمة من حيث إنها لذيذة وموافقة

الغرض فهو بعيد عن معنى الشكر الا بنيته داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي
تستحثه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجا لثوابه واما الشكر التام في الفرح
الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله من حيث انه يقدر بها على التوصل بها الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام
فهذه هي الرتبة العليا وامارته انه لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن سبيله
لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد مهملج بل من حيث انه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه
منه ولذلك قال الشبلي الشكر روية المنعم لا روية النعمة وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه
رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ
في حال الصحة الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى
الاشيا الحلوة ويستحلي الاشيا المرة حتى قيل ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الما الزلالا فاذا هذا شرط الفرح بنعمة الله فان لم يكن اهل يجري
فان لم يكن هذا فالدرجة الثانية اما الدرجة الاولى فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكم من فرق
بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها اليه الاصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب
وباللسان وبالجوارح اما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح فاستعمال
نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان يستر كل عيب يراه لمسلم وشكر الاذنين ان يستر كل عيب
يسمعه فيدخل هذا في جملة شكر هذه الاعضا والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مامور به وقد قال عليه السلام لرجل كيف اصبحت قال بخير فاعاد
السوال فاعاد حتى قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال هذا الذي اردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر ليكون الشاكر
مطيعا والمستنطق له مطيعا وما كان قصدهم قصد الريا باظهار الشوق وكل عبد يسل عن حال فهو بين ان يشكر الله او يشكو او يسكت فالشكر طاعة
والشكوى معصية قبيحة من اهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شي الى عبد مملوك لا يقدر على شي فالاحرى بالعبد ان لم يحسن
الصبر على البلا والقضا وافضى به الضعف الى الشكوى ان يكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلي وهو القادر على ازالة البلا وذل العبد لمولاه عز والشكوى
والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله قبيح قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق
الاية وقال ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم
فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير المومنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما
الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة فقد امننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئنا نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي اصول معاني
الشكر المحيطة بمجموع حقيقته واما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض احوال القلب
وقول من قال ان الشكر هو الثنا على المحسن بذكر احسانه نظر الى مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بادامة
حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيها طفيليا اشارة الى
معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة اشارة الى حال من احوال القلب على الخصوص فهذه اقوالهم تعرب
عن احوالهم ولذلك تختلف اجوبتهم ولا تتفق ثم قد تختلف جواب كل واحد في حالتين لانهم لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم
عما لا يهمهم او يتكلمون بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا على القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي ان تظن ان ما ذكرناه طعن
عليهم وانه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل اصلا الا ان يعرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم
الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني او يتناول بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون من توابعها ولوازمها ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح
موضوعات اللغة فليس ذلك من علم طريق الاخرة في شي

طريق لكشف الغطا عن الشكر في حق الله لعلك يخطر ببالك ان الشكر انما يعقل في حق

منعم هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر الملوك اما بالثنا لنزيد محلهم في القلوب ونظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم او بالخدمة التي هي اعانة
لهم على بعض اغراضهم او بالمثول بين ايديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم الا بشي من ذلك وهذا محال

في حق الله تعالى من وجهين احدهما انه منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الحشمة والجاه بالثنا و
الاطرا وعن تكثير سواد الحشم بالمثول بين يديه راكعا او ساجدا فشكرنا اياه بما لا حظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا او نركع او نسجد
اذ لا حظ للملك فيه والله تعالى غني عن افعالنا كلها والوجه الثاني ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة اخرى من نعم الله اذ جوارحنا وقدرتنا و
ارادتنا وسائر الامور التي هي اسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمه فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو اعطانا الملك مركوبا فاخذنا مركوبا اخر له وركبناه
او اعطانا مركوبا اخر لم يكن الثاني شكرا للاول بل كان الثاني يحتاج الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى فيودي الى ان يكون الشكر محالا
في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولسنا نشك في انه ممكن جمعا وقد ورد به الشرع فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام
وكذلك لموسى فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ اخر وشكري لك نعمة اخرى منك توجب علي الشكر لك فاوحى الله
تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر اخر اذا عرفت ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا فان قلت فقد فهمت السوال وفهمي قاصر عن ادراك
فهم ما اوحي اليهم فاني اعلم استحالة الشكر لله فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا افهمه فان هذا العلم ايضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع
الى ان من لم يشكر فقد شكر وان قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن درك السر فيه فاعلم ان ذلك طال فهو في نفسه فاعلم
ان هذا باب من المعارف وهي اعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها الى لمحات ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه
الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شي هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ازلا وابدا لان
الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس
له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي
لو قدر عدم غيره بقي موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غيره فاذا ليس في
الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فاذا نظرت من هذا المقام علمت ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب
ومن هنا نظر حبيب بن ابي حبيب حيث قرا قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب فقال واعجباه اعطى واثنى واشار الى انه اذا اثنى على عطائه
فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن هنا نظر الشيخ ابو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم
فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه اشار الى انه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقلك فلا يخفى عليك ان المصنف اذا احب تصنيفه
فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه والوالد اذا احب ولده من حيث انه ولده فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله فهو تصنيف
الله وصنعته فان احبه فما احب الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبالحري ان يحب ما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس
اي فني عن نفسه وعن غيره فلم ير الا الله تعالى فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فني وطول ظله اربعة اذرع ولعله ياكل في كل يوم ارطالا من الخبز
فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم وضروب العارفين ان يكونوا ضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا
يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون الى قوله عليهم حافظين ثم بين ان ضحك العارفين عليهم اعظم اذ قال فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون
على الارائك ينظرون وكذلك اغمز نوح كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فهذا احد النظرين
النظر الثاني نظر من لم يبلغ الى مقام الفنا عن نفسه وهولا قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود انفسهم وانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهولا هم
العميان المنكوسون وعماهم في كلتا العينين لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت و
كل قائم فقائم به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا لعلموا انهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث اوجدوا لا
من حيث وجدوا وفرق بين الموجود والموجد وليس في الوجود الا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم
وقيوم والموجد هالك وفان واذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام القسم الثاني ليس بهم عمى ولكن بهم عور يبصرون باحدى العينين
وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عماها لم يبصر بها فنا غير الموجود الحق فاثبت موجودا اخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا
كما ان الذي قبله جاحد تحقيقا فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا وربا فبهذا القدر من اثبات التفاوت والنقص
في الموجود الاخر دخل في حد التوحيد ثم ان اكتحل بصره بما يزيد في انواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما اثبته سوى الله

فان بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به النقصان الى المحو فيمحى عن رؤية ما سوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث ادرك نقصان
وجود ما سوى الله دخل في اوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فبها تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة على السنة رسله هي الكحل الذي
يحصل به انوار الابصار والانبياء هم الكحالون وقد جاءوا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه ان لا يرى الا الواحد الحق والواصلون
الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا انما نعبدهم
ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين في اوائل ابواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الاحوال فيلوح له
حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز وقيل لكل الى شأو العلا حركات ولكن عزيز في الرجال ثبات
ولما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقيل له واسجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك فقوله اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله عن فعله ثم اقترب ففني عن
مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم راى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب وترقى من مقام مشاهدة
الصفات الى مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ولكن راى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففني عن
مشاهدة نفسه اذ راى ذلك نقصانا واقترب فقال لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله لا احصي خبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدتها وقوله
انت كما اثنيت على نفسك بيان انه المثني والمثنى عليه وان الكل منه بدأ واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه فكان اول مقامه نهاية مقامات الموحدين وهو ان
لا يرى الا الله وافعاله فيستعيذ من فعل بفعل فانظر الى ماذا انتهت نهايته اذ انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ولقد كان
صلى الله عليه وسلم لا يرقى من رتبة الى رتبة اخرى الا ويرى الاول بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله من الاول ويرى ذلك نقصا في سلوكه وتقصيرا في مقامه
واليه الاشارة بقوله عليه السلام انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها بعد البعض اوائلها وان
كان مجاوزا اقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى اواخرها فكان استغفاره لذلك ولما قالت عائشة اليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال افلا اكون عبدا شكورا معناه افلا اكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى لئن
شكرتم لازيدنكم واذا تغلغلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول الانبياء بعثوا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد
الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك
يكون النظر بمشاهدة اخرى ومقام اخر فيطرح ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة السكر والشاكر والمشكور ولا نعرف ذلك الا بمثال فنقول
يمكنك ان تفهم ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعد عنه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك
ثم يكون له حالتان احديهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له غنا في خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ في
العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة تغني عنه غنا وغيبته لا تنقص من ملكه فلا يكون قصده من الانعام عليه بالمركوب
والزاد الا ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وبانتفاعه فمنزلة العباد من الله في المنزلة الثانية لا في المنزلة
الاولى فان الاولى محال على الله والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد المركوب والوصول الى حضرته ما لم يقم بخدمته التي
ارادها الملك منه واما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك قد يكون شاكرا وقد يكون كافرا ويكون شكره بان يستعمل ما انعم به مولاه فيما احبه
لاجله لا لاجل نفسه وكفرانه ان يستعمل ذلك فيه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد في البعد عنه فمهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا
في الطريق فقد شكر مولاه اذ استعمل نعمته في محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته واخذ يبعد عنه فقد كفر نعمته اي استعملها
فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركبه في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر نعمته ايضا اذ اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو
بعد عنه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل بها ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب
منه فما اعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم
رددناه اسفل سافلين الى اخر السورة فاذا نعم الله تعالى الات يترقى العبد بها عن اسفل سافلين خلقها الله لاجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله غني عنه
قرب او بعد والعبد فيه بين ان يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه وبين ان يستعملها في معصيته فقد كفر لاقتحامه ما كرهه مولاه ولا رضاه

اذ ان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها فلم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران النعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا
انما خلق آلة للعبد ليتوصل به الى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعم الله تعالى في الاسباب التي استعملها في
الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال او عاص استعمل ذلك في طريق البعد فهو كافر في نعمة محبة الله فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولكن
لا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه وقد انحل بهذا
الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر وبهذا ايضا ينحل الثاني فانا لم نعن بالشكر الا انصراف نعم الله تعالى في جهة
محبة الله تعالى فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله تعالى فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث انك محله فقد اثنى عليك وثناؤه
نعمة اخرى منه اليك فهو الذي اعطى وهو الذي اثنى وصار احد فعليه سببا لانصراف فعله الاخر الى جهة محبته فله الشكر على كل حال وانت
موصوف بانك شاكر بمعنى انك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى انك موجد له كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك خالق العلم و
موجده ولكن بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية لك وانت شيء اذ جعلك جاعل الاشياء شيئا وانت
انت لا شيء اذا كنت انت بانفسك شيئا من ذاتك فاما عند النظر الى الذي جعل الاشياء اشياء فانت شيء اذ جعلك شيئا فان قطعت النظر
عن جعله شيئا لست انت شيئا محضا ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له لما قيل له ففيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها
من قبل فتبين ان الخلق مجاري قدرة الله تعالى ومحل افعاله وان كانوا هم ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله محل للبعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على
لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو فعل من افعاله وهو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وعلمهم فعل من افعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة
الى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية ايضا من افعال الله وهو سبب لحركة الاعضاء وهي ايضا من افعال الله ولكن بعض افعاله سبب للبعض اي الاول
شرط للثاني كما ان خلق الجسم سبب لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الارادة والكل من
افعال الله وبعضها سبب للبعض اي هو شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد لقبول فعل الحياة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة
الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره بل ممهد لشرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة
التوحيد الذي ذكرناه فان قلت فلم قال الله تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما الينا شيء فكيف نذم وانما الكل
الى الله فاعلم ان هذا القول من الله سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار
الغرور وذلك سبب الوصول الى جوار الله تعالى والله تعالى مسبب الاسباب ومرتبها فمن سبق له في الازل السعادة تيسر له هذه الاسباب حتى يقوده
بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله بان كلا ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء فاذا لم يسمع
لم يعلم فاذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقي في حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين فاذا عرفت هذا
تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من احد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو
مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة وفدا والمجرمون يساقون الى النار وردا ولا قاهر الا الواحد القهار
ولا قادر الا الملك الجبار واذا انكشف الغطاء عن ابصار الغافلين فشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان
الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال
حين لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله من الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك

## بيان تمييز ما يحبه الله عما يكرهه

اعلم ان فعل الشكر وترك الكفران
لا يتم الا بمعرفة ما يحبه الله اذ معنى الشكر استعمال نعمه في محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك اما بترك الاستعمال او باستعمالها في مكارهه ولتمييز ما يحب
الله عما يكرهه مدركان احدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل
ذلك عزيز فلذلك ارسل الله الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفته تنبني على معرفة احكام الشرع في افعال العباد فمن لا يطلع على حكم الشرع
في جميع افعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر اصلا واما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه اذ ما خلق شيئا في
العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية وخفية اما الجلية فكالعلم بان من الحكمة في
خلق الشمس ان يحصل بها الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فتتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس

لا يكمل الحكم فيها بل فيها حكم أخر كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول الأمطار وذلك لانشقاق الأرض بأنواع النبات مطعما للخلق
ومرعى للأنعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي يحتملها أفهام الخلق دون الدقيقة التي يقصرون عن فهمها إذ قال تعالى أنا صببنا الماء
صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا الآيات وأما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة
الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق أنها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر إليها وأشار إليه قوله تعالى إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فجميع أجزاء
العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة إلى عشرة إلى ألف
وكذلك أعضاء الحيوان تنقسم إلى ما تعرف حكمتها كالعلم بأن العين للإبصار لا للبطش واليد للبطش لا للمشي والرجل للمشي لا للشم فأما الأعضاء الباطنة
من الأمعاء والمرارة والكلية والكبد وآحاد العروق والأعصاب والعضلات وما فيها من التجويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة
والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها كافة الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها إلا قدرا يسيرا بالإضافة إلى ما في علم الله وما أوتيتم من العلم
إلا قليلا فإذا كل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر نعمة الله فيه فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد
إذ خلقت اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره ومن نظر إلى وجه غير محرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس إذ الإبصار يتم بهما وإنما
خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما فقد استعملهما في غير ما أريد به ولا وصول إلى الله إلا بمحبته والأنس به في الدنيا والتجافي
عن غرور الدنيا ولا أنس إلا بدوام الذكر ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن ولا يبقى
البدن إلا بالأرض والماء والهواء والغذاء ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض وخلق سائر الأعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لأجل البدن والبدن مطية
النفس والراجع إلى الله هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة ولذلك قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فكل من استعمل شيئا في غير
طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لا بد منها لإقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبر
بها وتعلم طريق الشكر والكفران على النعم فنقول من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في أعيانهما ولكن
يضطر الخلق إليهما من حيث إن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج إليه ويملك ما يستغني عنه
كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج إلى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج إلى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من
تقدير إذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشتري
دارا بثياب أو عبدا بخف أو دقيقا بحمار فهذه الأشياء لا تناسب فيها فلا يدرى أن الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه
الأعيان المتنافرة المتباعدة إلى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى إذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم
بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله الدراهم والدنانير حاكمين متوسطين بين سائر الأموال حتى تقدر الأموال بهما فيقال هذا الجمل يساوي
مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما من حيث إنهما متساويان بشيء واحد إذا متساويان وإنما أمكن التعديل بالنقدين إذ لا غرض في أعيانهما
ولو كان في أعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الأمر فإذا
خلقهما الله لتتداولهما الأيدي ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل ولحكمة أخرى وهي التوسل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عزيزان في أنفسهما ولا
غرض في أعيانهما ونسبتهما إلى سائر الأموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوبا فإنه لم يملك إلا الثوب فلو احتاج إلى طعام
ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لأن غرضه في دابة مثلا فاحتيج إلى شيء هو في صورته كأنه ليس بشيء وهو في معناه كأنه كل الأشياء والشيء
إنما تستوي نسبته إلى المختلفات إذا لم يكن له صورة خاصة تفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو
وسيلة إلى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما أيضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل
فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فإذا من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس
حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لأنه إذا كنز فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة
إذ لا غرض للآحاد في أعيانهما فإنهما حجران وإنما خلقا لتتداولهما الأيدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب
فأخبر الله الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط إلهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر

بل بعين

بل بعين البصيرة أخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه وفهموه من رسوله حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن إدراكه فقال تعالى
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان
أسوأ حالا ممن كنز لأن مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكنس والأعمال التي يقوم بها أخساء الناس والحبس أهون منه وذلك لأن الخزف
والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن أن تتبدد وإنما الأواني لحفظ المائعات ولا يكفي الخزف والحديد في
المقصود الذي أريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا انكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له من شرب من آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم
وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لأنهما خلقا لغيرهما لا لأنفسهما إذ لا غرض في عينهما فإذا اتجر في عينهما فقد اتخذ
مقصودا على خلاف وضع الحكمة إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاما ودابة إذ ربما لا يباع
الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به إلى مقصوده فإنهما وسيلتان إلى الغير لا غرض في أعيانهما وموقعهما
من الأموال كموقع الحرف من الكلام كما قال النحويون إن الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع المرآة من الألوان فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه
بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل إلى الغير ظلم كما أن حبسه
ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم فإن قلت فلم جاز بيع أحد النقدين بالآخر ولم جاز بيع الدرهم
بمثله فاعلم أن أحد النقدين يخالف الآخر في مقصود التوصل إذ قد يتيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلا
قليلا ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوسل به إلى غيره وأما بيع الدرهم بالدرهم بمثله فجائز من حيث إن ذلك لا يرغب فيه
عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فإنه عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه ونحن لا نخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم
إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه فلا نمنع مما لا تتشوف النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا يتصور جريانه إذ صاحب الجيد لا
يرضى بمثله من الرديء فلا ينتظم العقد وإن طلب زيادة في الرديء فذلك مما يقصد فلا جرم نمنعه منه ونحكم بأن جيدها ورديئها سواء لأن الجودة و
الرداءة ينبغي أن ينظر إليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مصافاة دقيقة في صفاته وإنما الذي ظلم هو الذي ضرب
النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقها أن لا تقصد وأما إذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فإنما لم يجز ذلك لأنه لا يقدم
على هذا إلا مسامح قاصد للإحسان في القرض وهو مكرمة محمودة عند لتبقى صورة المسامحة فيكون له أجر وحمد والمعاوضة لا حمد فيها ولا أجر
فهو أيضا ظلم لأنه إضاعة خصوص المسامحة وإخراجها في معرض المعاوضة وكذلك الأطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها
فإن فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الأيدي ويؤخر عنها الأكل الذي أريدت له فما خلق الطعام إلا ليؤكل والحاجة إلى الأطعمة شديدة فينبغي
أن تخرج عن يد المستغني عنها إلى المحتاج ولا يعامل على الأطعمة إلا مستغن عنها إذ من معه طعام فلم لا يأكله إن كان محتاجا ولم يجعله بضاعة
تجارة وإن جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام يكون محتاجا إليه فأما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ولهذا ورد
في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب نعم بائع البر بالتمر معذور إذ لا يسد أحدهما مسد الآخر في الغرض
وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عابث فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمح به إلا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد
بمثله من الرديء لا يرضى بها صاحب الجيد وأما جيد برديئين فقد يقصد ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوي الرديء في أصل الفائدة
ويخالفه في وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الإعراض عن فن
الفقه فلنلحق هذا بفن الشبهات فإنه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي في التخصيص بالأطعمة دون المكيلات
إذ لو دخل الجص فيه لكانت الثياب والدواب أولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك أقوم المذاهب فيه إذ خصصه بالأقوات ولكن كل معنى يرعاه
الشرع فلا بد أن يضبط بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم أحرى لكل ما هو ضرورة
البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في
اتباع جوهر المعنى الباعث على الحكم مع خفائه فربما اختلف بالأحوال والأشخاص فعين المعنى بكمال قوته يختلف بالأحوال والأشخاص فيكون الحد ضروريا ولذلك قال
الله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما حرم شرع عيسى عليه السلام

تحريم الخمر للسكر وقد حرم شرعاً لكونه من جنس المسكر لأن قليله يدعو إلى كثيره والواحد من الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس لا لأنه داخل تحت أصل المعنى
بالحكمة الأصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم الله تعالى وينبغي أن يعتبر بشكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي أن يصرف عنها ولا يعرف
هذا إلا من عرف الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يتذكر إلا
أولو الألباب ولذلك قال عليه السلام لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء وإذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك
ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فإنه إما شكر وإما كفران إذ لا يتصور أن ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي يناطق به عوام الخلق
بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالحظر وأقول مثلاً إذا استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين إذ خلق الله لك اليدين
وجعل أحدهما أقوى من الأخرى فاستحق الأقوى بمزيد رجحان في الشرف والتفضيل إذ التفضيل الناقض عدول عن العدل والله لا يأمر إلا بالعدل ثم
أحوجك من أعطاك اليدين إلى أعمال بعضها شريفة كأخذ المصحف وبعضها خسيسة كإزالة النجاسة فإذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة
باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فنقصت حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك إذا بزقت مثلاً في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء
الحاجة فقد كفرت نعمة الله في خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات ليكون متسعك في حركاتك وقسم الجهات إلى ما لم يشرفها وإلى ما
شرفها بأن وضع فيها بيتاً أضافه إلى نفسه استمالة لقلبك إليه لتتقيد بسببه ذلك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عبدت ربك وكذا
انقسمت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البزاق فإذا رميت بزاقك إلى جهة القبلة فقد ظلمتها و
كفرت نعمة الله عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لأن الخف وقاية للرجل فللرجل
فيه حظ والبداية في الحظوظ ينبغي أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الخف والرجل وهذا عند العارفين كبيرة
وإن سماه الفقيه مكروهاً حتى إن بعضهم كان قد جمع أكراراً من الحنطة وكان يتصدق بها فسئل عن سببه فقال لبست المداس مرة فابتدأت باليسرى سهواً
فأريد أن أكفره بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر في هذه الأمور لأنه مسكين بلي بإصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الأنعام
وهم منغمسون في ظلمات أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها فقبيح أن يقال للذي شرب الخمر وأخذ القدح بيساره فقد تعدى
من وجهين أحدهما الشرب والآخر الأخذ باليسار ومن باع خمراً في وقت النداء يوم الجمعة فقبيح أن يقال خالف من وجهين أحدهما بيع الخمر والآخر
البيع في وقت النداء يوم الجمعة ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبراً للقبلة فقبيح أن يذكر ترك الأدب في قضاء الحاجة من حيث لم يجعل القبلة عن
يمينه والمعاصي كلها ظلمات بعضها فوق بعض فيمحق بعضها في جنب البعض والسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ولكن لو قتل بتلك السكين
أعز أولاده لم يبق لاستعماله السكين بغير إذنه حكم ونكاية في نفسه وكل ما راعاه الأنبياء والأولياء من الآداب ونحن نسامح به في الفقه مع العوام فسببه هذه
الضرورة وإلا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد إلى درجات القرب نعم يؤثر بعضها في البعد
بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشيطان وكذلك من كسر غصناً من شجرة
من غير حاجة مهمة ناجزة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله في خلق الأشجار وخلق اليد أما اليد فإنها لم تخلق للعبث بل للطاعة والأعمال
المعينة على الطاعة وأما الشجرة فإنما خلقها الله تعالى وخلق لها العروق وساق إليها الماء وخلق فيها قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوئها فينتفع
به عباده فكسره قبل منتهى نشوئه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فإن كان له غرض صحيح فله ذلك إذ الشجر والحيوان
جعلا فداء لأغراض الإنسان فإنهما جميعاً فانيان هالكان فإفناء الأخس في بقاء الأشرف مدة ما أقرب إلى العدل من تضييعهما جميعاً وإليه
الإشارة بقوله تعالى وسخر لكم ما في الأرض جميعاً نعم إذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضاً وإن كان محتاجاً إذ كل شجرة معينة فلا تفي بحاجات
عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص كل واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلماً وصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه
في الأرض وساق إليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فترجح جانبه بذلك فإن نبت ذلك في موات الأرض لا بسعي آدمي اختص بغرسه أو بغرسه
فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه فللسابق خاصية السبق والعدل أن يكون هو أولى به وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو
مجاز إذ لا ملك إلا لملك الملوك الذي له ما في السموات والأرض وكيف يكون العبد مالكاً وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله
والأرض مائدة الله وقد أذن لهم في الأكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوى عليها براجمه فجاء آخر



وأراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لأن اللقمة صارت مملوكة له بالأخذ باليد فإن اليد وصاحب اليد أيضاً مملوك ولكن إذا كان كل لقمة لا تفي
بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والأخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يدلي بذلك الاختصاص
عن مزاحمته فهكذا ينبغي أن تفهم أمر الله في عباده ولذلك نقول من أخذ من الدنيا أكثر من حاجته وكنزه وأمسكه وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو ظالم
وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وإنما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته أموال الدنيا إذ بها تندفع ضروراتهم
وترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل هذا في حد فتوى الفقه لأن مقادير الحاجات خفية والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة وأواخر
الأعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهم بحكم نقصهم لا يطيقونه
فتركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو وإباحتنا إياهم ذلك لا يدل على أن اللهو واللعب حق وكذلك إباحتنا للعوام حفظ الأموال والاقتصار
في الإنفاق على قدر الزكوات لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على أنه غاية الحق وقد أشار القرآن إليه إذ قال إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا بل
الحق الذي لا مراء فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر زاد الراكب فكل عباد الله ركاب لمطايا
الأبدان إلى حضرة الملك الديان فمن أخذ زيادة عليه ثم منعه عن راكب آخر يحتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله
عليه في القرآن والرسول والعقل وسائر ما به يفهم أن ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله في جميع أنواع
الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج إلى مجلدات ثم لا يفي إلا بالقليل وإنما أوردنا هذا القدر لتعلم علة الصدق في
قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفرح إبليس لعنه الله بقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف هذا كله وأمور أخر
وراء هذه تنقضي الأعمار دون استيفائها وإنما ذكرنا تفسير الآية ومعنى لفظها يعرفه كل من عرف اللغة وهذا يعرفك الفرق بين المعنى و
التفسير فإن قلت فقد رجع حاصل الكلام إلى أن لله تعالى حكمة في كل شيء وأنه جعل بعض أفعال العباد سبباً لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد
منها وجعل بعض أفعالهم مانعاً من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الأسباب من
أن تنساق إلى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الإشكال باق وهو أن فعل العبد المنقسم إلى ما يتم الحكمة وإلى ما يرفعها وهو أيضاً
فعل لله فأين العبد في البين حتى يكون شاكراً مرة وكافراً أخرى فاعلم أن تمام هذا التحقيق يستمد من بحار عظيمة من علوم المكاشفة وقد
رمزنا فيه فيما سبق إلى تلويحات مبادئها ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز
عن الإيضاع في السير فضلاً عن أن يجول في جو الملكوت جولان الطير فنقول إن لله سبحانه وتعالى في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق و
الاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن في العالم لها
عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن أن يمتد طرفهم إلى مبادئ إشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش
عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في أبصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها إلى أن يستعيروا من حضيض عالم
المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادئ حقائقها شيئاً ضعيفاً جداً فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا
لله صفة هي القدرة تصدر عنها الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الأقسام واختصاصها
بخصوص صفاتها صفة أخرى استعيرت لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة فهي توهم أمراً مجملاً عند المتناطقين باللغات التي هي حروف وأصوات
والمتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الأفعال الصادرة عن القدرة إلى ما
تنساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها وإلى ما تقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة إلى الصفة المسماة مشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التي بها يتم
القسمة والاختلاف فاستعير للنسبة التي للبالغ غايته عبارة المحبة واستعير للنسبة الواقفة دون غايته عبارة الكراهة وقيل إنهما داخلان في وصف
المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة توهم لفظ المحبة والكراهة منها أمراً مجملاً عند طالبي الفهم من الألفاظ واللغات ثم انقسم عباد الله الذين
هم أيضاً من خلقه واختراعه إلى من سبقت لهم في المشيئة الأزلية أن يستعملهم في استيفاء حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهراً في حقهم بتسليط الدواعي
والبواعث عليهم وإلى من سبقت لهم في الأزل أن يستعملهم لسبب في حكمته إلى غايتها في بعض الأمور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة
فاستعير لنسبة المستعملين في إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقفت بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب وظهر على من غضب عليه

في الازل فعل وصف الحكمة به دون غايتها فاستعمله الكفران واردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال وظهر على ارتضاه في الازل فعل
استاقت الحكمة بسببه الى غايتها فاستعمله بعبادة الشكر واردف بخلعة الثنا والاطراء زيادة في الحسن والقبول والاقبال فكان الحاصل انه اعطى
الجمال ثم اثنى واعطى النكال ثم قبح وازرى وكان مثاله ان يطهر الملك عبده الوسخ عن الاوساخ ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينته قال
يا جميل ما اجملك واجمل ثيابك وانظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني على الجمال وهو المثني عليه بكل حال وكانه لم يثن من حيث المعنى الا على
نفسه وانما العبد هدف الثنا من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور في ازل الازال وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب
الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبخت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم استعير له لفظ القضا وقيل انه كلمح بالبصر فصارت
بحار المقادير بحكم ذلك القضا الجزم بما سبق به التقدير فسمي تفصيل احاد المقدرات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضا بازاء
الامر الكلي الواحد ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادي الى غير نهاية وقيل لم يشذ من ذلك شي خارجا عن القضا والقدر فخطر لبعض العباد ان
القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الامر و
الاحتوا على مجامعه فالجموا بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وامتلات مشكوة بعضهم
نورا مقتبسا من نور الله في السموات والارض وكان زيتهم اولا صافيا يكاد يضي ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نورا على نور فاشرقت
اقطار الملكوت بين ايديهم بنور ربها فادركوا الامور كما هي عليها فقيل لهم تادبوا بآداب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للحيطان
اذانا وحولكم ضعفا الابصار فسيروا بسير ضعفائكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا باخلاق الله
وانزلوا الى سما الدنيا من منتهى علوكم ليانس بكم الضعفا ويقتبسوا من بقايا انواركم المشرقة من ورا حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس
والكواكب في جنح الليل فيحيى به حيوة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحيى به حيوة المترددين في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم شربنا
شرابا طيبا عند طيب كذاك شراب الطيبين يطيب شربنا واهرقنا على الارض حظها وللارض من كاس الكرام نصيب فهكذا كان اول هذا
الامر واخره ولا تفهمه الا اذا كنت اهلا له فاذا كنت اهلا له فتحت العين وابصرت فلا تحتاج الى قائد يقودك والاعمى يمكن ان يقاد ولكن الى حد ما فاذا
ضاق الطريق وصار احد من السيف وادق من الشعر قدر الطاير على ان يطير عليه ولم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى واذا دق المجال ولطف لطف الماء
مثلا ولم يمكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى فهذه امور نسبة المشي عليها
الى المشي على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الما الى المشي على الارض والسباحة يمكن ان يتعلم فاما المشي على الما فلا يكتسب بالتعلم بل ينال
بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي عليه السلام ان عيسى يقال انه مشى على الما فقال لو ازداد يقينا لمشى على الهوا فهذه رموز واشارات الى معنى الكراهة والمحبة
والرضى والغضب والشكر والكفران ولا يليق بعلم المعاملة اكثر منه وقد ضرب الله مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق اذ عرفهم انه ما خلق الجن والانس
الا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل وروح القدس وروح الامين وهو عنده محبوب مطاع
مكين ويبغض الاخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد الى جبريل فقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال يلقي الروح من
امره على من يشا من عباده واحال الاغوا على ابليس فقال ليضلهم عن سبيله والاغوا هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسب الى
العبد الذي احبه وعندك في العادة لمثال فالملك اذا كان يحتاج الى من يسقيه الشراب والى من يحجمه وينظف فنا منزله عن القاذورات وكان له عبدان فلا يعين للحجامة والكنس
الا اقبحهما واخسهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب اللذيذ الا الى احسنهما واكملهما واحبهما اليه ولا ينبغي ان يقول هذا فعلي ولم يكن فعله على وفق ارادتي فعلي
فانك ما اخطات اذا اضفت ذلك الى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتماما للعدل
فان عدله تارة يتم بامور لا مدخل لك فيها وتارة يتم بك فانك ايضا من افعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وسائر اسباب حركاتك في التعيين من فعله الذي
رتبه بالعدل ترتيبا تصدر منه الافعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن ان ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه الى نفسك
وانما انت مثل الصبي الذي ينظر ليلا الى لعب المشعوذ الذي يخرج صورا من ورا حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مؤلفة من
خرق لا تتحرك بانفسها انما يحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤسها في يد المشعوذ وهو محتجب عن ابصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون
لظنهم ان تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد واما العقلا فانهم يعلمون ان ذلك محرك وليس بمتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض

تفصيله لا يعلم كما يعلمه المشعوذ الذي الامر اليه والحاذق به فكذلك صبيان اهل الدنيا والخلق كلهم صبيان الا العلما ينظرون الى هذه الاشخاص
فيظنون انها المتحركة فيحيلون عليها والعلما يعلمون انهم محركون الا انهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الاكثرون الا العارفين والعلما الراسخين فانهم
ادركوا بحدة ابصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل ادق منها بكثير معلقة من السما متشبثة الاطراف باشخاص اهل الارض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها
بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة منها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في ايدي الملائكة المحركين
للسموات وشاهدوا ابصار ملائكة السموات مصروفة الى حملة العرش ينتظرون ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يومرون وعبر عن هذه المكاشفات والمشاهدات في القران وقيل وفي السما رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما
ينزل عليهم من الامر والقدر فقال خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل
شي علما وهذه امور لا يعلم تاويلها الا الله والراسخون في العلم وقال ابن عباس في اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحتملها افهام الخلق حيث
قرا قوله تعالى يتنزل الامر بينهن فقال لو ذكرت ما عرفته من معنى هذه الاية لرجمتموني وفي لفظ اخر لقلتم انه كافر ولنقتصر على هذا القدر فقد
خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منها فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد
مستعملا في اتمام حكمة الله فاشكر العباد احبهم الى الله واقربهم اليه واقربهم الى الله الملائكة ولهم ايضا ترتيب وما منهم الا له مقام معلوم و
اعلاهم في رتبة القرب لهم اسرافيل واما علو درجاتهم فلانهم في انفسهم كرام بررة وقد اصلح الله بهم الانس وهم اشرف مخلوق على وجه الارض
ويلي درجتهم درجة الانبيا فانهم في انفسهم اخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته واعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم اذ اكمل الله به الدين وختم
به النبيين ويليهم العلما الذين هم ورثة الانبيا فانهم في انفسهم صالحون وقد اصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد بقدر ما اصلح من نفسه ومن غيره
ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم اصلحوا دنيا الخلق كما اصلح العلما دينهم ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا صلى الله عليه وسلم كان افضل من سائر الانبيا
فانه اكمل الله به دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبيا ثم بعد العلما السلاطين الصالحون الذين اصلحوا انفسهم فقط فلم تتم حكمة الله بهم الا فيهم
ومن عداهم فهمج رعاع واعلم ان السلطان به قوام الدين فلا ينبغي ان يستحقر وان كان ظالما فاسقا قال عمرو بن العاص امام غشوم خير من
فتنة تدوم وقال النبي عليه السلام سيكون عليكم امرا تعرفون منهم وتنكرون ويفسدون وما يصلح الله بهم اكثر فان احسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان اساوا فعليهم الوزر و
عليكم الصبر وقال سهل من انكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل وسيل اي الناس
خير فقال السلطان فقيل كنا نرى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان لله في كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة اموال المسلمين ونظرة الى سلامة
ابدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنوبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على ابوابهم خير من سبعين قاصا يقصون الركن الثاني
من اركان الشكر ما عليه الشكر وهو النعمة ولنذكر فيه حقيقة النعمة واقسامها ودرجاتها واصنافها ومجامعها فيما يعم ويخص فان احصا نعم الله
على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم امورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الاحاد

حقيقة النعمة واقسامها اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الاخروية
وتسمية ما سواها سعادة او نعمة اما غلط واما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على السعادة الاخروية نعمة فان ذلك غلط محض وقد يكون
اسم النعمة للشي صدقا ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخروية اصدق فكل سبب يوصل الى سعادة الاخرة ويعين عليها اما بواسطة واحدة او بوسائط
فان تسميته نعمة صحيحة وصدق لانه يفضي الى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات التقسيم الاول ان الامور كلها
بالاضافة الينا تنقسم الى ما هو نافع في الدنيا والاخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر
في المال كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضر في الحال ولكن ينفع في المال كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمال جميعا هو النعمة تحقيقا
كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلا تحقيقا كالجهل وسوء الخلق وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المال بلا محض عند ذوي الابصار وتظنه
الجهال نعمة ومثاله الجايع اذا وجد عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا فاذا علم ان ذلك بلا سيق اليه والضار في الحال النافع في المال نعمة
عند ذوي الالباب بلا عند الجهال ومثاله الدوا البشع في الحال المر مذاقه الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب للصحة فالصبي الجاهل
اذا كلف شربه ظنه بلا والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه اليه ويقربه منه ويهيئ له اسبابه ولذلك تمنع الام ولدها من الحجامة والاب يدعوه اليها فان الاب بكمال

عقله بالحظ العاقبة والأم لنقصان عقلها وفرط حبها تلحظ الحال والصبي بجهله يتلقى منه من لعبه دون أبيه ويأنس إليها وإلى شفقتها ويقدر أباه عدوا
له ولو عقل لعلم أن الأم عدو باطن في صورة صديق لأن منعها إياه من الحجامة يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من ألم الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر
من العدو العاقل وكل إنسان فإنه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك تعمل به ما لا يعمل به العدو. قسمة ثانية اعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة خيرها
بشرها فما يصفو خيرها كالمال والولد والأهل والأقارب والجاه وسائر الأسباب ولكن تنقسم إلى ما نفعه أكثر من ضرره كقدر الكفاية من المال والجاه و
سائر الأسباب وإلى ما ضرره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع وإلى ما يكافئ ضرره نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص فرب
إنسان صالح ينتفع بالمال الصالح وإن كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب إنسان يستضر بالقليل أيضا إذ
لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه. قسمة ثالثة اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما
هو مؤثرة لذاتها وإلى مؤثر لغيرها وإلى مؤثر لذاتها ولغيرها فالأول ما يؤثر لذاته لا لغيره كلذة النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة لقائه
وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انقضاء لها فإنها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها. الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض أصلا
في ذاته كالدراهم والدنانير فإن الحاجات لو كانت لا تنقضي بها لكانت هي والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة إلى اللذات سريعة الإيصال
إليها صارت عند الجهال محبوبة في أنفسها حتى يجمعونها ويكنزونها ويتصارفون عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب
شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الأصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته
وتفقده وهو غاية الجهل والضلال. الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فإنها تقصد ليقدر بسببها على الفكر والذكر الموصلين
إلى لقاء الله تعالى أو ليتوصل بها إلى استيفاء لذات الدنيا وتقصد أيضا لذاتها فإن الإنسان وإن استغنى عن المشي الذي يراد سلامة الرجل لأجله
فيريد أيضا سلامة الرجل من حيث إنها سلامة فإذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر لذاته ولغيره أيضا فهو نعمة ولكن دون
الأول فأما ما لا يؤثر إلا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في أنفسهما من حيث إنهما جوهران أنهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من
مقصده أمر ليس يمكن أن يتوصل إليه إلا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكان
وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة. قسمة رابعة اعلم أن
الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو الذي تدرك الراحة في الحال والنافع هو الذي يفيد في المآل والجميل هو الذي يستحسن
في سائر الأحوال والشرور أيضا تنقسم إلى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الأوصاف
الثلاثة أما في الخير فكالعلم والحكمة فإنها نافعة وجميلة ولذيذة عند أهل الحكمة والعلم وأما في الشر فكالجهل فإنه ضار وقبيح ومؤلم وإنما يحس
الجاهل بألم جهله إذا عرف أنه جاهل بأن يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذ ثم قد يمنعه الحسد والكبر
والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه فإنه إن ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان وإن اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو
بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة. الضرب الثاني مقيد وهو الذي جمع بعض هذه الأوصاف دون
بعض فرب نافع مؤلم كقطع الإصبع المتآكلة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فإنه بالإضافة إلى بعض الأحوال نافع وقد قيل
استراح من لا عقل له فإنه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال إلى أن يحين وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق
فإنه ضار للمال ونافع للنفس في نجاتها والنافع قسمان ضروري كالإيمان وحسن الخلق في الإيصال إلى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل
إذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما وما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا في تسكين الصفراء فإنه قد يمكن تسكينها بما يقوم مقامه. قسمة خامسة
اعلم أن النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض
الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات أما العقلية فكلذة العلم والحكمة إذ ليس يستلذها السمع والبصر والذوق والشم ولا البطن
ولا الفرج إنما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه أقل اللذات وجودا وهي أشرفها أما قلتها فلأن العلم لا يستلذه إلا
عالم والحكمة لا يستلذها إلا الحكيم وما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم وأما شرفها فلأنها لازمة لا تزول
أبد الآباد لا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل فالطعام يشبع منه فيمل والوقاع يفرغ منه فيستثقل والعلم والحكمة قط لا يتصور

أن يمل ويستثقل ومن قدر على الشريف الباقي أبد الآباد فرضي بالخسيس الفاني في أقرب الآماد فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وإدباره
وأقل أمر فيه أن العلم والعقل لا يحتاج إلى أعوان وحفظة بخلاف المال إذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزيد بالإنفاق والمال ينقص بالإنفاق
والمال يسرق والولاية يعزل عنها والعلم لا تمتد إليه أيدي السراق بالأخذ ولا أيدي السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الأمن أبدا وصاحب
المال والجاه في كرب الخوف أبدا ثم العلم نافع لذيذ جميل في كل حال وفي كل حين والمال يجذب تارة إلى الهلاك وتارة إلى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال
في القرآن في مواضع وإن سماه خيرا في مواضع وأما قصور أكثر الخلق عن إدراك لذة العلم فإما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشتق
إذ الشوق تبع للذوق وإما لفساد أمزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا وإما
لقصور فطنتهم إذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ إلا اللبن
وذلك لا يدل على أنها ليست لذيذة ولا استطابته للبن تدل على أنه ألذ الأشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة إما من لم يحي باطنه
كالطفل وإما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات وإما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم مرض إشارة إلى مرض العقول وقوله لينذر من
كان حيا إشارة إلى من حيي حياة باطنه وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وإن كان عند الجهال من الأحياء ولذلك كان الشهداء عند ربهم
يرزقون فرحين وإن كانوا موتى بالأبدان. الثانية لذة يشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود
في الأسد والنمر وبعض الحيوانات والثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا وهي أخسها ولذلك اشترك
فيها ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث به لذة الغلبة وهي أشدها التصاقا بالمتغافلين فإن جاوز ذلك ارتقى
إلى الثالثة فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها إلا
بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب وآخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة وأما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة
لا يقدر على كسرها إلا الصديقون فأما قمعها بالكلية حتى لا يقع الإحساس بها على الدوام وفي اختلاف الأحوال فيشبه أن يكون خارجا عن مقدور البشر
نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الإحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود إليه
الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام قلب لا يحب
إلا الله ولا يستريح إلا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الأنس بالله وإنما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر
الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الأنس بالله والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد تعتريه في بعض الأحوال الرجوع إلى الأوصاف البشرية وقلب
أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية وتعتريه في بعض الأحوال التلذذ بالعلم والمعرفة أما الأول فإن كان ممكنا فهو في غاية البعد وأما الثاني فالدنيا
طافحة به وأما الثالث والرابع فموجودان ولكن على غاية الندور ولا يتصور أن يكون إلا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وإنما
تكثر في الأعصار القريبة من أعصار الأنبياء فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة إلى أن تقرب الساعة ويقضي الله أمرا
كان مفعولا وإنما وجب أن يكون هذا نادرا لأنه مبادئ ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال إلا نادرا و
أكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الآخرة فإن الدنيا مرآة الآخرة فإنها عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما
أن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فإنها أولى في حق رؤيتك فإنك لا ترى
نفسك وترى صورتك في المرآة أولا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة وانقلب
المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت فمن
الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا ويعبر به إلى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد أمر الخلق به فقال فاعتبروا يا أولي الأبصار
ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستنفتح إلى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس مملوء نارا من شأنها أن تطلع على الأفئدة
إلا أن بينه وبين إدراك ألمها حجابا فإذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك وعن هذا أطلق الله الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان
ولكن الجحيم مرة يدرك بإدراك يسمى علم اليقين ومرة يدرك بإدراك آخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا
ولكن للذين قد وفر حظهم من نور اليقين فلذلك قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم أي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين أي في الآخرة فإذا قد

طهر لأن القلب الصالح لملك الآخرة لا يكون إلا معرضا كالشخص الصالح لملك الدنيا فتتمة سادسة حاوية لمجامع النعم اعلم أن النعم تنقسم
إلى ما هي غاية مطلوبة لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية أما الغاية فإنها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور بقاء لا فناء له وسرور
لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر بعده وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال عليه السلام لا عيش إلا عيش الآخرة وقال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس
وذلك وقت حفر الخندق في شدة الضر وقال ذلك مرة في السرور منعا للنفس من الركون إلى سرور الدنيا وذلك عند إحداق الناس به في حجة الوداع
وقال رجل اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال عليه السلام وهل تعلم ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وأما الوسائل فتنقسم إلى الأقرب الأخص
كفضائل النفس وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني وإلى ما يليه في القرب ويجاوز إلى غير البدن كالأسباب المطيفة بالبدن من المال
والأهل والعشيرة وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهي إذا أربعة أنواع النوع الأول
وهو الأخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق وينقسم الإيمان إلى علم المكاشفة وهو العلم
بالله وصفاته وملائكته ورسله وإلى علم المعاملة وحسن الخلق وينقسم إلى قسمين ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل في
الكف عن مقتضى الشهوات والإقدام حتى لا يمتنع أصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون إقدامه وإحجامه بالميزان العدل الذي أنزله الله تعالى على لسان
رسوله صلى الله عليه وسلم إذ قال ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان فمن خصى نفسه ليزيل شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة
والأمن من الآفات أو ترك الأكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وإنما
العدل أن يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل كفتا الميزان فإذا الفضائل الخاصة بالنفس المقربة إلى الله تعالى أربعة علم مكاشفة
وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني وهو الفضائل البدنية وهي أربع الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ
هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي أربعة المال والأهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه
الأسباب الخارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهو الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة هداية الله ورشده
وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم ست عشرة إذ قسمناها إلى أربع وقسمنا كل واحد إلى أربع وهذه الجملة يحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة
ضرورية أو نافعة أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لا سبيل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة البتة إلا بهما
فليس للإنسان إلا ما سعى وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة الفضائل النفسية بكسب العلوم وتهذيب الأخلاق إلى صحة البدن
ضرورية وأما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية إلى النعم الخارجة من المال والعز والأهل فإن ذلك لو عدم ربما تطرق
الخلل إلى بعض النعم الداخلة فإن قلت فما وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى المال والأهل والجاه والعشيرة فاعلم أن هذه الأسباب جارية مجرى الجناح
المبلغ والآلة المسهلة للمقصود أما المال فالفقير في طلب العلم والكمال وليس معه كفاية كساع إلى الهيجاء بغير سلاح وكباز يروم الصيد بلا جناح
ولذلك قال عليه السلام نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون على تقوى الله المال وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الأوقات في طلب الأقوات
وتهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لأنواع من الأذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تندفع إلا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة
الحج والزكاة والصدقات وإفاضة الخيرات وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعم فقال الغنى فإني رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال الأمن فإني رأيت
الخائف لا عيش له قيل زدنا قال العافية فإني رأيت المريض لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فإني رأيت الهرم لا عيش له وكأن ما ذكره إشارة إلى نعيم
الدنيا ولكن من حيث إنه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال عليه السلام من أصبح معافى في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا
بحذافيرها وأما الأهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة إليهما إذ قال عليه السلام نعم العون على الدين المرأة الصالحة وقال في الولد إذا مات الرجل
انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد في كتاب النكاح وأما الأقارب فمهما كثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا مثل
الأعين والأيدي فيتيسر له بسببهم من الأمور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين على
الدين فهو إذا نعمة وأما العز والجاه فبه يدفع الإنسان عن نفسه الذل والضيم ولا يستغني عنه مسلم فإنه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه
وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وإنما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان وقال الله تعالى ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولا معنى للجاه إلا ملك القلوب كما لا معنى للغنى إلا ملك الدراهم ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الأذى

عنه فكما يحتاج الإنسان إلى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكلب يدفع عنه الذئب عن ماشيته يحتاج إلى من يدفع الشر به عن
نفسه وعلى هذا القصد كان الأنبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول
من خزائنهم والاستئثار والاستكثار في الدنيا بمتابعتهم ولا تظنن أن نعمة الله على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره وأكمل دينه وأظهره على جميع أعدائه و
مكن له في القلوب حبه حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر إلى الهرب والهجرة فإن قلت فكرم
العشيرة وشرف الآباء هل هي من النعم أم لا فأقول نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش ولذلك كان رسول الله من أكرم أرومة في نسب
آدم ولذلك قال عليه السلام تخيروا لنطفكم وقال إياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء فهذا أيضا من النعم ولست
أعني به الانتساب إلى الظلمة وأرباب الدنيا بل الانتساب إلى شجرة رسول الله وإلى أئمة العلماء وإلى الصالحين والأبرار المتوسمين بالعلم والعمل فإن قلت
فما معنى الفضائل البدنية فأقول لا خفاء لشدة الحاجة إلى الصحة وإلى القوة وإلى طول العمر إذ لا يتم علم وعمل إلا بها ولذلك قال عليه السلام أفضل
السعادات طول العمر في طاعة الله وإنما يستحقر من جملتها أمر الجمال فيقال يكفي أن يكون البدن سليما من الأمراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري
أمر الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات أيضا أما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها وأما في الآخرة فمن وجهين أحدهما أن القبيح مذموم والطباع عنه
نافرة وحاجات الجميل إلى الإجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع وكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه إذ هو نوع قدرة إذ يقدر
الجميل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فهو معين على الآخرة بواسطتها والثاني أن الجمال
في الغالب يدل على فضيلة النفس لأن نور النفس إذا تم إشراقه تأدى إلى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول أصحاب الفراسة
في معرفة مكارم النفس على هيئات البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة
الوجه عنوان ما في النفس وقيل ما في الأرض قبيح إلا ووجهه أحسن ما فيه واستعرض المأمون جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فإذا
هو ألكن فأسقط اسمه من الديوان وقال الروح إن أشرقت على الظاهر فصباحة أو على الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد
قال عليه السلام اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر إذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم وقال الفقهاء إذا تساوت درجات
المصلين فأحسنهم وجها أولى بالإمامة وقال تعالى ممتنا بذلك وزاده بسطة في العلم والجسم ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فإن ذلك أنوثة
وإنما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الأعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر إليه
فإن قلت فقد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسوله وكذا العلماء قال تعالى
إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم وقال تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال علي رضي الله عنه في ذم النسب الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل
امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بأبيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم أن من يأخذ العلوم من الألفاظ المنقولة المؤولة والعمومات
المخصصة كان الضلال عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله إلى إدراك الأمور على ما هي عليه ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص
أخرى فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لا سبيل إلى جحدها إلا أن فيها فتنا ومخاوف فمثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع فإن
أصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة وإن أصابها السوادي الغبي فهي عليه بلاء وهلاك
وهو مثل البحر الذي تحته أصناف الجواهر واللآلي فمن ظفر بالبحر فإن كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر
فقد ظفر بنعمه وإن خاضه جاهلا بذلك فقد هلك فلذلك مدح الله المال وسماه خيرا ومدحه النبي عليه السلام فقال نعم العون على التقوى المال
وكذلك مدح الجاه والعز إذ من الله تعالى على رسوله بأن أظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق وهو المعني بالجاه ولكن المنقول في مدحهما
قليل والمنقول في ذم الجاه والمال كثير وحيث ذم الرياء ذم الجاه إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وإنما كثر هذا
وقل ذلك لأن الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فإنهم يهلكون بسم المال قبل الوصول إلى ترياقه
ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا في أعيانهما مذمومين بالإضافة إلى كل أحد لما تصور أن ينضاف إلى النبوة الملك كما كان
لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولا أن يضاف إلى الغنى كما كان لسليمان فالناس كلهم صبيان والأموال حيات والأنبياء والعارفون معزمون وقد يضر الصبي
ما لا يضر المعزم نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه وإصلاحه وقد وجد حية وعلم أنه لو أخذها لأجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية

اذا رآى ثعبانا يلعب بها فيهلك ولا غرض في الترياق ولا غرض في ان يحفظ الولد فهو احب ان نبين غرضه في الترياق ليعرضه في حفظ الولد فاذا كان
يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو اخذها لاخذها الصبي وعظم ضرره بهلاكه فهو احب عليه ان يهرب من الحية اذا رآها
ويشدد على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجو منه احد ولا يحدثه اصلا بما فيها من نفع الترياق فان ذلك
ربما يغره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص لو علم انه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه ان يحذر الصبي ساحل
البحر والنهر فان كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما راى اباه يحوم حول الساحل فواجب عليه ان لا يقرب الساحل مع الصبي ولا يحوم بين يديه
فكذلك الامة في حجر الانبياء كالصبيان والاغبياء ولذلك قال عليه السلام انما انا لكم مثل الوالد لولده وقال انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش
وانا آخذ بحجزكم وحظهم الاوفر في حفظ اممهم عن المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس لهم في الدنيا حظ الا بقدر القوت فلا جرم اقتصروا على
قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل انفقوه فان الانفاق فيه الترياق وفي الامساك السم ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا الى
سم الامساك ورغبوا عن ترياق الانفاق فلذلك قبحت الاموال والمعنى به تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها
بما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها فاما اخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر ان لا يحمل الا بقدر
زاده في السفر اذا صمم عزمه على ان يختص بما يحمله فان سمحت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار وقوله
عليه السلام ليكن بلاغ احدكم من الدنيا كزاد الراكب معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان ممن يروي هذا الحديث ويعمل به من يأخذ مائة الف درهم في
موضع واحد ويفرقها في موضعه فلا يمسك منها حبة ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء استأذنه عبد الرحمن بن عوف في
ان يخرج من جميع ما يملكه فاذن له فنزل جبريل وقال مره بان يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث فاذا النعم الدنيوية مشوبة
قد امتزج دواؤها بدائها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله ان يقرب منها متقيا داءها ومستخرجا دواءها
ومن لا يثق بذلك فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الخطر فلا يعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى وهداه
الى طريقه فان قلت فما معنى النعم التوفيقية الراجعة الى الهداية والرشد والتأييد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغني عنه احد
وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت
العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله وقدره كما ان الالحاد عبارة عن الميل فخصص بمن مال الى الباطل عن الحق وكذلك الارتداد
ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل
اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده
واما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب
السعادة الا بها لان داعية الانسان قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح آخرته ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن
اين ينفعه مجرد الارادة فلا فائدة في القدرة والارادة والاسباب الا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال
تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال عليه السلام ما من احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى اي بهدايته
فقيل ولا انت يا رسول الله فقال ولا انا وللهداية ثلاث منازل الاولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد
انعم الله به على عباده كافة بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاسباب الهدى
هي الكتب والرسل وبصائر العقول وهي مبذولة ولا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمي القلوب وان كانت لا تعمي الابصار
ومن جملة المعميات الالف والعادة وحب استبقائهما وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة الآية وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى
وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله تعالى أبشرا منا واحدا نتبعه فهذه المعميات هي التي منعت الاهتداء والهداية
الثانية وراء هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى
الهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد
كمال المجاهدة فيهتدى بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وامكان تعلم العلوم وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات و
هو الذي شرفه الله بتخصيص الاضافة وان كان الكل من جهته فقال قل ان هدى الله هو الهدى وهو المسمى حياة في قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين
الانسان عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد آتينا ابراهيم
رشده من قبل وكنا به عالمين فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبي اذا بلغ خبيرا بحفظ المال وطريق التجارة
والاستنماء ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لا يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على
ما يعلم انه يضره فقد اعطي الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري انه يضره ولكن ما اعطي الرشد فالرشد بهذا الاعتبار اكمل من مجرد
الهداية الى وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليشتد في صوب الصواب في
اسرع وقت فان الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضا
والآلات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية اليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة
ونصرة بتحريك الاعضاء في صوب السداد واما التأييد فكأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية امره بالبصيرة من داخل وقوة البطش
ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى اذ ايدتك بروح القدس ويقرب منه العصمة وهي عبارة عن جود الهي يسبح في الباطن
يقوى به الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس واياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى
برهان ربه فهذه مجامع النعم ولن يتيسر ذلك الا بما خوله الله من الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح
والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعداء وكل واحد من
هذه الاسباب الستة عشر يستدعي اسبابا وتستدعي تلك الاسباب اسبابا الى ان ينتهي بالآخرة الى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين رب
الارباب ومسبب الاسباب واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها انموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

## بيان الانموذج في كثرة النعم وتسلسلها وخروجها عن الحصر والاحصاء

اعلم انا جعلنا
النعم في ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة فهذه النعمة الواحدة لو اردنا ان نستقصي الاسباب
التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الاكل احد اسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التي بها تتم نعمة الاكل ولا يخفى ان الاكل
فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد لها من ارادة للحركة ولا بد لها من علم
وادراك للمراد ولا بد من اصل يحصل منه والا بد له من منبع يصلحه فلنذكر اسباب الادراك ثم اسباب الارادة ثم اسباب القدرة ثم اسباب المأكول على سبيل التلويح لا
على سبيل الاستقصاء

## الطرف الاول في نعم الله تعالى في خلق اسباب الادراك

اعلم ان الله تعالى خلق النبات وهو اكمل وجودا من
الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمو ولا تتغذى فان النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء الى نفسه من جهة اصله وعروقه التي في
الارض وهي له آلات بها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة تغلظ اصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب الى
عروق شعرية تنبسط في اجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر الا ان النبات مع هذا الكمال ناقص فانه لو اعوزه غذاء يساق اليه ومس اصله جف
ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب انما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله عليك ان خلق لك آلة
الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الادراك فاولها حاسة اللمس وانما خلقت
لك حتى اذا مستك نار محرقة او سيف جارح تحس بها فتهرب منه وهذا اول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان الا وان يكون له هذا الحس لانه ان لم
يحس اصلا فليس بحيوان وانقص درجات الحس ان يحس بما يلاصقه ويماسه فان الاحساس بما يبعد منه احساس اتم لا محالة وهذا الحس موجود
لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها اذا غرز فيها ابرة انقبضت للهرب لا كالنبات فان النبات يقطع فلا ينقبض اذ لا يحس بالقطع الا انك لو
لم يخلق لك الا هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يماس بدنك فتحس به فتنجذب اليه فقط فافتقرت
الى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم الا انك تدرك به الرائحة ولا تدري انها جاءت من اي ناحية فتحتاج الى ان تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر
على الغذاء الذي شممت ريحه وربما لم تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك الا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك
الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب
بينك وبينه واما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا ينكشف الحجاب الا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الاصوات من وراء

الجدران عند جريان الحركات ولا يمكنك أن تدرك بالبصر إلا شيئاً حاضراً وأما الغائب فلا يمكنك معرفته إلا بكلام منظوم بحروف وأصوات تدرك بحاسة السمع فاشتدت إليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق إذ يصل الغذاء إليك فلا تدرك أنه يوافقك أو يخالفك فتأكله فتهلك كالشجرة يصب في أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك إدراك آخر يسمى حساً مشتركاً تتأدى إليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الأمر عليك فإنك إذا أكلت شيئاً أصفر فوجدته مراً مخالفاً لك فتركته فإذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر ما لم تذقه ثانياً لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف يمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعاً حتى إذا أدرك الصفرة حكم بأنه مر فيمتنع عن تناوله ثانياً وهذا كله يشاركك فيه الحيوانات إذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك إلا هذا لكنت ناقصاً فإن البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة وكيف تتخلص إذا قيدت وقد تلقي نفسها في البئر ولا تدري أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت إذ ليس لها إلا الإحساس بالحاضر فأما إدراك العواقب فلا فميزك الله وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهي العقل فبه تدرك مضرة الأطعمة ومنفعتها وما يضر في المآل وبه تدرك كيفية طبخ الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها فتنتفع بعقلك في الأكل الذي هو سبب صحتك وهو أخس فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار الموكلين بنواحي المملكة وقد وكلت كل واحدة منها بأمر تختص به فواحدة بأخبار الألوان وأخرى بأخبار الأصوات وأخرى بأخبار الروائح وأخرى بأخبار الطعوم وأخرى بأخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الأخبار من أقطار المملكة ويسلمونها إلى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي مختومة إذ ليس له إلا أخذها وجمعها وحفظها فأما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن إذا صادف القلب العاقل الذي هو الأمير والملك سلم الإنهاءات إليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الأحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الأعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في إتمام التدبيرات التي تعن له فهذه سياقة نعم الله عليك في الإدراكات ولا تظنن أنا استوفيناها فإن الحواس الظاهرة هي بعض الإدراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية وبعض الأغشية كأنها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كأنها بياض البيض وبعضها كأنه الجمد ولكل واحدة من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الأطباء والكحالون كلهم فهذا في حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن يستوفي حكم الله تعالى وأنواع حكمته ونعمته في جسم البصر وطبقاته في مجلدات مع أن جملته لا تزيد على مقدار جوزة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه فهذه مرامز إلى نعم الله بخلق الإدراكات

الطرف الثالث في أصناف النعم في خلق الإرادات اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق إليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلاً فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الأشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والإدراك معطلاً في حقه فاضطررت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرك إلى التناول حتى تتناول وتغتذي فتبقى بالغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكت نفسك فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك بها الأكل لا كالزرع فإنه لا يزال يجتذب الماء إذا انصب في أسفله حتى يفسد فيحتاج إلى آدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء مرة أخرى وكما خلق لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من النطفة ودم الحيض وكيفية خلق الأنثيين والعروق السالكة إليهما من الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الإناث وكيفية إدارتها في أطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظماً ولحماً ودماً وكيفية قسمة أجزائها إلى رأس ويد ورجل وبطن وظهر وسائر الأعضاء لقضيت العجب من أنواع نعم الله عليك

في جبلة خلقتك كل العجب فضلاً عما تراه الآن ولكنا لسنا نريد أن نتعرض إلا لنعم الله تعالى في الأكل وحده كيلا يطول الكلام فإذاً شهوة الطعام أحد ضروب الإرادات وذلك لا يكفيك فإنه تأتيك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات ولأخذ منك كل ما حصلته من الغذاء فإن كل أحد يشتهي ما في يديك فتحتاج إلى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة والغضب لا يدعوان إلا إلى ما يضر وينفع في الحال أما في المآل فلا تكفي فيه هذه الإرادة فخلق الله لك إرادة أخرى مسخرة تحت إشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرين تحت إدراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل إذ كان مجرد المعرفة بأن هذه الشهوة مثلاً تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل إلى العمل بموجب المعرفة وهذه الإرادة أفردت بها عن البهائم إكراماً لبني آدم كما أفردت بمعرفة العواقب وقد سمينا هذه الإرادة باعثاً دينياً وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلاً أوفى من هذا

الطرف الرابع في نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة اعلم أن الحس لا يفيد إلا الإدراك والإرادة لا معنى لها إلا الميل إلى الطلب والهرب وهذا لا يكفي بنفسه ما لم يكن لك آلة الطلب والهرب فكم من زمن مشتاق إلى شيء بعيد عنه مدرك له ولا يمكنه أن يمشي إليه لفقد رجله أو لا يمكنه أن يتناوله لفقد يده أو لفلج أو خدر فيها فلا بد من آلات الحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلباً وبمقتضى الكراهة هرباً فلذلك خلق الله لك الأعضاء التي تنظر إلى ظاهرها ولا تعرف أسرارها فمنها ما هو للطلب كالرجل للإنسان والجناح للطير والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالأسلحة للإنسان والقرون للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافاً كثيراً فمنها ما يكثر أعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له أربع قوائم ومنها ما له رجلان ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول ولنذكر الأعضاء التي بها يتم الأكل فقط لتقاس عليها غيرها فنقول رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا تكفي ما لم تتمكن من أخذه فافتقرت إلى آلة باطشة فأنعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدتان إلى الأشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات وتمتد وتنثني إليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل رأس اليد عريضاً بخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام وهي الأصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الإبهام في جانب ويدور على الأربع الباقية ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعاً إن بسطتها كانت لك مجرفة وإن ضممتها كانت لك مغرفة وإن جمعتها كانت لك آلة الضرب وإذا نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة القبض ثم خلق لها أظفاراً وأسند إليها رؤوس الأصابع حتى لا تتفتت وحتى تلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تحويها الأصابع فتأخذها برؤوس أظفارك ثم هب أنك أخذت الطعام باليد فمن أين يكفيك هذا ما لم يصل إلى المعدة وهي في الباطن فلا بد أن يكون من الظاهر دهليز حتى يدخل الطعام فيه فجعل الفم منفذاً للطعام إلى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذاً للطعام إلى المعدة ثم إن وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الأسنان وطبق الأضراس العليا على السفلى ليطحن بها الطعام طحناً ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى الطحن بعد ذلك فقسم الأسنان إلى عريضة طواحن كالأضراس وإلى حادة قواطع كالرباعيات وإلى ما يصلح للكسر كالأنياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلاً بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحى ولولا ذلك لما تيسر إلا ضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلاً وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الأسفل متحركاً حركة دورية واللحي الأعلى ثابتاً لا يتحرك فانظر إلى عجيب صنع الله تعالى فإن كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الأسفل ويدور الأعلى إلا هذه الرحى التي صنعها الله تعالى إذ يدور منها الأسفل على الأعلى فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان أو كيف تستجره الأسنان إلى نفسها أو كيف يتصرف باليد في داخل الفم فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان فإنه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام إلى الرحى هذا مع ما فيه من عجائب قوة النطق والحكم التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع إلا بأن ينزلق إلى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تحت اللسان عيناً يفيض منها اللعاب وينصب بقدر الحاجة حتى يعجن به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الأمر فإنك ترى الطعام من بعد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب أشداقك والطعام بعيد عنك ثم يحتاج هذا الطعام المطحون المعجون إلى من يوصله إلى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا يد في المعدة حتى تمد فتجذب الطعام فانظر كيف هيأ الله تعالى المريء والحنجرة وجعل

على الاسنان طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يسلك الطعام بضغطه فيهوي الى المعدة في دهليز المري فاذا ورد الطعام
على المعدة فهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لابد وان ينطبخ طبخا تاما حتى تتساوى اجزاؤه فخلق
الله المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتغلق عليه الابواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم النضج والهضم بالحرارة التي تحيط بالمعدة
من الاعضاء الباطنة اذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدام الترائب ومن خلفها لحم الصلب فتتعدى الحرارة من تسخين هذه الاعضاء من
الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه اجزائه ورقته و
هو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد و
الكبد معجون من طينة الدم حتى كانه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في اجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في اجزائها
حتى تستولي عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الاعضاء الا ان
حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد من جميع ما يطبخ احداهما شبيهة بالدردي والعكر وهو الخلط السوداوي
والاخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولو لم يفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا
ممدودا الى الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة
رقة ورطوبة لولاها لما انتشر ولولاها لما انبث في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا الى الاعضاء فخلق الله تعالى الكليتين واخرج
من كل واحدة عنقا طويلا الى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى ان عنقهما ليس داخلا في تجويف الكبد بل متصلا بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى
تجذب ما فيها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا انفصلت منه المائية فقد صار
الدم صافيا من الفضلات الثلاث نقيا عن كل ما يفسد الغذاء ثم ان الله تعالى اطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب كل قسم بشعب
واستوى ذلك في البدن كله من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق
الاوراق والاشجار بحيث لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاجزاء ولو حلت بالمرارة آفة فسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية
كاليرقان والبثور والحمرة وان حلت بالطحال آفة فسد الدم فلم يجذب الخلط السوداوي وحدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا
وغيره وان لم تندفع المائية نحو الكلى حدث عنه الاستسقاء ثم انظر الى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب المنافع على هذه الفضلات الثلاث الخسيسة
اما المرارة فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بالعنق الآخر الى الامعاء لتحصل به في ثفل الطعام رطوبة مزلقة وتحدث في الامعاء لذع
حركتها للدفع فتنضغط حتى يندفع الثفل وينزلق وتكون صفرته لذلك واما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة تحصل بها فيه حموضة وقبض
ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل واما الكلية فانها تغتذي بما في
تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الاسباب التي اعدت للاكل ولو ذكرنا كيفية احتياج
الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب الى سائر البدن التي
بواسطتها يصل الروح وكيفية انشعاب الاعصاب من الدماغ الى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد الى
سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركيب الاعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها
لطال الكلام وكل ذلك محتاج اليه للاكل ولامور اخر سواه بل في الآدمي آلاف من العضلات والعروق والاعصاب والعروق مختلفة بالصغر والكبر
والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها الا وفيه حكمة او اثنان او ثلاث او اربع الى عشرة وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى [illegible]
[illegible] على الشاكر لكنك لا تعرف من نعم الله تعالى الا الاكل وهي اخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتأكل والحمار ايضا يعلم انه يجوع فيأكل ويتعب
فينام ويشتهي فيجامع ويستوحش فيستأنس ويتبع فاذا انت لم تعرف من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعم الله تعالى عليك وهذا الذي ذكرناه
على الايجاز قطرة من بحر واحد من نعم الله تعالى فقط فقس على الاجمال ما اهملناه مما عرفناه خوف التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة
الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى اقل من قطرة في بحر الا ان من علم شيئا من هذا ادرك شمة من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط
الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب ويسري في جميع البدن بواسطة

العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما تحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة وحركة وغيرها
كالسراج الذي يدار في اطراف البيت فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق الله واختراعه ولكن جعل السراج سببا
له بحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الاطباء الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة والدم الاسود الذي في
باطن القلب له كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر اعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع
زيته انطفأ فسراج الروح ايضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه وكما ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفئ السراج مع كثرة الزيت
فكذلك الدم الذي تشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفئ مع وجود الغذاء فانه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا
يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به وكما ان السراج تارة ينطفئ بسبب من داخله كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصف فكذلك الروح تارة ينطفئ بسبب من
داخله كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما ان انطفاء السراج بفناء الزيت او بفساد الفتيلة او بريح عاصف او باطفاء انسان لا يكون
الا باسباب مقدرة في علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكما ان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك اجله الذي
اجل له في ام الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكما ان السراج اذا انطفأ اظلم البيت كله فالروح اذا انطفأ اظلم البدن كله وفارقته انواره التي كان
يستفيدها من الروح وهي انوار الاحساسات والقدر والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا ايضا رمز وجيز الى عالم آخر من عوالم نعم
الله وعجائب صنعته وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فتعسا لمن كفر بالله تعسا وسحقا لمن كفر نعمه سحقا فان قلت فقد وصفت
الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح فلم يزد على ان قال الروح من امر ربي فلم لم يصفه على هذا الوجه فاعلم ان هذه غفلة
عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لمعان كثيرة لا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الاطباء روحا و
قد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء به حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا ان ذلك
لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم
يتشعب بلطافته في شباك الاعصاب وبواسطتها يتأدى من القلب الى سائر الاعضاء وما يرتقي الى معرفته الاطباء فامره سهل نازل واما الروح التي
هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من اسرار الله لم نصفه ولا رخصة في وصفه الا ان يقال هو امر رباني كما قال تعالى
قل الروح من امر ربي والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها عقول اكثر الخلق واما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة
قصور البصر عن ادراك الاصوات وتتزلزل في ذكر مبادي وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها فلا يدرك بالعقل
شيء من وصفه بل بنور آخر اعلى واشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم الولاية والنبوة نسبته الى العقل نسبة العقل الى الاوهام والخيالات و
قد خلق الله تعالى الخلق اطوارا فكما يدرك الصبي المحسوسات ولم يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك
ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب اعز من
ان يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولجناب الحق صدور وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى اول الميدان عتبة هي مستقر
ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على العتبة جواز ولا لحفظ العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان فكيف بالانتهاء الى ما وراءه من المشاهدات العالية و
لذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وانى يصادف هذا في خزانة الاطباء ومن اين للطبيب ان يلاحظه بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا
الامر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبي فظن انه ادرك الروح كان كمن رأى الكرة فظن انه رأى الملك
ولا يشك في انه خطأ فاحش وهذا الخطأ لحسن عجيب جدا ولما كانت العقول التي يحصل بها التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة
كنه هذا الامر لم يأذن الله تعالى لرسوله عليه السلام ان يتحدث عنه بل امر ان يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه حقيقة هذا الامر بل
ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته ففي قوله من امر ربي واما فعله فقد ذكر في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي
في عبادي وادخلي جنتي ولنرجع الآن الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل وقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الاكل الطرف
الرابع في نعم الله تعالى في الاصول التي تحصل منها الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الآدمي بعد ذلك بصنعته اعلم ان الاطعمة كثيرة ولله تعالى
في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى واسباب متوالية لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية فلنأخذ

الاغذية فانها الاصل ولنا خذ من جملتها حبة من البر ولندع سائر الاغذية فنقول انك اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها فنيت وبقيت جايعا
فما احوجك الى ان تنمو الحبة في نفسها وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما يغتذي به كما خلق فيك فان
النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء لانه يغتذي بالماء ويجتذب الى باطنه بواسطة العروق كما تغتذي انت وتجتذب ولسنا
نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص
فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص بدليل انك لو تركتها في البيت لم تزد لانه ليس يحيط بها الا الهوا ومجرد الهوا لا يصلح لغذائها
ولو تركتها في الماء لم تزد ولو تركتها في الارض لم تزد اذا لم يكن فيها ماء بل لا بد من ارض فيها ماء يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله
تعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركت في ارض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهوا
فيحتاج الى تركها في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل الهوا اليها ثم الهوا لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريح تحرك الهوا وتضربه بالقهر وعنف على الارض
حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما الحاجها في ايقاع الازدواج بين الهوا والماء والارض ثم كل ذلك لا يغني
لو كان في برد مفرط او شتاء شديد فيحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائه الى هذه الاربعة فانظر الى ما يحتاج كل واحد
يحتاج اليه فانظر الى الماء الذي ينساق الى ارض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون واجرى منها الانهار ثم الارض
ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى اقطار العالم وهي سحب ثقال حوامل بالماء
ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فلو
خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله في الجبال والسحاب والامطار والبحار لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا
تحصل بين الماء والارض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند
الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في الفواكه
انعقاد وصلابة فتفتقر الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه
ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة
تفسد اذا اظلتها شجرة كبيرة وتعرف رطوبة القمر بان تكشف راسك له بالليل فتغلب على راسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب راسك يرطب
الفواكه ايضا ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد
منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا ولم يصدق قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله تعالى وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما لاعبين وكما انه ليس في اعضاء بدنك عضو الا لفائدة فليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد
واحاد اجسامه كالاعضاء له وهي متعاونة تعاون اعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي ان تظن ان الايمان بان النجوم والشمس والقمر
مسخرات بامر الله في امور جعلت اسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم امران احدهما
ان تصدق بانها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون
عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء ثم اندرس ذلك العلم فلم
يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطا فاعتقاد كون الكواكب اسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات والحيوان ليس
قادحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه
فقال لك الغير اخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمي الهوا لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالة حمي الهوا على طلوع الشمس
واذا سالت عن تغير وجه الانسان فقال قرعتني الشمس في الطريق واسود وجهي لم يلزمك تكذيبه وقس بهذا سائر الآثار الا ان الآثار بعضها مجهول
وبعضها معلوم فالمجهولة لا يجوز دعوى العلم فيها والمعلوم بعضها معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبعضها معلوم
لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فاذا الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرا قوله تعالى
ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل لمن قرا هذه الآية ثم مسح بها سبلته ومعناه ان يقرا ويترك التامل ويقتصر من فهم ملكوت

السموات على ان يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم ايضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فلله في ملكوت
السموات والآفاق والانفس والحيوانات والنبات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله فان من احب عالما فلا يزال مشغوفا بطلب تصانيفه ليزيد بمزيد
الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك الامر في عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة
قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتاليفه بما انعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه كما اذا
رايت لعب المشعوذ يرقص ويتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تتعجب من اللعب فانها خرق يحركها المشعوذ ولكن تتعجب من حذق المشعوذ المحرك
لها بروابط دقيقة خفية عن الابصار فالمقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهوا والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك
التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتم حركاتها الا بملائكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها
بما ذكرناه على ما اهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب غذاء النبات

الطرف الخامس في نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة
اليك اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على
وجه الارض وقد تبعد عنهم الاطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص طلب المال وشهوة الربح
مع انه لا يغنيهم في غالب الامر شيئا بل يجمعون فاما ان تغرق بها السفن او تنهبها قطاع الطريق او يموتون في بعض البلاد فتاخذها السلاطين
واحسن احوالهم ان ياخذها ورثتهم وهم اشد اعدائهم لو عرفوا فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسون الشدائد في طلب الربح
ويركبون الاخطار ويغررون بالارواح في ركوب البحر فيحملون الاطعمة وانواع الحوائج من اقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله
صنعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف
امد بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الاعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر
كيف سخرهم الله بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة وسائر الحوائج وتامل ما تحتاج اليه الحيوانات من اسبابها وادواتها
وعلفها وما تحتاج اليه السفن مما خلق الله تعالى جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى الى امور خارجة عن الحصر
نترك ذلك طلبا للايجاز

الطرف السادس في اصلاح الاطعمة
اعلم ان الذي ينبت في الارض من النبات وما يخلق من الحيوان لا يمكن
ان يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى امور لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام
طويل ولكنا نعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض فاول ما يحتاج اليه الحراث
ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي يثير الارض والفدان وجميع اسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد
ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتامل عدد هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي
يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى اعمال الصناع في اصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجارة وحدادة وغيرها وانظر الى
حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله الجبال والاحجار والمعادن وجعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت
علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح للاكل يا مسكين ما لم يعمل عليه اكثر من الف صانع فابتدئ من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى آخر الاعمال
من جهة الملائكة حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع اصل من اصول الصنائع التي بها تتم مصلحة
الخلق ثم تامل كثرة اعمال الانسان في تلك الآلات حتى ان الابرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها
من حديدة تصلح للابرة الا بعد ان تمر على يد الابري خمسا وعشرين مرة يتعاطى في كل مرة منها عملا فلو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت
الى عمل المنجل الذي تحصد به البر مثلا لفني عمرك وعجزت عنه افلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لان يعمل هذه الاعمال
العجيبة والصنائع الغريبة فانظر الى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق احدهما على الآخر فيتناولان الشيء معا ويقطعانه بسرعة ولو لم ينكشف
للذهن ابتداء بفضله وكرمه طريق عمله واحتجت الى استنباط الطريق فيه بفكرك ثم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض
ولو عمر الواحد منا عمر نوح واوتي اكمل العقول لقصر عن استنباط الطريق في اصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها فسبحان من الحق ذو
الصنائع بالعيان وسبحان من منع الناس مع هذا البيان وانظر الآن لو خلا بلد عن الطحان مثلا او عن الحداد لوقف الحكام الذي هو الحشيش

الاعمال والعمال او عن الحايك او عن واحد من الصناع فاذا انفصل من الادمي وكيف يضطرب امور كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت فيهم مشيته
وتمت به حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة ايضا فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء الطرف السابع في اصلاح المصلحين اعلم ان
هولاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت اراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا
كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف الف الله بين قلوبهم وسلط الانس والمحبة عليهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت
بين قلوبهم ولاجل الالف وتعارف الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق و
الخانات وسائر اصناف البقاع مما يطول احصاؤه ثم هذه المحبة تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الانسان الغيظ والحسد و
المنافسة وذلك مما يؤدي الى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله السلاطين الحاظرين في اصلاح البلاد حتى تنبوا اجزاء البلد كانها اجزاء شخص واحد
تعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الروسا والقضاة والسجن وزعماء الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل والزموهم
التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر اهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام وينتفع كل
واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما تتعاون جميع اعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء
حتى اصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من احكام الامامة والسلطنة و
احكام الفقه ما اهتدوا به الى صلاح الدنيا فضلا عما ارشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف اصلح الله الملائكة وكيف اصلح الملائكة بعضهم ببعض الى ان ينتهي
الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالخباز يصلح العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح الات الحراثة والنجار
يصلح الات الحداد وكذا جميع ارباب الصناعات المصلحين لالات الاطعمة والسلطان يصلح الصناع والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثة الانبياء والعلماء
يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبياء الى ان ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب واليه ذلك
كله نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه الشذرة من نعم الله تعالى
ولولا عنايته ان نطمح بعين الطمع الى الاحاطة بكنه نعمه لتشوقنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء ولكن عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها فان نطقنا فباذنه انبسطنا وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطي لما منع ولا مانع لما اعطى اذ في كل لحظة من لحظات العمر قبل
الموت يسمع سمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار واسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار الطرف
الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة ليس يخفى عليك ما سبق من نعم الله في الملائكة باصلاح الانبياء وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم ولا تظنن انهم
مقتصرون في افعالهم عن هذا القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلث طبقات الملائكة الارضية والسماوية وحملة العرش
فانظر كيف وكلهم الله بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما واعلم ان كل جزء من اجزائك بل
من اجزاء النبات لا يتغذى الا ان يوكل به سبعة من الملائكة هذا اقله الى عشرة الى مائة الى ما وراء ذلك وبيانه ان معنى الغذاء ان يقوم جزء من
الغذاء مقام جزء قد تلف وذلك الغذاء يصير دما في اخر الامر ثم يصير لحما وعظما واذا صار لحما وعظما تم اغتذاؤك والدم واللحم اجسام ليس لها معرفة
ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في اطوارها كما ان البر بنفسه لا يصير طحينا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا
مخبوزا الا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعروقا وعصبا الا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما ان الصناع في الظاهر هم اهل البلد
وقد اسبغ الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي ان تغفل عن النعم الباطنة فاقول لا بد من ملك يجذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم فان الغذاء لا يتحرك بنفسه
ولا بد من ملك اخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعظم والعرق ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل
من حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى المقادير في الالصاق فيلحق بالمستدير
ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يبطل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته بل ينبغي ان يسوق الى الاجفان مع رقتها والى الحدقة مع صفائها و
الى الانف مع غلظها والى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل والا بطلت الصورة وربما عظم بعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لو لم يراع
هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط فساق الى راس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به الى احدى الرجلين مثله لبقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر ولكبر جميع
البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وعليه رجل واحدة كانها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فمراعاة هذه الهندسة في القسمة مفوضة الى ملك من الملائكة ولا تظنن

ان الدم

ان الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فان محيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي الملائكة الارضية وقد شغلوا بك وانت في النوم
تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من اجزائك التي لا تتجزى حتى يفتقر بعض الاجزاء كالعين و
القلب الى اكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك للايجاز والملائكة الارضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله ومدد ملائكة
السماء من حملة العرش والمنعم على جميعهم بالتأييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات
والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام والاخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والارضين واجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من
المطر وكل سحاب ينجر من جانب الى جانب اكثر من ان تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد بها فان قلت فهلا فوضت هذه الافعال الى ملك واحد ولم افتقر
الى سبعة املاك والحنطة ايضا تحتاج الى من يطحن اولا ثم الى من يميز عنها النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الماء عليها ثالثا ثم الى من يعجن رابعا ثم الى من
يقطعها كرات مدورة خامسا ثم الى من يرققها رغفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به
فهلا كانت اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس وما من واحد منهم الا وهو وحداني الصفة ليس فيه
خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل واحد واليه الاشارة بقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم ولذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل
مثالهم في تعين مرتبة كل واحد وفعله مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمهما ولا هما يزاحمان
الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم بها اليد وقد تضرب غيرك براسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب و
لا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان
واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى الانسان يطيع الله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته
وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل
والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع ابدا والساجد ساجد ابدا والقائم قائم ابدا لا اختلاف في افعالهم ولا فتور ولكل واحد منهم مقام معلوم لا يتعداه
وطاعتهم لله من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن ان تشبه بطاعة اطرافك لك فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف
في طاعتك مرة ومعصيتك اخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا باشارتك فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه اذ الجفن لا علم
له بما يصدر عنه من الحركة فتحا واطباقا والملائكة احياء عالمون بما يعملون فاذا هذه نعمة الله عليك في الملائكة الارضية والسماوية وحاجتك اليهم
في غرض الاكل فقط دون ما عداه من الحركات والهدايات كلها وان لم نطول بذكرها فهذه طبقة اخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها
فكيف احاد ما يدخل في جملة الطبقات فاذا قد اسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك باطن الاثم مما لا تعرفه الخلق من
الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس الى غير ذلك من اثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر للنعم الظاهرة
بل اقول كل من عصى الله ولو في تطريفة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله عليه في السموات والارضين وما بينهما فان كل
ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والارض والحيوان والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم بها انتفاعه وان اتسع غيره ايضا فان
لله تعالى في كل تطريفة بالجفن نعمتين في نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها اوتار ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى
وارتفاع الجفن الاسفل وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله في سوادها انه يجمع ضوء العين اذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله تعالى في ترتيبها
صفا واحدا ان يكون مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا للاقذاء التي تتناثر في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين اصلها ومع اللين قوام
نصبها وله في اشتباك الاهداب نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر فيجمع الاجفان مقدار ما تتشابك الاهداب
فيصير كالشبكة فيكون تشابك الشعر مانعا من وصول الغبار من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد خلق اطراف
الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمراة فتطبقها مرة او مرتين فتنصقل الحدقة عن الغبار وتخرج الاقذاء الى زوايا العين والاجفان
والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما عن الغبار واذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم افتقارا الى
تطويل يزيد على اصل هذا الكتاب ولعل ذلك يستوفى في كتاب مقصود فيه ان امهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله فلنرجع الى غرضنا فنقول
قد كفر نعمة العين نعمة الله في الاجفان فلا تقوم الاجفان الا بعين ولا العين الا براس ولا الراس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا

بالماء والارض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر والنجوم شيء من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملائكة فان الكل كالشيء الواحد يرتبط
بعضه ببعض ارتباط اعضاء البدن بعضها ببعض فاذا فكرت في كل نعمة لله تعالى من الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى علمت ان فلكا وملكا ولا
حيوانا ولا نباتا ولا جمادا الا وهو يلعن بكفران النعم ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم
وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وان الملائكة تلعن العصاة في الفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة الى ان العاصي
بطرفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد اهلك نفسه الا ان يتبع السيئة بحسنة تمحوها فيتبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز
عنه واوحى الله تعالى الى ايوب عليه السلام ما من عبد من الآدميين الا ومعه ملكان فاذا شكرني على نعمتي قال الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك اهل الحمد و
الشكر فكن من الشاكرين قريبا فكفى بالشاكرين علوا عندي اني اشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكي عليهم ومما عرفت ان في كل طرفة
عين نعما كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهواء الى
القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهكذا بل اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة في كل ساعة قريب من الف نفس وكل نفس قريب
من عشر لحظات فعليك في كل لحظة الاف الاف نعمة في كل جزء من اجزاء بدنك بل في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك ام لا ولما انكشف
لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال كيف اشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت اصلها وطمست راسها ولذلك
ورد في الاثر من لم يعرف نعم الله تعالى الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم
به فان البصير له نفع بعينه في العالم على شيء والاعمى جاهل بوجوده ويتحقق ان الله تعالى قد انعم عليه فليتكل على الله سبحانه والتفصيل فانظر في غير مطمع

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر اعلم انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم و
لا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم انهم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقول بلسانه الحمد لله والشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل
النعمة في اتمام الحكمة التي اريدت بها وهي طاعة الله تعالى فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان اما
الغفلة عن النعم فلها اسباب ومن اسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق لهم ويسلم لهم في جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة
ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة فلا تراهم يشكرون الله على روح
الهواء ولو اخذ بمخنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه هواء حار او في بئر فيه هواء ثقيل برطوبة الماء ماتوا غما فان ابتلي واحد
منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان يسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة
في جميع الاحوال اولى بان يشكر من النعمة في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا ان تعمى عينه فعند ذلك لو اعيد عليه بصره احس به وشكره وعده
نعمة ولما كانت رحمة الله تعالى واسعة عمت الخلق وبذلت في جميع الاحوال فلم يعدها الجاهل نعمة وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه ان يضرب دائما حتى
اذا ترك ضربه ساعة وتحقق تلذذ به وكان ترك ضربه على الدوام غلب البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق الاختصاص
اليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكى بعضهم فقره الى بعض ارباب البصائر واظهر شدة اغتمامه به فقال له ايسرك انك اعمى
ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اخرس ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون الفا
فقال لا فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرة الاف فقال لا فقال اما تستحيي ان تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا وحكي ان بعض القراء اشتد به الفقر
حتى ضاق به ذرعا فراى في المنام كان قائلا يقول له تود انا انسيناك من القرآن سورة الانعام وان لك الف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال
فسورة يوسف قال لا فعدد عليه سورا ثم قال فمعك قيمة مائة الف دينار وانت تشكو فاصبح وقد سري عنه ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وفي
يده كوز ماء يشربه فقال له عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع اموالك والا بقيت عطشانا فهل كنت تعطيه قال نعم فقال لو لم تعط الا بملكك
كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء فبهذا تبين ان نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الارض كلها
واذا كانت الطباع مائلة الى اعتداد النعم الخاصة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو انعم
النظر في احواله راى من الله نعمة او نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيه احد وذلك يعترف به كل عبد في
ثلاثة امور في العقل والخلق والعلم اما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله تعالى في عقله يعتقد انه اعقل الناس وقل من يسال الله تعالى العقل و

وان من شرف العقل ان يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به واذا كان اعتقاده انه اعقل الناس فواجب عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر
واجب وان لم يكن ولكنه يعتقد انه كذلك فهو في حقه نعمة ومن وضع كنزا تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه
بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حقه كالباقي واما الخلق فما من عبد الا ويرى من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما يذمها من حيث انه
يرى نفسه بريئا عنها فاذا لم يشتغل بذم الغير فينبغي ان يشتغل بشكر الله اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيء واما العلم فما من احد الا ويعرف
من بواطن امور نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به ولو انكشف الغطاء حتى اطلع عليه احد من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فاذا لكل عبد علم بامر
خاص لا يشاركه فيه احد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي ارسله على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر القبيح واخفى ذلك عن اعين الخلق
وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلاث من النعم خاصة يعترف بها كل عبد اما مطلقا واما في بعض الامور فلننزل عن هذه الطبقة الى طبقة اخرى
اعم منها قليلا فنقول ما من عبد الا وقد رزقه الله في صورته او شخصه او اخلاقه او صفاته او اهله او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه
او عزه وجاهه او في سائر محابه امورا لو سلب ذلك منه واعطي ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا و
انسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصائص وان كان فيها عموم ايضا فان هذه الاحوال لو بدلت باضدادها لم
يرض بها بل له امور لا يبدلها باحوال الآدميين ايضا وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدله بما يخص به احد من الخلق او لا يبدله بما يخص به الاكثر فاذا كان لا يبدل حاله
بحال غيره فاذا حاله احسن من حال غيره فاذا كان لا يعرف شخصا يرتضي لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما في امر خاص فاذا لله تعالى عليه نعم
ليست له على احد من عباده سواه وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين عنده فانه لا محالة يراهم اقل بالاضافة الى غيرهم
فيكون من دونه في الحال اكثر بكثير ممن فوقه فما باله ينظر الى من فوقه ليزدري نعم الله على نفسه ولا ينظر الى من دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوي
دنياه بدينه اليس اذا لامته نفسه بسيئة يقارفها يعتذر اليها بان في الفساق كثرة فينظر ابدا في الدين الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره في
الدنيا كذلك فاذا كان حال اكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خير من حال اكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال عليه السلام من نظر في الدنيا الى
من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر في الدنيا الى من هو فوقه وفي الدين الى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا فاذا
كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والامن وغير
ذلك ولذلك قال عليه السلام من لم يستغن بآيات الله فلا اغناه الله وهذه اشارة الى نعمة العلم وقال عليه السلام القرآن هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه وقال
عليه السلام من آتاه الله القرآن فظن ان احدا اغنى منه فقد استهزا بآيات الله وقال عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال كفى باليقين غنى وقال بعض السلف يقول الله تعالى
ان عبدا اغنيته عن ثلاث لقد اتممت عليه نعمتي عن سلطان ياتيه وطبيب يداويه وعما في يد اخيه ومنه عبر الشاعر فقال اذا القوت ياتي لك والصحة والامن
واصبحت اخا حزن فلا فارق الحزن بل احسن العبارات وافصح الكلمات كلام افصح من نطق بالضاد حيث عبر عليه السلام عن هذا المعنى فقال من اصبح آمنا
في سربه معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تاملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتالمون من امور وراء هذه الثلاث
مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله تعالى في هذه الثلاث ولا يشكرون نعم الله تعالى في الايمان الذي به وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم بل
البصير ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من اموال واتباع
وانصار وقيل له خذها عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم ياخذه وذلك لرجائه ان نعمة العلم تفضي به الى قرب الله تعالى في الآخرة بل لو قيل له لك في الآخرة
ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا ياخذه لعلمه ان لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تغصب
ولا تسرق ولا تنافس فيها وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدرة ومشوشة لا يفي مرجوها بمخوفها ولا لذتها بالمها ولا فرحها
بغمها هكذا كانت الى الآن وهكذا تكون ما بقي الزمان اذ ما خلقت لذات الدنيا الا لتجتلب بها العقول الناقصة وتخدع حتى اذا انخدعت وتقيدت بها
ابت عليها واستعصت كالمراة الجميلة ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغني حتى اذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في تعب دائم و
تعب قائم وكل ذلك باغتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو غفل وغض البصر واستهان بسلك اللذة سلم جميع عمره فهكذا وقع ارباب الدنيا في
شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي ان يقول المعرض عن الدنيا قد تالم بالصبر عنها فان المقبل عليها ايضا متالم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص
عنها وتالم المعرض يفضي الى لذة في الآخرة وتالم المقبل الى الآلام في الآخرة فليتل المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا

تاملون للآية فإذا انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة فإن قلت فما علاج هذه
القلوب الغافلة حتى تشعر بنعمة الله فعساها تشكر فنقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف نعم الله العامة وأما
القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة إلا إذا خصتها أو شعرت بالبلاء معها فسبيله أن ينظر أبدا إلى من هو دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية إذ كان يحضر
كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي يقام فيها الحدود فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر
قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الأمراض ويشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب ليشكر الله على عصمته من الجنايات وفي
تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعم الأمن ويحضر المقابر فيعلم أن أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا ولو يوما واحدا أما من عصى فليتدارك
وأما من أطاع فليزيد في طاعته فإن يوم القيامة يوم التغابن والمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم
غبني إذ ضيعت بعض الأوقات في المباحات وأما العاصي فغبنه ظاهر فإذا شاهد المقابر وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر
ما بقي له فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل القبور العود لأجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله في بقية العمر بل الإمهال في كل نفس من الأنفاس وإذا عرف تلك
النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزود من الدنيا للآخرة فهذا علاج القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر ولقد كان الربيع بن
خيثم مع تمام استبصاره يستعين بهذا الطريق تأكيدا للمعرفة فكان قد حفر في داره قبرا فكان يضع غلا في عنقه وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي
أعمل صالحا ثم يقوم ويقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكران أن تعرف أن
النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل يقول عليكم بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم وقال بعض السلف النعم وحشية
فقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله تعالى على قوم إلا كثرت حوائج الناس إليهم فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال سبحانه وتعالى إن
الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فهذا تمام الركن الثاني الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر و
يرتبط أحدهما بالآخر

بيان اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد لعلك تقول ما ذكرته في النعم إشارة إلى أن الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير إلى
أن البلاء لا وجود له أصلا فما معنى الصبر إذا وإن كان البلاء موجودا فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون أنا نشكر على البلاء فضلا عن الشكر
على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر يستدعي ألما والشكر يستدعي فرحا وهما متضادان وما معنى ما ذكرتموه من أن لله تعالى في كل
ما أوجده نعمة على عباده فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة والقول بإثبات النعم يوجب القول بإثبات البلاء لأنهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء
ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فكالإيمان وحسن الخلق
وما يعين عليهما وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق
في الآخرة فالبعد من الله تعالى إما مدة وإما أبدا وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق وأما المقيد فكالمرض والفقر و
الخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة وأما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء
ولا معنى للصبر عليه وكذلك المعصية بل حق الكافر أن يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بها بسبب غشية
أو غيرها فلا صبر عليه والعاصي يعرف أنه عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الإنسان الماء مع طول
العطش حتى عظم ألمه فلا يؤمر بالصبر بل يؤمر بإزالة الألم وإنما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته فإذا يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس بلاء مطلقا بل يجوز
أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فإن الغنى مثلا يجوز أن يصير سبب هلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل ويقتل أولاده
والصحة أيضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية إلا ويجوز أن يصير بلاء ولكن بالإضافة إليه فكذلك ما من بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى
حاله فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض وقال تعالى إن
الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وقال عليه السلام إن الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه من الأقسام
الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فإنه يتصور أن يكون بلاء في حق بعض الناس فيكون أضدادها إذا نعما في حقهم إذ قد سبق أن المعرفة
كمال وهي نعمة فإنها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد يكون على العبد في بعض الأمور بلاء وقد يكون فقدها نعمة مثاله جهل الإنسان بأجله فإنه نعمة
عليه إذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضمره الناس عليه من اطلاعه نعمة عليه إذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال ألمه





وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه إذ لو عرفه أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا
والآخرة بل جهله بالخصال المحمودة من غيره قد يكون نعمة عليه فإنه ربما يكون وليا لله وهو مضطر إلى إيذائه وإهانته ولو عرف ذلك كان الإثم
أعظم لا محالة فليس من آذى نبيا أو وليا وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف ومنها إبهام الله تعالى أمر القيامة وإبهامه ليلة القدر وساعة
يوم الجمعة وإبهامه بعض الكبائر فكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف
في العلم وحيث قلنا إن لله في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل واحد فلا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التي يخلقها في بعض الناس
وهي أيضا قد تكون نعمة في حق غير المتألم بها وإن لم تكن نعمة في حقه كالألم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووشمه بشرته فإنه متألم به وهو عاص
به والألم الكائن في النار هي أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم فإن مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا أن الله تعالى خلق العذاب
وعذب به طائفة ما عرف المتنعمون قدر نعمته ولا كثر فرحهم بها ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تفكروا في آلام أهل النار أما ترى أهل الدنيا ليس
تشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم إليها من حيث إنها عامة مبذولة ولا تشتد فرحهم بالنظر إلى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان
لهم في الأرض يجتهدون في عمارته ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فإذا قد صح ما ذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق
شيئا إلا وفيه حكمة ولا خلق شيئا إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم فإذا في خلق الله البلاء أيضا نعمة إما على المبتلى أو على غير المبتلى
فإذا كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر فإن قلت فهما متضادان فكيف
يجتمعان إذ لا صبر إلا على غم ولا شكر إلا على فرح فاعلم أن الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام
والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل بها ويشكر عليها أحدها أن كل مصيبة ومرض
فيتصور أن يكون أكثر منها إذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله تعالى وزادها ماذا كان يرده ويحجزه فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في
الدنيا الثاني أنه كان يمكن أن تكون مصيبته في دينه قال رجل لسهل دخل اللص بيتي وأخذ متاعي فقال اشكر الله لو دخل الشيطان قلبك
وأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه إذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر ما ابتليت ببلاء إلا كان لله
علي فيه أربع نعم إذ لم يكن في ديني وإذ لم يكن أعظم منه وإذ لم أحرم الرضا به وإذ أرجو الثواب عليه وكان لبعض أرباب القلوب صديق فحبسه السلطان
فأرسل إليه يعلمه ويشكو إليه فقال له اشكر الله فضربه فقال اشكر الله فجيء بمجوسي مبطون وقيد وجعل حلقة من قيده على رجله وحلقة على رجل المجوسي فأرسل
إليه فقال اشكر الله فكان المجوسي يحتاج إلى أن يقوم مرات وهو يحتاج إلى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضي حاجته فكتب إليه فقال اشكر الله فقال
إلى متى أشكر الله وأي بلاء أعظم من هذا فقال لو جعل الزنار الذي على وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فإذا ما من إنسان قد أصيب ببلاء إلا ولو
تأمل حق التأمل في سوء أدبه ظاهرا أو باطنا في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وآجلا ومن استحق عليك أن تضربه مائة
سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له
ما هذه السجدة فقال كنت أنتظر أن تصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم ألا تخرج للاستسقاء فقد احتبست الأمطار فقال
أنتم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجر فإن قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار فاعلم
أن الكافر قد خبئ له ما هو أكثر وإنما أمهل حتى يستكثر من الإثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وأما العاصي فمن أين
تعلم أن في العالم من هو أعصى منك ورب خاطر بسوء أدب في حق الله وفي صفاته أعظم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك
قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك ثم لعله قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا
فلم لا تشكر الله على ذلك وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو أنه ما من عقوبة إلا وكان يتصور أن تؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها
بأسباب أخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلي إذ أسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة
عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابته شدة أو بلاء في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه
ثانيا الرابع أن هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لا بد من وصولها إليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من
جميعها فهذه نعمة الخامس أن ثوابها أكثر منها فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين أحدهما الوجه الذي يكون الدواء الكريه نعمة في حق

المريض ويكون المنع من اسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والادب وكان يخسر جميع عمره فكذلك الاهل والمال
والاقارب والاعضاء حتى العين التي هي اعز الاشياء قد يكون سببا لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور قد يكون سببا لهلاكه فالملحدة
غدا يتمنون لو كانوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله فما من شيء من هذه الاسباب يوجد من العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه
ان يحسن الظن بالله ويقدر فيه الخير ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا اذا رأوا ثواب
البلايا كما يشكر الصبي بعد البلوغ والعقل استاذه واباه على ضربه وتاديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من الادب والبلاء تاديب من الله وعنايته بعباده اتم
واوفر من عناية الاباء بالاولاد وقد روي ان رجلا قال لرسول الله اوصني فقال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك ونظر عليه السلام الى السماء فضحك فقال عجبت لقضاء الله
للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له والحكاية الثانية ان راس الخطايا المهلكة حب الدنيا وراس اسباب النجاة
التجافي بالقلب عن دار الغرور ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب الى الدنيا واسبابها حتى تصير كالجنة في حقه
فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكانت نجاته منها غاية
اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من اعرض عن الله ولم يرد الا الحيوة الدنيا ورضي بها واطمان اليها
والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد
المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق فاذا في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به واما الالم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة
الى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجانا او يسقيك دواء نافعا بشعا وهو مجان فانك تتالم وتفرح فتصبر على الالم وتشكر على سبب الفرح وكل بلاء في الامور
الدنيا فمثاله الدواء الذي يولم في الحال وينفع في المال بل من دخل دار الملك للنظارة وعلم انه يخرج منها لا محالة فراى وجها حسنا لا يخرج معه من
الدار فكان ذلك بلاء عليه لانه يورثه الانس بمنزل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه ما يكره حتى نفر من
المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها الى باب اللحد فكل ما يحقق انسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما ينزع قلوبهم
عنها ويقطع انسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة
النعمة بالضرورة ومن لم يؤمن بان ثواب المصيبة اكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة وحكي ان اعرابيا عزى ابن عباس على ابيه فقال اصبر نكن بك صابرين وانما
صبر الرعية بعد صبر الراس خير من العباس اجرك بعده والله خير منك للعباس فقال ابن عباس ما عزاني احد احسن من تعزيته والاخبار الواردة في الصبر
على المصائب كثيرة قال عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال عليه السلام قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك
بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال عليه السلام ما من عبد اصيب بمصيبة فقال كما امر الله عز وجل انا لله وانا اليه راجعون
اللهم آجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال عليه السلام قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وروي
ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال عليه السلام لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه ان الله اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره
وقال عليه السلام ان الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وعن خباب بن الارت قال اتينا رسول الله صلى الله عليه
وهو متوسد بردا له في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله تستنصره فجلس محمرا لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له في الارض
حفرة ويجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل فرقين ما يصرفه ذلك عن دينه وعن علي رضي الله عنه ايما رجل حبسه سلطان ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو
شهيد وقال ابن عباس من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال ابو الدرداء تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما
يفنى وتذرون ما يبقى الا حبذا المكروهات الثلث الفقر والمرض والموت وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلعم اذا اراد الله بعبد خيرا واراد ان يصافيه
صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف فاذا دعاه ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تسالني شيئا
الا اعطيتك او دفعت عنك ما هو خير او ادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا كان يوم القيامة جيء باهل الاعمال فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصلوة
والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود اهل العافية
في الدنيا لو انهم كانوا تقرض اجسادهم بالمقاريض لما يرون ما تذهب به اهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وعن ابن عباس
قال شكا نبي من الانبياء الى ربه فقال يا رب العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ على معاصيك

ويزوي عنه البلاء ويبسط له الدنيا فاوحى الله تعالى اليه ان العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازوي عنه الدنيا
واعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه حسناته ويكون الكافر له الحسنات فابسط له الرزق وازوي عنه البلاء فاجزيه بحسناته في
الدنيا حتى يلقاني فاجزيه بسيئاته وروي انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الاية فقال رسول
الله غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست يصيبك الاذى الست تحزن فهذا ما تجزون به يعني ان جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك وعن عقبة بن
عامر عن النبي عليه السلام قال اذا رايت الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرا قوله تعالى فلما نسوا
ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء يعني لما تركوا ما امروا فتحنا عليهم ابواب الخير حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي بما اعطوا من الخير اخذناهم بغتة
وعن الحسن البصري ان رجلا من الصحابة راى امراة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه حائط فاثر
في وجهه فاتى النبي عليه السلام فاخبره فقال عليه السلام اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا وقال علي كرم الله وجهه الا اخبركم
بارجى اية في كتاب الله قالوا بلى فقرا عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فالمصائب في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقبه
الله في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا وان عفا عنه في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه يوم القيامة وعن انس رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال ما تجرع
عبد جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة احب الى الله من قطرة دم اهريقت
في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه الا الله وما خطا عبد خطوتين احب الى الله من خطوة الى الصلوة الفريضة وخطوة
الى صلة الرحم وعن ابي الدرداء انه قال توفي ابن لسليمان فوجد عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان فجلسا بين يديه في زي الخصوم فقال احدهما بذرت
بذرا فلما استحصد مر به هذا فافسده فقال للاخر ما تقول فقال الحرث اخذ فاتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال سليمان
ولم بذرت على الطريق اما علمت ان لا بد للناس من الطريق قال فلم تحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل الاخرة فتاب سليمان الى ربه ولم يجزع
على ولد بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في ميزانك فقال يا ابت لان يكون
ما تحب احب الي من ان يكون ما احب وعن ابن عباس انه نعي اليه ابنته فاسترجع وقال عورة سترها الله ومؤنة كفاها واجر قد ساقه الله ثم
نزل فصلى ركعتين ثم قال صنعنا ما امر الله تعالى قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة الاية وعن ابن المبارك انه مات ابن له فعزاه مجوسي يعرفه
فقال ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة ايام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه وقال بعض العلماء ان الله ليبتلي العبد بالبلاء بعد
البلاء حتى يمشي على الارض وما له ذنب وقال الفضيل ان الله تعالى ليتعاهد العبد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل اهله بالخير وقال حاتم الاصم ان
الله يحتج على الخلق يوم القيامة باربعة انفس على اربعة اجناس على الاغنياء بسليمان وعلى الفقراء بعيسى وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بايوب
صلوات الله عليهم اجمعين وروي ان زكريا لما هرب من الكفار من بني اسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى
بلغ المنشار الى راس زكريا فان انة فاوحى الله اليه يا زكريا لئن صعدت منك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة فعض زكريا على الصبر حتى
قطع بشطرين وقال ابن مسعود البلخي من اصيب بمصيبة فمزق ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا يريد ان يقاتل به ربه وقال لقمان لابنه يا بني ان
الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء واذا احب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقال الاحنف بن قيس اصبحت
يوما اشتكي ضرسي فقلت لعمي ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلثا فقال لقد اكثرت من ذكر الضرس في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني
هذه منذ ثلثين سنة ما علم بها احد واوحى الله تعالى الى عزير عليه السلام اذا نزلت بك بلية فلا تشكني الى خلقي كما لا اشكوك الى ملائكتي
اذا صعدت مساويك وفضائحك

## فضل النعم على البلاء

لعلك تقول هذه الاخبار تدل على ان البلاء خير في الدنيا من النعم فهل
لنا ان نسال الله البلاء فنقول لا وجه لذلك لما روي عن رسول الله صلى الله عليه انه كان يستعيذ من بلاء الدنيا وبلاء الاخرة وكان
يقول هو والانبياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وغيره وقال علي رضي الله عنه اللهم
اني اسالك الصبر فقال عليه السلام لقد سالت البلاء فسله العافية وروي الصديق عن رسول الله صلى الله عليه سلوا الله العافية فما اعطي عبد افضل
من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية البدن وقال الحسن الخير الذي لا شر فيه
العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف بن عبد الله لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر وقال عليه السلام في دعائه

وما سئل احب الي وهذا اظهر من ان يحتاج فيه الى استشهاد وهذا البلاء نعمة ما بالاضافة الى ما هو اكبر منه اما في الدنيا
او في الدين والاخر بالاضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغي ان يسال الله تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء ويسأله الثواب في الاخرة
على الشكر على النعمة فانه قادر على ان يعطي على الشكر ما يعطيه على الصبر فان قلت فقد قال بعضهم اود ان اكون جسرا على النار يعبر
علي الخلق كلهم فينجون وانا في النار وقال سمنون المحب وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فامتحني فهذا من قوله سؤال البلاء فاعلم انه
حكي ان سمنون ابتلي بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب واما محبة الانسان لان يكون
هو في النار دون سائر الخلق فغير ممكن ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه حبا لمثل ذلك فمن شرب كاس المحبة سكر ومن سكر توسع في
الكلام ولو زايله سكره علم ان ما غلب عليه كانت حالة لا حقيقة لها فما تسمعه من هذا الفن فهو من كلام العشاق الذين افرط حبهم وكلام العشاق
يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكي ان فاختة كانت يراودها زوجها فمنعته فقال ما الذي يمنعك مني ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن
لفعلته لاجلك فسمعه سليمان فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال وقول الشاعر اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد
هو ايضا محال ومعناه اني اريد ما لا اريد لان من اراد الوصال فما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذي لم يرده بل لا يصدق هذا الكلام الا بتاويلين احدهما
ان يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به الى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الى الرضى والرضى وسيلة الى الوصال
الى المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوب فيكون مثاله مثال محب المال اذا اسلم درهما في درهمين فهو محب للدرهم بسبب الدرهمين والحال الثاني
ان يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث انه رضي فقط ويكون له لذة في استشعاره رضى محبوبه عنه تزيد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهته فعند
ذلك يتصور ان يريد ما فيه الرضى فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى ان صارت لذتهم في استشعارهم رضى الله عنهم اكثر من لذتهم في العافية ومن غير شعور
الرضى فيقول اذا افترضوا رضاه في البلاء صار البلاء احب اليهم من العافية وهذه حالة لا تبعد وقوعها في غليان الحب ولكنها لا تثبت وان ثبتت فهل
هي حالة صحيحة ام حالة اقتضتها حالة اخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق
ان العافية خير من البلاء فنسال الله العفو والعافية في الدين والاخرة

بيان الافضل من الصبر والشكر

اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك
فقال قائلون الصبر افضل من الشكر وقال آخرون الشكر افضل وقال آخرون هما سيان وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال واستدل كل فريق
بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق اولى فنقول في بيان ذلك مقامان المقام الاول
البيان على سبيل التساهل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب التفتيش بحقيقته وهو البيان الذي ينبغي ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن
درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو الذي ينبغي ان يعتمده الوعاظ اذ مقصود كلامهم مخاطبة العوام اصلاحهم والطير المشفقة
لا ينبغي ان تصلح الصبي الطفل بالطيور السمان وضروب الحلاوات بل باللبن وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا لها بقوته ويفارق
الضعف الذي هو عليه في بنيته فنقول هذا المقام في البيان لا يلتفت الى التحقيق والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضي
تفضيل الصبر فان الشكر وان وردت اخبار في فضله فاذا اضيف اليها ما ورد في فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر افضل والكثير فيها الفاظ صريحة في
التفضيل كقوله عليه السلام من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي الخبر يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال
له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء
الشاكرين وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واما قوله الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فهو دليل على ان الفضيلة في الصبر
اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشاكر فالحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر
به مبالغة في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج المساكين وجهاد المراة حسن التبعل وكقوله شارب الخمر كعابد الوثن فالمشبه به ينبغي
ان يكون اعلى رتبة وكذلك قوله الصبر نصف الايمان لا يدل على ان الشكر مثله وهو كقوله عليه السلام الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم قسمين يسمى احدهما
نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل نصف الايمان ولا يدل ذلك على ان العمل يساوي العلم وفي الخبر عن النبي عليه السلام
اخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي لفظ آخر يدخل سليمان بعد الانبياء
باربعين خريفا وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب صلوات الله عليه وكل

ما ورد

ما ورد في فضيلة الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقير والشكر حال الغني فهذا هو المقام الذي يقنع به العوام ويكفيهم في
الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم المقام الثاني هو البيان الذي نقصد به تعريف اهل العلم والاستبصار
بحقائق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه كل امرين مبهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الابهام ما لم يكشف عن حقيقة
كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على اقسام لا يمكن الموازنة بين الجملة والجملة بل يجب ان تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان
والصبر والشكر اقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم
من ثلاثة امور علوم واحوال واعمال والشكر والصبر وسائر المقامات هي كذلك ووضع المثال اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين
الى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال والاعمال هي الافضل واما ارباب البصائر فالامر عندهم بالعكس من ذلك
فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة افضل منه
واما احاد هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا اضيف بعضها الى البعض وكذا احاد الاحوال اذا اضيف بعضها الى البعض وكذا
احاد المعارف وافضل المعارف علوم المكاشفة وهي ارفع من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة فانها تراد للمعاملة ففائدتها اصلاح العمل
وانما فضل العالم بالمعاملة على العابد اذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص افضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بافضل من العمل
القاصر فنقول فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان ينكشف جلال الله في ذاته وصفاته وافعاله فارفع
علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بانها عين
السعادة وانما يشعر بها في الاخرة فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها ولا تتقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها
فانما يراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضي الى بعض اما بواسطة
او بوسائط كثيرة فكلما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى اقل فهي افضل واما الاحوال فنعني بها احوال القلب في تصفيته وتطهيره
عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق فاذا فضائل الاحوال بقدر تاثيرها في اصلاح القلب وتطهيره واعداده
لان تحصل علوم المكاشفة وكما ان تصقيل المرآة يحتاج ان يتقدم على تمامها احوال للمرآة بعضها اقرب الى الصقالة من بعض فكذلك احوال القلب
فالحالة القريبة او المفضية الى صفاء القلب هي افضل مما دونها لا محالة بسبب القرب من المقصود وهكذا ترتيب الاعمال فان تاثيرها في تاكيد صفاء القلب
وجلب الاحوال اليه وكل عمل فاما ان يجلب اليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا واما ان يجلب حالة مهيئة للمكاشفة
موجبة صفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الاول المعصية واسم الثاني الطاعة والمعاصي من حيث التاثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة
وكذلك الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تاثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا نقول على الاطلاق ربما نقول
الصلاة النافلة افضل من كل عبادة نافلة وان الحج افضل من الصدقة وان قيام الليل افضل من غيره ولكن التحقيق فيه ان الغني الذي معه مال وقد
غلب عليه البخل وحب المال على امساكه فاخراج درهم له افضل من قيام ليالي وصيام ايام لان الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فاراد كسرها او منعه
الشبع عن صفاء الفكر في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع فاما هذا المدبر اذا لم تكن حالة هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل
بدفعها وكيف يمنعه الشبع عنها فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله اللائق به الى حال غيره وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن اذا استعمل دواء الصداع
فلا ينفعه بل حقه ان ينظر في المهلك الذي استولى عليه والشح المطاع من جملة المهلكات ولا يزيله صيام مائة سنة وقيام الف ليلة ... فلا يزيله
الا اخراج المال فعليه ان يتصدق بما معه وتفصيل هذا ما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع اليه فاذا عرفت هذه الاحوال فجملة ذلك تعرف
التصويب ان الجواب المطلق فيه خطأ اذ لو قال لنا قائل الخبز افضل ام الماء لم يكن فيه جواب حق الا ان الخبز للجائع افضل والماء للعطشان فان اجتمعا فينظر
الى الاغلب فان كان العطش هو الاغلب فالماء افضل وان كان الجوع اغلب فالخبز افضل وان تساويا فهما متساويان وكذلك اذا قيل السكنجبين
افضل ام شراب النيلوفر لم يصح الجواب عنه مطلقا نعم لو قيل لنا السكنجبين افضل ام سكون الصفراء فنقول سكون الصفراء لان السكنجبين مراد له
وما يراد لغيره فذلك الغير افضل منه لا محالة فان بذل المال عمل وسواء انفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب وتهيئة
القلب بسبب خروج حب الدنيا من القلب لمعرفة الله ومحبته فالافضل المعرفة ودونها الحال ودونها العمل فان قلت فقد حث الشرع على الاعمال

ويبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال تعالى ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون البذل هو الافضل
افضل من الاحوال فاعلم ان الطبيب اذا اثنى على الدواء لم يدل على ان الدواء اريد لعينه او على انه افضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن
الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لا يشعر به غالبا فهو كبرص على وجه من لا مرآة له فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به فلا سبيل معه
الا المبالغة في الثناء على غسل الوجه بالماء ورد مثلا اذ كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول المرض فانه لو
ذكر له ان المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم ان وجهه لا عيب فيه […] ومثاله ان الوالد اذا اراد ان يعلم ولده
العلم والقرآن واراد ان يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم انه لو امره بالتكرار والدراسة ليتم له الحفظ لقال ابي محفوظ ولا حاجة
لي الى التكرار والدراسة لانه يظن انه حفظه في الحال فيبقى كذلك ابدا وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل ليتوفر دواعيه على
كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعليم العبيد القرآن وانه قد استخدم لتعليمهم فيستثقل عليه الامر فيقول مالي قد استخدمت
لاجل العبيد وانا اجل منهم واعز عند الوالد واعلم ان ابي لو اراد تعليم العبيد لقدر على تعليمهم دون تكليفي واعلم انه لا نقصان له في فقد حوله العبيد
وفضله عن علمهم بالقرآن فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك التعليم اعتمادا على استغناء ابيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرا
محروما من حيث لا يدري وقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله غني عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا فاي معنى لقوله تعالى
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين لاطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف اموالنا اليهم كما قال الله تعالى حكاية عن الكفار واذا قيل لهم
انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا الآية فانظر كيف
كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهؤلاء لما ظنوا انهم استخدموا
لاجل الفقراء والمساكين لاجل الله ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله في مالنا […] سواء انفقنا او امسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن ان
مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد ولم يشعر ان المقصود ثبات صفة العلم في قلبه وتأكده فيه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا واما كان
ذلك من الوالد تلطفا به في استجراره الى ما فيه سعادته فهذا المثال ينبئك على ضلال من ضل من هذا الطريق فاذا المسك المهلك لا ينقطع الا بواسطة المال
حب البخل وحب الدنيا فانه مهلك كما هو كالحجام يستخرج الدم فيكون لتخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنه فالحجام خادم لكل الا انه خادم المحجوم
والمحجوم لكونه خادما لم يكن له غرض في ان يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات ابى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يأخذها وانتهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها اوساخ اموال الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال مؤثرات في
القلب كما سبق في ربع المهلكات والقلب بحسب ما يؤثر يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة وهذا هو القول الكلي والقانون الاصلي الذي ينبغي ان يرجع اليه
في معرفة فضائل الاعمال والاحوال والمعارف فلنرجع الآن الى خصوص غرضنا من الصبر والشكر فنقول ـــــ لكل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز
ان نقابل المعرفة من احدهما بالحال او العمل من الآخر بل نقابل كل واحد بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر الفضل فمهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر
ربما رجعا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى العين […] من الله ومعرفة الصابر ان يرى الالم […] من الله فهما معرفتان متلازمتان […]
هذا ان اعتبر في البلاء والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الشكر والصبر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر
الطاعة لان الشكر يرجع الى صرف نعمة الله تعالى الى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه
اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين
اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو ان يصرع به باعث الشهوة ويصرفه الى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه
فمجاري الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلايا وقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية اما البلاء فهو عبارة عن فقد النعمة والنعمة اما ان يكون ضروريا
كالعينين مثلا واما ان يقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الحاجة من المال اما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويظهر الرضى بقضاء الله
ولا يترخص بسبب العمى في بعض المعاصي وشكر البصير عليهما من حيث العمل بامرين احدهما ان لا يستعين بهما على معصية والآخر ان يستعملهما في الطاعة
وكل واحد من الامرين لا يخلو عن الصبر فان الاعمى كفي الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرا نعمة العينين
وان اتبع نظره كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر في شكره وكذلك اذا استعان بالعين على الطاعة فلا بد فيه من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها

بالنظر

بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به الى معرفة الله فيكون هذا الشكر افضل من الصبر ولولا هذا لكانت مرتبة شعيب مثلا وكان ضريرا فوق
رتبة موسى عليهما السلام وغيره لانه صبر على فقد البصر وموسى لم يصبر ولكان الكمال في ان يسلب الانسان الاطراف كلها ويترك كلحم على وضم وذلك محال
جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة في الدين فيفوت بفوتها ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها فيما هي آلة فيه من الدين وذلك لا يكون الا
بصبر واما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فاذا لم يؤت الا قدر الضرورة وهو محتاج الى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو
جهاد الفقراء ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان يصرف الى الخيرات وان لا يستعمل في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة
فالشكر افضل لانه تضمن الصبر ايضا وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه احتمال الم في صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى
ان شيئين افضل من شيء واحد وان الجملة اعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا يصح الموازنة بين الجملة والبعض واما اذا كان شكره بان لا يستعين به
على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر هنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغني الممسك ماله الصارف له الى المباحات لا من الغني
الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها واحسن الرضا على بلاء الله تعالى وهذه الحالة لا محالة تستدعي قوة والغني اتبع نهمته
واطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح والمباح مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام ايضا الا ان القوة التي تصدر عنها صبر
الفقير اتم واعلى من القوة التي تصدر عنها الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التي يدل العمل عليها فان الاعمال لا تراد الا لاحوال
القلب وتلك القوة حال للقلب يختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو افضل لا محالة وجميع ما ورد من تفضيل اجر الصبر
على اجر الشكر في الآيات والاخبار انما اريد بها هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الخلق من النعم الاموال والغنى بها والسابق
الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا ان يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر افضل من الشكر اي الصبر
الذي تفهمه العامة افضل من الشكر الذي تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص اشار الجنيد حيث سئل عن الصبر والشكر ايهما افضل فقال
ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشياء تلائم
صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه اشياء تؤلم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشروط ما عليهما كان الذي
آلم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها والامر على ما قاله وهو صحيح في تحليل اقسام الشكر والصبر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو
لم يرد سواه ويقال كان ابو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك فقال الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فاصابه ما اصابه من البلاء من قتل
اولاده وتلف ماله وزوال عقله اربع عشرة سنة وكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ومهما لاحظت المعاني
التي ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها في بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل من غني شاكر كما سبق ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وهو الغني
الذي يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين
وانما ينتظر حاجة محتاج حتى يصرف اليه ثم اذا صرف لم يصرفه لطلب جاه ولا صيت ولا تقليد منة بل اداء لحق الله تعالى في عباده فهو افضل من الفقير الصابر
فان قلت ـــــ فهذا لا يثقل على النفس والفقير قد يثقل عليه الفقر لانه يستشعر الم الفقر وذلك يستشعر لذة القدرة فان كان يتألم احيانا بفوات المال فهو
ذلك يلتذ بالقدرة على الانفاق فاعلم ان الذي نراه ان من يسلم له عن رغبة وطيب نفس اكمل حالا ممن يسلم […] ويتحلل بها ولا يسلطها على نفسه […] وقد
ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب التوبة فالالم في النفس ليس مطلوبا لعينه بل لتأديبها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المتأدب افضل من الكلب المحتاج الى
الضرب وان كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج الى الالم والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليه في النهاية بل النهاية ان يصير ما كان مؤلما في حقه لذيذا عنده
كما يصير التعليم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مؤلما له اولا ولكن لما كان اكثر الناس كانهم […] في البداية […] فاطلاق الجنيد
القول بان الذي يؤلم صفته افضل وهو كما قال صحيح فيما اراد من عموم الخلق فاذا اردت التحقيق فتفصيل الجواب […] فاطلاق القول
بان الصبر افضل من الشكر فانه يصح فيما اراد من عموم المعنى السابق الى الافهام فاذا اردت التحقيق فقل للصبر درجات اعلاها ترك الشكوى مع الكراهة و
وراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو مقام وراء الرضا اذ الصبر مع الالم والرضا يمكن مع عدم الالم والفرح والشكر لا
يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا اقصاها ويدخل في جملتها ما هو دونها فان حياء العبد من تتابع نعم الله عليه
شكر ومعرفته تقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكنه ستره شكر والاعتراف بان النعم

إنعام الله من غير استحقاق منه شكر والعلم بأن الشكر أيضاً نعمة من نعم الله تعالى وموهبة من مواهبه شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر إذ قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب الشكر وقلة الاعتراض وحسن الأدب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر وما يندرج من الأحوال والأعمال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر إلا على سبيل إرادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الأخبار والآثار وقد روي عن بعضهم أنه قال كنت في بعض الأسفار فرأيت شيخاً كبيراً قد طعن في السن فسألته عن حاله فقال إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق أنها زوجت مني فليلة زفافها قلت تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا إلى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل فصار لنا سبعون أو ثمانون سنة نحن على تلك الحالة في كل ليلة أليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز كما قال الشيخ فانظر إليهما لو صبرا على بلاء الفرقة أن لم يجمع الله بينهما والتسبب بصبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك أن صبر الشكر أفضل فإذاً لا وقوف على حقائق الفضائل إلا بالتفصيل كما سبق والله أعلم بالصواب تم كتاب الصبر والشكر بحمد الله وحسن توفيقه وصلى الله على خير خلقه محمد وآله أجمعين

لو لم يصبرا على الفرقة لم يجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

## كتاب الخوف والرجاء

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب أوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه إلى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر أعدائه وضرب بسياط التخويف وزجر العنيف وجوه المعرضين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض للأذية والتهدف لسخطه ونقمته قوداً لأصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرفق واللطف إلى جنته والصلاة على محمد وآله سيد أنبيائه وخير خليقته وعلى أصحابه وأسرته أما بعد فإن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفاً بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم المقيم مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات العنف فلا بد إذاً من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذلك في كتاب واحد يشتمل على شطرين الشطر الأول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف أما الشطر الأول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي به يجتلب الرجاء

حقيقة الرجاء اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وإنما يسمى الوصف مقاماً إذا ثبت وأقام وإنما يسمى حالاً إذا كان عارضاً سريع الزوال وكما أن الصفرة تنقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب وإلى سريعة الزوال كصفرة الوجل وإلى ما بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالاً لأنه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء أيضاً يتم من علم وحال وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجاء اسم الحال من جملة الثلاثة وبيانه أن كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم إلى موجود في الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى منتظر في الاستقبال فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكراً وتذكراً وإن كان ما خطر بقلبك موجوداً في الحال يسمى وجداً وذوقاً وإدراكاً وإنما سمي وجداً لأنها حالة تجدها من نفسك وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظاراً وتوقعاً فإن كان المنتظر مكروهاً حصل منه ألم في القلب يسمى خوفاً وإشفاقاً وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به وإخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح يسمى ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وأن يكون له سبب فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وإن كان ذلك انتظاراً مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه أما ما يقطع به فلا إذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب لأن ذلك مقطوع به نعم يقال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان وقلما ينفع

إيمان

إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير عفن ولا مسوس ثم أمده بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته ثم نقى الأرض عن الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده ثم جلس منتظراً من فضل الله دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وإن بث البذر في أرض سبخة صلبة مرتفعة لا ينصب إليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر حصاد الزرع منه سمي انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاء وإن بث البذر في أرض طيبة ولكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تمتنع أيضاً سمي انتظاره تمنياً لا رجاء فإذاً اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاه بماء الطاعات ونقى القلب عن شوك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً في نفسه باعثاً له على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحوناً برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال النبي عليه السلام الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله صاحب البستان إذ دخل جنته وقال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة فإذاً العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة وأما العاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة وأما قبول التوبة إذا كان كارهاً للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق إليها فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة لأن كراهته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي يفضي إلى التوبة وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب ولذلك قال تعالى إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله معناه أولئك يستحقون أن يرجوا وما أراد به تخصيص وجود الرجاء بهم لأن غيرهم أيضاً قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فأما من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في الأرض السبخة وعزم على أن لا يتعهده بسقي ولا تنقية وقال يحيى بن معاذ الرازي من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من غير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله مع الإفراط فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت أنها حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الأسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان فإن من حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الأرض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها أصلاً إلى وقت الحصاد وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التعهد فمن عرف أن الأرض سبخة وأن الماء معوز وأن البذر لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الأرض والتعب في تعهدها والرجاء محمود لأنه باعث واليأس مذموم وهو ضده لأنه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة فإذاً حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فإن هذه الأحوال لا بد أن تظهر على كل من يرجو ملكاً من الملوك أو شخصاً من الأشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فإن كان ذلك لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أثمره من العلم ولما استثمره من العمل ويدل على إثمار العلم لهذا الحال حديث زيد الخيل إذ قال للرسول صلى الله عليه وسلم جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت فقال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأيقنت بثوابه وإذا فاتني شيء منه حزنت عليه وحننت إليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك للأخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي أوديتها هلكت فقد ذكر عليه السلام علامة من أريد به الخير فمن ارتجى أن يكون مراداً بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور

فضيلة الرجاء والترغيب فيه اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له والحب يغلب بالرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه والآخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لا سيما عند الموت قال الله تعالى

لا يسطوا ورحمه الله فحرم اصل الياس وفي اخبار يعقوب ان الله تعالى اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اخاف ان ياكله
الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وقال عليه السلام لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن بربه وقال عليه السلام
انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا ودخل عليه السلام على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك قال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال
عليه السلام ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه ما رجا وامنه مما يخاف وقال علي كرم الله وجهه لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه
يا هذا ياسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وقال سفيان من اذنب ذنبا فعلم ان الله قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله ذنبه قال لان الله عز وجل عير قوما
فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال عليه السلام ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك
اذ رايت المنكر ان تنكره فان لقنه الله حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس فقال الله تعالى قد غفرته لك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس
فيتسامح مع الغني ويتجاوز عن المعسر فلقي الله ولم يعمل خيرا قط فقال الله تعالى من احق بذلك منا فعفا عنه بحسن ظنه ورجائه انه يعفو عنه مع افلاسه عن
الطاعات وقال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ولما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجارون الى ربكم فهبط جبريل فقال ان ربك يقول لم تقنط
عبادي فخرج اليهم ورجاهم وشوقهم وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام احبني واحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يا رب كيف احببك
الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني اليهم وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل ورؤي ابان بن ابي عياش في النوم
وكان يكثر ذكر ابواب الرجا فقيل له ما فعل الله بك قال اوقفني الله بين يديه فقال ما الذي حملك على ذلك فقلت اردت ان احببك الى خلقك فقال
قد غفرت لك ورؤي يحيى بن اكثم في النوم بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال اوقفني الله بين يديه وقال يا شيخ السو فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب
ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس عن نبيك عن جبريل
انك قلت انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا وكنت اظن بك ان لا تعذبني فقال عز وجل صدق جبريل وصدق نبيي وصدق انس وصدق الزهري و
وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فالبست ومشى بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لها من فرحة وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل
كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله له يوم القيامة اليوم اويسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وقال عليه السلام ان رجلا يدخل النار
فيمكث فيها الف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله لجبريل اذهب فاتني بعبدي قال فيجي به فيوقفه على ربه فيقول الله له كيف وجدت مكانك
فيقول شر مكان فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله الى اي شي تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعيدني اليها بعد اذ
اخرجتني فيقول الله اذهبوا به الى الجنة فدل على ان رجاه كان سبب نجاته

دوا الرجا والسبيل الذي يحصل منه حال الرجا ويغلب

اعلم ان هذا الدوا يحتاج اليه احد رجلين اما رجل غلب عليه الياس فترك العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف في المواظبة على العبادة حتى اضر
بنفسه واهله وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال الى طرفي الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال فاما العاصي المغرور
المتمني على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فادوية الرجا تنقلب في حقه سموما مهلكة وتنزل منزلة العسل الذي هو شفا لمن غلب عليه
البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه الا ادوية الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب ان يكون واعظ الخلق متلطفا
ناظرا الى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والاخلاق كلها وخير الامور
اوساطها فاذا جاوز الوسط الى احد الطرفين عولج بما يرده الى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي ان يستعمل فيه مع
الخلق اسباب الرجا بل المبالغة في التخويف ايضا تكاد لا تردهم الى جادة الحق وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجا فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها
لما كانت اخف على القلوب والذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثنا كيف ما كانوا مالوا الى الرجا
حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المتمادون المنهمكون في طغيانهم تماديا قال علي كرم الله وجهه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا
يؤمنهم من مكر الله ونحن نذكر اسباب الرجا ليستعمل في حق الايس او من غلب عليه الخوف اقتدا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه فانهما مشتملان على
الخوف والرجا جميعا لانهما جامعان لاسباب الشفا في حق اصناف المرضى ليستعمله العلما الذين هم ورثة الانبيا بحسب الحاجة استعمال الطبيب
الحاذق لا استعمال الاحمق الذي يظن ان كل شي فيه دوا فهو صالح لكل مريض كيف ما كان وحال الرجا يغلب بشيئين احدهما الاعتبار والاخر

استقرا

استقرا الآيات والاخبار والآثار اما الاعتبار فهو ان يتامل جميع ما ذكرناه من اصناف النعم في كتاب الشكر حتى اذا علم لطائف نعم الله
تعالى لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الانسان حتى اعطاه في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كالات الغذا
وما هو محتاج اليه كالاصابع والاظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف الوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا
يثلم بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به مزيد جمال فالعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده في امثال هذه الدقائق حتى لم ترض لعباده
ان يفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا علم ان اكثر الخلق قد هيي
له اسباب السعادة في الدنيا حتى انه يكره الانتقال عن الدنيا بالموت وان اخبر بانه لا يعذب بعد الموت مثلا او لا يحشر اصلا فليس كراهتهم
للعدم الا لان اسباب النعم اغلب لا محالة وان الذي يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه الا في حالة نادرة وواقعة هاجمة غريبة فاذا كان
اكثر حال الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة وسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب ان امر الاخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا و
الاخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تامل حق التامل قوي به اسباب الرجا ومن الاعتبار ايضا النظر في
حكمة الشريعة وسنتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين يرى ان اية المداينة في البقرة من اقوى اسباب الرجا فقيل
له وما فيها من الرجا فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف انزل الله تعالى فيه اطول اية ليهدي عبده الى
طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه اما النوع الثاني استقرا الآيات والاخبار والآثار فما ورد
في الرجا خارج عن الحصر اما الايات فقد قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا وفي قراة رسول الله ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر تعالى ان النار
اعدها لاعدائه وانما خوف بها اوليا فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال واتقوا النار التي اعدت للكافرين
وقال فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال ان النبي عليه السلام لم يزل يسال في
امته حتى قيل له اما ترضى وقد انزلت عليك هذه الاية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال
لا يرضى محمد وواحد من امته في النار وكان ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى اية في كتاب الله قوله تعالى قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ونحن اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى واما الاخبار فقد روى ابو
موسى عنه عليه السلام انه قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الاخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن واذا كان يوم القيامة دفع الى
كل رجل من امتي رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداوك من النار وفي لفظ اخر ياتي كل رجل من هذه الامة بيهودي او نصراني الى جهنم فيقول
هذا فداي من النار فيلقى فيها وقال عليه السلام الحمى من فيح جهنم وهي حظ المومن من النار وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين
امنوا معه ان الله اوحى الى نبيه عليه السلام اني اجعل حساب امتك اليك قال لا يا رب انت خير لهم مني فقال اذا لا اخزيك فيهم وروي عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه سال ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم الي لئلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله تعالى اليه هم امتك وهم عبادي
وانا ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيري لئلا ينظر في مساويهم انت ولا غيرك وقال عليه السلام حياتي خير لكم وموتي خير لكم اما حياتي فاشرع
لكم السنن واشرع لكم الشرائع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا حمدت الله وما رايت منها سيئا استغفرت الله لكم وقال عليه السلام
يوما يا كريم العفو فقال جبريل اتدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفا عن السيئات برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع النبي صلى الله عليه رجلا
يقول اللهم اني اسالك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وقال العلما قد اتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا اذ قال
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفي الخبر اذا اذنب العبد فاستغفر الله يقول الله تعالى لملائكته انظروا الى عبدي اذنب ذنبا
فعلم ان له ربا يغفر الذنوب وياخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له وفي الخبر لو اذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السما غفرتها له ما استغفرني
ورجاني وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب ست ساعات فان
تاب واستغفر لم يكتبه عليه وان لم يكتبها سيئة وفي لفظ اخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو امير عليه الق هذه السيئة
حتى القي من حسناته واحدة من تضعيف العشر وارفع له تسع حسنات فيلقى عنه هذه السيئة وروى انس رضي الله عنه في حديث طويل انه عليه السلام قال

اذا اذنب العبد ... لم تكتب عليه فقال الاعرابي ان تاب قال محي عنه قال فان عاد قال عليه السلام تكتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته
قال الى متى قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله ان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين
حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتب عشر حسنات ثم يضاعفها الله الى سبعمائة ضعف واذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فان عملها كتب خطيئة واحدة
ووراها حسن عفو الله وجاء رجل الى النبي فقال يا رسول الله اني لا اصوم الا الشهر لا ازيد عليه ولا اصلي الا الخمس لا ازيد عليها شيا
ليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع فاين انا اذا مت فتبسم رسول الله وقال نعم معي ان حفظت قلبك من اثنين الغل والحسد ولسانك من
اثنين الغيبة والكذب وعينيك من اثنين النظر الى ما حرم الله وان تزدري بها مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي الحديث الطويل عن انس
قال الاعرابي يا رسول الله من يلي حساب الخلق قال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال عليه السلام مم ضحكت يا اعرابي قال ان الكريم
اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي عليه السلام الا وانه لا كريم اكرم من الله تعالى وهو اكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي ومن فقهه ان الله تعالى شرف
الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله قال الاعرابي ومن اولياء الله قال المؤمنون كلهم اولياء
الله اما سمعت قول الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفي بعض الاخبار المؤمن افضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن اكرم على
الله من الملائكة وفي الخبر خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق به عباده الى الجنة وفي خبر آخر يقول الله تعالى انما خلقت الخلق ليربحوا علي
ولم اخلقهم لاربح عليهم وفي حديث ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه ما خلق الله تعالى شيا الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه وفي
الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وعن معاذ بن جبل وانس بن مالك انه صلى الله عليه قال من قال لا
اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه قول لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيا حرمت عليه النار ولا يدخل النار من في قلبه وزن
ذرة من ايمان وفي خبر آخر لو يعلم الكافر سعة رحمة الله ما ايس من جنته احد ولما تلا رسول الله صلى الله عليه ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال اتدرون اي
يوم هذا هذا يوم يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى قال
فابلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا
بهذا فقال كم انتم في الامم اين تاويل وتاريس ومنسك ويأجوج ومأجوج امم لا يحصيها الا الله انما انتم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود
وكالرقمة في ذراع الدابة فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بازمة الرجاء الى الله اولا ثم بسياط الخوف اولا فلما خرج بهم عن حد الاعتدال
الى افراط الياس داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد والاخير لم يكن مناقضا للاول ولكن ذكر في الاول ما راه سببا للشفاء واقتصر عليه
فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر فعلى الواعظ ان يقتدي بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال اخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل
الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق الله تعالى خلقا يذنبون فيغفر الله لهم وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون
فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اشد من الذنوب قيل ما هو قال العجب وقال عليه السلام والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المؤمن
من الوالدة الشفيقة لولدها وفي الخبر ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه وفي الخبر ان لله تعالى مائة
رحمة ادخر منها عنده تسعا وتسعين رحمة واظهر منها في الدنيا رحمة واحدة بها يتراحم الخلق فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيامة
ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارض قال ولا يهلك على الله يومئذ الا هالك وفي الخبر ما منكم من احد
يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقال عليه السلام اعملوا وابشروا واعلموا ان احدا لا ينجيه عمله وقال عليه
اني اختبأت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي اترونها للمطيعين المتقين بل هي للمخلطين المتلوثين وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وقال عليه السلام
احب ان يعلم اهل الكتابين ان في ديننا سماحة وقيل في معناه استبان الله المؤمنين في قوله ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا وقال ويضع
عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وروى محمد بن الحنفية عن علي انه قال لما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال اذا عفوت
عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فالله اكرم من ان يعاتب من عفا عنه فبكى جبريل وبكى النبي عليهما السلام فبعث الله اليهما ميكائيل وقال ان ربكما يقرئكما السلام
ويقول كيف اعاتب من عفوت عنه هذا ما يشبه ذلك والاحاديث الواردة في اسباب الرجاء اكثر من ان تحصى واما الآثار فقد قال علي كرم الله وجهه
من اذنب ذنبا فستره الله عليه في الدنيا فالله اكرم من ان يكشف ستره في الآخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى اعدل من ان يثني عقوبته

علي عبده

على عبده في الآخرة وقال الثوري ما احب ان يجعل حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله ارحم بي منهما وقال بعض السلف المؤمن اذا عصى الله
تعالى ستره الله عن ابصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى الاسود بن سالم تحطه ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرفع
يديه ويقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذلك الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة يا رب قال الله تعالى حتى متى تحجبون عني صوت عبدي
قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري اشهدكم اني قد غفرت له وقال ابراهيم بن ادهم خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة
فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم تسالني العصمة وكل عبادي المؤمنين
يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في الملكوت ولكن الله قمعه بالذنوب وقال
الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين ولقي مالك بن دينار ابانا رضي الله عنهما فقال الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا يحيى اني
لارجو ان ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساك هذا من الفرح وفي حديث ربعي بن خراش عن اخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن
تكلم بعد الموت قال لما مات اخي سجي بثوبه والقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا وقال اني لقيت ربي فحياني بروح وريحان
ورب غير غضبان واني رايت الامر اسهل مما تظنون ولا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه ينتظرني واصحابه حتى ارجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكانها
كانت حصاة وقعت في طست فحملناه ودفناه وفي الحديث ان رجلين في بني اسرائيل تواخيا في الله تعالى فكان احدهما يسرف على نفسه
وكان الآخر عابدا وكان يعظه ويزجره فكان يقول دعني وربي ابعثت علي رقيبا حتى راه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال له لا يغفر الله لك قال فيقول
الله تعالى له يوم القيامة ايستطيع احد ان يحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت لك ثم يقول للعابد وانت فقد اوجبت لك النار قال فوالذي
نفسي بيده لقد تكلم بكلمة اهلكت دنياه وآخرته وروي ان لصا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين سنة فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد
من عباد بني اسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان يدنو
من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد قال واحس به الحواري فقال هذا يمشي الى جانبي
فضم عنه نفسه وتقدم الى عيسى فمشى الى جنبه فبقي اللص خلفه قال فاوحى الله تعالى الى عيسى قل لهما يستانفا العمل فقد احبطت ما اسلفا
من اعمالهما اما الحواري فقد احبطت حسناته لعجبه بنفسه واما الآخر فقد احبطت سيئاته بما ازرى على نفسه فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته
وجعله من حوارييه وروي عن مسروق ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ بعض العصاة عنقه حتى الزق الحصى بجبهته فرفع النبي راسه مغضبا فقال
اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله تعالى اليه تتالى علي في عبادي اني قد غفرت له وقد يقرب من هذا ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه كان
يقنت فيدعو على المشركين ويلعنهم في صلاته فنزل قوله تعالى ليقطع طرفا من الذين كفروا الى قوله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم فترك الدعاء عليهم وهدى
الله عامة اولئك الى الاسلام وفي الاثر ان رجلين كانا من المتعبدين متشابهين في العبادة قال فاذا ادخلا الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى
على صاحبه فقال يا رب ما كان هذا في الدنيا باكثر مني عبادة فرفعته علي في عليين فيقول الله سبحانه انه كان يسالني في الدنيا الدرجات العلى
وانت كنت تسالني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء افضل لان المحبة اغلب على الراجي منها على الخائف
فكم من فرق في الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه واكرامه ولذلك امر الله بحسن الظن ولذلك قال عليه السلام سلوا الله
الدرجات العلى فانما تسالون كريما وقال اذا سالتم الله فاعظموا الرغبة وسلوا الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شيء وقال بكر بن سليم الصواف
دخلنا على مالك بن انس في العشية التي قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله كيف تجدك قال لا ادري ما اقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم
في حساب ثم ما برحنا حتى اغمضناه وقال يحيى بن معاذ في مناجاته تكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال
على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالآفة معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقيل ان مجوسيا
استضاف ابراهيم الخليل فقال ان اسلمت اضيفك فمر المجوسي فاوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه
على كفره فلو اضفته ليلة ماذا كان عليك فمر ابراهيم يسعى خلف المجوسي فرده واضافه فقال له المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال له المجوسي
ثم قال اعرض علي الاسلام فاسلم ورؤي الاستاذ ابو سهل الصعلوكي ... ابا سهل الزجاجي وكان يقول بوعيد الابد فقال له كيف حالك فقال
وجدنا الامر اسهل مما توهمنا ورأى بعضهم ابا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظني بربي

وحكي ان ابا العباس بن سريج راى في مرض موته في منامه كان القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه يقول اين العلماء قال فجاؤوا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا واسانا قال فاعاد السوال كانه لم يرض بالجواب واراد جوابا غيره فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلث ليال وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام له اربعة دراهم وامره ان يشتري شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسال لفقير شيئا ويقول من دفع اليه اربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع الغلام الدراهم اليه فقال منصور ما الذي تريد ان ادعو لك فقال لي سيد اريد ان اتخلص منه فدعا منصور وقال الاخرى قال ان يخلف الله علي دراهمي فدعا ثم قال الاخرى فقال ان يتوب الله على سيدي فدعا ثم قال الاخرى فقال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور ورجع الغلام فقال له سيده لم ابطات فقص عليه القصة فقال وبم دعا فقال سالت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر وايش الثاني فقال ان يخلف الله علي الدراهم فقال لك اربعة الاف درهم وايش الثالث فقال ان يتوب الله عليك فقال تبت الى الله وايش الرابع قال ان يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر فقال هذا الواحد ليس الي فلما بات تلك الليلة راى في المنام كان قائلا يقول انت فعلت ما كان اليك افترى اني لا افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين اجمعين وروي عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي قال رايت ثلاثة رجال وامراة يحملون جنازة قال فاخذت انا مكان المراة وذهبنا الى المقابر وصلينا عليها ودفنا الميت فقلت للمراة من كان هذا منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صغروا امره قلت وايش كان هذا قالت مخنثا قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها دراهم وحنطة وثيابا قال فنمت تلك الليلة فرايت كانه اتاني ات كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكرني فقلت من انت فقال المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس اياي وقال ابراهيم الاطروش كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي على دجلة اذ مر قوم احداث في زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقالوا لمعروف اما تراهم يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الاخرة فقالوا انما سالناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الاخرة تاب عليهم وكان بعض السلف يقول في دعائه يا رب واي اهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك دارا عليهم سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى كانك يا ربنا لا تغضب فهذه هي الاسباب التي تجلب بها روح الرجاء الى قلوب الخائفين والايسين فاما الحمقى المغرورون فلا ينبغي ان يسمعوا شيئا من ذلك بل يسمعون ما سنورده في اسباب الخوف فان اكثر الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيم الا بالسوط والعصا واظهار الخشونة في الكلام واما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا

الشطر الثاني من الكتاب في الخوف وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان اقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان احوال الانبياء والصالحين

حقيقة الخوف اعلم ان الخوف عبارة عن تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن انس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها والى هذا اشار الواسطي حيث قال الخوف والرجاء زمامان على النفوس لئلا تخرج الى رعوناتها وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف وبالجملة فالمحب اذا اشتغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا في دوام الشهود وانما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الان انما نتكلم في اوائل المقامات فنقول حال الخوف ايضا ينتظم من علم وحال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ولكن يكون تالم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو اثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تالم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف عنه كخوف من وقع في مجرى سيل او جوار حريق فان الماء يخاف لانه بطبعه مجبول على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتالمه وذلك



الاحتراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وانه لا يسال عما يفعل تكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال عليه السلام انا اخوفكم لله واعرفكم به ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنشق به المرارة فيفضي الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط والياس واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال ابو القسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذي النون متى يكون العبد خائفا قال اذا انزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام واما في الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتادب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومواخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري انه يغفل عنه فيفلت او يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف الذي هو تالم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وافعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف ايضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انه يفارقها ولا يصرف الى غير الله نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة واعلى منه الورع فانه اعم لانه كف عن كل محظور واعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الاخيرة فيما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل كما انك تقول الانسان اما عربي او عجمي والعربي اما قرشي او غيره والقرشي اما هاشمي او غيره والهاشمي اما علوي او غيره والعلوي اما حسني او حسيني فاذا ذكرت الحسيني مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بالعلوي فقد وصفته بما هو فوقه مما هو اعم منه فكذلك اذا قلت صديق فقد قلت انه متق وورع وعفيف فلا ينبغي ان يظن ان كثرة هذه الاسامي تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعاني فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة عنه كفا واقداما

درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف اعلم ان الخوف محمود وربما يظن ان كل ما هو محمود فكلما كان اقوى واكثر كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن لا يدل ذلك على ان المبالغة في الضرب محمودة فكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما القاصر فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع اية من القران فيورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يولمها الما مبرحا فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء ولست اعني بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعني العلماء بالله وبايامه وبافعاله وذلك مما قد عز وجوده الان ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واشار به الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يوثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق ان يسمى خوفا واما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد

الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط فهو مذموم لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه
ما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشأه الجهل والعجز اما الجهل فانه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن خائفا لان المخوف
هو الذي يتردد فيه واما العجز فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذا هو محمود بالاضافة الى نقص الادمي وانما المحمود في نفسه وذاته هو
العلم والقدرة وكل ما يجوز ان يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله به فليس بكمال في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص اعظم منه كما يكون
احتمال الم الدواء محمودا لانه اهون من الم المرض والموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف ايضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة
وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة او يمرضها او يكسر عضوا من اعضائها وانما
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباب الرجا واكثر منها ليعالج بها صدمة الخوف المفرط المفضي الى القنوط او احد هذه الامور فكل ما يراد لامر فالمحمود منه
ما يفضي الى المراد المقصود منه وما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر
الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح في هذه الاسباب فهو مذموم فان قلت من خاف
فمات من خوفه مات شهيدا فكيف يكون حاله مذموما فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا محالة لو مات في ذلك الوقت لا
بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك لسبيل الله بطريق الفكر و
المجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهدا ولولا هذا لكان رتبة صبي يقتل او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبي او ولي مات
حتف انفه وهو محال فلا ينبغي ان يظن هذا بل افضل السعادات طول العمر في طاعة الله فكل ما ابطل العمر او العقل او الصحة التي يتعطل العمر بتعطلها فهو
خسران ونقصان بالاضافة الى امور وان كان بعض اقسامها فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة المتقين والصديقين فاذا الخوف
ان لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وان اثر فله درجات بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على العفة وهو الكف عن مقتضى
الشهوات فله درجة فان اثمر الورع فهو اعلى واقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله حتى لا يبقى لغير
الله فيه متسع فهذا اقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة الصحة او العقل فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو
كان محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجا وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل يقول للمريدين الملازمين للجوع اياما احفظوا عقولكم فانه
لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل

## اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه

اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان
يكون مكروها في ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما تكره المعاصي لادائها الى مكروه في الاخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة
لادائها الى الموت ولا بد لكل خائف ان يتمثل في نفسه مكروه من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه
ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت
قبل التوبة او خوف نقض التوبة ونكث العهد او خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله او خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة او خوف
الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة او خوف ان يكله الله الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد
الله او خوف البطر بكثرة نعم الله تعالى عليه او خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوائل طاعاته
حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب او خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية
عمره او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله على سريرته في حالة
غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص
فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف فمن خاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة والذي يخاف من اطلاع الله على
سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوسواس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه خطر
واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تبع السابقة وفرع يتفرع منها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر
ما سبق به القضاء في ام الكتاب والخائف من الخاتمة بالاضافة الى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما توقيعا يحتمل ان يكون فيه حز الرقبة
ويحتمل ان يكون فيه تسليم الوزارة اليهما ولم يصل التوقيع اليهما بعد فيرتبط قلب احدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه ماذا يظهر



ويرتبط قلب الاخر بحالة توقيع الملك وكتبته وانه ما الذي خطر له في حالة التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فهو اعلى من الالتفات
الى ما هو فرع وكذلك الالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتوقيع القلم من الالتفات الى ما يظهر في الابد والى الاشارة بقوله عليه السلام حيث
كان على المنبر وقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء ابائهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى فقال
هذا كتاب الله كتب فيه اهل النار باسمائهم واسماء ابائهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقا حتى يقال كانهم منهم بل
هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقا بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو
فواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم وهذا كانقسام الخائفين الى من يخاف معصيته وجنايته و
الى من يخاف الله نفسه لصفته وجلاله واوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة فهذا اعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وان كان في طاعة الصد[يقين]
واما الاخر فهو في عرضة الغرور والامن ان واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين
والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله وكل من عرفه وعرف صفاته علم ان من صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير جناية بل العاصي لو عرف الله حق معرفته
لخاف الله ولم يخف معصيته ولولا انه مخوف في نفسه لما سخر للمعصية وتيسر له سبيلها وهيأ له اسبابها فان تيسير اسباب المعصية
ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها ان يسخر للمعصية الثانية ويجري عليه اسبابها ولا سبق قبل الطاعة له وسيلة توسل بها حتى
يسرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء ام ابى وكذا المطيع فالذي يرفع محمدا صلى الله عليه وسلم الى اعلى
عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع ابا جهل في اسفل السافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بان يخاف منه لصفة
جلاله فان من اطاع الله اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة واتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا
والذي عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة واتاه الاسباب والقدرة وكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي
اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذي اوجب اهانة الاخر وابعاده بتسليط دواعي المعصية عليه وكيف يحال ذلك
الى العبد واذا كان الحوالة ترجع الى القضاء الازلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف منه في صفاته لازم الا لولا اذن الشرع لم يتجاسر على ذكره
دون تصريح فقد جاء في الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى و
ان كان لا يطلعك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل ان السبع يخاف لا لجناية سبقت
اليه بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولم يبال بك وان خلاك لم يخلك
شفقة عليك وابقاء على روحك بل انت عنده احقر من ان يلتفت اليك حيا كنت او ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة
واحدة اذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى ولكن من عرف الله عرف بالمشاهدة الباطنة التي
اقوى واجلى واوثق من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف
المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة الطبقة الثانية من الخائفين ان يتمثل في انفسهم ما هو المكروه في نفسه وذلك مثل سكرات الموت وشدته او سؤال
منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة الموقف بين يدي الله والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط
وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف من النار واغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان
الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله وكل هذه الاسباب مكروهة في انفسها لا محالة محذورة وتختلف احوال الخائفين فيها واعلاها رتبة هو
خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والزاهدين وكافة العاملين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح
بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق واذا ذكر له ان العارف لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك في نفسه منكرا في باطنه و
تعجب منه في نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منع الشرع اياه من الكلام فيكون اعترافه باللسان عن ضرورة التقليد والا فباطنه
لا يصدق به لانه لا يعرف الا لذة البطن والفرج والعين بالنظر الى الالوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه البهائم فيها فاما لذة
العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع غير اهله ومن كان اهله استبصر بنفسه واستغنى عن ان يستخرجه غيره فهذه
الاقسام ترجع خوف الخائفين

## بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه

اعلم ان فضيلة الخوف تارة تعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالايات والاخبار

اما الاعتبار فسبيله ان تعلم ان فضيلة الشي بقدر غنائه في الافضا الى سعادة لقا الله تعالى اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا في لقا مولاه والقرب منه فكل ما اعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقا الله في الاخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوات بشي كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب الى الله زلفى واما بطريق الاستبصار بالايات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات اهل الجنان قال الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلما فوصفهم بالعلم لخشيتهم وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم ولذلك جا في الخبر عن موسى عليه السلام اما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلما والعلما لهم رتبة مرافقة الانبيا لانهم ورثة الانبيا ومرافقة الرفيق الاعلى للانبيا ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه في مرضه بين البقا في الدنيا وبين القدوم على الله كان يقول اسالك الرفيق الاعلى فاذا ان نظرت الى ثمرته فهو العلم وان نظرت الى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضائلهما حتى صارت العاقبة موسومة بالتقوى مخصوصة بها كما صار الحمد مخصوصا بالله والصلاة برسول الله حيث قال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على محمد واله اجمعين وقد خص الله تعالى التقوى بالاضافة الى نفسه فقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم اذ التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولذلك وصى الله الاولين والاخرين بالتقوى فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقال وخافون ان كنتم مومنين فامر بالخوف واوجبه وشرطه في الايمان فلذلك لا يتصور ان ينفك مومن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه في فضيلة التقوى اذا جمع الله الاولين والاخرين لميقات يوم معلوم جاءهم بصوت يسمع اقصاهم كما يسمع ادناهم فقال يا ايها الناس اني قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا لي اليوم انما هي اعمالكم ترد عليكم ايها الناس اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقاكم وابيتم الا ان تقولوا فلان بن فلان وفلان اغنى من فلان فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون فينصب للقوم لوا فيتبع القوم لواهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال عليه السلام راس الحكمة مخافة الله وقال عليه السلام لابن مسعود ان اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي وقال الفضيل من خاف الله دله الخوف على كل خير وقال الشبلي ما خفت الله يوما الا رايت له بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وقال يحيى بن معاذ ما من مومن يعمل سيئة الا ويلحقه حسنتان خوف العقاب ورجا العفو كثعلب بين اسدين وفي خبر موسى عليه السلام ان الله تعالى يقول واما الورعون فانه لا يبقى احد الا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه سوى الورعين فاني استحييهم واجلهم ان اوقفهم للحساب والورع والتقوى اسامي اشتقت من معاني شرطها الخوف فان خلت عن الخوف لم تسم بهذه الاسامي وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يحصى وقد جعله الله مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من يخشى وقال ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال عليه السلام وعزتي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيامة وقال عليه السلام من خاف الله تعالى خاف منه كل شي ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شي وقال صلى الله عليه اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله به ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن ادم لو خاف النار كما يخاف الفقر لدخل الجنة وقال ذو النون من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه وقال ذو النون ينبغي ان يكون الخوف ابلغ من الرجا فاذا غلب الرجا تشوش القلب وكان ابو الحسن الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من امن الخلق غدا فقال اشدهم خوفا اليوم وقال سهل لا تجد الخوف حتى تاكل الحلال وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف نصنع نجالس اقواما يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال انك والله ان تصحب قوما يخوفونك حتى يدركك امن خير من ان تصحب قوما يومنونك حتى

يدركك الخوف وقال ابو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله الذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه والتشديدات الواردة في الامن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثنا على الخوف لان مذمة الشي ثنا على ضده الذي ينفيه وضد الخوف الامن كما ان ضد الرجا الياس وكما دل مذمة القنوط على فضيلة الرجا فكذلك دل مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول كل ما ورد في فضل الرجا فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلا بد ان يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو اذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجا متلازمان يستحيل انفكاك احدهما عن الاخر نعم يجوز ان يغلب احدهما على الاخر وهما مجتمعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الاخر في الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الخوف والرجا تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجا وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لا محالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم احد طرفي الشك قد يترجح على الاخر بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الاخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجا وخفي الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك عبرت العرب عن الخوف بالرجا فقال الله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القران الرجا بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما اذ عادة العرب التعبير عن الشي بما يلازمه بل اقول كل ما ورد في فضل البكا من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكا ثمرة الخشية وقد قال تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى ويبكون ويزيدهم خشوعا وقال افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون وقال النبي عليه السلام ما من عبد مومن يخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله تعالى ثم يصيب شيا من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال عليه السلام اذا اقشعر قلب المومن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها وقال صلى الله عليه لا يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع وقال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت عائشة قلت يا رسول الله يدخل احد من امتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال عليه السلام ما من قطرة احب الى الله من قطرة دمع من خشية الله او قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقال صلى الله عليه اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان القلب بذروف الدمع قبل ان يصير الدمع دما والاضراس جمرا وقال صلى الله عليه سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع ان يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني ان النار لا تاكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته او صلى حتى ينكسر صلبه وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه ما تغرغرت عين بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة فان سالت دموعه اطفا الله باول قطرة منها بحارا من النيران ولو ان رجلا بكى في امة ما عذبت تلك الامة وقال ابو سليمان البكا من الخوف والرجا من الطرب والشوق وقال كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي احب الي من ان اتصدق بجبل ذهب وقال عبد الله بن عمر لان ادمع دمعة من خشية الله احب الي من ان اتصدق بالف دينار وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فدنت مني المراة وجرى بيننا حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه واخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي قد نافقت حيث تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادي نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على رسول الله وانا اقول نافق حنظلة فقال صلى الله عليه كلا لم ينافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عليه عندك فقال يا حنظلة لو انكم كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة فاذا كل ما ورد في فضل الرجا والبكا وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الامن فهو دال على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلق به اما تعلق السبب او تعلق المسبب

بيان ان الافضل هو غلبة الخوف او غلبة الرجا او اعتدالهما

اعلم ان الاخبار في فضل الخوف والرجا قد كثرت وربما ينظر الناظر اليهما فيعتريه شك في ان الافضل ايهما وقول القائل الخوف افضل ام الرجا سوال فا

نظاهي قول القائل الخبز افضل ام الما وجوابه ان يقال الخبز للجايع افضل والما افضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع
اغلب فالخبز افضل وان كان العطش اغلب فالما افضل وان استويا فهما مستويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى
مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجا دوان يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الدا الموجود فان كان الغالب على القلب دا الامن من مكر الله و
الاغترار به فالخوف افضل وان كان الاغلب هو الياس والقنوط من رحمة الله فالرجا افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل
ويجوز ان يقال مطلقا الخوف افضل على التاويل الذي يقال الخبز افضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفرا ومرض
الجوع اغلب واكثر فالحاجة الى الخبز اكثر فهو افضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف افضل لان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب وان نظر الى مطلع
الخوف والرجا فالرجا افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت
المحبة عليه اغلب وليس ورا المحبة مقام واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجا
وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي ان يستعمل فيه لفظ الاصلح لا لفظ الافضل فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجا وذلك لاجل غلبة المعاصي فاما التقي
الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاوه وروي ان عليا قال لبعض اولاده يا بني خف الله خوفا ترى انك لو ان
اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجا ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك ولذلك قيل لو وزن رجا المومن وخوفه لاعتدلا
ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا
لخشيت ان اكون ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجا واعتدالهما مع العلو والاستيلا ولكن على سبيل التقابل والتساوي فمثل عمر ينبغي
ان يساوي خوفه رجاوه فاما العاصي اذا ظن انه الرجل الذي استثني من الذين امروا بدخول النار كان ذلك دليلا على اغتراره فان قلت
مثل عمر لم ينبغي ان يساوي خوفه رجاه بل ينبغي ان يغلب رجاوه كما سبق في اول كتاب الرجا فاقول هو ينبغي ان يكون بحسب قوة اسبابه كما مثل
بالبذر والزرع ومعلوم ان من بث البذر الصحيح في ارض نقية وواظب على تعهدها وجمع جميع شروط الزراعة غلب على ظنه رجا الادراك فلم
يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي ان يكون احوال المتقي فاعلم ان من احوال المعارف من الالطاف والاصلح بالمتزلزل ولكن وان اورد ما كان
من الامليس يقتضي ان يخاف من كل وجه لان سبب غلبة الرجا العلم الحاصل بالتجربة اذ يعلم بالتجربة صحة الارض ونقاوتها وصحة البذر وصحة الهوا
وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع ومثلها واما مثال مسلمنا فلا يجري جنسه وقد بث في ارض غريبة لم يعهدها الزراع ولم يجربوها وهي في بلاد
ليس يدرى اكثرها الصواعق ام لا فمثل هذا الزارع وان ادى كنه جهده بكل مقدور فلا يغلب رجاوه على خوفه والبذر هو مثلنا الايمان وشروط
صحته دقيقة والارض القلب وخباياه خبثه وصفاته من الشرك الخفي والريا وخبايا الاخلاق فيه غامضة والافات هي الشهوات وزخارف
الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال فذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب
مثله والصواعق هي اهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد فيها وذلك مما لم يجرب والحصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك
مما لم يجرب فمن عرف حقايق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجايه لا محالة كما سنحكي في احوال الخايفين من الصحابة والتابعين
وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاوه فاما ان يغلب رجاوه فلا ولقد كان عمر يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسال
حذيفة انه هل يعرف به من اثار النفاق شيا اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه بعلم المنافقين فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خبايا النفاق والشرك
الخفي وان اعتقد نقا قلبه عن ذلك فهو من مكر الله تعالى فيلتبس حاله عليه ولا يخفى عيبه عنه وان وثق به عمر فلا يثق به على ذلك الى تمام حسن الخاتمة
ولذلك قال عليه السلام ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل
النار وقدر فواق الناقة لا يحتمل عملا بالجوارح انما هو مقدار خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السو فكيف يومن ذلك فاذا اقصى غايات المومن ان يعتدل
خوفه ورجاوه واما غلبة الرجا في غالب الناس يكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا
وقال ويدعوننا رغبا ورهبا واين مثل عمر فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الاصلح لهم الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع الطمع من
المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات
ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه الى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يوثر في الكف والحث ودون الياس الموجب



نغلب صح



للقنوط وقال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجا تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف
والرجا استقام في محجة ذوي الاستبصار وقال مكحول الدمشقي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجا فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق
ومن عبده بالخوف والرجا والمحبة فهو موحد فاذا لا بد من الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن قبل الاشراف على الموت اما عند الموت
فالاصلح غلبة الرجا وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق
اسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته واما روح الرجا فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاوه ولا ينبغي ان يفارق احد
الدنيا الا محبا لله ليكون محبا للقا الله فان من احب لقا الله احب الله لقاه والرجا تقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم والاعمال
كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة اذ المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتد
محنته وعذابه فمهما كان الغالب على القلب عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقا والاصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا
فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه فاما اذا لم يكن له
محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلايقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذا سجنه لان السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس
عن الاسترواح الى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من افلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا اول ما
يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلا عما اعده الله لعباده الصالحين مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر وفضلا عما اعده الله للذين استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة ورضوا بها واطمانوا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب الخزي
والنكال فنسال الله تعالى ان يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعا الا باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل اليه الا باخراج
حب غيره من القلب وقطع العلايق عن كل ما سوى الله من جاه ومال ووطن فالاولى ان ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه اذ قال اللهم ارزقني حبك و
حب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الما البارد والغرض ان غلبة الرجا عند الموت اصلح لانه اجلب للمحبة وغلبة الخوف
قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات وامنع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال عليه السلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى انا عند
ظن عبدي بي فليظن بي ما شا ولما حضر سليمان التيمي رضي الله عنه الوفاة واشتد جزعه جمع العلما عنده يرجونه قال احمد بن حنبل عند الموت لابنه
اذكر لي الاخبار التي فيها الرجا وحسن الظن والمقصود من ذلك كله ان يحبب الله الى نفسه ولذلك اوحى الله الى داود ان حببني الى عبادي فقال
بماذا قال بان تذكرهم آلاي ونعماي فاذا غاية السعادة ان يموت العبد محبا لله وانما تحصل المحبة بالمعرفة وباخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا
كالسجن المانع من المحبوب ولذلك راى بعض الصالحين ابا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فساله فقال الان افلت فلما اصبح سال عنه فقالوا
انه مات البارحة

## بيان الدوا الذي به يستجلب حال الخوف

اعلم ان ما ذكرناه في دوا الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف
في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجا لان اول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله واليوم الاخر
والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجا للجنة والخوف والرجا يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على
تحملها الا بقوة الرجا والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات و
من اشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يودي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجا الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر فيه على الدوام و
يودي دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة ويودي كمال المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضى والتوكل وساير المقامات فهذا
هو الترتيب في سلوك منازل الدين فليس بعد اصل اليقين مقام سوى الخوف والرجا ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله باطنا وظاهرا
ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضى بفعل المحبوب والثقة
بعنايته وهو التوكل فاذا فيما ذكرناه من علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين احدهما اعلى من الاخر ومثاله
ان الصبي اذا كان في بيت فدخل عليه سبع او حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد الى الحية لياخذها ويلعب بها ولكن اذا كان معه ابوه وهو عاقل خاف
من الحية وهرب منها فاذا نظر الصبي الى ابيه وهو يرتعد فرائصه ويحتال في الهرب كان معه قام عليه من الخوف علامة ووافقه في الهرب فخوف الاب عن بصيرة و
معرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته واما خوف الابن فمجرد التقليد لانه يحسن الظن بابيه ويعلم انه

قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجا حتى القى الله على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة صح

لا يخاف الامر بسبب يخوف في نفسه فيعلم ان السبع مخوف ولا يعرف وجهه فاذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين
احدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه لذاته فاما الخوف منه لذاته فهو خوف العلماء وارباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف
والحذر المطلعين على سر قوله ويحذركم الله نفسه وقوله تعالى واتقوا الله حق تقاته فاما الاول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة و
النار وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في اهوال
القيامة واصناف العذاب في الآخرة ويزيد بالنظر ايضا الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن
تاثير واما الثاني وهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف اعني ان يخاف البعد والحجاب عنه ويرجو القرب منه قال ذو النون خوف النار عند خوف
الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه خشية العلماء حيث قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولعموم المؤمنين ايضا حظ من هذه الخشية ولكن
هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا لابيه وذلك لا يستند الى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب حتى ترى الصبي يشاهد المعزم
يقدم على اخذ الحية فيغتر به ويتجرأ على اخذها تقليدا له كما احترز من اخذها تقليدا لابيه والعبادات التقليدية ضعيفة في الغالب
الا اذا قويت بمشاهدة اسبابها المتواترة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذا
ارتقى الى ذروة المعرفة وعرف الله خافه بالضرورة ولا يحتاج الى علاج لجلب الخوف كما ان من عرف السبع ورأى نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج
الى علاج لجلب الخوف الى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء ام ابى ولذلك اوحى الله تعالى الى داود خفني كما تخاف السبع الضاري والحيلة في جلب
الخوف من السبع الضاري لا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد
ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة ويبعد ابليس من غير جريمة سالفة بل صفته ما ترجمه قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي
فان خطر ببالك انه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فتامل انه لم يدع المطيع باسباب الطاعة حتى يطيع شاء ام ابى ولم يدع العاصي
بدواعي المعصية حتى يعصي شاء ام ابى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان ابعده لانه
عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل الى غير نهاية او يقف لا محالة على اول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل و
عن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم اذ قال احتج آدم وموسى قال موسى انت آدم خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك جنته ثم
اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال آدم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه واعطاك الالواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم
وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق قال موسى باربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني على عمل قد كتبه الله
على ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة قال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى فمن عرف السبب في هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين
والمطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة
القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق اسباب
مرتبة بقدر معلوم ولكن اذا اضيف الى من لا يعرفه سمي اتفاقا ولو اضيف الى علم الله لم يجز ان يسمى اتفاقا والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان
لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان سلط عليه الجوع افترس وان سلط عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته ولست اقول
مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا انكشف الغطاء علم ان الخوف من السبع هو عين الخوف من الله لان المهلك بواسطة السبع هو الله فاعلم
ان سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وان الله خلق اسباب العذاب واسباب الثواب وخلق لكل واحد اهلا يسوقه القدر المنقوش على لوح القضاء الجزم الازلي
الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها اهلا سخروا لاسبابها شاؤا ام ابوا وخلق النار وخلق لها اهلا سخروا لاسبابها شاؤا ام ابوا فلا يرى
احد نفسه في ملتطم امواج بحر القدر الا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الوصول الى هذا الاستبصار
فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والآثار ويطالع احوال الخائفين واقوالهم ونسبة عقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى في
ان الاقتداء بهم اولى لانهم الانبياء والاولياء والعلماء واما الآمنون فهم الفراعنة والجهال والاغبياء اما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو سيد الاولين والآخرين وكان
اشد الناس خوفا حتى روي انه كان يصلي على طفل ففي رواية انه سمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفي رواية انه سمع قائلا يقول هنيئا
لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال وما يدريك انه كذلك والله اني رسول الله وما ادري ما يصنع بي ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق

لها اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروي انه قال ذلك ايضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الاولين لما قالت ام سلمة هنيئا لك
الجنة فكانت تقول ام سلمة بعد ذلك والله لا ازكي احدا بعد عثمان وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا ازكي احدا غير رسول الله ولا ابي الذي ولدني
فثارت الشيعة عليه فاخذ يذكر من فضائل علي ومناقبه وروي في حديث آخر ان رجلا من اهل الصفة استشهد فقالت امه هنيئا لك الجنة عصفور
من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر
انه صلى الله عليه وسلم دخل على بعض اصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئا لك الجنة فقال من هذه المتألية على الله فقال المريض هي امي يا رسول
الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني سورة هود
واخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الابعاد كقوله الا بعدا لعاد قوم هود
الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود مع علمه صلى الله عليه وسلم انه لو شاء الله ما اشركوا اذ لو شاء لآتى كل نفس هداها وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة
خافضة رافعة اي جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة وتمت الكلمة حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا مرتفعين في الدنيا واما رافعة
قوما كانوا منخفضين في الدنيا وفي سورة التكوير اهوال يوم القيامة وانكشاف الخاتمة وهو قوله واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت
نفس ما احضرت وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والقرآن من اوله الى آخره مخاوف
لمن قرأه بتدبر ولو لم يكن فيه الا قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيا اذ علق المغفرة على اربعة شروط يعجز العبد عن
آحادها واشد منه قوله تعالى فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وقوله ليسأل الصادقين عن صدقهم وقوله تعالى سنفرغ لكم
ايها الثقلان وقوله تعالى أفأمنوا مكر الله الآية وقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقوله تعالى يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا الآيات وقوله تعالى وان منكم الا واردها الآية وقوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها الآية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية وقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل الآية وكذلك قوله تعالى
والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فهذه اربعة شروط للخلاص من الخسران و
انما كان خوف الانبياء مع ما فاض عليهم من النعم لانهم لم يأمنوا مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روي ان النبي وجبريل عليهما السلام
بكيا خوفا من الله عز وجل فاوحى الله تعالى اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا ومن يأمن مكرك وكأنهما اذ علما ان الله علام الغيوب وانه لا وقوف
لهما على غاية الامور لم يأمنا ان يكون قوله قد امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما
كما ان ابراهيم عليه السلام لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكانت هذه من الدعاوى العظام فامتحن وعورض بجبريل في الهواء فقال ألك
حاجة فقال اما اليك فلا فكان ذلك وفاء بقوله حسبي الله فاخبر الله عز وجل عنه فقال وابراهيم الذي وفى اي بموجب قوله حسبي الله وبمثل
هذا اخبر عن موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى ومع هذا لما القى السحرة
سحرهم اوجس في نفسه خيفة موسى اذ لم يأمن مكر الله والتبس الامر عليه حتى جدد عليه الامن وقيل لا تخف انك انت الاعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين
يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الارض احد يعبدك فقال ابو بكر دع مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام
الصديق مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله مقام الخوف من مكر الله وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار الله تعالى وخفايا
افعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لاحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله ومن عرف حقيقة المعرفة وقصورها
عن الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى صلوات الله عليه لما قيل له أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته الآية ثم قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت الغفور الرحيم العزيز الحكيم فوض الامر
الى المشيئة واخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه انه ليس له من الامر شيء وان الامور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات
فلا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وحسبان فضلا عن التحقيق واليقين وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط
امرك بمشيئة من لا يبالي بك ان اهلكك فقد اهلك من لا يحصى من امثالك ولم يزل في الدنيا يعذبهم بانواع الآلام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم
بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم ابد الآباد ثم يخبر عنه ويقول ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين

وقال تعالى وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم الآية فكيف لا يخاف ما حق من القول في الأزل ولا يطمع في تداركه ولو كان الأمر آنفا لكانت الأطماع
ممتدة الى حيلة فيه ولكن ليس الا التسليم واستقراء الأسباب السابقة من جملة الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسرت له أسباب
الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته مع الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق
له وان كانت الخيرات كلها له ميسرة والقلب بالكلية عنها منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام
على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالا ولا يمكنها من الانطفاء وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن
بين اصبعين من أصابع الرحمن وان القلب أشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب ان عذاب ربهم غير مأمون فأجهل الناس من أمنه وهو ينادي
بالتحذير من الأمن ولولا ان الله تعالى لطف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء ولولاه لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فأسباب الرجاء
رحمة من الله تعالى وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب قال بعض العارفين
لو حال بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة أسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لأني لا أدري ما ظهر له من التقلب وقال بعضهم لو كانت الشهادة
على باب الدار والموت على الاسلام على باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لأني لا أدري ما يعرض لقلبي بين باب الحجرة وبين باب الدار وكان
أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد أمن على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه وكان سهل رضي الله عنه يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة
وكل حركة وهم الذين وصفهم الله اذ قال وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم
من ذنوبك فقال أو على ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال ان ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا وحكي عن بعض الخائفين انه أوصى بعض
اخوانه فقال اذا حضرتني الوفاة فاقعد عند رأسي فان رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه واشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل
البلد وقل هذا عرس المنفلت وان مت على غير التوحيد فأعلم الناس ذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني
الرياء بعد الوفاة قال وبم أعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه وكان سهل رضي الله عنه يقول المريد
يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكان أبو يزيد يقول اذا توجهت الى المسجد كان في وسطي زنار أخاف ان يذهب بي الى البيعة
وبيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي كل يوم خمس مرات وعن عيسى صلوات الله عليه انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي
ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر وروي في أخبار الأنبياء ان نبيا شكا الى الله الجوع والقمل والعري سنين سنة وكان لباسه الصوف فأوحى الله عز وجل
اليه عبدي أما رضيت ان عصمت قلبك عن ان يكفر بي حتى تسألني الدنيا فأخذ التراب ووضعه على رأسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فاذا
كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق
والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو أعلم أني بريء من النفاق كان أحب الي مما طلعت عليه الشمس
وما عنوا به النفاق الذي هو ضد أصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الايمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال عليه السلام أربع من كن
فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا
ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي لفظ آخر واذا عاهد غدر وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منها الا صديق اذ قال الحسن ان
من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الأمور مألوفة بين الناس
معتادة ونسي كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بالنبوة وزمانها فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة رضي الله عنه كان الرجل يتكلم بالكلمة على
عهد رسول الله فيصير بها منافقا واني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات وكان أصحاب رسول الله يقولون انكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم
من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق ان تكره من الناس ما تأتي مثله وان تحب على شيء من الجور وان تبغض على
شيء من الحق وقيل من النفاق انه اذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر رضي الله عنه انا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم فيما يقولون فاذا
خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال أرأيت لو كان الحجاج
حاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله وأشد من ذلك ما روي ان نفرا قعدوا على باب حذيفة رضي الله عنه ينتظرونه
وكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله وهذا



حذيفة وقد كان خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق وكان يقول يأتي على القلب ساعة يمتلئ بالايمان حتى لا يكون فيه للنفاق مغرز ابرة ويأتي عليه ساعة
يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة فقد عرفت بهذا ان خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببه أمور متقدمة منها البدع ومنها المعاصي
ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن شيء من ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من أمن النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين اني أخاف
على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات الى السابقة والخاتمة خائفا منهما ولذلك قال عليه السلام العبد المؤمن بين
مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا
دار الا الجنة والنار

معنى سوء الخاتمة

فان قلت ان أكثر هؤلاء يرجع خوفهم الى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم ان سوء الخاتمة على رتبتين
احداهما أعظم من الأخرى فأما الرتبة العظيمة الهائلة فان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله اما الشك واما الجحود فتقبض
الروح في حال غلبة الجحود او الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله أبدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد
والثانية وهي دونها ان يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك
الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكسا رأسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه
عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تأخذ الا المحجوبين فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف
همه الى الله تعالى فيقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد أطفأ لهبي فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر مخطر لأن المرء يموت على ما عاش
عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت
الأعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا ليتدارك ما فات وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان أصل الايمان وحب الله اذا كان قد رسخ في
القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال أخرجه
من النار في زمان أقرب وان كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولكن ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد ان يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين فان
قلت فما ذكرته يقتضي ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة فاعلم ان من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع
محجوب عن نور الايمان ونور القرآن بل الصحيح عند ذوي البصائر ما صحت به الأخبار وهو ان القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة
وانه قد يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الأخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما
تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم الحساب والافتضاح في الحساب والافتضاح
على ملأ الأشهاد في القيامة ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية الى آخر ما وردت به الأخبار فلا يزال الشقي مترددا في جميع أحواله بين أصناف
العذاب وهو في جملة الأحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته ولا تظنن ان محل الايمان تأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها الى ان يبلغ
الكتاب أجله فيجمع الأجزاء المتفرقة ويعاد اليها الروح التي هي محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طير خضر معلقة تحت
العرش ان كانت سعيدة واما على حالة تضادها ان كانت والعياذ بالله شقية فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة فاعلم
ان أسباب هذه الأمور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها أما الختم على الجحود والشك فينحصر سببه في شيئين
أحدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الأعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة وان كانت أعماله صالحة ولست أعني قوما وأقول
انهم مبتدعة فان ذلك يطول القول فيه بل أعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه اما برأيه ونظره
ومعقوله الذي به يجادل الخصوم وعليه يعول وبه يغتر واما أخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب
بما فيه فربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادي سكراته منه وقد ينكشف به بعض الأمور
فمهما بطل عنده شيء مما كان اعتقده وكان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه أخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لاتكاله فيه الى رأيه
الناقص وعقله الناقص بل ظن ان كل ما اعتقده لا أصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد
فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يتثبت ويعود
الى أصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله

قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكما انه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة اشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من ان ينظر الى الملكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لينكشف له الامور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحالة سبب الكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وافعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالراي والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا اصغوا الى اصناف المتكلمين في تقليد اقاويلهم المختلفة ولذلك قال عليه السلام اكثر اهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يؤمنوا بما انزل الله جميعه وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن الخوض في التاويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤود ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب ومتعارض والقلوب لما القي اليها في مبدا النشو آلفة وبه معلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة او الماخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالراي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتاكد ذلك بطول الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الان قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان ويظن ان ما وقع له بطريق الحدس والتخمين علم اليقين وعين اليقين ولتعلمن نباه بعد حين

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ... ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

فاعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الامواج يرمي به موج الى موج فربما يتفق ان يلقيه الى الساحل وهو بعيد والهلاك اغلب عليه وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم اما مع الادلة التي حرروها في تعصبهم او دون الادلة ان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم النبوة والولاية وذلك هو الكبريت الاحمر واني يتيسر وانما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام والذين شغلهم خوف النار وطاعة الله تعالى فلم يخوضوا في هذه الفضول فهذا احد الاسباب المخطرة في سوء الخاتمة واما السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا من حيث حديث النفس ولا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفئ ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعني حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فيتالم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث انه من الله فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب كما ان الذي يحب ولده حبا ضعيفا اذا اخذ ولده امواله التي هي احب اليه من ولده واحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا والسبب المفضي الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها والفرح باسبابها مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو ابعد عن هذا الخطر وحب الدنيا راس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد عم اصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه الا من عرفه ولذلك قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره فاذا كل من فارقته روحه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله تعالى بقلبه في تفرقته بينه وبين اهله وماله وسائر محابه

فيكون

فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما احبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الآبق اذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال واما الذي يتوفى على الحب فانه يقدم على الله قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه الذي تحمل مشاق الاعمال ووعثاء السفر طمعا في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام واما الخاتمة الثانية التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلود فلها ايضا سببان احدهما كثرة المعاصي وان قوي الايمان والاخر ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره ذكر طاعة الله وان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر والذي لم يقارف الذنب اصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت اكثر من طاعاته وقلبه بها افرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته في اليقظة وحتى ان المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما راى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء اكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة بالتجارة واسبابها اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف او بسبب اخر من الاسباب والموت شبه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المالوفات وعودها الى القلب واحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف وطول الالف بالمعاصي والطاعات ايضا مرجح ولذلك تخالف منامات الصالحين منامات الفاسقين فتكون غلبة الالف سببا لان يتمثل في قلبه صورة فاحشة وتميل اليها نفسه فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها فكما ان ما يخطر في اليقظة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك احاد المنامات لها اسباب عند الله تعالى نعرف بعضها ولا نعرف بعضها كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اما بالمشابهة واما بالمضادة واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معه اما بالمشابهة فبان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا اخر واما بالمضادة فبان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا ويتامل في شدة التفاوت بينهما واما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس قد راه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة وهو ان ينتقل من شيء الى شيء ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاول مناسبة فكذلك لانتقالات الخواطر في المنام اسباب من هذا الجنس وكذا عند سكرات الموت فعلى هذا من اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطام نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول خمسة وستة واربعة وكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت وقال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة تتلالا نورا فلا يكون العبد على حال الا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى احوال نفسه فياخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من اجزاء النبوة فاذا يرجع سوء الخاتمة الى احوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وان كان لطول الالف فيها تاثير فلهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين واحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ ابا علي الفارمذي يصف لي وجوب حسن ادب المريد لشيخه وان لا يكون في قلبه انكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي ابي القاسم الكركاني مناما لي وقلت رايتك قلت لي كذا فقلت لم ذلك قال فهجرني شهرا ولم يكلمني وقال لولا انه كان في باطنك تجويز المطالبة والانكار لما اقوله لما جرى

ذلك على لسانك في المنام وهو كما قال اذ قال ما يرى الانسان في منامه حال في ما يغلب في اليقظة على قلبه فهذا امر القدر الذي يتسع له الكلام في علم
المعاملة من اسرار احوال الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان ترى الاشيا كما هي على من غير
جهل وتزجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال او عسير فلا بد ان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول
بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من احوال الانبيا والاوليا والسلف الصالحين ليكون ذلك احد الاسباب المهيجة لنار الخوف
من قلبك وقد عرفت بهذا ان اعمال العمر كلها ضايعة ان لم تسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب امواج الخواطر
مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول اني لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكني اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف اذا صعدوا الملائكة
بروح العبد المؤمن وقد مات على الخير والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خيارنا وكان الثوري يوما يبكي فقيل له على
ما تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالان نبكي على الاسلام وبالجملة من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة
واضطربت الامواج كانت النجاة في حقه ابعد من الهلاك وقلب المؤمن اشد اضطرابا من السفينة وامواج الخواطر اعظم التطاما من امواج البحر وانما
المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال رسول الله ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم
له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف وقال سهل رأيت كاني ادخلت
الجنة فرأيت فيها ثلثمائة نبي فسألتهم ما اخوف ما كنتم تخافون في الدنيا فقالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطة عليها وكان
موت الفجأة مكروها اما الموت فجأة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن امثاله الا ان يدفع بالكراهة
او بنور المعرفة واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد
وجميع الشهوات عن القلب اذ لا يهجم احد على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا حبا لله وطلبا لمرضاته وبايعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذي
بايعه الله به اذ قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والبايع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه من القلب ومجرد حب
العوض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد تغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها وصف القتال سبب لزهوق الروح على
مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فان من هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه
الاخبار واذا بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله واخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي
جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها جهدك فان ذلك ايضا يؤثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك
وان تسوّف وتقول سأستعد لها اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان تختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل تطريفة واياك وان
تهمل لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك كل هذا ما دمت في يقظتك اما اذا نمت فاياك وان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان لا يغلبك النوم الا بعد
غلبة ذكر الله على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم
غالبا عليه ولا يغلب في النوم الا ما كان غالبا عند النوم ولا يبعث عن نومك الا ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث شبه النوم واليقظة
فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات
عليه وتحقق قطعا ان الموت والبعث حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب ان لم تكن اهلا
لذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك واياك وان تغفل عن الله طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف
اذا لم تفعل فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم واعلم ان
ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي
ان تكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا تكون رغبتك فيه اكثر من رغبتك في قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه فهما ضرورتان
في الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل بها قلبك فلا ينبغي ان يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل في بطنك فقيمتك ما يخرج
من بطنك واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوي على عبادة الله كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك يظهر في ثلاثة امور من ماكولك في وقته وقدره وجنسه
اما الوقت فاقله ان تكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فتواظب على الصوم واما قدره فان لا تزيد على ثلث البطن واما جنسه فان لا تطلب اللذايذ من الاطعمة
بل تقنع بما تتفق فان قدرت على هذه الثلث وسقط عنك مؤنة الشهوات واللذايذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وامكنك ان لا تاكل الا من حله فان الحلال

بعز

بعز وانه لا يفي بالشهوات واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع البرد والحر وستر عورتك فكل ما دفع البرد عن راسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك
غيره فضول منك يضيع فيه زمانك ويلزمك الشغل الدايم والعنا القايم في تحصيله بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما تدفع به الحر
والبرد عن بدنك وكل ما حصّل مقصود اللباس ان لم تكتف به في خسة جنسه وقدره لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يملأ بطنه
الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفاك السما سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر او برد فالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا
طال عليك وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدك من الحايط سوى كونه حائلا بينك وبين الابصار ومن السقف سوى
كونه دافعا للامطار فاخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة بعيد ترقيك منها وهكذا جميع ضروراتك امور ان اقتصرت
عليها تفرغت لله وقدرت على التزود لاخرتك والاستعداد لخاتمتك فان جاوزت حد الضرورة الى اودية الاماني تشعبت همومك ولم يبال
الله في اي واد اهلكك فاقبل هذه النصيحة ممن هو احوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فاذا
دفعته يوما بيوم في تسويفك واهمالك او غفلتك اختطفت فجأة في غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقوى على ما ذكرناه
ارشدت اليه لضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من امر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا سنورد عليك من احوال الخائفين ما نرجو ان يزيل بعض القسوة عن
قلبك فانك تحقق ان عقل الانبياء والاولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله لم يكن دون عقلك وعملك ومكانك فتامل مع كلال بصيرتك وغشاوة قلبك في
احوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا الى الارض ولا غرو
وان كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان
منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون
احوال الانبياء والملائكة والاولياء في الخوف روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله وقرأ عليه السلام
آية في سورة الحاقة فصعق وقال تعالى فصعق من في السموات وقال تعالى وخر موسى صعقا ورأى صلى الله عليه صورة جبريل بالابطح فصعق وروي انه
عليه السلام كان اذا دخل في الصلوة يسمع لصدره ازيز كازيز المرجل وقال عليه السلام ما جاءني جبريل قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر
على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل يبكيان فاوحى الله اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب لا نأمن مكرك فقال الله تعالى هكذا فكونا لا تأمنا
مكري وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت افئدة الملائكة من اماكنها فلما خلق بنو آدم عادت وعن انس ان رسول الله سأل جبريل ما لي لا ارى
ميكائيل يضحك فقال جبريل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ويقال ان لله ملائكة لم يضحك احد منهم قط منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم وقال
ابن عمر خرجت مع رسول الله صلى الله عليه حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر ما لك لا تأكل فقلت يا رسول الله
لا اشتهيه فقال لكني اشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم اذق طعاما ولم اجده ولو سألت ربي لاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا
بقيت مع قوم يخبؤن رزق سنتهم ويضعف اليقين في قلوبهم قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم
وهو السميع العليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه ان الله لم يأمرني بكنز المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنيا يريد بها حياة فانية فان الحياة بيد
الله الا واني لا اكنز دينارا ولا درهما ولا اخبأ رزقا لغد وقال ابو الدردا كان يسمع ازيز قلب خليل الرحمن صلى الله عليه اذا قام الى الصلوة من مسيرة
ميل خوفا من ربه وقال مجاهد بكى داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فنودي يا داود اجائع انت
فتطعم او ظمآن فتسقى او عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر خوفه ثم انزل الله عليه التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي
فصارت خطيئته مكتوبة في كفه وكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيرهما الا رآها فابكته وقال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه فاذا تناوله ابصر خطيئته فما
يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه ويروى انه عليه السلام ما رفع رأسه الى السماء حتى مات حياء من الله وكان يقول في مناجاته الهي اذا ذكرت خطيئتي
ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الي روحي سبحانك الهي اتيت اطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبؤسا للقانطين
من رحمتك وقال الفضيل رضي الله عنه بلغني ان داود عليه السلام ذكر خطيئته ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه
السباع فقال ارجعوا لا اريدكم انما اريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني الا بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني
ابكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال الحشا وقبل ان يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عبد العزيز

من عمر لما اصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال الهي بح صوتي في صفاء اصوات الصديقين وروي انه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه
في ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه فقال يا رب اما ترحم بكائي فاوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهي وسيدي كيف انسى
ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح واظلني الطير على راسي وانست الوحوش الى محرابي الهي وسيدي
فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ذلك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خلقي خلقته بيدي
ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملائكتي والبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكا الي الوحدة فزوجته حواء امتي واسكنته جنتي
عصاني فطردته عن جواري عريانا ذليلا يا داود اسمع مني والحق اقول اطعتنا فاطعناك وسالتنا فاعطيناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت
الينا على ما كان منك قبلناك وقال يحيى بن ابي كثير بلغنا ان داود عليه السلام اذا اراد ان ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب
ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم اخرج له المنبر الى البرية فيامر سليمان ان ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والاكام و
الجبال والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها الا من اراد ان يسمع نوح داود على نفسه فليات قال فتاتي الوحوش من الاكام والبراري وتاتي
السباع من الغياض وتاتي الهوام من الجبال وتاتي الطير من الاوكار وتاتي العذارى من خدورهن ويجتمع الناس لذلك اليوم وياتي داود حتى يرقى على المنبر
ويحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به وسليمان عليه السلام قائم على راسه فياخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم ياخذ في ذكر
الجنة والنار فتموت طائفة من الوحوش والسباع والناس ثم ياخذ في اهوال القيامة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا راى سليمان
كثرة الموتى قال يا ابتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوام فياخذ في الدعاء فبينما هو كذلك اذ ناداه بعض
عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فيخر داود مغشيا عليه فاذا نظر سليمان الى ما اصابه اتى بسرير فحمله عليه ثم امر مناديا ينادي الا
من كان له مع داود حميم او قريب فليات بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المراة تاتي بالسرير وتحمل قريبها وتقول يا من
قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم اذا افاق داود قام ووضع يده على راسه ودخل بيت عبادته واغلق بابه ويقول يا اله داود اغضبان انت على داود
ولا يزال يناجي ربه فياتي سليمان فيقعد على الباب ويستاذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا ابتاه تقو بهذا على ما تريد فياكل من ذلك القرص ما شاء الله
ثم يخرج الى بني اسرائيل فيكون بينهم وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم يعظ الناس ويخوفهم فخرج في اربعين الفا فمات منهم ثلاثون الفا وما رجع الا
في عشرة آلاف قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على رجليه وعلى صدره مخافة ان تتفرق اعضاؤه ومفاصله فيموت
وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الصوف والشعر ونظر
الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوا انفسهم الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى ابويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا له
يا يحيى هلم بنا نلعب فقال اني لم اخلق للعب قال فاتى ابويه فسالهما ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس فكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا
حتى اتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم اطراف الجبال وغيران الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه على بحيرة الاردن وقد انقع رجليه في الماء
وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى اعلم اين مكاني منك فساله ابواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير
ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح بالبر فرده ابواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا لبكائه
حتى يغمى عليه فلم يزل يبكي حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه يا بني لو اذنت لي ان اتخذ لك شيئا تواري به اضراسك
عن الناظرين فاذن لها فعمدت الى قطعتي لبود فالصقتهما على خديه فكان اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت دموعه في القطعتين اتت اليه امه
فعصرتهما والصقتهما فاذا رأى دموعه تسيل على ذراعي امه قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين فقال له زكريا يا بني
انما سالت ربي ان يهبك لي لتقر عيني بك فقال يحيى يا ابت ان جبريل اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا فابك يا يحيى وقال
عيسى بن مريم معشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا وحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل
مع الكلاب في طلب الفردوس قليل وقيل كان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فياتيه جبريل فيقول الجبار
يقرئك السلام ويقول هل رايت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي فهذه احوال الانبياء فدونك والتامل فيها
فانهم اعرف خلق الله بالله وصفاته

احوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه

قال لطير ليتني مثلك يا طير ولم اخلق بشرا وقال ابو ذر وددت لو اني شجرة تعضد وكذا قال طلحة وقال عثمان وددت لو اني حين مت
لم ابعث وقالت عائشة وددت اني كنت نسيا منسيا وروي ان عمر كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن فيغشى عليه فكان يعاد اياما واخذ
تبنة من الارض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم اك شيئا مذكورا يا ليتني لم تلدني امي يا ليتني كنت نسيا منسيا وكان في وجه عمر خطان اسودان من
الدموع وقال عمر من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون ولما قرا عمر اذا الشمس كورت وانتهى
الى قوله واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلي ويقرا سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله ان عذاب ربك لواقع
نزل عن حماره واستند الى حائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه وقال علي رضي الله عنه وقد سلم من صلاة
الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما ارى اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم
امثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر
في يوم الريح وهملت اعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله كاني بالقوم باتوا غافلين ثم قام فما رئي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن حصين
لوددت اني رماد تسفني الرياح في يوم عاصف وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فيذبحني اهلي فياكلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي
بن الحسين اذا توضا اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وقال موسى بن مسعود كنا
اذا جلسنا الى الثوري كان النار قد احاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقرا [illegible] هذا يوم لا ينطقون فبكى عبد الوا
حد بن زيد حتى غشي عليه ثم افاق وقال وعزتك لا عصيتك جهدي ابدا فاعني بتوفيقك على طاعتك وكان المسور بن مخرمة لا يقوى ان يسمع القرآن من
شدة خوفه ولقد كان يقرا عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرا عليه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا فقال انا من المجرمين ولست من المتقين اعد القول علي ايها القارئ فاعاده عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة وقرئ عند يحيى
البكاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة ومكث منها مريضا اربعة اشهر يعاد من اطراف البصرة وقال مالك بن دينار بينما انا اطوف بالبيت اذ
انا بجويرية متعبدة متعلقة باستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب اما كان لك ادب وعقوبة الا النار
وتبكي فما زال مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رايت ذلك وضعت يدي على راسي صارخا اقول ثكلت مالكا امه وروي ان الفضيل رئي يوم عرفة والناس
يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع راسه الى السماء وقال واسوأتاه منك وان عفوت ثم انقلب
مع الناس وسئل ابن عباس عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر امامنا والقيامة موعدنا
وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقفنا ومر الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط
قال لا قال فهل تدري الى الجنة تصير ام الى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال فما رئي ذلك الفتى بعدها ضاحكا وكان حماد بن عبد ربه اذا جلس جلس مستوفزا
على قدميه فقيل له لو اطمأننت فقال تلك جلسة الآمن وانا غير آمن اذ عصيت الله وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله هذه الغفلة في قلوب
العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله وقال مالك بن دينار لقد هممت اذا انا مت ان امرهم ان يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي الى ربي كما ينطلق بالعبد
الآبق الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة وقد لقي آدم فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول
تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اعظم من المصطفى
صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه اقاربه واعداؤه وقال السري اني لانظر كل يوم الى انفي مخافة ان يكون قد اسود وجهي وقال ابو حفص منذ اربعين
سنة اعتقادي في نفسي ان الله ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك وخرج ابن المبارك يوما على اصحابه فقال اني اجترات البارحة على الله
سالته الجنة وقالت ام محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني اني اعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك احدثت حدثا موبقا لما اراك تصنع في ليلك و
نهارك فقال يا اماه ما يؤمنني ان يكون الله عز وجل قد اطلع علي وانا على بعض ذنوبي فمقتني وقال وعزتي لا اغفرن لك وقال الفضيل اني لا اغبط
نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة انما اغبط من لم يخلق وروي ان فتى من الانصار دخلته خشية النار
فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي عليه السلام فدخل عليه في البيت واعتنقه فخر ميتا فقال عليه السلام جهزوا صاحبكم فان الفرق
من النار فتت كبده وروي عن ابن ابي ميسرة انه كان اذا اوى الى فراشه قال يا ليت امي لم تلدني فقالت له امه يا ميسرة ان الله قد احسن اليك هداك الى الاسلام

قال أحمد ولكن الله قد بين لنا أنا واردوها ولم يبين لنا أنا صادرون عنها وقيل لفرقد السبخي أخبرنا بأعجب شيء بلغك عن بني إسرائيل فقال
بلغني أنه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلمي من الخائفين
ولم يكن يسأل الله تعالى الجنة أبدا إنما كان يسأل العفو وقيل له في مرضه ألا تشتهي شيئا فقال إن خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا
للشهوة ويقال إنه ما رفع رأسه إلى السماء ولا ضحك أربعين سنة وإنه رفع رأسه يوما ففزع فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يمس جسده في بعض الليالي خشية أن
يكون قد مسخ وكان إذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال هذا من أجلي يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام و
فينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم في رؤوسهم ولصقت جلودهم على عظامهم
وبقيت العروق كأنها الأوتار يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان
العاصين فبينما هم يمشون إذ مر أحدهم بمكان فخر مغشيا عليه فجلس أصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاؤوا بماء فمسحوا وجهه
فأفاق وسألوه عن أمره فقال إني ذكرت أني كنت عصيت الله في ذلك المكان وقال صالح المري قرأت على رجل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم
في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فصعق ثم أفاق فقال زدني يا صالح فإني أجد غما فقرأت كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها
فخر ميتا وروي أن زرارة بن أبي أوفى صلى بالناس صلاة الغداة فلما قرأ فإذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن
عبد العزيز فقال عظني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين اعلم أنك لست أول خليفة يموت فبكى وقال زدني فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت فبكى فقال
زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل فخر مغشيا عليه وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وإن جهنم لموعدهم
أجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدر عليه ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول يا
ابناه ليت شعري أي خديك بدأ به الدود فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرض سفيان الثوري فعرض دليله على طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف
كبده ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت أن في الحنيفية مثله وقال أحمد بن حنبل سألت الله تعالى أن يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت
يا رب على قدر ما أطيق فسكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع
صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وكأنه أشار إلى معنى قوله عليه السلام لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال القنبري اجتمع أصحاب الحديث على باب
الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث إنما هذا زمان بكاء وتضرع
واستكانة ودعاء كدعاء الغريق إنما هذا زمان احفظ لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ورأى الفضيل يوما ولده يبكي فقال
أي بني ما لك قال لا أدري وكان يبكي والده من الخوف وقال ذر لابنه عمر بن ذر يا بني ما للمتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد وإذا تكلمت سمعت البكاء
من كل جانب فقال يا أبت ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة وحكي أن قوما وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك رحمك الله قال قرحة
يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله تعالى وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك
فاعتقني وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك مرة فقال أرني شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له فاستأذنا
عليه فإذا رجل يعمل خوصا فقرأت عليه إذ الأغلال في أعناقهم فشهق شهقة فخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا إلى آخر
فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فشهق شهقة وخر مغشيا عليه وأشار بيده إلينا قال ادخلوا أن لا تشغلونا عن ربنا فقرأت ذلك
فخرجنا وجئنا بعبد فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا فأدرته على ستة أنفس كل نخرج
من عنده ونتركه مغشيا عليه ثم أتيت به السابع فاستأذنا فإذا امرأة من داخل الخص تقول ادخلوا فدخلنا فإذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا
عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال ألا إن للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا ببصره يصيح بصوت له ضعيف
أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فإنكم لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فإذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا
بالله وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثة أيام على حاله مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الأسود يرى أنه من الأبدال وكان
قد حلف أن لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا أبدا فما رئي ضاحكا ولا مضطجعا ولا آكلا سمينا حتى مات رحمه الله وقال الحجاج لسعيد
بن جبير بلغني أنك لم تضحك قط قال كيف أضحك وجهنم قد سعرت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت وقال رجل للحسن يا أبا سعيد كيف أصبحت

قال

قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حالي ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل إنسان
منهم بخشبة على أي حال هم قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن حالي أشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسلمت عليه
ثم قامت إلى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها فرقدت فاستبكت في منامها فقالت يا أمير المؤمنين إني والله رأيت عجبا قال
وما ذاك قالت رأيت النار وهي تزفر على أهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها فقال هيه قالت فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى
عليه إلا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم فقال هيه قالت ثم جيء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى إلا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى في
جهنم فقال هيه قالت ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فما مضى إلا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى كذلك فقال هيه قالت ثم جيء بك والله يا أمير المؤمنين
فصاح عمر صيحة خر مغشيا عليه فقامت إليه فجعلت تنادي في أذنه يا أمير المؤمنين إني رأيتك والله قد نجوت إني رأيتك والله قد نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح
ويفحص برجله ويحكى أن أويسا القرني كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه فإذا ذكر النار صرخ أويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون
مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يخلف جسر جهنم وراءه وكان طاوس يفرش فراشه ثم يضطجع فيتقلى كما تتقلى الحبة
في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين وقال الحسن يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتني كنت ذلك
الرجل وإنما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة وروي أنه ما ضحك أربعين سنة وكان إذا رأيته قاعدا كأنه أسير قد قدم لتضرب عنقه وإذا تكلم كأنه
يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها وإذا سكت كأن النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع علي في
بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فأنا أعمل في غير معمل وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظت
اليوم بكلمة ما كنا نبالي أن لا نسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين إما في الجنة وإما في النار ثم غاب عني فطلبته
فرأيته في المنام فقلت يا أخي ما صنع الله بك قال غفر لي ورحمني وأدخلني الجنة قلت بماذا قال بالكلمة فهذه مخاوف الأنبياء والعلماء والأولياء ونحن أجدر
بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة وإلا فما أمنا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا
وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة
يزعجنا فنسأل الله تعالى أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا فيصلحها إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب أنا إذا
أردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا وإن أردنا طلب رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا و
نجتهد في طلب أرزاقنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم إذا طمحت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا بأن نقول بألسنتنا
اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي إليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور يا أيها الإنسان ما غرك
بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا أن يسوق إلى التوبة سوابق قلوبنا وأن لا يجعل حركة اللسان بسؤال
التوبة عادة حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ولا يسمع ولا يقبل إذا سمعنا الوعظ بكينا وإذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان
أعظم من هذا فنسأل الله أن يمن علينا بالتوفيق والرشد بمنه وفضله ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ما أوردناه فإن القليل من هذا يصادف
القلب القابل فيكفي والكثير منه وإن أفيض على القلب الغافل فلا يغني ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار
العباد إذ رآه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله ما تكاد ترقأ دمعته من كثرة البكاء قال عيسى فلما رأيته هالني منظره فقلت أيها
الراهب أوصني بوصية أحفظها عنك فقال يا أخي بماذا أوصيك إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف
أن يغفل فتفترسه السباع أو يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة ليله وإن أمن المغترون وفي الحزن نهاره وإن فرح
البطالون فافعل ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيئا عسى أن ينفعني فقال الظمآن يجزيه من الماء يسيره وقد صدق فإن القلب الصافي يحركه أدنى مخافة
والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ وما ذكره من تقدير احتواش السباع والهوام فلا ينبغي أن يظن أنه تقدير بل هو تحقيق فإنك لو شاهدت بنور
البصيرة باطنك لرأيته مشحونا بأصناف الصفات السبعية وأنواع السباع والهوام مثل الشهوة والغضب والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء و
غيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك إن سهوت عنها لحظة إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها فإذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها
وقد تمثلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات قد أحدقت بك في قبرك وإنما هي صفاتك الحاضرة الآن فإن

انكشف لك صورتها فان اردت ان تسليها وتقهرها وانت في دعليها فمثل المغرور بها فعل والد فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك
فضلا عن ظاهر بشرتك وجسمك والله اعلم تم كتاب الجود والبخل بحمد الله تعالى وحسن توفيقه

كتاب الفقر والزهد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي يسبح له الرمال وتسجد له الظلال وتندك لهيبته الجبال خلق الانسان من طين لازب وصلصال وزين صورته باحسن تقويم
واتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية من ورطات الضلال واذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والاصال ثم كحل بصيرته بحسن المخلص من حرمته
نور العين حتى لاحظ بصفاء بصيرته حضرة الجلال ولاح له من الهيبة والبهاء والكمال ما استنبح دون مبادي اشراقه كل حسن وجمال واستثقل ما صرفه عن
ملاحظته ما به الاستثقال وتمثل له ظاهر الدنيا في صورة امراة جميلة تميس وتختال والمنكشف لباطنها عن عجوز شوهاء تجمعت من طينة الخزي وضوعفت في قالب
النكال وهي متلففة بجلبابها لتخفي قبائح اسرارها بلطائف السحر والاحتيال وقد نصبت حبائلها في مدارج الرجال فهي تختطفهم بصور المال والاغنياء الجهال
تجترئ معهم بالخلف مواعيد الوصال بل تقتلهم مع قطع الوصال بالسلاسل والاغلال وتبليهم بانواع البلاء والانكال فلما انكشف للعارفين قبائح اسرارها
والافعال زهدوا فيها زهد المبغض لها وتركوا التفاخر والتكاثر بالاموال واقبلوا بكنه همتهم على حضرة الجلال واكتفوا منها بوصال التبسير دون فصال ومصاحبة
ابدية لا تعتريها فناء ولا زوال والصلاة على محمد سيد الانس وعلى اله خير آل امابعد فان الدنيا عدوة لله تعالى بغرورها ضل من ضل وبمكرها
زل من زل فحبها راس الخطايا والسيئات وبغضها ام الطاعات وراس الحسنات والقربات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في
كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن الان نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه راس المنجيات فلا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا و
البعد منها ولكن مقاطعتها اما ان يكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في
نيل السعادات وحظ في الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الان نذكر حقيقة الفقر والزهد واقسامهما ودرجاتهما وشروطهما واحكامهما و
نذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطره الاخر ونبدا بذكر الفقر الشطر الاول من الكتاب في الفقر وفيه بيان حقيقة الفقر
وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان فضيلة خصوص الفقراء وبيان فضيلة الفقير على الغني وبيان ادب الفقير في فقره وبيان ادبه في قبول العطاء
وبيان تحريم السؤال لغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسؤال وبيان احوال السائلين

حقيقة الفقر واختلاف احوال الفقير

واساميه اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه اما فقد ما لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج
اليه فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد
من فضل الله وجوده فان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس
في الوجود الا غني واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء
هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا ففقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا ينحصر
لان حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال وهو الذي نريد الان بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي
فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة احوال عند الفقد ونحن نميزها ونخصص كل حالة منها باسم لنتوصل بالتمييز الى ذكر
احكامها الحالة الاولى وهي العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال لكرهه وتاذى به وهرب من اخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد
واسم صاحبه الزاهد الثانية ان يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة يتاذى بها ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة يسمى
راضيا الثالثة ان يكون وجود المال احب اليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان اتاه صفوا عفوا اخذه وفرح به وان افتقر
الى تعب في طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة يسمى قانعا اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة الرابعة ان يكون تركه للطلب لعجزه
والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه او هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه الحريص الخامسة ان يكون ما فقده من المال
مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك
هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة احوال اعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو اقصى درجات الزهد كما سياتي بيانه ووراء
هذه الاحوال الخمسة حالة هي اعلى من الزهد وهو ان يستوي عنده وجود المال وفقده فان وجده لم يفرح به ولم يتاذ وان فقده فكذلك بل كل حالة كانت

قالت عائشة رضي الله عنها اذ اتاها مائة الف درهم من العطاء ففرقتها في يومها فقالت خادمتها لو اشتريت لنا بدرهم لحما فقالت
لو ذكرتني لفعلت فمن هذا حاله فلو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم تضره اذ هو يرى الاموال في خزانة الله لا في يد نفسه فلا يفرق بين
ان تكون في يده او في يد غيره وينبغي ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغني لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغني
المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو مفتقر الى بقاء المال في يده وانما هو غني عن دخول المال في يده
لا عن بقائه فهو اذا فقير من وجه واما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده ايضا فانه ليس يتاذى به فيحتاج
الى اخراجه وليس يفرح به فيحتاج الى ابقائه وليس فاقدا له فيحتاج الى ادخاله في يده فغناه اذا على العموم اميل فهو الى الغني الذي هو وصف الله تعالى اقرب
وانما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليبقى اسم الغني لمن له الغنى المطلق عن كل
شيء فان هذا العبد وان استغنى عن المال وجودا وعدما فلم يستغن عن اشياء اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى له استغناؤه الذي زين الله به قلبه
فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى اعتقه عن هذا الرق فهو الى دوام هذا العتق محتاج الى الله تعالى والقلوب متقلبة بين
الرق والحرية في اوقات متقاربة لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغني مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا واعلم ان الزهد
درجة هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا اذ حسنات الابرار سيئات المقربين وهذا لان الكاره
للدنيا مشغول بالدنيا كما ان الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله اذ لا بعد بينك وبين الله حتى يكون البعد حجابا فانه
اقرب اليك من حبل الوريد وليس هو في مكان حتى يكون السموات والارض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه الا اشتغالك بغيره وشغلك
بنفسك وشهواتك شغل بغيره وانت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهواتك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول
ببغض نفسه ايضا مشغول عن الله بل كل ما سوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق
الى الرقيب والى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حالة اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه
العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فكما ان النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذلك
النظر الى غيره لبغضه شرك فيه ونقص ولكن احدهما اخف من الاخر بل الكمال في ان لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع
في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع ايضا بغض وحب في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها الا ان المشغول
بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك في طريق القرب اذ يرجى له ان ينتهي حاله الى
ان يزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود فالكمال له مرتقب لان بغض الدنيا مطية توصل الى الله فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب
الناقة وعلفها وتسييرها ولكن احدهما مستدبر للكعبة والاخر مستقبل لها فهما سيان بالاضافة الى الحال في ان كل واحد منهما محجوب عن الكعبة
ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة الى المستدبر اذ يرجى له الوصول اليها فلا ينبغي ان يظن ان بغض الدنيا مقصود في عينه بل بغض
الدنيا عائق عن الله ولا وصول اليه الا بدفع العوائق ولذلك قال ابو سليمان الداراني من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي
ان يشتغل بالاخرة فبين ان سلوك طريق الاخرة وراء الزهد كما ان سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم المانع عن الحج فاذا ظهر ان الزهد في الدنيا
ان اريد به عدم الرغبة في وجوده وعدمه فهو غاية الكمال وان اريد به الرغبة في عدمه فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضي والقانع والحريص وهو نقص
بالاضافة الى درجة المستغني بل الكمال في حق المال ان يستوي عندك الماء والمال وكثرة الماء في جوارك لا يؤذيك بان تكون على شاطئ البحر ولا قلته
تؤذيك الا في قدر الضرورة مع ان الماء محتاج اليه كما ان المال محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء
الكثير بل تقول اشرب منه بقدر الحاجة واسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا ابخل به على احد فهكذا ينبغي ان يكون المال لان الخبز والماء واحد في
الحاجة وانما الفرق بينهما في قلة احدهما وكثرة الاخر واذا عرفت الله ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك من الخبز ياتيك
لا محالة ما دمت حيا كما ياتيك قدر حاجتك من الماء كما سياتي بيانه في كتاب التوكل قال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني ان مالك بن دينار قال للمغيرة
اذهب الى البيت فخذ الركوة التي اهديتها لي فان العدو يوسوس لي ان اللص قد اخذها قال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زهد في الدنيا
ما عليه من اخذها فبين ان كراهته لكون الركوة في بيته والتفاته اليها بسبب الضعف والنقصان فان قلت فما بال الانبياء والاولياء هربوا من المال

وتبروا منه كل الهرب والنفار فان قلت فما هو بواعثهم الا على معنى انهم ما شربوا الا شرب حاجتهم وصرفوا ما وراها ولم يجمعوا في العز والزوايا
يدبرون مع انفسهم بل يكونون في الانهار والسواقي للمحتاجين له ان قلوبهم كانت مشغولة بحبها وبغضها وقد حملت خزاين الارض الى رسول
الله والى ابي بكر وعمر فاخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان قد استوى عندهم المال والماء والذهب والحجر وما نقل عنهم من
امتناع فانما نقل عمن خاف لو اخذه ان يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعيف فلا جرم البغض والهرب منه في
حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لان كلهم ضعفا الا الانبيا والاوليا وانما ان نقل عن قوي بلغ الكمال ولكن اظهر النفار والهرب نزولا الى
درجة الضعفا ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في الاخذ لهلكوا كما ان الرجل المعزم يفر بين يدي اولاده من الحية لا لضعفه عن اخذها ولكن لعلمه
انه لو اخذها لاخذوها اذا راوه فهلكوا والسير بسير الضعفا ضرورة الانبيا والعلما والاوليا فاذا عرفت ان المراتب ست
وان اعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص واما المضطر فيتصور في هذه الخمسة اما اسم المستغني فقيرا فلا وجه له
بهذا المعنى بل ان سمي فقيرا فبمعنى اخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله في جميع اموره عامة وفي بقا استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له
كاسم العبد لمن عرف العبودية لنفسه واقر بها فانه احق باسم العبد من الغافل وان كان اسم العبد عاما للخلق فلذلك اسم الفقير عام ومن عرف
نفسه بالفقر الى الله فهو احق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت ان قوله عليه السلام اللهم اني
اعوذ بك من الفقر وقد كاد الفقر ان يكون كفرا لا يناقض قوله عليه السلام اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين اذ الفقر
المضطر هو الذي استعاذ منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو الذي سال الله في دعايه

فضيلة الفقر مطلقا اما الايات فيدل عليه قوله تعالى للفقرا المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقال تعالى للفقرا الذين احصروا
في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة
على مدح الفقر واما الاخبار في مدح الفقر فاكثر من ان تحصى قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه لاصحابه اي الناس خير فقالوا موسر
بمال يعطي حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به فقالوا فمن خير الناس يا رسول الله فقال فقير يعطي جهده وقال عليه السلام
لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقال عليه السلام ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقرا امتي قبل
اغنيائهم بخمسمائة عام تقدم الفقير الزاهد على الغني الشاكر الراغب وقد ذكرنا من احواله في درجات الفقر تعرف كل الصورة فيكون
من الفقرا في درجاتهم وكان الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى خمسمائة ولا تظنن
ان تقدير رسول الله صلى الله عليه يجري على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا ينطق الا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وهذا
كقوله صلى الله عليه الرويا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الا
بتخمين فاما التحقيق فلا اذ تعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره وهو يختص بانواع من الخواص احدها انه يعرف حقايق
الامور المتعلقة بالله وصفاته وملائكته والدار الاخرة لا كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وبزيادة التحقيق والكشف والثاني
ان له في نفسه صفة بها تتم له الافعال الخارقة للعادات كما ان لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بارادتنا واختيارنا وهي القدرة وان كان
القدرة والمقدور جميعا من فعل الله والثالث ان له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما ان للبصير صفة بها يفارق الاعمى حتى يدرك بها
المبصرات والرابع ان له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب اما في اليقظة واما في المنام اذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب
فهذه كمالات وصفات نعلم ثبوتها للانبيا ونعلم انقسام كل واحد الى اقسام وربما يمكننا ان نقسمها الى اربعين والى خمسين والى ستين ويمكننا ان
نتكلف تقسيمها الى ستة واربعين بحيث يقع الرويا الصادقة الصحيحة واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيم المحتمل لا يكون
الا ظنا وتخمينا ولا ندري تحقيقا انه الذي اراده رسول الله صلى الله عليه ام لا وانما المعلوم جملة الصفات التي بها تتم النبوة واصل انقسامها
وذلك لا يرشدنا الى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم ان الفقرا لهم درجات كما سبق فاما لم كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة
الفقير الزاهد حتى لم يتنقص له التقدم الا باربعين سنة الى الجنة واقتضى ذلك التقديم بخمسمائة عام فليس في قوة غير الانبيا الوقوف على ذلك الا
بنوع من التخمين لا يوثق به والغرض التنبيه على منهاج التقدير وامثال هذه الامور فان الضعيف لا يمان قد يظن ان ذلك يجري من رسول الله على سبيل

للاتفاق

الاتفاق وحاشاه منصب النبوة عن ذلك ولنرجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله عليه خير هذه الامة فقراوها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاوها
وقال صلى الله عليه ان لي حرفتين اثنتين فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني الفقر والجهاد وروي ان جبريل نزل على رسول الله فقال يا محمد
ان الله يقرئك السلام ويقول اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا
دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وروي ان عيسى عليه السلام مر في سياحته برجل ملتف في عباءة
نائم فقال يا نائم قم فاذكر الله فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له نم اذا حبيبي ثم مر موسى عليه السلام برجل نايم على التراب
وتحت راسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضايع فاوحى الله تعالى اليه يا موسى اما علمت اني اذا نظرت
الى عبدي بوجهي كله زويت الدنيا عنه كلها وعن ابي رافع قال ورد على رسول الله صلى الله عليه ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل
من يهود خيبر فقال قل له يقول لك محمد اسلفني او بعني دقيقا الى هلال رجب فاتيته فقال لا والله الا برهن فاخبرت رسول الله بذلك فقال اما والله
اني لامين في السما امين في اهل الارض ولو اسلفني او باعني لاديت اليه اذهب بدرعي هذه اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به الاية تعزية له عن الدنيا وقال صلى الله عليه الفقر ازين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله عليه من اصبح امنا في سربه
معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى يا موسى اذا رايت الفقر مقبلا فقل
مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال عطا الخراساني مر نبي من الانبيا بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا
فقال بسم الله والقى شبكته فلم تخرج الا حوتا واحدا ثم مر باخر فقال باسم الشيطان والقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها
فقال النبي عليه السلام يا رب ما هذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما راى ما اعد الله تعالى لهذا
من الكرامة ولذلك من الهوان قال رضيت يا رب وقال النبي صلى الله عليه اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقرا واطلعت في النار فرايت اكثر اهلها
الاغنيا والنسا وفي لفظ اخر فقلت اين الاغنيا فقال حبسهم الجد وفي حديث اخر فرايت اكثر اهل النار النسا فقلت ما شانهن قال شغلهن الاحمران
الذهب والزعفران وقال صلى الله عليه تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وفي الخبر اخر الانبيا دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه واخر
اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي حديث اخر رايته دخل الجنة زحفا وقال عيسى بشدة يدخل الغني الجنة وفي خبر عن
اهل البيت انه صلى الله عليه قال اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وفي الخبر اذا
رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يا رب من احباوك من خلقك حتى
احبهم لاجلك فقال كل فقير فقير فيمكن ان يكون الثاني للتاكيد ويمكن ان يكون المراد به شديد الضر وقال عيسى عليه السلام اني لاحب المسكنة
وابغض النعم وكان احب الاسما اليه ان يقال يا مسكين ولما قالت سادات العرب واغنياوها لرسول الله صلى الله عليه اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون
اليك ولا نجيء ونجيء ولا يجيئون يعنون بقولهم الفقرا مثل بلال وصهيب وابي ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وابي هريرة وسلمان واصحاب الصفة
رضوان الله عليهم فاجابهم النبي عليه السلام الى ذلك وذلك انهم شكوا اليه انهم يوذيهم برايحتهم وكان لباس القوم الصوف فاذا عرقوا فاحت الروايح
من ثيابهم فاشتد على الاغنيا ذلك منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن بدر الفزاري وعباس بن مرداس السلمي ونحوهم فاجابهم رسول
الله صلى الله عليه الى ان لا يجمعهم واياهم مجلس فنزل قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم
يعني الفقرا تريد زينة الحيوة الدنيا يعني الاغنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الاغنيا وقل الحق من ربكم مع الفقرا فمن شا فليومن الاية وما استاذن
ابن ام مكتوم حتى استاذن على النبي صلى الله عليه وعنده رجل من اشراف قريش فشق ذلك على النبي عليه السلام فانزل الله تعالى عبس وتولى ان جاءه
الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى يعني ابن ام مكتوم اما من استغنى فانت له تصدى يعني هذا الشريف من قريش وعن النبي صلى الله عليه
انه يوتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما اعددت
لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن اطعمك في او كساك في يريد وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم
العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فياخذ بيده ويدخله الجنة وقال عليه السلام اكثروا معرفة الفقرا واتخذوا عندهم الايادي فان
لهم دولة فقالوا يا رسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من اطعمكم كسرة وسقاكم شربة وكساكم ثوبا فخذوا بيده

ثم امضوا به الى الجنة وقال عليه السلام دخلت الجنة فسمعت حركة امامي فنظرت فاذا بلال ونظرت في اعلاها فاذا فقراء امتي واولادهم ونظرت
في اسفلها فاذا فيها من الاغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شأنهم فقال اما النساء فاضر بهن الاحمران الذهب والحرير واما الاغنياء
فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت اصحابي فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عني فقال يا رسول الله
ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت اني لا اراك فقلت ولم قال كنت احاسب بمالي فانظر الى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن العشرة المخصوصين بانهم من اهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من قال بالمال هكذا
وهكذا ومع هذا فقد استضر به الى هذا الحد ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير ولم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض
لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بملوك اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف اغبر اشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على
الله لابره وقال عمران بن الحصين كانت لي من رسول الله منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله
فقلت نعم بابي انت وامي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل يا رسول الله
قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا واشار
بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام
عليك يا بنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام آكله فقد اضر بي الجوع فبكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك ولو سألت ربي لاطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم
ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد
قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا
صخب ولا نصب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة وعن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
ابغض الناس فقراءهم واظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله تعالى باربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من
ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء واما الآثار فقد قال ابو الدرداء رضي الله عنه ذو الدرهمين اشد حبسا او قال اشد حسابا من ذي
الدرهم وارسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر بالف دينار فجاء كئيبا حزينا فقالت امرأته احدث امر قال اشد من ذلك ثم قال اريني درعك
الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء امتي الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة
عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وقال ابو هريرة رضي الله عنه ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل
ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له ايها تريد وقيل جاء فقير الى مجلس الثوري فقال له
تخط لو لم تكن فقيرا لو كنت غنيا ما قربتك وكان الاغنياء من اصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه الفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رايت
الغني اذل منه في مجلس الثوري ولا رايت الفقير اعز منه في مجلس الثوري وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما
جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال ابن
عباس ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر وقال لقمان لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك الفقراء من
اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى اوحى
الى بعض انبيائه احذر ان امقتك فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا وكانت عائشة تفرق مائة الف درهم في يوم لوجه الله تعالى وابن عامر
وعليها درع مرقوع فتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتيني لفعلت وكان من وصايا رسول الله
صلى الله عليه وسلم لها ان اردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي درعا حتى ترقعيه وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم بعشرة
آلاف درهم فابى ان يقبلها فالح عليه الرجل فقال ابراهيم تريد ان تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف لا افعل

## فضيلة خصوص الفقراء

من الراضين والقانعين والصادقين قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا
الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول للقانع والثاني للراضي ويكاد يشعر هذا بمفهومه ان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات



الواردة في فضيلة الفقر تدل على ان للفقر ثوابا كيف ما كان في حقيقته ولعل المراد بعدم الرضى هو الكراهة لفعل الله تعالى في حبس الدنيا عنه و
رب راغب في المال لا يخطر بباله انكار على الله ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت
آل محمد كفافا وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا واوحى الله تعالى الى اسمعيل اطلبني عند المنكسرة
قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال صلى الله عليه وسلم لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة
اين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون
ويشربون والناس يترددون في الحساب وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب العباد الى الله الفقير القانع برزقه الراضي عن الله
وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب الفقراء والمساكين لصبرهم هم جلساء الله يوم القيامة وهذا في القانع الراضي واما الزاهد
فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب واما الآثار في القناعة والرضى فكثير لا يخفى وان القناعة تضاد الطمع وقد قال عمر ان
الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما في ايدي الناس وقنع بما في يده استغنى عنهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من يوم الا وملك ينادي
من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال ابو الدرداء ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل
فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى
قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابراهيم بن ادهم من اهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم اذ نظر الى رجل في فناء
القصر وبيده رغيف ياكله فلما اكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئني به فلما قام جاء به الى ابراهيم فقال ابراهيم ايها الرجل اكلت الرغيف و
انت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابراهيم في نفسه فما اصنع انا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل
بعامر بن عبد قيس وهو ياكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا فقال الا ادلك على من رضي بشر من هذا قال من رضي بالدنيا عوضا
عن الآخرة وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء وياكله بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد وقال الحسن رضي الله عنه لعن
الله اقواما اقسم لهم الله عز وجل ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق وكان ابو ذر يوما جالسا في الناس
فاتته امرأته فقالت اتجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه ان بين ايدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف
فرجعت وهي راضية وقال ذو النون المصري رضي الله عنه اقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد
في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله تعالى قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت
فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال بعض الشعراء في القناعة اضرع الى الله لا تضرع الى الناس واقنع بيأس فان العز في الياس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ان الغني من استغنى عن الناس وقيل يا جامعا مانعا والدهر يرمقه مقدرا اي باب منه يغلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته أغاديا أم بها يسري فيطرقه جمعت مالا فقل لي هل جمعت له يا جامع المال اياما تفرقه المال عندك مخزون لوارثه
ما المال مالك الا يوم تنفقه ارفه ببال فتى يغدو على ثقة ان الذي قسم الارزاق يرزقه فالعرض منه مصون ما يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها لم يلق في ظلها هما يؤرقه

## فضل الفقر على الغنى

اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص
والاكثرون الى تفضيل الفقر وقال ابن عطاء الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر ويقال ان الجنيد دعا على ابن عطاء لمخالفته فيه فاصابته
محنة وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر وذكرنا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل
واما الفقر والغنى اذا اخذ مطلقا لم يسترب من طالع الاخبار والآثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين احدهما
فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع او راض بالاضافة الى غني ينفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثاني فقير حريص مع
غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص الممسك وان الغني المنفق ماله في الخيرات افضل من الفقير الحريص اما الاول فربما يظن
ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن
عطاء فيما نحسبه واما الغني المتنعم بالمال وان كان في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقراء
شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق

ما له الاغنيا فتعلم الاغنيا ذلك فكانوا يقولون فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
وقد استشهد ابن عطا ايضا لما سئل عنه فقال الغنى افضل لانه وصف الحق ولما دليله الاول ففيه نظر لان الخبر قد روى مفصلا مفصلا
يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغنى وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن اسلم
عن انس بن مالك قال بعث الفقرا رسولا الى رسول الله فقال اني رسول الفقرا اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم قوم احبهم
قال قالوا يا رسول الله ان الاغنيا ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي
عليه السلام بلغ عني الفقرا ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليس للاغنيا اما خصلة واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر
اهل الارض الى نجوم السما لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير والثانية يدخل الفقرا الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم وهو خمسمائة
عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني الفقير وان انفق فيها عشرة الاف
درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي مزيد ثواب الفقرا على الذكر واما
قوله ان الغنى وصف الحق فقد اجاب بعض الشيوخ فقال الذي ان الحق غني بالاسباب والاعراض فانقطع ولم ينطق واجاب اخرون فقالوا
التكبر من صفات الحق وينبغي ان يكون افضل من التواضع بل قالوا هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبودية افضل للعبد كالخوف والرجا وصفات
الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى العظمة ازاري والكبريا ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل حب العز والبقا شرك في الربوبية
ومنازعة فيها لانهما من صفات الرب تعالى عن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنى والفقر وحاصلها يتعلق بعمومات تقبل التاويل وبكلمات قاصرة
لا تعدو ما قصدناه اذ كما لا يقصد قول من فضل الغنى بانه صفة الحق بالتكبر فكذلك لا يقصد قول من ذم الغنى وفضل الفقر لانه وصف العبد بالجهل والغفلة
لان العلم والمعرفة وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد وليس لاحد ان يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطا في هذا ما ذكرناه في الصبر

اللهو لاهم

وهو ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به تظهر فضيلته والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول
الى الله والفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه قطع العائق عن الله وعدم الشاغل عنه وكم من غني لم يشغله الغنى مثل سليمن وعثمان وعبد الرحمن بن عوف
وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصود اذ المقصود في الدنيا هو حب الله والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة
مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله
في القلب والمحب للشي مشغول به سوا كان في فراقه او في وصاله وربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا معشوقة
الغافلين المحروم عنها مشغول بها وبطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذا ان فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال
في حقهما كالما استوى الفقير والغني اذ كل واحد منهما ما اخذ الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة افضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل
الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت الامر باعتبار الاكثر فالفقير عن الخطر ابعد اذ فتنة السرا اعظم من فتنة الضرا ومن العصمة ان لا يقدر
ولذلك قال الصحابة بلينا بفتنة الضرا فصبرنا وبلينا بفتنة السرا فلم نصبر وهذه خلقة الادميين كلهم الا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في
الاعصار الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر فالضرا اصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه
وفضل الفقر ومدحه حتى قال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلما تقليب الاموال
يمص حلاوة الايمان وفي الخبر لكل امة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وكان اصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة
ايضا فاستوا المال والما والذهب والحجر انما يتصور للانبيا والاوليا ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله بطول المجاهدة اذ كان عليه السلام يقول اليك عني
الي عني اذ كانت الدنيا تتمثل له بزينتها وكان علي رضي الله عنه يقول يا صفرا غري غيري ويا بيضا غري غيري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور
مبادي الاغترار بها لولا ان راى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال صلى الله عليه ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس واذا كان ذلك
بعيدا فاذا الاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات لانهم لا ينفكون في حال القدرة عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة
عليها واستشعار راحة في بذلها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يانس العبد بالدنيا يستوحش من الاخرة وبقدر ما يانس بصفة
من صفاته سوى المعرفة لله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطع اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها واذا تجافى القلب

عما سوى



عما سوى الله وكان مؤمنا بالله انصرف لا محالة الى الله اذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله وغيره فمن اقبل على غيره فقد
تجافى عنه ومن اقبل عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله على احدهما بقدر تجافيه عن الاخر وقربه من احدهما بقدر بعده عن الاخر ومثلهما مثل المشرق والمغرب
فانهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من احدهما يبعد عن الاخر بل عين القرب من احدهما هو عين البعد عن الاخر فعين حب الدنيا هو عين بغض
الله فينبغي ان يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا او انسه بها فاذا فضل الفقر والغنى بحسب تعلق القلب بهما فان تساويا
فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة القدم وموضع الغرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر
به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه بتفريقه واذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع سريته لظنه
انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعل من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق انه كان مغرورا وان العشق
كان مستكنا في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذه حال الاغنيا الا الانبيا والاوليا واذا كان ذلك محالا او بعيدا فلنطلق القول
بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف وبقدر ضعف علاقته تتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات
اللسان ليست مرادة لاعيانها بل ليتاكد بها الانس بالمذكور ولا يكون تاثيرها في اثارة الانس في قلب فارغ من غير المذكور كتاثيرها في قلب مشغول
ولذلك قال السلف مثل من يتعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفي النار بالحلفا اليابس ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال ابو سليمن الداراني
تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام وقال رجل لبشر بن الحارث رضي الله عنه ادع الله لي فقد اضر بي العيال
فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائي وعن الضحاك قال من دخل السوق
فراى شيئا يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من الف دينار ينفقها في سبيل الله وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل
الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسنا وكانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنيا وقد قال الصديق رضي الله عنه اللهم اني اسالك الذل عند
النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان هذا في كل حالة يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشكل في ان فقد المال اصلح من وجوده
هذا مع ان احسن احوال الغني ان ياخذ حلاله ويصرفه في طيب فيطول حسابه في عرصات القيمة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب عذب ولهذا
تاخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ رآه رسول الله صلى الله عليه اذ كان مشغولا بالحساب ولهذا قال ابو الدردا ما احب ان لي حانوتا على باب
المسجد ولا تخطيني فيه صلاة واذكر الله واربح كل يوم اربعين دينارا واتصدق بها في سبيل الله قيل وما تكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفين اختار
الفقرا ثلاثة اشيا راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنيا ثلاثة اشيا تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب
وما ذكره ابن عطا من ان الغنى وصف الحق فهو افضل صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوي عنده كلاهما فاما
اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى لان الله تعالى غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور ان يسرق
وما ذكر في الرد عليه من ان الله ليس غنيا بالاعراض والاسباب صحيح في ذم غني يريد بقا المال وما ذكر من ان صفات الحق لا تليق بالعبد غير صحيح
بل العلم من صفاته وهو افضل شي للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله قبل ان
تقطع الطريق تصير الاسما التسعة والتسعون اوصافا له اي يكون له من كل واحد نصيب فاما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر
عليه ليس من صفات الله واما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فذلك يليق به نعم قد يراد
بالتكبر الزهو والصلف والايذا وليس ذلك من وصف الله تعالى وانما وصف الله تعالى انه اكبر من كل شي وانه يعلم انه كذلك والعبد مامور بان يطلب
اعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان المؤمن اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصي
والعالم اكبر من الجاهل والانسان اكبر من البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله منها فلو راى نفسه بهذه الصفة روية محققة لا يشك فيها
لكان صفة الكبر حاصلة له ولائقة به وفضيلة في حقه الا انه لا سبيل له الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تكون
ولكن يتفق للجهل به وجب ان لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يختم للكافر بالايمان ويختم له بالكفر فلم يكن ذلك لائقا به لقصور
علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور ان يعلم الشي على ما هو به كان العلم كمالا في حقه لانه من صفات الله ولما كان معرفة الشي ربما يضاد ذلك
العلم نقصا في حقه اذ ليس من اوصاف الله علم بعض معرفة الامور التي لا تضره فيها هي التي تتصور في العبد من صفات الله فلا جرم منتهى الفضيلة

ونفضل الاتقى والاولى والاعلى فاذا استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه
فهو فضيلة اما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه اصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغني الشاكر المنفق مما اتى
فى نسبة حال الفقير الحريص الى حال الغني الحريص وليعرض ذلك فى شخص واحد طالب للمال هو ساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد و
حالة الوجود فاى حالته افضل فنقول ننظر ان كان مطلوبه ما لا بد منه فى المعيشة وكان قصده ان يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال
الوجود افضل لان الفقر يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الذكر والفكر الا قدرة مدخولة بشغل والمكفي هو القادر ولذلك قال عليه السلام
اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال كاد الفقر ان يكون كفرا اى الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه فان كان المطلوب فوق الحاجة او كان المطلوب
قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحالة الفقر اصلح وافضل لانهما استويا فى الحرص وحب المال واستويا فى
ان كل واحد ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين واستويا فى ان كل واحد ليس يتعرض للمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا فى ان الواجد
يأنس بما وجد فيتأكد حبه فى قلبه ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي يبغي الخلاص منه
ومهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان احدهما اشد ركونا الى الدنيا فحاله اشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من
الآخرة بقدر تأكد انسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه ان روح القدس نفث فى روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان فراق
المحبوب شديد فينبغي ان تحب ما لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك اذا احببت الدنيا كرهت لقاء الله فيكون قدومك
بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون اذاه فى فراقه بقدر حبه وقدر انسه به وانس الواجد للدنيا القادر عليها اكثر من انس
الفاقد لها وان كان حريصا عليها فاذا قد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاسلم والافضل والاصلح لكافة الخلق الا فى موضعين احدهما
غنى مثل غنى عائشة يستوى عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا له اذ يستفيد به ادعية الفقراء والمساكين وجمع همهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة
والعدم صح
فان ذلك قد يكاد يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبقى حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا لكانت
معاصيه اقل فالاصلح له ان يموت جوعا ولا يجد ما يضطر اليه ايضا فهذا تفصيل القول فى الغنى والفقر ويبقى النظر فى فقير حريص متكالب على طلب المال
ليس له هم سواه وفى غني دونه فى الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره فهذا فى محل النظر والاظهر ان بعدهما
عن الله بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما والعلم عند الله تعالى فيه

بيان آداب الفقير فى فقره اعلم ان للفقير آدابا فى

باطنه وظاهره ومخالطته وافعاله ينبغي ان يراعيها فاما ادب باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله به من الفقر اعني انه لا يكون كارها فعل
الله من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها للحجامة لتألمه به ولا يكون كارها لفعل الحجام ولا للحجام بل ربما يتقلد منه منة فهذا اقل
درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا واعلى من
هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا فى باطنه على الله واثقا به فى قدر ضرورته انه
يأتيه لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال علي رضي الله عنه ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه
ويطيع فيه ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله على فقره ومن علامته اذا كان عقوبة ان يسوء خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على
ان كل فقير فليس بمحمود بل المحمود الذي لا يتسخط ويرضى او يفرح بالفقر لعلمه بثمرته اذ قيل ما اعطي عبد شيئا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث شغل وهم وطول
حساب واما ادبه فى ظاهره فان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر انه يستره ففي الخبر ان الله يحب الفقير المتعفف ابا
العيال وقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند المحنة وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر واما فى اعماله فان
لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه قال علي ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة فى ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة واقل
منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب فى مجالستهم لان ذلك من مبادئ الطمع قال الثوري اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مراء واذا خالط السلطان
فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا خالط الفقير الاغنياء انحلت عروته واذا طمع فيهم انقطعت عصمته واذا سكن اليهم ضل وينبغي ان لا يسكت
عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا فى العطاء واما ادبه فى افعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل
وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى وروى زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف

ذلك

ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف درهم فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم
افضل من صاحب المائة الف وينبغي ان لا يدخر من المال الا قدر الحاجة ويخرج الباقي وفى الادخار ثلاث درجات احداها ان لا يدخر الا ليومه
وليلته وهى درجة الصديقين والثانية ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد عليه داخل فى طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله لموسى
ففهم منه الرخصة فى امل الحياة اربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة ان يدخر لسنة وهى اقصى المراتب وهى رتبة الصالحين ومن زاد
فى الادخار على هذا فهو واقع فى غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف فى طمأنينة قلبه فى قوت سنته وغنى الخصوص
فى اربعين يوما وغنى خصوص الخصوص فى يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه نساءه على مثل هذه الاقسام الثلاثة فبعضهن كان يعطيها عند
حصول ما يحصل قوت سنة وبعضهن قوت اربعين يوما وبعضهن يوما وليلة وهن عائشة وحفصة رضي الله عنهما

آداب الفقير فى

قبول العطاء اذا جاءه بغير سؤال ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة امور نفس المال وغرض المعطي وغرضه فى الاخذ اما نفس المال فينبغي
ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز عن اخذه وقد ذكرنا فى كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابها
وما يستحب واما غرض المعطي فلا يخلو اما ان يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية او الثواب وهو الصدقة والزكاة او الذكر او
الرياء والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض اما الاول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله ولكن
ينبغي ان لا يكون فيها منة فان كان فيها منة فالاولى تركها فان علم ان بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض فقد اهدي الى رسول الله صلى الله عليه
سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان صلى الله عليه يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت ان لا اتهب الا من قرشي
او ثقفي او انصاري او دوسي وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت فتح الموصلي صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه انه قال
من اتاه رزق من غير مسألة فرده فانما يرده على الله ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا الحديث ايضا ولكن
حمل اليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى وليس له خلاق و
هذا يدل على ان امر الواعظ والعالم اشد فى قبول العطاء وقد كان الحسن يقبل من اصحابه وكان ابراهيم التيمي يسأل اصحابه الدرهم والدرهمين و
نحوه ويعرض عليهم المائتين فلا يأخذ وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيئا يقول اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله فى قلبك افضل منى
قبل القبول فاخبرني حتى آخذه والا فلا وامارة هذا ان يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه فى قبول صديقه هديته فان
علم انه يمازجه منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين وقال بشر ما سألت احدا قط شيئا الا السري السقطي لانه قد صح عندي
زهده فى الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عونا له على ما يحب وجاء خراساني الى الجنيد بمال وسأله ان يأكله
فقال افرقه على الفقراء فقال ما اريد هذا فقال ومتى اعيش الى ان آكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه فى الخل والبقل بل فى الحلاوات والطيبات فقبل
منه فقال الخراساني ما اجد ببغداد امن علي منك فقال الجنيد ولا ينبغي ان يقبل الا من مثلك الثاني ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة او زكاة
فعليه ان ينظر فى صفات نفسه اهل هو مستحق للزكاة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك فى كتاب اسرار الزكاة وان كان صدقة
وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا لمعصية فى السر يعلم ان المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله بالتصدق عليه فهذا حرام
اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي ولم يكن فان اخذه حرام محض لا شبهة فيه الثالث ان يكون غرضه الشهرة والرياء والسمعة فينبغي
ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله فيكون معينا له على غرضه الفاسد وكان سفيان الثوري رضي الله عنه يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك
افتخارا به لاخذت وعوتب بعضهم فى رد ما كان يأتيه من صلة فقال انما ارد صلتهم اشفاقا ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب
اموالهم ويحبط اجرهم واما غرضه فى الاخذ فينبغي ان ينظر اهو محتاج اليه فيما لا بد منه او مستغن عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة
والآفات التي ذكرناها فى المعطي فالاولى له الاخذ وهو الافضل قال صلى الله عليه ما المعطي من سعة باعظم اجرا من الآخذ اذا كان محتاجا وقال صلى الله عليه
من اتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفى لفظ آخر فلا يرده وقال بعض العلماء من اعطي ولم يأخذ سأل ولم
يعط وقد كان السري السقطي يوصل الى احمد بن حنبل شيئا فرده مرة فقال له السري يا احمد احذر آفة الرد فانها اشد من آفة الاخذ فقال له احمد اعد
علي ما قلت فاعاده فقال احمد ما رددت عليك الا لان عندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وقد قال بعض العلماء

يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من اسلاف الطمع او دخولا في شبهة او غش فاما اذا كان ما اتاه زائدا على حاجته فلا يخلو اما ان كان حاله الاشتغال بنفسه او التكفل بامور الفقراء والانفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان طالب طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان او داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ثم له مقامان احدهما ان ياخذ في العلانية ويرد في السر او ياخذ في السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس ولا يطيقه الا من اطمأنت نفسه بالرياضة والثاني ان يترك ولا ياخذ ليفرقه ويصرفه على من هو احوج منه او ياخذ فيوصل الى من هو احوج فيفعل كليهما في السر او كليهما في العلانية وقد ذكرنا ان الافضل الاخذ او اخفاؤه في كتاب اسرار الزكاة مع جملة من احكام الفقر فليطلب من موضعه وامتنع احمد عن قبول عطاء سري السقطي اذ كان لا يستغني به عنه اذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه ان يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات واخطارا والورع يكون حذرا من مظان الاخطار اذ لم يامن مكايد الشيطان على نفسه وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لا يكاد يواريه فقلت في نفسي لا اجد للدراهم موضعا احسن من هذا الخلقان فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ منها خمسة دراهم وقال اربعة ثمن مئزرين ودرهم انفقه ثلاثا ولا حاجة لي الى الباقي فرده قال فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت الي فاخذ بيدي فاطافني معه سبعا كل شوط منها في جوهر من معادن الارض يتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله قد اعطانيه فزهدت فيه وآخذ من ايدي الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود من ذكر هذا ان الزيادة على قدر الحاجة انما تاتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة ياتيك رفقا فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فاذا انت في قدر الحاجة من هذه الثلث مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله فانت متعرض للحساب وان عصيت الله فانت متعرض للعقاب ومن الاختبار ايضا ان تعزم على ترك لذة من اللذات تقربا الى الله وكسرا لصفة النفس فتاتيك عفوا صفوا لتمتحن بها قوة عقلك فالاولى الامتناع عنه فان النفس اذا رخصت لها في نقض العزم الفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد فان اخذته وصرفته الى محتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون فاما اذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخر فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما يحلو في قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله ان يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل القضاء قضى الله عنه وارضى غرماءه وذلك بشرط ان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على اقراضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب ان يقضى من بيت المال ومن الزكوات فقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله قيل معناه ليبع احد ثوبيه وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله وقال بعضهم لله عباد ينفقون على قدر بضاعتهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله ومات بعضهم فاوصى بماله لثلاث طوائف الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال اما الاغنياء فهم اهل الانقطاع الى الله واما الاسخياء فهم اهل حسن الظن بالله واما الاقوياء فهم اهل التوكل على الله فاذا مهما وجدت هذه الشرائط فيه وفي المال وفي المعطي فليأخذه وينبغي ان يرى ما ياخذه من الله لا من المعطي لان المعطي واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر اليه بما سلط عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات وقد حكي ان بعض الناس دعا شقيقا في خمسين من اصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قعد قال لاصحابه ان هذا الرجل يقول من لم ير اني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل لشقيق ما ذا قصدت بهذا فقال اردت ان اختبر توحيد اصحابي كلهم وقال موسى عليه السلام يا رب جعلت رزقي هكذا على ايدي بني اسرائيل يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فاوحى الله اليه هكذا اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا من حيث

انه مسخر مأجور

## بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه

اعلم انه قد وردت مناهي في السؤال وتشديدات ووردت فيه ايضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محترق ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز اعانة المتعدي على عدوانه والاعطاء اعانة فالكاشف للغطاء فيه ان السؤال حرام في الاصل وانما يباح لضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما قلنا ان الاصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلاثة امور محرمة الاول اظهار الشكوى من الله اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله عليه وهو عين الشكوى وكما ان العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذا سؤال العبد تشنيع على الله وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا لضرورة كما تحل الميتة الثاني ان فيه اذلال السائل نفسه لغير الله وليس للمؤمن ان يذل نفسه لغير الله بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا لضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالاضافة الى المسؤول والثالث انه لا ينفك عن ايذاء المسؤول غالبا لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه فان بذل حياء من السائل او رياء فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحيى وتأذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام الا بضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاثة فهمت قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال مسألة الناس من الفواحش وما احل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماه فاحشة ولا يخفى ان الفاحشة انما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن ظهر غنى فانما يسأل جمرا من جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسألته خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الالفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيئا وكان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يأمر بالتعفف عن السؤال ويقول من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ومن لم يسألنا فهو احب الينا وقال عليه السلام استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومني وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانية يسأل فقال الم اقل لك عش الرجل قال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة من الخبز فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم اخذ المخلاة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا ان سؤاله كان حراما لما ضربه ولما اخذ مخلاته ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول اما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرع بالتعزير واما اخذه ماله فهو مصادرة ولم يرد في الشرع العقوبة بالمال فلم استجاز ذلك وهو استبعاد مصدره القصور في الفقه فاين يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر واطلاعه على اسرار الدين ومصالح العباد افترى انه لم يعلم ان المصادرة بالمال غير جائز او علم ذلك ولكن اقدم عليه غضبا في معصية لله وحاشاه او اراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعه نبي الله صلى الله عليه وسلم وهيهات فان ذلك معصية ايضا بل الفقه الذي لاح له فيه انه رآه مستغنيا عن السؤال وعلم ان من اعطاه شيئا فانما اعطاه على اعتقاد انه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه باخذه مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده الى اصحابه اذ لا يعرف اصحابه باعيانهم فبقي مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وابل الصدقة وعلفها من المصالح فتنزل اخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا منزلة اخذ العلوي بقوله انه علوي وهو كاذب فانه لا يملك ما ياخذه وكاخذ الصوفي الصالح الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف لمعصية لو عرفها المعطي لما اعطاه وقد ذكرنا في مواضع ان ما اخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد على المالك فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر رضي الله عنه فاذا عرفت ان السؤال يباح لضرورة فاعلم ان الشيء اما ان يكون مضطرا اليه او محتاجا اليه حاجة مهمة او حاجة خفيفة او مستغنى عنه فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وسؤال العاري وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسؤول بكونه مباحا والمسؤول منه بكونه راضيا في الباطن والسائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال الا اذا استغرق طلب العلم اوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة واما المستغني فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله او امثاله فسؤاله حرام قطعا وهذان طرفان واضحان واما المحتاج حاجة مهمة كالمريض الذي يحتاج

الى دوابّ ليس يظهر خوف لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف وكمن له جبّة وليس تحتها قميص في الشتاء وهو يتأذّى بالبرد تأذّيا لا ينتهي الى حد
الضرورة وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقّة فهذا ينبغي ان يسترسل عليه الإباحة لأنها ايضا حاجة محقّقة ولكن الصبر عليه
اولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولا يسمّى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبّتي قميص والبرد يؤذيني اذى اطيقه ولكن
يشقّ عليّ فاذا صدق فصدقه يكون كفّارة لسؤاله ان شاء الله واما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه فيستر
به الخروق من ثيابه عن اعين الناس ومن يسأل لأجل الأدم وهو واجد للخبز ومن يسأل الكراء للفرس وهو واجد كراء الحمار او يسأل كراء
المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا ونحوه ان كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات
الثلاث من الشكوى او الذلّ او ايذاء المسؤول فهو حرام لأن مثل هذه الحاجة لا يصلح لأن يباح بها هذه المحذورات وان لم يكن فيها شيء
من ذلك فهو مباح مع الكراهة فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحذورات فاعلم ان الشكوى تندفع بأن يظهر الشكر لله و
الاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول انا مستغن بما املكه ولكن تطالبني النفس بثوب فوق ثيابي وهي فضلة على الحاجة و
فضول من النفس فيخرج به عن حدّ الشكوى واما الذلّ فبأن يسأل اباه او قريبه او صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه
بسبب سؤاله او الرجل السخي الذي قد اعدّ ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلّد منّة منه بسؤاله فيسقط عنه الذلّ بذلك فان الذلّ
لازم للمنّة لا محالة واما الايذاء فسبيل الخلاص عنه ان لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع
بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص موقوف لو لم يبذل لكان يلام فهو ايذاء فانه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة ويكون الاحب اليه في الباطن الخلاص
لو قدر عليه من غير ملامة واما اذا كان يسأل شخصا معينا فينبغي ان لا يصرّح بل يعرّض تعريضا يبقى له سبيل الى التغافل ان اراد فاذا لم يتغافل مع
القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متأذّ به وينبغي ان يسأل من لا يستحيي منه لو ردّه او تغافل عنه فان الحياء من السائل يؤذي كما ان الرياء مع غير
السائل يؤذي فان قلت فاذا اخذ مع العلم بأن باعث المعطي هو الحياء منه او من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه به فهل هو حلال او شبهة فأقول
ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه حكم اخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق بين ان يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب او يضرب
باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وسوط الباطن اشدّ نكاية في قلوب العقلاء ولا يجوز ان يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال صلى الله عليه وسلم
نحن نحكم بالظاهر والله يتولّى السرائر فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردّهم الى البواطن وقرائن الاحوال فاضطروا
الى الحكم بظاهر اللسان مع انه ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهو سؤال عمّا بين الله وبين العبد والحاكم فيه احكم الحاكمين و
القلوب عنده كالألسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان افتوك وافتوك فان المفتي معلّم القاضي او السلطان ليحكموا في
عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة وبفتواهم النجاة من سطوة سلطان الآخرة كما ان بفتوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا
فاذا ما اخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله ويجب عليه الردّ الى صاحبه فان كان يستحيي من ان يسترده ولم يسترده فعليه ان يثيبه على ذلك
بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة ليتفصّى عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه ان يردّ ذلك الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه
وبين الله وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الأذى فان قلت فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فربما
يظن السائل انه راض ولا يكون في الباطن راضيا قلنا لهذا ترك المتقون السؤال رأسا فما كانوا يأخذون من احد شيئا اصلا فكان بشر
لا يأخذ من احد اصلا الا من السري وقال لأني علمت انه يفرح بخروج المال من يده فأنا اعينه على ما يحبه وانما عظم النكير في السؤال وأكّد
الامر فيه لهذا لأن الأذى انما يحلّ بالضرورة وهو ان يكون السائل مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير
كراهة واذى فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير واكل الميتة فكان الامتناع طريق الورعين ومن ارباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في
الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ الا من اصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما
يعطى بعضا ويردّ بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش والاقط وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة و
لكن قد تكون رغبته طمعا في جاه او طلبا لرياء وسمعة وكانوا يحترزون من مثل ذلك فأما السؤال فقد امتنعوا منه رأسا الا في موضعين
احدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الانبياء في مقام الضرورة سليمان وموسى والخضر ولا شك في انهم ما سألوا الا من علموا انه يرغب في اعطائهم



الثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان وقد كان في حق الاخوان ما كانوا يأخذون ما لهم بغير سؤال واستئذان لأن ارباب القلوب علموا ان المطلوب
رضى القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا بإخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم فاذا كانوا يسألون الاخوان عند شكّهم في اقتدار اخوانهم على
ما يريدونه والا فكانوا يستغنون عن السؤال وحدّ اباحة السؤال ان تعلم ان المسؤول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتدأك دون السؤال فلا يكون للسؤال
تأثير الا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيل فلا ويتصدّى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضى بالباطن وحالة لا يشك في
الكراهة وذلك يعلم بقرائن الاحوال فالاخذ في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثانية حرام سحت ويتردد بين الحالتين احوال يشك فيها فليستفت
فيها قلبه ولا يترك حزّاز القلب فانه الاثم وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعفت شهوته
وحرصه فان قوي الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه ولا يفطن للقرائن الدالة على الكراهة فبهذه الدقائق يطّلع على سرّ قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقد اوتي جوامع الكلم لأن من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب ابيه او
احد اقربيه فيأكل من ايدي الناس فان اعطي بغير سؤال فانما يعطى بدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف ما اعطي فيكون ما اخذه حراما وان
اعطي بسؤال فاين من يطيب قلبه بالعطاء اذا سئل واين من يقتصر في السؤال على حدّ الضرورة فاذا فتّشت احوال من يأكل من ايدي الناس علمت
ان جميع ما يأكله او اكثره سحت وان الطيب ما يأكل هو الكسب الذي باشره بيده فاذا هذان يجمع الورع مع الأكل من ايدي الناس فنسأل
الله تعالى ان يقطع طمعنا من غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه بمنّه وسعة جوده

## مقدار الغنى المحرّم للسؤال

اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم من سأل عن ظهر غنى فانما يسأل جمرا فليستقلّ منه او ليستكثر صريح في التحريم ولكن حدّ الغنى مشكل وتقديره عسير وليس الينا
وضع المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث استغنوا بغنى الله قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة وفي حديث آخر
من سأل وله خمسون درهما او عدلها من الذهب فقد سأل الحافا وورد في لفظ آخر اربعون درهما ومهما اختلفت الروايات في التحديدات وصحّت
الأخبار فينبغي ان يقطع بورودها على احوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع وغايته الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك
الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين فنقول قال صلى الله عليه وسلم ليس لابن آدم حق الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنّه فما زاد
فهو حساب فلنجعل هذه الثلاث اصلا في الحاجات لبيان اجناسها والنظر في الاجناس والمقادير والاوقات فاما الاجناس فهي هذه
الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق به الكراء للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذا ما يجري مجراه من المهمات ويلحق نفقة عياله وولده وكل
من تحت كفالته واما المقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد من قميص ومنديل وسراويل ومداس واما الثاني
من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا اثاث البيت ولا ينبغي ان يطلب رقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف
فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على نوع واحد ومن النوع على اخسّ اجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة واما من الطعام فقدره
في اليوم مدّ وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان الشعير وللأدم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية اضرار وفي طلبه في بعض
الاحوال رخصة واما المسكن فاقلّه ما يجزئ من حيث المقدار وذلك من غير زينة فاما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى واما
بالاضافة الى الاوقات فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه ومأوى يكنّه فلا اشكال فيه واما سؤاله للمستقبل فهذا له
ثلاث درجات احدها ما يحتاج اليه في غد والثانية ما يحتاج اليه بعد اربعين يوما او خمسين والثالثة ما يحتاج اليه في السنة ولنقطع
بأن من معه ما يكفيه له ولعياله ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة
دنانير تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد اما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا تفوته
فرصته فلا يحلّ له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج اليه فيكفيه غداء يومه وعشاء ليلته وعليه ينزّل
الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخّر فيباح له السؤال لأن امل البقاء سنة غير بعيد فهو
بتأخير السؤال خائف ان يبقى مضطرا عاجزا عن يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما لأجله السؤال خارجا عن
محلّ الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهة وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها يحتاج الى السؤال
وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله فيستفتي فيه قلبه ويعمل به ان كان سالكا طريق الآخرة وكلما كان

بتثبيت التقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل اتم وثقته بفوت الوقت اظهر ودرجته عند الله تعالى اعلى فلا يكون خوف الاسترسال وقد
اتاك الله قوت يوم فلك وفعل ذلك الا من ضعف اليقين والاصغاء الى تخويف الشيطان وقد قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين
وقال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال من الفحشاء التي ابيح بالضرورة وحال من
يسال لحاجة مترقبة عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في السنة اشد من حال من يملك الاجرة وادخر لحاجة بعد السنة فكلاهما مباحان
في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الخصلة من امهات المهلكات

احوال السائلين كان بشر رضي الله عنه يقول الفقراء ثلثة فقير لا يسال وان اعطي لم ياخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسال وان اعطي
اخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسال عند الحاجة فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين فاذا اتفق كلهم على ذم السؤال و
على انه مع الحاجة يحط المرتبة والدرجة وقال ابراهيم بن ادهم لشقيق حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من اصحابك قال تركتهم
ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال فقد اثنى عليهم غاية الثناء فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا
فقال له شقيق فكيف الفقراء عندك يا ابا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا آثروا فقبل راسه وقال صدقت يا استاذ
فاذا درجات ارباب الاحوال في الرضى والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة اقسامها
واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لا يقدر على الرقي من حضيضها الى يفاعها ومن اسفل السافلين الى اعلى عليين وقد خلق الانسان في احسن تقويم
ثم رد الى اسفل السافلين ثم امر ان يترقى الى اعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الترقي قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه
ربما لا يقدر عليه وارباب الاحوال قد يغلبهم حالة تقتضي ان يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات
وذلك كما روي ان بعضهم راى ابا الحسن النوري يمد يده ويسال الناس في بعض المواطن قال فاستعظمت ذلك منه واستقبحته له فاتيت الجنيد فاخبرته
فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسال الناس الا ليعطيهم انما سالهم ليثيبهم في الآخرة فيوجرون من حيث لا يضرهم وكانه اشار به الى قوله صلى الله عليه وسلم
يد المعطي هي العليا فقال بعضهم يد المعطي يد الآخذ لانه يعطي الثواب والقدر له لا لما ياخذه ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض
قبضة فالقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت ان
اساله فذهبت بالصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك شيئا واخذ ما زاد على المائة قال فزاد
تعجبي فسالته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل
فاخذت ما كان لله ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله ورد مالنا والله المستعان فانظر الان كيف صفت قلوبهم
واحوالهم وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الاسرار
وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن انكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل كمن ينكر كون
الدواء مسهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فانكره لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه
خاصة لعلة في باطنه فاخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول فليس خاليا عن حظ وافر من الجهل بل البصير
انما لكل رجلين اما سالك للطريق وظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق وقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق
او سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدق به فهو صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا الى عين اليقين وعلم اليقين ايضا رتبة وان كان دون
عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم
قتلى القلوب الضعيفة واتباع الشيطان فنسال الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم الذين يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا
اولوا الالباب

الشطر الثاني من الكتاب في الزهد وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات
الزهد واقسامه وبيان تفصيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن والاثاث وضرورات المعيشة وبيان علامة الزهد

حقيقة الزهد اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان
لان ابواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره اقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والا فليس

القول

القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر والعمل يجري من
الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو
خير منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته في غيره
فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذا يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه
هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون هو ايضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا اذ تارك
الحجر والتراب والحشرات لا يسمى زاهدا وانما يسمى تارك الدراهم والدنانير زاهدا لا تارك التراب والحجر ليس في محل الرغبة وشرط المرغوب فيه
ان يكون خيرا عنده من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشترى عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع
زهدا فيه وبالاضافة الى العوض رغبة فيه وحبا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه وقد
يطلق الشرى بمعنى البيع وصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب من يوسف فباعوه
طمعا في العوض فاذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن العادة
جارية بتخصيص اسم الزاهد بمن يزهد في الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان هو الميل في وضع اللسان ولما كان
الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو احب منه والا فترك المحبوب لغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله
حتى الفراديس ولا يحب الا الله فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع
في الحور والقصور والانهار والفواكه فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك
المال دون الجاه او يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض
المعاصي وهو زهد صحيح كما ان التوبة عن بعض المعاصي توبة صحيحة فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي
هي حظ النفس ولا يبعد ان يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا
وان كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذا الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا
الى الآخرة او عن غير الله تعالى الى الله تعالى وهي الدرجة العليا وكما يشترط في المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده فيشترط في المرغوب عنه ان
يكون مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة عنه ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز
اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيم زهدت واما العلم الذي هو مثمر لهذه الحالة فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى
الماخوذ كعلم التاجر ان العوض خير من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان تزول عنه الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان ما
عند الله باق وان الآخرة خير وابقى اي لذاتها خير في انفسها وابقى كما يكون الجوهر خيرا من الثلج مثلا وهو ابقى ولا يعسر على مالك الثلج بيعه
بالجواهر واللآلي فهكذا مثال الدنيا والآخرة كالجواهر الذي لا فناء لها فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة
في البيع والمعاملة حتى ان من قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ثم بين ان صفقتهم
رابحة وقال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الآخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك
من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه ولكونه مقهورا في يد الشيطان واما لاغتراره
بمواعيد الشيطان في التسويف يوما فيوما الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا الحسرة بعد الفوت والى تعريف خسة الدنيا الاشارة
بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى تعريف نفاسة الآخرة الاشارة بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن
فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة ورغبة عن محبوب في احب منه قال رجل في دعائه اللهم ارني
الدنيا كما تراها فقال صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل اللهم ارني الدنيا كما اريتها الصالحين من عبادك وهذا لان الله يرى الدنيا حقيرة كما
هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس
وان رغب عن فرسه كما يرى حشرات الارض مثلا لانه مستغن عن الحشرات اصلا وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته

تقدم

فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والآخرة

عن كل ما سواه فهو الكامل في درجة واحدة بالاضافة الى حاله وبراءته منه وثبته بالاضافة الى غيره والزاهد هو الذي يرى
ثاويته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واخذ لانه بيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير
بالذي هو ادنى فكما ان العمل الصادر عن عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه
بالكلية وهي الدنيا باسرها مع اسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما اخرجه
من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم ياخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين في
الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان الذي بايعه بهذا البيع وفي بالعهد فمن اسلم حاضرا في غائب وسلم الحاضر واخذ يسعى في
طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد وما دام ممسكا للدنيا لا يصح
زهده اصلا ولذلك لم يصف الله اخوة يوسف بالزهد في ابن يامين وان كانوا قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وعزموا على ابعاده
كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه احدهم فترك ولا وصفهم ايضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه الا عند التسليم والبيع فعلامة
الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فلو اخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فانت زاهد فيما اخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا
وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل
اليك انك وان لم يكن اتاك فانت زاهد فيه فلا ينبغي ان تتدلى بحبل غروره دون ان تستظهر بموثق غليظ من الله فان كنت لم تجرب حال القدرة
فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت له اسبابها من غير مانع وخوف
من الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فاياك وان تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ ان تجربها مرة بعد
اخرى في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا فلا باس ان تثق بها وثوقا ولكن
تكون من تغيرها ايضا على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند الترك بالاضافة
الى ما ترك فقط ولكن عند القدرة قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحايك لا يفتي في مسالة الا رد علينا يعني ابا حنيفة
قال ابن شبرمة لا ادري اهو ابن الحايك ام لا لكني اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها ولذلك قال جميع المسلمين
على عهد رسول الله انا نحب ربنا ولو علمنا في اي شيء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من
دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود قال لي رسول الله صلى الله عليه انت منهم اي من القليل وقال ما عرفت ان فينا من يحب الدنيا حتى
نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة واعلم انه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخا والفتوة وعلى سبيل استمالة
القلوب ولا على سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات انما الزهد ان تتركها لعلمك بحقارتها بالاضافة
الى نفاسة الاخرة فاما كل نوع من الترك يتصور ممن لا يؤمن بالاخرة فذلك قد يكون مروة وفتوة وسخا وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا اذ
حسن الذكر وميل القلوب من الحظوظ العاجلة وهي الذ واهنا من المال وكما ان ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد
فكذلك تركه طمعا في الذكر والثنا والاشتهار بالفتوة والسخا او استثقالا له لما في حفظ المال من المشقة والعنا والحاجة الى التذلل
للسلاطين والاغنيا ليس من الزهد اصلا بل هو استعجال حظ اخر للنفس بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو قادر على التنعم
بها من غير نقصان جاه وقبح اسم وفوات حظ فتركها خوفا من ان يانس بها فيكون انسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في
حب الله غير الله او تركها طمعا في ثواب الاخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا في اشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان
طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة واشجارها وترك التجمل والتزين بزينة الدنيا طمعا في زينة
الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فاثر في جميع ذلك ما وعد في
الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في الاخرة خير وابقى وما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الاخرة اصلا

فضيلة الزهد قال تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله قال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنسب الزهد الى العلما ووصف
اهله بالعلم وهو غاية الثنا وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وجاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال تعالى انا جعلنا



ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا معناه ايهم ازهد فيها فوصف الزهد بانه احسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الاخرة
نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة ووصف الكفار بذلك فمفهومه
ان المؤمن هو الذي زهد في الدنيا وهو ان يستحب الاخرة على الحيوة الدنيا واما الاخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد اوردنا بعضها
في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الان نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني
بالزهد وقد قال صلى الله عليه من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا
ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه اذا رايتم
العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا
اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة انه قال قلنا يا رسول الله اي الناس خير فقال
كل مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غش فيه ولا غل ولا بغي ولا حسد قيل يا
رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنا الدنيا ويحب الاخرة ومفهومه ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه ان اردت ان
يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات ومفهومه ايضا
ان محب الدنيا متعرض لبغض الله وفي خبر من طريق اهل البيت انه قال الزهد والورع يجولان في القلب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه
الايمان والحيا اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه انا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا
فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني بالجنة والنار وكاني انظر الى عرش ربي بارزا فقال عليه السلام عرفت فالزم عبد نور الله قلبه فانظر كيف
بدا في اظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله اذ قال عبد نور الله قلبه ولما سئل رسول الله عن معنى
الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح
قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل
الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور وقال صلى الله عليه استحيوا من الله حق الحيا قالوا انا لنستحيي قال ليس كذلك تبنون ما لا
تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون فبين ان ذلك يناقض الحيا من الله ولما قدم عليه وفد وقالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلا
والشكر عند الرخا والرضى بمواقع القضا وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعدا فقال عليه السلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا
تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة لايمانهم وقال جابر خطبنا رسول الله صلى الله عليه فقال من جا بلا اله الا الله لا يخلط
معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي فقال بابي انت وامي ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا نفسره لنا فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها
وقوم يقولون قول الانبيا ويعملون اعمال الجبابرة فمن جا بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر السخا من اليقين ولا يدخل
النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد
من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخا ثمرة الزهد والثنا على الثمرة ثنا على المثمر لا محالة وروي عن ابن المسيب
عن ابي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه وانطق بها لسانه وعرفه دا الدنيا ودواها و
اخرجه منها سالما الى دار السلام وروي انه صلى الله عليه مر في اصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من احب اموالهم وانفسها عندهم
لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ولعظمها في قلوبهم قال تعالى واذا العشار عطلت فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وغض بصره فقيل له
يا رسول الله هذه انفس اموالنا لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به الاية وروى مسروق عن
عائشة قالت قلت يا رسول الله الا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رايت من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سالت ربي ان يجري
معي جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة
ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لال محمد يا عائشة ان الله لم يرض لاولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي

الا ان يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل والله ما لي بد من طاعته واني والله لاصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة
الا بالله وروي عن عمر رضي الله عنه قالت له ابنته حفصة حين فتح الفتوحات البس الين الثياب اذا قدمت عليك الوفود من الآفاق ومر بصنعة
طعام تطعمه وتطعم من حضرك فقال عمر رضي الله عنه يا حفصة الست تعلمين ان اعلم الناس بحال الرجل اهل بيته فقالت نعم قال ناشدتك الله هل
تعلمين ان رسول الله لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا اهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ولم يشبعوا عشية الا جاعوا غدوة و
ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو واهله حتى فتح الله عليهم خيبر وناشدتك الله هل
تعلمين ان رسول الله قربتم اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم امر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون
ذلك او وضع على الارض وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله كان ينام على عباءة مثنية فثني له ليلة اربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ
قال منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنين كما كنتم تثنونها وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله كان يضع ثيابه لتغسل فياتيه
بلال فيؤذنه بالصلوة فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلوة حتى تجف ثيابه فيخرج بها الى الصلوة وناشدتك الله هل تعلمين ان امراة من بني ظفر صنعت لرسول
الله كساءين ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الآخر فخرج الى الصلوة مشتملا به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك
فما زال يقول حتى ابكاها وبكى عمر وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج وفي بعض الروايات زيادة في قول عمر وهو انه قال كان لي صاحبان
سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما واني والله لاصبرن على عيشهما الشديد لعلي ادرك معهما عيشهما الرغيد
وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه انه قال لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباءة وان كان احدهم ليبتلى بالقمل
حتى يقتله القمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وعن ابن عباس قال لما ورد موسى ماء مدين كانت خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال
فهذا كان ما اختاره انبياء الله والمرسلون وهم اعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله
تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال صلى الله عليه تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم فقلنا نهانا الله عن
كنز الذهب والفضة فاي شيء ندخر فقال صلى الله عليه ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر آخرته وقال
في حديث حذيفة قال صلى الله عليه من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلث هما لا يفارق قلبه ابدا وفقرا لا يستغني ابدا وحرصا لا يشبع
ابدا وقال صلى الله عليه لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته وقال عيسى
عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا نبي الله لو امرتنا ان نبني بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء
فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء قال فكيف يستقيم عبادة على حب الدنيا وقال صلى الله عليه ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت
لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج رسول الله ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسى لآل محمد كف سويق
ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افظعته فقال رسول الله صلى الله عليه امر الله القيامة ان تقوم فقال لا ولكن هذا اسرافيل
قد نزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير
معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة وان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومى اليه جبريل ان تواضع لله فقال نبيا عبدا ثلثا
وقال صلى الله عليه اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه وقال صلى الله عليه ازهد في الدنيا يحبك الله
وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال صلى الله عليه من اراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه
من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن اشفق من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات
وعن عيسى وعن نبينا عليهما الصلوة والسلام اربع لا يدركن الا بتعب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء وجميع الاخبار
الواردة في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا تحصى لان الانبياء ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا الى الآخرة والى ذلك اكثر كلامهم مع الخلق وفيما
اوردناه كفاية والله اعلم وامــــا الآثار فقد جاء في الاثر لا تزال لا اله الا الله تدفع عن العباد سخط الله ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ آخر
ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وعن بعض الصحابة انه قال تابعنا الاعمال

احصاها

فلم نر في امر الآخرة ابلغ من الزهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله وهم كانوا
خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن سعد كفى بنا
ذنبا ان الله يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان اشتهي ان ارى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال
وهب بن منبه ان للجنة ثمانية ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين في الدنيا
العاشقين للجنة وقال يوسف بن اسباط اني لاشتهي من الله ثلث خصال ان اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا
على عظمي لحم فاعطي ذلك كله ويروى ان بعض الخلفاء ارسل الى الفقهاء بجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد
قبل الفقهاء وانت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال اتدرون ما مثلي ومثلكم الا كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لـ
ينتفعوا بجلدها فكذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني موتوا يا اهلي جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا وقال عبيد بن عمير كان عيسى بن مريم صلى الله عليه يلبس
الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد اينما ادركه المساء نام وقالت امراة ابي حازم لابي حازم هذا
الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال ابو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي
الله ثم الجنة او النار وقيل للحسن لم لا تغسل قميصك فقال الامر اعجل من ذلك وقال ابراهيم بن ادهم قد حجبت قلوبكم بثلثة اغطية فلن يكشف
الله للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص واذا حزنت على المفقود
فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والعجب يحبط العمل وقال ابن مسعود ركعتان من زاهد خير له واحب
الى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا اكثر من نعمته فيما صرف الينا
وكانه التفت الى معنى قوله عليه السلام ان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه واذا فهم هذا علم
ان النعمة في المنع المؤدي الى السلامة اكثر منه في الاعطاء المؤدي الى السقم وكان الثوري يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار
ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن على شقاء وقال سهل لا يخلص العمل للمتعبد حتى لا يفزع من اربعة اشياء الجوع والعري
والفقر والذل وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا يأسفون على شيء منها ادبر ولهي
كانت في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطو له ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيئا
ولا امر في بيته بصنعة طعام قط فاذا كان الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم
كانوا اذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله ان يقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم وسألوا ان يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله
ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة

## درجات الزهد واقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه

اعلم ان الزهد يتفاوت في نفسه بحسب تفاوت قوته على ثلث درجات الدرجة السفلى منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشته و
قلبه اليها مائل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل الى الزهد بالكسب والاجتهاد
والمتزهد يذيب اولا نفسه ثم كيسه والزاهد يذيب اولا كيسه ثم نفسه في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه
نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها في قليل او كثير الدرجة الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها
بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة
زهده ويلتفت اليه كما يرى البائع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن في نفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا
نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيئا اذ عرف ان الدنيا لا شيء فيكون
كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة اخس من خزفة بالاضافة
الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخزفة بالجوهرة لا يطمع
في طلب الاقالة في البيع قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في اي شيء تتكلم قال في الزهد قال في اي شيء قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت
انك تتكلم في شيء الدنيا لا شيء ايش تزهد فيه ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات

مثل من منعه عن باب الملك الكلب على بابه فألقى إليه لقمة من خبز فشغله عن نفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته أفترى أنه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلبه في مقابلة ما ناله فالشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز إن أكلت فلذتها في الفم وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي إلى النتن ويحتاج إلى إخراج ذلك الثقل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت إليها ونسبة الدنيا كلها أعني ما يسلم لكل شخص منها وإن عمر مائة سنة بالإضافة إلى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا إذ لا نسبة للمتناهي إلى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى ألف ألف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا نسبة لها إلى الأبد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فأي نسبة لها إلى نعيم الأبد فإذاً لا يلتفت الزاهد إلى زهده إلا إذا التفت إلى ما زهد فيه ولا يلتفت إلى ما زهد فيه إلا لأنه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا إلا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه أيضا لها درجات إذ حال المتزهد يختلف بتفاوت حاله في قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده في قدر التفاته إلى زهده وأما الانقسام بالإضافة إلى المرغوب فيه فهو أيضا على ثلث درجات الدرجة السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الأهوال كما وردت به الأخبار إذ فيه أن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاش على عرقه لصدرت رواء فهذا هو زهد الخائفين وكأنهم رضوا بالعدم لو أعدموا فإن الخلاص من الألم يحصل بمجرد العدم الدرجة الثانية أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم بل طمعوا في وجود دائم على نعيم قائم سرمد لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله لأن من طلب غير الله فقد عبده فكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لأنه لا يحب الله خاصة إلا من عرفه وكما أن من عرف الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب إلا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر إلى نقش القصور وخضرة الأشجار غير ممكن فلا يحب إلا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظنن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك لا لأن اللعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق وأما الانقسام بالإضافة إلى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الأقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الأقاويل ولكن نشير إلى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح لك أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الإحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له إجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها أشرح لآحاد الأقسام وبعضها أجمع للجمل أما الإجمال في الدرجة الأولى فهو كل ما سوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضا وأما الإجمال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها وفي الدرجة الثالثة أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما يرجع جميع حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في القدرة والعلم والدينار والدرهم إذ الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب إذ معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها كما أن معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا ثم رده في آية أخرى إلى خمسة فقال اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ثم رده في موضع آخر إلى اثنين فقال وما الحيوة الدنيا إلا لعب ولهو ثم رد الكل إلى واحد في موضع آخر فقال ونهى النفس عن الهوى فإن



الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه وإذا فهمت طريق الإجمال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف البعض وإنما يفارقه في الشرح مرة وفي الإجمال أخرى والحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر أمله لا محالة لأنه يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء فإن من أراد شيئا أراد دوامه ولا معنى لحب الحيوة إلا حب دوام ما هو موجود أو ممكن في هذه الحيوة فإذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل أي لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين أما الزاهدون المحبون لله فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وانتظروا إحدى الحسنيين وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون إليه مبادرة الظمآن إلى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله أو نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوات الشهادة حتى إن خالد بن الوليد لما احتضر للموت على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة نقب من آثار الجراحات هكذا كان حال الصادقين في الإيمان رضي الله عنهم أجمعين وأما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم وإيثارهم البقاء على الشهادة استبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وأما المخلصون فإن الله اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فلما رأوا أنهم تركوا التمتع عشرين سنة مثلا أو ثلثين سنة تمتعوا للأبد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به فهذا بيان المزهود فيه وإذا فهمت هذا علمت أن ما ذكره المتكلمون في حد الزهد لم يشيروا به إلا إلى بعض أقسامه فذكر كل واحد ما رآه غالبا على نفسه أو على من كان يخاطبه فقال بشر الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذه إشارة إلى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد وهذا إشارة إلى الزهد في شهوة واحدة ولعمري هي أغلب الشهوات على الأكثر وهي المهيجة للشهوات الكثيرة وقال الفضيل الزهد هو القناعة وهذا إشارة إلى المال خاصة وقال الثوري الزهد هو قصر الأمل وهو جامع لجميع الشهوات فإن من يميل إلى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول أمله ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها وقال أويس إذا خرج يطلب ذهب الزهد وما قصد به حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا في الزهد وقال أويس الزهد هو ترك الطلب للمضمون وهو إشارة إلى الرزق وقال أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأي والمعقول والزهد إنما هو اتباع العلم والسنة وهذا إن أريد به الرأي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض الشهوات فإن من العلوم ما لا فائدة فيها في الآخرة وقد طولوها حتى يفنى عمر الإنسان في الاشتغال بواحد منها فشرط الزاهد أن يكون الفضول أول مرغوب عنه عنده وقال الحسن الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال هذا أفضل مني فذهب إلى أن الزهد هو التواضع وهذا إشارة إلى نفي الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال وأين هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس ولا شك في أنه أراد طلب الحلال وكان يوسف بن أسباط يقول من صبر على الأذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ بأصل الزهد وفي الزهد أقاويل وراء ما نقلناه فلم نر في نقلها فائدة فإن من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة اقتصارا لحاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في البصيرة ولكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الإخبار عن الأحوال الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والأحوال تختلف فلا جرم الأقوال المخبرة عنها تختلف وأما الحق في نفسه فلا يكون إلا واحدا ولا يتصور أن يختلف وإنما الجامع من هذه الأقاويل الكامل في نفسه وإن لم يكن فيه تفصيل ما قاله أبو سليمان الداراني إذ قال قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله تعالى وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا فجعل جميع ذلك ضدا للزهد وقرأ أبو سليمان قوله تعالى إلا من أتى الله بقلب سليم فقال هو القلب الذي ليس فيه غير الله وقال إنما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة فهذا بيان انقسام الزهد بالإضافة إلى أصناف المزهود فيه فأما بالإضافة إلى أحكامه فينقسم إلى فرض ونفل وسلامة كما قاله إبراهيم بن أدهم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع

في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد أيضا ولكن بالإضافة إلى الزهد في الشهوات وأما بالإضافة إلى خفايا ما يتوكل فلا نهاية
للزهد فيها إذ لا نهاية لما يتمتع به النفس في الخطرات واللحظات وسائر الحالات لا سيما خفايا الرياء فإن ذلك لا يطلع عليه إلا سماسرة العلماء
بل الأموال الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها لا تتناهى فمن أقصى درجاتها زهد عيسى عليه السلام إذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان أما كنت
تركت الدنيا فما الذي بدا لك فقال وما الذي تجدد لي قال توسدك الحجر أي تنعمت برفع رأسك عن الأرض في النوم فرمى الحجر وقال خذه فيما
تركته لك وروي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه لبس المسوح حتى نقب جلده تركا للتنعم بلين الثياب واستراحة حس اللمس فسألته أمه
أن يلبس مكانها جبة من صوف ففعل فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى آثرت الدنيا علي فبكى ونزع الصوف وعاد إلى ما كان وقال أحمد الزهد زهد
أويس بلغ من العري حتى جلس في قوصرة وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط إنسان فأقامه صاحب الحائط فقال ما أقمتني أنت إنما أقامني
الذي لم يرض لي أن أتنعم بظل الحائط فإذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا حصر لها وأقل درجاته الزهد في كل شبهة ومحظور
وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور
الزهد الآن فإن قلت مهما كان الصحيح هو أن الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس
ومكالمتهم فكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الإقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور
ذلك إلا مع البقاء ولا بقاء إلا بالضروريات النفس فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على
العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فإن ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة وسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج
ولكن ينبغي أن يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات
عنها حتى تسير بك إلى مقصدك فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدنك من الجوع والعطش المهلك بالأكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس
والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوي على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد فإن قلت
لا بد وأن أتلذذ بالأكل عند الجوع فاعلم أن ذلك لا يضرك إذا لم يكن قصدك التلذذ فإن شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله
إلى زوال ألم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح به ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا إليه فالإنسان
قد يستريح في قيام الليل بنسيم الأسحار وصوت الطيور ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك لا يضره
لقد كان في الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه نسيم الأسحار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس إلى الدنيا ونقصان في الأنس
بالله تعالى بقدر وقوع الأنس بغير الله تعالى ولذلك كان داود الطائي له حب مكسور فيه ماء فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار و
يقول من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فإنه وإن كان شاقا فمدته
قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأبيد لا يثقل على أهل المعرفة القاهرين لأنفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة المضادة
بين الدنيا والدين

تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحيوة

اعلم أن ما الناس منهمكون فيه ينقسم إلى فضول ومهم فالفضول
كالخيل المسومة مثلا إذ غالب الناس يقتنيها للترفه بركوبها وهو قادر على المشي والمهم كالأكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل أصناف الفضول
لأن ذلك لا ينحصر وإنما ينحصر المهم الضروري والمهم أيضا يتطرق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه
والمهمات ستة المطعم والملبس والمسكن وأثاثه والمنكح والمال والجاه يطلب لأغراض وهذه الستة من جملتها وقد ذكرنا
معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز عنه في كتاب الرياء من ربع المهلكات ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة

الأول المطعم ولا بد للإنسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فأما
طوله فبالإضافة إلى جميع العمر فإن من يملك طعام يومه فقد يقنع به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله أما طوله فلا يقصر
إلا بقصر الأمل وأقل درجات الزهد الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله إذا استقل بما تناوله لم
يدخر من غدائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا الدرجة الثانية أن يدخر لشهر أو لأربعين يوما والدرجة الثالثة أن يدخر لسنة فقط وهذه رتبة
ضعفاء الزهاد ومن ادخر لأكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جدا فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له



كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من الأيدي كداود الطائي فإنه ورث عشرين دينارا فأمسكها وأنفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد أصل الزهد
إلا عند من جعل التوكل شرط الزهد وأما عرضه فبالإضافة إلى المقدار فأقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل وأوسطه رطل و
أعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في إطعام المساكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار
على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة وأوسطه خبز الشعير والذرة
وأعلاه خبز البر غير منخول فإذا ميز من النخالة وصار حوارى فقد دخل في التنعم وخرج من آخر أبواب الزهد فضلا عن أوائله وأما الأدم
فأقله الملح أو البقل أو الخل وأوسطه الزيت ويسير من الأدهان أي دهن كان وأعلاه اللحم أي لحم كان وذلك في الأسبوع مرة أو
مرتين فإن صار دائما أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج من آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن أصلا وأما بالإضافة
إلى الوقت فأقله في اليوم والليلة مرة وهو أن يكون صائما وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ويأكل ليلة ولا يشرب وأعلاه أن ينتهي
إلى أن يطوي ثلاثة أيام أو أسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات ولينظر إلى أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصحابة في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الأدم قالت عائشة رضي الله عنها كانت تأتي أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله مصباح و
لا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت بالأسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والأدم وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار
ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق أصابعه ويأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما تأكل العبيد وقال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم إنه
من طلب الفردوس فخبز الشعير والنوم في المزابل مع الكلاب كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز
البر وكان عيسى عليه السلام يقول يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فإنكم لن تقوموا بشكره و
قد ذكرنا سير الأنبياء والسلف في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده ولما أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء أتي بشربة من لبن مشوب بعسل
فوضع القدح من يده وقال أما إني لست أحرمه ولكني أتركه تواضعا لله تعالى وأتي عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا
عني حسابها وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا سجنه والقبر
مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع
إدامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة
مبلغه إن شاء الله تعالى

المهم الثاني الملبس وأقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وقلنسوة
ونعلان وأعلاه أن يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب
يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فإذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج عن جميع أبواب الزهد من حيث المقدار
وأما الجنس فأقله المسوح الخشنة وأوسطه الصوف الخشن وأعلاه القطن الغليظ وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يستر سنة
وأقله ما يبقى يوما حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وإن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يتماسك عليه شهرا أو ما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من
سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إلا إذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق
به فإن أمسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال أبو بردة أخرجت لنا عائشة
رضي الله عنها كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس
وقال عمرو بن الأسود العنسي لا ألبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل على دثار أبدا ولا أركب على مأثور أبدا ولا أملأ جوفي من طعام أبدا فقال عمر
من سره أن ينظر إلى هدي رسول الله فلينظر إلى عمرو بن الأسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه وإن
كان عنده حبيبا واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة وكان إزاره أربعة أذرع ونصفا واشترى سراويلا
بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكان يسمى حلة لأنهما ثوبان من جنس واحد وربما لبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ
وفي الخبر كان قميص رسول الله كأنه قميص زيات ولبس رسول الله يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم فكان أصحابه يلمسونه و
يقولون يا رسول الله أنزل هذا عليك من الجنة تعجبا وقد كان أهداه له المقوقس ملك الإسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسه ثم نزعه وأرسل به إلى رجل من المشركين

وصلى بهم حرم لبس الحرير والديباج وكانه انما لبسه اولاً تأكيداً للتحريم كما لبس خاتماً من ذهب يوماً ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال
لعائشة رضي الله عنها في شأن بريرة اشترطي لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما اباح المتعة ثم حرمها لتأكيد امر النكاح
وقد صلى رسول الله صلى الله عليه في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم وائتوني بانبجانيته يعني كساءه
فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال اعيدوا الشراك الخلق وانزعوا
هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة ولبس خاتماً فنظر اليه على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وكان
صلى الله عليه قد احتذى نعلين جديدين فاعجبه حسنهما فخر ساجداً وقال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما
فدفعهما الى اول مسكين رآه وعن سنان بن سعد قال حيكت للنبي صلى الله عليه جبة صوف من صوف انمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما
لبسها قال انظروا ما احسنها ما الينها قال فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله هبها لي قال وكان صلى الله عليه اذا سئل شيئاً لم يبخل به قال
فدفعها اليه وامر ان يحاك له واحدة اخرى فمات صلى الله عليه وهي في المحاكة وعن جابر رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه على فاطمة
وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من وبر الابل فلما نظر اليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الابد فانزل الله تعالى ولسوف يعطيك
ربك فترضى وقال صلى الله عليه ان من خيار امتي فيما انبأني الملأ الاعلى قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة ربهم ويبكون سراً من خوف عذابه
مؤونتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم في الارض وافئدتهم في السماء عند العرش
فهذه كانت سيرة رسول الله في الملابس وقد اوصى امته باتباعه اذ قال من احبني فليستن بسنتي وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء
المهديين عضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله واوصى عائشة خاصة وقال لها ان اردت اللحوق
بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوباً حتى ترقعيه وعد على قميص عمر اثنتا عشرة رقعة بعضها من ادم واشترى علي ثوباً بثلاثة
دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك
عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي وانا اصلي فادعه يجوز ويمر بي الغني من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة
فامقته ولا ادعه يجوز وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم واربع دوانيق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته
وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك وقال ابو سليمان الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة
وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق ثوبه فقد رق دينه وكان جمهور العلماء
من التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلاثين درهماً وكان الخواص لا يلبس اكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته وربما يعطف ذيل قميصه على
راسه وقال بعض السلف اول النسك الزي وفي الخبر البذاذة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعاً لله تعالى وابتغاء
لوجهه كان حقاً على الله ان يدخر له من عبقري الجنة في تخوت الياقوت واوحى الله تعالى الى بعض الانبياء قل لاوليائي لا يلبسوا ملابس اعدائي
ولا يدخلوا مداخل اعدائي فيكونوا اعدائي كما هم اعدائي ونظر رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى اميركم يعظ
الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى ابي ذر في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع ابو ذر راحته
على فيه وجعل يضرط به فغضب ابن عامر فشكاه الى ابن عمر فقال انت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة وقال علي رضي الله عنه ان
الله اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره ولما عوتب في خشونة لباسه قال هو ادنى
الى التواضع واجدر ان يقتدي به المسلم ونهى صلى الله عليه عن التنعم وقال ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين ورئي فضالة بن عبيد وهو والي مصر
اشعث حافياً فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه عن الارفاه وامرنا ان نحتفي احياناً وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان
اردت اللحوق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال عمر رضي الله عنه اخلولقوا واخشوشنوا واياكم
وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي من تزيى بزي قوم فهو منهم وقال صلى الله عليه ان من شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون الوان الطعام
والوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال عليه السلام ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من
ذلك ففي النار ولا ينظر الله تعالى يوم القيامة الى من جر ازاره بطراً وقال ابو سليمان قال رسول الله صلى الله عليه لا يلبس الشعر من امتي الا مرائي او احمق

وقال الاوزاعي

وقال الاوزاعي لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم رضي الله عنهما وعليه جبة
صوف فقال له قتيبة ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال اكلمك ولا تجيبني فقال اكره ان اقول زهداً فازكي نفسي او فقراً فاشكو ربي
وقال ابو سليمان لما اتخذ الله ابراهيم خليلاً اوحى اليه ان وار عورتك من الارض فكان لا يتخذ من كل شيء الا واحداً سوى السراويل فانه كان
يتخذ سراويلين فاذا غسل احدهما لبس الاخرى حتى لا ياتي عليه حال الا وعورته مستورة وقيل لسلمان الفارسي ما لك لا تلبس الجيد من
الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق فله والله ثياب لا تبلى ابداً ويروى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه كان له جبة
شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل اذا قام لورده وقال الحسن لفرقد السبخي تحسب ان لك فضلاً على الناس بكسائك بلغني ان اكثر اهل
النار اصحاب الاكسية نفاقاً وقال يحيى بن معين رأيت ابا معاوية الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها
فقلت انك تكسى خيراً من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبر الله لهم في الجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بها ويبكي المهم
الثالث ______ المسكن وللزهد فيه ثلاث درجات اعلاها ان لا يطلب موضعاً خاصاً لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كاصحاب
الصفة واوسطها ان يطلب موضعاً خاصاً مثل كوخ مبني من سعف او خص او ما يشبهه وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما بشرى او
اجارة فان كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن اخر درجات الزهد فان طلب
التجصيص والتشييد والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في المسكن فاختلاف جنس البناء بان يكون
بالجص والقصب او بالطين او بالآجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكاً او مستأجراً
او مستعاراً وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين
ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الاعين والاذى واقل الدرجات فيه معلوم
وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جداً وقيل اول شيء ظهر من طول الامل بعد
رسول الله التدريز والتشييد يعني بالتدريز كف دروز الثياب فانها كانت تشل شلاً والتشييد بالجص والآجر هو التشييد وانما
كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد جاء في الاثر ياتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما يوشى البرود اليمانية وامر رسول الله صلى الله عليه
العباس ان يهدم علية كان قد علاها ومر عليه السلام بجنبذة معلاة فقال لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل
عليه كما كان فسأل الرجل اصحابه عن تغير وجه رسول الله صلى الله عليه فاخبر بذلك فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه بالموضع فلم يرها
فاستخبر فاخبر بانه هدمها فدعا له بخير وقال الحسن رضي الله عنه مات رسول الله صلى الله عليه ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة
وقال عليه السلام اذا اراد الله بعبد شراً اهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر علينا رسول الله ونحن نعالج خصاً لنا
قد وهى فقال ما هذا فقلنا خص لنا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام بيتاً من قصب فقيل له في ذلك فقال هذا كثير لمن يموت وقال الحسن
دخلت على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله وقال صلى الله عليه
من بنى فوق ما يكفيه كلف يوم القيامة ان يحمله وفي الخبر كل نفقة يؤجر عليها العبد الا ما انفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً انه الرياسة والتطاول في البنيان وقال عليه السلام كل بناء وبال على صاحبه الا ما اكن من حر
وبرد وقال صلى الله عليه للرجل الذي شكا اليه ضيق منزله اتسع في السماء اي في الجنة ونظر عمر في طريق الشام الى صرح قد بني بجص وآجر فكبر وقال
ما كنت اظن ان يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين يعني به الآجر فقال ان فرعون
اول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف وذكر بعض السلف انه دخل جامعاً في بعض الامصار فقال ادركت هذا المسجد مبنياً
من الجريد والسعف ثم رأيته مبنياً من رهوص ثم رأيته الآن مبنياً باللبن فكان اصحاب السعف خيراً من اصحاب الرهوص وكان اصحاب
الرهوص خيراً من اصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره مراراً في مدة عمره لضعف بنائه وقصر امله وزهده في احكام البنيان وكان منهم من اذا
حج او غزا نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الان ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء
السلف قامة وبسطة وقال الحسن رضي الله عنه كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه اضرب بيدي على السقف فقال عمرو بن دينار اذا اعلى

العبد البنا فوق ستة اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين ونهى سفيان رضي الله عنه عن النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظر
الناس لما شيدوه فالناظر معين عليه وقال الفضيل اني لا اعجب ممن بنى وترك ولكن ممن نظر اليه ولم يعتبر وقال ابن مسعود رضي الله عنه يأتي
قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير ملتكم المهم الرابع الاثاث
وللزهد فيه ايضا درجات واعلاها حال عيسى عليه السلام اذ كان لا يصحبه الا كوز ومشط فرأى انسانا يمشط لحيته بالاصابع
فرمى المشط ورأى انسانا اخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز وهذا حكم كل اثاث فانه يراد لمقصود فاذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا
والاخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا كان
المقصود يحصل به واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه لكن يستعمل الالة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يشرب
فيها ويأكل الثريد فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون استعمال الة واحدة في اشياء للتخفيف واعلاه ان يكون له بعدد كل حاجة الة
من الجنس النازل الخسيس فان زاد في العدد او في نفاسة الجنس خرج من جميع ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله
وسيرة الصحابة فقد قالت عائشة كان ضجاع النبي الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله الا عباءة
مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف وروي ان عمر رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وهو نائم على سرير مرمول بشريط فرأى
اثر الشريط في جنبه فدمعت عيناه فقال صلى الله عليه ما الذي ابكاك يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك و
انت رسول الله وحبيبه وصفيه نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه اما ترضى يا عمر ان يكون لهما الدنيا ولنا الاخرة قال بلى يا رسول
الله قال فذلك كذلك ودخل رجل على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاثاث فقال ان
لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد امير
حمص على عمر قال له ما معك من الدنيا قال معي عصاي اتوكأ عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي ومعي قصعتي اكل
فيها واغسل فيها رأسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي للصلوة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت
رحمك الله وجاء رسول الله صلى الله عليه من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على باب منزلها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل
عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه فسأله ابو رافع فقال من اجل الستر والسوارين فارسلت بهما بلالا الى
رسول الله صلى الله عليه وقالت تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق به
عليهم فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه فقال بابي انت وامي قد احسنت ورأى رسول الله على باب عائشة سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا
ارسلي به الى ال فلان وفرشت عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال لها اعيدي العباءة
الخلقة ونحي هذا الفراش عني فقد اسهرني الليلة وكذلك اتته دنانير خمسة او ستة عشاء فبيتها فسهر ليلته حتى اخرجها من اخر الليل قالت عائشة
رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده وقال الحسن رضي الله عنه ادركت سبعين من الاخيار
ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه المهم الخامس
المنكح وقد قال قائلون لا معنى للزهد في اصله ولا في كثرته واليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبب الله الى سيد الزاهدين النساء فكيف
نزهد فيهن ووافقه ابن عيينة وقال كان ازهد الصحابة علي بن ابي طالب وكان له اربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان
الداراني اذ قال كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو مشوم عليك والمرأة قد تكون شاغلة عن الله وكشف الحق فيه انه قد تكون
العزوبة افضل في بعض الاحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح افضل لدفع الشهوة الغالبة
فهو واجب فكيف يكون من الزهد تركه وان لم يكن عليه افة في فعله ولا في تركه ولكن ترك النكاح احترازا عن ميل القلب اليهن والانس بهن
بحيث يشغل عن ذكر الله تعالى فترك ذلك من الزهد وان علم ان المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا عن لذة النظر والمضاجعة
والمواقعة فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير امة رسول الله من القربات واللذة التي تلحق الانسان فيما هو
من ضرورة الوجود لا تضره اذا لم يكن هو المطلب والمقصد وهذا كمن يترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا عن لذة الاكل والشرب وليس ذلك





من الزهد لان في تركه فوات بدنه وفي ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز ان يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف افة اخرى
وهذا ما عناه سهل لا محالة ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه واذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله في انه لا يشغله كثرة النسوة ولا
اشتغال القلب باصلاحهن والانفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن انى يتصور ذلك لغير الانبياء
والاولياء فاكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي ان يترك الاصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف ان يشغله الكثرة منهن
او جمال المرأة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك قال ابو سليمان رضي الله عنه الزهد في النساء ان يختار المرأة الدون اليتيمة
او [illegible] على المرأة الجميلة الشريفة وقال الجنيد احب للمريد المبتدي ان لا يشغل قلبه بثلث والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث
والتزوج وقال احب للصوفي ان لا يقرأ ولا يكتب لانه اجمع لهمه فاذا ظهر ان لذة النكاح كلذة الاكل فما يشغل عن الله فهو محذور
فيهما جميعا المهم السادس ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه اما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب
محل فيها ليتوصل بها الى الاستعانة في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر الى من يخدمه
افتقر الى جاه لا محالة في قلب خادمه لانه ان لم يكن عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب ليس مذموما
فهذا له اول قريب ولكن يتمادى الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل في القلوب اما
لجلب نفع او لدفع ضر او لخلاص من ظلم فاما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن للمستأجر عنده قدر وانما
يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير اجرة واما دفع الضر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل العدل فيها او يكون بين جيران
يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب او محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف
وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب المحل في القلوب اصلا فان اشتغاله
بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين واما التوهمات والتقديرات
التي تحوج الى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالصبر
والاحتمال اولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه اصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة
الخمر فليحترز من قليله وكثيره واما المال فهو ضروري في المعيشة اعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي ان
يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب قدر حاجته دفع سفطه وقام الى العبادة هذا شرط الزاهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة
فقد خرج من ضعفاء الزهاد واقويائهم جميعا وان كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكون ريعه لسنة
واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل في الزهد
كما شرطه اويس القرني فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد نعني به انه لا يصدق للزهاد في الدار الاخرة من المقامات
المحمودة للزاهدين والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وامر المنفرد في جميع ذلك اخف من امر المعيل
وقال ابو سليمان لا ينبغي ان يرهق الرجل اهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه ان التضييق
المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله نعم لا ينبغي ان يجيبهم ايضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه
اذ انصرف من بيت فاطمة بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذن ما يضطر اليه الانسان من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد
على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزائد وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر
وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا ولكنه يسير الضرر والسم محظور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما
يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الاخذ بالحزم
وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على قدر الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط
الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روي ان ابراهيم عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع
مهموما فاوحى الله تعالى اليه لو سألت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسألك منها شيئا فاوحى الله تعالى اليه ليس

الحاجة من الدنيا فإذا قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الآخرة وهو في الدنيا أيضا كذلك يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء
وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته أن يسلم لورثته فيأكلونه وهم أعداؤه وربما يستعينون
به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ثم يروم
الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه قال الشاعر ألم تر أن المرء طول حياته معنى بأمر لا يزال يعالجه
كدود كدود القز ينسج دائما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه فلذلك كل من اتبع الشهوات واللذات في الدنيا لها فإنما يحكم على قلبه سلاسل
تقيده بما تشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والأهل والولد وشماتة الأعداء ومراياة الأصدقاء وسائر حظوظ الدنيا
فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيدا بسلاسل وأغلال لم يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من
محبوباته كان كارها لتركه وكان قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة فتبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا
التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه إلى الدنيا ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن
يكون كشخص ينشر بالمنشار ويفصل أحد جانبيه من الآخر بالمجاذبة من الجانبين والذي ينشر بالمنشار إنما ينزل المؤلم ببدنه ويتألم من حيث
يسري أثره إلى قلبه فما ظنك بألم ما يتمكن أولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه
من حسرة فوات الفوز في أعلى عليين وجوار رب العالمين فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله وعند الحجاب يتسلط عليه نار جهنم إذ النار
غير مسلطة إلا على محجوب قال الله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب وألم الحجاب وكفى
من غير علاوة فكيف إذا أضيف العلاوة إليه فنسأل الله أن يقرر في سمعنا ما نفث في روع رسول الله صلى الله عليه حيث قيل له
أحبب ما أحببت فإنك مفارقه ولما انكشف للأولياء أن العبد مهلك نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا
بالكلية حتى قال الحسن لقد رأيت أقواما سبعين بدريا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء أشد فرحا
منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا أخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا أشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب
وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول أخاف أن يفسد علي قلبي فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده والذين أمات حب
الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم إذ قال ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون وقال تعالى فلا تطع من أغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقال تعالى فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم أحال ذلك كله
على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملني معك في سياحتك فقال أخرج مالك والحقني فقال لا أستطيع فقال عليه السلام بعجب
يدخل الغني الجنة أو قال بشدة وقال بعضهم ما من يوم ذر شارقه إلا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات فملكان بالمشرق
وملكان بالمغرب يقول أحدهما بالمشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر ويقول الآخر اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا و
يقول اللذان بالمغرب لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا لطول الحساب بيان علامات الزهد اعلم أنه قد يظن أن
تارك المال زاهد وليس كذلك فإن ترك المال وإظهار الخشونة سهل على من أحب المدح بالزهد فكم من الرهابين من ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير
من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وإنما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم إليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد
في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الأصواف الفاخرة والثياب
الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين إذ قال قوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يتموهون بذلك على الناس ليهدى إليهم مثل
لباسهم لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وأنهم على السنة وأن
الأشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وإنما يأخذون بعلة غيرهم هذا إذا طولبوا بالحقائق وألجئوا إلى المضايق وكل هؤلاء أكلة الدنيا
بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم فإنهم مائلون إلى الدنيا
متبعون للهوى وهذا كله كلام الخواص فإذا معرفة الزهد مشكل بل حال الزاهد على الزاهد مشكل وينبغي أن يعول في باطنه على ثلاث علامات
الأولى أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم بل ينبغي أن يكون بالضد من

ذلك

ذلك وهو أن يحزن لوجود المال ويفرح بفقده والثانية أن يستوي عنده ذامه ومادحه فالأول علامة الزهد في المال والثانية
علامة الزهد في الجاه والثالثة أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة إما محبة الدنيا
وإما محبة الله وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره و
لذلك قيل لبعضهم إلى ماذا أفضى بهم الزهد فقال إلى الأنس بالله فأما الأنس بالله وبالدنيا جميعا فلا يجتمعان وقد قال أهل المعرفة إذا تعلق
الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما وإذا تعلق بسويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لها و
لهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي وقال أبو سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام
العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد وأن يكون في أحد هذين المقامين ومقامه الأول أن يشغل
بنفسه وعند ذلك يستوي عنده الذم والمدح والوجود والعدم ولا يستدل بإمساكه قليلا من المال على فقد زهده أصلا قال ابن أبي الحواري
قلت لأبي سليمان أكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت بلغني أنه ورث من أبيه عشرين دينارا فأنفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو
يمسك الدنانير فقال أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فإن الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد
إلا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه وآخره أن يترك كل
ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما فعله عيسى عليه السلام فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مباديه نصيبا وإن قل فإن أمثالنا لا يستجرئ على الطمع في
غاياته وإن كان قطع الرجاء عن فضل الله غير مأذون فيه وإذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا علمنا أن الله لا يتعاظمه أمر ولا نعد أن
نعظم السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فإذا علامة الزهد استواء الغنى والفقر والعز والذل والذم والمدح وذلك لغلبة
الأنس بالله ويتفرع عن هذه العلامات علامات أخر لا محالة مثل أن يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها وقيل علامته أن يترك الدنيا
كما هي لا يقول أبني رباطا أو أعمر مسجدا وقال يحيى بن معاذ الرازي علامة الزهد السخاء بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة
في الخروج عن الملك وقال أيضا هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال أبو سليمان الصوف علم من أعلام الزهد فلا ينبغي أن يلبس صوفا
بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم وقال أحمد بن حنبل وسفيان رحمهما الله علامة الزهد قصر الأمل وقال السري لا يطيب عيش الزاهد إذا
اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه وقال النصراباذي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة وقال
يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلاث عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال أيضا الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف
يشمك المسك والعنبر وقال له رجل متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين فقال إذا صرت من رياضتك
لنفسك في السر إلى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين
جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح وقال أيضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف
يشتغل بالله لا يلتفت إليها وقال السري مارست كل شيء من أمر الزهد فنلت منه ما أريد إلا الزهد في الناس فإني لم أبلغه ولم أطقه
وقال الفضيل جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد فهذا ما أردنا أن
نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه وإذا كان الزهد لا يتم إلا بالتوكل فلنشرع في بيانه والله أعلم تم كتاب الفقر والزهد بحمد الله تعالى

## كتاب التوحيد والتوكل

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله مدبر الملك والملكوت المتفرد بالعزة والجبروت الرافع السماء بغير عماد المقدر فيها أرزاق العباد الذي صرف أعين ذوي
القلوب والألباب عن ملاحظة الوسائط والأسباب إلى مسبب الأسباب ورفع هممهم عن الالتفات إلى ما عداه والاعتماد على
مدبر سواه فلم يعبدوا إلا إياه علما بأنه الواحد الفرد الصمد الإله وتحققا بأن جميع أصناف الخلق عباد أمثالهم لا يبتغى عندهم الرزق
وأنه ما من ذرة إلا إلى الله خلقها وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها فلما تحققوا أنه رزاق عباده ضامن توكلوا عليه وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قامع الأباطيل الهادي إلى سواء السبيل وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد فإن التوكل
منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل

ووجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح
في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان ترى اسبابا تغيير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه
مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا
من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن الان نبدأ بذكر فضيلة التوكل
على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني فضيلة التوكل اما من الايات
فقد قال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان
الله يحب المتوكلين واعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه فمن الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز
العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقال تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب
بهذه الاية فانه سؤال في معرض الاستنطاق بالحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقال ومن يتوكل على الله فان
الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى ذمامه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم بين ان كل ما سوى الله عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه وقال تعالى ان الذين
تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وقال تعالى ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين
لا يفقهون وقال تعالى يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل
على الواحد القهار واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه فيما رواه عنه ابن مسعود رضي الله عنه اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد
ملأوا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهيأتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم
يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم
فقال اللهم اجعله منهم فقام اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال صلى الله عليه سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه لو انكم تتوكلون على الله حق
توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن
انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال صلى الله عليه من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يديه ويروى عن رسول الله
صلى الله عليه انه كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول بهذا امرني ربي قال الله تعالى وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها
وقال صلى الله عليه لم يتوكل من استرقى واكتوى وروي انه لما قال جبريل لابراهيم عليه السلام وقد رمي بالمنجنيق الى النار الك حاجة قال اما
اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى به واوحى الله تعالى الى داود يا داود ما من عبد يعتصم بي دون
خلقي فتكيده اهل السموات والارض الا جعلت له مخرجا واما الاثار فقد قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت
علي امي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى اخرها فقال ما ينبغي للعبد
بعد هذه الاية ان يلجأ الى احد غير الله وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله فقد احرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلنك المضمون
لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر اخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما كتبه الله وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه في وجدان العبد
الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مأمور بطلب العبد وقال ابرهيم بن ادهم سألت بعض الرهبان من اين تأكل فقال ليس هذا العلم عندي
ولكن سل ربي من اين يطعمني وقال هرم بن حيان لاويس القرني اين تأمرني ان اكون فاومى الى الشام قال هرم فكيف المعيشة بها قال اف لهذه
القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا بيان حقيقة التوحيد
الذي هو اصل التوكل اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا ينتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو
الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو
التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد
الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك

العكاشة ذكره العاكب
وهو اسم صحابي عكاشة بن محصن
الاسدي وهو بتخفيف

وله الحمد

وله الحمد فان لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له الايمان الذي هو اصل التوكل اعني
ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه واما التوحيد فهو الاصل والقول فيه طويل وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم
المكاشفات متعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذا لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو
البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول للتوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا
الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فان له قشرتين وله لب وللب لب وهو الدهن وهو لب اللب فالمرتبة الاولى من التوحيد ان
يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم
المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة و
لكن مع كثرتها يراها صادرة عن الواحد القهار والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين وتسميه
الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه
في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني
موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح
ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الاخرة ان توفي عليها ولم تضعف بالمعاصي عقدتها ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله
تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف بها
يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه
يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف
له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه لا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة
فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع في تحليل هذه
العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد ولا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى
في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما
ان القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنها فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا اطفأ النار واكثر
الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصوان ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون
التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى
هي القالب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشر
وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى للتوحيد فائدة بعد الموت وكما ان القشرة السفلى ظاهر النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانه يصون اللب ويحرسه
عن الفساد عند الادخار واذا فصل امكن ان ينتفع به حطبا لكنه نازل القدر بالاضافة الى اللب وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير
النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفتاحه واشراق نور الحق
فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكله المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك
توحيد الفعل مقصد عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق
فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا
فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق
بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع اخر من المشاهدة
والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير اذا التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه وهو باعتبار اخر ومشاهدة

اخرى واحدا فنقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولم يخطر بباله كثرة امعائه وعروقه
واطرافه وتفصيل روحه وجسده واعضائه والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكانه
في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار
واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات اخر سواه كثير وبعضها اشد كثرة من بعض ومثاله الانسان وان كان لا يطابق الغرض و
لكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا ويستفيد هذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق
فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وان لم يكن ما امنت به صفتك كما انك اذا امنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منه
بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرى كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام عزيز نادر
والى هذا اشار الحسين بن منصور حيث راى ابراهيم الخواص يدور في الاسفار فقال فيما ذا انت فقال ادور في الاسفار لاصحح حالي في التوكل و
قد كان من المتوكلين فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفنا في التوحيد فكان الخواص في تصحيح المقام الثالث من التوحيد و
طالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتنا التوكل
عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل ايضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث اما الاول وهو
النفاق فهو واضح واما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة عنه مذكور في
علم الكلام وذكرنا في كتاب الاقتصاد في علم الاعتقاد القدر المهم منه واما الثالث فهو الذي يبنى عليه التوكل اذ مجرد التوحيد
بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله امثال هذا الكتاب وحاصله ان ينكشف
لك ان لا فاعل الا الله تعالى وان كل موجود من خلق ورزق وعطا ومنع وحياة وموت وغنى وفقر الى غير ذلك مما يطلق عليه اسم فالمنفرد
باختراعه وابداعه هو الله تعالى لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه
الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخر لا استقلال له بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انكشف لك ابواب المكاشفة
اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يبغي به ان يطرق الى قلبك شائبة الشرك
بسببين احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الى الجمادات اما الالتفات الى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع و
نباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل
بحقائق الامور ولذلك قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه انهم يقولون
لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهوا والهوا لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا الى ان
ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه فالتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من اخذ لتحز رقبته فكتب الملك
توقيعا بالعفو عنه وتخليته فاخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغذ والقلم الذي كتب به التوقيع ويقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من
محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة
وشكر الملك والموقع عن ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم وكل حيوان وكل جماد مسخرات في قبضة القدرة
كتسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك ان الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق ان الله تعالى هو الكاتب كما قال تعالى وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمى فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وايس عن مزج
توحيدك بهذا الشرك فيأتيك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله
وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليه ان شاء
حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له ايضا نعم ان كنت
لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم
للشيطان فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعلموا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط

النملة

النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغذ فرأت رأس القلم يسود الكاغذ ولم يمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلا من صاحب اليد فغلطت
وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حدقتها فكذلك من لم ينشرح بنور الله صدره فقصرت
بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل لارباب
القلوب والمشاهدات قد انطق الله في حقهم كل ذرة في الارض والسموات بقدرته التي بها انطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله و
شهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق يتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست اعني به السمع الظاهر الذي
لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما تشارك فيه البهائم وانما اريد به سمعا يدرك به كلاما ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي
ولا عجمي فان قلت فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست و
كيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى
فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله الذي لا نهاية له قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا
ثم انها تناجي باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رأيت امينا قط على اسرار الملك قد نوجي
بخفاياه فنادى بها على ملأ من الناس ولو جاز افشاء كل سر لما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر
ذلك لهم حتى يبكون ولا يضحكون ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي
فامسكوا ولما خص حذيفة ببعض الاسرار فاذا عن حكاية مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعان احدهما
استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكي من مناجاته قدرا
يفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليها ونرد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا واصواتا ولكن هذه ضرورة
التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغذ وقد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان مشرقا ابيض فالآن
ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغذ ما انصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت وجهي بنفسي لكن سل
الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسأل الحبر عن
ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة ساكنا وادعا عازما على ان لا ابرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني
واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما تراه على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه و
عدوانه واخراج الحبر عن اوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني
اليد بسكين فنحت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من اصلي وفصلت بين انابيبي ثم برتني وشقت راسي وغمستني في سواد الحبر ومرارته
وهو يستخدمني ويمشيني على قمة راسي ولقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم سأل اليد عن
ظلمها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما انا الا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مركب مسخر ركبني فارس
يقال له القدرة والقوة فهي التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض اما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شيء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذ لم
يركبها مثل هذا الفارس القوي القاهر اما ترى ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فانا ايضا من
حيث انا لا معاملة بيني وبين القلم لولا القدرة فسل القدرة عن شأني فاني مركب ازعجني من ركبني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شأنها في
استعمالها اليد واستخدامها وكثرة ترديدها لها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك امري
وكيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبتها لقد كنت راكبا لها قبل التحريك وما كنت احركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة حتى ظن ظانون اني ميتة
معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك حتى جاءني موكل ازعجني وارهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته
وهذا الموكل يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه وهجومه وصياله اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأيي
فقال صدقت ثم سأل الارادة ما الذي جرأك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه
مخلصا ولا مناصا فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لي عذرا وانت تلوم فاني ما انهضت بنفسي ولكني انهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم

وامر جازم وقد كنت سألته قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل باشخاص القدرة فاشخصتها باضطرار
فاني مسكين مسخر تحت قهر العلم والعقل ولا ادري باي جرم وقفت عليه وسخرت له والزمت طاعته لكني ادري اني في دعة وسكون
ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل او الظالم وقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه بعد جزم حكمه
طاقة في المخالفة لعمري ما دام هو في التردد مع نفسه والتحير في حكمه فانا ساكن ولكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه ازعجت
وانا تحت طاعته واشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عني عتابك فاني كما قيل متى ترحلت عن قوم وقد قدروا
ان لا افارقهم فالراحلون هم فقال صدقت واقبل على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص
القدرة فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت وقال العلم اما انا
فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبل خاليا عني فسل القلم عني لان الخط لا
يكون الا بالقلم فعند هذا تتعتع السائل ولم يقنعه جوابه وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت في
معرفة هذا الامر منه على غيره ولكني كنت اطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت اسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال
فاما قولك اني نقش وخط وانما خطني قلم فلست افهمه فاني لا اعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد او الخشب ولا خطا الا
بالحبر ولا سراجا الا من النار واني لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا اشاهد من ذلك شيئا اسمع جعجعة ولا
ارى طحنا فقال له القلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان المهالك في الطريق الذي توجهت اليه
كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى
المقصد فالق سمعك وانت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغذ والحبر والقلم واليد
من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو ورائي فاذا جاوزتني انتهيت الى منازله وفيه المهامه
الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري كيف تسلم فيها والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد
قطعت منها ثلاث منازل اوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا
وعالم الملكوت اوعر منه نهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هو
في حد اضطراب الماء ولا هو في حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى
حد يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع
فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي واول عالم الملكوت مشاهدة
القلم الذي به يكتب العلم وحصول اليقين الذي به يمشي على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على
الهواء لما قيل له انه كان يمشي على الماء فقال السالك للسائل قد تحيرت في امري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست ادري
اطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي فان ظهر لك القلم الذي به
اكتب في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالقلم اما ترى
ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف بالقلم اذ انزل عليه قوله تعالى اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت
بصري وحدقته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت
اما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر
الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدي
ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك
الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته تعالى وصفاته عن الاجسام
وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان فهمت من قوله عليه السلام ان الله تعالى

خلق

خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة ولو فهمت
منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فانك بالوادي المقدس طوى واستمع
بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك الاعلى فلما سمع السالك من
العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان
زيته الذي كان في مشكاة قلبه يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال له العلم اغتنم
الان هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على هذه النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه
ما هو من خشب ولا قصب ولا له راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف العلوم وكان له في كل قلب راس و
لا راس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم جزاه الله عني خيرا اذ الآن ظهر لي صدق انبائه عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا
كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومراودتي لك وانا عازم على ان اسافر الى حضرة القلم واسأله عن
شأنه وسافر اليه فقال له ما بالك ايها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات الى اشخاص القدرة وصرفها الى المقدورات
فقال او قد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وسمعته من جواب القلم اذ سألته فاحالك على اليد قال لم انس ذلك قال فجوابي مثل
جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شأني الملقب بيمين الملك فاني
في قبضته وهو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الادمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال
ومن يمين الملك قال القلم اما سمعت قول الله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال والاقلام ايضا في قبضته هو الذي يرددها فسافر
السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده وراى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا تحوي مجلدات
كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فراى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل
اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم فقال جوابي ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما
محركها القدرة لا محالة فسافر السالك الى عالم القدرة وراى فيه من العجائب ما استحقر عندها ما قبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما
انا صفة فسل القادر اذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ وان يطلق بالجراءة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت و
نودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته فلما افاق قال
سبحانك ما اعظم شأنك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا
بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وما لي الا ان اسألك واتضرع اليك وابتهل بين يديك فاقول اشرح لي صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني
لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته عنه
وما قاله فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراءة على
الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك وان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر واقتد به فان اصحاب سيد الانبياء
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اما سمعته يقول العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز
عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السالك واعتذر عن اسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما
بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل والآن
قد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته و
مرددون في قبضته وهو الاول والاخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل كيف يكون هو الاول و
الاخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالاول ليس باخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى
الموجودات اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الاخر بالاضافة الى سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى
منزل الى ان تقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك اخر السفر فهو اخر في المشاهدة اول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في

عالم الشهادة والقابض لا يدركه بالحواس الخمس ظاهر فلا فرق فأي عز يطلب من السراج الذي اشتغل في قلبه بالبصيرة الباطنة إلا وذلك في
عالم الملكوت فهذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل أعني من انكشف له أن الفاعل واحد فإن قلت فقد انتهى هذا التوحيد
إلى أنه انبنى على الإيمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك أو يجحده فما طريقه فأقول أما الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال إنكارك لعالم
الملكوت كإنكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فأنكروا القدرة والإرادة والعلم لأنها لا تدرك بالحواس
الخمس ولازموا حضيض عالم الشهادة فإن قال وأنا منهم فإني لا أهتدي إلا إلى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئا سواه فيقال إنكارك لما
شاهدناه مما جاوز الحواس الخمس كإنكار السوفسطائية للحواس الخمس فإنهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام فإن قال واحد منهم من
جملتهم فأنا شاك في المحسوسات أيضا فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك فما كل مريض يقوى على علاجه الأطباء هذا حكم الجاحد
وأما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين فيه أن ينظروا إلى عينه التي يشاهد بها عالم الملكوت فإن وجدوها صحيحة في الأصل وقد نزل فيها
ماء أسود يقبل الإزالة والتنقية اشتغلوا بإزالته اشتغال الكحال بالأبصار الظاهرة فإذا استوى بصره أرشده إلى الطريق ليسلكه كما فعل ذلك
رسول الله بخواص أصحابه وإن كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك السبيل الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات الملك والملكوت
بشهادة التوحيد كلموه بصوت وحرف وردوا ذروة التوحيد إلى حضيض فهمه فإن في عالم الشهادة أيضا توحيدا إذ يعلم كل أحد أن المنزل
يفسد بصاحبين والبلد يفسد بأميرين فيقال له على حد عقله إله العالم واحد والمدبر واحد إذ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فيكون ذلك
على مذاق ما رآه في عالم الشهادة فينغرس في قلبه اعتقاد التوحيد بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الأنبياء أن يكلموا الناس على قدر
عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب وعلى حد عاداتهم في المحاورة فإن قيل فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل
وأصلا فيه فأقول نعم فإن الاعتقاد إذا قوي عمل عمل الكشف في إثارة الأحوال إلا أنه في الغالب يضعف ويتسارع إليه الاضطراب والتزلزل
غالبا ولذلك يحتاج صاحبه إلى متكلم يحرسه بكلامه أو إلى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقفها من أستاذه أو أبويه أو من أهل بلده وأما
الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وإن كان يزداد وضوحا كما أن الذي يرى إنسانا
في وقت الإسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بأنه إنسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين إلا كسحرة فرعون
مع أصحاب السامري فإن سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى ما جاوز حدود السحر انكشف
لهم حقيقة الأمر فلم يكترثوا بقول فرعون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض
إنما تقضي هذه الحياة الدنيا فإن البيان والكشف يمنع التغير وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم عن النظر إلى ظاهر الثعبان فلما نظروا إلى عجل
السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا إلهكم وإله موسى فنسوا أنه لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر إلى
ثعبان فيكفر لا محالة إذا نظر إلى عجل لأنهما من عالم الشهادة والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم الملكوت فهو من عند الله فلذلك لا تجد فيه اختلافا
وتضادا وتناقضا أصلا فإن قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الأسباب والوسائط مسخرات وكل ذلك ظاهر إلا في حركة الإنسان
فإنه يتحرك إن شاء ويسكن إن شاء فكيف يكون مسخرا فاعلم أنه لو كان مع هذا يشاء إن أراد أن يشاء ولا يشاء إن لم يرد أن يشاء لكان هذا مزلة القدم
وموضع الغلط ولكن علمت أنه يفعل ما يشاء إذا شاء شاء أم لم يشأ فليست المشيئة إليه ولو كانت المشيئة إليه لافتقرت إلى مشيئة أخرى وتسلسل
إلى غير نهاية وإذا لم تكن المشيئة إليه فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة
فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضرورات ترتب بعضها على البعض
وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة إلى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فإن قلت
هذا جبر محض يناقض الاختيار وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا فأقول لو انكشف لك الغطاء لعرفت أنه في عين الاختيار
مجبور فإذا هو مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما ذكرناه منطفلا
وتابعا فإن هذا الكتاب لم نقصد به إلا علم المعاملة ولكني أقول لفظ الفعل في الإنسان يطلق على ثلاثة أوجه إذ يقال الإنسان يكتب بالأصابع ويتنفس
بالرئة والحنجرة ويخرق الماء إذا وقف عليه بجسمه فينسب إليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد

ولكنها

ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فأعبر لك عنها بثلاث عبارات فنسمي خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ونسمي تنفسه فعلا
إراديا ونسمي كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لأنه مهما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح في الهواء انخرق لا محالة فيكون
الخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فإن نسبة حركة الحنجرة إلى إرادة التنفس كنسبة انخراق الماء إلى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجود
أوجد الانخراق بعده وليس الثقل إليه فكذلك الإرادة ليست إليه ولذلك لو قصد عين الإنسان بإبرة طبق الأجفان اضطرارا ولو أراد
أن يتركه مفتوحا لا يقدر مع أن تغميض الأجفان فعل إرادي ولكنه إذا تمثلت صورة الإبرة في مشاهدته بالإدراك حدثت الإرادة للتغميض ضرورة
وحدثت الحركة بها ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا وحدثت
الحركة وأما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل وتارة يشاء
وتارة لا يشاء فيظن من هذا أن الأمر إليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه أن الإرادة تبع العلم الذي يحكم بأن الشيء
موافق لك والأشياء تنقسم إلى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة والباطنة بأنه موافق من غير تحير وتردد وإلى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع
بأن يقصد عينك مثلا بإبرة أو بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في أن دفع ذلك خير لك وموافق لك فلا جرم تنبعث الإرادة بالعلم والقدرة
بالإرادة ويحصل حركة الأجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف وذلك من غير روية وفكرة وذلك يكون بالإرادة ومن الأشياء ما يتوقف
التمييز والعقل فيه فلا يدري أنه موافق أم لا فيحتاج إلى روية وفكرة حتى يتميز أن الخير في الفعل أو الترك فإذا حصل بالروية والفكر العلم
بأن أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر وانبعثت الإرادة هنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فإذا انبعثت لفعل
ما ظهر للعقل أنه خير سميت هذه الإرادة اختيارا مشتقا من الخير أي هو انبعاث إلى ما ظهر للعقل أنه خير وهو عين تلك الإرادة ولم تنتظر
إلا ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه إلا أن الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر إلى
روية فالاختيار عبارة عن إرادة خاصة وهي التي انبعثت بإشارة العقل فيما له في إدراكه توقف وعن هذا قيل العقل يحتاج إليه للتمييز بين
خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور أن تنبعث الإرادة إلا بحكم الحس والتخيل أو بحكم جزم من العقل ولذلك لو أراد الإنسان أن
يحز رقبة نفسه مثلا لم يمكنه لا لعدم القدرة في اليد أو لعدم السكين ولكن لفقد الداعية المشخصة للقدرة وإنما فقدت الإرادة لأنها تنبعث
بحكم العقل أو الحس بكون الفعل موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان في عقوبة مؤلمة لا
تطاق فإن العقل ههنا يتوقف في الحكم ويتردد لأنه تردد بين شر الشرين فإن ترجح له بعد الروية أن ترك القتل أقل شرا لم يمكنه قتل
نفسه وإن حكم بأن القتل أقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الإرادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل
فإنه يرمي بنفسه من السطح مثلا وإن كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه أن لا يرمي بنفسه وإن كان يتبع بضرب خفيف فإذا انتهى إلى طرف السطح حكم
العقل بأن الضرب أهون من الرمي فوقفت أعضاؤه ولا يمكنه أن يرمي بنفسه ولا تنبعث داعية البتة لأن داعية الإرادة مسخرة لحكم العقل والحس
والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فإنما هو محل ومجرى لهذه الأمور فأما أن يكون منه فكلا
ولا فإذا معنى كونه مجبورا أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا أنه محل لإرادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا
وحدث الحكم أيضا جبرا فإذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الإحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الإنسان على منزلة
بين المنزلتين فإنه جبر على الاختيار وطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لأنه فن ثالث وتبعوا فيه كتاب الله فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر
ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار إرادة بعد تحير وتردد فإن ذلك في حقه محال وجميع الألفاظ
المذكورة في اللغات لا يمكن أن يستعمل في حق الله تعالى إلا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه فإن قلت
فهل تقول إن العلم ولد الإرادة والإرادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وأن كل متأخر حدث من متقدم فإن قلت ذلك حكمت
بحدوث شيء لا من قدرة الله وإن أبيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم أن القول بأن البعض حدث عن البعض جهل
محض سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بقدرة الله الأزلية وهو الأصل الذي لم يقف كافة الخلق
عليه إلا الراسخون في العلم فإنهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان

ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتبة على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الأزلية إرادة
إلا بعد علم ولا علم إلا بعد حياة ولا حياة إلا بعد محل الحياة وكما لا يجوز أن يقال الحياة حصلت من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك
في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهر للعامة وبعضها لم يظهر إلا للخواص المكاشفين بنور الحق وإلا فلا يتقدم متقدم
ولا يتأخر متأخر إلا بالحق واللزوم وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول
الجاهلين علوا كبيرا وإلى هذا أشار بقوله تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق فكل ما بين السماء والأرض
حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون إلا كما حدث وعلى الترتيب الذي وجد فما تأخر ما تأخر إلا لانتظار شرطه والمشروط قبل
الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا ولا يتأخر العلم عن النطفة إلا لفقد شرط الحياة ولا تأخر عنها الإرادة بعد الحياة إلا لفقد شرط
العلم وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف
المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا تقريبا مناسبا للحق من الأفهام الضعيفة وذلك بأن نقدر إنسانا محدثا قد انغمس في ما
إلى رقبته فالحدث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان الماء هو الرافع للحدث وهو ملاق له فتقدر القدرة الأزلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة
بها ملاقاة الماء للأعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث لانتظار الشرط وهو غسل الوجه فإذا وضع الواقف في الماء
وجهه على الماء عمل الماء في سائر الأعضاء وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل أن الحدث ارتفع عن اليد بالغسل عن الوجه لأنه حدث عقيبه إذ
يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليد عند غسل الوجه
فإذا غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليد وهو جهل يضاهي ظن من يظن أن الحركة حصلت بالقدرة والقدرة بالإرادة والإرادة بالعلم وكل ذلك
خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا بغسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم يتغير ولم يحدث فيهما شيء
ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدورات من القدرة الأزلية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثة ثم
وهذا قرع باب لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فإن مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فإن الفاعل في الحقيقة
واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر على أن نذكر من بحار التوحيد إلا قطرة من بحر المقام إلا لنستـــ من
مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لا إله إلا الله وما أخف
مؤنته على اللسان وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما أعز حقيقته عند العلماء الراسخين فكيف عند غيرهم فإن قلت فكيف الجمع
بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد أن لا فاعل إلا الله ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد فإن كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا
وإن كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فأقول نعم ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد
ولو كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الأمير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الأمير قاتل بمعنى والجلاد بمعنى
آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى آخر فمعنى كون الله فاعلا أنه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا أنه المحل الذي خلق فيه القدرة
بعد أن خلق الله فيه الإرادة وبعد أن خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة
الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فإن محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد
قاتلا والأمير قاتلا لأن القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين ولذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدورين بالقدرتين ولأجل توافق
ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال في القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد ونسبها بعينها مرة أخرى إلى نفسه فقال تعالى في الموت قل
يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم قال الله يتوفى الأنفس حين موتها وقال أفرأيتم ما تحرثون أضاف إلينا ثم قال أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا
الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقال فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل
وقال تعالى فإذا قرأناه فاتبع قرآنه قيل في التفسير معناه إذا قرأه عليك جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فأضاف القتل إليهم
والتعذيب إلى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي
والإثبات ظاهرا ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون به العبد راميا إذ رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا إذ هما معنيان مختلفان



وقال تعالى علم بالقلم ثم قال الرحمن علم القرآن وقال علمه البيان وقال إن علينا بيانه وقال أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الأرحام إنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب أذكر أم أنثى أسوي
أم معوج فيقول الله ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ آخر ويصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة وقد قال بعض السلف إن الملك
الذي يقال له الروح هو الذي يولج الأرواح في الأجساد وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا
وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببصائرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل والحكم
به دون النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن الأدلة والآيات في الأرض والسموات ثم قال أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد
وقال شهد الله أنه لا إله إلا هو فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس بمتناقض بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله بالنظر إلى
الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وهو معنى قوله تعالى أولم يكف
بربك أنه على كل شيء شهيد وقد وصف الله نفسه بأنه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحياة إلى ملكين ففي الخبر أن ملك الموت
والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الأحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي الأموات فأوحى الله إليهما كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع
وأنا المميت والمحيي لا يميت ولا يحيي سواي فإذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني إذا فهمت ولذلك قال عليه السلام للذي
ناوله التمرة خذها لو لم تأتها لأتتك أضاف الإتيان إليه وإلى التمرة ومعلوم أن التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الإنسان إليها وكذلك
لما قال التائب أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد فقال عرف الحق لأهله فقال من أضاف التوبة إلى الله فهو المحق الذي عرف الحق لأن الحقيقة
لأهله وإن أضافه إلى غيره فهو المتجوز المستعير في كلامه وللتجوز وجه كما أن للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن أن الإنسان
مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن أنه يتحقق وتوهم أن نسبته إلى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الأمير فإنه مجاز بالإضافة
إلى نسبته إلى الجلاد فلما انكشف الحق لأهله عرفوا أن الأمر بالعكس وقالوا إن كان الفاعل قد وضعته أيها اللغوي للمخترع فلا فاعل إلا الله
فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز أي يتجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الأعراب قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال أصدق بيت قالته العرب قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل أي كل ما لا قوام له بنفسه وإنما قوامه بغيره
فهو باعتبار نفسه باطل وإنما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فإذا الحق بالحقيقة هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فإنه قائم
بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول
أنا أنا كن الآن كما لم تكن فإنه اليوم كما كان فإن قلت فقد ظهر أن الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا وكيف غضبه على
فعل نفسه فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا إليه في كتاب الشكر ولا نطول بإعادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز إليه من التوحيد الذي يورث حال
التوكل ولا يتم هذا إلا بالإيمان بالرحمة والحكمة فإن التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب والإيمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث
الثقة بمسبب الأسباب ولا يتم حال التوكل كما سيأتي إلا بالثقة بالموكل عليه وطمأنينة النفس والقلب إلى حسن نظر الكفيل وهذا الإيمان
أيضا باب عظيم من أبواب الإيمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يستريب
فيه وهو أن يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب أن الله تعالى لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله
نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلعهم على أسرار الملكوت
وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من
العلم والحكمة لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزاد فيما دبر الله سبحانه به الخلق في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا أن ينقص
عنه جناح بعوضة ولا أن يرفع فيها ذرة أو يخفض فيها ذرة ولا أن يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضر عمن بلي به ولا أن يزال صحة أو
كمال أو غنى أو نفع عمن أنعم الله به عليه بل كل ما خلق الله من السموات والأرض إن رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما رأوا فيها من تفاوت
ولا فطور وكل ما قسم الله بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه
وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الإمكان أصلا أحسن منه ولا أتم

ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية
بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان في الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره و
لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لم يتنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعمة وكما ان فداء ارواح الانس بارواح
البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النيران
وفداء اهل الايمان باهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص
يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تآكلت ابقاء على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص
فكذلك الامر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الآن بحر آخر
عظيم واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر التوحيد فغرق فيه طوائف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يعقله الا
العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع من افشاء سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به
وقد صار ما قضي به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر
ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي اصول المعاملة في مقام التوكل ولنرجع
الى علم المعاملة

الشطر الثاني من الكتاب في احوال التوكل واعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قال الشيوخ في حد التوكل
وبيان التوكل في كسب المنفرد والمعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي وغيره

حال التوكل قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وقد ذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم اصله و
العمل ثمرته وقد اكثر الخائضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف
ولا فائدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه فنقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه واعتمد عليه فيه
ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمأنت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه
عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب الوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس
فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثقا به مطمئن النفس بتوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية
ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة اما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء اصلا واما
القوة والقدرة فليستجرئ على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف
او الجبن او الحياء او صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به واما الفصاحة فهي ايضا من القدرة الا انها قدرة في اللسان على
الافصاح عن كل ما استجرأ القلب عليه واشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدته واما منتهى الشفقة فليكون
باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه من المجهود في حقه فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي به ظفر بخصمه او لم يظفر
هلك به حقه او لم يهلك فان كان شاكا في هذه الاربعة او في واحد منها او جوز ان يكون خصمه اكمل في هذه الاربعة منه لم يطمئن نفسه الى
وكيله بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة احواله في شدة
الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر فلا جرم تتفاوت
احوال المتوكلين في قوة الطمأنينة والثقة تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى
لجمع الحلال والحرام لاجله فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربع قطعية وكذلك سائر الخصال يتصور ان
يحصل القطع بها وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار بانه افصح الناس لسانا واقواهم بيانا واقدرهم على نصرة الحق بالباطل والباطل
بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله فان ثبت في نفسك بكشف او باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق و
اعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته
قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه

وحوله

حوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر القدرة والحركة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن
القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه احد امرين اما ضعف اليقين باحدى هذه الخصال الاربع واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء
الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من يتناول عسلا
فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر طبعه عن ذلك وان
كان متيقنا بكونه ميتا وانه جماد في الحال وان سنة الله مطردة بانه لا يحشره الآن ولا يحييه وان كان قادرا عليه كما انها مطردة بان لا يقلب
القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش او
المبيت معه في بيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى فيصير
مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب
وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس ان يشاهد احياء
الميت بعينه ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء امرها الى ان تبلغ بالآخرة الى درجة النفس المطمئنة
وذلك لا يكون في البداية اصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذلك النصراني
ولا يقين لهم وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذا الجبن والجراءة غرائز ولا ينفع
اليقين معها فهي احد الاسباب التي تضاد حال التوكل كما ان ضعف اليقين بالخصال الاربع احد الاسباب فاذا اجتمعت هذه الاسباب حصلت
الثقة بالله وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته انسان مثله وقد قال صلى الله عليه وسلم من اعتز بالعبيد اذله الله واذا انكشف معنى التوكل
وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات الدرجة الاولى ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق
الله والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل الثانية وهي اقوى ان يكون حاله مع الله كحال الطفل في حق امه فانه لا يعرف
غيرها ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها فاذا رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه
يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه فانه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليس خاليا عن نوع ادراك بالتمييز الذي له
ويظن انه طبع من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلفيق لفظه ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كان ذلك وراء الادراك
ومن كان باله الى الله ونظره اليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على امه والفرق بين هذا
وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط ولا مجال في قلبه لغير المتوكل
عليه واما الاول فيتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله لان له التفاتا الى توكله وشعورا به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده
والى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما ادناه قال ترك الاماني قال واوسطه قال ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية
وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ اوسطه الثالثة وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت
بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجرى للحركة والقدرة والارادة
والعلم وسائر الصفات وان كله يحدث جبرا فيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو
خلفها بل مثال هذا مثال صبي علم انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وانه وان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وان لم يسأل اللبن فالام تفاتحه وتسقيه وهذا المقام
في التوكل يثمر ترك السؤال منه والدعاء ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء افضل مما يسئل فكم من نعمة ابتداها قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق
والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم
ان ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث اعزها والاول اقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثاني والثالث فدوامها ابعد منه بل يكاد
لا يكون للمقام الثالث في دوامه الا كصفرة الوجل فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه عارض كما ان انبساط
الدم الى جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى يمحى عن ظاهر البشرة الحمرة التي
كانت تتراءى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراءى من ورائه حمرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم فكذلك انقباض

القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم والمقام الثاني يشبه صفرة المحموم وقد يدوم يوما ويومين
والاول يشبه صفرة مريض وقد استحكم مرضه فلا يبعد ان يدوم ولا يبعد ان يزول فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب
في هذه الاحوال فاعلم ان المقام الثالث ينفي التدبير راسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير
الا من حيث الفزع الى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض
التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله به او التدبير الذي عرفه
من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته فان يقول له لست اتكلم الا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون
هذا ناقضا توكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوته بل هو معتمد في اظهار الحجة على حول غيره بل من تمام توكله ان يفعل ما رسمه له اذ لو
لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله واما المعلوم بعادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاج الخصم الا من
السجل فمن تمام توكله ان كان متوكلا عليه ان يكون معولا على سنته وعادته وافيا بمقتضاها وهو ان يحمل السجل معه ليصير اليه عند محاجته فاذا
لا يستغني عن الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصا في توكله فكيف يكون فعله نقصا فيه نعم بعد ان حضر وفاء
باشارته واحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر
لا يفزع الى حوله وقوته وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق الا طمانينة
النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تاملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وفهمت انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل
وان كل تدبير وعمل لا يجوز ان يقترن مع التوكل بل هو على اقسام وسياتي تفصيله في الاعمال فاذا فزع المتوكل الى حوله وقوته في الحضور والاحضار
لا يناقض التوكل لانه يعلم لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضا بلا جدوى فاذا لم يصر مفيدا من حيث انه حوله وقوته
بل من حيث ان الوكيل جعله مفيدا لمحاجته وعرفه ذلك باشارته وسنته فاذا لا حول ولا قوة الا بالوكيل الا ان هذه الكلمة لا يكمل معناها
في حق الوكيل لانه ليس خالق حوله وقوته بل هو محتاج كحاجته في انفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله وانما تصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو
الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطا لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد
فاذا لا حول ولا قوة الا بالله حقا صدقا فمن شاهد هذا كذلك كان له الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة الا
بالله وذلك قد يستبعد ويقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب لمفهوم لفظها وهيهات
فانما هو جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله وثوابها كنسبة معنى احدهما الى
الاخر اذ في هذه الكلمة اضافة لشيئين الى الله فقط وهو الحول والقوة واما كلمة لا اله الا الله فهو نسبة الكل اليه فانظر الى التفاوت بين
الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا وما ذكرناه من قبل ان للتوحيد قشرين ولبين فكذلك لهذه الكلمات ولسائر
الكلمات والناس اكثرهم قيدوا بالقشرين وما طرقوا الى اللبين والى اللبين الاشارة بقوله عليه السلام من قال لا اله الا الله صادقا من قلبه مخلصا
وجبت له الجنة وحيث اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص اراد بالمطلق المقيد كما اضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض
المواضع واضافه الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح فالكلام لا يناله بالحديث وحركة اللسان حديث وعمل القلب
ايضا حديث ولكنه حديث النفس وانما الصدق والاخلاص وراءهما ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم المخلصون نعم لمن يقرب منهم في
الوقت اصحاب اليمين ولهم ايضا درجات عند الله وان كانت لا تنتهي الى الملك ولذلك ترى ان الله تعالى لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض
لسرير الملك فقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى اصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه والاشجار والحور
العين وكل ذلك لذات المنظور والمشروب والماكول والمنكوح ويتصور مثل ذلك للبهائم على الدوام وانى للذات البهائم من لذات الملك والنزول
في اعلى عليين في جوار رب العالمين فلو كان لمثل هذه اللذات قدر لما وسع على البهائم ولما رفع عنها درجة الملائكة افترى ان احوال البهائم
وهي مسيبة في الرياض متنعمة بالماء والاشجار واصناف الماكولات متمتعة بالنزوان والسفاد اعلى والذ واشرف واجدر بان
يكون عند ذوي الكمال مغبوطا من احوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في اعلى عليين هيهات هيهات ما ابعد عن التحصيل

من اذا خير

من اذا خير بين ان يكون حمارا او يكون في درجة جبريل فيختار درجة الحمار على درجة جبريل وليس يخفى ان شبه كل شيء
منجذب اليه وان النفس التي نزوعها الى صنعة الاساكفة اكثر من نزوعها الى صنعة الكتابة فهو بالاساكفة اشبه منه في جوهره
بالكتاب فكذلك من ينزع بنفسه الى نيل لذات البهائم اكثر من نزوعه الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهائم اشبه منه بالملائكة لا محالة
وهؤلاء هم الذين قال فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل وانما كانوا اضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة فتركها للعجز
واما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل الكمال احرى بالذم واجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال واذ كان هذا
كلاما معترضا فلنرجع الى المقصود وقد بان معنى قول لا اله الا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة الا بالله وان من ليس في بلائهم
عن مشاهدة ذلك لا يتصور منه حال التوكل فان قلت ليس في قولك لا حول ولا قوة الا بالله الا نسبة شيئين الى الله تعالى فلو قال
قائل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فاقول لا لان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين
الدرجتين والالتفات الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة وان جاز وصفهما بالصغر تجوزا فليست الامور بعظم الاشخاص بل
كل عامي يفهم ان الارض والسماء ليست من جهة الادميين بل هي من خلق الله فاما الحول والقوة فقد اشكل امرهما على المعتزلة والفلاسفة
وطوائف كثيرة ممن يدعي انه دقيق في الراي والمعقول حتى يكاد يشق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة تخطى وعزلة عظيمة فيها العالمون
اذ اثبتوا لانفسهم امرا وهو شك في التوحيد ولا خالق سواه فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله فقد علت رتبته وعظمت درجته
فهو الذي يصدق قوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد كان ابليس في التوحيد له عقبتان احدهما النظر الى السماء والارض والشمس
والقمر والنجوم والمطر وسائر الجمادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي اعظم العقبتين واخطرهما وكانه كمال سر التوحيد
فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة اعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها فاذا رجع حال المتوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل
على الواحد الحق وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل اعمال التوكل فاما الشيوخ في احوال التوكل فاعلم ان شاءها لا يخرج
عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال فقد قال ابو موسى الديلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت قلت ان اصحابنا
يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب لكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون
واهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى فهو خبر عن اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث
وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين اهل النار
واهل الجنة بالاضافة الى العدل والحكمة وهو اغمض انواع العلم ووراءه سر القدر وابو يزيد قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى
الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحيات شرطا في المقام الاول والتوكل فقد احترز ابو بكر رضي الله عنه في الغار اذ سد منافذ الحيات
الا ان يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره او يقال انما فعل ذلك شفقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق نفسه وانما يزول التوكل
بحركة سره وتغيره له مما يرجع الى نفسه والنظر في هذا مجال ولكن يشير الى ان امثال ذلك والكف عنه لا يناقض التوكل فان حركة النفس من الحيات
هو الخوف وحق المتوكل ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله فان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته
في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصري رضي الله عنه عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب فخلع
الارباب اشارة الى التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال القاء النفس
في العبودية واخراجها من الربوبية وهذه اشارة الى التبري من الحول والقوة فقط وسئل حمدون القصار عن التوكل فقال ان كان لك عشرة
الاف درهم وعليك دانق دين لم تامن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك ولو كان عليك عشرة الاف درهم دين فلا تياس من الله ان
يقضيها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات اسبابا خفية سوى الاسباب الظاهرة وسئل ابو عبد الله القرشي
عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك فالاول عام للمقامات
الثلث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم عليه السلام اذ قال له جبريل عليه السلام الك حاجة فقال اما اليك فلا اذ
كان سؤاله سببا يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بان الله ان اراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت

عاتب عن نفسه بالله فلم يدفعه عنه وهو كان عزيز في نفسه ودوامه ان وجد العدو منه واعز وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب
بلا سكون وسكون بلا اضطراب وهو اشارة الى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته واضطرابه
بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله اليه وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الى امه وسكون قلبه الى تمام شفقتها وقال ابو علي
الدقاق للتوكل ثلث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذه
اشارة الى تفاوت درجات نظره الى المنظور فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل
ملاحظة شي من ذلك وللشيوخ في التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بايرادها فان الكشف انفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال
التوكل

احوال المتوكلين اعلم ان العلم يورث الحال والحال يثمر العمل وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير
بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين
فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطاء عنه ونقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله الى مقاصده و
سعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل
كدفع الصائل والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب
النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع الفن الاول

في جلب النافع فنقول ان الاسباب التي يجلب بها النافع على ثلث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به
ثقة تامة ولا تطمئن اليه الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيته ارتباطا مطردا
لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي
ومد اليد اليه حركة وسعي وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شي
فانك ان انتظرت ان يخلق الله فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه لك ويوصله الى معدتك فقد جهلت
سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله نباتا من غير بذر او تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم فكل ذلك جنون
وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله خالق الطعام واليد و
الاسنان والقوة المحركة وانه هو الذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتمادك على فضل الله لا على اليد و
الطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج وكيف تعول على قدرتك وربما يطرا عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة
حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله عليك من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك واذا
احتمل امثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله فبذلك فليفرح وعليه فليعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل الدرجة
الثانية الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق
الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل
بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز
وهو من اعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخواص فان قلت فهذا سعي في الهلاك والقاء النفس في التهلكة فاعلم ان ذلك يخرج
عن كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا وما يقاربه بحيث يصبر
عنه من غير ضيق قلب وتشويش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى والثاني ان يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الاشيا
الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو غالب الامر في البوادي في كل اسبوع عن ان يلقاه آدمي او ينتهي الى حلة او قرية او الى حشيش يزجي
به وقته فيحيى به جهاد النفس والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان
لا تفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما
جرت سنة الله بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوه

كل يوم

كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم او يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب
واحد فربما يتخرق فتنكشف عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي غالبا عند كل صلوة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شي مما
يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الاربعة ايضا يلتحق بالدرجة الثالثة لانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه يحتمل ان لا يتخرق الثوب
او يعطيه انسان ثوبا او يجد على راس البئر من يسقيه ولا يحتمل ان يتحرك الطعام ممضوغا الى فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى
الاول ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو اثم به ساع في اهلاك
نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل سبعا وقال لا اسال احدا شيا حتى ياتيني رزقي فقعد سبعا فكاد
يموت ولم ياته شي فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لا رزقتك
حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب واوجس في نفسه من ذلك فاوحى
الله تعالى اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذا
التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله دون الاسباب لا يناقض
التوكل كما ضربناه مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن
الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب لا الى السبب فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير كسب اهو حرام
او مباح او مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب السياحة في البوادي اذا لم يكن مهلكا لنفسه فهذا كيف كان مهلكا نفسه حتى
يكون فعله حراما بل لا يبعد ان ياتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتاخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق ولكن لو اغلق باب البيت على نفسه
بحيث لا طريق لاحد عليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشتغل بعبادة فالكسب والخروج له اولى ولكن ليس فعله حراما
الا ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسوال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير مستشرف الى الناس ولا متطلع الى
من يدخل من الباب فياتيه برزق بل تطلعه الى فضل الله واشتغاله بالله فهذا افضل وهو من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه
فان الرزق ياتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو انه لو هرب العبد من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه ولو سال الله تعالى
ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ويقال له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما اختلف الناس في كل شي
الا الرزق والاجل فانهم اجمعوا ان لا رازق ولا مميت الا الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقال عيسى عليه السلم انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله يرزقها يوما بيوم فان
قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا الى الانعام كيف قيض الله لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون تجري ارزاقهم على ايدي
عباده بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله لكن بعضهم ياكل بذل كالسوال وبعضهم بتعب وانتظار
كالتجار وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فياخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة الدرجة الثالثة
ملابسة الاسباب التي يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه
وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذي الناس كلهم فيه اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح فاما اخذ الشبهة
والاكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهو مثل الاسباب التي نسبتها الى
جلب المنافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة الضار فان النبي عليه السلم وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يسكنون في
الامصار ولا ياخذون من احد شيا بل وصفهم بانهم يتعاطون هذه الاسباب واما هذه الاسباب التي لا يوثق بها في المسببات فما اكثر فلا يمكن احصاؤها
وقال سهل رضي الله عنه التوكل ان تترك التدبير وقال ان الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجابهم تدبيرهم ولعله اراد به استنباط الاسباب البعيدة بالفكر فهي
التي يحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية فاذا قد ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى ما لا يخرج والذي لا يخرج ينقسم
الى مقطوع به والى مظنون وان المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيها
بالحال والعلم لا بالعمل فاما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلث مقامات

الاول مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى في تقويته على الصبر اسبوعا وما فوقه او
تيسير حشيش او قوت او تثبيته على الرضى بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي يحمل الزاد قد يؤخذ زاده او يضل بعيره ويموت
جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما انه ممكن مع فقده المقام الثاني ان يقعد في بيته او في مسجد ولكن في القرى والامصار وهذا اضعف
من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله في تدبير امره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود
في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجلية الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذي يسخر سكان البلد
لايصال الرزق اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور ان يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك دواعيهم المقام
الثالث ان يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب اداب الكسب وهذا السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات
التوكل اذا لم يكن طمأنينته نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك ربما يهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل
الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير اسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره
الى القلم بل الى قلب الملك انه بماذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله او ليفرق على المساكين فهو ببدنه
مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال هذا اشرف من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف
اليه الحال والمعرفة كما سبق ذكره ان الصديق لما بويع بالخلافة اصبح واخذ الاثواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي
حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى
فرضوا له قوت اهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك راى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين اولى ويستحيل ان
يقال لم يكن الصديق في مقام التوكل فمن اولى بهذا المقام منه فدل انه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته
وكفايته والعلم بان الله هو ميسر الاكتساب ومسبب الاسباب وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار
وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه احب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب
لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد قال ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد و
كان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت اكتسب كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط
ادخل به الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحيي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم
واعلم ان الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل وان لم يكن معلوم ووقف وامروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه
التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسألوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهو اقوى ولكنه بعد اشتهار القوم بذلك
فقد صار لهم سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق فان قلت فالافضل ان يقعد في بيته
او يخرج ويكتسب فاعلم انه ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك و
مع هذا لا تستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل فيحمل اليه شيئا بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله فالقعود له اولى وان
كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس فالكسب اولى له لان استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب وما كان
المتوكلون يأخذون ما يستشرف له نفوسهم وكان احمد بن حنبل قد امر ابا بكر المروزي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استأجره
عليه فرده فلما ولى قال له احمد الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه فاعطاه فاخذه فسأل احمد عن ذلك فقال كان قد استشرف نفسه فرد فلما
خرج انقطع طمعه وايس فاخذ وكان الخواص اذا نظر الى شيء في العطاء او خاف اعتياد النفس له لم يقبل منه شيئا وقال الخواص رضي الله عنه
بعد ان سئل عن اعجب ما رآه في اسفاره رايت الخضر ورضي بصحبتي ولكني فارقته خيفة ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصا في توكلي فاذا المكتسب
اذا راعى اداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب وهو اذا لم يقصد به الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا
فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه ان سرقت بضاعته او خسرت تجارته او تعوق امر من
اموره كان راضيا ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شيء لم يضطرب

لفقده



لفقده ومن اضطرب لفقده فقد سكن اليه وكان بشر رضي الله عنه يعمل المغازل فتركه وذلك لان البغلوي كاتبه فقال بلغني انك استعنت
على الرزق بعمل المغازل ارايت ان اخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من فوقع في قلبه فاخرج آلة المغازل من يده وقيل تركها لما توفيت امه
وقصد الاجلة وقيل فعل ذلك لما مات عياله كان لسفيان الثوري خمسون دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرقها فان قلت فكيف يتصور ان
يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا يمكن فاقول بان يعلم ان الذين يرزقهم الله من غير بضاعة عددهم
كثير وان الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فهم كثير وان يوطن نفسه على ان الله تعالى لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان اهلك بضاعته
فهو خير له فلعله لو تركه كان سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت جوعا فينبغي ان يعتقد ان الموت جوعا خير له في
الاخرة مهما قضى الله عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم
من الليل بامر من امور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن عمه
من سبقني ومن دهاني وما هو الا رحمة رحمه الله بها ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي
ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري لي من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل
المبارك فاني ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره ولم يشك كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما ادركته ولعله اراد ادراك اقصاه و
ما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد
لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الاعمال والاحوال تنبني على اصولها
من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة النفس ولذلك قال سهل رضي الله عنه من طعن على التكسب فقد
طعن على السنة ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن على التوحيد فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب
الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان يعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين
الله قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فان الانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان
ولذلك قيل الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب
سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية ايضا تبطل التوكل فقد حكي عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم
فقال له الامام لو اكتسبت كان افضل لك فلم يجبه حتى اعاد ذلك ثلثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال
ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا
اذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق وقال امام مسجد لبعض المصلين من اين تاكل فقال يا شيخ اصبر حتى اعيد الصلاة التي
صليتها خلفك ثم اجيبك وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من لطف الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية ان يسمع الحكايات التي فيها عجائب
صنع الله تعالى في وصول الرزق الى صاحبه وفيها عجائب قهر الله في اهلاك اموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما روي عن حذيفة المرعشي
رضي الله عنه وكان قد خدم ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه فقيل له ما اعجب ما رايت منه فقال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة
فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابراهيم وقال يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به فكتب
بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى شعر انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جائع انا نائع انا عاري
هي ستة وانا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا باري مدحي لغيرك لهب نار خضتها فاجر عبيدك من دخول النار ثم دفع الي الرقعة
وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فاخذها
فلما وقف عليها بكى فقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا اخر فسألته
عن راكب البغلة فقال هذا نصراني فجئت الى ابراهيم فاخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني واكب
على راس ابراهيم يقبله واسلم وقال ابو يعقوب الاقطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت
الى الوادي لعلي اجد شيئا يسكن ضعفي فرايت شلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في نفسي منها وحشة وكان قائلا يقول جعت عشرة ايام

وآخرها تكون حفظك شلجمة فتعشى من قوت بها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك
فقلت كيف خصصتني بها قال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصني الله ان اتصدق بهذه على اول
من تقع عليه عيني من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها سميد مصري ولوز مقشور وسكر كعاب فقبضت قبضة من
ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني لكم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من عشرة ايام وانت تطلبه من الوادي
وقال ممشاد الدينوري رضي الله عنه كان علي دين فاشتغل قلبي بسببه فرايت في النوم كان قائلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار
خذ عليك الاخذ وعلينا العطا فما حاسبت بعده لا بقالا ولا قصابا ولا غيرهما وحكي عن بنان الحمال قال كنت في طريق مكة اجي من مصر
ومعي زاد فجاتني امراة وقالت لي يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت بزادي ثم اتى علي ثلاث لم
آكل فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجي صاحبه فربما يعطيني شيا فارده عليه فاذا انا بتلك المراة فقالت لي انت تاجر تقول
عسى ان يجي صاحبه فآخذ منه شيا ثم رمت الي شيا من الدراهم وقالت انفقه فاكتفيت بها الى قريب من مكة وحكي ان بنانا احتاج الى جارية
تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له الثمن وقالوا هو ذا يجي النفر فنشتري ما يوافق فلما ورد النفر اجتمع رايهم على واحدة وقالوا انها تصلح فقالوا
لصاحبها بكم هذه فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امراة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة وقيل
في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت فوكل الله به ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم ياكله فلا تعطه غيره فلم يزل
القرص معه الى ان مات ولم ياكل وبقي عنده القرص وقال ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة فرايت المرحلة من بعيد فسررت
بان وصلت ثم فكرت في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره فآليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي حفرة وواريت جسدي
فيها الى صدري فسمعوا صوتا في نصف الليل عاليا يا اهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاني جماعة فاخرجوني وحملوني الى
القرية وروي ان رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فاذا هو بقائل يقول يا هذا هاجرت الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل
وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر اني اشتقت اليك فما الذي شغلك عني فقال اني قرات القرآن فاغناني
عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت فيه قال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء وانا اطلبه من الارض فبكى عمر
قال صدقت فكان عمر بعد ذلك ينتابه ويجلس اليه وقال ابو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت
في بير فنازعتني نفسي ان استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر براس البير رجلان فقال احدهما للآخر تعال
حتى نسد راس البير لئلا يقع فيها احد فاتوا بقصب وبارية وطموا راس البير فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي اصيح الى من هو اقرب منهما وسكت
فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشي جا وكشف عن راس البير وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي في همهمة كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني
فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول نهاني حياي منك ان اكشف الهوى
واغنيتني بالفهم منك عن الكشف تلطفت في امري فابديت شاهدي الى غايبي واللطف يدرك باللطف تراءيت لي بالغيب حتى كانما
تبشرني بالغيب انك في الكف اراني وبي من هيبتي لك وحشة فتونسني باللطف منك وبالعطف وتحيي محبا انت في الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحتف
وامثال هذه الوقايع مما يكثر فاذا قوي الايمان به وانضم اليه القدرة على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر وقوي الايمان بانه ان لم يسق اليه
رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله ولذلك حبسه عنه تم التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم اصلا

توكل المعيل

اعلم ان من له عيال فحكمه يفارق المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين احدهما قدرته على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والآخر
ابواب من الايمان ذكرناها من جملتها ان تطيب نفسا بالموت ان لم ياته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو
زيادة في الآخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين وهو رزق الآخرة فهذا يتم التوكل ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان
تقرر في نفوسهم الايمان بالتوحيد وان الموت رزق مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك ساير ابواب الايمان فاذا لا يمكن في
حقهم الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل ابي بكر رضي الله عنه اذ خرج للكسب فاما دخول البوادي وترك العيال توكلا في حقهم او القعود
عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو ماخوذا بهم بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده

العيال

العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاستعداد للموت على الجوع رزقا وغنيمة في الآخرة فله ان يتوكل في حقهم ونفسه ايضا عيال
عنده لا يجوز ان يضيعها الا ان يساعده على الصبر على الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه ويتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل
ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي رضي الله عنه نظر الى صوفي مد يده الى قشر بطيخ لياكله بعد ثلاثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم
السوق اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا ممن يصبر عن الطعام اكثر من ثلاثة ايام وقال ابو علي الروذباري اذا قال
الفقير بعد خمسة ايام انا جايع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذا بدنه عيال له وتوكله فيه كتوكله في عياله وانما يفارقه
في شي وهو ان له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا ان التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل
الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت ان تاخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والامصار او ملازمة البوادي التي لا تخلو عن
حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب البقا ولكن مع نوع من الاذى الذي لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى
الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس عدلوا الى اسباب اظهر منها فلم يعدوا تلك اسبابا وذلك لضعف ايمانهم
وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلا الجبن على قلوبهم باساءة الظن وطول الامل ومن نظر في الملك والملكوت
انكشف له تحقيقا ان الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه
رزقه اما ترى الجنين في بطن امه لما كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى انتهى اليه فضلات غذا الام بواسطة السرة ولم
يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل به شاءت ام ابت اضطرارا من الله اليها بما اشعل في قلبها من نار الحب
ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذا الكثيف فادر
له اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته افكان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذا الكثيف انبت
له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل يسرت له اسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض اذ ما
نقصت اسباب معيشته ببلوغه بل ما زاد فانه لم يكن قادرا على الاكتساب والآن قد زادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخصا واحدا
وهو الام او الاب وكانت شفقته مفرطة جدا فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرة ومرتين وكان اطعامه بتسليط الله الشفقة والحب على
قلبه وكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا احس بمحتاج
تالم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية الى ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه الف وزيادة ولقد كانوا لا يشفقون
عليه لانهم راوه في كفالة الام وهي مشفق خاص فاذا راوه محتاجا ولو راوه يتيما لسلط الله تعالى داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة
حتى ياخذونه ويكفلونه فما رؤي الى الآن في سني الخصب يتيم مات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله كافله
بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلم ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل به في الصبى وقد كان المشفق واحدا والآن
المشفق الف نعم كانت شفقة الام اقوى واحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكم
من يتيم يسر الله له حالا هو احسن من حال من له ابوان فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة
ولقد احسن الشاعر حيث قال جرى قلم القضا بما يكون فسيان التحرك والسكون جنون منك ان تسعى لرزق ويرزق في غشاوته الجنين
فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا لصباه واما هذا فانه قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا فليجتهد
لنفسه فنقول ان كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان
به على التفرغ لله فما للبطال والتوكل وان كان مشتغلا بالله ملازما لمسجد او لبيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك
الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله يقرر محبته في قلوب الناس حتى يحملون اليه فوق كفايته وانما عليه ان لا يغلق الباب ولا يهرب الى جبل من
بين الناس وما رؤي الى الآن عالم او عابد استغرق الاوقات بالله وهو في الامصار مات جوعا ولا يرى قط بل لو اراد ان يطعم جماعة من
الناس بقوله لقدر عليه فان من كان لله كان الله له ومن اشتغل بالله القى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها
فقد دبر الله الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر الى مدبر الاسباب

لا الى الاسباب نعم ما دبر من يدبر ايصال الى المشتغل به الحلوى والطيور السمان والثياب الرفيعة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة
وقد يقع ذلك ايضا في بعض الاحوال لكن دبر من يدبر ايصال الى كل مشتغل بعبادة الله في كل اسبوع قرص شعير او حشيش برية لا محالة
والغالب انه يصل اكثر منه بل يصل ما يزيد على الكفاية والحاجة فلا سبب لترك التوكل الا عشق النفس بالتنعم على الدوام ولبس الثياب
الرفيعة الناعمة وتناول الاطعمة اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل من غير اضطراب وهو في الغالب ايضا لا
يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي اليه نادرا ايضا قد يحصل بغير اضطراب فاثر الاضطراب ضعف عند من انفتحت بصيرته ولذلك
لا يطمئن الى اضطرابه بل الى مدبر الملك بتدبير الاسباب وزعيما عن عباده رزقه وان سكن الا ان دار انه يرد اعظيما لصورة مثله في حق المضطرب
فاذا انكشف هذه الامور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس اثر ما قال الحسن البصري رضي الله عنه اذ قال وددت ان اهل
البصرة في عيالي وان حبة بدينار وقال وهيب بن الورد لو كان السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك
فاذا فهمت هذه الامور فهمت ان التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه
انكره عن جهل فاياك وان تجمع بين الافلاسين الافلاس عن وجود المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فاذا عليك بالقنع باليسير
القليل والرضى بالقوت فانه يأتيك لا محالة وان فررت منه وعند ذلك على الله ان يبعث اليك رزقك على يد من لا يحتسب فان اشتغلت
بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ويرزقه من حيث لا يحتسب الا انه لم يتكفل ان يرزقه لحم الطير ولذائذ الاطعمة
فما ضمن الا الرزق الذي به دوام حياته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأن الى ضمانه فان الذي احاط بتدبير الله
من الاسباب الجلية للرزق اعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليها وذلك لان ظهوره على الارض و
سببه في السماء قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون واسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد رضي الله عنه فقالوا
نطلب الرزق فقال ان علمتم اي موضع هو فاطلبوه فقالوا فنسأل الله ذلك قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل و
ننظر ما يكون قال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز رضي الله عنه كنت في البادية فنالني
جوع شديد فغلبتني نفسي ان اسأل الله تعالى طعاما فقلت ليس هذا من افعال المتوكلين فطالبتني نفسي ان اسأل الله صبرا فلما هممت بذلك سمعت
هاتفا يقول ويزعم انه منا قريب وانا لا نضيع من اتانا ويسألنا القوي جهدا وصبرا كانا لا نراه ولا يرانا فقد علمت ان من المتوكل
نفسه وقوي قلبه ولم يضعف بالجبن باطنه وقوي ايمانه بتدبير الله كان مطمئن النفس واثقا بالله فان اسوأ احواله ان يموت ولا بد وان
يأتيه الموت كما اتى من ليس بمتوكل فاذا تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب والذي ضمن رزق للقانعين بهذه الاسباب
التي دبرها صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقا بما يرد عليك من الارزاق العجيبة التي لم يكن في ظنك ولا تكن في توكلك ناظرا
للاسباب بل المسبب للاسباب كما لا يكون ناظر القلم للكاتب بل للعلم الكاتب فانه اصل حركة القلم والمحرك الاول واحد ولا ينبغي ان يكون
النظر الا اليه وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد ومن يقعد في الامصار خاملا فاما الذي يذكر بالعبادة والعلم فاذا قنع في اليوم
والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ وبثوب خشن يليق باهل الدين فهذا يأتيه من حيث يحتسب ولا يحتسب على الدوام
بل يأتيه اضعاف ذلك فترك التوكل والاهتمام بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتهاره سبب ظاهر للرزق اقوى من دخول الامصار في
حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح لذوي الدين وهو باهل العلم اقبح لان شرطهم القناعة والعالم القانع تأتيه رزقه ورزق
جماعة كثيرة وان كانوا معه الا اذا اراد ان لا ياخذ من ايدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر
العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله بما يعطيه
اولى لانه تفرغ لله تعالى واعانة للمعطي على نيل الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب ولذلك سأل
بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل احمق لظن
ان العقل ارزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم

**احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال**

اعلم ان حال الخلق مع الله مثاله ثلاثة من السؤال وقفوا في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون الى الطعام

فاخرج

فاخرج لهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة من الخبز فامرهم ان يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا في ان لا يغفلوا
عن واحد منهم وامر مناديا حتى نادى فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني اذا خرجوا اليكم بل ينبغي ان يطمئن كل واحد منكم في موضعه
فان الغلمان مسخرون وهم مأمورون بان يوصلوا اليكم طعامكم فمن تعلق بالغلمان وآذاهم واخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان
وخرج اتبعته بغلام يكون موكلا به الى ان اقتص بعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكني اخفيه ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف
واحد اتاه من يد الغلام وهو ساكن فاني اخصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور لعقوبة الآخر ومن ثبت في مكانه ولكنه اخذ رغيفين فلا
عقوبة له ولا خلعة له ومن اخطأه الغلمان ولم يوصلوا اليه شيئا فبات الليلة جائعا غير متسخط على الغلمان ولا قائل هلا اوصل الي
رغيفا فاني غدا استوزره وافوض ملكي اليه فانقسم السؤال الى اربعة اقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا
من اليوم الى غد فرج ونحن الآن جائعون فبادروا الى الغلمان وآذوهم واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور
فندموا ولم ينفعهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن اخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا
بالخلعة وقسم قالوا انا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطئونا ولكن لا نأخذ اذا اعطونا الا رغيفا واحدا ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة
ففازوا وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان فانحرفوا عن مرأى اعين الغلمان وقالوا ان تبعونا واعطونا قنعنا برغيف واحد وان
اخطأونا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما نفعهم ذلك اذ تبعهم
الغلمان في كل زاوية واعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك اياما حتى اتفق على الندور ان اختفى ثلاثة في زاوية ولم يقع عليهم
ابصار الغلمان فشغلهم شغل صارف عن طلب التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان واخذنا الطعام فلسنا
نطيق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق فالميدان هو الحياة في الدنيا وباب الميدان الموت
والميعاد المجهول القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل اذا مات جائعا راضيا من غير استبطاء الى الميعاد القيامة فان
الشهداء احياء عند ربهم يرزقون فرحين والمتعلق بالغلمان هو المتعدي بالاسباب والغلمان المسخرون هي الاسباب والجالس في ظاهر
الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون في الامصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون في الزوايا هم السائحون في البوادي
على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الا على سبيل الندور فان رجع واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى
وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة ولعل من كل مائة متعلق بالاسباب تسعون ولعل من سبعة من العشرة الباقية في الامصار متعرضون
للسبب بمجرد حضورهم واشتهارهم ويساح في البوادي ثلاثة ويتسخط منهم اثنان ويفوز بالقرب واحد ولعله كان في الاعصار السالفة
كذلك واما الان فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة الاف

**الاصل الثاني في التعرض لاسباب الادخار**

فمن حصل له مال بارث او كسب او سؤال او سبب من الاسباب فله في الادخار ثلاثة احوال الاولى ان ياخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل ان
كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا ياخذه ولا يدخره الا القدر الذي
يتأدى به سنته ويحتاج اليه فهذا هو الوفي بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا الحالة الثانية المقابلة
لهذه المخرجة له عن حدود التوكل ان يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلاثة الفارة و
النملة وابن آدم الحالة الثالثة ان يدخر لاربعين يوما فما دونه فهذا هل يحرم به من المقام المحمود الموعود في الآخرة للمتوكلين اختلفوا
فيه فذهب سهل الى انه يخرج عن حد التوكل وذهب الخواص الى انه لا يخرج بالاربعين يوما ويخرج بما يزيد على الاربعين وقال ابو طالب المكي لا يخرج عن
حدود التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار نعم يجوز ان يظن ظانون ان اصل الادخار ينافي
التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى اصحاب
النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين ايضا على درجات وكذا السابقون واعلى درجات اصحاب اليمين
يلاحق اسفل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل فاما عدم امل
البقاء ساعة فشرط اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده وانما الناس فيه يتفاوتون في طول الامل وقصره ولعل درجات الامل يوم و

ليلة فما دونها من الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا تحصى فمن لم يامل اكثر من شهر اقرب الى
المقصود ممن امل سنة وتعيين الاجل بميعاد موسى عليه السلام بعيد فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان ما يرخص الامل فيه ولكن
استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد اربعين يوما لسر جرت به سنة الله تعالى في تدريج الامور كما قال النبي عليه السلام
خمر طينة ادم بيده اربعين صباحا لان استحقاق تلك الطينة للتخمير كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر فاما وراء السنة لا يدخلها الا
بحكم ضعف القلب والركون الى ظاهر الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل بعد وثوق ما ناطه التدبير من الوكيل الحق بخفايا الاسباب
فان اسباب الدخل في الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن كان امله
شهرين لم يكن درجته درجة من امل شهرا ولا درجة من امل ثلاثة اشهر بل هو بينهما في الرتبة ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل فالافضل
ان لا يدخر اصلا فان ضعف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله اكثر وقد روي في القصة التي امر صلى الله عليه وسلم عليا واسامة ان يغسلاه
وكفناه ببردية فلما دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية
قلنا وما هي يا رسول الله قال كان صواما قواما كثير الذكر لله تعالى غير انه كان اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاء الصيف
ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز والسفرة وما يحتاج اليه على الدوام في معنى
ذلك فان ادخاره لا ينقص الدرجة فاما ثوب الشتاء لا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه
الى ايدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان يستشعر في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار
له اولى بل لو امسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له اولى لان المقصود اصلاح القلوب لتتجرد لذكر
الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا
عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون واهل الحرف والصناعات فلم يامر التاجر بترك
تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وارشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف
قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى ومعظم الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما ان صواب القوي ترك الادخار و
هذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وادخار اكثر من
ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر بتكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه صادر عن ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد
قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه لعياله قوت
سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان يدخر له شيئا لغد ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال انفق بلال ولا تخش
من ذي العرش اقلالا وقال له اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبأ فالاقتداء بسيد المتوكلين صلوات الله عليه وقد كان قصر امله
بحيث كان اذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وقد كان صلى الله عليه لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما ادخره
ولكنه ترك تعليما للاقوياء من امته فان اقوياء امته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخاره لعياله سنة لا لضعف قلبه وقلبهم ولكن ليسن
ذلك للضعفاء من امته ثم اخبر ان الله يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي صلى الله عليه الا رحمة
للعالمين كلهم على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم واذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى ابو امامة
الباهلي ان بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال صلى الله عليه فتشوا ثوبه ففتشوا فوجدوا دينارين في داخل ازاره فقال عليه السلام
كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف الاموال ولا يقول ذلك فيه وهذا يحتمل وجهين لان حاله يحتمل حالين احدهما انه اراد
كيتان من النار كما قال تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس
والثاني ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص من جمال الوجه اثر كيتين في الوجه وذلك ان
لا يكون عن تلبيس فان كل ما خلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الاخرة اذ لا يؤتى احد شيئا من الدنيا الا نقص بقدره من الاخرة واما
بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل ويشهد له ما روي عن بشر قال الحسين المغازلي رضي الله عنه

من اصحابه كنت عنده يوما ضحوة من النهار فدخل كهل خفيف العارضين فقام اليه بشر قال وما رايته قام لاحد غيره قال ودفع الي
كفا من الدراهم وقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب وما قال لي مثل ذلك قط قال فجئت بالطعام فوضعته فاكل معه
وما رايته اكل قط مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله وانصرف فتعجبت من ذلك
وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن فقال ذاك اخونا فتح الموصلي وافانا اليوم من الموصل
وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المعرض
للخوف اعلم ان الضرر قد يعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة راسا اما في النفس فكالنوم في الارض المسبعة
او في مجرى السيل من الوادي او تحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم
هذه الاسباب الى مقطوع بها والى مظنونة والى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي
والرقى فان الكي والرقية قد يتقدم على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه لم يصف المتوكلين
الا بترك الرقية والكي والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها
من الاسباب نعم الاستظهار باكل الثوم مثلا عند الخروج الى السفر في الشتاء تهييجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعويل على الاسباب
والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة ولكل الاسباب الدافعة وان كانت مقطوعا بها وجه اذا نال الضرر من انسان فانه اذا
امكنه الصبر وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا
وقال ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال ودع اذاهم وتوكل على الله وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من
الرسل وقال نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى الناس اما الصبر على اذى السباع والعقارب
والحيات وترك دفعها ليس من التوكل في شيء اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا ترك السعي لعينه بل لاعانته على الدين وترتب الاسباب
ههنا كترتبها في الكسب وجلب المنافع فلا نطول بالاعادة وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقض التوكل باغلاق البيت
عند الخروج ولا بان يعقل البعير لان هذه اسباب عرفت بسنة الله اما قطعا واما ظنا ولذلك قال صلى الله عليه للاعرابي لما ان اهمل
البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل على الله وقال تعالى خذوا حذركم وقال في صلوة الخوف وليأخذوا اسلحتهم وقال واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى عليه السلام فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اختفاء عن اعين العدو نوع تسبب واختفى
رسول الله في الغار اختفاء عن اعين الاعداء دفعا للضرر واخذ السلاح في الصلوة ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه
دافع قطعا ولكن اخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا ان المظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت
فقد حكي عن جماعة ان الاسد وضع يده على كتفه فلم يتحرك فاقول وقد حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه ولا ينبغي
ان يغرك ذلك فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في
التوكل وفيه اسرار لا تقف عليها ما لم تنته اليها فان قلت وهل من علامة اعلم بها اني وصلت اليه فاقول الواصل لا يحتاج الى طلب العلامات
ولكن من العلامات السابقة على ذلك المقام ان يسخر لك كلب هو معك في اهابك يسمى الغضب فلا يزال يعضك ويعض غيرك فان يسخر لك هذا
الكلب بحيث اذا هيج واشلي لم يستشل الا باشارتك وكان مسخرا لك فربما ترتفع درجتك الى ان يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع و
كلب دارك اولى بان يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب اهابك اولى بان يكون مسخرا لك من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن
فلا تطمع في ان يستسخر لك الكلب الظاهر فان قلت فاذا اخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو واغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا
من الشرود فباي اعتبار يكون متوكلا فاقول يكون متوكلا بالعلم والحال فاما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفاية
اغلاق الباب بل بدفع الله تعالى اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل فيموت او ينفلت وكم من اخذ سلاحه يقتل فلا يتكل
على هذه الاسباب اصلا بل على مسبب الاسباب كما ضربنا المثل في التوكيل بالخصومة فانه وان حضر واحضر السجل فلا يتكل على نفسه
وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم ان سلطت على ما في البيت

ومن حيث هو سببك فانا راض بحكمك فاني لا ادري ان ما اعطيتني هبة فلا تسترجعها او عارية ووديعة فتستردها ولا ادري
انها رزقي او سبقت مشيتك في الازل بانه رزق غيري فكيف ما قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب تحصنا وتسخطا له بل جريا على
مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود
التوكل بعقل البعير واخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي ان يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله و
ان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا او فرحا بذلك عالما بانه ما اخذ الله تعالى ذلك منه الا ليزيد رزقه في الاخرة
فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه وان تالم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في التوكل لان التوكل مقام
بعد الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لا يأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما اتى بل قد يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل نعم
قد صح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس وان لم يقدر على ذلك حتى تاذى بقلبه واظهر الشكوى
بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له في ذنبه من حيث انها اظهرت له قصوره عن جميع المقامات وكذبه في جميع
الدعاوي فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة امارة بالسوء ومدعية
للخير فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يوخذ فاقول المتوكل لا يخلو بيته عن متاع كقصعة ياكل منها وكوز يشرب منه و
اناء يتوضأ منه وجراب يحفظ فيه زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال
وهو يمسكه ليجد محتاجا فيصرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب
منه والجراب الذي فيه زاده وانما ذلك في الماكول وفي كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله جارية بوصول الخبز الى الفقرا المتوكلين
في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والامتعة في كل يوم وفي كل اسبوع والخروج عن سنة الله ليس شرطا في التوكل
ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد لان سنة الله جارية بالفرق بين الامرين فان
قلت فكيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يتأسف عليه فان كان لا يشتهيه ولا يريده فلم امسكه واغلق
الباب عليه وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتأذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظه
ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له في ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه لما رزقه الله ولما اعطاه فاستدل على
ذلك بتيسير الله وحسن الظن بالله مع ظنه ان ذلك معين له على اسباب دينه ولم يكن ذلك مقطوعا به عنده اذ يحتمل ان يكون خيرته
في ان يبتلى بفقد ذلك حتى يتعب في تحصيل عوضه ويكون ثوابه في التعب اكثر فلما انتزعه الله منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه
في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا ان الله تعالى علم ان الخيرة كانت لي في وجودها الى الان والخيرة الان
في عدمها لما اخذها مني فبمثل هذا الظن يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن ان يكون فرحا بالاسباب من حيث انها اسباب
بل من حيث انها يسرها مسبب الاسباب عناية به ولطفا وهو كالمريض بين يدي الطبيب المشفق الوالد يرضى بما يفعله فان قدم اليه
الغذا فرح وقال لولا انه عرف ان الغذا ينفعني ويقويني على احتماله لما قربه الي وان اخر عنه الغذا بعد ذلك ايضا فرح وقال لولا
ان الغذا يضرني ويسوقني الى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد المشفق الحاذق
بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري اي
الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي فكذلك ينبغي ان لا يبالي المتوكل بسرقة
متاعه او لا بسرقته فانه لا يدري ايهما خير له لا في الدنيا ولا في الاخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غني
يبتلى بواقعة لاجل غناه فيقول يا ليتني كنت فقيرا

آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم

للمتوكل آداب في متاعه اذا خرج
عنه الاول ان يغلق الباب ولا يستقصي في اسباب الحفظ كالتماس من الجيران الحفظ مع الغلق وجمع اغلاق كثيرة فقد كان مالك
بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريطة ويقول لولا الكلاب لما شددته ايضا الثاني ان لا يترك في البيت متاعا يحرص عليه السراق
فيكون هو سبب معصيتهم ايضا اذ امساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما اهدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة قال خذها

دعوى صح

فلا حاجة

فلا حاجة لي بها قال لم قال يوسوس الي العدو ان اللص قد اخذها فكانه يحترز ان يعصي السارق ومن شغل قلبه بوسواس
الشيطان بسرقته ولذلك قال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا فما عليه من اخذها الثالث ان ما يضطر
الى تركه في البيت ينبغي ان ينوي عند خروجه الرضى بما يقضي الله عليه فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما ياخذه السارق فهو منه في حل او هو
في سبيل الله فان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط عليه الفقر فهو اولى ويكون له نيتان لو اخذه غني او فقير احدهما ان يكون مانعا من
المعصية فانه ربما يستغني عنه فيتوانى عن السرقة ويزال عصيانه باكل الحرام لما ان جعله في حل والثانية ان لا يظلم مسلما اخر
فيكون ماله فدا لمال مسلم اخر فمهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه او نوى دفع المعصية عن السارق او تخفيفها فقد نصح المسلمين وامتثل
قوله صلى الله عليه انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصر الظالم ان يمنعه من الظلم وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له وليتحقق ان هذه النية لا تضره
بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضا الازلي ولكن يتحقق بالزهد نيته فان اخذ ماله كان له بكل درهم سبع مائة
درهم لانه نواه وقصده وان لم يوخذ حصل له الاجر ايضا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه فيمن ترك العزل واقر النطفة قرارها
ان له اجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله وان كان لم يولد لانه ليس اليه في امر الولد الا الوقاع فاما الخلق والحياة
والرزق والبقا فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم يعدم فكذلك امر السرقة الرابع انه اذا وجد المال
مسروقا ان لا يحزن بل يفرح ان امكنه ويقول لولا ان الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى ثم ان لم يكن قد جعله في سبيل الله فلا يبالغ
في طلبه واساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الاخرة فان اعيد عليه فالاولى
ان لا يقبله بعد ان كان قد جعله في سبيل الله وان قبله فهو ملكه في ظاهر العلم لان الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند
المتوكلين وقد روي ان ابن عمر رضي الله عنه سرقت ناقته فطلبها حتى اعيى ثم قال هي في سبيل الله فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه
رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك في مكان كذا فلبس نعله وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل له الا تذهب فتاخذها فقال اني
كنت قلت في سبيل الله وقال بعض الشيوخ رايت بعض اخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وادخلني الجنة فعرض
علي منازلي فيها فرايتها قال وهو مع ذلك حزين كئيب فقلت قد دخلت الجنة وغفر لك وانت حزين فتنفس الصعدا ثم قال نعم اني
لا ازال حزينا الى يوم القيامة قلت ولم ذلك قال اني لما رايت منازلي في الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رايت مثلها فيما رايت
ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له انما هذه لمن امضى السبيل قلت وما امضى السبيل
قال كنت تقول للشي انه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل لامضينا لك وحكي عن بعض العباد بمكة انه كان نائما
بجنب رجل في الحرم معه هميان فانتبه الرجل وقد سرق هميانه فاتهمه به فقال لم كان فذكر فحمله الى البيت فوزن له من عنده ثم بعد ذلك
اعلمه اصحابه انهم كانوا اخذوا الهميان مزاحا معه فمشى هو واصحابه وردوا الذهب فابى وقال خذوه حلالا طيبا فما كنت لاعود في مال اخرجته في سبيل
الله فلم يقبل والحوا عليه فدعا ابنه وجعل يصرها صررا ويبعث بها الى الفقرا حتى لم يبق منه شي فهكذا كانت اخلاق السلف وكذلك
من اخذ رغيفا ليعطيه فقيرا فكان يكره رده الى البيت بعد اخراجه فيعطي فقيرا اخر وكذلك في الدراهم وسائر الصدقات الخامس
وهو اعلى الدرجات ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهيته وتاسفه على ما فات وبطل زهده
وان بالغ في الدعا بطل ايضا اجره فيما اصيب به ففي الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وحكي ان الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان
ثمنه عشرين الف درهم وكان قائما يصلي فلم يقطع صلوته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال اما اني كنت رايته وهو يحله قيل وما منعك
ان تزجره قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني الصلوة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه وقيل
لبعضهم في شي كان قد سرق له الا تدعو على ظالمك قال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل ارايت لو رد عليك قال لا اخذه ولا انظر
اليه لاني كنت قد احللته له وقيل لاخر ادع الله على ظالمك فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيده
شرا واكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فان الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه
لمن اخذ ماله ودمه وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد

عليه فيستحق له من المظلوم. السادس: أن يغتم لأجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله ويشكر الله تعالى إذ جعله مظلوما
ولم يجعله ظالما، وجعل ذلك نقصان دنياه لا نقصان دينه. فقد شكا بعض الناس إلى عالم أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال: إن لم يكن
لك غم أنه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك لمالك فما نصحت المسلمين. وسرق من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت
فرآه أبوه يبكي ويحزن فقال: أعلى الدنانير تبكي؟ فقال: لا والله ولكن على المسكين أنه يسأل يوم القيامة ولا يكون له حجة. وقيل لبعضهم: ادع على
من ظلمك فقال: إني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه. الفن الرابع: السعي في إزالة الضرر كمداواة المرض وأمثاله. اعلم أن
الأسباب المزيلة للضرر تنقسم إلى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع، وإلى مظنون كالفصد والحجامة وشرب
المسهل وسائر أسباب الطب، أعني معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة، وهي الأسباب الظاهرة في الطب، وإلى موهوم كالكي
والرقية. أما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت. وأما الموهوم فشرط التوكل تركه إذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
المتوكلين، وأقواها الكي ثم يليه الرقية، وآخر درجاتها الطيرة، والاعتماد عليها والاتكال إليها غاية التعمق في ملاحظة الأسباب. وأما
الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة بالأسباب الظاهرة عند الأطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا
بخلاف المقطوع بل قد يكون أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي حق بعض الأشخاص فهو على درجة بين الدرجتين. ويدل على أن التداوي
غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وأمره. أما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم: ما من داء إلا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام يعني الموت
وقال: تداووا عباد الله فإن الله خلق الداء والدواء. وسئل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا فقال: هي من قدر الله. وفي الحديث
المشهور: ما مررت بملأ من الملائكة إلا قالوا مر أمتك بالحجامة. وفي الحديث أنه أمر بها وقال: احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى
وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم. فذكر أن تبيغ الدم سبب الموت وأنه قاتل بإذن الله، وبين أن إخراج الدم خلاص منه إذ لا فرق بين
إخراج الدم المهلك من الإهاب وبين إخراج العقرب من تحت الثياب وليس من شرط التوكل ترك ذلك، بل هو كصب الماء على النار لإطفائها ودفع
ضررها عند وقوعها في البيت، وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل أصلا. وفي خبر مقطوع: من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر
كان له دواء من داء سنة. وأما أمره فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوي وبالحمية، وقطع لسعد بن معاذ عرقا أي
فصده، وكوى أسعد بن زرارة. وقال لعلي رضي الله عنه وكان رمد العين: لا تأكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فإنه أوفق لك، يعني سلقا قد
طبخ بدقيق شعير. وقال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين: أتأكل تمرا وأنت رمد؟ فقال: إنما آكل من الجانب الآخر فتبسم.
وأما فعله فقد روي في حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة، قيل: السنا المكي.
وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقرب وغيرها. وروي أنه كان إذا نزل عليه الوحي صدع رأسه فكان يغلفه بالحناء. وفي خبر آخر أنه
كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء. وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا. وما روي من تداويه وأمره بذلك خارج عن الحصر وقد
صنف في ذلك كتاب وسمي ذلك طب النبي صلى الله عليه وسلم. وذكر بعض العلماء في الإسرائيليات أن موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو إسرائيل
فعرفوا علته فقالوا: لو تداويت بكذا لبرئت. فقال: لا أتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء. وطالت علته فقالوا: إن دواء هذه العلة معروف
مجرب وإنا نتداوى به فنبرأ. فقال: لا أتداوى. وطالت علته فأوحى الله إليه: وعزتي وجلالي لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك. فقال لهم:
داووني بما ذكرتم فداووه فبرئ، فأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله إليه: أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك علي، فمن أودع العقاقير منافع الأشياء
غيري. وروي في خبر آخر أن نبيا من الأنبياء شكا علة يجدها فأوحى إليه: كل البيض. وشكا نبي آخر الضعف فأوحى إليه: كل اللحم باللبن فإن
فيهما القوة. قيل: هو الضعف عن الجماع. وقد روي أن قوما شكوا إلى نبيهم قبح أولادهم فأوحى الله إليه: مرهم أن يطعموا نساءهم الحبالى
السفرجل فإنه يحسن الولد. ويفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع إذ فيه يصور الله الولد. وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب.
فهذا يبين أن مسبب الأسباب أجرى سنته بربط المسببات بالأسباب إظهارا للحكمة، والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر
الأسباب، فكما أن الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الإسهال، فلا يفارقه إلا في أمرين: أحدهما
أن معالجة الجوع والعطش بالخبز والماء جلي واضح عند كافة الناس، ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص من أهل التجربة

التحق في حقه بالأول. والثاني أن الدواء المسهل والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط أخر في الباطن وأسباب في المزاج ربما يتعذر
الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الإسهال. وأما زوال العطش فلا يستدعي سوى
الماء شروطا كثيرة، وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر. واختلاف الأسباب أكثر ما يحصل
في هذين الفنين، وإلا فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تم شروط السبب. فكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته
وكمال قدرته، فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر إلى مسبب الأسباب دون الطبيب والدواء. فقد روي عن موسى عليه السلام أنه قال: يا رب
ممن الداء والشفاء؟ فقال تعالى: مني. قال: فما يصنع الأطباء؟ قال: يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي أو قضائي. فإذا
معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في فنون الأعمال الدافعة للضرر والجالبة للنفع. فأما ترك التداوي رأسا
فليس شرطا فيه. فإن قلت: الكي من الأسباب الظاهرة النفع؟ فأقول: ليس كذلك، إذ الأسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب
المسهل وسقي المبردات للمحرور. وأما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكبيرة عنه، وقل ما يعتاد الكي في أكثر البلاد
وإنما ذلك عادة بعض الأتراك والأعراب، فهو من الأسباب الموهومة كالرقى إلا أنه يتميز عنها بأمر وهو أنه إحراق بالنار في الحال مع
الاستغناء عنه، فإنه ما من وجع يعالج بالكي إلا وله دواء يغني عنه ليس فيه إحراق، فالإحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية
مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فإن سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما. ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الكي دون
الرقى، وكل واحد منهما بعيد عن التوكل. وروي أن عمران بن الحصين اعتل فأشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه
الأمير حتى اكتوى، فكان يقول: كنت أرى نورا وأسمع صوتا وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني. فكان يقول: اكتوينا كيات
فوالله ما أفلحن ولا أنجحن. ثم تاب من ذلك وأناب إلى الله تعالى فرد الله عليه ما كان يجد من أمر الملائكة. وقال لمطرف بن عبد الله: ألم تر إلى
الكرامة التي أكرمني الله بها فقد ردها علي بعد أن كان قد أخذها. فإذا الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالتوكل لأنه يحتاج
في استنباطه إلى تدبير وهو موهوم فدل ذلك على شدة ملاحظة الأسباب والتعمق فيها.

بيان أن ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل، وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم. اعلم أن الذين تداووا من السلف لا ينحصرون، و
لكن قد ترك التداوي أيضا جماعة من الأكابر، فربما يظن أن ذلك نقصان لأنه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يكون حال غيره
في التوكل أكمل من حاله. وقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قيل له: لو دعونا لك طبيبا؟ فقال: قد رآني الطبيب، وقال: إني فعال لما
أريد. وقيل لأبي الدرداء رضي الله عنه في مرضه: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قيل: فما تشتهي؟ قال: مغفرة ربي. قالوا: ألا ندعو لك طبيبا؟ قال: الطبيب
أمرضني. وقيل لأبي ذر رضي الله عنه وقد رمدت عيناه: لو داويتهما؟ قال: إني عنهما مشغول. فقيل: لو سألت الله تعالى أن يعافيك؟ فقال:
أسأله فيما هو أهم علي منهما. وكان أصاب الربيع بن خثيم فالج فقيل له: لو تداويت؟ فقال: قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود وقرونا بين ذلك
كثيرا كان فيهم الأطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيئا. وكان أحمد بن حنبل يقول: أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا
الطريق أن يترك التداوي من شرب الدواء وغيره. وكان به علل فلا يخبر المتطبب بها إذا سأله. وقيل لسهل: متى يصح للعبد التوكل؟ قال:
إذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت إليه شغلا بحاله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه. فإذا من ترك التداوي من رآه
فضيلة ولا صفح. وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعال هؤلاء أن نحصر الصوارف عن التداوي فنقول: لترك التداوي أسباب.
الأول: أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بأنه انتهى أجله وأن الدواء لا ينفعه، ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة
وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق. ويشبه أن يكون ترك الصديق رضي الله عنه للتداوي من هذا السبب فإنه كان من المكاشفين، فإنه
قال لعائشة رضي الله عنها في أمر الميراث: إنما هما أخواك وإنما كان لها أخت واحدة، ولكن كانت امرأته حاملا فولدت أنثى فعلم أنه قد كوشف
بأنها حامل بأنثى، فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضا بانتهاء أجله، وإلا فلا يظن به إنكار التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى
وأمر به. السبب الثاني: أن يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله عليه فينسيه ذلك ألم المرض ولا يتفرغ قلبه
للتداوي شغلا بحاله، وعليه يدل كلام أبي ذر رضي الله عنه حيث قال: إني عنهما مشغول. وكلام أبي الدرداء رضي الله عنه إذ قال: إنما أشتكي

ذنوبي فكان يتألم عليه خوفا من ذنوبه اكثر مما يتألم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالخائف الذي يحمل الى
ملك من الملوك ليقتل اذا قيل له الا تأكل وانت جائع فيقول انا مشغول عن الم الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الخبز نافعا من الجوع
ولا طعنا فيمن اكل وبقريب من هذا اشتغال سهل رحمه الله حيث قيل له ما القوت قال هو ذكر الحي القيوم فقيل انما سألناك عن القوام فقال
القوام هو العلم فقيل انما سألناك عن الغذاء قال الغذاء هو الذكر فقيل انما سألناك عن طعمة الجسد قال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه آخرا
اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه اما رأيت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها السبب الثالث ان تكون العلة
مزمنة والدواء الذي يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع بن خثيم
اذ قال ذكرت عادا وثمود وفيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى اي الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون
عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته للطب فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ولا شك في ان الطبيب المجرب اشد اعتقادا في
الادوية من غيره فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة واكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا مستندهم
لانه يبقى الدواء عندهم شيئا موهوما لا اصل له وذلك غير صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب صحيح في البعض ولكن غير الطبيب
لا ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في الاسباب كالكي والرقية فيتركه لذلك السبب الرابع ان يقصد العبد بترك
التداوي استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى او ليجرب نفسه في القدرة على الصبر فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر
ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد
عليه البلاء وان كان في ايمانه ضعف خفف عنه البلاء وفي الخبر ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب
الابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا وفي حديث من طريق اهل البيت ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه
وان رضي اصطفاه وقال صلى الله عليه وسلم اتحبون ان تكونوا كالحمر الضالة لا تمرضون ولا تسقمون وقال ابن مسعود تجد المؤمن اصح شيء قلبا
وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شيء جسما وامرضه قلبا فلما عظم الثناء على المرض والبلاء احب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب
الصبر عليه وكان فيهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحق اغلب على قلبه من ان يشغله المرض
عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلاتهم قعودا مع الصبر على بلاء الله تعالى افضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة ففي الخبر
ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمل فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان
توفيته توفيته الى رحمتي وقد قال صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما اكرهت النفوس عليها فقيل معناه ما دخل عليها من الامراض والمصائب
واليه الاشارة بقوله تعالى عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وكان سهل رضي الله عنه يقول ترك التداوي وان ضعف عن الطاعات
وقصر عن الفرائض افضل من التداوي لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها وكان اذا
رأى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام الى الصلاة والنهوض الى الطاعة يتعجب من ذلك ويقول صلاته من
قعود مع الرضا بحاله افضل من التداوي للقوة والصلاة قائما وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء فانما هو سعة من الله
لاهل الضعف ومن لم يدخل في شيء منه فهو افضل لانه ان اخذ شيئا من الدواء ولو كان من الحلال الصافي كان مسئولا عنه وان لم يأخذ
فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر والرضا
والتوكل افضل من امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع اعمال القلوب الا اذا كان المرض غالبا مدهشا وقال سهل علل الاجسام
رحمة وعلل القلوب عقوبة السبب الخامس ان يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض
اذا طال تكفيرا فيترك التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي على الارض كالبرد
ما عليه ذنب وخطيئة وفي الخبر حمى يوم كفارة سنة فقيل لانها تهد قوة سنة وقيل للانسان ثلاثمائة وستون مفصلا فتدخل الحمى في جميعها و
يجد من كل واحد منها الما فيكون كل الم كفارة كل يوم ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل ان لا يزال محموما فلم تكن
الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله وسأل ذلك طائفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال صلى الله عليه من اذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا

الذنوب صح

الا الجنة

الا الجنة قال فلقد كان في الانصار من يتمنى العمى وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على
جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه وروي ان موسى نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يا رب ارحمه فقال كيف ارحمه فيما به ارحمه
اي به اكفر ذنوبه وازيد في درجاته السبب السادس ان يستشعر العبد من نفسه مبادي البطر والطغيان في طول مدة الصحة
فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان او طول الامل والتسويف في تدارك الفائت وتأخير
الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها تنبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي واقلها ان تدعو الى التنعم في المباحات
وهو تضييع الاوقات واهمال الربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات واذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصائب
ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من قلة او علة او ذلة وقد روي ان الله تعالى قال الفقر سجني والمرض قيدي احبس به من احب من خلقي فاذا
كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فاي خير يزيد عليه ولم ينبغ ان يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك
المعاصي فقد قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدي قال في عافية قال ان كنت لم تعص الله تعالى فانت في عافية وان كنت قد عصيته
فاي داء ادوى من المعصية وما عوفي من عصى وقال علي رضي الله عنه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيد لهم ما هذا الذي اظهروه قالوا
يا امير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا يعصى الله فيه فهو لنا عيد وقال تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون قيل العوافي واليه
ليطغى ان رآه استغنى فكذلك اذا استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون لعنه الله انا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث اربعمائة
سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغلته عن الفضول فضلا عن
دعوى الربوبية وقد قال صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر هادم اللذات وقد قيل الحمى بريد الموت فهو مذكر له ودافع للتسويف وقال تعالى اولا
يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين الاية قيل يفتنون بالامراض ويختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم
لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب وقد كان السلف لذلك يستوحشون اذا خرج عام ولم يصابوا
فيه بنقص من نفس او مال وقالوا لا يخلو المؤمن في كل اربعين يوما ان يروع روعة او يصاب بنكبة حتى روي ان عمار بن ياسر تزوج
امرأة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل وانها ما مرضت قط
فقال لا حاجة لي فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال عليه السلام
اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا وهذا لانه ورد في الخبر الحمى حظ كل مؤمن من النار وفي حديث انس
وعائشة رضي الله عنهما انه قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء غيرهم يوم القيامة قال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة
وفي لفظ اخر الذي يذكر ذنبه فيحزنه ولا شك في ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة
في زوالها اذ رأوا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث رأوا التداوي نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعله رسول الله صلى الله عليه
الرد على من قال ان ترك التداوي افضل بكل حال فلو قال قائل انما فعله صلى الله عليه ليسن لغيره والا فهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء
توجب التوكل بترك الدواء فيقال ينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم عليه وان قيل ان ذلك ايضا شرط
فليكن من شرطه ان لا يدفع الحية والعقرب عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب يلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال وذلك
ايضا شرط التوكل فيقال فينبغي ان لا يزيل لذع العطش بالماء ولذع الجوع بالخبز ولذع البرد بالجبة وهذا لا قائل به ولا فرق بين هذه
الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب واجرى بها سنته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر وعن
الصحابة رضوان الله عليهم في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية سمعوا ان بها موتا ذريعا ووباء عظيما فافترق
الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقي بايدينا الى التهلكة وقالت طائفة اخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله
ولا نفر من الموت فنكون كمن قال تعالى فيهم الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فرجعوا الى عمر رضي الله عنه وسألوه
عن رأيه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون في رأيه انفر من قدر الله قال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال ارأيتم
لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان احداهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله

فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف يسأله عن رأيه وكان غائبا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا
أمير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله فقال عمر الله أكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول إذا سمعتم بالوباء في أرض فلا تقدموا
عليه وإذا وقع في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح بذلك عمر رضي الله عنه وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه ورجع بالناس من الجابية
فإذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات فإن قلت فإن كان أمثال هذا من شروط التوكل فلم نهي عن
الخروج من البلد الذي فيه الوباء وسبب الوباء في الطب الهواء وأظهر طرق التداوي الفرار من المضر والهواء هو المضر فلم لم يرخص فيه
فاعلم أنه لا خلاف في أن الفرار عن المضر غير منهي إذ الحجامة فرار من المضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح فهذا لا يدل على المقصود و
لكن الذي ينقدح فيه والعلم عند الله تعالى أن الهواء لا يضر من حيث إنه يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فإنه إذا كان
فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الأحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق ولا يظهر الوباء على الظاهر إلا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج
من البلد لا يخلص غالبا من الأثر الذي استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا
المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لأنه انضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لما بقي في
البلد إلا المرضى الذين أقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون
عن مباشرتها بأنفسهم فيكون ذلك سعيا في إهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما أن خلاص الأصحاء منتظر فلو أقاموا لم تكن الإقامة
قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في إهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا والمؤمنون
كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إليه سائر الأعضاء فهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على
البلد فإنه لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا بأهل البلد حاجة إليهم نعم لو لم يبق في البلد إلا مطعونون وافتقروا إلى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما
ينقدح استحباب الدخول ههنا لأجل الإعانة ولا ينهى عن الدخول لأنه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين ولهذا شبه
الفرار من الطاعون في بعض الأخبار بالفرار من الزحف لأن فيه كسر القلوب لبقية المسلمين وسعيا في إهلاكهم فهذه أمور دقيقة فمن لا
يلاحظها وينظر إلى ظواهر الأخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ما يسمعه وغلط الزهاد والعباد كثير في مثل هذا وإنما شرف العلم وفضيلته
لأجل ذلك فإن قلت فمن ترك التداوي فضل لما ذكرته فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه لينال الفضل فنقول فيه فضل بالإضافة
إلى من كثرت ذنوبه ليكفرها أو خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات أو احتاج إلى تذكر الموت لغلبة الغفلة أو احتاج إلى نيل ثواب
الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين أو المتوكلين أو قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الأدوية من لطائف المنافع
حتى صار في حقه موهوما كالرقى أو كان شغله بحاله يمنعه عن التداوي وكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع وإلى هذه المعاني
رجعت الصوارف في ترك التداوي وكل ذلك كمال بالإضافة إلى بعض الخلق ونقصان بالإضافة إلى درجة رسول الله صلى الله عليه
بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها إذ كان حاله يقتضي أن يكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الأسباب وفقدها
فإنه لم يكن ينظر في الأحوال إلا إلى مسبب الأسباب ومن كان هذا مقامه لم يضره الأسباب كما ذكرنا أن الرغبة في المال نقص والرغبة
عن المال كراهة له وإن كان كمالا فهو نقص بالإضافة إلى من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستواء الذهب والحجر أكمل من الهرب
عن الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه استواء الذهب والمدر عنده وكان الإمساك لتعليم الخلق مقام الزهد فإنه منتهى قوتهم لا لخوفه
على نفسه من إمساكه فإنه كان أعلى رتبة من أن تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها فكذلك يستوي عنده مباشرة
الأسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة وإنما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله وترخيصا لأمته فيما تمس إليه حاجتهم مع أنه لا ضرر فيه
بخلاف ادخار الأموال فإن ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر إلا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء وهذا قد نهي عنه
ومن حيث إنه قد يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهي عنه والمؤمن في غالب الأمر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء
نافعا بنفسه بل من حيث إن جعله الله سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا والخبز مشبعا فحكم التداوي في مقصوده حكم الكسب فإنه إن
اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها وإن اكتسب للتنعم المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعاني التي أوردناها أن ترك

التداوي

التداوي قد يكون في بعض الأحوال أفضل وأن التداوي قد يكون أفضل في بعض وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص
والنيات وأن واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل إلا ترك الموهومات كالكي والرقى فإن ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق
بالمتوكلين حكم المتوكل في إظهار المرض وكتمانه اعلم أن كتمان المرض وإخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر وهو من أعالي المقامات
لأن الرضى بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بين الله وبين العبد فكتمانه أسلم عن الآفات ومع هذا فالإظهار لا بأس به إذا صحت فيه النية و
المقصد ومقاصد الإظهار ثلاثة الأول أن يكون غرضه التداوي فيحتاج إلى ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية
لما ظهر عليه من قدرة الله فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبب وجعه وكان أحمد بن حنبل يخبر بأمراض يجدها ويقول إنما أصف قدرة
الله تعالى في الثاني أن يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفة فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض
بل حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم وقال الحسن البصري إذا حمد المريض الله تعالى وشكره
ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى والثالث أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره إلى الله وذلك يحسن ممن يليق به القوة والشجاعة ويستبعد
منه العجز كما روي عن علي رضي الله عنه أنه قيل له في مرضه كيف أنت قال بشر فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية فقال
أتجلد على الله فأحب أن يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم منه من القوة والصرامة وتأدب فيه بأدب النبي إياه حين مرض علي فسمعه
رسول الله صلى الله عليه وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال لقد سألت الله البلاء فسل الله العافية فبهذه النيات يرخص في ذكر المرض
وإنما يشترط ذلك لأن ذكره شكاية والشكوى من الله حرام كما ذكرناه في تحريم السؤال على الفقراء إلا بضرورة ويصير الإظهار شكوى
بقرينة السخط وإظهار الكراهة لفعل الله تعالى فإن خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم
فيه بأن الأولى تركه لأنه ربما يوهم الشكاية ولأنه ربما يكون فيه تصنع وتزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التداوي
توكلا فلا وجه في حقه للإظهار لأن الاستراحة إلى الدواء أفضل من الاستراحة إلى الإفشاء وقيل معنى قوله تعالى فصبر جميل لا شكوى
فيه وقال بعضهم من بث فلم يصبر وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذي أذهب بصرك قال مر الزمان وطول الأحزان فأوحى الله تعالى إليه
تفرغت لشكواي إلى عبادي فقال يا رب أتوب إليك وروي عن طاوس ومجاهد رضي الله عنهما أنهما قالا يكتب على المريض أنينه وكانوا يكرهون
أنين المريض لأنه إظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما أصاب إبليس من أيوب إلا أنينه في مرضه فجعل الأنين حظه منه وفي الخبر إذا
مرض العبد أوحى الله تعالى إلى الملكين فيقول انظرا ما يقول لعواده فإن حمد الله وأثنى بخير دعوا له وإن شكا وذكر شرا قالا كذلك
تكون وإنما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم إذا مرض أغلق بابه فلم يدخل عليه أحد حتى
يبرأ فيخرج إليهم منهم فضيل ووهيب وبشر وكان يقول فضيل أشتهي أن أمرض بلا عواد وقال لا أكره العلة إلا للعيادة تم كتاب التوكل

كتاب الرضا والشوق والمحبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه عن الالتفات إلى زخارف الدنيا ونضرتها وصفى أسرارهم عن ملاحظة غير حضرته ثم استخلصها للعكوف
على بساط عزته ثم تجلى لها بأسمائه وصفاته حتى أشرقت بأنوار معرفته ثم كشف لها عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب
عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما يبهت وجه العقل
وبصيرته وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا أيها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته فبقيت بين الرد
والصد والوصول غرقى في بحر معرفته محترقة بنار محبته والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكمال نبوته وعلى آله وأصحابه سادة الخلق
ولقادة الحق وأزمته وسلم أما بعد فإن المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما
بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضى وأخواتها ولا قبل المحبة مقام إلا وهو
مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات إن عز وجودها فلم تخل القلوب عن الإيمان بإمكانها وأما محبة الله تعالى
فقد عز الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها وقالوا لا معنى لها إلا المواظبة على طاعة الله تعالى وأما حقيقة المحبة فمحال إلا مع الجنس
والمثل ولما أنكروا المحبة أنكروا الأنس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الأمر ونحن

نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان أن لا مستحق للمحبة إلا الله تعالى ثم بيان أن
أعظم اللذات لذة النظر إلى وجه الله تعالى ثم بيان زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى
ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله للعبد
ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الأنس ثم القول في معنى الرضا وبيان
فضله ثم بيان حقيقته ثم بيان أن الدعاء وكراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان جمل من حكايات وكلمات للمحبين متفرقة

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله ولرسوله فرض وكيف يفرض ما لا وجود
له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد أن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب ويدل على إثبات الحب
لله تعالى قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله
صلى الله عليه الحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة إذ قال أبو رزين العقيلي يا رسول الله ما الإيمان قال أن يكون الله ورسوله أحب
إليك مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن العبد حتى أكون
أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم إلى قوله
أحب إليكم من الله ورسوله الآية وإنما أجرى ذلك في معرض التهديد والإنكار وقد أمر رسول الله صلى الله عليه بالمحبة فقال أحبوا الله
لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله إياي ويروى أن رجلا قال يا رسول الله إني أحبك فقال استعد للفقر فقال إني أحب الله فقال استعد
للبلاء وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال انظروا إلى هذا الرجل الذي
قد نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون وفي الخبر المشهور أن
إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله إليه هل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه
فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وهذا لا يجده إلا عبد يحب الله بكل قلبه فإذا علم أن الموت سبب اللقاء انزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب
غيره حتى يلتفت إليه وقد قال نبينا صلى الله عليه في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب
إلي من الماء البارد وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها فقال ما أعددت لها
كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله المرء مع من أحب قال أنس رضي الله عنه فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام
فرحهم بذلك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله عز وجل شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال
الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه إن
من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا وقد روي أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد
نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ثم جاوزهم
إلى ثلاثة أخرى فإذا هم أشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم ما ترجون
ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخرى فإذا هم أشد نحولا وتغيرا كأن على وجوههم المرائي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الحب لله عز وجل
فقال أنتم المقربون أنتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه مررت برجل نائم في الثلج فقلت أما تجد البرد فقال من شغله
حب الله لم يجد البرد وعن سري السقطي رضي الله عنه قال تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها فيقال يا أمة موسى يا أمة عيسى يا أمة محمد
غير المحبين لله فإنهم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه فتكاد تنخلع قلوبهم فرحا وقال هرم بن حيان رضي الله عنه المؤمن إذا عرف
ربه أحبه وإذا أحبه أقبل إليه وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره
في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف
حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب عبدي أنا وحقك لك محب فبحقي عليك كن
لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب إلي من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال إلهي إني مقيم بفنائك مشغول بثنائك



صغيرا أخذتني إليك وسربلتني بمعرفتك وأمكنتني من لطفك وقلبتني في الأحوال وقلبتني في الأعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضى
وحبا تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لأمرك ومشغوفا بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري فكيف أنصرف اليوم عنك كبيرا
وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة إليك همهمة لأني محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه
مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وإنما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به

بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله اعلم أن المطلب من هذا الفصل لا ينكشف إلا بمعرفة حقيقة المحبة في
نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فأول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور محبة إلا بعد
معرفة وإدراك إذ لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات
في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه وإلى ما ينافيه وينفره ويؤلمه وإلى ما لا يؤثر فيه بإيلام وإلذاذ فكل ما في إدراكه
لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة فلا يوصف بكونه
محبوبا ولا مكروها فإذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا أن في الطبع ميلا إليه ومعنى كونه مبغوضا أن في الطبع نفرة
عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ فإن تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم
المتعب فإذا قوي سمي مقتا فهذا أصل في حقيقة معنى المحبة الأصل الثاني أن الحب لما كان تابعا للإدراك والمعرفة
انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة إدراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع
بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في الإبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة
ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة
ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال صلى الله عليه حبب إلي من دنياكم ثلاث
الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم أنه لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولا
حظ فيهن إلا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس تحظى بها الحواس
الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه إلا من كان له قلب ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الإنسان فإن كان الحب
مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال إن الله لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فإذا قد بطلت خاصية الإنسان وما
تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل وإما بالنور وإما بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات
فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد إدراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة
للأبصار فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع
السليم والعقل الصحيح إليه أقوى ولا معنى للحب إلا الميل إلى ما في إدراكه لذة كما سيأتي تفصيله فلا ينكر إذا حب الله إلا من قعد به
القصور في درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلا الأصل الثالث أن الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه
قد يحب غيره لأجل نفسه وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لا لأجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب
الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلنبين أقسام المحبة وأسبابها
وبيانه أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلا إلى دوام وجوده ونفرة عن عدمه
وهلاكه لأن المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب وأي شيء أتم ملاءمة من نفسه ودوام وجوده وأي شيء أعظم مضادة ومنافرة
له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات
الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض إلا لمقاساة
ألم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فإن أحب العدم لم يحبه لأنه عدم بل لما فيه من زوال البلاء فالهلاك والعدم
ممقوت لذاته ودوام الوجود محبوب لذاته وكما أن دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضا محبوب لأن الناقص فاقد

الكمال والنقص عدم بالاضافة الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود
كما انه ممقوت في اصل الذات ووجود صفات الكمال كما ان دوام اصل الوجود محبوب فهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى
ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة اعضائه ثم ماله وولده وعشيرته واصدقاؤه فالاعضاء محبوبة
وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لانه ايضا آلة في دوام الوجود وكماله وكذا سائر
الاسباب فالانسان يحب هذه الاشياء لا لاعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها حتى انه ليحب ولده وان كان لا
يناله منه حظ بل يحمل المشاق لاجله لانه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو
قائم مقامه وكانه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه ابدا نعم لو خير بين قتل ولده وقتله وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على
بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه بالتحقيق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى
نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم فان العشيرة والمال والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب
بالطبع لا محالة فاذا المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو اول الاسباب السبب
الثاني الاحسان فان الانسان عبيد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وقال رسول الله
صلى الله عليه اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي اشارة الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل
الى تغييرها وبهذا السبب قد يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا حقق رجع الى السبب الاول فان المحسن
من امد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتهيأ الوجود الا ان الفرق
ان اعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا
له كالطبيب الذي يكون سببا في دوام صحة الاعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها
والطبيب محبوب لا لذاته بل لانه سبب الصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سببا
للعلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذا يرجع
الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكل من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا بل احب احسانه
وهو فعل من افعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه
السبب الثالث ان يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه
وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال هو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة
لذاتها لا لغيرها ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها
وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوب لا ليشرب الماء او يؤكل الخضرة او
ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وكان رسول الله صلى الله عليه يعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى
الانوار والازهار والطيور المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لتنفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب
حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا احد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان
ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه ان الله جميل يحب الجمال الاصل الرابع
في بيان معنى الحسن والجمال اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الشكل و
الخلقة وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب على
الخلق حسن الابصار واكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متشكلا ولا متخيلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور حسنه
واذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة
وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا كوز حسن فاي معنى

لحسن

لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين تستلذ النظر الى الخط الحسن والاذن
تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات الا وهو منقسم الى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي تشترك فيه هذه
الاشياء لا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء فجماله وحسنه في ان يحضر
كماله الممكن له اللائق به فاذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما
حضر فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع
ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل
شيء في كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب
وكذلك سائر الاشياء فان قلت هذه الاشياء وان لم تدرك جميعها بحاسة البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك
الحواس لها فهي محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال في المحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك في غير المدرك
بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه
اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير وشيء
من هذه الصفات لا يدرك بالحواس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من
عرف صفاته وآية ذلك ان الامر كذلك ان الطباع مجبولة على حب الانبياء وعلى حب الصحابة مع انهم لم يشاهدوهم بل على حب ارباب المذاهب
مثل الشافعي وابي حنيفة ومالك وغيرهم حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع ماله
في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فكم من دم اريق في نصرة ارباب المذاهب وليت شعري
من يحب الشافعي رضي الله عنه مثلا فلم يحبه ولم يشاهد صورته قط ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على افراط الحب
هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين و
التقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافاضة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم وهذه امور جميلة لا يدرك
جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب ابا بكر الصديق رضي الله عنه ويفضله على غيره او يحب عليا رضي الله عنه ويفضله
ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم ان من يحب الصديق مثلا
ليس يحب لحمه وعظمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك يزول ويتبدل وينعدم ولكن يبقى ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات
المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة فكان الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وترجع تلك الصفات جملتها الى العلم والقدرة
اذا علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس و
محلهما من جملة البدن جزء لا يتجزى فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزى صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لاجله
فاذا الجمال موجود في السيرة ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الاخلاق
الحميدة والفضائل الشريفة ويرجع جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع غير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلي وطبعه اذا
اردنا ان نحببه الى غائب او حاضر او حي او ميت لم يكن لنا سبيل الا الاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فمهما
اعتقد لم يتمالك في نفسه ولم [illegible] المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاوة ووصفوا خالدا بالشجاعة احبتهما
القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهما بل اذا حكي عن سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض
العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع الياس عن انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار ونأي الديار فاذا ليس حب
الانسان مقصورا على حب من احسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة
ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة
لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه

للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشاً مصوراً على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبياً من الانبياء لجمال صورته الباطنة
السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال او حظ ولكن بمجرد تناسب
الارواح كما قال عليه السلام الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وقد ذكرنا في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه
لانه ايضاً من عجائب اسباب الحب فاذاً ترجع اسباب الحب الى خمسة اسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقاءه وحبه من احسن
اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسناً في نفسه الى الناس وان لم يكن محسناً اليه
وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة او الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب
في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن
الى الوالد كان محبوباً لا محالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات
في اقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في اعلى الدرجات فلنبين الآن ان هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله
فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله تعالى      ان المستحق للمحبة بالحقيقة هو الله تعالى وحده وان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى الله
فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وان حب الرسول محمود لانه عين حب الله وكذا حب العلماء والاتقياء لان محبوب المحبوب محبوب ورسول
المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل ولا يتجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر الا الله تعالى
ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه بان نرجع الى الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا يوجد في غيره الا
آحادها وانها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة
ضد ما تخيله ضعفاء العقول من استحالة حب الله تعالى تحقيقاً وبان ان التحقيق يقتضي ان لا تحب احداً غير الله تعالى فاما السبب الاول
وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله وهذه جبلة كل حي ولا يتصور ان ينفك
عنها وهذا يقتضي المحبة لله تعالى فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعاً انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال
وجوده من الله وبالله والى الله فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه و
الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالايجاد
وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود
شيء له قوام بنفسه الا القيوم الحي الذي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان احب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة
يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقاً موجداً ومخترعاً ومبقياً وقيوماً بنفسه ومقوماً لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه
وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصري من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا
زهد فيها ومن عرف البار لعدمها وكيف يتصور ان يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس لما كان
يحب الظل فيحب بالضرورة الاشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور
بالاضافة الى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما ان وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشخص بل هذا
المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام اذ تخيلوا ان النور اثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض اذ انكشف لارباب القلوب
انكشافاً اظهر من مشاهدة الابصار ان النور حاصل من قدرة الله اختراعاً عند وقوع المقابلة بين الاجسام الكثيفة كما ان نور الشمس
وعينها وشكلها وصورتها ايضاً حاصل من قدرة الله تعالى والغرض من الامثلة التفهيم فلا تطلب فيه الحقائق فاذاً ان كان حب الانسان
نفسه ضرورياً فحب من به قوامه اولاً ودوامه ثانياً في اصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره واعراضه ايضاً ضروري ان عرف ذلك
كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته
وهو عالم الشهادة التي تشاركه البهائم في التنعم بها والاتساع فيها دون عالم الملكوت التي لا يطأ ارضه الا من يقرب الى شبه من الملائكة
فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضيض عالم البهائم واما السبب الثاني وهو حب الانسان من احسن اليه



فواساه بماله ولاطفه بكلامه وامده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع اعداءه وقام بدفع شر الاشرار عنه وهذا بعينه يقتضي ان
لا يحب الا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو الله تعالى فقط واما انواع احسانه الى كل عبيده فلست
اعدها اذ ليس يحيط به حصر حاصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكنا نقتصر
الآن على بيان ان الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن انعم عليك بجميع خزائنه
ومكنك منها لتتصرف كيف تشاء وتظن ان هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته
الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذي انعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حببك اليه وصرف
وجهه اليك والقى في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما اعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله عليه
الدواعي وقرر في نفسه ان صلاح دينه او دنياه في ان يسلم اليك ماله كان مقهوراً مضطراً في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن
هو الذي اضطره وسخره لك وسلط عليه الدواعي الباعثة المرهقة الى الفعل واما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك و
صاحب اليد مضطر فيه اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته محسناً او شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو
واسطة كنت جاهلاً بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين
لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما آجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستسخار او الثنا او الصيت او الاشتهار
بالسخاء والكرم او اجتذاب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة له وكما ان الانسان لا يلقي ماله في البحر اذ لا غرض له فيه فلا يلقيه في يد انسان
الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مقصوده ومطلوبه واما انت فلست مقصوداً بل يدك آلة في القبض حتى يحصل غرضه من الثنا والذكر
والشكر او الثواب بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذاً محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله
من ماله عوضاً وهو ارجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجلك اصلاً البتة فاذا هو غير مستحق للشكر
والحب من وجهين احدهما انه مضطر بتسليط الله الدواعي عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فلا يرى محسناً
بتسليم خلعة الامير الى من خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير
ونفسه لما سلمه فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله عليه الدواعي والقى في نفسه
ان حظه ديناً ودنيا في بذله فبذله لذلك والثاني انه اعتاض عما بذله حظاً هو اوفى عنده واحب اليه مما بذله فكما لا يعد البائع محسناً
لانه بذل بعوض هو احب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب او الحمد والثنا او عوضاً آخر وليس من شرط العوض ان يكون
عيناً متمولاً بل الحظوظ كلها اعواض تستحقر الاموال والاعيان بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل المال من
غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله تعالى فهو الذي انعم على العالمين احساناً اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض
يرجع اليه فانه تعالى منزه عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب او مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع
الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي ان لا
يحب العارف الا الله تعالى اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده واما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط
الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته واما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا ايضاً موجود
في الطباع فانه اذا بلغك خبر ملك عالم عابد عادل رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من اقطار الارض بعيد عنك و
بلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو ايضاً بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد طبعك عن التوصل الى الاول
فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا ايضاً يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي ان لا يحب غيره اصلاً الا من
حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة والمتفضل على جميع اصناف الخلق اولاً بايجادهم وثانياً بتكميلهم بالاعضاء والاسباب
التي هي من ضروراتهم وثالثاً بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعاً
بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الراس والقلب

والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك
مما لو فات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضرورة من النعم الخارجة من بدن الانسان الما والغذا ومثال الحاجة الدوا و
اللحم والفواكه ومثال الزوايد والمزايا خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذائذ الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم
بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من اصناف الخلق من ذروة العرش
الى منتهى الثرى فاذا هو المحسن وكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن
وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان والحب بهذه العلة لغيره جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى
واما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال وقد بينا ان ذلك مجبول في الطباع وان
الجمال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الراس والى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة فالاول يدركه
الصبيان والبهايم والثاني يختص بدركه ارباب القلوب لا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكل جمال هو محبوب عند
مدرك الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبيا والعلما وذوي المكارم السنية والاخلاق
المرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وساير الاعضا وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك بالحس
اثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه مال القلب اليه فاحبه فمن احب رسول الله صلى الله عليه او الصديق او الشافعي رضي الله عنهم
فلا يحبهم الا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورتهم ولا لحسن افعالهم بل دل افعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذ
الافعال صادرة عنها ودالة عليها فمن راى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبنا البنا انكشف له من هذه
الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم اشرف واتم جمالا وعظمة كان العلم
اشرف واجمل وكذا المقدور كلما كان اعظم رتبة واجل منزلة كانت القدرة عليه اجل رتبة واشرف قدرا واجل المعلومات هو الله تعالى
فلا جرم اشرف العلوم واحسنها معرفة الله تعالى وكذلك ما يقاربها ويختص بها فشرفه على قدر تعلقه بها فاذا جمال صفات الصديقين
الذين تحبهم القلوب طبعا يرجع الى ثلثة امور احدها علمهم بالله وملايكته وكتبه ورسله وشرايع انبيايه والثاني قدرتهم على اصلاح
انفسهم واصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة والثالث تنزههم عن الرذايل والخبايث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير
الجاذبة الى طريق الشر وبمثل هذا يحب الانبيا والخلفا والعلما والملوك الذين هم اهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات
الله تعالى اما العلم فاين علم الاولين والاخرين من علم الله الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب الخلق كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض والسما على ان
يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشيره ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شا والقدر اليسير الذي
علمه الخلايق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فان كان جمال العلم وشرفه امرا محبوبا وكان هو في نفسه
زينة وكمالا للموصوف فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله تعالى فعلوم العلما جهل بالاضافة الى علمه بل من عرف اعلم اهل زمانه واجهل
اهل زمانه استحال ان يحب بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم وان كان الاجهل لا يخلو عن علم ما تقتضيه معيشته والتفاوت بين علم
الله تعالى وبين علم الخلايق اكثر من التفاوت بين علم اعلم الخلق واجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية
يتصور في الامكان ان ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلايق كلها خارج عن النهاية اذ معلوماته
لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية واما صفة القدرة فهي ايضا كمال والعجز نقص وكل كمال وبها ومجد وعظمة واستيلا فانه محبوب
وادراكه لذيذ حتى ان الانسان ليسمع في الحكاية شجاعة علي وخالد وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلايهما على الاقران فيصادف
في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهدة وتورث ذلك حبا ضروريا في القلب للمتصف به فانه نوع
كمال فانسب الآن قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات واقمعهم
لخبايث النفس واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى قدرته وانما غايته ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض



اشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا بل لا يقدر على حفظ عينه
من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته
فضلا عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات وافلاكها وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها
وحيواناتها وجميع اجزايها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق
قدرته وخالق اسبابه والممكن من ذلك ولو سلط بعوضا على اعظم ملك واقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين
مولاه كما قال في اعظم الملوك ذي القرنين انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شي سببا فلم يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله اياه
في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة
ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله وتمكينه فيستحيل ان يحب عبدا من عباد الله لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلايه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى
لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الجبار القاهر والعليم القادر السموات مطويات بيمينه والارض وما عليها في قبضته
وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند اخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق امثالهم الف مرة لا يعيي بخلقه
ولا يمسه لغوب وفتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا وهو اثر من اثار قدرته فله الجمال والبها والعظمة والكبريا والقهر والاستيلا
فان كان يتصور ان يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه اصلا واما صفة التنزه عن العيوب والنقايص
والتقدس عن الخبايث والرذايل فهو احد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصورة الباطنة والانبيا والصديقون وان
كانوا منزهين عن العيوب والخبايث فلا يتصور كمال التقدس والتنزه الا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاكرام واما
كل مخلوق فلا يخلو عن نقص ونقايص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا
بقدر ما اعطاه وليس في المقدور ان ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال اقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره وقايما بغيره
وذلك محال في حق غيره فالمنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب هو الله تعالى وشرح وجوه التقدس والتنزيه في حقه عن
النقايص يطول وهو من اسرار علوم المكاشفات فلا نطول بذكره فهذا الوصف ايضا ان كان كمالا وجمالا محبوبا فلا تتم حقيقته الا له
وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو اشد نقصانا كما للفرس كمال بالاضافة الى الحمار وللانسان كمال بالاضافة الى
الفرس واصل النقص شامل للكل وانما يتفاوتون في درجات النقصان فاذا الجميل القادر الذي يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا راد لحكمه
ولا معقب لقضايه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة
ولا ينفلت عن سطوته وبطشه رقاب القياصرة الازلي الذي لا اول لوجوده الابدي الذي لا اخر لبقايه الضروري الوجود الذي لا يدور
امكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار الارض والسموات خالق الجماد والحيوان والنبات
المنفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبها والجمال والقدرة والكمال الذي تتحير في معرفة جلاله العقول
وتخرس في وصفه الالسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبيا الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال
سيد الانبيا صلى الله عليه انت كما اثنيت على نفسك لا احصي ثنا عليك وقال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك ادراك سبحان من
لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله مجازا اينكر ان هذه الاوصاف
هي اوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن او ينكر كون الله عز وجل موصوفا بها او ينكر كون الجمال والكمال والبها والعظمة
والكبريا محبوبا بالطبع عند من ادركه فسبحان من احتجب عن بصاير العميان غيرة على جلاله وجماله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى
الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهايم يترددون يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون والحب بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان فان الاحسان
يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلم ان اود الاودا الي من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور
من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى عليه السلم على طايفة من العباد قد نحلوا فقالوا نخاف

لانه يرجو الجنة فقال انتم مخلوقون خفتم مخلوقا ورجوتم مخلوقا ومر بقوم اخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله
حقا معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم اني لاستحي ان اعبده للعقاب والثواب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل
وكالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وفي الخبر لا يكونن احدكم كالاجير السوء ان لم يعط اجره لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم
يعمل واما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة اذ شبه الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل اميل ولذلك ترى الصبي يالف
الصبي والكبير الكبير ويالف الطير نوعه وانس العالم بالعالم اكثر منه بالمحترف وانس النجار بالنجار اكثر من انسه بالفلاح وهذا امر تشهد
له التجربة وتشهد له الاخبار والاثار كما استقصيناه في باب الاخوة في الله من كتاب اداب الصحبة فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب
التحاب والمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي للصبي في معنى الصبا وقد يكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد
الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال وطمع في مال او غيره كما قال صلى الله عليه الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما
تناكر منها اختلف والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب ايضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة
في الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر
عليها السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من الله تعالى في الصفات التي امر فيها بالاقتداء والتخلق
باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التي امر فيها بالاقتداء من صفات الالهية من العلم والبر و
الاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة
فكل ذلك يقرب الى الله سبحانه لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات واما ما لا يجوز ان يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص
بها الادمي فهي التي يومي اليها قوله تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي اذ بين انه امر رباني خارج عن حد عقول الخلق واشد
اليه قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة اذ لم يستحق ادم خلافة الله الا بتلك المناسبة واليه يرمز قوله عليه السلام ان الله تعالى خلق
ادم على صورته حتى ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى رب العالمين عما يقول
الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدني فقال وكيف ذلك قال مرض فلان عبدي ولو عدته
لوجدتني عنده وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض كما قال النبي صلى الله عليه خبرا عن الله تعالى ولا يزال العبد
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع يجب قبض عنان
القلم عنه فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول
حتى قال بعضهم انا الحق وضل النصارى عليهم اللعنة في عيسى عليه السلام فقالوا هو الاله وقال اخرون تدرع الناسوت باللاهوت وقال اخرون
اتحد به واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون ولعل
ابا الحسين النوري عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد في قول القائل لا زلت انزل من ودادك منزلا تتحير الالباب عند نزوله
فلم يزل يعدو في وجده على اجمة قصب قد قطعت وبقي اصولها حتى تقطعت قدماه وتورمتا ومات منه وهذا هو اعظم اسباب الحب واقواها و
اعزها وابعدها واقلها وجودا فهذه هي المعلومة من اسباب الحب وجملتها متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفي اعلى الدرجات
لا في ادناها فكان المعقول المقبول عند ذوي البصائر حب الله تعالى فقط كما كان المعقول الممكن عند العميان حب غير الله فقط ثم كل
من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولا ينفرد
احد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الاوصاف التي هي نهاية
الجلال والكمال ولا شريك له فيه وجودا ولا يتصور ان يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كما
لا يتطرق الى صفاته فهو المستحق اذا لاصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه اصلا

بيان ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يوثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة

اعلم ان اللذات تابعة للادراكات
والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها لمقتضى طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت



في الانسان عبثا بل خلقت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم
لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل
الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والاستشمام فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن
الم ولذة بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي لقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة
والضعيف يظن ان الاختلاف واقع في المعاني لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر اجزاء
البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم وافتقاره الى مدبر خالق حكيم موصوف بصفات الهية
وتسمى تلك الغريزة عقلا بشرط ان لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه الصوفية
والا فالصفة التي بها فارق الانسان البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى اعز الصفات فلا ينبغي ان تذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم
بها حقائق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى طبع سائر الغرائز هي لذتها وليس يخفى ان في العلم
والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتى
لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح به في الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم وينطلق
لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من اخص صفات الربوبية وهو منتهى الكمال ولذلك
يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويتلذذ به ثم ليس لذة العلم بالحراثة
والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوت السموات
والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتى ان الذي يعرف بواطن احوال الناس ويخبر به يجد له لذة و
ان جهله تقاضاه طبعه ان يفحص فان علم بواطن احوال رئيس البلد واسرار تدبيره في رياسته كان ذلك الذ عنده واطيب من علمه بباطن
حال فلاح او حائك فان اطلع على اسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في امر الوزارة فهو اشهى عنده والذ من علمه باسرار الرئيس
فان كان خبيرا بباطن احوال الملك والسلطان الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك اطيب عنده والذ من علمه بباطن امر الوزير وكان
تمدحه بذلك وحرصه على البحث عنه اشد وحبه له اكثر لان لذته فيه اعظم فبهذا استبان ان الذ المعارف اشرفها وشرفها بحسب شرف
المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت
شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى واشرف واكمل واعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها
وهل يتصور ان تكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال اعظم من الحضرة الربوبية التي لا يحيط بمبادئ جلالها وعجائب احوالها
وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم بترتيب الامور الالهية المحيطة بكل
الموجودات هو اعلى انواع المعارف والاطلاعات والذها واطيبها واشهاها واحرى ما تستشعر النفوس عند الاتصاف به كمالها
وجمالها واجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله
وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة اقوى من سائر اللذات اعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر
الحواس الخمس فان اللذات مختلفة بالنوع كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق
المغتلم من الجماع بالاضافة الى لذة الفاتر الشهوة وكمخالفة لذة النظر الى الوجه الجميل البالغ في الجمال بالاضافة الى ما دونه في الجمال وانما تعرف اقوى اللذات
بان تكون موثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى الجمال علم
به ان الصورة الجميلة الذ عنده من الروائح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان
لذة الغلبة في الشطرنج اقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذة
الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيره اذ ليست هذه اللذة للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق

والمعاني الباطنة أغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الهريسة والدجاج المسمن واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الأعداء ونيل درجة الاستيلاء فإن كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد النهمة اختار الهريسة والحلاوة وإن كان علي الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياماً كثيرة فاختياره للرياسة يدل على أنها ألذ عنده من الهريسة والمطعومات نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي أو الذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما أن لذة الرياسة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبي والعته فلذة معرفة الله ومطالعة جمال الحضرة الربوبية والنظر إلى أسرار الأمور الإلهية ألذ من الرياسة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه أن يقال فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وأنه أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعاً فإنه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرؤسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونها مشوبة بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونها مقطوعة بالموت الذي لا بد من إتيانه مهما أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فيستعظم بالإضافة إليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين إلى أسفل السافلين فإنها خالية عن المزاحمات والمكدرات متسعة للواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتهم وإنما عرضها من حيث التقدير السموات والأرض وإذا أخرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والأرض يرتع في رياضها ويقتطف من ثمارها ويكرع في حياضها وهو آمن من انقطاعها إذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى إذ محلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي وإنما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فأما أن يعدمها فلا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا الآية ولا تظنن أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفي الخبر أن الشهيد يتمنى في الآخرة أن يرد إلى الدنيا ليقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وأن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فإذاً جميع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منها حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلاً إلا أنهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة وهي باطنة أقوى في ذوي الكمال من لذات الحواس كلها وأن هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا للصبي ولا للمعتوه وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذات الحواس كلها وأن هذه اللذة لا تكون لبهيمة مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فأما كون معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم من لذة الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن إثبات ذلك عند من لا قلب له لأن القلب معدن هذه القوة كما أنه لا يمكن إثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبي ولا رجحانها على لذة شم البنفسج عند العنين لأنه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذات ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى إلا أن يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وإن لم يشتغلوا بطلب معرفة الأمور الإلهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فإنها أيضاً معارف وعلوم وإن كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الإلهية فأما من طال فكره في معرفة الله تعالى وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فإنه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك إلا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على أن معرفة الله تعالى ألذ الأشياء وأنه لا لذة فوقها ولهذا قال أبو سليمان الداراني إن لله عباداً ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض إخوان معروف له أخبرني يا أبا محفوظ أي شيء هاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال وأي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شيء القبر فقال خوف



النار ودرج الجنة فقال وأي شيء هذا إن ملكاً بيده هذا كله إن أحببته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفي أخبار عيسى عليه السلام إذا رأيت الفتى مشغوفاً في طلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عن ما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحارث في النوم فقال ما فعل أبو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان قلت فأنت قال علم الله تعالى قلة رغبتي في الأكل والشرب فأعطاني النظر وعن علي بن الموفق أنه قال إني رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة فرأيت رجلاً قاعداً على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلاً قائماً على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضاً ويرد بعضاً قال ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس فرأيت في سرادقات العرش رجلاً قد شخص ببصره ينظر إلى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفاً من ناره ولا شوقاً إلى جنته بل حباً له فأباحه الله النظر إليه إلى يوم القيامة وذكر أن الآخرين بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل ولذلك قال أبو سليمان رضي الله عنه من كان اليوم مشغولاً بنفسه فهو غداً مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولاً بربه فهو غداً مشغول بربه وقال الثوري رضي الله عنه لرابعة ما حقيقة إيمانك قالت ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حباً له وشوقاً إليه وقالت في معنى المحبة نظماً أحبك حبين حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو أهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه حيث قال أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد يعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ولذلك قال بعضهم إني أقول يا رب يا الله فأجد ذلك أثقل على قلبي من الجبال لأن النداء يكون من وراء الحجاب وهل رأيت جليساً ينادي جليسه وقال إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنوناً أو كفراً فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم منها وإذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقاً بنعيمها فلو ألقي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لا يفهم إلا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وما له صورة ولا شكل وأي معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكر أنه أعظم النعم بل من عرف الله عرف أن اللذات المقرونة بالشهوات المختلفة تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم:

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت إذ رأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده فصرت مولى الورى إذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلاً بحبك يا ديني ودنيائي

ولذلك قال بعضهم من هجره أعظم من ناره ووصله أطيب من جنته وما أرادوا به إلا إيثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنكاح فإن الجنة معدن تمتع الحواس فأما القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثال أطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو أن الصبي في أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الأشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما كان قبلها في الوصول إليها ثم يظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر الآية ثم يظهر بعد هذا غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها وكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الأخير إذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الأربعين وهي الغاية العليا وكما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون

## السبب في زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا

اعلم أن المدركات تنقسم إلى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والأجسام المتلونة المتشكلة من أشخاص الحيوان والنبات وإلى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والإرادة والقدرة وغيرها ومن رأى إنساناً ثم غض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر إليها

ولكن أوضح وأظهر وذلك لمعرفتها ولا يرجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين إلا أن الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وإنما
الافتراق لمزيد الوضوح والكشف فإن صورة المرئي صارت بالرؤية أتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص نرى في وقت الإسفار قبل انتشار
ضوء الشمس ثم نراه عند تمام الضوء فإنه لا يفارق إحدى الحالتين الأخرى إلا في مزيد الانكشاف فإذا الخيال أول الإدراك والرؤية هي الاستكمال
لإدراك الخيال وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لأنه غاية الكشف لا لأنه في العين بل لو خلق الله هذا الإدراك الكامل المكشوف
في الجبهة أو الصدر استحق أن يسمى رؤية فإذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم أن المعلومات التي لا تتشكل في الخيال أيضا لمعرفتها
وإدراكها درجتان إحداهما أولى والثانية استكمال لها وبين الأولى والثانية من التفاوت في مزيد الكشف والإيضاح ما بين المتخيل
والمرئي فيسمى الثاني أيضا بالإضافة إلى الأول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لأن الرؤية سميت رؤية لأنها غاية الكشف
وكما أن سنة الله جارية بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب
لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الإدراك الحاصل مجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله أن النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى
الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية فإنها لا تنتهي إلى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب
عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار والقول في سبب كونه حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى لن تراني
وقال تعالى لا تدركه الأبصار أي في الدنيا والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه ما رآه ليلة المعراج فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس
ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وإن كانت متفاوتة فيها فمنها ما تراكم عليها الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسد بطول
تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الإصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد نعوذ بالله منه ومنها ما لم ينته إلى حد الرين في
الطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر
الحاجة إلى التزكية وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها في حق المؤمنين كما وردت به الأخبار سبعة آلاف سنة ولن تنفك نفس في هذا العالم إلا
وتصحبها غبرة وكدورة ما وإن قلت ولذلك قال تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها
جثيا فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور منها فإذا أكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ
عن جملة ما وعد الشرع به من العرض والحساب وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه فإنه
وقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يشتغل لصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لأن
يتجلى فيه الحق سبحانه فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما علمه كانكشاف تجلي المرئيات بالإضافة إلى ما تخيله وهذه المشاهدة
والتجلي هي التي تسمى رؤية فإذا الرؤية حق بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فإن
ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة
كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهد
في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربناه من المثال في استكمال الخيال بالرؤية فإذا لم يكن في
معرفة الله إثبات صورة وجهة فلا تكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح إلى غاية الكشف أيضا جهة وصورة لأنها هي
بعينها لا تفترق إلا في زيادة الكشف كما أن الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها إلا في زيادة الكشف وإليه الإشارة بقوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم
وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا
لأن المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرا والبذر زرعا ومن لا نواة له في أرضه فكيف يحصل له نخل ومن
لم يزرع البذر فكيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا
على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذور إذ تختلف لا محالة
بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال صلى الله عليه إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة فلا ينبغي أن تظن أن
غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر بل لا يجد إلا عشر عشيره إن كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره ولما

فضل

فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به وكما أنك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المنكوح والمطعوم ويرى
من يؤثر لذة العلم والانكشاف في ملكوت السماوات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرياسة وعلى المطعوم والمنكوح جميعا فكذلك يكون في
الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة إذ يرجع نعيمها إلى المنكوح والمطعوم وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في
الدنيا ما وصفناه من إيثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك
لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة قالت الجار ثم الدار فبينت أنه ليس في قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب الجنة وكل من لم يعرف الله
في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه
في الدنيا ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه ولا يموت إلا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هي التي يتنعم بها بعينها
فقط إلا أنها تنقلب مشاهدة بكشف الغطاء فيتضاعف اللذة بها كما يتضاعف لذة العاشق إذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته
فإن ذلك منتهى لذته وإنما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي إلا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فإذا
نعيم الجنة بقدر حب الله وحب الله بقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالإيمان فإن قلت فلذة الرؤية
إن كان لها نسبة إلى لذة المعرفة فهي قليلة وإن كان أضعافها لأن لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها إلى حد قريب لا ينتهي في القوة
إلى أن يستحقر سائر لذات الجنة فيها فاعلم أن هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك
لذتها وإن انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله
تعالى لذات لو عرضت الجنة عليهم في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها أصلا إلى لذة اللقاء والمشاهدة
كما لا نسبة للذة خيال المعشوق إلى رؤيته ولا للذة استنشاق روائح الأطعمة الشهية إلى ذوقها ولا للذة اللمس باليد إلى لذة الوقاع
وإظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن إلا بضرب مثال فنقول لذة النظر إلى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت بأسباب أحدها كمال
جمال المعشوق ونقصانه فإن اللذة في النظر إلى الأجمل أكمل لا محالة والثاني كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من
اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه والثالث كمال الإدراك فليس التذاذ برؤية المعشوق في ظلمة أو من حجاب وستر
رقيق أو من بعيد كالتذاذه بإدراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا إدراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كإدراكها مع التجرد
والرابع اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر إلى المعشوق كالتذاذ الخائف
المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بمهم من المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر إلى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد
بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من
مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجأة حالة انهتك بها الستر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه
الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف يتضاعف اللذة حتى لا يبقى للأولى إليها نسبة يعتد بها فكذلك فافهم
نسبة لذة النظر إلى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزنابير مثال الشهوات المتسلطة على الإنسان
من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب مثال لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن التشوق إلى الملأ الأعلى
والتفاتها إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته إلى اللعب بالعصفور والعارف وإن قويت في
الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور أن يخلو عنها ألبتة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الأحوال ولا تدوم فلا جرم
يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل ويعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر بعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف قلما يدوم بل يعرض
من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة إلى الموت
وإنما الحياة الطيبة بعد الموت وإن العيش عيش الآخرة وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وكل من انتهى إلى هذه الرتبة فإنه
يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فإن المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له والإحاطة
بكنه جلال الله محال وكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وبأسرار مملكته وقويت كثر النعيم في الآخرة وعظم كما أنه كلما كثر البذر

وحسن لكثرة الورع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا ولا يزرع الا في صعيد القلب ولا يحصد الا في الآخرة ولهذا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله لان المعرفة انما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة
على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب فيستدعي ذلك زمانا لا محالة من احب الموت احبه لانه رأى نفسه واقفا في المعرفة
بالغا الى منتهى ما تيسر له وعرف ان الموت كفيه لانه كان يتوقع مزيد معرفة يحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما تحتمله قوته لو عمر وهذا سبب
كراهة الموت وحبه عند اهل المعرفة واما سائر الخلق فهمهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت احبوا البقاء وان ضاقت تمنوا الموت
وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الغفلة والجهل فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة اساس كل سعادة وقد عرفت بما
ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها الذ من سائر اللذات
عند ذوي الكمال وان لم يكن كذلك عند ذوي النقصان كما لم تكن الرياسة الذ من المطعومات عند الصبيان فان قلت فهذه الرؤية
محلها القلب او العين في الآخرة فاعلم ان الناس اختلفوا في ذلك وارباب البصائر لا يلتفتون الى ذلك الاختلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل
يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن ان يلتفت الى ان رؤيته هل يخلق في عينه او في جبهته بل يقصد
الرؤية ولذتها سواء كانت بالعين او بغيرها فان العين محل وظرف لا نظر اليه ولا حكم له والحق فيه ان القدرة الازلية واسعة فلا يجوز
ان يحكم عليها بالقصور عن احد الامرين هذا في حكم الجواز فاما الواقع في الآخرة من الامرين فلا يدرك الا بالسمع والحق ما ظهر لاهل
السنة والجماعة من شواهد الشرع ان ذلك يخلق في العين ليكون لفظ النظر والرؤية وسائر الالفاظ الواردة في الشرع مجريا على ظاهره
اذ لا يجوز ازالة الظاهر الا لضرورة

## الاسباب المقوية لحب الله تعالى

اعلم ان اسعد الخلق حالا في الآخرة اقواهم حبا
لله فان الآخرة معناها القدوم على الله ودرك سعادة لقائه وما اعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام
مشاهدته ابد الآباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازداد
الحب ازدادت اللذة وانما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا واصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب و
استيلاؤه حتى ينتهي الى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين احدهما قطع علائق الدنيا واخراج
حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب
في ان يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما يبقى من الماء
في الاناء ينقص من الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وبقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله اي لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به
وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض الهوى ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شركة لغير الله فيكون الله محبوب
قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله كانت الدنيا سجنه لانها مانعة له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاصا من السجن وقدوما على
المحبوب فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبسه فخلي من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن ابد الآباد
فاحد اسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات
حتى ان المتفرج بطيب اصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله بسببه فبقدر ما انس بالدنيا ينقص
انسه بالله ولا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من
المغرب بقدره ولا يطيب قلب امرأته الا ويضيق به قلب ضرتها والدنيا والآخرة كالضرتين وهما كالمشرق والمغرب وقد انكشف ذلك لذوي
القلوب انكشافا اوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد اليهما بزمام الخوف
والرجاء فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها احد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله تعالى
واوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك الى الزهد

في الدنيا

في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه
فيه فكل ذلك مقدمات لتطهير القلب وهو احد ركني المحبة واليه الاشارة بقوله عليه السلام الطهور شطر الايمان كما ذكرناه في اول كتاب
الطهارة السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب عن جميع شواغل
الدنيا وعلائقها فيجري مجرى وضع البذر في الارض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة و
المعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله تعالى لها مثلا حيث قال ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء واليها الاشارة
بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فهي المعرفة والعمل الصالح كالحمال لهذه المعرفة وكالخادم وانما العمل الصالح كله
في تطهير القلب اولا من الدنيا ثم ادامة طهارته ولا يراد العمل الا لهذه المعرفة واما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الاول
واما الاول علم المعاملة ومقصده العمل ومقصود المعاملة صفاء القلب وطهارته لينضح فيها جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة
ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل المزاج اذا ابصر الجميل وادركه بالعين الظاهرة احبه ومال
اليه ومهما احبه حصلت اللذة فاللذة تتبع المحبة بالضرورة والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل
الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله وصفاته وملكوت سمواته وسائر مخلوقاته
والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقوياء ويكون اول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء فيكون اول معرفتهم بالافعال
ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو ومنه
نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي والى الثاني الاشارة بقوله تعالى سنريهم اياتنا
في الافاق وفي انفسهم وبقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وبقوله قل انظروا ماذا في السموات والارض وبقوله تعالى
الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين وهذا الطريق هو
الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في ايات خارجة عن
الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فاوضح منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل بها الى المحبة فاعلم ان الطريق الاعلى
فهو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنها لاعراضها عن
التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس والمانع من ذكرها لكثرته وانشعاب ابوابه الخارجة عن الحصر والنهاية فما
من ذرة من اعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجائب وآيات تدل على كمال قدرة الله وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته و
ذلك مما لا يتناهى بل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فالخوض فيه غوص في بحار علوم المكاشفة
فلا يمكن ان نتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبه لجنسه فنقول اسهل الطريقين
النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب اقلها واصغرها واحقرها ولننظر في عجائبها فا
المخلوقات هي الارض وما عليها اعني بالاضافة الى الملائكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص
فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس
بالاضافة الى فلكها الذي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالاضافة الى ما فوقها من السموات ثم
السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش كذلك فهذا نظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما احقر الارض
كلها بالاضافة اليها بل ما احقر الارض بالاضافة الى البحار فقد قال صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض ومصداق هذا
عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم ان المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر الى الادمي المخلوق من
التراب الذي هو جزء من الارض والى سائر الحيوانات والى صغره بالاضافة الى الارض ودع عنك جميع ذلك فاصغر ما نعرفه
من الحيوانات البعوض والنمل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف وانظر كيف خلقه
الله تعالى على شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الاعضاء

كما خلقه للفيل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم اعضاءه الظاهرة فانبت جناحه واخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه
من اعضا الغذا والاته ما دبره في ساير الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذيه والدافعه والجاذبه والماسكه والهاضمه ما ركب
في الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذايه وعرفه ان غذاءه دم الانسان ثم انظر كيف انبت
له آلة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الراس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه
في واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجري فيه الدم
الرقيق وينتهي الى باطنه وينتشر في ساير اجزايه ويغذيه ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد الطيران
وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة عنه فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين
حتى يبصر مواضع غذايه فيقصدها مع صغر حجم وجهه وانظر الى حدقة كل حيوان صغير لما لم يحتمل حدقته الاجفان لصغرها وكانت الاجفان
مصقلة لمراة الحدقة عن القذا والغبار خلق للبعوض والذباب يدين فتنظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه واما الانسان
والحيوان الكبير فخلق لحدقتيه الاجفان حتى ينطبق احدهما على الاخر واطرافها حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميها الى اطراف
الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضو العين وتعين على الابصار وتحسن صورة العين وتشبيكها عند هيجان الغبار فينظر من
وراء شباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار واما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير اجفان وعلمها
كيفية التصقيل باليدين ولاجل ضعف ابصارها تراها تتهافت على السراج لان بصرها ضعيف وهي تطلب ضو النهار فاذا رات ضو السراج بالليل ظنت
انها في بيت مظلم وان السراج كوة من البيت المظلم الى الموضع المضي فلا تزال تطلب الضو وترمي بنفسها الى الكوة فاذا جاوزتها ورات الظلام
ظنت انها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود اليها مرة اخرى الى ان تحترق ولعلك تظن ان هذا لنقصانها وجهلها فاعلم ان
جهل الانسان اعظم من جهلها بل صورة الادمي في الاكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار اذ تلوح للادمي
انوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم القاتل فلا يزال يرمي نفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك
هلاكا موبدا فليت كان جهل الادمي كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضو ان احترقت بالنار تخلصت في الحال والادمي
يبقى في النار ابد الاباد او مدة مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه ويقول انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش والذباب
وانا اخذ بحجزكم فهذه لمعة من عجايب صنع الله تعالى في اصغر الحيوانات وفيها من العجايب ما لو اجتمع الاولون والاخرون على الاحاطة
بكنهها عجزوا عن حقيقتها ولم يطلعوا الا على امور جلية من ظاهر صورتها فاما خفايا معانيها فلا يطلع عليها الا الله تعالى ثم في
كل حيوان ونبات اعجوبة واعاجيب تخصها لا يشاركها فيها غيرها فانظر الى النحل وعجايبها وكيف اوحى الله اليها حتى اتخذت من الجبال
بيوتا ومن الشجر وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضيا والاخر شفا ثم لو تاملت عجايب امرها في تناولها الازهار والانوار
واحترازها عن النجاسات والاقذار وطاعتها لواحد من جملتها هو اكبرها شخصا وهو اميرها ثم ما سخر الله له اميرها من العدل والانصاف
بينها حتى انه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها العجب ان كنت بصيرا في نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك و
شهوات نفسك في معاداة اقرانك وموالاة اخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بنايها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة
الاشكال الشكل المسدس فلا تبني بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في شكل المسدس يقصر فهم المهندس عن دركه
وهو ان اوسع الاشكال واحواها المستدير وما يقرب منه فان المربع يخرج منه زوايا ضايعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع
حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضايعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع
متراصة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا
المسدس فهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف الهم الله تعالى النحل على صغر جرمه لطفا وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليتهنى عيشه
فسبحانه ما اعظم شانه واوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه اللمع اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجايب ملكوت الارض
والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الاعمار دون ايضاحه ولا نسبة لما احاط به علمنا الى ما احاط به العلما والانبيا

ولا نسبة

ولا نسبة لما احاط به علم الخلايق كلهم الى ما استاثر الله تعالى بالاحاطة به بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم
الله تعالى فبالنظر في هذا وامثاله تزداد المعرفة الحاصلة باسهل الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقا
الله تعالى فانبذ الدنيا ورا ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدايم والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك اليسير
ملكا عظيما لا اخر له

السبب في تفاوت الناس في الحب

اعلم ان المومنين مشتركون في اصل الحب لاشتراكهم في اصل الايمان
ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشيا انما تتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس لهم من الله تعالى
الا الصفات والاسما التي قرعت سمعهم فتلقنوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الارباب وربما لم يطلعوا على
حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى بل امنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهولاهم اصحاب اليمين والمتخيلون
هم الضالون والعارفون بالحقايق هم المقربون وقد ذكر الله تعالى حال الاصناف الثلاثة في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح
وريحان وجنة نعيم الايه واذا كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول اصحاب الشافعي رضي الله عنهم مثلا
يشتركون في حب الشافعي العوام والفقها لانهم يشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف
علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فيكون معرفة الفقيه به اتم واعجابه به وحبه له اشد فان من راى تصنيف مصنف واستحسنه
وعرف به فضله احبه لا محالة ومال اليه قلبه فان راى تصنيفا اخر احسن منه واعجب تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعف معرفته
بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه يحسن الشعر فيحبه فاذا سمع من غرايب شعره ما عظم به حذقه وصنعته ازداد به معرفته
وازداد له حبا وكذا ساير الصناعات والفضايل والعامي قد يسمع ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف
فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجايب تضاعف حبه لا محالة
لان عجايب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعامي يعلم
ذلك ويعتقده واما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله وتصنيفه فيها حتى يرى في البعوض مثلا من عجايب صنعه ما يبهر عقله ويتحير
فيه لبه فيزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على اعاجيب صنع الله اطلاعا
استدل به على عظمة الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة اعني عجايب صنع الله لا ساحل له فلا جرم تفاوت
اهل المعرفة في الحب لا حصر له ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه
محسنا اليه منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلا كحبه في حالة الرخا والنعمة
واما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فهذا وامثاله هو
سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو سبب التفاوت في سعادة الاخرة ولذلك قال تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر
تفضيلا

السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي
ان تكون معرفته اول المعارف واسبقها الى الافهام واسهلها على العقول ونرى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه
وانما قلنا انه اظهر الموجودات واجلاها لمعنى لا تفهمه الا بمثال وهو انا اذا راينا انسانا يكتب او يخيط كان كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات
فحياته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة اجلى عندنا من ساير صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته
ومرضه كل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته اما
حياته وعلمه وارادته وقدرته وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير ان يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وارادته فان هذه الصفات
لا تحس بشي من الحواس الخمس ثم لا يمكن ان نعرف حياته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل ما في العالم سواه لم
نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله وقدرته وعلمه وساير صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده
وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسما وارض وكوكب وبحر ونار وهوا وجوهر وعرض بل
اول شاهد عليه انفسنا واجسامنا واوصافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا واظهر الاشيا

في علمنا بانفسنا واجسامنا واوصافنا المحسوسة بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه
المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها
ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته وارادته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة
عندنا وليس يشهد له الا شاهد واحد وهو ما احسسنا من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شي داخل نفوسنا
وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها
وانها تحتاج الى موجد ومحرك لها تشهد بذلك اولا تركيب اعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا واعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل
اطرافنا وسائر اجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم انها لم تاتلف بنفسها كما نعلم ان يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود
مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما تقصر
عن فهمه عقولنا له سببان احدهما خفاوه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والاخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش
يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا اشرقت
فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى الا اذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة
وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت
السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره ولا يتعجب
من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى انه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل
بعضها دون البعض ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق
على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب
لها لكنا نظن ان لا هيئة في الاجسام الا الوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا
البياض فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت
قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك
لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به يدرك سائر المحسوسات
فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو اظهر الامور وبه ظهرت
الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك به التفرقة بين الحالين ولو
كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق
واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورثت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام واما من
قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال امره لا يرى الا الله ولا يعرف غيره ويعلم انه ليس في الوجود الا الله تعالى وافعاله
اثر من اثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذا حاله فلا ينظر
في شي من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وارض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع فلا يكون
نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر انسان او خطه او تصنيفه راى فيه الشاعر والمصنف وراى اثاره من حيث انه اثاره لا من حيث
انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله تعالى و
عرفه من حيث انه فعل الله واحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا لله وكان هو الموحد الحق الذي
لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه واليه
الاشارة بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه امور معلومة عند ذوي الابصار اشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور
قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى الافهام او باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم



مما لا يعنيهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدركها
في الصبى عند فقد العقل ثم تبدو له غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد انس بمدركاته ومحسوساته والف
بها فسقط وقعها عن قلبه لطول الانس ولذلك اذا راى على سبيل الفجاة حيوانا غريبا او نباتا غريبا او فعلا من افعال الله الخارق
للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه واعضاءه وسائر الحيوانات المالوفة وكلها
شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الانس ولو فرض اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض و
الاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجاة يخاف على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب على خالقها
فهذا وامثاله من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هي التي سدت على الخلق سبيل الاستضاءة بنور المعرفة والسباحة في بحارها
الواسعة والناس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذ كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت
مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فليحقق ولذلك قيل

لقد ظهرت فما تخفى على احد *** الا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا *** فكيف يعرف من بالعرف قد سترا

## معنى الشوق الى الله تعالى

اعلم ان من انكر حقيقة
المحبة لله تعالى فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى المحبوب ونحن نثبت وجود الشوق الى الله تعالى وكون
العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصائر وبطريق الاخبار والاثار اما الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات
الحب فكل محبوب فهو مشتاق اليه في غيبته لا محالة فان الحاصل الحاضر لا يشتاق اليه لان الشوق طلب وتشوق الى نيل امر و
الموجود لا يطلب ولكن بيانه ان الشوق لا يتصور الا الى شي ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لم يدرك اصلا فلا يشتاق اليه
فمن لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه
مداوما للنظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين لا ينكشف
الا بمثال من المشاهدات ونحن نقول من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه ولو راه لم يتصور ان يشتاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه
تشوق نفسه الى استكمال خياله ولذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال صورته وتمام الانكشاف
في صورته باشراق الضوء عليه والثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر اعضائه فيشتاق الى رؤيته وان
لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكن يعلم ان له عضوا واعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق
الى ان ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فانه ما اتضح
للعارفين من الامور الالهية وان كان في غاية الوضوح فكانه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب
التخيلات فان الخيالات لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المتخيلات المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنغصات
وكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا وانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الاخرة وذلك بالضرورة
يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا احد نوعي الشوق وهذا هو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما الثاني ان الامور
الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى امور لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله
ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات اكثر مما حضر فلا يزال متشوقا مشتاقا الى ان يحصل له اصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات
التي لا يعرفها اصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الاول ينتهي في الدار الاخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة
ولا يتصور ان يسكن في الدنيا وقد كان ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يا رب ان اعطيت احدا من المحبين
لك ما يسكن قلوبهم قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في النوم كانه اوقفني بين يديه وقال يا ابراهيم اما استحييت
مني ان تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول
فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك واوزعني شكر نعمائك فان هذا الشوق يسكن في الاخرة
واما الشوق الثاني فيشبه ان لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الاخرة اذ نهايته ان ينكشف للعبد في الاخرة من جلال الله تعالى

وصفاته وحكمته وافعاله مما هو معلوم لله وهو محال لان ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له
فلا يسكن قلبه قط ولا يضعف شوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه شوق الى استكمال الوصال مع حصول اصل
الوصال فهو لذلك شوق لذيذ لا يظهر فيه الم ولا يبعد ان يكون الطاف الكشف والنظر متواليه الى غير نهاية فلا يزال النعيم و
اللذة متزايدا ابد الاباد ويكون لذة ما يتجدد من لطايف النعيم شاغلة عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط ان يمكن
حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا اصلا فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف ولكن يكون
مستمرا على الدوام وقوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا محتمل لهذا المعنى وهو ان ينعم عليه باتمام
النور مهما تزود من الدنيا اصل النور ويحتمل ان يكون المراد اتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة الى مزيد
الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد بتمامه وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على ان
الانوار لا بد وان يتزود اصلها في الدنيا ثم يزداد في الاخرة اشراقا فاما ان يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطر
ولم ينكشف لنا فيه بعد ما نثق به فنسال الله تعالى ان يزيدنا علما ورشدا ويرينا الحق حقا فهذا القدر من انوار البصاير كاشف لحقايق
الشوق ومعانيه واما شواهد الاخبار والاثار فاكثر من ان تحصى فمما اشتهر من دعا رسول الله صلى الله عليه اللهم اني اسالك
الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقايك وقال ابو الدردا لكعب رضي الله عنهما
اخبرني عن اخص اية يعني في التوراة فقال يقول الله عز وجل طال شوق الابرار الى لقايي واني الى لقايهم لاشد شوقا قال ومكتوب
الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدردا اشهد لسمعت رسول الله يقول هذا وفي الاخبار عن داود ان الله
تعالى قال يا داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومونس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني
ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني
ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الدنيا ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وانسوا بي او انسكم
واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبايي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي اني خلقت قلوب المشتاقين من نوري
وروي عن بعض السلف ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبونني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم و
يذكرونني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال
بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط وفرشت الفرش
ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي فبين صارخ باك وبين متاوه
وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ثلث اقذف من نوري في
قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثاني لو كانت السموات والارض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم والثالث اقبل بوجهي عليهم
افترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسال
الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الي صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون
الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمايي ثم ادعو نجباء ملايكتي فاذا اجتمعوا سجدوا فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم
لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي واباهي بكم اهل الشوق الي وان قلوبهم لتضيء في سمايي لملايكتي كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود
اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي واتخذتهم لنفسي محدثي وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت
من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يا رب ارني اهل محبتك فقال يا داود ايت جبل لبنان فان
فيه اربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم شيوخ فاذا اتيتهم فاقراهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقريكم السلام ويقول لكم الا
تسالوني حاجة فانكم احبايي واصفيايي واوليايي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في
عظمة الله فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم

نحو قوله

نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم يقريكم السلام ويقول لكم الا تسالوني حاجة الا تنادوني اسمع
صوتكم وكلامكم فانكم احبايي واصفيايي افرح بفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال
فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا
وقال الاخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الاخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك
وبنو عبيدك افنجترئ على الدعا وقد علمت انه لا حاجة لنا في شي من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتمم بذلك المنة علينا
وقال الاخر نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الاخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في جلالك وعظمتك
افيجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الاخر كلت السنتنا عن دعايك لعظم
شانك وقربك من اوليايك وكثرة منتك على اهل محبتك وقال الاخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر
لنا تقصيرنا في شكرك وقال الاخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الاخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ امرتنا
بالدعا بجودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات من اطباق السموات وقال الاخر ندعوك ان تقبل علينا وتديمه عندنا وقال
الاخر نسالك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الاخر لا حاجة لنا في شي من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك
وقال الاخر اسالك من بينهم ان تعمي عيني عن النظر الى الدنيا واهلها وقلبي عن الاشتغال بالاخرة وقال الاخر وقد عرفت تباركت
وتعاليت انك تحب اولياك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شي دونك فاوحى الله تعالى الى داود قل لهم قد سمعت كلامكم
واجبتكم الى ما احببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى نوري
وجلالي فقال داود يا رب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا واهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا
يناله الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل بشي من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف عليه وافرغ نفسه
واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر الي نظر الناظر بعينه الى الشي واريه كرامتي في كل ساعة واقربه من نور وجهي ان مرض مرضته
كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش ارويته واذيقه طعم ذكري فاذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه عن الدنيا واهلها ولم
احببها اليه لا يفتر عن الاشتغال بي يستعجلني القدوم وانا اكره ان اميته لانه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رايته
يا داود وقد ذابت نفسه ونحل بدنه وتهشمت اعضاوه وانخلع قلبه اذا سمع بذكري اباهي به ملايكتي واهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة
وعزتي وجلالي يا داود لاقعدنه في الفردوس ولاشفين صدره من النظر الي حتى يرضى وفوق الرضى وفي اخبار داود ايضا قل لعبادي
المتوجهين الى محبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعين قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم
من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضاي وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه تزعم انك
تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة
ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال اما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واما ما اشكل عليك فقلدنيه فحق علي ان اسارع الى سياستك
وتقويمك واكون قايدك ودليلك اعطيك من غير ان تسالني واعينك على الشدايد واني قد حلفت على نفسي ان لا اثيب الا عبدا قد عرفت
من طلبته وارادته القا كنفه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك واسكنت الغنى قلبك فاني قد حلفت على
نفسي انه لا يطمئن عبد الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها اضف الاشيا الي لا تعارض عملك فيكون منفعتك [illegible]
ولا تتخذن لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم اعلم بني اسرايل انه ليس بيني وبين
احد من خلقي نسب فليعظم رغبتهم وارادتهم عندي ابيح لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك و
انظر الي ببصر قلبك ولا تنظر بعينك التي في راسك الى الذين حجبت عقولهم عني فاخرجتها وسخنت بانقطاع ثوابي عنها فاني قد حلفت
بعزتي وجلالي لا افتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم اهل محبتي منزلة
المريدين عندي لكانوا لهم ارضا يمشون عليها يا داود لان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهبذا ومن كتبته جهبذا

لا يكون عليه وحشة ولا الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب عنك محبتي
لا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فانما ابحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص
حلاوة مناجاتي فانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان احجب عقولهم عني فاني لم ارض الدنيا لحبيبي
ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا فيصدك بسكره عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك
الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان محبتي للصوم ادمانه يا داود تحبب الي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات
انظر اليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة انما اداريك مداراة لتقوى على ثوابي اذا امتننت به عليك واني احبسه عنك وانت متمسك
بطاعتي واوحى الله تعالى الى داود ايضا يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا
الي وانقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي
اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عندي اذا رجع الي فهذه الاخبار ونظايرها مما لا يحصى يدل
على اثبات المحبة والشوق والانس واما تحقيق معانيها فعند الكشف كما سبق بيان محبة الله للعبد ومعناها اعلم ان شواهد
القران متظاهرة على ان الله يحب عبده فلا بد من معرفة معناه ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال يحبهم ويحبونه وقال تعالى ان الله
يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ولذلك رد على من ادعى انه حبيب لله فقال فلم يعذبكم
بذنوبكم وقد روى انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه انه قال اذا احب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له
ثم تلا قوله ان الله يحب التوابين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر
الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم و
قال رسول الله صلى الله عليه ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال عليه السلم من تواضع لله رفعه
الله ومن تكبر وضعه الله ومن اكثر من ذكر الله احبه الله وقال صلى الله عليه قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاكون
سمعه الذي يسمع به الحديث وقال زيد بن اسلم رضي الله عنه ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت
لك وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان محبة العبد لله حقيقة وليست بمجاز اذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل
النفس الى الشي الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق ايضا وان الجمال
والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر فاما حب الله تعالى للعبد فلا يمكن ان يكون
بهذا المعنى اصلا بل الاسامي كلها اذا اطلقت على الله وعلى غير الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو اعم
الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله وجوده مستفاد من وجود الله فالوجود التابع لا يكون
مساويا للوجود المتبوع وانما الاستواء في اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشا به
بهان من غير استحقاق احدهما لان يكون فيه اصلا وليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الاخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولخلقه وهذا
التباعد في ساير الاسامي اظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه
الاسامي للخلق اولا فان الخلق اسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز و
النقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملايم وهذا انما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها فيستفيد بنيله
كمالا فيلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن في الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول ابدا
والاستقرار بتجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته والى افعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وافعاله له
ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهني رضي الله عنه لما قرى عليه قوله يحبهم ويحبونه فبحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وانه ليس
في الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هو متعلق بذاته فهو اذا
لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مأول ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه



من القرب منه والى ارادته ذلك به في الازل فحبه لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد
من سلوك طريق القرب واذا اضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال ولا
يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفا باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه
تعالى فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو ان الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل
وقت في حضور بساطه لميل الملك اليه اما لينصره بقوته او ليستريح او ليستشيره في رايه او ليهيى اسباب شرابه وطعامه فيقال ان الملك
احبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق الملايم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع والاستنجاد ولكن
لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية والخصال الحميدة بما يليق به ان يكون قريبا من حضرة الملوك وافر الحظ من قربهم مع
ان الملك لا غرض له فيه اصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد احبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل
وحبب نفسه الى الملك فحب الله تعالى للعبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط ان لا يسبق الى فهمك
دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله في البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين
والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا
ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزا ل
من نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في ازل الازال ولا ينكشف هذا الا بمثال القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان
بتحركهما جميعا وقد يكون باحدهما ثابتا فيتحرك الاخر فيحصل القرب بتغير في احدهما من غير تغير في الاخر بل القرب في الصفات ايضا كذلك
فان التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ
مترق متحرك من حضيض الجهل الى يفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى ان يقرب من استاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذ لك
ينبغي ان يفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار اكمل صفة واتم علما واحاطة بحقائق الامور واثبت قوة في قهر الشيطان وقمع
الشهوات واظهر نزاهة عن الرذائل صار اقرب من درجة الكمال لله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على
القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات الكمال متناهي
ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة ثم درجات القرب متفاوتة تفاوتا لا نهاية له ايضا لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال
فاذا محبة الله تعالى للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده
كانه يراه بقلبه فاما محبة العبد لله فهو ميله الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا ادرك
منه شيئا يلتذ به فالشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى فان قلت محبة الله تعالى للعبد امر ملتبس فبم يعرف العبد انه حبيب الله
فنقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه اذا احب الله عبدا ابتلاه فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك
له مالا ولا اهلا فعلامة محبة الله تعالى للعبد ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره قيل لعيسى عليه السلم لم لا تشتري حمارا تركبه فقال
انا اعز على الله ان يشغلني عن نفسه بحمار وفي الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال بعض العلما
اذا رايت نحبه وانه يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشي من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب
سواه فاثرت عليه اياه قال لا قال لا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقد قال صلى الله عليه اذا احب الله عبدا جعل له واعظا
من نفسه وزاجرا من قلبه يامره وينهاه وقال اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله
له واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين
لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل لهمومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمونس له
بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذه وامثالها هو علامة حب الله للعبد فلنذكر الان علامات محبة
العبد لله فانها ايضا علامات حب الله للعبد القول ——— في علامات محبة العبد لله تعالى اعلم ان المحبة يدعيها كل احد

وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى، فلا ينبغي أن يغتر الإنسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم
يمتحن بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والأدلة، والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر على القلب واللسان
والجوارح، وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار، وهي كثيرة
فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام، فلا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا ويحب مشاهدته ولقاءه
وإذا علم أنه لا وصول إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي أن يكون محباً للموت غير فار منه، فإن المحب لا يثقل عليه السفر
عن وطنه إلى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته، والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة. قال صلى الله عليه: من أحب لقاء الله
أحب الله لقاءه. وقال حذيفة رضي الله عنه عند الموت: حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم. وقال بعض السلف: ما من خصلة أحب إلى الله
أن تكون في العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود، فقدم حب لقاء الله على السجود. وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق في الحب
القتل في سبيل الله حيث قالوا إنا نحب الله، فجعل القتل في سبيل الله تعالى وطلب الشهادة علامته فقال: إن الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفاً. وقال: يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون. وفي وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما: الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء، والباطل
خفيف وهو مع خفته وبيء، فإن حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت وهو مدركك، وإن ضيعت وصيتي لم يكن غائب
أبغض إليك من الموت ولن تعجزه. ويروى عن إسحق بن سعد بن أبي وقاص قال: حدثني أبي أن عبد الله بن جحش رضي الله عنهم قال
يوم أحد: ألا ندعو الله؟ فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال: يا رب إني أقسم عليك إذا لقيت العدو غداً فلقني رجلاً
شديداً بأسه شديداً حرده أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ويبقر بطني، فإذا لقيتك غداً قلت: يا عبد الله من
جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت. قال سعد: فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه معلقان في خيط. و
قال سعيد بن المسيب: أرجو أن يبر الله آخر قسمه كما أبر أوله. وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان: لا يكره الموت إلا مريب
لأن الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب. وقال البويطي لبعض الزهاد: أتحب الموت؟ فكأنه توقف، فقال: لو كنت صادقاً لأحببته
وتلا قوله تعالى: فتمنوا الموت إن كنتم صادقين. فقال الرجل: فقد قال النبي صلى الله عليه: لا يتمنين أحدكم الموت. فقال: إنما قاله لضر نزل به
ضر لأن الرضا بقضاء الله أفضل من طلب الفرار منه. فإن قلت: فمن لا يحب الموت فهل يتصور أن يكون محباً لله؟ فأقول: كراهة
الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الأهل والمال والولد، وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لأن الحب الكامل هو الذي
يستغرق كل القلب، ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الأهل والولد شائبة من حب الله ضعيفة، فإن الناس متفاوتون في الحب، ويدل
على التفاوت ما روي أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج أخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا:
أنكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى؟ فقال: والله لقد أنكحته إياها وإني لأعلم أنه خير منها. فكان قوله أشد عليهم من فعله، فقالوا: وكيف
وهي أختك وهو مولاك؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر إلى سالم. ف
هذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضاً غيره، فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر
حبه، وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها. وأما السبب الثاني للكراهة أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة
وليس يكره الموت وإنما يكره عجلته قبل أن يستعد للقاء الله، فذلك لا يدل على ضعف المحبة، وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه
فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له أسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق
والكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلاً، وعلامته الدؤوب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد. ومنها أن يكون
مؤثراً ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه، فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظباً على طاعة الله
تعالى ومتقرباً إليه بالنوافل وطالباً عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه. وقد وصف الله تعالى المحبين بالإيثار
فقال: يحبون من هاجر إليهم، إلى أن قال: ويؤثرون على أنفسهم. ومن بقي مستمراً على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه، بل يترك المحب هوى
نفسه لهوى محبوبه كما قيل: أريد وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريد. بل الحب إذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب

كما روي



كما روي أن زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى، فكان يدعوها
إلى فراشه نهاراً فتدافعه إلى الليل، فإذا دعاها ليلاً سوفته إلى النهار، فعاتبها فقالت: يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه، فأما إذا
عرفته فما أبقت محبته محبة سواه، وما أريد به بدلاً، حتى قال لها: إن الله عز وجل أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما
نبيين، فقالت: أما إذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلني طريقاً إليه فطاعة لأمر الله تعالى، فعندها سكنت إليه. فإذاً من أحب الله
لا يعصيه، ولذلك قال ابن المبارك فيه: تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديع. لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع
وقيل في معناه: وأترك ما أهوى لما قد هويته ... فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي. وقال سهل: علامة الحب إيثاره على نفسك
وليس كل من عمل بطاعة الله تعالى صار حبيباً، وإنما الحبيب من اجتنب المناهي، وهو كما قال، لأن محبته لله سبب محبة الله له كما قال:
يحبهم ويحبونه، فإذا أحبه الله تولاه ونصره على أعدائه، وإنما عدوه نفسه وشهواته، فلا يخذله الله ولا يكله إلى هواه وشهواته
ولذلك قال الله تعالى: والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً. فإن قلت: فالعصيان هل يضاد أصل المحبة؟ فأقول:
إنه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها، فكم من إنسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بأنه يضره، وذلك لا يدل
على عدم حبه لنفسه، ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة. ويدل على ذلك ما روي أن نعيمان
كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه في كل مرة فيحده في معصية يرتكبها إلى أن أتي به مرة فحده فلعنه رجل وقال: ما أكثر ما يؤتى
به رسول الله صلى الله عليه، فقال رسول الله: لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله. فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة، نعم تخرجه المعصية عن كمال المحبة
وقال بعض العارفين: إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله حباً متوسطاً، فإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك
المعاصي. وعلى الجملة ففي دعوى المحبة خطر، ولذلك قال الفضيل: إذا قيل لك أتحب الله فاسكت، فإنك إن قلت لا كفرت، وإن قلت نعم
فليس وصفك وصف المحبين، فاحذر المقت. وقد قال بعض العلماء: ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة، ولا في
جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك. ومنها أن يكون مستهتراً بذكر الله تعالى لا يفتر عنه
لسانه ولا يخلو عنه قلبه، فمن أحب شيئاً أكثر بالضرورة ذكره وذكر ما يتعلق به، فعلامة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذي هو
كلامه وحب رسوله وحب كل ما ينسب إليه، فإن من يحب إنساناً يحب كلب محلته، فالمحبة إذا قويت تعدت إلى كل ما يكتنف المحبوب
ويحيط به ويتعلق بأسبابه، وليس ذلك شركة في الحب، فإن من أحب رسول المحبوب لأنه رسوله وكلامه لأنه كلامه فلم يجاوز
حبه إلى غيره بل هو دليل كمال حبه. ومن غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه، فكيف لا يحب القرآن والرسول
وعباد الله الصالحين. وقد ذكرنا هذا في كتاب آداب الأخوة والصحبة. ولذلك قال تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله. وقال صلى الله عليه: أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله. وقال سفيان رضي الله عنه: من أحب من يحب الله فإنما
أحب الله، ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإنما يكرم الله تعالى. وحكي عن بعض المريدين قال: كنت وجدت حلاوة المناجاة في مبدأ
الإرادة فأدمنت قراءة القرآن ليلاً ونهاراً، ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة، قال: فسمعت قائلاً يقول في المنام: إن كنت تزعم
أنك تحبني فلم جفوت كتابي، أما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي؟ قال: فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت إلى حالي
وقال ابن مسعود: لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل، وإن لم يكن يحب القرآن
فليس يحب الله تعالى. وقال سهل رضي الله عنه: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب الله وحب القرآن حب رسول الله، وعلامة
حب النبي حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا
زاداً وبلغة إلى الآخرة. ومنها أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدوء
الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق. وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته، فمن كان النوم والاشتغال
بالحديث ألذ عنده وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته؟ قيل لإبراهيم بن أدهم وقد نزل من الجبل: من أين أقبلت؟ فقال: من الأنس
بالله. وفي أخبار داود: لا تأنس إلى أحد من خلقي فإني إنما أقطع عني رجلين: رجل استبطأ ثوابي فانقطع، ورجل نسيني فرضي له

وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان ادعه حيران في الدنيا ومنها الانس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من
الله ساقطا عن درجة محبته وفي قصة برخ وهو العبد الاسود الذي استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى ان
برخ نعم العبد هو لي الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لا يسكن الى شي وروي
ان عابدا عبد الله في غيضة دهرا فنظر الى طاير قد عشش في شجرة ياوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة
لكنت آنس بصوت هذا الطاير قال ففعل فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الوقت قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك
درجة لا تنالها بشي من عملك ابدا فعلامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من
كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة الانس مصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي
يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلوته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطعت رجل
بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلوة فلم يشعر به ومهما غلب الحب والانس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين تدفع جميع الهمو م
بل يستغرق الانس والمحبة قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا ما لم تتكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه
وانسه في الباطن بذكر حبيبه فالمحب من لا يطمين قلبه الا بذكر الله وقال قتادة في قوله تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب قال هشت
اليه واستانست به وقال الصديق من ذاق خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال مطرف
بن ابي بكر المحب لا يسام من حديث حبيبه واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل
نام عني اليس كل محب يحب لقا حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني وقال موسى يا رب اين انت فاقصدك قال اذا قصدت فقد
وصلت وقال يحيى بن معاذ من احب الله ابغض نفسه وقال ايضا من لم يكن فيه ثلث خصال فليس بمحب من لا يوثر كلام الله على كلام
الخلق ولقا الله تعالى على لقا الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها ان لا يتاسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل ويعظم تاسفه على
فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة وقال بعض العارفين
ان لله عبادا احبوه واطمانوا اليه فذهب عنهم التاسف على الفايت فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شا كان فما
كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع عن غفلته في لحظته ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب
ويساله ويقول يا رب باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفا ذكر ورقة
قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة ويكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفا قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيا الا منه ولم يتاسف ولم
يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته وتذكر قوله وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم ومنها
ان يتنعم بالطاعات ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة قال الجنيد
علامة المحب دوام النشاط والدوب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض
العلما والله ما استقل محب لله طاعته ولو حل بعظيم الوسايل وكل هذا مشاهد في الموجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل السعي
في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان احب الاشيا اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه
العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل
في خدمته وان كان احب اليه من المال ترك المال في حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له شي ما كان سبب
حالك هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب
ان كنت تحبني فايش تنفق علي فقال يا سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك روحي حتى اهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد
فكيف بعبد لمعبود فكان هذا سببه ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما عليهم شديدا على جميع اعدا الله وعلى كل
من يقارف شيا مما يكرهه كما قال اشدا على الكفار رحما بينهم ولا تاخذه في الله لومة لايم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف
الله اولياه اذ قال الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشي وياوون الى ذكري كما ياوي النسر الى وكره ويغضبون لمحارمي كما

يغضب

كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس ام كثروا فانظر الى هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشي لم يفارقه اصلا وان
اخذ منه لم يكن له شغل الا البكا والصياح حتى يرد اليه فان نام اخذه معه في ثيابه فاذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده
ضحك ومن نازعه فيه ابغضه ومن اعطاه احبه واما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه ان يهلك نفسه فهذه علامات
المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا في الاخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في
الاخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى في صفة الابرار ان الابرار لفي نعيم وقال يسقون من رحيق مختوم
مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب الصرف
الذي هو للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما ان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار لفي عليين ثم
قال يشهده المقربون فكان امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقربون وكما ان الابرار يجدون المزيد في حالهم وقربهم
بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك تكون حالهم في الاخرة وما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدانا اول خلق
نعيده وقال تعالى جزا وفاقا اي وافق الجزا اعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل
شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه واعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يظلم مثقال
ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين فمن كان حبه في الدنيا رجا للنعيم الجنة
والحور والقصور مكن من الجنة حيث يتبوا منها فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه
الا حبه بالاخلاص والصدق انزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور
والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فمن الناس من همه قضا شهوة البطن
والفرج مشغولون وللمجالسة اقوام اخرون ولذلك قال صلى الله عليه اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب ولما قصرت الافهام
عن درك معنى عليين عظم امره فقال وما ادراك ما عليون كما قال القارعة ما القارعة ومنها ان يكون في حبه خايفا متضايلا
تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب
ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب
واشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين اذ سمع قوله تعالى الا بعدا لعاد قوم هود وقوله تعالى الا
بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من الف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه
اهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب من الف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد
وانا قدمنا ان درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد منه قربا ولذلك قال صلى الله عليه من استوى يوماه
فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون ولذلك قال صلى الله عليه انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله
وانما كان استغفاره من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات
الى غير المحبوب كما روي عنه تعالى فقال ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات
عقوبة العموم فاما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي
لا يقدر على الاحتراز عنه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم خوف فوات ما لا يدرك بعد فوته سمع ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه قايلا يقول في
سفح جبل شعر كل شي لك مغفور سوى الاعراض عنا قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات منا فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما
وليلة وطرات عليه احوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا قال فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه
الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه او سبب رجعته
والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل الحب عليه من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات في القلب لها اسباب خفية سماوية ليس في
قوة البشر الاطلاع عليها فاذا اراد الله مكره واستدراجه اخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجا او يغتر بحسن الظن او تغلبه

الغفلة والهوى والنسيان وكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان وكما ان من
اوصاف الله تعالى ما يظهر ويستضيء منها من الحب وهي اوصاف اللطف والرحمة والحكمة عن اوصافه ما يلوح ويورث السلو كاوصاف
الجبرية والعزة والاستغناء وذلك من معدات المكر والشقا والحرمان ثم خوف الاستبدال به ما ينال القلب من حب الى حب غيره ف
ذلك هو المقت والسلو عقوبة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر والانقباض عن دوام الذكر وملالة
لوظايف الاوراد اسباب هذه المعاني ومقدماتها وظهور هذه الاسباب دليل على النقل من مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه و
ملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منه يصفي المراقبة دليل صدق الحب فان من احب شيئا خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن
خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من
طريق الخوف من غير حب انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه فالمحب له
لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلب عليه الحب حتى اتسع فيها ولم يكن فيه من الخوف الا اليسير يقال هو في مقام المحبة ويعد
من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لها طاقة البشر فانما الخوف يعدله
ويخفف وقعه على القلب فقد روي في الاخبار ان بعض الصديقين ساله بعض الابدال ان يسال الله تعالى ان يرزقه ذرة من معرفته
ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسال له الصديق ربه تعالى فقال
يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى الله اليه انما اعطيناه جزءا من مائة الف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة الف عبد سالوني شيئا من المحبة
في الوقت الذي سالني هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك فيما سالت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة
الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله عنه جملة الجزء وبقي فيه عشر معشاره وهو جزء من
الف جزء من ذرة فاعتدل خوفه ورجاؤه وحبه وسكن وصار كسائر العارفين وقد قيل في وصف حال العارف قريب الوجد ذو مرمى بعيد
عن الاحرار منهم والعبيد غريب الوصف ذو علم غريب كان فؤاده زبر الحديد لقد عزت معانيه فغابت عن الابصار الا للشهيد يرى الاعياد
في كل يوم الف عيد وللاحباب افراح بعيد ولا يجد السرور له بعيد وقد كان الجنيد رضي الله عنه ينشد ابياتا يشير بها الى اسرار احوال العارفين
وان ذلك لا يجوز اظهاره وهي سرت باناس في الغيوب قلوبهم فحلوا بقرب الماجد المتفضل عراض بقرب الله في ظل قدسه تجول بها ارواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والنهى ومصدرهم عنها بما هو اكمل يروح بعز مفرد من صفاته وما لته اول لديه ولاحوال سالكهم على ما يصونه
ما اذكر منه ما ادى الحق ابدا واغض عباد الله عن حقوقهم وامنع منه ما ان المنع افضل على ان للزمن سرا يصونه الى اهله في السر والصون اجمل
واشكال هذه المعاني التي اليها الاشارة لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز لمن انكشف له شيء منها ان يظهرها لمن لم ينكشف له بل لو
اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال لاربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم
فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما انتشر من
العلوم ولكن لله تعالى فيما هو شر في الظاهر اسرار وحكم كما ان له في الخير اسرارا وحكما ولا نهاية لحكمته كما لا نهاية لقدرته ومنها
كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من
اسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم عليه العقوبة في العقبى وتعجل
عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تمحل واكتساب
فهو معذور لانه مقهور وربما يشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول
وقالوا قريب قلت ما انا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري فما لي منه غير ذكر بخاطري يهيج نار الحب والشوق في صدري والعاجز عنه يقول
يخفي فيبدي الدمع اسراره ويظهر الوجد عليه النفس ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم فالمنع منه عطية مقبولة
والفقر اكرام وبر عاجل ومن الدلائل ان ترى من عزمه طوع الحبيب وان الح العاذل ومن الدلائل ان ترى متبسما والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل ان ترى متفهما لكلام من يحظى لديه السائل ومن الدلائل ان ترى متقشفا متحفظا من كل ما هو قائل وقال يحيى بن معاذ

وقد قال

وقد قال بعض العارفين اكثر الناس من الله بعدا اكثرهم اشارة اليه كأنه اراد من يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند
كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فراه مبتلى ببلاء
فقال لا يحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال
الرجل استغفر الله واتوب اليه فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر فاعلم ان المحبة محمودة وظهورها
ايضا محمود وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيه من الدعوى والاستكبار وحق المحب ان تنم على حبه الخفي افعاله واحواله دون اقواله
وينبغي ان يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار المحبة ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط
فاما ارادته اطلاع غيره فليس بشرط في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك
فالذي يرى الخفيات يجزيك به علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فاظهار الفعل والقول كله
مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه حكي ان رجلا راى من بعض المجانين ما استجهله
فيه فاخبر بذلك معروفا الكرخي فتبسم ثم قال يا اخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رايته من مجانينهم ومما يكره
التظاهر بالحب بسببه ان المحب لو كان عارفا وعرف احوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار
لا يفترون ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه اخس المحبين في مملكته
وان حبه انقص من حب كل محب لله تعالى وقد قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله ثلاثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود
واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيئا فذكر اشياء من مكاشفات ايات السموات في قصة طويلة قال في اخرها فبلغت صفا من
الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت من انتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده هاهنا منذ ثلاثمائة الف سنة ما خطر على قلوبنا سواه
قط ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من اعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنهم في جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيى
منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم تشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجامه وتردداته كما حكي عن الجنيد
انه قال مرض استاذنا السري فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فاخذنا قارورة مائه فنظر اليها الطبيب
وجعل ينظر اليه مليا ثم قال لي اراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري
فاخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما ابصره قلت يا استاذ وتتبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السري مرة لو شئت اقول ما ايبس
جلدي على عظمي ولا اسال جسمي الا حبه ثم غشي عليه وتدل الغشية على انه افصح في غلبة الوجد ومقدمات الغشية فمنها مع
علامات الحب وثمراته ومنها الانس والرضا كما سياتي وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب
فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن
هذين القسمين ولذلك قال الجنيد رضي الله عنه الناس في محبة الله عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه
فلم يتمالكوا ان ارضوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان واما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم و
الحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة واسماءه الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه اهل لها ولو ازال
عنهم النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل على نفسه ويظن انه محب لله وهو
الذي فقد فيه العلامات او يلبس بها نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كالعلماء السوء
اولئك بغضاء الله في ارضه وكان سهل اذا تكلم مع انسان قال يا دوست اي يا حبيب قيل له فقد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال في
اذن القائل سرا لا يخلو اما ان يكون مؤمنا او منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله وان كان منافقا فهو حبيب ابليس وقد قال ابو تراب
النخشبي في علامات المحب ابياتا وهي لا تخدعن فللمحب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل منها تنعمه بمر بلائه وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة والفقر اكرام وبر عاجل ومن الدلائل ان ترى من عزمه طوع الحبيب وان الح العاذل ومن الدلائل ان يرى متبسما
والقلب فيه من الحبيب بلابل ومن الدلائل ان يرى متفهما لكلام من يحظى لديه السائل ومن الدلائل ان يرى متقشفا متحفظا من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه ومن الدلائل ان يراه مشمرا في خرقتين على شطوط الساحل ومن الدلائل حزنه ونحيبه
جوف الظلام فما له من عاذل ومن الدلائل ان تراه مسافرا نحو الجهاد وكل فعل فاضل ومن الدلائل زهده فيما يرى من دار ذل والنعيم الزائل
ومن الدلائل ان تراه باكيا ان قد رآه على قبيح فعائل ومن الدلائل ان تراه مسلما كل الامور الى المليك العادل ومن الدلائل ان تراه راضيا
بمليكه في كل حكم نازل ومن الدلائل ضحكه بين الورى والقلب محزون كقلب الثاكل

بيان معنى الانس بالله تعالى

وقد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من آثار المحبة الا ان هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطلع
من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه
وتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من
الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى
استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم قلبه بهذا الاستشعار
فيسمى تألمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار
القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا
نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من يشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما
ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد والخلوة كما حكي ان ابراهيم
بن ادهم نزل من الجبل فقيل له من اين اقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة
فيكون من اثقل الاشياء على القلب كما روي ان موسى صلوات الله عليه لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغشيان لان
الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آنسني بذكره و
اوحشني من خلقه وقال الله تعالى لداود عليه السلام كن بي مستانسا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركي
ما لا يعنيني وانسي بمن لم يزل وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد اعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة
الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة راس العبادة فقلت يا راهب ما اقل ما تجده في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة
من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت ومتى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم
فصار هما واحدا في الطاعة وقال بعض الحكماء عجبا للخلائق كيف ارادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استانست بسواك عنك فان قلت
فما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد
في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق
بعذوبة الذكر كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون
وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه
فهذا معنى الانس بالله وهذه علامته وهذه شواهده وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والحب لظنه ان ذلك يدل
على التشبيه وجهله بان جمال المدركات بالبصائر اكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها اغلب على ذوي القلوب ومنهم احمد بن غالب يعرف
بغلام الخليل انكر على الجنيد وعلى ابي الحسين النوري والجماعة في حديث الحب والشوق والعشق حتى انكر بعضهم مقام الرضى وقال ليس
الا الصبر فاما الرضى فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين الا على القشور فظن انه لا موجود الا المحسوسات
وكل ما يدرك بالخيال والحواس في طريق الدين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره يظن ان الجوز خشب
كله ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقيل الانس بالله لا يحويه بطال وليس يدركه بالحول محتال
والانسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط والادلال الذي تثمره غلبة الانس

اعلم ان الانس اذا
دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة

اشتاق

مع الله تعالى

مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه يحتمل ممن اقيم في مقام الانس ومن لم يقم في ذلك
المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى
عليه السلام ان يساله ليستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى ليستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى الله اليه كيف استجيب
لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى
استجيب له فسال عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينا موسى ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود
في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله تعالى فسلم عليه وقال ما اسمك قال اسمي برخ قال انت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق
لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد
ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع
ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب
قال فرجع برخ فاستقبله موسى فقال كيف رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم به موسى فاوحى الله تعالى اليه ان برخ يضحكني
في كل يوم ثلث مرات وعن الحسن رضي الله عنه قال احترقت اخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وابو موسى يومئذ
امير البصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص قال فاتي بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق فقال اني اقسمت على ربي ان
لا يحرقه فقال ابو موسى اني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول يكون في امتي قوم شعثة رؤوسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا على الله لابرهم
قال ووقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني اقسمت على ربي
ان لا يحرقني بالنار قال فاعزم عليها ان تطفى قال فعزم عليها فطفيت وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش
فقال له ابو حفص ما اصابك فقال ضل حماري ولا املك غيره قال فوقف ابو حفص وقال وعزتك لا اخطو خطوة ما لم ترد عليه حماره قال
فظهر الحمار في الوقت ومر ابو حفص فهذا وامثاله يجري لذوي الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم وقال الجنيد اهل الانس يقولون
في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العموم لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك
يحتمل منهم ويليق بهم واليه اشار القائل قوم تخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه تاهوا برؤيته عما سواه له يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا
ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني لو فطنت وفهمت فجميع قصص
القرآن تنبيهات لاولي البصائر والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار فانما هي عند ذوي الاعتبار من الاسمار فاول القصص
قصة ابليس وآدم اما ترى كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتباء والعصمة اما ابليس فابلس عن رحمته وقيل انه
من الكافرين واما آدم فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه في الاعراض عن عبد
وافتقار الى عبد وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان فقال اما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الآخر اما من
استغنى فانت له تصدى وكذلك امره بالقعود مع طائفة فقال واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم وامره بالاعراض عن غيرهم
فقال واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم وقال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي وكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى ان هي الا فتنتك تضل بها
من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم علي ذنب وقوله اني اخاف ان يكذبون و
يضيق صدري وقوله اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى من سوء الادب لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف
ويحتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام ما دون هذا لما اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ونودي
عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم قال الحسن العراء القيامة ونهى نبينا صلى الله عليه ان يقتدي به
فقال فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها
لما سبق في الازل من التفاضل والتفاضل في القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال تعالى

انقصت عليك عيونك

الخص بالضم خانة از ني الاخصاص والخصوص جماعة

لكفروهم

في عز ما تاهوا

العراء

منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولإدلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت
ويوم أموت ويوم أبعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الأنس وأما يحيى بن زكريا عليهما السلام فإنه أقيم مقام الهيبة
والحياء فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وانظر كيف احتمل لإخوة يوسف ما فعلوه بيوسف
وقد قال بعض العلماء قد عددت من أول قوله تعالى إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا إلى رأس العشرين من أخبار الله تعالى عن
زهدهم فيه نيفا وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والأربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل لعزير
مسألة واحدة سأل عنها في القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة وكذلك كان بلعم بن باعوراء من أكابر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له
ذلك وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح فعفا عنه فقد روي أن الله سبحانه أوحى إلى سليمان عليه السلام يا رأس العابدين
ويا ابن محجة الزاهدين إلى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن أخذته عصفة من عصفاتي لأتركنه مثلة
لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل آصف على سليمان أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء
وقال إلهي وسيدي أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب إن لم تتب علي وكيف أستعصم إن لم تعصمني لأعودن ثم لأعودن
فأوحى الله تعالى إليه صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة فقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به
عليه وهارب منه إليه وناظر به إليه وفي الخبر أن الله تعالى أوحى إلى عبد تداركه بعد أن كان أشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتني به
غفرته لك قد أهلكت في دونه أمة من الأمم فهذه سنة الله تعالى في عباده بالتفضيل والتقديم والتأخير على ما سبقت به مشيئته الأزلية
وهذه القصص أوردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في الذين خلوا من قبل فما في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور وتعرف من الله
تعالى إلى خلقه فتارة يتعرف إليهم بالتقديس فيقول قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وتارة يتعرف إليهم
بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة يتعرف إليهم في أفعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم
سنته في أعدائه وفي أنبيائه فيقول ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولا يعدو القرآن
هذه الأقسام الثلاثة وهي الإرشاد إلى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده
ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن فقال من
قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لأن منتهى التقديس أن يكون واحدا في ثلاثة أمور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه
وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله تعالى لم يولد ولا يكون في درجته وإن لم يكن أصلا
له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد ويجمع جميع ذلك قل هو الله أحد وجملته تفصيل قول لا إله إلا الله فهذه
أسرار القرآن ولا تتناهى أمثال هذه الأسرار في القرآن ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه ثوروا
القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الأولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه إلا من طال في آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له
كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر مليك قادر وأنه خارج عن حد استطاعة البشر وأكثر أسرار القرآن معبأة في طي القصص و
الأخبار فكن حريصا على استنباطها لينكشف لك فيها من العجائب ما تستحقر معها العلوم المزخرفة الخارجة عنها فهذا ما أردنا ذكره من
معنى الأنس والانبساط الذي هو ثمرته وبيان تفاوت مقامات الناس فيه والله أعلم

القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في

فضيلته اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهي من أعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الأكثرين وما يدخل عليه من التشابه و
الإبهام غير منكشف إلا لمن علمه الله تعالى التأويل وفقهه في الدين فقد أنكر منكرون تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا إن أمكن الرضا
بكل شيء لأنه فعل الله فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الإنكار والاعتراض من
باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو انكشفت هذه الأسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال اللهم
فقهه في الدين وعلمه التأويل فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراضين ثم نذكر حقيقته وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى
ثم نذكر ما يظن أنه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي

فضيلة الرضا أما الآيات فقوله



فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ومنتهى الإحسان رضى الله عن عبده وهو
ثواب رضى العبد عنه وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر فقد رفع الله تعالى الرضا فوق جنات عدن
كما رفع ذكره فوق الصلاة فقال إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة
فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطالب سكان الجنان وفي الخبر إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون
رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل وأما رضى العبد فسنذكر حقيقته وأما رضوان الله عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه
في حب الله للعبد ولا يجوز أن ينكشف عن حقيقته إذ تقصر أفهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بإدراكه من نفسه وعلى الجملة
فلا رتبة فوق النظر إليه وإنما سألوا الرضا لأنه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الأماني لما ظفروا بنعيم النظر إليه
فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه
يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين إحداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا
تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم
والثالثة يقول الله تعالى إني عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي من النعيم الذي
هم فيه فهذا فضل رضى الله وهو ثمرة رضى العبد وأما من الأخبار فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون
فقال ما علامة إيمانكم فقالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر أنه قال حكماء
علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء وفي الخبر طوبى لمن هدي للإسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال صلى الله عليه وسلم من
رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل وقال عليه السلام إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضي
اصطفاه وقال أيضا إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتي أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف
شاؤوا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فيقولون هل
رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فتقول الملائكة من أمة من أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون نشدناكم الله حدثونا
ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا
إذا خلونا نستحيي أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا
بثواب فقركم وإلا فلا وفي أخبار موسى عليه السلام أن بني إسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام إلهي قد سمعت
ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم ويشهد لهذا ما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحب أن يعلم ما له عند الله
عز وجل فلينظر ما لله عز وجل عنده فإن الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه وفي أخبار داود عليه السلام ما لأوليائي
والهم بالدنيا إن الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود إن محبتي من أوليائي أن يكونوا روحانيين لا يغتمون وقال موسى
عليه السلام يا رب دلني على أمر فيه رضاك حتى أعمله فأوحى الله تعالى إليه إن رضاي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني
عليه قال فإن رضاي في رضاك بقضائي وفي مناجاة موسى عليه السلام أي رب أي خلقك أحب إليك قال من إذا أخذت منه المحبوب سالمني
قال فأي خلقك أنت عليه ساخط قال من يستخيرني في الأمر فإذا قضيته له سخط قضائي وقد روي ما هو أشد منه وذلك أن الله قال أنا
الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سواي ومثله في الشدة قوله تعالى قدرت المقادير
ودبرت التدابير وأحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني وفي الخبر المشهور يقول الله تعالى
خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وويل ثم ويل
لمن قال لم وكيف وفي الأخبار السالفة أن نبيا من الأنبياء شكا إلى الله الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب إلى ما أراد
ثم أوحى الله تعالى إليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت
عليك قبل أن أخلق الدنيا أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب

ويكون ما تريد فوق ما أريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج في صدرك هذا أو غيره لأمحونك من ديوان النبوة وروي أن آدم عليه السلام
كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد على رأسه ثم ينزل على أضلاعه
كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده يا أبت أما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني
إني رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا إني تحركت حركة واحدة فأهبطت من دار الكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعيم إلى دار الشقاء
فأخاف أن أتحرك حركة أخرى فيصيبني ما لا أعلم وقال أنس بن مالك رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء
فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته ولا قال لشيء كان ليته لم يكن ولا لشيء لم يكن ليته كان وكان إذا خاصمني مخاصم يقول دعوه
لو قضي شيء لكان وروي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود تريد وأريد وإنما يكون ما أريد فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد
وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد وأما الآثار فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة
الذين يحمدون الله على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر قيل له ما تشتهي قال ما يقضي الله وقال ميمون بن
مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الفضيل إن لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن أبي رواد ليس
الشأن في أكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
لأن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلي من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان ونظر رجل إلى قرحة
في رجل محمد بن واسع فقال إني لأرحمك من هذه القرحة فقال إني لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج في عيني وروي في الإسرائيليات
أن عابدا عبد الله تعالى دهرا طويلا فأري في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسأل عنها إلى أن وجدها واستضافها ثلاثا لينظر
إلى عملها فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال أما لك عمل غير ما رأيت فقالت ما هو والله إلا ما رأيت لا أعرف
غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي في إن كنت في شدة لم أتمن أن أكون في رخاء وإن كنت في مرض لم أتمن
أن أكون في صحة وإن كنت في الشمس لم أتمن أن أكون في الظل فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه خصيلة هذه والله خصلة
عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف إن الله تعالى إذا قضى في السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا بقضائه وقال أبو الدرداء
ذروة الإيمان الصبر على الحكم والرضا بالقدر وقال عمر رضي الله عنه ما أبالي على أي حال أصبحت أو أمسيت من شدة أو رخاء وقال
الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت أما تستحيي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض فقال أستغفر الله فقال جعفر بن
سليمان الضبعي فمتى يكون العبد راضيا عن الله قالت إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل يقول إذا استوى عنده
المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى وقال أحمد بن أبي الحواري قال أبو سليمان الداراني إن الله عز وجل من كرمه قد رضي من عبيده
بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذلك قال أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فإن محبة الله من عبيده أن يرضوا
عنه وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله
بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط بيان حقيقة الرضا وتصوره
فيما يخالف الهوى اعلم أن من قال ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلا الصبر فأما الرضا فلا يتصور فإنما أتي من ناحية إنكار
المحبة فأما إذا ثبت تصور الحب لله واستغراق الهم به فلا يخفى أن الحب يورث الرضا بأفعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين أحدهما
أن يبطل الإحساس بالألم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها ومثاله الرجل المحارب فإنه في حال غضبه
أو حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى إذا رأى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يغدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة
في قدمه ولا يحس بألم ذلك لشغل قلبه بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كالة يتألم به فإن كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين
والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لأن القلب إذا صار مستغرقا بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق
الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا
إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل وإذا تصور هذا في ألم يسير

بسبب

بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فإن الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما
يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الباطنة الجميلة المدركة بنور البصيرة وجمال الحضرة الربوبية وجلالها
لا يقاس به جمال ولا جلال فمن انكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه فقد روي أن امرأة
فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه وكان سهل
به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك
ألمه ويكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له أعني بعقله وإن كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فإنه يدرك ألم ذلك
إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في طلب
الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا به ومهما أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين
بأن ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه هذا إن كان يلاحظ الثواب والإحسان الذي يجازى
به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا
وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له إلا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة
بالبصر فإن نظر إلى الجمال فما هو إلا جلد على لحم ودم مشحون بالأقذار والأخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو
فيما بين ذلك يحمل العذرة وإن نظر إلى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا
والبعيد قريبا والقبيح جميلا فإذا تصور استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الأزلي الأبدي الذي لا منتهى لكماله المدرك
بعين البصيرة التي لا تعتريها الغلط ولا يدورها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله مستفيدة بالموت مزيد تنبيه
واستكشاف فهذا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم فقد قال شقيق
من لم ير ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد سألت سريا السقطي هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وإن ضرب بالسيف
قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة وقال بعضهم أحببت كل شيء يحبه حتى لو أحب النار أحببت دخول النار
وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب ألف سوط في شرقية بغداد ثم حمل إلى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت قال لأني
عاشق فقلت ولم سكت قال لأن معشوقي كان بحذائي ينظر إلي فقلت فلو نظرت إلى المعشوق الأكبر قال فزعق زعقة خر مغشيا عليه
وقال يحيى بن معاذ الرازي إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر إلى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع
إليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله إذا لاحظت جلاله هابت وإذا لاحظت جماله تاهت وقال بشر قصدت عبادان
في بدايتي فإذا أنا برجل أعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه فرفعت رأسه فوضعته في حجري وأنا أردد الكلام فلما أفاق قال
من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني إربا إربا ما ازددت له إلا حبا قال بشر فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه
فأنكرتها وقال أبو عمرو محمد بن الأشعث إن أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر إلى وجه يوسف الصديق عليه السلام
كانوا إذا جاعوا نظروا إلى وجهه فشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع بل في القرآن ما هو أعظم من ذلك وهو قطع النسوة أيديهن
لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما أحسسن بذلك وقال سعيد بن يحيى رأيت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مدية
وهو ينادي بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول يوم الفراق من القيامة أطول والموت من ألم التفرق أجمل قالوا ارحل فقلت إنما
لكن مهجتي التي تترحل ثم بقر بطنه وخر ميتا فسألت عنه وعن أمره فقيل إنه يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا ويروى أن
يونس عليه السلام قال لجبريل عليه السلام دلني على أعبد أهل الأرض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول
إلهي متعتني بها ما شئت أنت وسلبتنيها ما شئت أنت وأبقيت لي فيك الأمل يا بر يا وصول وروي أن ابن عمر رضي الله عنهما اشتكى
له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في
جنازته وما رجل أشد سرورا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر إنما كان حزني رحمة له فلما وقع أمر الله رضينا به وقال مسروق كان رجل

بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم فجاء الثعلب واخذ
الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا له فقال الرجل عسى ان يكون
خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم فقال انما اخذوا اولئك
بما كان عندهم من اصوات الكلاب والحمير والديكة فكانت الخيرة في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فاذا من عرف خفي لطف الله تعالى
رضي بفعله على كل حال وقال بعضهم لو بعث الخلائق الى الجنة ثم ملئ بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت
به من قسمه وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بالم النار وان بقي احساس فيغمره ما يحصل من لذته في
استشعاره رضى محبوبه بالقائه اياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وان كان بعيدا من احوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي ان
يستنكر الضعيف المحروم احوال الاقوياء ويظن ان ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء وقال الروذباري قلت لابي عبد الله بن الجلاء الدمشقي
قول فلان وددت ان جسدي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق اطاعوه فما معناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق الاشفاق والنصح
للخلق فاعرف وان كان من طريق التعظيم والاجلال فلا اعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن الحصين استسقى بطنه فبقي ملقى
على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف واخوه العلاء فجعل يبكي
لما يرى من حاله فقال لم تبكي قال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان احبه الى الله احبه الي ثم قال احدثك شيئا لعل الله ان
ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة اذ هو
سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن مثعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته
شيئا حتى كشف فقالت له امرأته اهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف واصبحت نضوا لا اطعم طعاما و
لا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما ما ادري او نحوها وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر وروي ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى ابرص
مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا اي
شيء من البلاء اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك فناوله
يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة وقد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير رجله من الركبة
من اكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني واحدة وايم الله لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع
ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقر والغنى مطيتان ما ابالي ايهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنى فان
فيه البذل وقال ابو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فما لي منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلائق كلهم الجنة
وادخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف آخر نلت غاية الرضا عنه فقال اما الغاية فلا ولكن مقام الرضا قد نلته لو جعلني جسرا
على جهنم يعبر الخلائق علي الى الجنة ثم ملأ بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه ولما قدم سعد بن
ابي وقاص مكة وقد كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن
السائب فاتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال انت قارئ اهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم انت تدعو للناس
فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بني قضاء الله سبحانه عندي احسن من بصري وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة ايام لم يعرف
له خبر فقيل له لو سألت الله ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي وعن بعض العباد انه قال اذنبت ذنبا
عظيما فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم
يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض لكان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله سبحانه ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا
رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبي اخبرني هل قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا
قال فانما مزيدك منه الصوم والصلاة قال نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك ان معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه انك لم تفتح
لك باب القلب فترقى الى درجات القرب باعمال القلوب وانما انت تعد في طبقة اصحاب اليمين لان مزيدك منه في اعمال الجوارح التي هي

مزيد

مزيد اهل العموم ودخل جماعة من الناس على الشبلي في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من انتم قالوا محبوك فاقبل
عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما لكم ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا على بلائي وللشبلي رضي الله عنه ان المحبة للرحمن اسكرني
وهل رأيت محبا غير سكران وقال بعض عباد اهل الشام كلكم يلقى الله عز وجل ولعله قد كذبه وذلك ان احدكم لو كان له اصبع من ذهب ظل
يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها يعني بذلك ان الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به والبلاء زينة اهل الآخرة وهم يستنكفون
منها واحترق سوق فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون الناس
فتاب عن التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله فاذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف
الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات اهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق الله وحظوظ
الآخرة قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضا بالالم لما يتوقع من الثواب الموعود كالرضا بالحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثاني
الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضى له فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون الذ الاشياء عنده
سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو في هلاك روحه كما قيل فما لجرح اذا ارضاكم الم وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد
يستولي الحب بحيث يدهش عن ادراك الالم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي ان ينكره من فقده من نفسه لانه
انما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب اعظم مما وصفناه وقد روي عن عمرو بن الحارث
الرافقي قال كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا فضربت بالقضيب وغنت
علامة ذل الهوى على العاشقين البكا لا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكى فقال لها الفتى احسنت والله يا سيدتي افتأذنين لي ان اموت فقالت مت
مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة واطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فاذا هو ميت وقال الجنيد رضي الله عنه رأيت رجلا متعلقا
بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال له الى متى ذا النفاق الذي تظهر فقال قد علم الله اني صادق فيما اورده
حتى لو قلت لي مت لمت فقال ان كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا وقال سمنون المحب كان في جيراننا رجل
وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبينا هو يحرك القدر اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل
وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى سقطت اصابعه فقالت الجارية ما هذا فقال الرجل مكان قولك آه من قلبي
وحكي عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد اشرف على الناس وهو يقول من مات عشقا فليمت
هكذا لا خير في عشق بلا موت ثم رمى بنفسه الى الارض فحملوه ميتا فهذا وامثاله قد يصدق به في حب المخلوق والتصديق به في حب
الخالق اولى لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربوبية اوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من
حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الالحان والنغمات الموزونة فالذي فقد القلب
لا بد وان ينكر ايضا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب **بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا**
وكذلك كراهية المعاصي ومقت اهلها ومقت اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه وقد غلط في ذلك
بعض البطالين المغترين وزعم ان المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن اسرار
الشرع فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام على ما نقلناه في كتاب الدعوات تدل عليه ولقد كان
صلى الله عليه في اعلى مقامات الرضا وقد اثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله تعالى يدعوننا رغبا ورهبا واما انكار المعاصي وكراهتها
وعدم الرضا بها فقد تعبد الله به عباده وذمهم على الرضا به فقال رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال رضوا بان يكونوا مع الخوالف
وطبع الله على قلوبهم وفي الحديث المشهور من شهد منكرا فرضي به فكأنه قد فعله وفي الحديث الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود
ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به وفي الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي
بقتله آخر بالمغرب كان شريكه في قتله وقد امر الله تعالى بالغبطة والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور فقال تعالى وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون وقال النبي عليه السلام لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته

في الحق وفي لفظ آخر ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول لو آتاني الله تعالى مثل ما آتى هذا لفعلت مثل
ما يفعل وأما بغض الكفار والفجار والإنكار عليهم ومقتهم فيما ورد من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون
الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقال تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر إن الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن
يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن وقال المرء مع من أحب وقال من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة
وقال صلى الله عليه أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا ذكرناه في باب الحب والبغض في الله من كتاب آداب
الصحبة وفي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نعيده فإن قلت فقد وردت الآيات والأخبار بالرضى بقضاء الله فإن كانت
المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد وإن كانت بقضاء الله فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل إلى الجمع
وهو متناقض على هذا الوجه وكيف الطريق إلى الجمع بين الرضى والكراهة في شيء واحد فاعلم أن هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين
عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت على المنكرات مقاما من مقامات الرضى وسموه حسن خلق وهو
جهل محض بل نقول الرضى والكراهة يتضادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد وليس من التضاد في شيء
واحد أن يكره من وجه ويرضى به من وجه إذ قد يموت عدوك الذي هو أيضا عدو بعض أعدائك وساع في إهلاكه فتكره موته من حيث
إنه مات عدو عدوك وترضى به من حيث إنه مات عدوك وكذلك للمعصية وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنه فعله واختياره و
إرادته فترضى به من هذا الوجه تسليما للملك إلى مالك الملك ورضى بما يفعل فيه ووجه إلى العبد من حيث إنه كسبه ووصفه وعلامة
كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف لك هذا إلا
بمثال فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه إني أريد أن أميز بين من يحبني ويبغضني وأنصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا
وهو أني أقصد إلى فلان فأوذيه وأضربه ضربا يضطره إلى الشتم لي حتى إذا شتمني أبغضته واتخذته عدوا لي فكل من أحبه فأعلم أنه
أيضا عدوي وكل من أبغضه فأعلم أنه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي
هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشروط المحبة أن يقول أما تدبيرك في إيذاء هذا الشخص وضربه وإبعاده
وتعريضك إياه للبغض والعداوة فأنا محب له وراض به فإنه رأيك وفعلك وتدبيرك وإرادتك وأما شتمه إياك فإنه عدوان من جهته إذ
كان من حقه أن يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فإنك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث إنه حصل
على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته فأنا راض به ولو لم يحصل ذلك لكان ذلك نقصانا في تدبيرك وتعويقا في مرادك وأنا كاره لفوات
مرادك ولكنه من حيث إنه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك إذ كان ذلك يقتضي أن
يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فأنا كاره له من حيث نسبته إليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك وأما
بغضك له بسبب شتمك فأنا راض به ومحب له لأنه مرادك وأنا على موافقتك أيضا مبغض له لأن شرط المحب أن يكون حبيب المحبوب حبيبا
وعدوه عدوا وأما بغضه لك فإني أرضاه من حيث إنك أردت أن يبغضك إذ أبعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني
أبغضه من حيث إنه وصف لذلك المبغض وكسبه وفعله وأمقته لذلك فهو ممقوت عندي لمقته إياك وبغضه ومقته لك أيضا مكروه عندي من
حيث إنه وصفه وكل ذلك من حيث إنه مرادك فهو مرضي وإنما التناقض أن يقول هو من حيث إنه مرادك مرضي ومن حيث إنه مرادك مكروه
فأما إذا كان مكروها لا من حيث إنه فعله ومراده بل من حيث إنه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه
ويرضى من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فإذا تسليط الله دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك إلى حب المعصية ويجره الحب إلى
فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلا ليجره الضرب إلى الغضب والغضب إلى الشتم ومقت الله لمن عصاه
وإن كانت معصيته بتدبيره يضاهي بغض المشتوم لمن شتمه وإن كان شتمه إنما حصل بتدبيره واختياره لأسبابه وفعل الله ذلك بكل عبد
من عبيده أعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل على أنه سبقت مشيئته بإبعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله أن يبغض من أبغضه
الله ويمقت من مقته ويعادي من أبعده عن حضرته وإن اضطره بقهره وقدرته إلى معاداته ومخالفته فإنه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة

وإن كان

وإن كان بعيدا بإبعاده قهرا ومطرودا بطرده اضطرارا والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون ممقوتا بغيضا إلى جميع المحبين موافقة
للمحبوب بإظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بإبعاده وبهذا تقرر جميع ما وردت به الأخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد
على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضى بقضاء الله تعالى من حيث إنه قضاء الله وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في
إفشائه وهو أن الخير والشر كلاهما داخلان في المشيئة والإرادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به فمن قال ليس الشر من
الله فهو جاهل وكذا من قال إنهما جميعا منه من غير افتراق في الرضى والكراهة فهو أيضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه
فالأولى السكوت والتأدب بأدب الشرع فقد قال رسول الله صلى الله عليه القدر سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة
وغرضنا الآن بيان الإمكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضى بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع أنها من قضاء الله وقد ظهر
الغرض من غير حاجة إلى كشف السر فيه وبهذا تعرف أن الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الأسباب المعينة على
الدين غير مناقض للرضى بقضاء الله فإن الله تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون
ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضى بقضاء الله في العطش
وشرب الماء طلبا لإزالة العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الأسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه مسبب الأسباب وأمر به وقد
ذكرنا أن التمسك بالأسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو أيضا لا يناقض الرضى
لأن الرضى مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم إظهار البلاء في معرض الشكوى وإنكاره على الله مناقض للرضى وإظهار البلاء على
سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض وقد قال بعض السلف من حسن الرضى بقضاء الله أن لا يقول هذا يوم
حار أي في معرض الشكاية وذلك في الصيف وأما في الشتاء فهو شكر والشكوى مناقض للرضى بكل حال وذم الأطعمة و
عيبها مناقض للرضى بقضاء الله لأن مذمة الصنعة مذمة الصانع والكل من صنع الله وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال
تعب والاحتراف مشقة كل ذلك قادح في الرضى بل ينبغي أن يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه
لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فإني لا أدري أيهما خير لي

## بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضى

اعلم أن الضعيف قد يظن أن نهي رسول الله صلى الله عليه عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون يدل على النهي
عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لأن كل واحد منهما فرار من القضاء وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون
أنه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الأصحاء وبقي فيه المطعونون مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزلا وضرا ولذلك شبهه رسول الله
بالفرار من الزحف في بعض الأخبار ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما أذن لمن قارب البلد في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في
التوكل وإذا عرف المعنى ظهر أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من
الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو إلى المعاصي والأسباب التي تدعو إليها لأجل التنفير عن المعصية ليس مذموما فما زال
السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد وإظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق
والغرب فما رأيت بلدا شرا من بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدرى فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قيل
له كيف رأيت بغداد فقال ما رأيت بها إلا شرطيا غضبان أو تاجرا لهفان أو قاريا حيران ولا ينبغي أن يظن أن ذلك من
الغيبة لأنه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وإنما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج إلى مكة وقد كان مقامه ببغداد
يترصد القافلة ستة عشر يوما وكان يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم دينار كفارة لمقامه وذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز
وكعب الأحبار وقال ابن عمر لمولى له أين تسكن فقال العراق فقال فما تصنع به بلغني أنه ما من أحد يسكن العراق إلا قيض له قرين من البلاء
وذكر كعب الأحبار يوما العراق فقال فيه تسعة أعشار الشر وفيه الداء العضال وقيل قسم الخير عشرة أجزاء فتسعة أعشاره بالشام
وعشر بالعراق وقسم الشر بالعكس منه وقال بعض أصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفي متدرع بعباءة فأجلسه
إلى جانبه وأقبل عليه ثم قال أين تسكن فقال بغداد فأعرض عنه وقال يأتينا أحدهم في زي الرهبان فإذا سألناه أين تسكن قال في عش الظلمة

وكان بشر بن الحارث يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد في الحش وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بها من اراد ان
يخرج فليخرج وكان احمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي قيل واين تختار السكنى
قال بالثغور وقال بعضهم وسئل عن بغداد فقال زاهدهم زاهد وشريرهم شرير وهذا دليل على ان من يكون ببلد يكثر فيها المعاصي
ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي ان يهاجر عنها الى غيرها من البلاد وقد قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها فان منعه عن ذلك عيال او علاقة فلا ينبغي ان يكون راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي ان يكون منزعج القلب منها قائلا على
الدوام ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر على الجميع وشمل المطيعين وقال تعالى
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فاذا ليس في شيء من اسباب نقصان الدين البتة رضى مطلق الا من حيث اضافتها الى
الله تعالى فاما في انفسها فلا وجه للرضى بها بحال وقد اختلف العلماء وقد اختلف العلماء في الافضل من اهل مقامات ثلث رجل يحب
الموت شوقا الى لقاء الله ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا ارضى بما اختاره الله تعالى لي ورفعت هذه
المسئلة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضى افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري و
يوسف بن اسباط فقال الثوري كنت اكره موت الفجاءة قبل اليوم واليوم وددت اني مت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من
الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء فقال سفيان لم قال لعلي اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقيل لوهيب ايش تقول انت
فقال انا لا اختار شيئا احب ذلك الي احبه الى الله تعالى فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة
جملة من حكايات المحبين واقوالهم ومكاشفاتهم قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما محبوب والمحب متعوب
وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة وكان يقول اذا رأيتموني فقد رأيتم اربعين بدلا فقيل وكيف
وانت شخص واحد فقال لاني رأيت اربعين بدلا واخذت من كل واحد خلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى الخضر فتبسم
وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه ويحكى عن الخضر انه قال ما حدثت نفسي يوما
قط انه لم يبق ولي لله الا عرفته الا ورأيت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي رضي الله عنه مرة حدثنا عن
مشاهدتك من الله فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله فقال وهذا ايضا لا يجوز
ان اطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله عز وجل فجمحت علي فعزمت عليها ان لا اشرب
الماء سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك ويحكى عن يحيى بن معاذ الرازي انه رأى ابا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء
الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصيه مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف
قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الماء والمشي على الهواء فرضوا بذلك واني اعوذ
بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا
بذلك واني اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فرآني فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي فقال
مذ متى انت هنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال احدثك بما يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي واراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات واراني ما فيها من
الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شيء رأيت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنته فاسألك اياه
فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشياء قال يحيى فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت
يا سيدي لم لا سألته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني
لا احب ان يعرفه سواه ويحكى ان ابا تراب النخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته
وتواجده فقال له ابو تراب يوما لو رأيت ابا يزيد فقال المريد اني عنه مشغول فلما اكثر ابو تراب عليه من قوله لو رأيت ابا يزيد هاج وجد
المريد فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد وقد رأيت الله فاغناني عن ابي يزيد قال ابو تراب فهاج طبعي ولم املك نفسي فقلت ويلك



تغتر بالله عز وجل لو رأيت ابا يزيد مرة كان انفع لك من ان ترى الله سبعين مرة قال فبهت الفتى من قوله وانكره فقال وكيف ذلك
قال له ويلك اما ترى الله عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر
قصة قال في آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج علينا من الغيضة وكان يأوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة
على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي
نظره اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله
لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا
لو سألت الله دفعهم فسكت ثم قال ان لله عبادا في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة ولكن
لا يفعلون قيل ولم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله اشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سألوه ان لا يقيم الساعة
لم يقمها وهذه امور ممكنة في انفسها فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة
والفضل عظيم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك
كان ابو يزيد يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا
مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلاء امثالهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت
باربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت
اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي
لئلا انظر وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم ازل اتضرع حتى صرفهن عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان يكون المؤمن
لافلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه احوال تظهر بعد مجاهدات و
عقبات ونيل مقامات ليس ادناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مخالطة حال عن
الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهي اوائل سلوكهم واقل مقاماتهم وهي اعز موجود في الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب
عن كدورة الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري مجرى انكار
من انكر امكان انكشاف الصورة في الحديد اذا شكلت ونقيت وصقلت وصورت بصورة المرآة فنظر المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلمة
قد استولى عليها الصدأ والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور فانكر امكان انكشاف المرئي فيها عند ظهور جوهرها فانكار ذلك غاية الجهل و
الضلال فهذا حكم كل من انكر كرامات الاولياء اذ لا مستند له الا قصوره عن ذلك وقصوره عن رآه وبئس المستند ذلك في انكار قدرة الله تعالى
بل انما يستنشق روائح المكاشفات من سلك شيئا ولو من مبادي الطريق كما قيل لبشر باي شيء بلغت هذه المنزلة قال كنت اكاتم الله حالي معناه اسأله
ان يكتم علي ويخفي امري وروي انه رأى الخضر فقال له ادع الله لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني فقال وسترها عليك فقيل معناه
سترها عن الخلق وقيل سترها عنك حتى لا تلتفت انت اليها وعن بعضهم انه قال اقلقني الشوق الى الخضر فسألت الله مرة ان يريني
اياه ليعلمني شيئا كان اهم الاشياء علي قال فرأيته فما غلب علي همي ولا همتي الا ان قلت له يا ابا العباس علمني شيئا اذا قلته حجبت في
قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولم يعرفني احد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني
في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب فلم اره ولم اشتق اليه بعد ذلك فما تركت ان اقول هذه الكلمات في كل يوم فحكي انه
صار بحيث كان يستذل ويمتهن حتى كان اهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان
يولعون به فكانت راحته ووجود قلبه واستقامة حاله في ذله وخموله فهكذا حال اولياء الله ففي امثال هؤلاء ينبغي ان يطلبوا والمغرورون
انما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله على اوليائه تأبى الا اخفاءهم
كما قال تعالى اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقال صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وبالجملة
فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها واقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة

الايلاغ سخت حريص كردن
وبعدي بالباء وحريص شدن

ذل النفس استشعارا ما اذلت واعتقدتم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر
انفا تعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى جميع انواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار
التواضع بالطبع صفة ذاتية فمثل هذا القلب يرجى له ان يستنشق مبادي هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا
الروح فلا ينبغي ان نطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون وليا لله فليكن محبا لاولياء الله مومنا بهم فعسى ان
يحشر مع من احب ويشهد لهذا ما روي ان عيسى عليه السلم قال لبني اسرائيل اين ينبت الزرع قالوا في التراب قال بحق اقول لكم لا تنبت
الحكمة الا في قلب مثل التراب وقد انتهى المريدون لولاية الله في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى روي عن
الكردي وسواسا ذالحنيد ان رجلا دعاه بكثرة مرات الى طعامه ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله في المرة
الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي في الذل عشرين سنة حتى صارت منزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود
ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وعنه ايضا انه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتت قلبي فدخلت
الحمام وعينت ثيابا فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت امشي قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي
واخذوا الثياب وصفعوني واوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم
الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى النفس محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب
بعيد وتخلل حائل وانما بعد القلوب شغلها بغيرها او بنفسها واعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكي ان زاهدا عظيم القدر من اهل بسطام
كان لا يفارق مجلس ابي يزيد فقال له يوما يا ابا يزيد منذ ثلاثين سنة اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل لا انام ولا اجد في قلبي من هذا العلم الذي
تذكر شيئا وانا اصدق به واحبه فقال ابو يزيد لو صمت ثلثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال
افلهذا دواء قال نعم قال قل لي حتى اعمله قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى اعمله قال اذهب الان الى المزين فاحلق راسك ولحيتك وانزع
هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة اعطيته جوزة وادخل
الاسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وانت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك
قال وكيف ذلك قال لانك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا افعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل كل شيء فقال
لا اطيقه فقال قلت لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكره ابو يزيد دواء من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجي من هذا المرض
دواء سوى هذا وامثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي ان ينكر امكان الشفاء في حق من داوى نفسه بعد المرض او لم يمرض بمثل هذا المرض
فاقل درجات الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل ايضا وهذه امور جلية في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة
عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال النبي صلى الله عليه لا يستكمل العبد الايمان بالله حتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرة الشيء وحتى يكون
ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وقال ايضا ثلث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران
احدهما للدنيا والاخر للاخرة اثر امر الاخرة على امر الدنيا وقال صلى الله عليه لا يكمل ايمان العبد حتى يكون فيه ثلث خصال اذا غضب
لم يخرجه غضبه من حق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له وفي حديث اخر ثلث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي
ال داود العدل في الرضى والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها صلى الله عليه لاهل
الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله ان يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة
مقامات عظيمة وراء الايمان وفي الاخبار ان الله اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له همة غيري ولا يوثر علي
شيئا من خلقي وان احرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد الما فمن لم يبلغ الحب الى هذا الحد فمن
اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته في الزيادة والنقصان
لا حصر له ولذلك قال عليه السلم للصديق رضي الله عنه ان الله تعالى قد اعطاك مثل ايمان كل من آمن بي من امتي واعطاني مثل ايمان كل من آمن به
من ولد آدم وفي حديث اخر ان لله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر يا رسول الله هل في خلق منها

اي قدر عليه رزقه

قال

فقال كلها فيك يا ابا بكر واحبها الى الله السخا وقال عليه السلم رايت ميزانا ادلي من السما فوضعت في كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت
بهم ووضع ابو بكر في كفة وجي بامتي فوضعت في كفة فرجح بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه
للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه [illegible]
تعلق بالمحبة سبعها قال سمنون المحبة اتباع الرسول وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقا
في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب يعجز القلوب
عن ادراكه ويمنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض
زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله وقيل للشبلي صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم
هلك والمحب ان سكت هلك وقال الشبلي يا ايها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم يا رافع النوم عن جفوني انت بما مر بي عليم
ولغيره عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل انسى فاذكر ما نسيت اموت اذا ذكرتك ثم احيا ولولا حسن ظني ما حييت فاحيا بالمنى واموت شوقا
فكم احيا عليك وكم اموت شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت فليت خياله نصب لعيني فان قصرت في نظري عميت
وقالت رابعة يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء اوحى الله تعالى الى
عيسى اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم سمنون المحب يوما في المحبة
فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم ومات وقال ابراهيم بن ادهم الهي انك تعلم ان الجنة لا
تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال سري السقطي من احب الله عاش ومن
مال الى الدنيا طاش والاحمق يروح ويغدو في لا شيء وقيل لرابعة كيف حبك للرسول فقالت اني والله لاحبه حبا شديدا ولكن حب
الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسيل عيسى عليه السلم عن افضل الاعمال فقال الرضى عن الله والحب له وقال ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا و
لا الاخرة انما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي المحبة دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقيل المحبة ان تمحو اثرك عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع
منك اليك وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات
وسيل سهل عن المحبة فقال عطف الله تعالى بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة المحب على اربع منازل على المحبة والهيبة
والحيا والتعظيم وافضلها التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين يبقيان في الجنة مع اهل الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حيان
المومن اذا عرف ربه احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين
الفترة وهو يحسره في الدنيا ويروحه في الاخرة وقال عبد الله بن محمد سمعت امراة من المتعبدات [illegible] وهي باكية والدموع على خدها جارية
والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة انت من عملك قالت
لا ولكني لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وانا احبه واوحى الله تعالى الى داود عليه السلم لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم
ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين
علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عندي اذا رجع الي وقال ابو خالد
الصفار لقي نبي من الانبيا عابدا فقال انكم معاشر العباد تعملون على امر ولسنا معاشر الانبيا نعمل عليه انتم تعملون على الخوف والرجا ونحن
نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي اوحى الله تعالى الى داود يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وانا خاصة
للمحبين واوحى الله تعالى الى آدم يا آدم من احب حبيبا صدق قوله ومن انس بحبيبه رضي فعله ومن اشتاق اليه جد في مسيره وكان الخواص يضرب على صدره
ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه وقال الجنيد بكى يونس حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك
بحر من نار لخضته شوقا مني اليك وعن علي بن ابي طالب قال سالت رسول الله صلى الله عليه عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب
اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد
حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح

جنودا مجندة فأرواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وأرواح
الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال بعض المشايخ رأيت في جبل اللكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى
حجر ويقول الشوق والهوى صيراني كما ترى وقيل الشوق نار الله اشعلها في قلوب اوليائه حتى تحرق ما في قلوبهم من الخواطر والارادات
والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والانس والرضى والشوق فلنقتصر عليه والله اعلم تم كتاب المحبة والشوق

## كتاب النية والاخلاص والصدق

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين ونشهد ان لا اله الا الله رب العالمين وخالق السموات
والارضين ومكلف الجن والانس والملائكة المقربين ان يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
فما لله الا الدين الخالص المتين فانه اغنى الاغنياء عن شركة المشاركين والصلوة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله و
اصحابه الطيبين الطاهرين اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار القرآن ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم
والعبادة فالناس كلهم هلكى الا العالمين والعالمون كلهم هلكى الا العاملين والعاملون كلهم هلكى الا المخلصين والمخلصون على خطر عظيم فالعمل
بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال تعالى في كل
عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية
او كيف يخلص من صحح النية اذا لم يعرف حقيقة الاخلاص او كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد
اراد طاعة الله ان يتعلم النية اولا لتحصيل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين هما وسيلتا العبد الى النجاة والخلاص
ونحن نذكر معاني النية والصدق والاخلاص في ثلاثة ابواب الباب الاول في حقيقة النية ومعناها الباب الثاني في الاخلاص وحقائقه
الباب الثالث في الصدق وحقيقته

### الباب الاول في النية

وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية وبيان خروج النية عن الاختيار

### بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة هي النية وقال صلى الله عليه انما الاعمال بالنيات
ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه
وقال صلى الله عليه اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما
فجعل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها
مظنة النية وقال صلى الله عليه ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول القوا هذه الصحيفة
فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل ذلك فيقول الله انه نواه انه نواه وقال صلى الله عليه
الناس اربعة رجل آتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل آتاه
الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه عملت مثل عمله فهما في الوزر سواء الا ترى كيف شركه بالنية
في محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث انس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه في غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا
ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا
معنا قال حبسهم العذر فشركوا بحسن النية وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل ليتزوج امرأة
منا فكان يسمى مهاجر ام قيس ولذلك جاء في الخبر ان رجلا قتل في سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره
فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا
يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له وروي في الاسرائيليات
ان رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان لي هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله الى
نبيهم ان قل له ان الله قد قبل منك صدقتك وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد من طرق كثيرة

من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وفي حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب
ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها وفي حديث ام سلمة ان النبي
صلى الله عليه ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يحشرون يوم القيامة على نياتهم وقال
عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات وقال اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم
فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا قتل فلان في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو
في سبيل الله وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه انه قال يبعث كل عبد على ما مات عليه وفي حديث الاحنف عن ابي بكرة
اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وفي حديث
ابي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال صلى الله عليه من
تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة واما الآثار فقد قال
عمر رضي الله عنه افضل الاعمال اداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله وصدق النية فيما عند الله تعالى وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن
عبد العزيز اعلم ان عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل
صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود الطائي من كان اكبر همه التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته
نيته يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال بعض العلماء اطلب
النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلماء ويقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا لله تعالى
فاني لا احب ان يأتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله تعالى فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت واذا
فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله وكذلك قال بعض السلف ان نعم الله عليكم اكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم اخفى من
ان تعلموها ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت ولم تهم بمعصية وانتبهت الى
غير اثم وقال ابو هريرة يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض اذا قرأ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو اخباركم يبكي ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وقال الحسن انما خلد اهل الجنة في الجنة واهل النار
في النار بالنيات وقال ابو هريرة مكتوب في التوراة ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غيري فكثيره قليل وقال بلال بن سعد ان
العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله وقوله حتى ينظر في عمله فاذا عمل لم يدعه حتى ينظر في ورعه فان تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى
فان صلحت النية فبالحري ان يصلح ما دون ذلك فاعماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها خير
وان تعذر العمل بعائق

### بيان حقيقة النية

اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة
للقلب يكتنفها امران علم وعمل والعلم يقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل اعني كل حركة وسكون
اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد ان يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من ارادة
ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال او في المآل فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم
غرضه ويخالفه بعض الامور فاحتاج الى جلب الملائم الموافق لنفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك للشيء
المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق
الله تعالى الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو ابصر الغذاء وعرف ان ذلك
موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق له ولا يمكنه
التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة له فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة اعني نزوعا في نفسه اليه وتوجها في قلبه
اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم به التناول
والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد وان يقوى في نفسه كون

الشيء موافق له فإذا جزمت المعرفة بأن الشيء موافق فلا بد أن يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الإرادة وتحقق
الميل فإذا انبعثت الإرادة انتهضت القدرة لتحريك الأعضاء فالقدرة خادمة للإرادة والإرادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية
عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الإرادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل إلى ما هو موافق للغرض إما في الحال وإما في المآل فالمحرك
الأول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الإرادة
بتحريك الأعضاء هو العمل إلا أن انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد وإذا كان بباعثين
فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بإنهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه إلا بالاجتماع وقد يكون أحدهما كافيا لولا
الآخر لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم أربعة أقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما أما الأول فهو أن ينفرد
الباعث الأول الواحد ويتجرد كما إذا هجم على الإنسان سبع فكلما رآه قام من موضعه فلا مزعج له إلا غرض الهرب من السبع فإنه رأى
السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه للهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال قام بنية الهرب والفرار
من السبع لا نية له في القيام غيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها إخلاصا بالإضافة إلى الغرض الباعث ومعناه أنه خلص
من مشاركة غيره وممازجته. وأما الثاني فهو أن يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالإنهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس أن
يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل لو انفرد به ومثاله في غرضنا أن يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها
لفقره وقرابته وعلم أنه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وأنه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بأن يحضره
قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير أجنبي فيرغب في قضاء حاجته أيضا وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام وقد دخل يوم عرفة فصام
وهو يعلم أنه لولا يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لأجل يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فأقدم على الفعل و
الباعث الثاني رفيق الأول فلنسم هذا مرافقة البواعث. الثالث أن لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على
إنهاض القدرة ومثاله من المحسوس أن يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد أحدهما به ومثاله في غرضنا أن يقصده قريبه الغني فيطلب
درهما فلا يعطيه ويقصده الأجنبي الفقير فلا يعطيه ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهما
القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد
قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولما اجتمعا أورثا بمجموعهما
تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة. والرابع أن يكون أحد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن
لما انضاف إليه لم ينفك عن تأثير بالإعانة والتسهيل ومثاله في المحسوس أن يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي
لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فإن ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا أن يكون للإنسان ورد في الصلوات
وعادة في الصدقات فاتفق أن حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل أخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه أنه لو كان منفردا
خاليا لم يفتر عن عمله وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق إلى النية ولنسم هذا النوع المعاونة فالباعث
الثاني إما أن يكون رفيقا أو شريكا أو معينا وسنذكر حكمها في باب الإخلاص والغرض الآن بيان أقسام النية فإن العمل تابع
للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل إنما الأعمال بالنيات لأنها تابعة لا حكم لها في نفسها وإنما الحكم للمتبوع. بيان سر
قوله نية المؤمن خير من عمله اعلم أنه قد يظن أن سبب هذا الترجيح أن النية سر لا يطلع عليه إلا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل
وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لأنه لو نوى أن يذكر الله تعالى بقلبه أو يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث أن تكون نية التفكر خيرا
من التفكر وقد يظن أن سبب الترجيح أن النية تدوم إلى آخر العمر والأعمال لا تدوم وهذا ضعيف لأن ذلك يرجع معناه إلى أن العمل
الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فإن نية أعمال الصلاة قد لا تدوم إلا في لحظات معدودة والأعمال تدوم والعموم يقتضي أن تكون
نيته خيرا من عمله وقد يقال معناه أن النية بمجردها خير من العمل بمجرده وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد إذ العمل بلا نية أو على الغفلة
لا خير فيه أصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في أصل الخير بل المعنى به أن كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة

الخيرات

الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعات خير من العمل أي لكل واحد منهما أثر في المقصود وأثر النية أكثر من
أثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض أن للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان
والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه وأما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه إلا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطرق
في الإيصال إلى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح بالإضافة إلى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة
فإنما يعني به أنه خير بالإضافة إلى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك إلا من فهم أن للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وأن الأغذية
مختلفة الآثار فيها وفهم أثر كل واحد وقايس البعض بالبعض فالطاعات غذاء للقلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في
الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله تعالى فقط ولن يتنعم بلقاء الله إلا من مات محبا لله عارفا بالله
ولن يحبه إلا من عرفه ولن يأنس بربه إلا من طال ذكره له فالأنس يحصل بدوام الذكر والمعرفة بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة
ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر إلا إذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها إلا إذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير
مائلا إلى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وإنما يميل إلى الخيرات والطاعات إذا علم أن سعادته في الآخرة منوطة بها كما يميل
العاقل إلى الفصد والحجامة لعلمه أن سلامته فيهما وإذا حصل أصل الميل بالمعرفة فإنما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فإن
المواظبة على مقتضى صفات القلب وإرادته بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة وتقوى بسببها فالمائل إلى طلب
العلم أو طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء إلا ضعيفا فإن اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والأعمال المطلوبة لها
تأكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وإن خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق بل الذي ينظر إلى وجه حسن
فيميل طبعه إليه ميلا ضعيفا ولو اتبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تأكد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره
فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون ذلك زجرا ودفعا
في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه أو ينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي يراد بها الآخرة والشرور كلها
هي التي يراد بها الدنيا لا الآخرة وميل النفس إلى الخيرات الأخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن
يتأكد ذلك إلا بالمواظبة على أعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لأن بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى إنه يتأثر كل واحد منهما بالآخر
فترى العضو إذا أصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب إذا تألم بموت عزيز من أعزته أو بهجوم أمر مخوف تأثرت به الأعضاء وارتعدت
الفرائص وتغير اللون إلا أن القلب هو الأصل المتبوع وكأنه الأمير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا والأتباع فالجوارح خادمة
للقلب بتأكيد صفاتها فيه فالقلب هو المقصود والأعضاء آلات موصلة إلى المقصود ولذلك قال صلى الله عليه إن في الجسد لمضغة إذا صلحت
صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد وقال اللهم أصلح الراعي والرعية وأراد بالراعي القلب وقال تعالى لن
ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهو صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من
حركات الجوارح ثم يجب أن تكون النية من جملتها أفضل لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له وغرضنا من الأعمال بالجوارح أن
يعود القلب إرادة الخير ويؤكد فيه الميل إليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالإضافة إلى الغرض
لأنه متمكن من نفس المقصود وهذا كما أن المعدة إذا تألمت فقد تداوى بأن يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل إلى
المعدة بالشرب خير من طلاء الصدر لأن طلاء الصدر أيضا إنما أريد به أن يسري منه الأثر إلى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وأنفع فهكذا
ينبغي أن تفهم تأثير الطاعات كلها إذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن أن في وضع الجبهة على الأرض
غرضا من حيث إنه جمع بين الجبهة والأرض بل من حيث إنه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فإن من يجد في نفسه تواضعا فإذا استعان
بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد التواضع ومن يجد في قلبه رقة على يتيم فإذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل
بغير نية مفيدا أصلا لأن من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظان أنه يمسح ثوبا لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيد الرقة وكذلك من يسجد
غافلا وهو مشغول الهم بأغراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الأرض أثر إلى قلبه يتأكد به التواضع فكان وجوده وعدمه سواء وما ساوى

وجود عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فالعبادة لغرض الرياء باطلة وهذا معناه وهذا اذا فعل عن غفلة
فان قصد به الرياء او تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا لانه لم يزل الصفة المطلوب ازالتها حتى اكد الصفة المطلوب قمعها وهي
صفة الرياء التي هي الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا ايضا تعرف معنى قوله صلى الله عليه من هم بحسنة ولم يعملها كتبت
له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات واما الاتمام بالعمل فيزيدها تاكيدا فليس
المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية
والهمة وان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى هنا عمل القلب ولذلك قال صلى الله عليه
ان قوما بالمدينة قد شركونا في جهادنا كما ذكرناه لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة و
اعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين في الجهاد وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تختص بالاسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب الا
لتاكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الاحاديث التي اوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليها لينكشف لك اسرارها ولا نطول
بالاعادة

**بيان** تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب
ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة اقسام طاعات ومعاصي ومباحات القسم الاول المعاصي
وهي لا تتغير عن موضوعاتها بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله صلى الله عليه انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب
طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره او يبني مدرسة او مسجدا او رباطا بمال حرام وقصده
الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فان عرفه
فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن ان يكون
الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس
وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل ما عصي الله بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف
شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه انه عالم فكيف يتعلم وكذلك افضل
ما اطيع الله به العلم وراس العلم العلم بالعلم كما ان راس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب
الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود ان من قصد الخير بمعصية عن جهل
فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة التعلم وقد قال تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال عليه السلام
لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه ويقرب من هذا تقرب السلاطين ببناء المساجد
والمدارس بالمال الحرام وتقرب علماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المشغولين بالفسق والفجور والقاصرين هممهم على مماراة
العلماء ومباهاة السفهاء واستمالة قلوب الناس وجمع حطام الدنيا واخذ اموال السلاطين واليتامى والمساكين فان هؤلاء اذا تعلموا
كانوا قطاع الطريق وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس
بسبب مشاهدته على معاصي الله ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وامثاله ويتخذونه ايضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك
ووباله كله يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته انواع المعاصي من اقواله وافعاله وفي مطعمه وملبسه
ومسكنه فيموت هذا العالم ويبقى آثار شره منتشرة في العالم الف سنة مثلا والفي سنة وطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله
حيث يقول انما الاعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به الا ان
يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه
وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع الطريق واعد له خيلا واسبابا يستعين بها على مقصوده ويقول انما اردت البذل و
السخاء والتخلق باخلاق الله الحميدة وقصدت ان يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله فان اعداد الخيل والقوة للغزاة
من افضل القربات فان صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد اجمع الفقهاء على ان ذلك حرام مع ان السخاء هو احب الاخلاق الى الله تعالى

حتى قال

حتى قال رسول الله صلى الله عليه ان لله تعالى ثلثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منها دخل الجنة واحبها اليه السخاء وليت شعري لم حرم هذا السخاء
ولم وجب عليه ان ينظر الى قرينة الحال من هذا الظالم فاذا لاح له من عادته انه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه لا
في ان يمده بغيره والعلم سلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله تعالى وقد يعاون به اعداء الله تعالى وهو الهوى فمن لا يزال موثرا الدنيا
على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف
يتعهدون احوال من يتردد اليهم فلو راوا منه تقصيرا في نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه ولو راوا منه فجورا او استحلالا حراما هجروه
ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم بان من تعلم مسالة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر
وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل وحكي عن بعض اصحاب احمد بن حنبل انه كان يتردد اليه
سنين ثم اتفق ان اعرض عنه احمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك طينت حائط دارك من جانب
الشارع وقد اخذت قدر سمك الطين وهو انملة من شارع المسلمين فلا تصلح لتعلم العلم فهكذا كانت مراقبة السلف لاحوال طلاب العلم وهذا
وامثاله مما يلتبس على الاغبياء واتباع الشيطان وان كانوا ارباب الطيالسة والاكمام الواسعة واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير
اعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التخويف من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء اليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل
بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذن قوله عليه السلام الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلاثة بالطاعات و
المباحات دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد وتكون طاعة بالقصد والمباح ينقلب طاعة ومعصية بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب
طاعة بالقصد اصلا نعم للنية مدخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة
القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في اصل صحتها وفي تضاعف فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله لا غير
فان نوى الرياء صارت معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون
له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن
ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال المتقين ويبلغ به درجة المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله وان داخله
زائر الله فيقصد به زيارة الله تعالى رجاء لما وعده به رسول الله حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور
ان يكرم زائره وثانيها ان ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله ورابطوا وثالثها الترهب بكف
السمع والبصر والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك قال عليه السلام
رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله تعالى ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه
بالاعتزال الى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله تعالى او لاستماع ذكره وللتذكر به كما روي في الخبر من غدا الى المسجد ليذكر الله او
يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله وسادسها ان يقصد افادة العلم بامر بمعروف او نهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته او يتعاطى
ما لا يحل له فيامره بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف خيراته وسابعها ان يستفيد اخا
في الله فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله في الله وثامنها ان يترك الذنوب حياء من
الله وتحرجا من ان يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي من ادمن الاختلاف الى المساجد رزقه الله تعالى احدى
سبع خصال اخا مستفادا في الله او رحمة مستنزلة او علما مستطرفا او كلمة تدل على هدى او تصرفه عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء
فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات اذ ما من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جده في
طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف الحسنات القسم الثالث المباحات وما من شيء من المباحات الا و
يحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات فما اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة
عن سهو وغفلة ولا ينبغي ان يستحقر العبد شيئا من الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسأل عنه في القيامة انه لم فعله وما الذي قصد به
هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه حلالها حساب وحرامها عذاب وفي حديث معاذ بن جبل ان النبي عليه السلام قال

ان العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه وفي خبر آخر من تطيب لله
جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه
من النية فان قلت فما الذي يمكن ان ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله تعالى فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم
الجمعة وفي ساير الاوقات يتصور ان يقصد التنعم بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران او يقصد به رياء الخلق
ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة او ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر اليهن ولامور اخر لا تحصى
وكل هذا يجعل التطيب معصية فبذلك يكون انتن من الجيفة في القيامة الا القصد الاول وهو التنعم والتلذذ فان ذلك ليس بمعصية الا
انه يسال عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن اوتي شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة بقدره فناهيك خسرانا
بان تستعجل ما يفنى وتخسر زيادة نعيم لا يفنى واما النيات الحسنة فان ينوي اتباع سنة رسول الله يوم الجمعة وينوي بذلك ايضا
تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى ان يدخله زائرا لله تعالى الا طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته
برائحته وان يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوه بالروائح
الكريهة فيعصون الله بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على التحرز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
ان لا تفارقهم فالراحلون هم وقد قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا الآية اشار به الى ان التسبب الى
الشر شر وان يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات الدين بالفكر فقد قال الشافعي رضي الله عنه من طاب
ريحه زاد عقله فهذا وامثاله من النيات التي لا يعجز الفقيه عنها اذا كان طالبا لتجارة الآخرة وطلب الخير غالبا على قلبه واذا لم يغلب على
قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النيات في شيء و
المباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النية فيها فقس بهذه الواحدة ما عداها ولذلك قال بعض السلف اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية حتى
في اكلي وشربي ونومي ودخولي في الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به التقرب الى الله تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من
مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصده من الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب اهله والتوصل به الى ولد
يعبد الله بعده فتكثر به امة محمد صلى الله عليه كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن
غلب على قلبه هم الآخرة ولذلك ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيآته
وسينقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب ففي الخبر ان العبد ليحاسب فتبطل اعماله لدخول الآفات فيها حتى يستوجب
النار ثم ينشر له من الاعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة فيتعجب منه ويقول يا رب هذه اعمال ما عملتها قط فيقال هي اعمال الذين اغتابوك واذوك
وظلموك وفي الخبر ان العبد ليوافي يوم القيامة بحسنات امثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فياتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا
فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى القوا عليه من
سيآتهم ثم صكوا له صكا الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم الحساب
والسؤال فان الله مطلع عليك وشهيد وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتابا واردت ان اتربه من حائط جار
لي فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فاتربته فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بالتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثوري
فراه مقلوب الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه ثم قبضها ولم يسوه فساله عن ذلك فقال اني لبسته لله تعالى فلا اريد ان اسويه لغير الله وقد
قال الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول بيني وبينك الله فيقول والله ما اعرفك فيقول بلى انت اخذت لبنة من حائطي واخذت
خيطا من ثوبي فهذا وامثاله من الاخبار قد قطع قلوب الخائفين فان كنت من اهل الحزم والنهى ولم تكن من المغرورين فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على
نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل اولا انك لم تتحرك وماذا تقصد به وما الذي تنال به من الدنيا
وما الذي يفوتك به من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة فاذا علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا فامسك ثم
راقب ايضا قلبك في امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي ان يكون لداعي هوى خفي لا تطلع عليه ولا تغتر

ظواهر

ظواهر الامور ومشهورات الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار فقد روي عن زكريا انه كان يعمل في حائط
بالطين وكان اجيرا لقوم فقدموا اليه رغيفا اذ كان لا ياكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا
من سخائه وزهده وظنوا ان الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال اني اعمل لقوم باجرة وقدموا الي الرغيف لاتقوى به على العمل فلو
اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور الله فان ضعفه عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة
الى الطعام نقص في فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو ياكل فما كلمني حتى لعق اصابعه ثم قال لولا
اني اخذته بدين لاحببت ان تاكل منه وقال سفيان من دعا رجلا الى طعامه وليس له رغبة في ان ياكل فان اجابه فعليه وزران
وان لم ياكل فعليه وزر واحد واراد باحد الوزرين النفاق وبالثاني تعريضه اخاه لما يكره لو علمه فهكذا ينبغي ان يتفقد العبد نيته في
سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار

## بيان ان النية لا تدخل تحت الاختيار

اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه انما الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه او
تجارته او اكله نويت ان ادرس لله تعالى او اتجر له او آكل له ويظن ان ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس او حديث لسان او
فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها
اما عاجلا او آجلا والميل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام
واميل اليه او كقول الفارغ نويت ان اعشق فلانا واحبه واعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشيء وميله
اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وانما تنبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق
للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل
حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن له في كل وقت والدواعي و
الصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع وتختلف ذلك بالاشخاص والاحوال والاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد غرضا صحيحا في
الولد دينا ولا دنيا لا يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف
ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله يعظم فضله لا يمكن ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول
ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوي اولا ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب
من سعى في تكثير امة محمد صلى الله عليه ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره واذا فعل ذلك ربما
انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول
العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا وان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس
وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف عن جملة من الطاعات اذا لم تحضرهم النية فكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية حتى ان ابن سيرين
لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني نية ونادى بعضهم امراته وكان يسرح شعره ان هاتي المدرى فقالت اجيء
بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدرى نية ولم تحضرني في المرآة نية فتوقفت حتى هياها الله ومات
حماد بن ابي سليمان وكان احد علماء الكوفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكان احدهم اذا سئل عملا من
اعمال البر قال ان رزقني الله نية فعلت وكان طاوس لا يحدث الا بنية وكان يسال ان يحدث فلا يحدث ولا يسال فيبتدي فقيل
له في ذلك فقال اتحبون ان احدث بلا نية اذا حضرتني نية فعلت وحكي ان داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه احمد بن حنبل
وطلب منه فنظر فيه احمد صفحا ورده فقال ما لك قال فيه اسانيد ضعاف فقال له داود اني لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما
نظرت فيه بعين العمل فانتفعت به قال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين التي نظرت فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله
خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فلم تصح لي بعد
وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال ابنه الا تعرض عليه العشاء قال ليس من نيتي وهذا

لان النية تبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملا الا بالنية لعلمهم بان النية روح العمل وان العمل بغير النية الصادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية ليست هي قول القائل بلسانه نويت بل هي انبعاث القلب وذلك يجري مجرى الفتوح من الله فقد تتيسر في بعض الاوقات وقد تتعذر في بعضها نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر عليه في اكثر الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه مائل بالجملة الى اصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرائض الا بجهد جهيد فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر نيته واما الطاعة على نية اجلال الله لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها ونيات الناس في الطاعة اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجا وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته وجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود في الآخرة وان كان من جنس المألوفات في الدنيا واغلب البواعث باعث البطن والفرج وموضع قضاء وطرهما الجنة فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله واما عبادة ذوي الالباب فلا تجاوز ذكر الله والفكر فيه حبا لجلاله وسائر الاعمال تكون مؤكدات وروادف وهؤلاء ارفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصورة المصنوعة من الطين بل اشد فان التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية وجمال الحور العين اعظم واشد كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان واعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفس لصاحبها والفها لها واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النساء فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الله وجلاله يضاهي عمى الخنفس عن ادراك جمال النساء فانه لا تشعر به اصلا ولا تلتفت اليه ولو كان لها عقل وذهن لاستحقت عقل من يلتفت اليهن والاولون مخلصون كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم وحكي ان احمد بن خضرويه راى ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابو يزيد فانه يطلبني وراى ابو يزيد ربه في المنام فقال يا رب كيف الوصول اليك فقال دع نفسك وتعال ورؤي الشبلي في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعاوي بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما اي خسارة اعظم من خسارة من خسران الجنة فقال اي خسارة اعظم من خسران لقائي والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لم يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث اعمالا وافعالا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو فيكون ذلك افضل ومثل ان يكون له نية في الاكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس تنبعث نيته في الحال للصوم والصلاة فالاكل والنوم هو الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة بلهو او حديث عاد نشاطه فاللهو افضل له من الصلاة وقال ابو الدرداء اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك عونا على الحق وقال علي كرم الله وجهه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقائق لا يدركها الا سماسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وانما يبتغي به ان يعيد اولا قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق باللعب بالشطرنج قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل بذلك الى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه وكذلك الخبير بالقتال قد يفر بين يدي قرنه ويوليه دبره حيلة منه ليستجره الى مضيق فيكر عليه فيقهره فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق تقف منها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض على استاذه بل ينبغي ان يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه

من احوالها

من احوالها يسلمه لهما الى ان ينكشف له اسرار ذلك بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما

## الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته

### فضيلة الاخلاص

قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى الا لله الدين الخالص وقال تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله تعالى الحديث وعن مصعب بن سعد عن ابيه قال ظن ابي ان له فضلا على من دونه من اصحاب النبي عليه السلام فقال عليه السلام انما نصر الله هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببت من عبادي وقال علي رضي الله عنه لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ اخلص العمل يجزك منه القليل وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخلص العمل اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال صلى الله عليه وسلم اول من يسأل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله تعالى العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيما علمت فيقول يا رب كنت اقوم به اناء الليل واطراف النهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم الا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى لقد انعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق اناء الليل والنهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يا رب امرتني بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك قال ابو هريرة ثم خط رسول الله على فخذي فقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيامة فدخل راوي الخبر على معاوية وروى له ذلك فبكى حتى كادت نفسه تزهق ثم قال صدق الله اذ قال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وفي الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله تعالى دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان هاهنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك واخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس عليه اللعنة في صورة شيخ فقال اين تريد رحمك الله فقال اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما انت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي قال فاني لا اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد وطرحه على الارض وقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني حتى اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالى قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها انت وما عليك من غيرك ولله انبياء في الارض ولو شاء لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال هل لك في امر فصل بيني وبينك وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقني حتى اقول لك فاطلقه فقال له ابليس انت رجل فقير لا شيء لك انما انت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك علي ان اجعل عند راسك في كل ليلة دينارين اذا اصبحت اخذتهما فانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين من قطع الشجرة التي يغرس مكانها غيرها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله تعالى ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره اكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له ورجع العابد الى متعبده فبات فلما اصبح راى دينارين عند راسه فاخذهما وكذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب واخذ الفاس على عاتقه فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال الى اين قال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما انت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها قال فتناوله العابد ليفعل به كما فعل اول مرة فقال هيهات فاخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به فقال يا هذا غلبتني فخل عني واخبرني كيف غلبتك اولا وغلبتني الآن فقال لانك غضبت اول مرة لله تعالى وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله تعالى لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية تصديق قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد من الشيطان الا بالاخلاص ولذلك كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تتخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال ابو سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين

الناس وكتب بعض الاولياء الى اخ له اخلص النية في اعمالك يكفك القليل من العمل وقال ايوب السختياني تخليص النيات على العمال
اشد عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف يقول من صفا صُفي له ومن خلط خُلط عليه وروي بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت
اعمالك فقال كل شي عملته لله وجدته حتى حبة رمان التقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رايتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي
خيط من حرير فرايته في كفة السيات وكان قد نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رايت له ثوابا فقلت موت سنور في الحسنات و
موت حمار ليس فيها فقيل لي انه قد وجه حيث بعثت به فانه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فبطل اجرك ولو قلت في سبيل
الله لوجدته في حسناتك وفي رواية قال وكنت تصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم الي فوجدت ذلك لا علي ولا لي قال
سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من
الفرث والدم وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس او ماتم فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه
جمع للنساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الابواب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى ان بلغت النوبة الى الرجل
والى امراة معه فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المراة فصاحوا
ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال بعض الصوفية كنت قائما مع ابي عبيد التستري وهو يحرث لارض له بعد العصر من يوم عرفة
فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشي فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك
فقال سالني ان احج معه فقلت لا فقال هلا فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتمم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت معه
لاجله اتعرض لمقت الله لاني ادخل في عمل الله شيئا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عندي من سبعين حجة وروي عن بعضهم قال غزوت
في البحر فعرض علينا بعضنا مخلاة فقلت اشتريها فانتفع بها في غزوتي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرايت
تلك الليلة في المنام كان شخصين نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملى عليه اكتب خرج فلان متنزها وفلان مرائيا و
فلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الي وقال اكتب خرج فلان تاجرا فقلت الله الله في امري فما خرجت تاجرا وما معي تجارة اتجر فيها
ما خرجت الا للغزو فقال لي يا شيخ قد اشتريت امس مخلاة تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه وقال اكتب
ما ترى قال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله فيه ما يرى وقال سري السقطي لان تصلي ركعتين
في خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا او سبعمائة بعلو وقال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز
ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص وقال بعضهم اذا ابغض الله عبدا اعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا اعطاه صحبة الصالحين و
منعه القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال السوسي مراد الله تعالى
من عمل الخلق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب
البر اجمع وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى اصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى بما فعل وتخلص فيما تفعل فاذا انت قد
سعدت بهاتين وفزت في الدارين

## بيان حقيقة الاخلاص

اعلم ان كل شي يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه
سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وانما خلوص اللبن
ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان
للشرك درجات فالاخلاص في التوحيد يضاده الشرك في الالهية والشرك منه جلي ومنه خفي وكذا الاخلاص والاخلاص وضده
يتواردان على القلب فمحله القلب وانما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان
الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر منه اخلاصا بالاضافة الى المنوي فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص ومن كان
غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى من جميع الشوائب
كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه
اذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات واقل امره ما ورد في الخبر من ان المرائي يدعى يوم القيامة باربعة اسماء يا مرائي

يا مخادع

يا مخادع يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الان فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث اخر اما من الرياء او من غيره
من حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب او يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او
يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او يتخلص من شر يعرض له في بلده او ليهرب من عدو له في منزله او يتبرم باهله وولده او بشغل هو فيه فاراد ان يستريح
عنه اياما او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل ولغرضه في دفع النعاس عن نفسه
ليراقب رحله او اهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره وامواله محروسة بعز العلم
عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او يتكفل بخدمة العلماء والصوفية ليكون حرمته
وافرة عندهم وعند الناس او لينال به رفقا في الدنيا او كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه او حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكراء
او توضأ ليتنظف او يتبرد او اغتسل لتطيب رائحته او روى الحديث ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف في المسجد ليخف عنه كراء المسكن او صام
ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله فلا تشغله الاكل عنها او تصدق على السائل ليقطع ابرامه في السؤال عن
نفسه او يعود مريضا ليعاد اذا مرض او يشيع جنازة ليشيع جنائز اهله او يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين
الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور
فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج ان يكون خالصا لله تعالى وتطرق الشرك اليه وقد قال تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك وبالجملة
كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس ويميل اليه القلب قل ام كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان مرتبط
في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس ولذلك قيل
من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو
الذي لا باعث عليه الا طلب القرب من الله وهذه الحظوظ وان كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبها وانما نظرنا
فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب وانضافت اليه هذه الامور ثم هذه الشوائب اما ان تكون في رتبة الموافقة او في رتبة المشاركة
او في رتبة المعاونة كما سبق في بيان النية وبالجملة فاما ان يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني او اقوى منه او اضعف ولكل واحد
حكم اخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه
وهذا لا يتصور الا من محب لله مستهتر به مستغرق الهم بالاخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب ايضا بل تكون
رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام من حيث انه طعام بل لانه يقويه على العبادة ويتمنى ان
لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائد على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه
ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته
وسكناته فلو نام مثلا ليريح نفسه فيتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص
في الاعمال كالمسدود عليه الا على الندور وكما ان من غلب عليه حب الله وحب الاخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت
اخلاصا فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا يسلم له عباداته من صوم
وصلاة وغير ذلك الا نادرا فاذا علاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للاخرة بحيث يغلب ذلك على
القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه
الافة فيها كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في الصف الاول من المسجد لاني تاخرت يوما بعذر فصليت
فاعترتني خجلة من الناس حيث راوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان مسرتي وسبب استراحة قلبي
من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض قلما تسلم الاعمال من امثاله وقل من يتنبه له الا من وفقه الله تعالى والغافلون عنه يرون
حسناتهم كلها في الاخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا وبقوله تعالى قل هل
ننبئكم بالاخسرين اعمالا الاية واشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للاكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح

بالاستبشار بالحمد والثنا والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه
رسول الله وترى الواعظ يمن على الله بنصح الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي انه يفرح بما
يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وعظا وانصرف الناس عنه واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين
لشكر الله تعالى اذ كفاه الله ذلك المهم بغيره ثم ان الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه
الناس الى غيرك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب واغتمامك لفوت الثواب محمود ولا يدري المسكين ان انقياده للحق وتسليم الامر
للافضل اجزل ثوابا واعود عليه في الاخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر بتصدي ابي بكر للامامة لكان غمه مذموما او محمودا اذ
لا يستريب ذو دين ان لو كان ذلك لكان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو اصلح اعود عليه في الدين من تكفله بمصالح
الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل فرح عمر باستقلال من هو اولى بالامر منه فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد ينخدع بعض اهل العلم
بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى بالامر منه لفرح به واخباره بذلك عن نفسه قبل الامتحان والتجربة محض الجهل
والغرور فان النفس سهلة القياد في الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا
يعرفه الا من عرف مكايد النفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر
والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق باتباع
الشياطين وهو لا يشعر

**بيان** اقاويل الشيوخ في الاخلاص

قال السوسي الاخلاص فقد رؤية الاخلاص فان من شاهد
في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص
والنظر اليه عجب وهو من جملة الافات والخالص ما صفا عن جميع الافات فهذا تعرض لافة واحدة وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون العبد
وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابراهيم بن ادهم الاخلاص صدق النية مع الله تعالى وقيل لسهل
اي شيء اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين
وهذه اشارة الى ان حظوظ النفس افة عاجلة واجلة والعامل لاجل نعيم النفس في الجنة معلول بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه الله
تعالى وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة
والا فهو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي الالباب وجه الله تعالى فقط وقول القائل لا يتحرك الانسان الا لحظ و
البراءة من الحظوظ صفة الالهية ومن ادعاه فهو كافر وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراءة من الحظوظ وقال هذا من
صفات الالهية وما ذكره حق ولكن القوم انما ارادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط فاما
التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء ولا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم
فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا اليه فحركتهم لحظ وطاعتهم
لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق وهذه اشارة الى
افة الريا فقط ولذلك قال بعضهم الاخلاص ان لا يكون بحيث يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه وانما اشارة الى مجرد الاخفا
وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق وهذا القول اجمع للمقاصد وقال المحاسبي الاخلاص هو اخراج الخلق من
معاملة الرب وهو اشارة الى مجرد نفي الريا وكذلك قول الخواص من شرب من كاس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى
عليه السلام ما الخالص من الاعمال فقال الذي يعمل لله تعالى لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا ايضا تعرض لترك الريا وانما خصه بالذكر لانه
اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات وقال الفضيل ترك العمل لاجل الناس ريا والعمل
لاجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل
والاقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي بيان سيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال
ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادتك كما امرت وهذه اشارة الى قطع كل

ماسوى الله

ما سوى الله تعالى عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا

**بيان** درجات الشوائب والافات المكدرة للاخلاص

اعلم ان الافات
المشوشة للاخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضعيف مع الجلا وبعضها قوي مع الخفا ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفا والجلا الا بمثال
واظهر مشوشات الاخلاص الريا فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطن يدخل الافة على المصلي مهما صلى ان يكون مخلصا في صلوته اذ نظر اليه جماعة او
دخل عليه داخل فيقول له حسن صلوتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه
وتحسن صلوته وهذا هو الريا الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين الدرجة الثانية ان يكون المريد قد فهم هذه الافة واخذ منها حذره
فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر في صلوته كما كان فياتيه في معرض الخير ويقول انت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك
وما تفعله يوثر عنك ويتاسى بك غيرك فيكون لك ثواب افعالهم ان احسنت وعليك الوزر ان اسات فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي
بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض من الاول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالاول وهو ايضا عين الريا ومبطل للاخلاص فانه ان كان يرى
الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن ان تكون نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا محض
التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فهو محض النفاق والتلبيس فمن
اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به الدرجة الثالثة وهي ادق مما قبلها ان يجرب العبد
نفسه في ذلك ويتنبه لمكيدة الشيطان ويعلم ان مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الريا ويعلم ان الاخلاص في ان تكون صلوته في الخلوة
مثل صلوته في الملا ويستحي من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة خلقه زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلوته على الوجه الذي
يرتضيه في الملا ويصلي في الملا ايضا كذلك فهو ايضا من الريا الغامض لانه حسن صلوته في الخلوة لتحسن في الملا فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته
في الملا والخلا الى الخلق بل الاخلاص ان تكون مشاهدة البهائم لصلوته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكان نفس هذا لم يسمح باساءة الصلوة
بين اظهر الناس ثم يستحي من نفسه ان يكون في صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول بان تستوي صلوته في الخلا والملا وهيهات بل زوال ذلك بان
لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات في الخلا والملا جميعا وهذا شخص مشغول الهم بالخلق في الخلا والملا جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان
الدرجة الرابعة وهي ادق واخفى ان ينظر اليه الناس وهو في صلوته فيعجز الشيطان عن ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه قد
تفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله تعالى وجلاله ومن انت واقف بين يديه واستحي من ان ينظر الله الى قلبك وانت غافل عنه فيحضر
بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه
في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الافة ان يكون هذا الخاطر مما يالفه في الخلوة كما يالفه في الملا
ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة سببا فما دام يفرق في احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة
فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الريا وهذا الشرك اخفى في قلب ابن ادم من دبيب النملة السودا في الليلة الظلما
على الصخرة الصما كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة
الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الريا في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن
في اوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستيناس الطبع بها فيدعو الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي
ان تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوات الخفية او مشوبا بها شوبا يخرج عن حد الاخلاص بسببها وما لا يسلم عن هذه الافات
كلها فلا يكون خالصا بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يانس اليه الطبع فان الشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف
وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع اليه ويتبين ذلك في ميله الى احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان
احسن من الاخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص ولعمري الغش الذي يمتزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة
فمنها ما يغلب ومنها ما يقل ولكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس اغمض من ذلك
وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من رجل عالم افضل من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير بدقائق افات الاعمال حتى يخلص عنها فان الجاهل
نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو مغشوش زائف في نفسه وقيراط من الخالص

الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبي فهكذا تفاوت امر العبادة بل اشد واعظم ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال
لا يمكن حصرها واحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالا والفطن تغنيه القليل عن الكثير والبليد لا تغنيه التطويل ايضا فلا فائدة في التفصيل

حكم العمل المشوب في استحقاق الثواب عليه العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله بل امتزج به شوب من الرياء او حظوظ النفس فقد
اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيئا اصلا فلا يكون له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو
سبب المقت والابعاد والعقاب وكذا الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب وظاهر الاخبار يدل على انه لا ثواب
له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة البواعث فان كان الباعث الديني مساويا
للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء اغلب واقوى فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك مضر ومفضي
للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج بشائبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب بالاضافة الى الباعث
الاخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا
ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة
القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل
على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها العمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى
الرياء فقد قوى تلك الصفة واذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى ايضا تلك الصفة واحدهما مهلك والاخر منج فان كان تقويته هذا بقدر تقوية الاخر
فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كانه لم يتناولهما وان كان احدهما
غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال
ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في انارة القلب او تسويده في تقريبه من الله او ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان
لا له ولا عليه فان كان الفعل مما يقربه شبرين والاخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال صلى الله عليه اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا كان
الرياء المحض يمحوه الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد ان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة
صح حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص
وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع
فلا ينفك نفس السفر عن ثواب وما عندي ان الغزاة لا يدركون في انفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد
ان يقال ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله تعالى وانما
الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت بقلبه الى الغنيمة اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة
فان قلت فالآيات والاخبار تدل على ان شوب الرياء محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس
وغيره من التابعين ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه عمن يصطنع المعروف او قال يتصدق فيحب ان يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت فمن كان
يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الاية وقد قصد الحمد والاجر جميعا وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه انه قال ادنى الرياء شرك وقال ابو هريرة قال
النبي عليه السلم يقال لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له وعن عبادة ان الله تعالى يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا واشرك معي غيري
دفعت نصيبي لشريكي وروى ابو موسى ان اعرابيا اتى رسول الله صلى الله عليه فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل
يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال عمر تقولون ان فلانا شهيد ولعله ان يكون
قد ملأ دفتي رحله ورقا وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له فنقول هذه الاحاديث لا تناقض ما
ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو الاغلب على همته وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان
لا لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن وضعها اما لفظ الشركة حيث ورد فمطلقه للتساوي
وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب ثم ان الانسان عند الشركة ابدا في خطر فانه لا يدري اي

الامرين

الامرين اغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي احسن احوالها
التساقط ويجوز ايضا ان يقال منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو وبعيد ان يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو
وان لم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار احداهما اغنياء والاخرى فقراء فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله وللغنيمة انه لا ثواب له على غزوه
البتة ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل لليأس على المسلمين لان امثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها
الا على الندور فيكون تأثير هذا في نقصان الثواب فاما ان يكون في احباطه فلا نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى
هو قصد التقرب ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الامن الا بالاخلاص والاخلاص قل ما يستيقنه العبد
في نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون ابدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا ان يكون في عبادته آفة يكون وبالها
اكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر وهكذا ينبغي ان يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان لا اعتد بما ظهر من عملي وقال
عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من اعمال الله تعالى الا حاسبت نفسي فوجدت نصيب
الشيطان اوفى من نصيب الله ليته لا لي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه
اذ المقصود ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكي ان بعض الفقراء كان يخدم ابا سعيد الخراز
ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في اخلاص الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج
واستضر الشيخ بذلك فسأله عن امره فاخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها فقال ابو سعيد لا تفعل
ان الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك العمل وانما قلت لك اخلص العمل وقال الفضيل
ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك

## الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته

فضيلة الصدق قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال عليه السلم ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة و
ان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا
ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه والله وصف به الانبياء في معرض المدح والثناء فقال تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا
نبيا وقال واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر وقال
بشر بن الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من الناس وقال ابو عبد الله الرملي رأيت منصورا الدينوري في المنام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي
ورحمني واعطاني ما لم آمل فقلت له احسن ما توجه العبد به الى الله ما ذا قال الصدق واقبح ما توجه به الكذب وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك
والحق سيفك والله غاية طلبتك وقال رجل لحكيم ما رأيت صادقا قال لو كنت صادقا لرأيت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله
مبنيا على ثلاثة اركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيامة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين واوحى الله تعالى الى داود من صدقني في سريرته
صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في الدجلة فقال الشبلي ان كان صادقا فالله ينجيه كما نجى موسى عليه السلم وان
كان كاذبا فالله يغرقه كما اغرق فرعون وقال بعضهم اجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال انها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام
الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان
صلحاء بني اسرائيل يجتمعون فيقرؤونها ويتدارسونها لا كنز انفع من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب ولا قرين ازين من العمل
ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف اعز من التقوى ولا كرم اوفى من ترك الهوى ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة اخزى من
الكبر ولا دواء الين من الرفق ولا داء اوجع من الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى اشقى من
الجمع ولا حياة اطيب من الصحة ولا معيشة اهنأ من العفة ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ من الصمت ولا
غائب اقرب من الموت وقال محمد بن سعيد المروزي اذا طلبت الله بالصدق اعطاك الله مرآة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة وقال
ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الناس وقيل لذي النون هل للعبد سبيل الى اصلاح امره قال

قد نقشنا قد يئس من حبا نطلب الصدق ما اليه سبيل قد تداوى الهوى يخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل فقيل لسهل ما اصل هذا الامر الذي
نحن عليه قال الصدق والسخا والشجاعة قيل زدنا قال التقى والحيا وطيب الغذا وعن ابن عباس انه سئل رسول الله صلى الله عليه عن الكمال فقال
قول الحق والعمل بالصدق وعن الجنيد في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسال الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه اعلم ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق
في العزم وصدق في الوفا بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه
مبالغة الصدق ثم هم ايضا على درجات ومن كان له حظ من الصدق في شي من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه الصدق الاول
صدق اللسان وذلك لا يكون الا في الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفا بالعهد والوعد
والخلف فيه وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق واظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشيا
على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك
لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشي على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال
وفي تاديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الاعدا وفي الاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر الى شي من
ذلك فصدقه فيه ان يكون نطقه فيه لله تعالى فيما يامر الحق به ويقتضيه الدين فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق
ما اريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعا اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان
رسول الله صلى الله عليه اذا اراد سفرا ورى بغيره وذلك كيلا ينتهي الخبر الى الاعدا فيقصد وليس هذا من الكذب في شي قال رسول الله ليس بكاذب من
اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ورخص في النطق على وجه المصلحة في ثلث مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب
والصدق ههنا يتحول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيف ما كان
لفظه ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الاصبع على الدائرة
وقولي ليس ههنا فاحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه وكان قوله صدقا وافهم الظالم انه ليس في الدار فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز
عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض فان قلبه ان كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا باماني الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله اياك نعبد وقوله انا عبد الله فانه
اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيامة بالصدق في قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبدا
للدنيا او لنفسه او عبد الشهوات لم يكن صادقا في قوله وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه تعس عبد الدينار
تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمى كل من تقيد قلبه بشي عبدا له وانما العبد الحق لله تعالى من اعتق اولا عن غير الله فصار حرا مطلقا فاذا
تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله تعالى فشغله بالله ومحبته وقيد ظاهره وباطنه بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد
يجاوز هذا الى مقام اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله تعالى من حيث هو هو بل يقنع بما يريد الله تعالى له من تقريب او ابعاد فتفنى ارادته في
ارادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان
سكنه سكن وان ابتلاه رضي ولم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية
فالعبد الحق الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجات الصديقين واما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبعدها يتحقق العبودية لله تعالى
وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه ان يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول الصدق الثاني في النية والارادة ويرجع ذلك الى
الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى
كاذبا كما روينا في فضيلة الاخلاص من حديث الثلثة حين يسال العالم ما عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت بل اردت ان
يقال فلان عالم فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل لكن كذبه في ارادته ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوجه في القصد وكذلك قال تعالى والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب فكان التكذيب يتطرق الى الخبر

وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقوله فكذب بقرينة الحال على ما في قلبه فانه كذب في ذلك وان لم يكذب
فيما يلفظ به فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد ان يكون مخلصا الصدق الثالث صدق العزم
فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره او ان لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت
ولم ابال ان قتلت وان اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم اعص الله تعالى بظلم وميل الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة
جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزم فكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال
لفلان شهوة صادقة ويقال لهذا المريض شهوة كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوي او كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى
فالصادق والصديق هو الذي تصادف عزيمته في الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم
الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر لان اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم و
النية الصادقة بانه لا يتامر مع وجود ابي بكر واكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي
به الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي ورايه لم يتقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين ان
يقتل هو او ابو بكر كانت حياته احب اليه من حياة ابي بكر الصدق الرابع في الوفا بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا
مشقة في الوعد والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوة ولم يتفق الوفا
بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روي عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول
الله صلى الله عليه فشق عليه ذلك وقال اول مشهد شهده رسول الله غبت عنه اما والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه ليرين الله
ما اصنع فشهد احدا من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين قال واها لريح الجنة اني اجد ريحها دون احد فقاتل حتى قتل
فوجد في جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة فقالت بنت النضر اخته ما عرفت اخي الا ببنانه فنزلت هذه الاية رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه ووقف رسول الله على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لوا رسول الله صلى الله عليه فقال
رسول الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله يقول
الشهدا اربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيامة هكذا ورفع راسه حتى
وقعت قلنسوته قال الراوي فلا ادري قلنسوة عمر او قلنسوة رسول الله ورجل جيد الايمان اذا لقي العدو فكانما يضرب وجهه بشوك الطلح
اتاه سهم غائر فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا واخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة
وقال مجاهد نزلت في رجلين خرجا على ملا من الناس فقعدوا فقالا ان رزقنا الله مالا لنصدقن فرزقهم الله فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن
اتانا من فضله لنصدقن الاية وقال بعضهم انما هو شي نووه في انفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله الى ان قال فلما اتاهم من فضله بخلوا به
وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه
كذبا والوفا به صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم ثم يكيع عند الوفا لشدته عليها ولهيجان الشهوة عند التمكن
وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر فقال لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر اللهم الا ان تسول لي نفسي عند القتل شيا
لا اجده الان لاني لا امن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشار بذلك الى شدة الوفا بالعزم وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ملكين نزلا
من السما فقالا لي ما الصدق قلت الوفا بالعهد فقالا لي صدقت وعرجا الى السما الصدق الخامس في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل
اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا خلاف ما ذكرناه من ترك الريا
لان المرائي هو الذي يقصد ذلك لرؤية الخلق ورب واقف على هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصد مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة فمن
نظر اليه راه قائما بين يدي الله وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه اعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه
كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله
وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجو من هذا الا باستوا السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة

ذلك احيانا بعضهم بتشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار لكيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فاذا خالف الظاهر
الباطن ان كان عن قصد سمي رياء ويفوت به الاخلاص وان كان عن غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه اللهم اجعل سريرتي
خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال يزيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كان سريرته افضل من علانيته
فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجور وانشدوا اذا السر والاعلان في المؤمن استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
وان خالف الاعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والعنا كما خالص الدينار في السوق نافق ومغشوشه المردود لا يقتضي المنى وقال عطية
بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة العبد علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدي حقا وقال معاوية بن قرة من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار
وقال عبد الواحد بن زيد كان الحسن اذا امر بشيء كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شيء كان من اترك الناس له ولم ار احدا قط اشبه سريرة بعلانية
منه وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي وقال ابو يعقوب النهرجوري
الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذا مساواة السريرة والعلانية احد انواع الصدق الصدق السادس وهو اعلى الدرجات واعز
الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضى والحب والتوكل وسائر هذه الامور فان هذه الامور لها مبادي ينطلق الاسم
بظهورها ثم لها غايات وحقائق فالصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال
هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة وقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله الى قوله اولئك هم الصادقون وقال ولكن البر
من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا وسئل ابو ذر عن الايمان فقرأ هذه الآية
فقيل له سألناك عن الايمان فقال سألت رسول الله صلى الله عليه عن الايمان فقرأ هذه الآية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر الا وهو خائف من الله خوفا
ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص
عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة
والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان المعصية عليه ولذلك قال صلى الله عليه لم ار مثل النار
نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها والتحقيق في هذا الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله
اما ضعيف واما قوي فاذا قوي يسمى صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له ولذلك قال صلى الله عليه لجبريل عليه السلام احب ان اراك في
صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بلى ارني فقال فواعدني بالبقيع في ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبي عليه السلام فاذا هو قد سد الافق يعني
جوانب السماء فوقع النبي صلى الله عليه مغشيا عليه فافاق وقد عاد جبريل لصورته الاولى فقال صلى الله عليه ما ظننت ان احدا من خلق الله هكذا قال كيف
لو رأيت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع يعني كالعصفور الصغير فانظر
ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم وقال جابر رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه مررت ليلة اسري بي وجبريل بالملأ الاعلى كالحلس البالي من خشية الله يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك
الصحابة كانوا خائفين وما كانوا بلغوا خوف رسول الله ولذلك قال ابن عمر لن يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كلهم حمقى في دين الله وقال مطرف ما
من الناس من احد الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الحمق اهون من بعض وقال النبي عليه السلام لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس
كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها احقر حاقرة فالصادق اذا في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون
للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا وقال سعد بن معاذ ثلاثا انا فيهن قوي وفيما سواهن ضعيف
ما صليت صلاة منذ اسلمت فحدثت نفسي حتى افرغ منها ولا اتبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت
النبي صلى الله عليه يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب ما ظننت هذه الخصال تجتمع الا في النبي صلى الله عليه فهذا صدق في هذه الامور وكم من جلة
الصحابة قد اداوا الصلاة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق
في الاغلب لا تتعرض الا لآحاد هذه المعاني نعم وقد قال ابو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد
لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين

ثم اوتاد

هم اوتاد الارض وكل هذا مذكور في الصدق السادس ولكن ذكر اقسام ما فيه الصدق وصوابه غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق
الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال هو اجتباكم وقيل اوحى الله تعالى الى موسى اني اذا احببت عبدا ابتليته
ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولا ابالي فاذا
من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليه والله اعلم بالصواب تم كتاب النية والصدق والاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين كتاب المراقبة والمحاسبة

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست الحسيب على خواطر العباد
اذا اختلجت الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض تحركت او سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من
الاعمال وان خفيت المتفضل بقبول الطاعات من العباد وان صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت وانما يحاسبهم ليعلم كل نفس
ما احضرت وتنظر فيما قدمت واخرت فتعلم انه لولا لزومها المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة وهلكت وبعد المجاهدة
والمحاسبة والمراقبة لولا فضل الله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته
الخلائق في الدنيا والآخرة وغمرت فبنفحات فضله اتسعت القلوب للايمان وانشرحت وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالطاعات وتأدبت
وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتأييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت وبلطف عنايته تترجح
كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه العطاء والجزاء والابعاد والادناء والاسعاد والاشقاء
والصلاة على محمد سيد الانبياء وعلى آله السادة الاصفياء وعلى اصحابه قادة الاتقياء وسلم تسليما كثيرا اما بعد فقد قال تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة وقال وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها الآية وقال ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية وقال تعالى
يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا الآية وقال يومئذ يصدر الناس اشتاتا الى آخرها وقال ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه الآية فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان
الله لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثقال الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا
لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب
خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة
وقفاته وقادته الى الخزي والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله تعالى وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال
يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة
فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها واصل ذلك المحاسبة ولكن كل حساب
فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران معاتبة ومعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات المقام الاول من المرابطة المشارطة
اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال
حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس لان بذلك فلاحها قال الله تعالى قد افلح من زكاها
وقد خاب من دساها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر
بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا
ويعاقبه او يعاتبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها الى طريق الفلاح ويجزم عليها
الامر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن اذا خلا له الجو وانفرد
بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء و
الشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيف ما كانت فمصيرها الى
التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذي لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى

والخير الذي لا يدوم ينبغي الأسف على انقطاعه دائما وهذا يقضي الحسرة ولذلك قيل أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا فحتم على
كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فإن كل
نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد فانقضاء هذه الأنفاس ضائعة
أو مصروفة إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة
النفس كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ إلى المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة إلا العمر ومهما فني فقد فني
رأس المال ووقع الإياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه وأنسأ في أجلي وأنعم علي به ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني
إلى الدنيا يوما واحدا حتى أعمل فيه صالحا فاحسبي أنك قد توفيت ثم قد رددت فإياك ثم إياك أن تضيعي هذا اليوم فإن كل نفس من الأنفاس جوهرة لا
قيمة لها واعلمي يا نفس أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر أنه ينشر للعبد بكل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح
له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي
وسيلة عند الملك الجبار ما لو وزع على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عن الإحساس بألم النار ويفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها
ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو وزع على أهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة أخرى فارغة
ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من الغبن ما ينال القادر
على الربح الكثير والملك الكبير إذا أهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا يعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره فيقول للنفس اجتهدي
اليوم في أن تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي أسباب ملكك ولا تميلي إلى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات
عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلت الجنة فألم الغبن وحسرته لا تطاق وإن كان دون ألم النار وقال بعضهم هب
أن المسيء قد عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين أشار به إلى الغبن والحسرة وقد قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته
لنفسه في أوقاته ثم ليستأنف لها وصيته في أعضائه السبعة وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها إليها
فإنها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تتم أعمال هذه التجارة فإن لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وإنما تتعين تلك الأبواب
لمن عصى الله تعالى بهذه الأعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النظر إلى عورة مسلم أو وجه من ليس بمحرم أو النظر
إلى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فإن الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم إذا صرفها عن
هذا لم تقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له من النظر إلى عجائب صنع الله تعالى بعين الاعتبار والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء والنظر
في كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة الكتب الحكمية للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي أن يفصل الأمر في عضو عضو لا سيما اللسان والبطن أما
اللسان فلأنه منطلق بالطبع ولا مؤونة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالكذب والغيبة والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق والأطعمة واللعن والدعاء
على الأعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع أنه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وإرشاد
عباد الله إلى طريقه وإصلاح ذات البين وسائر خيراته وليشترط على نفسه أن لا يحرك اللسان طول نهاره إلا في الذكر فمنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة
وصمته فكر وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وأما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعه من الشهوة
ويقتصر على قدر الضرورة ويشترط على نفسه أنها إن خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهوتها وكذا
يشترط عليها في جميع الأعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الأعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي يتكرر عليها في
اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفية الاستعداد لها بأسبابها وهذه شروط يفتقر إليها كل
يوم ولكن إذا تعود الإنسان شرط ذلك على نفسه أياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميع ذلك استغنى عن المشارطة فيها وإن لم تطاوعه في بعضها بقيت
الحاجة إلى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه في كل ذلك حق ويكثر هذا على من
يشتغل بشيء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضي حق الله تعالى فيها فعليه أن يشترط على
نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الإهمال ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد فإن النفس بالطبع متمردة عن الطاعات





مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها قال تعالى وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين فهذا وما يجري مجراه هو أول مقام
المرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة تكون تارة قبل العمل وتارة بعده للتحذير قال الله تعالى واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه
وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فإنه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه فهو من
المحاسبة وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقال تعالى إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا وقال تعالى ولقد خلقنا الإنسان
ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك تنبيها وتحذيرا للاحتراز منه في المستقبل وروى عبادة بن الصامت أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل سأله أن يوصيه
ويعظه إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان غيا فانته عنه وقال بعض الحكماء إذا أردت أن يكون العقل غالبا على الهوى
فلا تعجل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن من الندامة
وروى شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله دان نفسه
أي حاسبها ويوم الدين يوم الحساب وقوله تعالى أئنا لمدينون أي لمحاسبون وقال عمر بن الخطاب حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل
أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر وكتب إلى أبي موسى الأشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة وقال لكعب كيف تجدها في كتاب الله قال
ويل لديان الأرض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال إلا من حاسب نفسه فقال كعب والله يا أمير المؤمنين إنها إلى جنبها في التوراة إلا من
ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه وهذا كله إشارة إلى المحاسبة في المستقبل إذ قال دان نفسه فعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الأمور وقدرها
ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها المرابطة الثانية المراقبة إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى إلا
المراقبة لها عند الخوض في الأعمال وملاحظتها بالعين الكالئة فإنها إن تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها أما
الفضيلة فقد سأل جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه وقال أيضا اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه
يراك وقال تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال تعالى ألم يعلم بأن الله يرى وقال تعالى إن الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى والذين هم لأماناتهم
وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال ابن المبارك لرجل راقب الله فسأله عن تفسيره فقال كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل وقال عبد
الواحد بن زيد إذا كان سيدي رقيبا علي فما أبالي بغيره وقال أبو عثمان المغربي أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة
وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطاء أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات وقال الجريري أمرنا هذا مبني على أصلين أن تلزم نفسك
المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهرك قائما وقال أبو عثمان قال لي أبو حفص إذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم
عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك وحكي أنه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض
أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع
لا يراه أحد ودفع إلى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم فرجع كل واحد بطائره مذبوحا ورجع الشاب والطائر حي في يده فقال ما لك لم تذبح
كما ذبح أصحابك فقال لم أجد موضعا لا يراني فيه أحد إذ الله مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا حق لك أن تكرم
وحكي أن زليخا لما خلت بيوسف قامت فغطت وجه صنم كان لها فقال يوسف ما لك أتستحين من مراقبة جماد ولا أستحيي من مراقبة الملك الجبار
وحكي عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت له ألا تستحيي فقال ممن أستحيي ولا يرانا إلا الكواكب فقالت فأين مكوكبها
وقال رجل للجنيد بم أستعين على غض البصر فقال بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه وقال الجنيد إنما يتحقق بالمراقبة من
يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها
قال يقول الله تعالى إنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثنت أصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي
إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال أولها علم القلب
بقرب الرب وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة ويروى أن الله تعالى قال لملائكته أنتم موكلون بالظواهر وأنا
الرقيب على البواطن وقال محمد بن علي الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك
لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وقال سهل لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيثما كان

وسئل بعضهم عن قول الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه قال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود
لمعاده وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية
وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفى عليه يغيب ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غدا للناظرين قريب وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظني فقال لئن كنت إذا عصيت
الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فقد كفرت وقال سفيان عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك
بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فرقد السبخي إن المنافق ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب الناس
من لا يراقب الله تعالى وقال عبد الله بن دينار خرجت مع ابن عمر بن الخطاب إلى مكة فعرسنا في بعض المواضع فانحدر عليه راع من الجبل فقال يا
راعي بعني شاة من هذه الغنم فقال إني مملوك فقال قل لسيدك أكلها الذئب فقال فأين الله قال فبكى ابن عمر ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من
مولاه فأعتقه وقال أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة فأرجو أن تعتقك في الآخرة

## حقيقة المراقبة ودرجاتها

اعلم أن حقيقة المراقبة
هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال إنه يراقب غيره ويراعي جانبه ويعني بهذه المراقبة
حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته
إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهي العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد
قائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك فهذه المعرفة إذا صارت
يقينا أعني أنها إذا خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فإذا استولت
على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همته إليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون إلى الصديقين
وإلى أصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين الدرجة الأولى مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والإجلال وهو أن يصير القلب
مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلا وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل أعمالها فإنها
مقصورة على القلب أما الجوارح فإنها تتعطل عن الالتفات إلى المباحات فضلا عن المحظورات وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها
فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فإذا صار مستغرقا بالمعبود صارت
الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة
فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري
عليه ذلك فقال لمن عاتبه إذا مررت بي فحركني ولا تستبعد هذا فإنك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة للملوك في الأرض حتى إن خدم الملك قد لا يحسون
بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يجوز الموضع الذي
قصده وينسى الشغل الذي نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما أعرف إلا رجلا سيدخل
عليكم الساعة فما كان إلا سريعا حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد من أين جئت يا عتبة قال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من
لقيت في الطريق قال ما رأيت أحدا وروي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننته
إلا جدارا وحكي عن بعضهم أنه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا عنهم فتقدمت إليه فأردت أن أكلمه فقال ذكر الله أشهى إلي قلت
أنت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت أين الطريق فأشار نحو السماء وقام ومشى وقال أكثر خلقك
شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله لا يتكلم إلا عنه ولا يسمع إلا فيه فهذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه فإنها لا تتحرك إلا بما هو فيه
ودخل الشبلي على أبي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال من أين أخذت هذه
المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا فكانت إذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر لا تتحرك لها شعرة وقال أبو عبد الله بن خفيف
خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبي علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد إن في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة
فلو نظرت إليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء فدخلت المسجد فإذا شخصان قاعدان

مستقبلا

مستقبلا القبلة فسلمت عليهما فما أجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله إلا رددتما علي السلام فرفع الشاب رأسه
من مرقعته فنظر إلي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل إلا قليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما أقل شغلك حتى تفرغ إلى لقائنا قال
فأخذ كليتي حتى طأطأ رأسه في المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر قلت عظني
فرفع رأسه إلي وقال يا ابن خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان الموعظة فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا ولا
شربا ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث قلت في نفسي أحلفهما أن يعظاني لعلي أنتفع بعظتهما فرفع رأسه وقال لي يا ابن خفيف عليك بصحبة من
يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبة من الذين غلب على قلوبهم
الإجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك الدرجة الثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم
وباطنهم وعلى قلوبهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال إلا أنها مع ممارسة
الأعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فإنهم يرون
الله في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فإنك في خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك صبي أو
امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحيي منه فتحسن جلوسك وتراعي أحوالك لا عن إجلال وتعظيم بل عن حياء فإن مشاهدته وإن كانت لا تدهشك و
لا تستغرقك فإنه يهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا
تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج إلى أن يراقب جميع حركاته وسكناته ولحظاته وخطراته وبالجملة جميع اختياراته
وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل أما قبل العمل فلينظر أن ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره هو لله تعالى خاصة أو هو في هوى النفس ومتابعة
الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فإن كان لله أمضاه وإن كان لغير الله استحيى من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبتها فيه
وهمها به وميلها للشيء وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وأنها عدوة نفسها إن لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الأمور إلى
حد البيان واجب محتوم لا محيص لأحد عنه فإنه في الخبر أنه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وإن صغرت ثلاثة دواوين الديوان الأول لم والثاني
كيف والثالث لمن ومعنى لم أي لم فعلت هذا أكان عليك أن تفعله لمولاك أو ملت إليه بشهوتك وهواك فإن سلم منه بأن كان عليه أن يعمل ذلك
لمولاه سئل عن الديوان الثاني وقيل له كيف فعلت هذا فإن لله في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته إلا بالعلم فقال له كيف فعلت
أبعلم محقق أو بجهل وظن فإن سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالإخلاص فقال لمن عملت ألوجه الله خالصا فتكون وفيت بقول لا إله إلا الله
فيكون أجرك على الله أو لمراءاة خلق مثلك فخذ أجرك منه أم عملت لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا أم عملت بسهو وغفلة فقد سقط أجرك
وحبط عملك وخاب سعيك وإن عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي إذ كنت عبدا لي تأكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري أما سمعتني أقول
إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ويحك أما سمعتني أقول
ألا لله الدين الخالص فإذا عرف العبد أنه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل أن يطالب وأعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلا
يبدي ولا يعيد إلا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا أنملة إلا بعد التأمل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ إن الرجل ليسأل عن كحل عينيه وعن فتة الطين
بإصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه وقال الحسن كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فإن كان لله أمضاه وقال الحسن رحم الله عبدا وقف
عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر وقال في حديث سعد حين أوصاه سلمان اتق الله عند همك إذا هممت وقال محمد بن علي إن المؤمن
وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الأول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا إلا العلم المتين والمعرفة الحقيقية بأسرار الأعمال
وأغوار النفس ومكائد الشيطان فمن لم يعرف نفسه وربه وعدوه إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بين ما يحبه الله تعالى ويرضاه في نيته و
فكرته وهمته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الأكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولا تظنن أن الجاهل
بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم لأنه يعلم آفات النفس و
مكائد الشيطان ومواضع الغرور فيتقي ذلك والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من
الجهل والغفلة فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران فحكم الله على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجوارح فيتوقف عن الهم وعن السعي

حتى ينكشف له بنور العلم أنه لله فيمضيه أو هو لهوى النفس فيتقيه وينزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فإن الخطرة الأولى في الباطل إذا لم تدفع
أورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي أن يحسم مادة الشر من
منبعه الأول وهو الخاطر فإن جميع ما وراءه يتبعه ومهما أشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم ويستعيذ بالله من
مكر الشيطان بواسطة الهوى فإن عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فراره من
الأسد بل أشد فقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلم لا تسأل عني عالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب
المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى فإن مستقى أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها وأقبل
على عدوها وعشق بغيضها ومقيتها وهي شهوات الدنيا فليكن همة المريد أولا في أحكام العلم أو في طلب عالم معرض عن الدنيا أو ضعيف الرغبة فيها إن لم يجد
من هو عديم الرغبة فيها وقد قال صلى الله عليه إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات فجمع بين الأمرين و
هما متلازمان فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات ليس له بصر نافذ في الشبهات ولذلك قال عليه السلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا فما
قدر العقل الضعيف الذي سعد الله به حتى تعقل نجوم وحقه مقارفة الذنوب ومعرفة آفات الأعمال وقد اندرست في هذه الأعصار فإن الناس
كلهم قد هجروا هذا العلم واشتغلوا بالتوسط بين الخلق في الخصومات الثائرة من اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه وأخرجوا هذا العلم الذي هو
فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا للفقه الذي ما قصد به إلا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين وكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه
وفي الخبر أنتم في زمان خيركم المسارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولذلك توقف طائفة من الصحابة في القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما
أشكل عليهم الأمر كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الشبهات كان متبعا لهواه معجبا برأيه و
كان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه إذ قال إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض في الشبهة
بغير تحقيق فقد خالف قول الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث وأراد به ظن بغير دليل كما

صلى الله عليه

يستفتي بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الأمر وعظمه كان دعاء الصديق رضي الله عنه اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه وأرني
الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله متشابها علي فأتبع الهوى وقال عيسى عليه السلم الأمور ثلثة أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه
فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى عالمه وقد كان من دعاء النبي عليه السلم اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم فأعظم نعم الله على عباده هو العلم
وكشف الحق والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيما وأراد به العلم وقال تعالى فاسألوا
أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وقال إن علينا للهدى وقال ثم إن علينا بيانه وقال وعلى الله قصد السبيل وقال علي رضي الله عنه الهوى شريك العمى ومن
التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب
والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء الظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب إلى كل جميل وأوثق العرى التقوى وأوثق سبب أخذت به سبب
بينك وبين الله تعالى ما لك من دنياك إلا ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك وإن كنت جازعا على ما أفلت من يديك
فلا تجزع على ما لم يصل إليك واستدل على ما لم يكن بما كان فإنما الأمور أشباه وإنما المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه
فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت
وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة فإذا النظر الأول للمراقب نظره في الهم والحركة أهي لله أم للهوى وقد قال النبي
صلى الله عليه ثلث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للدين آثر الآخرة على
الدنيا وأظهر ما ينكشف له في حركاته أن يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله عليه السلم من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه النظر الثاني
المراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في إتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه وهذا ملازم
له في جميع أحواله فإنه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون فإذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة
الأدب فإن كان قاعدا مثلا فينبغي أن يقعد مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا إذ لا يجالس الملوك
كذلك وملك الملوك مطلع عليه قال إبراهيم بن أدهم جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم أجلس بعد ذلك كذلك وإن كان ينام

فينام

فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في موضعها وكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة
فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة فإذا لا يخلو العبد إما أن يكون في طاعة أو معصية أو مباح فمراقبته في الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة
الأدب وحراستها عن الآفات وإن كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر وإن كان في مباح فمراقبته
بمراعاة الأدب ثم بشهود المنعم بالنعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في جميع الأحوال عن بلية لا بد له من الصبر عليها أو نعمة لا بد له من الشكر
عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله عليه إما فعل يلزمه مباشرته أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه ليسارع إلى مغفرة
الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد
حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي أن يتفقد العبد نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثلثة فإذا كان فارغا من الفرائض وقدر على النوافل فينبغي أن
يلتمس أفضل الأعمال ليشتغل بها فإن من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والأرباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته
كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة فإن الساعات ثلث ساعة مضت لا تعب على العبد فيها كيف ما انقضت
في مشقة أو رفاهية وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدري العبد أيعيش إليها أم لا ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة ينبغي أن يجاهد فيها
نفسه ويراقب فيها ربه فإن لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى
ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته وكأنه في آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدري وإذا أمكن أن يكون
آخر أنفاسه فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحال ويكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر رضي الله عنه من قوله صلى الله عليه
لا يكون المؤمن ظاعنا إلا في ثلث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم وما روي عنه أيضا في معناه وعلى العاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة
يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فإن في هذه الساعة عونا له على الساعات ثم هذه
الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي أن يخلو عن عمل هو أفضل من أكثر من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام قسم ينظرون
إليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعه وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله تعالى لأسبابه وخلق الشهوة الباعثة عليه و
خلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الألباب وقسم ينظرون إليه بعين المقت والكراهة وملاحظة وجه
الاضطرار إليه ويودون لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين وقسم يرون في الصنعة الصانع ويترقون
منها إلى صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك سببا لتذكرهم أبواب من الذكر منفتحة بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين إذ
المحب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابته وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منه إلى الصانع مجال
رحب لمن فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا وقسم رابع ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من
جملته ويذمون ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون أن الفاعل للطبخ والطباخ ولقدرته وعلمه
هو الله وأن من ذم شيئا من خلق الله تعالى بغير إذن الله تعالى فقد ذم الله تعالى ولذلك قال النبي عليه السلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر فهذه هي
المرابطة الثانية مراقبة الأعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن أحكم الأصول المرابطة الثالثة
محاسبة النفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها أما الفضيلة فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت
لغد وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ولذلك قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وفي الخبر أنه
صلى الله عليه جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال أمستوص أنت قال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان
غيا فانته عنه وفي الخبر ينبغي أن يكون للعاقل أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه قال الله تعالى وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون والتوبة
نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال صلى الله عليه إني لأستغفر الله كل يوم وأتوب إليه مائة مرة وقد قال تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف
من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جنه الليل ويقول لنفسه [illegible] عملت اليوم وعن ميمون
بن مهران أنه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروي عن عائشة أن أبا بكر رضي الله عنه
قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب إلي من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ

من الكلمة فتدبرها وابدلها بكلمة غيرها وحديث ابي طلحة حين شغله الطاير في صلوته فتدبر ذلك فجعل حايطه صدقة لله تعالى ندما ورجا للعوض
مما فاته وفي حديث ابن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا قال اردت ان اجرب نفسي هل تنكره
وقال الحسن المومن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيمة على قوم اخذوا
هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المومن يفجاه الشي يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك
وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشي فيرجع الى نفسه فيقول ما اردت بهذا والله لا اعذر بهذا والله لا اعود الى هذا ابدا ان شا الله وقال
انس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب يوما وخرجت معه حتى دخل حايطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحايط عمر بن الخطاب امير المومنين
بخ بخ والله لتتقين الله او ليعذبنك وقال الحسن رضي الله عنه في قوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المومن الا يعاتب نفسه ماذا اردت
باكلتي ماذا اردت بشربتي والفاجر يمضي قدما قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحم الله عبدا قال لنفسه الست صاحبة كذا الست
صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم الزمها كتاب الله وكان له قايدا وهذا من معاتبة النفس كما سياتي في موضعه وقال ميمون بن مهران التقي اشد محاسبة
لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال ابراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة اكل من ثمارها واشرب من انهارها واعانق ابكارها ثم مثلت
نفسي في النار اكل من زقومها واشرب من صديدها واعالج سلاسلها واغلالها فقلت لنفسي يا نفس اي شي تريدين قالت اريد ان ارد الى الدنيا
فاعمل صالحا قلت فانت في الامنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرا حاسب نفسه قبل ان يصير الحساب الى غيره
رحم الله امرا اخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرا نظر في مكياله رحم الله امرا نظر في ميزانه فما زال يقول رحم الله امرا حتى ابكاني وحكى صاحب للاحنف بن قيس
قال كنت اصحبه فكانت عامة صلوته بالليل الدعا وكان يجي الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم
كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

**حقيقة المحاسبة بعد العمل**

اعلم ان العبد كما يكون له وقت في اول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية
بالحق فينبغي ان يكون له في اخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركا في اخر كل
سنة او شهر او يوم حرصا منهم على الدنيا وخوفا من ان يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة في فوته ولو حصل لم يبق ذلك له الا اياما قلايل فكيف
لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة ابد الاباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك فمعنى
المحاسبة مع الشريك ان ينظر في راس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان
من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك راس مال العبد في دينه الفرايض وربحه النوافل والفضايل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة
جملة النهار ومعامله النفس الامارة بالسو فليحاسبها على الفرايض اولا فان اداها على وجهها شكر الله تعالى ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها
بالقضا وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع
التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شي منها فينبغي ان يتقي غايلة النفس
ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيا[مة]
وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب
على النفس وصح عنده قدر ادا الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على
شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على
ذلك ولا يمكن شي من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفا ثم ينبغي ان يحاسب نفسه
على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضا الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة يحاسب نفسه فحسب يوما فاذا هو ابن
ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسماية يوم فصرخ وقال يا ويلتي القى الملك باحد وعشرين الف ذنب وخمسماية ذنب كيف وفي كل
يوم عشرة الاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قايلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يحاسب نفسه على الانفاس وعلى
معصية بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلات داره في مدة يسيرة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ
المعاصي والملكان يحفظان عليه احصاه الله ونسوه

**المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها**

مهما حاسب نفسه فلم يسلم عن مقارفة معصية

وارتكاب

وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وانست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان
ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين
بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من اطراف بدنه بمنعه من شهواته هكذا كان عادة سالكي طريق الاخرة فقد روي عن منصور بن ابراهيم ان رجلا
من العباد كلم امراة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده على النار حتى نشت وروي انه كان في بني اسرايل رجل يتعبد في صومعته فمكث بذلك
زمانا طويلا فاشرف ذات يوم فاذا هو بامراة فافتتن بها وهم بها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله بسابقة فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع
فرجعت اليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعالى تعود
معي في صومعتي لا يكون ذلك والله ابدا فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله ذلك له
وانزل في بعض الكتب ذكره ويحكى عن الجنيد انه قال سمعت ابن الكريبي يقول اصابتني ليلة جنابة فاحتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في
نفسي تاخرا وتقصيرا فحدثتني نفسي لو تركت حتى اصبح وتسخن الما وادخل الحمام ولا اعنت على نفسي فقلت واعجباه انا اعامل الله في طول عمري فيجب له علي
حق فلا اجد في المسارعة واجد الوقوف والتاخر اليت ان اغتسل الا في مرقعتي هذه واليت ان لا انزعها ولا اعصرها ولا اجففها في الشمس
ويحكى ان غزوان وابا موسى كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت وقال انك للحاظة الى ما يضرك
ونظر بعضهم نظرة واحدة الى امراة فجعل على نفسه ان لا يشرب الما البارد طول حياته فكان يشرب الما الحار لينغص على نفسه العيش ويروى ان حسان
بن ابي سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال تسالين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها وقال مالك بن ضيغم جا رباح القيسي يسال
عن ابي بعد العصر فقلنا انه نايم فقال نوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا الا نوقظه لك فجا الرسول وقال هو اشغل
من ان يفهم عني شيا ادركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول اقلت نوم هذه الساعة افكان هذا عليك ينام الرجل متى شا وما يدريك ان
هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تعلمين اما ان لله عهدا لا انقضه ابدا لا اوسدك الارض لنوم حولا الا لمرض حايل او لعقل زايل سوءة لك اما تستحيين
كم توبخين وعن غيك لا تنتهين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رايت ذلك انصرفت وتركته ويحكى عن تميم الداري انه نام ليلة لم يقم يتهجد فقام
سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضا وكان يقول ذق نار جهنم اشد حرا
اجيفة بالليل بطالة بالنهار قال فبينا هو كذلك اذ ابصر النبي صلى الله عليه في ظل شجرة فاتاه فقال غلبتني نفسي فقال صلى الله عليه الم يكن بد من هذا الذي
صنعت اما لقد فتحت لك ابواب السما ولقد باهى الله بك الملايكة ثم قال لاصحابه تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال
صلى الله عليه عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل النبي عليه السلام يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مابهم وقال
حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما في الارض نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهواتها ودخل ابن السماك على داود
الطايي حين مات وهو في بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت تعمل له
وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله حاجة فقام سبعين سبتا ياكل في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سال حاجته فلم يعطها
فرجع الى نفسه وقال منك اتيت لو كان فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن ادم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد
قضى الله حاجتك وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر العدو فصيح في الناس فقاموا الى المصاف في يوم شديد الريح واذا رجل امامي وهو
يخاطب نفسه ويقول اي نفس الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت والله لاعرضنك اليوم على الله اخذك او تركك
فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في اوايلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو
ثابت يقاتل فوالله ما زال ذلك دابه حتى رايته صريعا فعددت به وبدابته ستين او اكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث طلحة لما اشتغل قلبه في الصلوة
بطاير في حايطه فتصدق بالحايط كفارة لذلك وان عمر رضي الله عنه كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول ماذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع راسه الى السطح فوقع بصره
على امراة فجعل على نفسه ان لا يرفع راسه الى السما ما دام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه
ما حملك على ان صنعت يوم كذا وكذا وانكر وهيب بن الورد شيا على نفسه فنتف شعرات من صدره حتى عظم المه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما اريد بك الخير
وراى محمد بن بشر داود الطايي وهو ياكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال لو اكلته بملح فقال ان نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا ما دام

[هامش: فوضع يده ص]
[هامش: اي ودمت]

في الدنيا فهكذا كان عقوبة اولي الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في امر وتخاف
انك لو تجاوزت عنهم خرج امرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي اعظم عدو لك واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من
ضررك من طغيان اهلك فان غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الآخرة وان فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له
ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة اولى من غيرها المرابطة الخامسة المجاهدة وهو انه اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت
معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات التي مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد
عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر
في جماعة بان تصدق بارض قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر رضي الله عنهما اذا فاتته صلاة في جماعة احيى تلك الليلة واخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع
كوكبان فاعتق رقبتين وفات ابن ابي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك
مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت ان كانت نفسي لا تطاوعني على المجاهدة والمواظبة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول
سبيلها في ذلك ان تسمعها ما ورد في الاخبار من فضل المجتهدين ومن انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله تعالى مجتهد في العبادة فتلاحظ
احواله وتقتدي به فكان بعضهم يقول كنت اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت على ذلك اسبوعا الا ان هذا
علاج قد تعذر اذ فقد في هذا الزمان من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي ان يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء انفع من سماع احوالهم و
مطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم ابد الآباد لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم
فيتمتع بنفسه اياما قلائل بشهوات مكدرة ثم ياتيه الموت ويحال بينه وبين ما يشتهيه ابد الآباد نعوذ بالله من ذلك ولنذكر من اوصاف المجتهدين و
فضائلهم ما يحرك رغبة المريدين في الاجتهاد والاقتداء بهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى وقال الحسين بهم الجهد
اجهدتهم العبادة قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة يعملون ما يعملون من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب وقال صلى الله عليه
طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ويروى ان الله تعالى يقول للملائكة ما بال عبادي مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم الى شيء فاشتاقوا
اليه فيقول الله تعالى فكيف لو رأوني عبادي لكانوا اشد اجتهادا وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل
ولا يأسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت في اعينهم اهون من التراب الذي تطؤونه بارجلكم ان كان احدهم ليعيش عمره كله ما طوي له ثوب ولا امر
اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيئا قط وادركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم
تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله تعالى ان يتقبلها واذا عملوا سيئة
احزنتهم وسألوا الله ان يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة وحكي ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز
يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ما ارى فقال يا امير المؤمنين اسقام وامراض فقال سألتك بالله الا صدقتني فقال
يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكاني انظر الى عرش ربي والناس
يساقون الى الجنة والنار فاظمأت لذلك نهاري واسهرت ليلي وقليل حقير كل ما انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه وقال ابو نعيم كان داود الطائي
يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ودخل عليه رجل يوما فقال ان في سقف بيتك
جذعا مكسورا فقال يا ابن اخي اني في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام وقال محمد
بن عبد العزيز جلسنا الى احمد بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال ان الله تعالى خلق العينين لينظر العبد بهما الى عظمة
الله تعالى فمن نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقالت امرأة مسروق ما كان يوجد مسروق الا وساقاه منتفختان من طول الصلاة وقالت والله ان كنت
لاجلس خلفه فابكي رحمة له وقال ابو الدرداء لولا ثلاث ما احببت العيش يوما واحدا الظمأ لله تعالى بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة
اقوام ينتقون اطايب الكلام كما ينتقى اطايب الثمر وكان الاسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر وكان علقمة بن
قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها اريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط فدخل عليه انس بن مالك والحسن فقالا له ان الله
تعالى لم يامرك بكل هذا فقال انما انا عبد مملوك لا ادع من الاستكانة شيئا الا جئت به وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم الف ركعة حتى اقعد من رجليه

وكان يصلي جالسا الف ركعة واذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا منك عجبت للخليقة كيف انست بسواك بل عجبت للخليقة
كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان ثابت البناني قد حبب اليه الصلاة فقال اللهم ان اذنت لاحد ان يصلي لك في قبره فاذن لي ان اصلي في قبري و
قال الجنيد رضي الله عنه ما رأيت اعبد من السري اتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعا الا في علة الموت وقال الحارث بن سعيد جاء قوم الى راهب
فراوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد عكفوا على حظوظ انفسهم
ونسوا حظهم الاكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم وعن ابي محمد المغازلي قال جاور ابو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عماد ولا
الى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه ابو بكر الكتاني فسلم عليه فقال يا ابا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطني فاعانني على ظاهري فاطرق
الكتاني ومشى متفكرا وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي فرأيته قد مد كفيه يبكي حتى رأيت الدموع تنحدر من بين اصابعه فدنوت منه فاذا
دموعه قد خالطها صفرة فقلت لم بالله يا فتح بكيت الدم فقال لولا انك حلفتني بالله ما اخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي
عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون ما صحت لي الدموع قال فرأيته بعد موته في المنام فقلت ما صنع الله بك فقال غفر لي فقلت فما
صنع في دموعك فقال قربني ربي عز وجل وقال يا فتح الدموع على ماذا قلت على التخلف عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت على دموعي ان لا يصح لي
يا فتح ما اردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد حافظاك اربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة وقيل ان قوما ارادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا الى
راهب منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب انا قد اخطأنا الطريق فكيف الطريق فأومأ برأسه الى السماء فعلم القوم
ما ارادوا فقالوا يا راهب انا سائلوك فهل انت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لا يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم
من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم فقال على نياتهم فقالوا اوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية
ثم ارشدهم الى الطريق وادخل رأسه في صومعته وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب
فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فاشرف علي وقال يا هذا ما انا براهب انما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه
وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه
وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد اسهره ذكر النار ومسألة الجبار فذلك هو الراهب واما انا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة
عن الناس لئلا اعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد ان عرفوه فقال يا اخي لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها لانها
محل المعاصي والذنوب والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله من ذنبه واقبل على ما يقربه من ربه وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال
اني اذا لفارغ وكان اويس القرني يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة واذا كانت الليلة الآتية يقول هذه ليلة السجود فيحيي الليل
كله في سجدة وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنى بالطعام والشراب فقالت له امه لو رفقت بنفسك فقال الرفق اطلب دعيني اتعب قليلا
واستريح طويلا وحج مسروق فما نام قط الا ساجدا وقال سفيان الثوري عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى
وقال عبد الله بن داود كان احدهم اذا بلغ اربعين سنة طوى فراشه اي كان لا ينام طول الليل وكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم الف ركعة ثم يقول
لنفسه قومي يا مأوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة وكان يبكي ويقول ذهب نصف عملي وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول يا ابت ما لي ارى
الناس ينامون ولا اراك تنام فقال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات ولما رأت ام الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يا بني لعلك قتلت قتيلا
فقال نعم يا اماه قالت فمن هو حتى نطلب اهله فيعفوا عنك فوالله لو يعلمون ما انت فيه لرحموك وعفوا عنك فقال يا اماه هي نفسي وقال عمر بن اخت بشر بن
الحارث قال سمعت خالي بشر بن الحارث يقول لامي يا اختي جوفي وخواصري تضرب علي فقالت له امي يا اخي ائذن لي حتى اصلح لك قليل حساء
بكف دقيق عندي تحساه يرم جوفك فقال لها ويحك اخاف ان يقول من اين لك هذا الدقيق فلا ادري اي شيء اقول له فبكت امي وبكى معها قال و
رأت امي ما بي من شدة الجوع وجعل يتنفس نفسا ضعيفا فقالت امي يا اخي ليت امك لم تلدني فوالله لقد تقطع كبدي مما ارى بك فسمعته يقول لها فليت امك لم تلدني
واذ ولدتني فلم يكن ثدي ترضعني قال عمر وكانت امي تبكي عليه الليل والنهار وقال الربيع اتيت اويسا فوجدته جالسا قد صلى الفجر ثم جلس فجلست
فقلت لا اشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت
مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم اني اعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا تشبع فقلت حسبي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل الى اويس فقال

يا با عبد الله ما لي اراك كانك مريض قال وما لاويس ان لا يكون مريضا يطعم المريض واويس غير طاعم وينام المريض واويس غير نايم وقال
احمد بن حرب يا عجبا لمن يعرف ان الجنة تزين فوقه والنار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك اتيت ابراهيم بن ادهم فوجدته قد صلى
العشا الاخرة فقعدت ارقبه فلف نفسه بعباه ثم رمى بنفسه فلم يتقلب من جنب الى جنب الليل كله حتى طلع الفجر واذن المؤذن فوثب الى الصلوة
ولم يحدث وضوا فحاك ذلك في صدري فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء فقال كنت الليل جايلا في رياض الجنة وفي اودية
النار افهل في ذلك نوم وقال ثابت البناني ادركت رجالا كان احدهم يصلي فيعجز حتى ما ياتي فراشه الا حبوا وقيل مكث ابو بكر بن عياش اربعين
سنة لا يضع جنبه على فراشه ونزل الما في احدى عينيه فمكث عشرين سنة لا يعلم به اهله وقيل كان ورد سمنون في كل يوم خمسماية ركعة وعن
ابي بكر المطوعي قال كان وردي في شبيبتي كل يوم اقرا قل هو الله احد احدى وثلثين الف مرة او اربعين الف مرة شك الراوي وكان منصور
بن المعتمر اذا رايته قلت رجل اصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين ان حركته جادت عيناه بالدمع ولقد قالت امه له
ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكي الليل عامته لا تسكت لعلك يا بني قتلت قتيلا فيقول يا اماه انا اعلم بما صنعت بنفسي وقيل لعامر بن عبد الله كيف
صبرك على سهر الليل وظما الهواجر فقال ما هو الا اني صرفت طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس في ذلك خطير امر وكان يقول
ما رايت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها وكان اذا جاء الليل قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح واذا جاء النهار قال
اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي واذا جاء الليل قال من خاف ادلج وعند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد قيس اربعة
اشهر فما رايته نام بليل ولا نهار ويروى عن رجل من اصحاب علي انه قال صليت خلف علي الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كابة حتى طلعت الشمس
ثم قلب يده وقال والله لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما ارى اليوم شيا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا
وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم
وكان القوم باتوا غافلين يعني من كان حوله وكان ابو مسلم الخولاني قد علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومي والله لازحفن
بك زحفا حتى يكون الكلل منك لا مني واذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول انت اولى بالضرب من دابتي وكان يقول ايظن اصحاب
محمد ان يستاثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم زحاما يعلمون انهم قد خلفوا ورايهم رجالا وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول
القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له يوم القيامة غدا ما وجد مزيدا وكان اذا جاء الشتا اضطجع على السطح ليضربه البرد وان كان في الصيف
اضطجع داخل البيت ليجد الحر والغم فلا ينام وانه مات وهو ساجد وكان يقول اللهم اني احب لقاك فاحب لقاي وقال القسم بن محمد غدوت
يوما وكنت اذا غدوت بدات بعايشة اسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هي تصلي صلوة الضحى وهي تقرا فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكي
وتدعو وتردد الاية فقمت حتى مللت وهي كما هي فلما رايت ذلك ذهبت الى السوق فقلت افرغ من حاجتي ثم ارجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت و
هي كما هي تردد الاية وتدعو وتبكي وقال محمد بن اسحق لما قدم علينا عبد الرحمن بن الاسود حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلي على
قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضو العشا وقال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وقال علي بن ابي طالب سيما الصالحين
صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من البكا وذبول الشفاه وعليهم غبرة الخاشعين وقيل للحسن ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها قال انهم خلوا
بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وكان عامر بن عبد قيس يقول الهي خلقتني ولم تؤامرني وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدوا واجريته مني مجرى الدم وجعلته
يراني ولا اراه ثم قلت لي استمسك الهي كيف استمسك ان لم تمسكني الهي في الدنيا الهموم والاحزان وفي الاخرة وفي الاخرة العقاب والحساب فاين
الراحة والفرح وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلث صيحات اذا صلى العتمة وضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح
صيحة ثم يضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل الاخر صاح صيحة ثم يضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدثت
به بعض البصريين فقال لا تنظر الى صياحه ولكن انظر الى ما بين الصيحتين عن حين صاح وعن القسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا
بالمحصب وكان له اهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى باعلى صوته ايها الركب المعرسون اكل هذا الليل ترقدون فلا تقومون
فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فاذا طلع الفجر نادى باعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى
وقال بعض الحكما ان لله عبادا انعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن لصفا



النفس وينبوعا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزاين للقدرة فهم بين الخلايق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب
الغيوب ثم ترجع ومعها طرايف من لطايف الفوايد ما لا يمكن واصفا ان يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج حسنا وهم في الظاهر مناديل
مبذولون لمن ارادهم تواضعا وهذه طريقة لا تبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشا وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في بعض
جبال بيت المقدس اذ هبطت الى واد هناك فاذا انا بصوت قد علا واذا لتلك الجبال دوي عالي فاتبعت الصوت فاذا انا بروضة
عليها شجر ملتف واذا انا برجل قايم فيها يردد هذه الاية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الى قوله ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه
اسمع كلامه وهو يردد هذه الاية اذ صاح صيحة خر مغشيا عليه فقلت واسفاه هذا لشقايي ثم انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة
فسمعته يقول اعوذ بك من مقام الكذابين اعوذ بك من اعمال البطالين اعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخايفين واليك
فزعت امال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يديه وقال ما لي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا بابنا جنسك والالاف
نعيمك الى محبتك فاخدعي واياهم فاخدعي ثم قال اين القرون الماضية واهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى ممر الزمان
يفنون فناديته يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك انتظر فراغك فقال كيف يفرغ من يبادر الاوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت الى نفسه
ام كيف يفرغ من ذهبت ايامه وبقيت اثامه ثم قال انت لها ولكل شدة اتوقع نزولها ثم لهى عني ساعة وقرا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون ثم صاح صيحة اخرى اشد من الاولى وخر مغشيا عليه فقلت قد خرجت نفسه فدنوت منه فاذا هو مضطرب ثم افاق وهو
يقول من انا ما خطري هب لي اساتي بفضلك وجللني بسترك واعف عني بكرم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت بالذي ترجو لنفسك
وتثق به الا كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من اوبقته ذنوبه اني لفي هذا الموضع منذ ما شا الله اجاهد ابليس و
يجاهدني فلم اجد عونا عليه ان يخرجني مما انا فيه غيرك فاليك عني يا مخدوع فقد عطلت علي لساني وميلت الى حديثك شعبة من قلبي
فانا اعوذ بالله من شرك ثم ارجو ان يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت هذا ولي الله اخاف ان اشغله فاعاقب من موضعي
هذا فانصرفت وتركته وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في مسير لي اذ ملت الى شجرة لاستريح تحتها فاذا بشيخ قد اشرف علي فقال
لي يا هذا قم فان الموت لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته يقول كل نفس ذايقة الموت اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال
من ايقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر اليك واملا قلبي
من المحبة لك واجرني من ذل التوبيخ غدا عندك فقد ان لي الحيا منك وحان لي الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعني اجلي و
لولا عفوك لم ينبسط فيما عندك املي ثم مضى وتركني وانشدوا في هذا المعنى نحيل الجسم مكتيب الفواد تراه بقنة او بطن وادي ينوح على معاصي فاجات
يكدر ثقلها صفو الرقاد فان هاجت مخاوفه وزادت فدعوته اغثني يا عمادي فانت بما الاقيه عليم كثير الصفح عن زلل العباد
وقيل الذعر التلذذ بعوارض اذا اقبلن في خلل حسان منيب فرع اهل ومال يسيح الى مكان من مكان ليخفي ذكره ويعيش فردا
ويظفر في العبادة بالاماني بلذة العلايق ابن دار وذكر بالفواد وباللسان ويغتذ الموت بالبشرى يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما اراد وما تمنى من الراحات في غرف الجنان وكان كرز بن وبرة يختم القران في كل يوم ثلث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية
المجهود فقيل له قد اجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة الاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون الف سنة فقال فيعجز
احدكم ان يعمل سبع يوم حتى يامن ذلك اليوم يعني انك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة الاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين
الف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة جديرا فكيف وعمرك قصير والاخرة لا نهاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين في مرابطة
النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادات فطالع احوال هولا فانه قد عز الان وجود مثلهم ولو قدرت على
مشاهدة من اقتدى بهم فهو انجع في القلب وابعث على الاقتدا فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع احوالهم فان لم تكن ابل فمعزى
وخير نفسك بين الاقتدا بهم والكون في زمرتهم وغمارهم وهم العقلا والحكما وذوو البصاير في الدين وبين الاقتدا بالجهلة الغافلين من اهل عصرك
ولا ترضى لها ان تنخرط في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالاغبيا وتوثر مخالفة العقلا فان حدثتك نفسك بان هولا رجال اقويا لا يطاق الاقتدا
بهم فطالع احوال النسا المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستنكفين ان تكونين اقل من امراة واخسس برجل يقصر عن امراة في امر دينها ودنياها

ولنذكر الآن عدة من احوال المجتهدات فيروى عن حبيبة العدوية انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها
درعها وخمارها ثم قالت الهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم
تقبل على صلوتها فاذا طلع الفجر قالت هذا الليل قد ادبر وهذا النهار قد اسفر فليت شعري اقبلت مني ليلتي فاهنى ام رددتها علي فاعزى وعزتك
هذا دابي ودابك ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني ما برحت عن بابك لما وقع في نفسي من جودك وكرمك ويروى عن عجوز انها كانت تحيي الليل كانت
ملتفة في القصب فاذا كان السحر نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك اسالك
يا الهي لا بغيرك ان تجعلني في اول زمرة السابقين وان ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين وان تلحقني بعبادك الصالحين فانت ارحم الرحماء
واعظم العظماء واكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجيب ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر وقال يحيى بن بسطام كنت اشهد مجلس شعوانة
فكنت ارى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها فقال انت وذلك قال فاتيناها فقلت
لها لو رفقت بنفسك واقصرت عن هذا البكاء شيئا لكان ذلك اقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لوددت ان ابكي حتى تنفد دموعي ثم ابكي
دما حتى لا يبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي واني لي بالبكاء فلم تزل تردد واني لي بالبكاء حتى غشي عليها وقال محمد بن معاذ حدثتني امراة من
المتعبدات قالت رايت في المنام كاني ادخلت الجنة فاذا اهل الجنة قيام على ابوابها فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا
ينظرون الى هذه المراة التي زخرفت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المراة فقيل امة سوداء من اهل الابلة يقال لها شعوانة قالت فقلت
اختي والله فبينا انا كذلك اذا اقبل بها على نجيبة تطير بها في الهوا فلما رايتها ناديت يا اختي اما ترين مكاني منك فلو دعوت لي مولاك
فالحقني بك قالت فتبسمت لي وقالت لم يان لقدومك ولكن احفظي عني اثنين الزمي الحزن وقدمي محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت وقال
عبد الله بن الحسين كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا فكانت في بعض الليالي نائمة الى جنبي فانتبهت فالتمستها فلم اجدها فقمت اطلبها
فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا ما غفرت ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت لا يا مولاي بحبه لي اخرجني من الشرك
الى الاسلام وبحبه لي ايقظ عيني وكثير من خلقه نيام وقال ابو هاشم القرشي قدمت علينا امراة لها قدم فقيل لي اشرف على هذه المراة ماذا تصنع قال
فاشرفت عليها فما رايتها تصنع شيئا غير انها لا ترد طرفها عن السما وهي مستقبلة القبلة تقول خلقتني سوية ثم غذيتني تنقلني من حال الى حال وكل
احوالك لي حسنة وكل بلائك عندي جميل ومع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة اتراك تظن انك لا ترى سوء فعالي
وانت عليم خبير وانت على كل شي قدير وقال ذو النون المصري خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي اذا سواد مقبل علي وهو يقول
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي فلما قرب مني السواد اذا هي امراة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت من انت غير فزعة مني
فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت ما الذي ابكاك فقلت وقع الدوا على داء قد قرح فاسرع في نجاحه
قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت لم ذاك قالت لان البكاء راحة القلب فسكت متعجبا من قولها
وقال احمد بن ... استاذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعناها تقول اللهم اني اعوذ بك ممن جا
يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي المغفرة ثم قالت مكث عطا السلمي
اربعين سنة لا ينظر الى السما فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في بطنه فليت عفيرة اذا رفعت راسها لم تعص وليتها اذا عصت
لم تعد وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعي جارية حبشية فاجلستها في موضع ناحية السوق وذهبت في بعض حوائجي و
قلت لا تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي وانا شديد الغضب فلما راتني عرفت الغضب في وجهي
فقالت يا مولاي لا تعجل علي انك اجلستني في موضع لم ار فيه ذاكرا لله تعالى فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت انت حرة فقالت
بئس ما صنعت كنت اخدمك فيكون لي اجران واما الان فقد ذهب عني احدهما وقال ابن العلا السعدي كانت لي ابنة عم يقال لها بريرة تعبدت
وكانت تكثر القراءة في المصحف فكلما اتت على اية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه
المراة حتى نعذلها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا لها يا بريرة كيف اصبحت فقالت اصبحنا اضيافا منيخين بارض الغربة ننتظر متى ندعى
فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء فقد ذهبت عيناك منه فقالت ان كانت لعيني عند الله خير فما ضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله

شر

شر فسيزيد بهما بكا اطول من هذا واعرضت عنا قال فقال القوم قوموا فانها والله في شي غير ما نحن فيه وكانت معاذة العدوية اذا جا النهار
تقول هذا يومي الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا جا الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح وقال ابو سليمن الداراني بت ليلة
عند رابعة فقامت الى محراب لها فقمت انا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت ما جزا من قوانا على قيام هذه الليلة قالت
جزاوه ان نصوم له غدا وكانت شعوانة تقول في دعائها الهي ما اشوقني الى لقائك واعظم رجائي لجزائك فانت الكريم الذي لا يخيب لديك امل
الاملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي ان كان دنا اجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسايل عللي فان عفوت فمن
اولى بذلك منك وان عذبت فمن اعدل منك هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها ان لم يسعدها الهي
انك لم تزل بي برا ايام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ولقد رجوت من تولاني في حياتي باحسانه ان يشفعه عند مماتي بغفرانه الهي كيف ايس
من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني فان محبتي لك قد اجارتني فتول من امري ما انت اهله
وعد بفضلك على من غره جهله الهي لو اردت اهانتي لما هديتني ولو اردت فضيحتي لم سترتني فمتعني بما له هديتني وادم لي ما به سترتني الهي
ما اظنك تردني في حاجة افنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وقال
الخواص دخلت على رحلة العابدة وكانت صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها
ثم ذكرنا لها شيئا من العفو ليهون عليها الامر فشهقت ثم قالت علمي بنفسي قرح فوادي وكلم كبدي والله لوددت ان الله لم يخلقني ولم اك شيئا
مذكورا ثم اقبلت على صلوتها فعليك ان كنت من المريدين المراقبين لنفسك ان تطالع احوال الرجال والنسا من المجتهدين لتنبعث نشاطك
ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية
للمعتبر وان اردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاوليا فهو مشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف
عليه يستبين لك بعدك وبعد اهل عصرك عن اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما تتيسر الخيرات في ذلك الزمان
لكثرة الاعوان والان ان خالفت اهل زمانك راوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم فيما هم عليه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت
طابت فاياك ان تنخدع بغرورها وتنخدع بتزويرها وقل لها ارايت لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على موضعهم ولم ياخذوا
حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت على ان تفارقهم وتركب سفينة تنجو بها من الغرق فهل يختلج في صدرك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تترك
موافقتهم وتستجهلهم في صنيعهم وتاخذ حذرك مما دهاك فاذا كنت تترك موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى فكيف لا تهرب من
عذاب الابد وانت معرض له في كل حال ومن اين يطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم
يهلك الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة الاية فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك او بحملها على الاجتهاد
فاستعصت ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها المرابطة السادسة في
توبيخ النفس ومعاتبتها اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة من الخير وامرت بتزكيتها
وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها
بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي اللوامة التي اقسم الله تعالى بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة
الى ان تدخل الجنة في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغل بوعظ غيرك ما لم تشتغل بوعظ نفسك
واوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المومنين
وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد انفتها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق فتقول
لها يا نفس ما اعظم جهلك تدعين الفطنة والذكا والحكمة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى
احدهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين
الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو ات قريب وان البعيد ما ليس بات اما تعلمين ان الموت ياتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة
ومواطاة وانه لا ياتي في شتا دون صيف ولا في صيف دون شتا ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا ياتي في الصبي دون الشباب

ولا في الشباب دون الصبى بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون الموت فيه فجاة فان لم يكن الموت فجاة فيكون المرض فجاة ثم يفضي الى
الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قول الله تعالى اقترب للناس حسابهم الى ان قال لاهية قلوبهم ويحك يا نفس
ان كانت جراتك على معصية الله تعالى لاعتقادك ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياءك
ويحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك او اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك به فباي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه
وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك البطر عن اليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت
الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك ام تغترين بكرم الله تعالى وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعتمدين على كرم
الله في مهمات دنياك فاذا قصدك العدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله واذا ارهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا
ينقضي الا بالدينار والدرهم فما لك تنزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله حتى يعثر بك على كنز او يسخر عبدا من
عبيده فيحمل اليك حاجتك من غير سعيك وطلبك افتحسبين ان الله كريم في الاخرة دون الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب
الدنيا والاخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى ويحك يا نفس ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق
ظاهر عليك الم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال في امر الاخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك
بامر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بافعالك واصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل امر الاخرة الى سعيك
فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فلم كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار
ويحك يا نفس كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات اتحسبين ان تتركي سدى الم تكوني نطفة من مني
يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا من اضمارك فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين مماذا خلقك من نطفة
خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك افتكذبينه في قوله ثم اذا شاء انشرك وان لم تكوني مكذبة فما لك لا تاخذين حذرك ولو ان
يهوديا اخبرك في الذ اطعمتك بانه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه افكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول
الله تعالى في كتبه المنزلة اقل عندك تاثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم والعجب انه لو اخبرك طفل بان في
ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة ببرهان ودليل افكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء اقل عندك من قول صبي من جملة الاغبياء
ام صار حر جهنم واغلالها وانكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وافاعيها وعقاربها احقر عندك من عقرب لا تحسين بالمها الا
يوما او اقل منه ما هذا افعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت يا نفس عرفت جميع ذلك وامنت به فما لك تسوفين
العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا امنت استعجال الاجل وهبك انك وعدت بالامهال مائة سنة افتظنين ان من يطعم الدابة
في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما اعظم جهلك ارايت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة فاقام فيها سنين متعطلا بطالا
يعد نفسه بالتفقه في السنة الاخيرة عند رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسبانه ان مناصب
الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله تعالى ثم هبي ان الجهد في اخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم اخر عمرك فلم لا تشتغلين
فيه بذلك فان اوحي اليك بالامهال فنعم والامر المانع لك من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيه من التعب
والمشقة افتنتظرين يوما ياتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره
قط خفيفة على النفوس هذا محال وجوده اما تتاملين مذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا وغدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته اوما علمت
ان الغد الذي جاء وصار يوما كان له حكم الامس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه اعجز واعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد
بقلعها فاذا عجز عن قلعها للضعف واخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخرها الى سنة اخرى مع العلم بان طول المدة يزيد الشجرة قوة
ورسوخا ويزيد القالع ضعفا ووهنا فما لا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه في المشيب قط بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب
والقضيب الرطب يقبل الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فاذا كنت ايتها النفس لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فما لك
تدعين الحكمة واي حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني عن الاستقامة الا الحرص على لذة الشهوات وقلة صبري على الالام والمشاق فما اشد

غباوتك

غباوتك واقبح اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة ابد الاباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة
ان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات وما قولك في عقل مريض اشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة ايام ليصح ويتهنا
بشربه طول عمره واخبره انه ان شرب ذلك مرض مرضا شديدا مزمنا وامتنع عليه شربه طول عمره فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة ايصبر ثلاثة ايام
ليتنعم طول العمر ام يقضي شهوته في الحال خوفا من الم مخالفتها ثلاثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلاثمائة يوم وثلاثة الاف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي
هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار اقل من ثلاثة ايام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول
مدة ام الم النار في دركات الجحيم فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة كيف يطيق الم عذاب الله ما اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او حمق جلي
اما الكفر الخفي فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله وعفوه من
غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز او حبة من المال او كلمة واحدة تسمعينها من الخلق
بل تتوصلين الى غرضك في ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ويحك يا نفس لا ينبغي ان تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فما امرك بمهم لغيرك
ولا تضيعي اوقاتك فان الانفاس معدودة فاذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر
والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستعدي للاخرة على قدر بقائك فيها يا نفس اما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين له الحطب والجبة
وجميع الاسباب ولا تتكلين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك فانه قادر على ذلك افتظنين ايتها
النفس ان زمهرير جهنم اخف بردا او اقصر مدة من زمهرير الشتاء ام تظنين ان العبد ينجو منها بغير سعي هيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة
والنار وساير الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد وخندق الطاعات وانما كرم الله تعالى في ان عرفك طريق التحصن ويسر لك
اسبابه لا في ان يدفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء ان خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة و
حجر حتى يدفع به برد الشتاء عن نفسك وكما ان شرى الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشترينه لنفسك اذ خلقه سببا
لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك ايضا هو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها والله غني عن العالمين ويحك
يا نفس انزعي عن جهلك وقيسي اخرتك بدنياك ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدانا اول خلق نعيده وكما بداكم تعودون وسنة الله لن
تجد لها تبديلا ولا تحويلا ويحك يا نفس ما اراك الا الفت الدنيا وانست بها فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مقاربتها ومؤكدة في نفسك
محبتها فاحسبي انك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن احوال القيامة واهوالها فما انت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك افترين ان من
يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الاخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة الى مفارقته امعدود هو من العقلاء ام من
الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار ملك الملوك وما لك فيها الا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر ان روح القدس
نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزي به وعش ما شئت فانك ميت ويحك يا نفس اما تعلمين ان كل من يلتفت
الى ملاذ الدنيا ويانس بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري او ما تنظرين الى
الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف اورث الله ارضهم وديارهم اعداءهم اما تراهم كيف يجمعون ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون ويؤملون
ما لا يدركون يبني كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه و
هو مرتحل عنها يقينا ويخرب اخرته وهو صائر اليها قطعا اما تستحيين يا نفس من مساعدة هؤلاء على حماقتهم واحسبي انك لست ذات بصيرة تهتدين
الى هذه الامور وانما تميلين الى التشبه بالطبع والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والحكماء والعلماء بعقل هؤلاء المتكالبين على الدنيا واقتدي من الفريقين بمن هو
اعقل عندك ان كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكاء يا نفس ما اعجب امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة
الجلية ولعلك يا نفس اسكرك حب الجاه وادهشك عن فهمها او ما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل القلوب من بعض الناس اليك فاحسبي ان كل من
على وجه الارض سجدوا لك واطاعوك اما تعرفين ان بعد خمسين سنة لا تبقين انت ولا احد على وجه الارض ممن عبدك او سجد لك وسياتي زمان
لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما اتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين يا نفس ما يبقى ابد الاباد

يا لاسفي لكني وحسبي هب انك ملكت الارض من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت لك الرقاب وانقطعت لك الاسباب كيف وبي ادبار وشقا وتمل ان يسلم لك امر محلتك بل امر دارك فضلا عن محلتك فان كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة في الاخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة الشركة وتنزها عن كثرة عنائها وتوقيا من سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين في قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا يخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فاف لدنيا يسبقك بها هولاء الاخسة فما اجهلك واخس همتك واسقط رايك اذ رغبت عن ان تكوني في زمرة المقربين من الصديقين والنبيين في جوار رب العالمين ابد الاباد لتكوني في صف النعال من جملة الحمقى الهالكين الجاهلين ايام قلائل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادري ويحك يا نفس فقد اشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يترضى عنك بعد الموت ويحك يا نفس ما لك الا ايام معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على غفلتك وعادتك اما تعلمين يا نفس ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك اما علمت يا نفس ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك وقد الوا كلهم على انفسهم بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك معهم اما تعلمين يا نفس انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا عليه وانت تضيعين ايامك في الغفلة والبطالة ويحك يا نفس اما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظائم ثم تستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك اهو اهون الناظرين اليك اتامرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذائل تدعين الى الله وانت عنه فارة وتذكرين بالله وانت له ناسية اما تعلمين يا نفس ان المذنب انتن من العذرة وان العذرة لا تطلب غيرها ان تطهر فلم تطمعين في ان تطيبي غيرك وانت غير طيبة في نفسك ويحك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس ما يصيبهم بلاء الا بشومك ويحك يا نفس قد جعلت نفسك حمار ابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر بك ومع هذا فتعجبين بعملك وفيه من الافات ما لو نجوت منه راسا براس لكان الربح في يديك وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبد الله مائتي الف سنة واخرج ادم عليه السلام من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك يا نفس ما اغدرك ويحك يا نفس ما اوقحك ويحك يا نفس ما اجهلك ويحك يا نفس ما اجراك على المعاصي ويحك كم تعقدين وتنقضين ويحك كم تعهدين وتغدرين ويحك يا نفس اتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة الدنيا كانك غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا ويحك يا نفس اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة اتظنين انهم دعوا الى الاخرة وانت من المخلدين هيهات هيهات ساء ما تتوهمين ما انت الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فابني على وجه الارض قصرك فان بطنها عن قليل قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس منك التراقي ان تبدو رسل ربك منحدرة اليك بسواد الالوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الحزن او يرحم منك البكاء والعجب كل العجب انك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك انك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما نفع مال يزيد وعمر ينقص ويحك يا نفس تعرضين عن الاخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لا يستكمله وكم من مومل لغد لا يبلغه وانت تشاهدين ذلك في اخوانك واقاربك وجيرانك وترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري ايتها النفس المسكينة يوما الى الله فيه على نفسه ان لا يترك عبدا امره في الدنيا ونهاه حتى يساله عن عمله دقيقه وجليله خفيه وجليه سره وعلانيته فانظري يا نفس بأي بدن تقفين بين يديه وباي لسان تجيبين فاعدي للسوال جوابا وللجواب صوابا واعملي بقية عمرك في ايام قصار لايام طوال وفي دار زوال لدار مقامة وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود واعملي قبل ان لا تعملي اخرجي من الدنيا اختيارا خروج الاحرار قبل ان تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي بما ساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح وياكل ويشرب وقد حق له في كتاب الله انه من وقود النار فليكن نظرك يا نفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للاخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي يا نفس انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما اراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة

فاستعيني

فاستعيني بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف بالايتام فان لم تزل فاعلمي ان الله قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا فكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط كفر نعوذ بالله منه فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس برجاء فانظري الان هل ياخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع للرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستعيني بارحم الراحمين واشتكي الى اكرم الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت عنك الحيل وراحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجا ولا منجا الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر وقد اصبحت اليه مضطرة والى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يوثر فيك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسوول جواد والمستغاث به بر روف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقولي يا ارحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجري الذي لا اقلع انا المتمادي الذي لا استحيي هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل اغاثتي وفرجي وارني اثار رحمتك واذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا ارحم الراحمين اقتداء بابيك ادم عليه السلام فقد قال وهب بن منبه لما اهبط الله ادم من الجنة الى الارض مكث لا ترقا له دمعة فاطلع الله عليه في اليوم السابع وهو محزون كظيم منكس راسه فاوحى الله اليه يا ادم ما هذا الجهد الذي ارى بك قال يا رب قد عظمت مصيبتي واحاطت بي خطيئتي واخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة وفي دار البلاء والعناء بعد الراحة والعافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا ابكي على خطيئتي فاوحى الله تعالى اليه يا ادم الم اصطفك لنفسي واحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت امري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي لو ملات الارض رجالا كلهم مثلك يعبدونني ويسبحونني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى ادم عند ذلك ثلثمائة عام وكان عتبة الغلام يقول في بكائه طول ليلته الهي انا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي انا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة اخرى واعبيداه خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب اخرى واعبيداه ان كانت لك النار مقيلا ومأوى واعبيداه ان كانت المقامع لراسك تهيا واعبيداه قضيت حاجة الطالبين ولم تقض لي حاجتي وقال منصور بن عمار سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه وهو يقول يا رب وعزتك ما اردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي واعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فالان من عذابك من يستنقذني وبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسواتاه غدا من الوقوف بين يديك اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا امع المخفين اجوز ام مع المثقلين احط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فالى متى اتوب والى متى اعود اما ان لي ان استحيي من ربي فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضا ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعا فمن اهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون الله عنه راضيا والله اعلم بالصواب والله المرجع والمآب تم كتاب المحاسبة والمراقبة بحمد الله وحسن توفيقه

## كتاب التفكر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته نحوا ولا قطرا ولم يجعل لمراقي الاوهام ومرامي سهام الافهام الى حمى عظمته مجرى بل ترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا واذا همت بالانصراف ايسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ثم قيل لها اجيلي في ذل العبودية فكرك فانك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدري له قدرا وان طلبت وراء الفكر في صفاتك فانظري في نعم الله تعالى واياديه كيف توالت عليك وجددي لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتاملي في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا وان جاوزت النظر في الافعال الى النظر في الذات

فعدت ولت اعراضها وخاطرت بنفسك حيى وذا حظة في البشر بطال وحوا عما ابهرت العقول دون مبادى اشراقه وانكصت على اعقابها
اضطرارا وقهرا والصلوة على محمد سيد ولد آدم وان لم يعد سيادته فخرا صلوة تبقى لنا في عرصات القيامة عدة وذخرا وعلى آله واصحابه الذين
اصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرا ولطوائف المسلمين صدرا وسلم تسليما كثيرا اما بعد فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة
سنة وكثر الحث في كتاب الله على التدبر والاعتبار والتبصر والافتكار ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم
ومصيدة المعارف والفهوم واكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته
ولم يعلم انه كيف يتفكر وفيما ذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب منه اهو مراد لعينه ام لثمرة تستفاد منه وان كان لثمرة فما تلك الثمرة أهي من العلوم ام
من الاحوال او منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر اولا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجارى التفكر ومسارحه ان شاء الله تعالى
فضيلة التفكر قد امر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه في مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال الذين يتفكرون في خلق السموات والارض
وقد قال ابن عباس ان قوما تفكروا في الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج
ذات يوم على قوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب
ارضا بيضاء نورها بياضها او قال بياضها نورها مسيرة الشمس اربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين
الشيطان عنهم قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا قالوا ومن ولد آدم قال لا يدرون اخلق آدم ام لا وعن عطاء قال انطلقت يوما انا وعبيد بن عمير الى
عائشة وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول رسول الله زر غبا تزدد حبا قال ابن عمر فاخبرنا باعجب شيء رأيته من رسو
الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل امره كان عجبا اتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني اتعبد لربي فقلت اني احب قربك يا رسول الله ثم
اذنت له فقام الى قربة فتوضأ منها ثم قام يصلي حتى بل لحيته ثم سجد فبكى حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى اتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسو
الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد انزل الله تعالى في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقرأهن ويعقلهن وعن محمد
بن واسع ان رجلا من اهل البصرة ركب الى ام ذر بعد موت ابي ذر فسألها عن عبادة ابي ذر فقالت كان نهاره اجمع في ناحية يتفكر وعن الحسن تفكر
ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان سفيان
بن عيينة كثيرا ما يتمثل ويقول اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك
قال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فهو مثلي وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره
اعتبارا فهو لهو وفي قوله سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال امنع قلوبهم التفكر في امري وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسو
الله صلى الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه
وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ذخر في حجب الغيوب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا
عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده وكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان
آنس لك فيقول لقمان طول الوحدة افهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل
وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله تعالى من افضل العبادات وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي ورآه ساكتا متفكرا اين بلغت قال الصراط
وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوه وعن ابن عباس قال ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا ابو شريح يمشي اذ جلس
فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقيل له ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب اجلي وقال ابو سليمان عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال ايضا
الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب
ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه ويروى ان الله تعالى قال في بعض كتبه اني لست اقبل
كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن ان اهل العقل لم يزالوا
يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحاق بن خلف كان داود الطائي على سطح في ليلة قمراء فتفكر



في ملكوت السموات والارض وينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف
وظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها
الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله تعالى ثم قال يا لها من مجالس
ما اجلها ومن شراب ما الذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعي رحمه الله استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال ايضا صحة النظر
في الامور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في
النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم وقال ايضا الفضائل اربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة و
الثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل العلماء في
الفكرة وما شرع احد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها

حقيقة الفكر وثمرته اعلم ان معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر
منهما معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة وآثر الحياة الدنيا واراد ان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان احدهما ان يسمع
من غيره ان الآخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا
ولا يسمى معرفة والطريق الثاني ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف ان الآخرة ابقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهي ان الآخرة
اولى بالايثار ولا يمكن تحصيل المعرفة بان الآخرة اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به الى
المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا اما التدبر والتأمل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس
تحتها معان مختلفة واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان اصل المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف
يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل على السيف من حيث نسبته الى موضعه و
السيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة فان
لم يقع العبور ولم يكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب
معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب
لترسخ وتثبت ولا تنمحي عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت
في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة اخرى وازدوجت مع معرفة اخرى حصل
من ذلك نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما تنسد طريق زيادة المعارف بالموت او بالعوائق هذا
لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق التفكر واما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التي تستثمر
منها العلوم كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئا فكذلك قد يكون معه من المعارف
ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتأليفها وايقاع الازدواج المفضي الى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون
بنور الهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبياء وذلك عزيز جدا وقد يكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة
وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير والايراد فكم من انسان يعلم قطعا ان الآخرة اولى بالايثار
علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير عنه مع انه لم يحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى اولى بالايثار
وان الآخرة ابقى من الدنيا فيحصل له معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار فرجع حاصل حقيقة الفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفة ثالثة
واما ثمرة الفكر فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب
تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فاذا الفكر هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة
التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان في الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذا التفكر افضل من جملة
الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة يحدث لهم ذكرا وان اردت ان تفهم كيفية تغير الحال
بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الآخرة فان الفكرة فيها تعرفنا ان الآخرة اولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب الحال

الى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال هذا القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الآخرة
وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال
الآخرة فههنا خمس درجات اولاها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيتها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول
المعرفة المطلوبة المقصودة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد
له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع فيصير العين مبصرة بعد ان لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد نور
المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة
كما تنبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار ويرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء
للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذا ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية
لها والاحوال التي يتصور ان تتقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجاري
الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين
ويكون ذلك ضبطا جليا فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم تلك العلوم تستفاد من افكار
مخصوصة فلنشر الى ضبط المجامع فيها حتى يحصل الوقوف على مجاري الفكر بيان مجاري الفكر اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري
فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع افكار العبد اما ان يتعلق
بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله لا يمكن ان يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند
الرب تعالى او فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان يكون
نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله والمشتاقين
الى لقائه تضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه
فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته لينتعم بالفكر فيه وبمشاهدته واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على حسن
اخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه عن عين محبوبه حتى يتنزه منها او في الصفات
التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل
ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فمحب الله تعالى ينبغي ان يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصورا
في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة اصلا فلنبدأ بالقسم الاول وهو تفكره في صفات نفسه وافعال نفسه ليميز المحبوب منها عن
المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب واما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه
عند الله او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي ينقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع الاعضاء كالفرار من الزحف وعقوق
الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة امور الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله ام لا فرب شيء لا يظهر
كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثاني التفكر في انه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه والثالث ان هذا المكروه هل هو متصف به في
الحال فيتركه او هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه الانقسامات
فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى التفكر اما في جميعها او في اكثرها وشرح احاد هذه الاقسام
يطول ولكن انحصر هذا القسم اعني علم المعاملة في اربعة انواع الطاعات والمعاصي والصفات المهلكات والمنجيات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس
به المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه النوع الاول المعاصي ينبغي ان يفتش العبد صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا
ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز
والتباعد منها فينظر في اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى
غير ذلك من المكاره فيقرر اولا في نفسه انها مكروهة عند الله ويتفكر في شواهد القرآن والسنة فيقف على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في انه كيف يتعرض



لها من حيث لا يشعر فيتفكر انه كيف يحترز عنها ويعلم انه لا يتم ذلك الا بالعزلة والانفراد او بان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما
يكرهه الله تعالى والا فيضع حجرا في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه انه يصغي الى الغيبة
والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك انما يسمعه من زيد وعمرو وانه كيف يحترز عنهم بالاعتزال او بالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر
في بطنه انه انما يعصي الله تعالى فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقو للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله
واما باكل الحرام والشبهة فينظر من اين مطعمه وملبسه ومسكنه وما مكسبه ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب
منه والاحتراز عن الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضائعة مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس العبادات كلها فان الله تعالى
لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به فهكذا يتفكر في اعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فمهما حصل بالفكر حقيقة المعرفة
بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها واما النوع الثاني وهو الطاعات فينظر اولا في الفرائض المكتوبة عليه
انه كيف يؤديها وانه كيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق بها
مما يحبه الله تعالى فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في طاعة الله وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله
وانا قادر على ان اشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا افعله وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه
وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره بذلك عن معصيته فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع كلام ملهوف او استماع
علم وحكمة او استماع قراءة وذكر فما لي اعطله وقد انعم الله تعالى به علي واودعنيه لاشكره فما لي اكفر نعمة الله تعالى فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك
يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء وادخال
السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول انا قادر على ان اتقرب الى الله بان
اتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله مثله وان كنت محتاجا الآن فانا الى ثواب الايثار احوج مني الى ذلك المال
وهكذا يفتش عن اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله تعالى بها
فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه في البدار الى تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق
حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات واما النوع الثالث وهي الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه في ربع
المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه
الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس ابدا تعد بالخير من نفسها وتخلف فاذا
ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون انفسهم واذا ادعت الحلم تعرض
لغضب يناله من غيره ثم تجربها في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة ام لا ولذلك علامات
ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت العلامة على وجودها فكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين ان منشأها من الجهل والغفلة
وخبث الدخلة كما لو راى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما
هو من خلق الله وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي وهو الذي حرك اعضائي وقدرتي وارادتي بقدرته
وارادته فكيف اعجب بعملي او بنفسي ولا اقوم لنفسي بنفسي واذا احس من نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك
اكبر والكبير من هو خير عند الله وذلك ينكشف بعد الموت فكم من كافر في الحال يموت مقربا الى الله تعالى بنزوعه من الكفر وكم من مسلم يموت شقيا
بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة فاذا عرف ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالته بان يتعاطى افعال المتواضعين واذا وجد
في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في ان هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان من صفات الله تعالى وصفات الملائكة
كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهائم اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم
يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب واما النوع الرابع
وهو المنجيات فهي التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق

في الطاعة ومحبة الله تعالى وتعظيمه والرضى بأفعاله والشوق إليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا أسبابه
وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي تعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة إلى الله تعالى فإذا افتقر إلى شيء منها فليعلم أنها أحوال
لا يثمرها إلا علوم والعلوم لا يثمرها إلا أفكار فإذا أراد أن يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه أولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه
وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتهديد الذي ورد في الشرع فيها وليتحقق في نفسه أنه متعرض لمقت الله تعالى حتى ينبعث له حال الندم وإذا أراد
أن يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في إحسان الله إليه وأياديه عليه وفي إرساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع
ذلك وإذا أراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سنشير إلى طرف منه
في القسم الثاني من الفكر وإذا أراد حال الخوف فلينظر أولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته وفيما بعده من سؤال منكر
ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في
المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الأمر عنده أنه يصرف إلى الشمال فيكون من
أصحاب النار أو يصرف إلى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر بعد أهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها وأهوالها وسلاسلها
وأغلالها وزقومها وصديدها وأنواع العذاب فيها وقبح صورة الزبانية الموكلين بها وأنها كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وأنهم كلما
أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وأنهم إذا رأوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا إلى جميع ما ورد في القرآن من شرحها
وإذا أراد أن يستجلب حال الرجاء فلينظر إلى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وقصورها ولذاتها ونعيمها المقيم وملكها الدائم
فهكذا يكون طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الأحوال
كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر فأما ذكر مجامعه فلا يوجد فيه أنفع من قراءة القرآن بالتفكر فإنه جامع لجميع المقامات والأحوال وفيه شفاء للعالمين
ففيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الأحوال وفيه ما يزجر عن جميع الصفات المذمومة فينبغي أن يقرأه العبد
ويردد الآية التي هو محتاج إلى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم وليتوقف في التأمل فيها ولو ليلة
واحدة فإن تحت كل كلمة منها أسرارا لا تحصى ولا تحصر ولا يوقف عليها إلا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة أخبار
الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه قد أوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تأملها العالم حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح آحاد الأخبار والأحاديث
يطول فانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم إن روح القدس نفث في روعي أحبب ما أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك
مجزي به فإن هذه الكلمات جامعة حكم الأولين والآخرين وهي كافية للمتأملين طول العمر إذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين
لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم وبين التلفت إلى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله تعالى أو مكروهة
والمبتدي ينبغي أن يكون مستغرق الوقت في هذه الأفكار حتى يعمر قلبه بالأخلاق المحمودة والمقامات الشريفة وينزه ظاهره وباطنه عن المكاره وليعلم أن
هذا مع أنه أفضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق
القلب بحيث يفنى عن نفسه أي ينسى نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء المحبوب فإنه لا يتفرغ للنظر
في أحوال نفسه وأوصافها بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فأما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال
فإذا ضيع جميع عمره في إصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور فقال فيم أنت فقال أدور
في البوادي أصحح حالي في التوكل فقال أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى
نعيم الصديقين وأما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح وأما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات
فيجري مجرى تهيئة المرأة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فإن استغرقت جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين
الوجه كان ذلك حجابا عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي أن تفهم طريق الدين إن كنت من أهل المجالسة وإن كنت كالعبد السوء لا يتحرك إلا خوفا من الضرب و
طمعا في الأجر فدونك وإتعاب البدن بالأعمال الظاهرة فإن بينك وبين القلب حجابا كثيفا فإذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن
للمجالسة أقوام آخرون وإذا عرفت مجاري الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي أن تتخذ ذلك عادة لك وديدنك صباحا ومساء



فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة عن الله تعالى وأحوالك المقربة إليه بل كل مريد فينبغي أن يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات
المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات النظر في عشر
فإنه إن سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع و
حب المال وحب الجاه ويكفيه من المنجيات عشر الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال
الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والإخلاص في الأعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له فهذه عشرون خصلة
عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما كفي من المذمومات واحدة منها فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته
إياها وتنزيه قلبه منها ويعلم أن ذلك لم يتم إلا بتوفيق الله وعونه ولو وكله إلى نفسه لم يقدر على محو أقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسع
الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فإذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا فيخط
عليها ويشتغل بالباقي وهذا يحتاج إليه المريد المتشمر وأما أكثر الناس من المعدودين اليوم من الصالحين فينبغي أن يثبتوا في جرائدهم المعاصي
الظاهرة كأكل الشبهة وإطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والإفراط في معاداة الأعداء وموالاة الأولياء و
المداهنة مع الخلق في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه
ومهما لم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي أن يكون تفقدهم
لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فإنه لا يخلو في غالب الأمر عن إظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت
إما بالتدريس أو بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها إلا الصديقون فإنه إن كان كلامه حسن الوقع في القبول لم ينفك عن
الإعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وإن رد كلامه لم يخل عن الغيظ والغضب والحقد على من يرده وهو أكثر من غيظه
على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول إن غيظك من حيث إنه رد الحق وأنكره فإن وجد تفرقة بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على
غيره من العلماء فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد والإعراض لم يخل عن تكلف وتصنع
لتحسين اللفظ والإيراد حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول إنما حرصك على تحسين الألفاظ
والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلوب إعلاء لدين الله فإن كان فرحه بحسن ألفاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على
واحد من أقرانه فهو مخدوع وإنما يدندن حول طلب الجاه وهو يظن أن مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك
حتى يكون للموقر له والمعتقد لفضله أكثر احتراما ويكون بلقائه أشد استبشارا ممن يغلو في موالاة غيره وإن كان ذلك الغير مستحقا للموالاة
وربما ينتهي الأمر بأهل العلم إلى أن يتغايروا تغاير النساء فيشق على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره وإن كان يعلم أنه منتفع بغيره و
مستفيد منه في دينه وهذا كله رشح الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب التي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وإنما ينكشف ذلك بهذه
العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو إما مالك وإما هالك فلا مطمع له في سلامة العوام فمن أحس في نفسه بهذه الصفة فالواجب عليه الانفراد والعزلة
وطلب الخمول والمدافعة للفتوى مهما سئل فلقد كان المسجد في زمن الصحابة يحوي جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل
من كان يفتي يود أن يكفيه غيره وعند هذا ينبغي أن تتقي شياطين الإنس إذا قالوا لا تفعل هذا فإن هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق
وليقل لهم إن الإسلام مستغن عني فإنه كان معمورا قبلي وكذلك يكون معمورا بعدي ولو مت لم تنهدم أركان الإسلام فالدين مستغن عني وأما أنا
فلست مستغنيا عن إصلاح قلبي وأما أداء ذلك إلى اندراس العلم فخيال يدل على غاية جهلك فإن الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا
بالنار على طلب العلم لكان حب العلو والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بالعلم والتعلم إذ لا يندرس
ما دام الشيطان يحبب إلى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله إلى يوم القيامة بل ينتهض لنشر العلم أقوام لا نصيب لهم في الآخرة كما قال
صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغي أن يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل
بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فإن ذلك بذر النفاق قال صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبت النفاق في القلب كما ينبت
الماء البقل وقال عليه السلام ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال في دين المرء المسلم ولا ينقلع حب الجاه

من القلب الا بالاعتزال من الناس والهرب من مخالطتهم وتوكل بوبد جاهه في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات من
قلبه واستنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم المتقي واما امثالنا فينبغي ان يكون فكرنا فيما يقوي ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا
السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هولاء لا يومنون بيوم الحساب فما اعمالنا اعمال من يومن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن
رجا شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشهوات والشبهات والحرام وبترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير
نوافل الطاعات ونحن مقتصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا انه يقتدى بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو
كان هذا مذموما لكان العالم اولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا
نسال الله تعالى ان يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري افكار العلما والصالحين في
علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم
ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر منه شي قبل ذلك كان مدخولا مكدرا معلولا مقطوعا وكان
ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد اخرى فتنغص
عليه لذة المشاهدة ولا طريق له في الكمال التنعم الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات ومؤذيات ومشوشات
وفي القبر يزيد الم لدغها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة
عند ربه

**القسم الثاني** الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان المقام الاعلى الفكر في صفاته وذاته ومعاني
اسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا
الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله كحال بصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه
لا يطيقه البتة بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا لينظر في بقية نور الشمس اذا وقع على الارض واحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الى
الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولا يقدر على الادامة ويخشى على بصره لو دام النظر ونظرة المختطف اليها تورث العمش وتفرق البصر وكذلك
النظر في ذات الله يورث الحيرة والدهشة واضطراب العقل فالصواب اذا ان لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله وصفاته فان اكثر العقول
لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلما وهو ان الله مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا
خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا منفصل عنه قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال ما هو اقل
من هذا اذ قيل لهم انه تعالى عن ان يكون له راس ورجل ويد وعين وعضو وان يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم وانكروا هذا وظنوا انه
قدح في عظمة الله تعالى وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن المسكين ان الجلالة والعظمة في
هذه الاعضا وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه ولا يستعظم الا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته ان يقدر نفسه
جميل الصورة جالسا على سريره وبين يديه غلمان يمتثلون امره فلا جرم غايته ان يقدر ذلك في حق الله حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل
وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي انقص مني افيكون مقصوص الجناحين
او يكون زمنا لا يقدر على الطيران او يكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل
وان الانسان لظلوم جهول كفار ولذلك اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن اخبرهم عني بما يفهمون ولما كان
النظر في ذاته وصفاته محظورا من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان لا يتعرض لمجاري الفكر فيه ولكنا نعدل الى المقام الثاني وهو النظر
الى افعاله وعجائب صنعه وبدائع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته ونفاذ مشيئته وقدرته فينظر الى
صفاته من اثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما انا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس
بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب لان نور الارض من اثار نور الشمس والنظر في الاثر يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر
في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا اثر من اثار قدرة الله تعالى ونور من انوارها بل الظلمة اشد من العدم والنور اظهر من الوجود ووجود الاشيا
كلها نور من انوار ذاته تعالى اذ قوام وجود الاشيا بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكشف

بعض

بعض الشمس فقد جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى يرى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس
حتى يطاق النظر اليه فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا تبهرنا انوار الذات بعد ان تباعدنا عنه بواسطة الافعال فهذا
سر قوله عليه السلام تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته

**كيفية التفكر في خلق الله تعالى** اعلم ان كل ما خلق الله تعالى في الوجود
مما سوى الله فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله تعالى
وقدرته وجلاله وعظمته واحصا ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان ينفد عشر عشير ذلك ولكنا نشير الى جمل منه
ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف اصلها فلا يمكن التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها
كما قال سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وقال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما نعرف جملتها
واصلها ولا نعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر اما الذي لا ندركه بالبصر
فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك ومجال الفكر في هذه الاشيا مما يضيق ويغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام
وهي المدركات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها
في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين السما والارض وهو الجو
مدرك بغيومها وامطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه هي الاجناس المشاهدة من السموات
والارض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام ويتشعب كل قسم الى اصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك و
انقسامه في اختلاف صفاته وهيئاته ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والارض من جماد
ولا نبات ولا حيوان ولا فلك ولا كوكب الا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة او حكمتان او عشرة او الف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى
بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهي الايات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث على التفكر في هذه الايات كما قال ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب وكما قال ومن اياته ومن اياته من اول القرآن الى اخره فلنذكر كيفية
التفكر في بعض الايات فمن آياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب شي اليك نفسك وفي نفسك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى
ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وانت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك وقد امرك
الله بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفة قذرة فقال قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه
من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره وقال ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال تعالى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان
علقة فخلق فسوى وقال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين وقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة وقال انا خلقنا الانسان من
نطفة امشاج ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الاية فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر
في معناه فانظر الان الى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهوا فسدت وانتنت كيف اخرجها رب الارباب
من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى والقى الالفة والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف
استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق وجمعه في الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه ماء الحيض
وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضا مشرقة علقة حمرا ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزا النطفة وهي متشابهة متساوية
الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق الاعضا الظاهرة فدور الراس وشق
السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم روسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضا
الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرية والرحم والمثانة والامعا كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص وعمل مخصوص ثم كيف
قسم كل عضو من هذه الاعضا باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها
او زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار فلو ذهبنا نصف ما في آحاد هذه الاعضا من العجائب والايات لانقضى فيه الاعمار فانظر

الى العظام وهي اجسام صلبة كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة واشكال
مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه
للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة
بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض باوتار انبتها من احد طرفي العظم والصقه بالطرف الآخر كالرباط ثم خلق في احد طرفي العظم
زوائد خارجة منه وفي الآخر حفرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد ان اراد تحريك جزء من بدنه
لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الراس وكيف ركبها وجمعها وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة
الاشكال والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوى به كرة الراس كما تراه فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر للحي الاعلى واثنان
للحي الاسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل العنق
مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه
الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة اجزاء مختلفة
فيتصل به من اسفله عظم العصعص وهو ايضا مؤلف من ثلاثة اجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام
العانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين ولا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا
عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام الصغيرة التي حشي بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس
المقصود من ذكر عدد العظام ان يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطباء والمشرحون وانما الغرض ان ينظر منها في مدبرها وخالقها
انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان
يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها واهل البصائر ينظرون
فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله تعالى الآلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق
في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة الاشكال والمقادير بحسب
اختلاف مواضعها وحاجاتها فاربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين واجفانها فلو نقصت واحدة من جملتها اختل امر العين
وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها
اعجب من هذا كله وشرحه يطول فللتفكر مجال في آحاد هذه الاجزاء ثم في آحاد الاعضاء ثم في جملة البدن فكل ذلك نظر الى عجائب اجسام البدن
وعجائب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم فانظر الآن الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته فترى فيه من العجائب والصنعة ما يقضي به العجب
وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قذرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السموات والارض وكواكبها وما حكمته في اوضاعها واشكالها
ومقاديرها واعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات
تنفك عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا واجمع للعجائب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض الى عجائب السموات ولذلك قال تعالى
اانتم اشد خلقا ام السماء بناها فارجع الآن الى النطفة وتأمل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وتأمل لو اجتمع الجن والانس على ان يخلقوا للنطفة
سمعا او بصرا او قدرة او عقلا او علما او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو ارادوا ان
يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد ان خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصور على حائط تأنق النقاش في تصويرها
حتى قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليها كأنه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك محله
مع انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم وبالحائط وباليد وبالقدرة وبالعلم وبالارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا من خلقه بل
هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وانت ترى النطفة القذرة كانت معدومة
فخلقها خالقها في الاصلاب والترائب ثم اخرجها منها وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وتصويرها وقسم اجزاءها المتشابهة
الى اجزاء مختلفة فاحكم العظام في ارجائها وحسن اشكال اعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها واعصابها وجعلها مجرى لغذائها

ليكون ذلك سبب بقائها وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والراس جامعا
لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها ولونها وهيئاتها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها
ثم اظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها فهو ينظر اليها ثم شق اذنيه واودعهما ماء مرا ليحفظ
سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن لتجمع الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تحريفات و
اعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتنبه من النوم صاحبها اذا قصدها دابة في حال النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه
واحسن شكله وفتح منخريه واودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه واغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح
الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم واودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان ولتكون آلة
للطحن والكسر والقطع فاحكم اصولها وحدد رؤوسها وبيض الوانها ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم
وخلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بهما حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهيأها لخروج الصوت
وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطيع الاصوات في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر
مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا
يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الراس بالشعور والاصداغ
وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر
كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد لاحالة الغذاء الى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال يخدمها بجذب
السوداء عنها والمرارة تخدمها بجذب الصفراء عنها والكلية تخدمها بجذب المائية عنها والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الاحليل
والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى سائر اطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم
كل اصبع بثلاث انامل ووضع الاربع في جانب والابهام في جانب لتدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون والآخرون على ان يستنبطوا
بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الاربع وتفاوت الاربع في الطول وترتيبها في صف واحد
لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والاعطاء فان بسطها كان له طبقا يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت له آلة للضرب
وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم اصابعها كانت مجرفة ثم خلق الاظفار على رؤوسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها
حتى لا تنقطع وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو اخس الاعضاء لو عدمه
الانسان وظهرت به حكة لكان اعجز الخلق واضعفهم ولم يقم احد مقامه في حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم
والغفلة من غير حاجة الى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل
الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف الغشاء والغطاء وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا شيئا ولا يرى المصور
ولا آلته فهل رأيت مصورا او فاعلا لا يمس آلته ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما اعظم شانه واظهر برهانه ثم انظر مع
كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كأنه
عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر
له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم لبنا سائغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت لهما حلمتين على قدر ما
ينطبق عليه فم الصبي ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج منه اللبن الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه الا القليل ثم
كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر الى عطفه ورأفته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين
لانه في الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن
فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك العظام الصلبة من تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه
للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف

ورد الله القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل وصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما كفورا او شكورا مطيعا او
عاصيا مؤمنا او كافرا تصديقا لقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه الاية
فانظر الى اللطف والكرم ثم الى الحكمة والقدرة تبهرك عجائب الحضرة الربانية فالعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا او نقشا حسنا على حائط
فيستحسنه فيصرف جميع همه الى التفكر في النقاش والخطاط وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول ما احذقه
وما اكمل صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته وهذه نبذة من
عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها فهو اقرب مجال الفكر واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك لا
تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل والبهائم كلها تشاركك في معرفة ذلك وانما خاصية الانسان
التي حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس اذ بها يدخل العبد في زمرة الملائكة
المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليس هذه المنزلة للبهائم ولا لانسان رضي من الدنيا بشهوات البهائم
فانه شر من البهيمة بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك واما هو فقد خلق له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فاولئك كالانعام بل هم اضل فـ
اذا عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الارض التي هي مقرك ثم في انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السموات
والارض فمن آياته ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قارة
لا تتحرك وارسى فيها الجبال اوتادا لها تمنعها من ان تميد ثم وسع اكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت اعمارهم وكثر
طوافهم فقال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال هو الذي جعل لكم الارض قرارا وقد اكثر في
كتابه من ذكر الارض لنتفكر في عجائبها وظهرها مقر الاحياء وبطنها مقر الاموات ولذلك قال تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فانظر
الى الارض وهي ميتة فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وانبتت عجائب النبات وخرجت منها اصناف الحيوانات ثم انظر
كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف اودع المياه تحتها ففجر العيون واسال الانهار تجري على وجهها و
اخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شيء حي فاخرج به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب و
قضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات والروائح يفضل بعضها على بعض في الاكل
تسقى بماء واحد وتخرج من ارض واحدة فان قلت ان اختلافها لاختلاف بذورها واصولها فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب
ومتى كان في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر الى ارض البوادي وفتش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابها فاذا انزل
عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج الوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف
الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعه وكيف اودع الله تعالى العقاقير المنافع
الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوت وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل في المعدة قمع الصفراء من اعماق
العروق وهذا يستحيل الى الصفراء وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل اليهما وهذا يصفي الدم وهذا يستحيل دما وهذا يفرح وهذا يحزن
وهذا يقوي وهذا يضعف فلم ينبت من الارض ورقة ولا نبتة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على كنهها وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح في
تربيته الى عمل مخصوص فالنخيل يؤبر والكرم يقطع والزرع ينقى عن الحشيش والدغل وبعض ذلك يستنبت ببث البذر في الارض وبعضه بغرس
الاغصان وبعضه يركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف اجناس النبات وانواعه ومنافعه واحواله وعجائبه لانقضت الايام في وصف
ذلك فيكفيك من كل جنس نبذ يسيرة يدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة
من الارض ففي الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها
بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل وكيف هدى الله الناس الى استخراجها
وتنقيتها واتخاذ الاواني والالات والنقود والحلي منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقير وغيرها واقلها الملح ولا
يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجوهرها بحيث

يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيصير ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا اكلته فيتهنا عيشك وما
من جماد ولا حيوان ولا نبات الا وفيه حكمة او حكم من هذا الجنس ما خلق منها شيء عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغي وعلى الوجه
الذي ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ومن آياته
اصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى عشر وعلى مائة
كما تشاهده في بعض الحيوانات من الحشرات ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو والى
وحوش البر والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معها في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان نستقصي
ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجائب البقة او النملة او النحلة او العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي الفها
لزوجها وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجتها لم نقدر على ذلك فترى العنكبوت يبني بيته على
طرف نهر فيطلب اولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه ان يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدي ويلقي اللعاب الذي
هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يعدو الى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا
تناسبا هندسيا حتى اذا احكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه الى بعض و
يحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية
مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد بادر الى اخذه واكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين
طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقي منتكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا طار ذباب رمى بنفسه اليه فاخذه ولف خيطه
على رجليه واحكمه ثم اكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من العجائب ما لا يحصى افترى انه تعلم هذه الصنعة من نفسه او تكون بنفسه او
كونه آدمي او علمه او لا هادي له ولا معلم افيشك ذو بصيرة في انه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة قوته عاجز عن امر نفسه
فكيف هذا الحيوان الضعيف فهو لا يشهد بنفسه وشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم
والبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات
وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير محصورة وانما سقط تعجب القلوب عنها لانسها بكثرة المشاهدة
نعم اذا رأى حيوانا غريبا ولو دودا تجدد تعجبه وقال سبحان الله ما اعجبه والانسان اعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى
الانعام التي الفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوائدها من جلودها واصوافها واوبارها واشعارها التي جعلها لباسا
لخلقه واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم وآنية لاشربتهم واوعية لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل البانها ولحومها اغذية لهم ثم جعل
بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للاثقال قاطعة للبراري والمفازات البعيدة لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا
بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة في علمه من غير تفكر وتامل وتدبر ومن غير استعانة بوزير ومشير
فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بالقليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره
وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا
الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسأل الله تعالى ان يكرمنا بهدايته بمنه ورأفته ومن آياته البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض التي هي
قطع متجاورات من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البوادي والجبال عن الماء بالاضافة الى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية
الارض مستورة بالماء قال النبي عليه السلام الارض في البحر كالاصطبل في الارض فانسب اصطبلا الى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر
مثله وقد شاهدت عجائب الارض وما فيها فانظر الآن في عجائب البحر فان عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر اضعاف عجائب ما تشاهده على
وجه الارض كما ان سعته اضعاف سعة الارض ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها في البحر فتظن انها جزيرة فينزل الركاب
عليها فربما تحس بالنيران اذا اشتعلت فتحركت فيعلم انه حيوان وما من صنف من اصناف حيوان البر من فرس او طير او بقر او انسان الا وفي البحر
امثاله واضعافه وفيه اجناس لا يعهد لها نظير وقد ذكرت اوصافها في مجلدات وجمعها اقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجائبه ثم انظر كيف

خلق اللؤلؤ ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف انبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجرة تنبت من الحجر ثم تامل

ما عداه من العنبر واصناف النفائس التي يقذفها البحر ويستخرج منه ثم انظر الى عجائب السفن كيف امسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها

التجار وطلاب الاموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا تستقصى

على الجملة صنائع الله تعالى في البحر في مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو اظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف

متصل الاجزاء كانه شي واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الارض

من حيوان ونبات فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك ثم اذا شربها لو منع من اخراجها لبذل جميع

خزائن الارض وملك الدنيا فالعجب من الادمي كيف يعظم الدينار والدرهم ونفائس الاموال ويغفل عن نعم الله تعالى في شربة ماء اذا احتاج الى شربها

او الاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فيها فتامل في عجائب المياه والانهار والابار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة

وايات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال باريها معربة عن كمال حكمته فيها منادية ارباب القلوب بنغماتها قائلة لكل ذي لب اما تراني

وما ترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدها اتظن اني تكونت بنفسي او خلقني احد من جنسي او ما تستحي ان تنظر

في كلمة مرقومة من ثلاثة احرف فتقطع بانه صنعه ادمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجائب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي

الذي لا تدرك الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطفة لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع

لمعزولون توهمني في ظلمة الاحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي واجفاني

وجبهتي وخدي وشفتي فترى التقويش يظهر شيئا فشيئا على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم وخارجه ولا

خبر فيهما للام ولا للاب ولا للنطفة ولا للرحم افما هذا النقاش باعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها مرة او مرتين لتعلمت

منه فهل تقدر على ان تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها

لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تعجب من هذه العجائب ولا تفهم ان الذي صور ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ومصور كما ان نقشه

وصنعه لا يساويه نقش ولا صنع فبين الفاعلين من التباين فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب فتعجب من عدم تعجبك فانه اعجب من كل

عجب فان الذي اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك التبين مع هذا البيان جدير بان تتعجب منه فسبحان من هدى واضل واغوى وارشد واشقى

واسعد وفتح بصائر احبائه فشاهدوه في جميع ذرات العالم واجزائه واعمى قلوب اعدائه واحتجب عنهم بعزه وعلائه فله الخلق والامر والامتنان

والفضل واللطف والقهر ولا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ومن اياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الارض

يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا ترى العين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في جو السماء ومستقيمة سابحة فيه باجنحتها

كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب امواج البحر فاذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة

فان شاء جعله بشرا بين يدي رحمته كما قال وجعلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهواء الى الحيوانات والنبات فتستعد للنماء وان شاء جعله

عذابا على العصاة من خليقته كما قال تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ثم انظر الى لطف الهواء

ثم شدته وقوته مهما ضغط في الماء فالزق المنتفخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب

فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة امسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء لان

الهواء ينقبض عن الغوص في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة في الهواء اللطيف كالذي

يقع في بئر فيتعلق بذيل رجل قوي يمتنع عن الهوي في البئر فالسفينة بمقعرها تتشبث باذيال الهواء القوي حتى تمتنع من الهوي والغوص في الماء

فسبحان من علق المركب الثقيل في الهواء اللطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر الى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود و

البروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهي عجائب ما بين السماء والارض وقد اشار القران الى جملة ذلك في قوله تعالى وما خلقنا السموات

والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذي بينهما واشار الى تفصيله في مواضع شتى حيث قال والسحاب المسخر بين السماء والارض وحيث تعرض للرعد و

البرق والسحاب والشهب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينيك وتسمع الرعد باذنك فالبهيمة تشاركك في هذه المعرفة

فارتفع من حضيض عالم البهائم الى عالم الملا الاعلى فقد فتحت عينيك فادركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة

لترى عجائب باطنها وغرائب اسرارها وهذا ايضا باب يطول الفكر فيه ولا مطمع في استقصائه فتامل السحاب الكثيف المظلم كيف

تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له في جو السماء الى ان ياذن

الله في ارسال الماء وتقطير القطرات كل قطرة بالقدر الذي اراده الله تعالى وعلى الشكل الذي شاءه فترى السحاب يرش الماء على الارض

ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة باخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه

لا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون والاخرون على ان يخلقوا منها قطرة او يعرفوا عدد

ما ينزل منها في بلدة واحدة او قرية واحدة لعجزوا عن ذلك فلا يعلم عددها الا الذي اوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض

ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة بخط الهي لا يدرك بالبصر الظاهر انه رزق الدودة الفلانية

التي هي في ناحية الجبل الفلاني يصل اليها عند عطشها في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن

المندوف من العجائب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لاحد من الخلق فيها شرك ولا مدخل بل ليس للمؤمنين

من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا للعميان الجاهلين الا الجهل بكيفيته ورجم الظن بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور انما

ينزل الماء لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله ويظن ان هذه معرفة انكشفت له ويفرح به ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي خلقه ومن الذي

خلق الماء الذي طبعه الثقل وما الذي رقى الماء المصبوب في اسافل الاشجار الى اعالي الاغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى الى اسفل ثم ارتفع

الى فوق في داخل تجاويف الاشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع اطراف الاوراق فيغذي كل جزء من كل

ورقة ويجري اليها في تجاويف عروق شعرية صغار ترى منه العرق الذي هو اصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورقة

عروق صغار فكان الكبير نهر وما انشعبت عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواقي اصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية تخرج عن ادراك

البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورقة فيصل الماء في اجوافها الى سائر اجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويزينها ويبقي طراوتها ونضارتها و

كذلك الى سائر اجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه الى اسفل فكيف تحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب جاذب فالذي سخر ذلك الجاذب

فان كان ينتهي بالاخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه من اول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل ومن

ايات الله ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن ادرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالارض و

البحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة في بحر واصغر ثم انظر كيف عظم الله تعالى امر السموات والنجوم في كتابه

فما من سورة الا وتشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم في القران بها كقوله تعالى والسماء ذات البروج والسماء والطارق والسماء ذات الحبك

والسماء وما بناها وكقوله والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها وكقوله والنجم اذا هوى وقوله فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد

علمت ان عجائب النطفة القذرة عجز عنها الاولون والاخرون وما اقسم الله بها فما ظنك بما اقسم الله تعالى به واحال الارزاق عليه واضافها

اليه فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون واثنى على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال عليه السلام ويل لمن قرا هذه الاية

ثم مسح بها سبلته اي تجاوزها من غير تفكر وذم المعرضين عنها فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون واي نسبة لجميع البحار

والارض الى السماء وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير الى ان يبلغ الكتاب اجله ولذلك سماه الله محفوظا فقال

وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال انتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها

والارض بعد ذلك دحاها فانظر الى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظن ان معنى النظر الى الملكوت ان تمد البصر اليه فترى

زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان البهائم تشاركك في هذا النظر وان كان هذا هو المراد فلم مدح الله ابراهيم بقوله وكذلك نري

ابراهيم ملكوت السموات والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقران يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فالقران يعبر عنه

بالغيب والملكوت والله عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط احد بشيء من علمه الا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا

الا من ارتضى من رسول فاجل لربك ايها العاقل فكرك في الملكوت فعسى ان يفتح لك ابواب السماء فتجول بقلبك في اقطارها واقطارها الى ان يقوم قلبك بين يدي

عرش الرحمن فبعد ذلك ربما يرجى لك ان تبلغ رتبة عمر بن الخطاب حيث قال رأى قلبي ربي وهذا لان بلوغ الاقصى انما يكون بعد مجاوزة الادنى
الادنى وادنى شيء اليك نفسك ثم الارض التي هي مقرك ثم الهواء المكتنف بك ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض ثم عجائب الجو وما بين السماء
والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش ثم منه تجاوز الى النظر الى رب العرش والكرسي و
السموات والارض وما بينهما وبينك وبينه هذه المفاوز الفيح والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وانت بعد لم تفرغ من العقبة
القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا اتفكر و
الى ماذا اتطلع فارفع الان راسك الى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها
ومغاربها ودؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعها في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد
ولا ينقص الى ان يطويها الله تعالى طي السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف الوانها فبعضها يميل الى الحمرة وبعضها الى البياض
وبعضها الى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية اشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الاسد والحمل والثور والانسان وما
من صورة في الارض الا ولها مثال في السماء ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير اخر سخرها له خالقها
ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت واطبق الظلام على الدوام او الضياء على الدوام وكان لا يتميز وقت
المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الى ايلاجه الليل في النهار والايلاج
النهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب خاص وانظر الى امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف
والشتاء والربيع والخريف فاذا انخفضت الشمس عن وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ
واذا كان فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات لا مطمع في احصاء عشر عشير جزء من اجزائها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على
الجملة انه ما من كوكب من الكواكب الا ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده
وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس ذلك بما ذكرناه من اعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وامر السماء اعظم بل لا نسبة
لعالم الارض الى عالم السماء لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الارض وانت
تعرف كبر الارض واتساع اطرافها انه لا يقدر آدمي على ان يدركها ويدور في جوانبها وقد اتفق الناظرون على ان الشمس مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة
وفي الاخبار ما يدل على عظمها والكواكب التي تراها اصغرها مثل الارض ثماني مرات واكبرها قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض
وبهذا تعرف بعدها وارتفاعها اذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك اشار الله تعالى الى بعدها فقال تعالى رفع سمكها فسواها وفي الاخبار
ان بين كل سماء الى اخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان هذا مقدار كوكب واحد من الارض فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السماء التي الكواكب
مركوزة فيها والى عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وانت لا تحس بحركتها فضلا عن ان تدرك سرعتها لكن لا تشك في انها في لحظة تسير مقدار عرض
كوكب لان الزمان من طلوع اول جزء من كوكب الى تمامه يسير وذلك الكوكب مثل الارض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الارض
مائة مرة وزيادة وهكذا يدور على الدوام وانت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته اذ قال له النبي عليه السلام هل زالت
الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حين قلت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها ثم الى
خفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع اكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينك
نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الى بارئها كيف خلقها ثم امسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة فو
من فوقها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك انك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه
ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وانت ابدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى ارضه والى سقفه والى هوائه والى عجائب امتعته وغرائب حيواناته
وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون البيت الذي تصفه بل ذلك البيت ايضا جزء من الارض التي هي اخس
اجزاء البيت ومع هذا فلا تنظر اليه وليس له سبب الا انه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وانت قد نسيت نفسك وربك واشتغلت ببطنك
وفرجك ليس لك هم الا شهوتك او حشمتك وغاية شهوتك ان تملأ بطنك ولا تقدر ان تأكل عشر ما تأكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات

وغاية حشمتك ان يقبل عليك عشرة او مائة من معارفك فينافقون بالسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وان صدقوك
في محبتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقد يكون في بلدك من اغنياء اليهود والنصارى من
يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور عنك وغفلت عن النظر الى ملكوت السموات والارض ثم عن التنعم بالنظر الى جلال مالك
الملك والملكوت وما مثلك ومثل عقلك الا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان
مزين بالجواري والغلمان وانواع الذخائر والنفائس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها
وغذائها وكيفية ادخارها فاما حال القصر والملك الذي هو في القصر فهي بمعزل عنه وعن التفكر فيه بل لا قدرة لها على مجاوزة النظر
عن نفسها وغذائها وبيتها الى غيره وكما غفلت النملة عن القصر وعن ارضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت ايضا عن سكانه فانت
ايضا غافل عن بيت الله وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته ولا تعرف من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات
الا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليست للنملة طريق الى ان تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه واما انت فلك
قدرة على ان تجول في الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق عنه غافلون ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا آخر له ولو استقصيناه
اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله به علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر بالاضافة الى ما عرفه العلماء والانبياء وجملة ما عرفه الانبياء قليل
بالاضافة الى ما عرفه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما عرفه نبينا قليل بالاضافة الى ما عرفه الملائكة المقربون كاسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم
الملائكة والجن والانس اذا اضيف الى علم الله تعالى لم يستحق ان يسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا اقرب فسبحان
من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان معاقد الجمل التي يجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله تعالى
وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب
صنع الله كانت معرفتك بجلاله وعظمته اتم وهذا كما انك تعظم عالما بسبب علمه فلا تزال تطلع على غريبة من تصنيفه او شعره فتزداد به معرفة
وتزداد بحسبه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من ابيات شعره يزيده محلا في قلبك ويستدعي التعظيم له
في نفسك فهكذا تأمل في خلق الله وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا تتناهى ابدا وانما لكل عبد
منها بقدر ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف اليه ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله من حيث هو احسان
الينا وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله فقط وكل ما نظرنا فيه فان الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلالته وشقاوته
والموفق فيكون نظره سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السموات والارض الا والله سبحانه يهدي بها من يشاء ويضل بها من يشاء فمن نظر في
هذه الامور من حيث انها فعل الله وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث
تأثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقي وتردى فنعوذ بالله من الضلالة ونسأله ان يجنبنا مزلة اقدام الجهال انه
ذو الفضل والافضال تم كتاب التفكر بحمد الله وحسن توفيقه والصلاة على نبيه محمد وآله واصحابه واولاده واحفاده وعترته الطاهرين

## كتاب ذكر الموت وما بعده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى
جاءهم الوعد الحق فارداهم في الحافرة فنقلوا من القصور الى القبور ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان الى مقاساة
الهوام والديدان ومن التنعم بالطعام والشراب الى التمرغ في التراب ومن انس العشرة الى وحشة الوحدة ومن المضجع الوطيء الى المصرع الوبيل فانظر
هل وجدوا من الموت حصنا وعزا وهل اتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسبحان من تفرد بالقهر والاستيلاء
واستأثر باستحقاق البقاء واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للاتقياء وموعدا في حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للاشقياء
وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات والارض وله الحمد
في الاولى والآخرة والصلاة على محمد ذي المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة وعلى آله واصحابه وسلم تسليما كثيرا اما بعد فجدير بمن
الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيامة موعده والجنة او النار مورده

أن لا يكون له فكر إلا في الموت ولا ذكر إلا له ولا استعداد إلا لأجله ولا تدبير إلا فيه ولا تطلع إلا إليه ولا تعريج إلا عليه ولا اهتمام إلا به ولا حوم إلا حوله ولا انتظار وتربص إلا له وحقيق بأن يعد نفسه من الموتى ويراها في أصحاب القبور وأن كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره على القلب إلا عند التذكر بالإصغاء إلى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب الرحيل فما بقي من العمر إلا القليل والخلق عنه غافلون اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين الشطر الأول في مقدماته وتوابعه إلى نفخة الصور وفيه ثمانية أبواب

الباب الأول في ذكر الموت والترغيب فيه
الباب الثاني في ذكر طول الأمل وقصره
الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عند الموت
الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده
الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين
الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور
الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور
الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام

## الباب الأول في ذكر الموت والترغيب في الإكثار من ذكره

اعلم أن المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره وإذا ذكر به كرهه ونفر منه وأولئك هم الذين قال الله فيهم قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون والناس إما منهمك وإما تائب مبتدئ أو عارف منته أما المنهمك فلا يذكر الموت وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله إلا بعدا وأما التائب فإنه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله من كره لقاء الله كره الله لقاءه فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا وأما العارف فإنه يذكر الموت دائما لأنه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في الغالب يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة والموت أحب إلي من الحياة فسهل علي الموت حتى ألقاك فإذا التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه وأعلى رتبة منهما من فوض أمره إلى الله فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فإن المنهمك في الدنيا أيضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن دار الغرور إذ ينغص عليه نعيمه ويتكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة

### بيان فضيلة ذكر الموت كيف ما كان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات معناه أي نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا وقالت عائشة يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وإنما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويقتضي الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت إطلاق له من هذا العذاب والإطلاق تحفة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم وأراد بهذا المسلم حقا والمؤمن صدقا الذي سلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتناب الكبائر وإقامة الفرائض وقال عطاء الخراساني مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال عليه السلام كفى بالموت مفرقا وكفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الثناء عليه فقال النبي كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت فقال فإن صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس وأكرم



الناس يا رسول الله فقال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة وأما الآثار فقد قال الحسن فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع بن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي أحدا وسلوني إلى ربي سلا وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين إذا ذكر الموت عنده مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وقال إبراهيم التيمي شيئان قطعا عني لذات الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله تعالى وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين وقال الأشعث كنا ندخل على الحسن فإنما هو ذكر النار وذكر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية إن امرأة شكت إلى عائشة قساوة قلبها فقالت أكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما وكان داود إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط إلا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال أنت أول خليفة تموت فقال زدني فقال ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد حفر لنفسه قبرا في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال أبو سليمان الداراني قلت لأم هارون أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا كرهت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته

### بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وأوقع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم وخلت منهم مجالسهم ومساجدهم وانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء إما بالجنة وإما بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وأن غفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال أبو الدرداء إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم وقال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غاديا أو رائحا إلى الله تضعونه في صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا فينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد من مفارقته نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها فبكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا وبكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته

## الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته

### فضيلة قصر الأمل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا وروي عن علي كرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه

قال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه يحبب الدنيا
ثم قال الا ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويبغض واذا احب عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا
تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الاخرة قد اتت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم توشكون في يوم
حساب ليس فيه عمل وقالت ام المنذر اطلع رسول الله ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون قالوا ما ذاك يا رسول الله قال تجمعون
ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال ابو سعيد الخدري اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى
شهر فسمعت رسول الله يقول الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان
شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت
ثم قال يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده ان ما توعدون لات وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس ان رسول الله كان
يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وروي انه صلى الله عليه اخذ ثلاثة اعواد فغرز عودا
بين يديه والاخر الى جنبه واما الثالث فابعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه
الانسان ويختلجه الاجل دون الامل وقال صلى الله عليه مثل ابن ادم والى جنبه تسع وتسعون منية ان اخطاته المنايا وقع في الهرم وقال ابن
مسعود هذا المرء وهذه الحتوف شوارع اليه والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم فهو يؤمل وهذه الحتوف شوارع اليه فايتها امر به اخذته
فان اخطاته الحتوف قتله الهرم وهو ينتظر الى الامل وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا
الى جنب الخط وخط خطا خارجا فقال اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال الانسان هذا الخط الذي في الوسط وهذا الاجل
محيط به وهذه الاعراض الخطوط التي حوله ان اخطاه هذا نهشه هذا وذاك الامل يعني الخط الخارج وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه
يهرم ابن ادم ويبقى منه اثنان الحرص والامل وفي رواية وتشب منه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال عليه السلام نجا اول هذه الامة
باليقين والزهد ويهلك اخر هذه الامة بالبخل والامل وقيل بينما عيسى صلوات الله عليه جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير الارض بها فقال عيسى
اللهم انزع عنه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد اليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال
بينما انا اعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وانت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت الى
مسحاتي وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه اكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم قال قصروا من الامل وثبتوا اجالكم بين ابصاركم واستحيوا
من الله حق الحياء وكان صلى الله عليه يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الاخرة واعوذ بك من حياة تمنع خير الممات واعوذ بك
من امل يمنع خير العمل الاثار قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلي لخشيت على ذهاب عقلي ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة
عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق وقال الحسن السهو والامل نعمتان عظيمتان على ابن ادم ولولاهما ما مشى
المسلمون في الطرق وقال الثوري بلغني ان الانسان خلق احمق ولولا ذلك لم يهنأه العيش وقال ابو سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة
عقول اهلها وقال سلمان الفارسي ثلاث اعجبتني حتى اضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يغفل عنه وضاحك ملء فيه ولم يدر اساخط
رب العالمين عليه ام راض عنه وثلاث احزنتني حتى ابكتني فراق محمد صلى الله عليه وحزبه والاحبة وهول المطلع والوقوف بين يدي الله لا ادري
الى الجنة يؤمر بي او الى النار وقال بعضهم رايت زرارة بن اوفى بعد موته في المنام فقلت اي الاعمال ابلغ عندكم قال التوكل وقصر الامل وقال
الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس العباء وسال المفضل بن فضالة ربه ان يرفع عنه الامل فذهبت عنه شهوة الطعام و
الشراب ثم دعا ربه فرد عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب وقيل للحسن يا ابا سعيد الا تغسل قميصك فقال الامر اعجل من ذلك وقال الحسن الموت
معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم انا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه وقال داود الطائي لو املت
ان اعيش شهرا لرايتني قد اتيت عظيما وكيف اومل ذلك وارى الفجائع تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار وحكي ان شقيقا البلخي دخل على استاذ له
يقال له ابو هاشم الرماني وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك فقال لوزات دفعها الي اخ لي وقال احب ان تفطر عليها فقال
يا شقيق وانت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك ابدا قال فاغلق في وجهي الباب ودخل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان لكل سفر

زادا

زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الاخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله تعالى من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا
يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط امل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه وربما
كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رايت ورايتم من كان بالدنيا مغترا وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وانما يفرح من امن اهوال
يوم القيامة فاما من لا يداوي كلما الا اصابه جارح من ناحية اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله ان امركم بما انهى عنه نفسي فتخسر صفقتي و
تظهر عيبتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغني والفقير والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به
الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت اما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احداهما وكتب رجل الى
اخ له اما بعد فان الدنيا حلم والاخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في اضغاث احلام والسلام وكتب اخر الى اخ له ان
الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب وللبلى في جسمه دبيب فبادر قبل ان تنادى بالرحيل والسلام
وقال الحسن كان ادم قبل ان يخطئ امله خلف ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب الخطيئة حول فجعل امله بين عينيه واجله خلف ظهره وقال عبد الله
بن سميط سمعت ابي يقول ايها المغتر بطول صحته اما رايت ميتا قط من غير سقم ايها المغتر بطول المهلة اما رايت ماخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت
في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك ابالصحة تغترون ام بطول العافية تمرحون ام الموت تامنون ام على ملك الموت تجترئون ان ملك الموت اذا جاءكم
لا يمنعه منكم ثروة مالكم ولا كثرة احتشادكم اما علمت ان ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم يقول رحم الله عبدا عمل
لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت وقال ابو زكريا التيمي بينا سليمن بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي بحجر منقور فطلب
من يقراه فاتي بوهب بن منبه فاذا فيه ابن ادم انك لو رايت قرب ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت
من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وفارقك الولد والقريب ورفضك الوالد والنسيب فلا
انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا وقال بعضهم رايت كتابا من محمد بن
يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني احذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك
وجزاء اعمالك فتصير في قرار باطن الارض بعد ظاهرها فياتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فان يكن الله معك فلا باس ولا وحشة
ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق
وخلاء الارض من اهلها والسماء من سكانها فباحت الاسرار واسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل
الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات
وسلى عن الشهوات وقصر عن الامل وايقظ النائمين وحذر الغافلين اعاننا الله واياك على هذا الخطر العظيم واوقع الدنيا والاخرة من قلبي
وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلام وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا
سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه للفصل والحكم بينكم فخاب وشقي عبد اخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها
السموات والارض وانما يكون الامان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة الا ترون انكم في اسلاب الهالكين
وسيخلف بعدكم الباقون الا ترون انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله تعالى قد قضى نحبه وانقطع عمله فتضعونه في بطن صدع من الارض
غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب وايم الله اني لاقول مقالتي هذه ولا اعلم عند احد منكم من الذنوب
اكثر مما اعلم من نفسي ولكنها سنن من الله عادلة امر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع كمه على وجهه فجعل يبكي حتى بلت دموعه لحيته و
ما عاد الى مجلسه حتى مات وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو اتاني ما احببت تاخير شيء عن شيء وقال الثوري رايت شيخا
في مسجد الكوفة يقول انا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظر الموت ان ينزل بي ولو اتاني ما امرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على احد شيء ولا لاحد عندي
شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابو محمد بن علي الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي
فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف عمله وكل ما هو
ات قريب واعلم يا اخي ان كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم واعلم ان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور انما يندمون على ما يخلفون ويفرحون

بما يقدمون فما يندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه ينافسون وعليه عند القضاة يختصمون ويروى أن معروف الكرخي
أقام الصلوة قال محمد بن أبي توبة فقال لي تقدم فقلت إني إن صليت بكم هذه الصلوة لم أصل بكم غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك أن
تصلي صلوة أخرى نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته إن الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفنا
وكتب على أهلها الظعن منها فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم
من النقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينما ابن آدم في الدنيا ينافس وهو بها قرير العين إذ دعاه الله تعالى
بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر إنها تسر قليلا وتحزن طويلا
وعن أبي بكر الصديق أنه كان يقول في خطبته أين الوضاة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان ن
أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا السبب
في طول الأمل وعلاجه اعلم أن طول الأمل له سببان أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنس بها وبشهواتها و
لذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والإنسان مشغوف
بالأماني الباطلة فيمني نفسه أبدا بما يوافق مراده وإنما يوافق مراده البقا في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقا وما يحتاج إليه من
أهل ومال وولد ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قربه فإن
خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الأيام بين يديك فإلى أن تكبر ثم تتوب فإذا كبر فيقول
إلى أن تصير شيخا فإذا صار شيخا قال إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذا السفر أو تفرغ من قهر هذا العدو
الذي يشمت بك أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل
عشرة أشغال أخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضي به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فتطول
عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري أن الذي يدعوه إلى التسويف
اليوم هو معه غدا وإنما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن أنه يتصور أن يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ وهيهات فما فرغ
منها إلا من اطرحها شعر فما قضى أحد منها لبانته وما انتهى أرب إلا إلى أرب فأصل هذه الأماني كلها حب الدنيا والأنس بها و
الغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم أحبب ما أحببت فإنك مفارقه وأما الجهل فهو أن الإنسان يعول على شبابه فيستبعد قرب
الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين أن مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد وإنما قلوا لأن الموت في الشبان أكثر فإلى
أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة ولا يدري أن ذلك غير بعيد وإن كان ذلك بعيدا
فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض فهو يقع فجأة وإذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب ب
وشيب وكهولة ومن صيف وشتا وخريف وربيع وليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا
دعواه إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو أبدا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو يظن أبدا أنه
يشيع الجنائز ولا يقدر أن تشيع جنازته لأن هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره وأما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصور أن يألفه
فإنه لم يقع وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه فهو الأول وهو الآخر وسبيله أن يقيس نفسه بغيره ويعلم أنه لا بد أن تحمل جنازته ويدفن في قبره و
لعل اللبن الذي يغطي به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض وإذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه
أما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة وأما حب الدنيا فالعلاج في إخراجه من القلب
شديد وهو الداء العضال الذي أعيا الأولين والآخرين علاجه ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما
حصل اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فإن حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف
أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطي ملك الأرض من المشرق إلى المغرب وكيف وليس له من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها
أو يترسخ في القلب حبها مع الإيمان بالآخرة فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقدير الموت في القلب

مثل

مثل النظر إلى من مات من الأقران والأشكال وأنهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا أما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما و
أما من كان مغرورا بطول الأمل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الإنسان في كل ساعة في أطرافه وأعضائه وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان ن
لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر في أن الدود يبتدئ بحدقته اليمنى أو اليسرى فما على بدنه شيء إلا وهو طعمة للدود وما له من نفسه إلا العلم
والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرع النداء
يوم العرض الأكبر فأمثال هذه الأفكار تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له

مراتب الناس في طول الأمل وقصره

اعلم أن الخلق في ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل البقا ويشتهي ذلك أبدا قال الله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ومنهم من يأمل البقا إلى الهرم و
هو أقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب في حب الدنيا وإن التفت
ترقوتاه من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءه ولا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا
يستعد في الصيف للشتا وفي الشتا للصيف وإذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتا فلا يدخر في الصيف
ثياب الشتا ولا في الشتا ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليلة فلا يستعد إلا لنهاره وأما للغد فلا قال عيسى عليه السلام لا تهتموا
لرزق غد فإن يكن من آجالكم فستأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز أمله ساعة كما قال
نبينا يا عبد الله إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمسا وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقا ساعة أيضا كان رسول
الله يتيمم مع القدرة على الما قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا أبلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع به فهو ينتظره وهذا الإنسان
هو الذي يصلي صلوة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة إيمانه فقال ما خطوت خطوة إلا ظننت أني لا
أتبعها أخرى وكما نقل عن الأسود وهو حبشي أنه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل ما هذا قال أنظر ملك الموت من أي جهة
يأتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من أمله مقصور على شهر كمن أمله مقصور على يوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله
تعالى وإن الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يظهر أثر قصر الأمل في المبادرة إلى العمل وكل إنسان يدعي أنه قصير الأمل مل
وهو كاذب وإنما يظهر ذلك بأعماله فإنه يعتني بأسباب ربما لا يحتاج إليها في سنة ويدل ذلك على طول أمله وإنما علامة التوفيق أن يكون
الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فإن عاش إلى المسا شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم
يضيعها بل استوفى منه حظه وادخر لنفسه ثم يستأنف مثله إلى الصباح وهكذا إذا أصبح ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد
وما يكون فيه فمثل هذا إذا مات سعد وغنم وإن عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحيوة له مزيد فليكن الموت
على بالك يا مسكين فإن السير حاد بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا يكون ذلك إلا بمبادرة العمل اغتناما ما
لكل نفس أمهلت فيه

المبادرة إلى العمل وحذار آفة التأخير

اعلم أن من له أخوان غائبان ينتظر قدوم أحدهما في غد وينتظر
قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذي يقدم إلى شهر أو سنة وإنما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار
فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه
من مبادرة العمل أبدا فإنه أبدا يرى لنفسه متسعا من تلك السنة فيؤخر العمل كما قال عليه السلام ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا
مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر وقال ابن عباس
قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل
موتك وقال عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ أي أنه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال عليه السلام من خاف أدلج
ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة وقال عليه السلام جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وكان عليه السلام
إذا آنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية راتبة لازمة إما بسعادة وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا النذير
والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا إلا مثل ما بقي من يومنا
هذا في مثل ما مضى منه وقال عليه السلام مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع وقال جابر كان النبي صلى الله عليه وسلم

اما بشقاوة صح

اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين
اصبعين وقال ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال ان النور اذا دخل الصدر انفسح له
الصدر فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل النزول
وقال السدي في قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر للموت ذكرا واحسن له استعدادا واشد منه خوفا
وحذرا وقال حذيفة رضي الله عنه ما من صباح ومساء الا ومناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا
للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر في الموت وقال بعض موالي بني تميم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلي فاوجز في صلاته ثم اقبل علي فقال ارحني
بحاجتك فاني ابادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلاته ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال
دعني انما ابادر خروج نفسي وقال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير الا في اعمال الآخرة وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك
بادري قبل ان ياتيك الامر ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه ولا يراني وكان يقول الحسن في موعظته المبادرة
المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى الله تعالى رحم الله امرا نظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرأ هذه الآية
انما نعد لهم عدا يعني الانفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخولك في قبرك واجتهد ابو موسى الاشعري رضي الله عنه قبل
موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت او رفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت راس مجراها اخرجت جميع ما عندها
والذي بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامرأته شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره
عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا واعلموا ان الدنيا ليست لكم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد اظلكم وترحلوا فقد
جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما
يحل بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فاتقى عبد ربه نصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان
موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت ينزل به
فيا لها حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه ايامه الى شقوة جعلنا الله واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة معصية
ولا تحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعاء وانه بيده الخير وانه فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين في قوله تعالى فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات
وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور قال الشيطان وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هي
ايام قلائل وانما انتم ركب وقوف يوشك ان يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا
وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤداة وقال ابو عبيدة الناجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم و
اهلا وحياكم الله بالسلام واحلنا واياكم دار المقام هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخير رحمكم الله ان تسمعوه
بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فان من راى محمدا صلى الله عليه وسلم رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه
الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون انتم ورب الكعبة كانكم والامر معا رحم الله امرا جعل العيش عيشا واحدا فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق
بالارض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى ياتيه اجله وهو على ذلك وقال عاصم الاحول قال لي فضيل الرقاشي
وانا سائله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب هنا وهنا فيقطع عليك النهار دون شيء فان
الامر محفوظ عليك ولم تر شيئا قط احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

## الباب الثالث في سكرات الموت وشدته

وما يستحب من الاحوال عند الموت اعلم انه لو لم يكن بين يدي ابن آدم المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان
جديرا بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكره ويعظم له استعداده لا سيما وهو في كل
نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك وقال لقمان لابنه يا بني امر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل ان يفجأك والعجب
ان الانسان لو كان في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد
عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة

الالم

الالم في سكرات الموت لا يعلمها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس على الآلام التي ادركها واما بالاستدلال
باحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له فهو ان كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك
للالم هو الروح فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسري الى الروح يتالم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الاجزاء
فلا يصيب الروح الا بعض الالم فان كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم ذلك الالم وما اشده والنزع عبارة عن مؤلم
نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشر في اعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو اصابته شوكة فالالم
الذي يجده انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي اصابته الشوكة وانما يعظم اثر الاحتراق لان اجزاء النار تغوص في سائر اجزاء البدن
فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا وباطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة في اجزاء اللحم واما الجراحة فانما تصيب
الموضع الذي مسه الحديد فقط فلذلك كان الم الجرح دون الم النار فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه فانه المنزوع المجذوب
من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسأل عن كربه
وكربه حتى قالوا ان الموت اشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف انما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف
اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في بدنه وقلبه ولسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه
مع شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة
اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح
والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه و
اربد حتى كانه ظهر منه التراب الذي هو اصل فطرته وقد جذب كل عرق على حياله فالالم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان
الى اعالي اجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعالي موضعهما وتخضر انامله فلا تسأل عن بدن يجذب
منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتالم لا من عرق واحد بل من جميع العروق
ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فتبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم
فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد ما لم
يغرغر وقال مجاهد في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن قال اذا عاين الرسل فعند ذلك
تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد
سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف
الانبياء والاولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله ان يهون علي سكرات الموت فقد خفت من الموت مخافة اوقفني
خوفي من الموت على الموت وروي ان نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله تعالى ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا
تسألونه فدعوا الله فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه اثر السجود وقد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما اردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة
ما سكنت مرارة الموت من قلبي وقالت عائشة لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه
عليه السلام كان يقول اللهم انك تاخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكر الموت وغصته والمه فقال هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان اهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل
تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال اللهم اني اعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويالم للموت على حدته
وكان علي كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف اهون علي من موت على فراش وقال الاوزاعي
بلغنا ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن اوس الموت افظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو اشد من نشر بالمناشير
وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو ان الميت نشر فاخبر اهل الدنيا بالم الموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن اسلم عن ابيه
قال اذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به

في الدنيا يهون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه ويصير الى الله وعن بعضهم انه كان يسال كثيرا عن المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض
قيل له كيف تجده فقال كأن السموات مطبقة على الارض وكأن نفسي يخرج من ثقب ابرة وقال صلى الله عليه موت الفجاة راحة للمؤمن واسف على
الكافر وروي عن مكحول عن النبي صلى الله عليه انه قال لو ان شعرة من شعر الميت وضعت على اهل السموات والارض لماتوا باذن الله لان في كل شعرة الموت
ولا يقع الموت بشيء الا مات ويروى لو ان قطرة من الم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت وروي ان ابرهيم لما مات قال الله له كيف وجدت
الموت يا خليل فقال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك ويروى عن موسى عليه السلام انه لما صارت روحه الى الله تعالى
قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت فقال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وروي عنه
انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب وروي عن النبي صلى الله عليه انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها
وجهه ويقول اللهم هون علي سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على ابيك بعد اليوم وقال عمر رضي الله عنه
لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت قال نعم يا امير المؤمنين ان الموت كغصن كثير الشوك ادخل في جوف واخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل
شديد الجذب فاخذ ما اخذ وابقى ما ابقى وقال النبي صلى الله عليه ان الرجل ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك
السلام تفارقني وافارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على اولياء الله واحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي ويتوالى علينا مع سكرات
الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلث الاولى شدة النزع كما ذكرناه الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع
والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روي عن ابرهيم الخليل انه قال لملك
الموت هل تستطيع ان تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود
قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهب النار والدخان فغشي على ابرهيم عليه السلام ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته
الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان حسبه وروى ابو هريرة عن النبي عليه السلام ان داود عليه السلام كان
رجلا غيورا وكان اذا خرج اغلق الابواب فاغلق ذات يوم وخرج فاشرفت امرأته فاذا هي برجل في الدار فقالت من ادخل هذا الرجل
لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من انت فقال انا الذي لا اهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فانت والله اذا ملك الموت
وزمل داود عليه السلام مكانه وروي ان عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا اذ انا
جالس في ملكي وعلي تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي اذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فيا ليت ما كان
من تلك الجموع كانت فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكى الانبياء مجرد
سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك
الاحوال واما المطيع فانه يراه في احسن صورة واجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس ان ابرهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت
يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها فقال انا ربها فقال ادخلنيها
من هو املك بها مني ومنك فقال من انت من الملائكة قال انا ملك الموت قال تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم قال فاعرض عني فاعرض
ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها
مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب
مجلس صدق اجلستنا وعمل صالح احضرتنا وان كان فاجرا قالا لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء اجلستنا وعمل غير صالح قد احضرتنا
وكلام قبيح قد اسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا ابدا الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم
من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم ولن تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت
باحدى البشريين اما ابشر يا عدو الله بالنار او ابشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف ارباب الالباب وقد قال صلى الله عليه لن يخرج احدكم
من الدنيا حتى يعلم اين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار وقال عليه السلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه
فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك ان المؤمن اذا فرج له عما هو قادم عليه احب لقاء الله واحب الله لقاءه وروي حذيفة بن اليمان قال

لابن مسعود

لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فانظر اي ساعة هي فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة اعوذ بالله من
صباح الى النار ودخل مروان على ابي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم اشدد ثم بكى ابو هريرة فقال والله ما ابكي حزنا
على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظر احدى البشريين من ربي بجنة ام بنار وروي في الحديث عن النبي صلى الله عليه انه قال ان الله اذا رضي عن
عبد قال يا ملك الموت اذهب الى فلان فأتني بروحه لأريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة
معهم قضبان الريحان واصول الزعفران كل واحد يبشره ببشارة اخرى سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة معهم قضبان الريحان صفين لخروج روحه فاذا نظر
اليهم ابليس وضع يديه على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده ما لك يا سيدنا فيقول اما ترون ما اعطي هذا العبد من الكرامة اين كنتم عن هذا قالوا
قد جهدنا به وكان معصوما وقال الحسن لا راحة للمؤمن الا في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله فيوم الموت يوم سروره وفرحه وامنه
وعزه وشرفه وقيل لجابر بن عبد الله بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة الى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه
يا اخواه الساعة والله افارقكم الى النار او الى الجنة وقال محمد بن واسع عند الموت يا اخواه عليكم السلام الى النار او يعفو الله وتمنى
بعضهم ان يبقى في النزع ابدا فلا يبعث لثواب ولا عقاب فخوف سوء الخاتمة قد قطع قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند
الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره واعادته

## ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت

اعلم ان المحبوب عند الموت من صورة المحتضر ان يكون هادئا والسكون ومن لسانه
ان يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله تعالى اما الصورة فقد روي عن النبي عليه السلام انه قال ارقبوا الميت عند
ثلث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه
فهو من عذاب الله قد نزل به واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهو من علامة الخير قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله لقنوا موتاكم لا اله الا الله
وفي رواية حذيفة فانها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمان قال النبي صلى الله عليه من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وقال عبيد الله
وهو يشهد ان لا اله الا الله وقال عثمان اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة وقال
عمر احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا اله الا الله وقال ابو هريرة سمعت رسول الله يقول حضر ملك الموت رجلا يموت
فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص وينبغي للملقن ان لا يلح في
التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطلق لسان المريض فيشق ذلك عليه ويؤدي الى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب
سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل وليس في قلبه غير الله فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت
على محبوبه غاية النعيم في قلبه وان كان مشغوفا بحب الدنيا ملتفتا اليها متأسفا على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطق القلب
على تحقيقها وقع الامر في خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله بالقبول واما حسن الظن فهو مستحب
في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن دخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال اخبرني
كيف ظنك بالله قال اغرقتني ذنوب لي واشفيت على الهلكة ولكني ارجو رحمة ربي فكبر واثلة وكبر اهل البيت بتكبيره وقال الله اكبر سمعت رسول الله
صلى الله عليه يقول يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل النبي على رجل وهو يموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله واخاف ذنوبي
فقال صلى الله عليه ما اجتمعا في قلب عبد الا اعطاه الله الذي يرجو وامنه من الذي يخاف وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكانت له ام تعظه
كثيرا وتقول له يا بني ان لك يوما فاذكر يومك فلما نزل امر الله تعالى به كبت عليه امه فجعلت تقول له يا بني قد كنت احذرك مصرعك هذا واقول لك
ان لك يوما فقال لها يا اماه ان لي ربا كثير المعروف واني لارجو ان لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه وقال جابر بن وداعة
كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له امه يا بني توصي بشيء قال نعم خاتمي لا تسلبينيه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني فلما دفن رئي في النوم فقال
اخبروا امي ان الكلمة نفعتني وان الله قد غفر لي ومرض اعرابي فقيل له انك تموت فقال اين يذهب بي قالوا الى الله تعالى قال فما كراهتي ان
اذهب الى من لا نرى الخير الا منه وقال المعتمر بن سليمان قال ابي حين حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي القى الله وانا حسن الظن به وكانوا
يستحبون ان يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه

## الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات تعرب بلسان الحال عنها

قال الأشعث بن أسلم سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع
إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع فقال أدعو الأرواح بإذن الله تعالى فتكون بين إصبعي
هاتين قال ودحيت له الأرض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول منها حيث يشاء وهو يبشره بأنه خليل الله وقال سليمان بن داود لملك
الموت ما لي لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا فقال ما أنا بذلك بأعلم منك إنما هي صحف أو كتب تلقى إلي فيها أسماء وقال وهب بن منبه
كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فلم تعجبه حتى
أتي بدواب فركب أحسنها فجاء إبليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة
فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما قال إن لي إليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن
فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فأدنى له رأسه فساره وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى
أرجع إلى أهلي وأقضي حاجتي وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال
فسلم عليه فرد عليه السلام فقال إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال هات فساره وقال أنا ملك الموت فقال مرحبا وأهلا بمن طالت غيبته علي فوالله
ما كان في الأرض غائب أحب إلي أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال ما لي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله فقال
فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك فقال أتقدر على ذلك قال نعم إني أمرت بذلك قال فدعني حتى أتوضأ وأصلي واقبض روحي وأنا ساجد
فقبض روحه وهو ساجد وقال أبو بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أروني أصناف أموالي فأتي بشيء
كثير من الخيل والإبل والرقيق وغيره فلما نظر إليه بكى تحسرا عليه فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال له ما يبكيك فوالذي خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق
بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى أفرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه وروي أن رجلا جمع مالا
فأوعى ولم يدع صنفا من المال إلا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع أهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره
ورفع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت في
هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا أفزعه وهو على فراشه فوثب إليه الغلمان وقالوا
ما شأنك فقال ادعوا لي مولاكم فقالوا وإلى مثلك يخرج مولانا قال نعم فأخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة أشد من الأولى
فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أني ملك الموت فلما سمعوه ألقي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تأخذ
معه أحدا فدخل عليه فقال اصنع في مالك ما أنت صانع فإني لست بخارج منها حتى أخرج نفسك فأمر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله
من مال أنت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني أن أتخلى لربي فأنطق الله المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على السلطان بي وترد المتقون عن
بابه وكنت تنكح المتنعمات بي وتجلس مجالس الملوك بي وترد المتقون وتنفقني في سبيل الشر فلا أمتنع عليك ولو أنفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت
وابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق بإثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في
الأرض مثله ثم عرج إلى السماء فقالت الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض نفس امرأة في فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت
مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد له فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت روحه الآن هو ذلك المولود الذي
رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء وقال عطاء بن يسار إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه
السنة من في هذه الصحيفة قال فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبني البنيان وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري وقال الحسن ما من يوم
إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه فإذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء فيأخذ
ملك الموت بعضادتي الباب ويقول والله ما أكلت له رزقا ولا أفنيت له عمرا ولا انتقصت له أجلا وإن لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا أبقي
منكم أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة من
بني إسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب داره فثار إليه فزعا مغضبا فقال من أنت ومن أدخلك علي داري
فقال أما الذي أدخلني الدار فربها وأما أنا فالذي لا يمنع مني الحجاب ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة المتسلطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد

ولا شيطان

اي متواضعا

والسلطان مريد قال فسقط في يدي الجبار وارتعد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع إليه رأسه مستخذيا متذللا فقال أنت إذا ملك
الموت قال أنا هو قال فهل أنت ممهلي حتى أحدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس إلى تأخيرك
سبيل قال فإلى أين تذهب بي قال إلى عملك الذي قدمته وإلى بيتك الذي مهدته قال فإني لم أقدم عملا صالحا ولم أمهد بيتا حسنا قال فإلى لظى
نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين أهله فمن بين صارخ وباك قال يزيد الرقاشي لو يعلمون سوء المنقلب لكان العويل على ذلك أكثر وعن
الأعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان فجعل ينظر إلى أحد جلسائه يديم النظر إليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال ملك الموت قال
لقد رأيته ينظر إلي كأنه يريدني قال فما تريد قال أريد أن تخلصني منه فتأمر الريح حتى تحملني إلى أقصى الهند ففعل ذلك ثم قال سليمان لملك الموت
بعد أن أتاه رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائي قال نعم كنت أتعجب منه لأني كنت أمرت أن أقبض روحه بأقصى الهند في ساعة
قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك والله أعلم

الروح

## الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده

اعلم أن في رسول الله أسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع أحواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين إذ لم يكن أحد أكرم على الله
تعالى منه إذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور
منيته لا بل أرسل إليه الملائكة الكرام الكاتبين الموكلين بقبض أرواح الأنام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن
جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل إلى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر أنينه وترادف قلقه
وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد
منظره فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك فيه أهلا وعشيرا وهل سامحه إذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا
فهيهات بل امتثل ما كان به مأمورا واتبع ما وجد في اللوح المحفوظ مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود
وهو أول من تنشق عنه الأرض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب أنا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن أسراء الشهوات وقرناء
المعاصي والسيئات فما لنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن أنا مخلدون أو نتوهم أنا مع سوء
أفعالنا مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن أنا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو منها إلا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدور عنها
متوهمون لا بل ظلمنا أنفسنا إن لم نكن غالب الظن مستيقنين ما نحن والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما
مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فلينظر كل عبد إلى نفسه أنه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين وانظر إلى نفسك بعد أن تنظر
إلى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين ثم انظر إلى سيد المرسلين فإنه كان من أمره على يقين إذ كان سيد المرسلين وقائد
المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى قال ابن مسعود دخلنا على رسول الله في بيت أمنا
عائشة حين دنا الفراق فنظر إلينا فدمعت عيناه ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصي بكم الله إني لكم نذير
مبين ألا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى والكأس الأوفى فاقرؤوا على أنفسكم
وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته من لأمتي بعدي فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي
أني لا أخذله في أمته وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى يدخلها أمته فقال الآن
قرت عيني وقالت عائشة أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله بسبع قرب من سبع آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل
أحد ودعا لهم وأوصى بالأنصار فقال أما بعد يا معشر المهاجرين فإنكم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وإن الأنصار
عيبتي التي أويت إليها فأكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال إن عبدا خير بين الدنيا والآخرة فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر وظن
أنه يريد نفسه فقال النبي على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر فإني لا أعلم امرأ أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر
قالت عائشة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت فدخل علي أخي عبد الرحمن وبيده سواك
فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك فقلت آخذه لك فأومأ برأسه أي نعم فناولته إياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأومأ برأسه أي نعم فلينته
وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى فقلت إذا والله لا يختارنا

وروى سعيد بن عبد الله عن ابيه قال لما رات الانصار ان رسول الله صلى الله عليه يزداد ثقلا طافوا بالمسجد فدخل العباس على النبي فاعلمه بمكانهم
واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ثم دخل عليه علي بمثله فمد يده فقال هاه فتناولوه فقال ما تقولون قالوا نقول نخشى ان تموت فتصايح نساؤهم لاجتماع
رجالهم الى رسول الله صلى الله عليه فثار رسول الله فخرج متوكيا على علي والفضل والعباس امامه ورسول الله معصوب الراس يخط برجليه حتى جلس على
اسفل مرقاة المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس بلغني انكم تخافون علي الموت كانه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت
نبيكم الم انع اليكم ونعيت اليكم انفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني اوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا
واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى قال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الى اخرها وان الامور تجري باذن الله
فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في
الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم ان تحسنوا اليهم الم يشاطروكم الثمار
الم يوسعوا عليكم في الديار الم يؤثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا
عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض حوضي اعرض ما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء اشد
بياضا من اللبن والين من الزبد واحلى من الشهد من شرب منه لم يظما ابدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله
الا فمن احب ان يرده علي غدا فليكف لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس يا رسول الله اوص بقريش فقال انما اوصي بهذا الامر قريشا والناس
تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا ال قريش بالناس خيرا يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برتهم ائمتهم
واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروى ابن مسعود ان النبي عليه السلام قال لابي بكر رضي الله عنه
سل يا ابا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى
ثم الى جنة الماوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يا نبي الله من يلي غسلك فقال رجال من اهل بيتي الادنى
فالادنى فقال ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه او في حلة يمانية او في بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن
نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري واخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي
يصلي عليكم وملائكته ثم ياذن للملائكة في الصلاة فاول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم
الملائكة باجمعها ثم انتم فادخلوا علي افواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدا منكم الامام واهل بيتي الادنى
فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخل القبر قال زمر من اهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا عني الى من بعدي
وقال عبد الله بن زمعة جاء بلال اول ربيع الاول فاذن بالصلاة فقال رسول الله مروا ابا بكر فليصل بالناس فخرجت فلم ار بحضرة الباب الا
عمر في رجال ليس فيهم ابو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صوته بالتكبير فقال اين ابو بكر يابى الله ذلك
والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ان ابا بكر رجل اسيف رقيق اذا قام في مقامك غلبه البكاء
فقال انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس قال فصلى ابو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر وكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك ماذا صنعت بي
والله لولا اني ظننت ان رسول الله امرك ما فعلت فيقول عبد الله اني لم ار احدا اولى بذلك منك وقالت عائشة رضي الله عنها وما قلت ذلك ولا صرفته عن ابي بكر
الا رغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا ما سلم الله وخشيت ايضا ان لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي وهو حي ابدا
الا ان يشاء الله فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فاذا الامر امر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من امر الدين والدنيا وقالت عائشة
رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله راوا منه خفة في اول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين واخلوا رسول
الله بالنساء فبينا نحن كذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله اخرجن عني هذا الملك يستاذن علي فخرج من في البيت غيري و
راسه في حجري فجلس وتنحيت في ناحية البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني فاعاد راسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل فقال
عليه السلام يا عائشة هذا ملك الموت جاءني وقال ان الله تعالى ارسلني اليك وامرني ان لا ادخل عليك الا بالاذن فان لم تاذن لي فارجع وان اذنت
لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تامرني فماذا امرك فقلت اكفف عني حتى ياتيني جبريل فهذه ساعة جبريل قالت عائشة فاستقبلنا بامر لم يكن عندنا

جواب

جواب ولا راي فوجمنا وكانما ضربنا بصاخة ما نحير اليه شيا وما يتكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملات اجوافنا قالت
وجاء جبريل في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت فدخل فقال ان الله تعالى يقرا عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك
ولكن يريد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان تكون سنة في امتك فقال اجدني وجعا فقال ابشر فان الله
اراد ان يبلغك ما اعد لك ثم قال يا جبريل ان ملك الموت استاذن علي واخبره بالخبر فقال جبريل يا محمد ان ربك مشتاق اليك الم يعلمك
الذي يريد بك لا والله ما استاذن ملك الموت على احد قط ولا يستاذن عليه ابدا الا ان ربك متمم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح
اذا حتى يجيء واذن للنساء وقال ادني يا فاطمة فاكبت راسها فناجاها فرفعت راسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال ادني مني راسك
فاكبت راسها فناجاها فرفعت راسها وهي تضحك وما تطيق الكلام فكان الذي راينا منها عجبا فسالناها بعد ذلك فقالت اخبرني وقال
اني ميت اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله ان يلحقك بي في اول اهلي وان يجعلك معي فضحكت وادنت ابنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت
فسلم واستاذن فاذن له وقال ما تامر قال الحقني بربي الان فقال بلى من يومك هذا اما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن احد تردده
عنك ولم ينهني عن الدخول على احد الا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قالت وجاء جبريل وقال عليك السلام يا رسول الله هذا اخر
ما انزل فيه الى الارض ابدا طوي الوحي وطويت الدنيا وما كانت لي في الارض حاجة غيرك وما لي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي ولا و
الذي بعث محمدا بالحق ما في البيت احد يستطيع ان يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث الى احد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت
قمت الى النبي حتى اضع راسه بين ثديي وامسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رايته من انسان قط فجعلت اسلت منه
ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء قط اطيب منه فكنت اقول له اذا افاق بابي انت وامي يا رسول الله ونفسي واهلي ومالي ما تلقى جبهتك من
الرشح فقال يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار ثم عند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلينا فاول رجل
جاءنا ولم يشهده اخي بعثه الي ابي فمات رسول الله قبل ان يجيء احد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل وكان اذا اغمي عليه
قال بل الرفيق الاعلى كان الخيرة تعاد عليه فاذا اطاق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة
كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة وقالت عائشة مات رسول الله بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة رضي الله عنها
ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت ام كلثوم يوم اصيب علي بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه
رسول الله وفيه قتل علي وفيه قتل ابي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة لما مات رسول الله ارتج الناس حين ارتفعت الرنة وسجى
رسول الله الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط اخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقي اخرون
معهم عقولهم واقعد اخرون فكان عمر فيمن كذب بموته وعلي فيمن اقعد وعثمان فيمن اخرس فخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله لم يمت و
ليرجعنه الله وليقطعن ايدي وارجل اناس من المنافقين يتمنون لرسول الله الموت وانما واعده ربه كما واعد موسى وهو اتيكم وفي رواية
انه قال يا ايها الناس كفوا السنتكم عن رسول الله فانه لم يمت والله لا اسمع احدا يذكر ان رسول الله قد مات الا علوته بسيفي هذا واما علي فانه اقعد فلم
يبرح البيت واما عثمان فجعل لا يكلم احدا فيؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن احد من المسلمين في مثل حال ابي بكر والعباس فان الله تعالى عزم
لهما على التوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا الا بقول ابي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله الموت ولقد
قال وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وبلغ ابا بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول
الله فنظر اليه ثم اكب عليه فقبله ثم قال بابي انت وامي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه ثم خرج الى الناس فقال ايها
الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية فكان الناس
لم يسمعوا هذه الاية يومئذ وفي رواية ان ابا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله وهو يصلي على النبي وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقطع الجرة
وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فاكب عليه وكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي ونفسي واهلي طبت حيا وميتا
انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء من النبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك
سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا عليك ماء الشؤون فاما ما لا نستطيع دفعه فكمد

واذا كان يحانك ان لا استجان اللهم فلا تفتنا بعده اذكرنا عند ربك يا محمد ولنكن من بالك فلولا انت ما خلفت من السكينة لم نقم احدنا خلفت من الوحشة
اللهم بلغ نبيك عنا واحفظه فينا وعن ابن عمر انه لما دخل ابو بكر البيت وصلى على النبي عليه السلام واثنى عج اهل البيت عجيجا سمعه اهل المصلى كلما ذكر
شي ازداد وا فما سكن عجيجهم الا تسليم رجل واحد على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس ذائقة الموت الاية ان لله خلفا
من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا له وانكروه وقطعوا البكا فلما انقطع البكا فقدوا صوته فاطلع
احد منهم فلم يروا احدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد اخر لا يعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في
الله عزا من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا قال ابو بكر هذا الخضر واليسع حضرا النبي عليه السلام واستوفى القعقاع
بن عمرو حكاية خطبة ابي بكر وقال قام ابو بكر في الناس خطيبا حين قضى الناس عبراتهم خطبة جلها الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وحمد الله على كل
حال واثنى عليه وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلله الحمد وحده واشهد ان محمدا عبده و
رسوله وخاتم انبيائه واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان الله هو الحق المبين اللهم فصل
على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وامينك وخيرتك وصفوتك بافضل ما صليت على احد من خلقك اللهم اجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك
وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قائد الخير وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه
مقاما محمودا يغبطه الاولون والاخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والاخرة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما صليت وباركت على ابراهيم انك حميد مجيد ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات
ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وان الله قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه جزعا وان الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه
وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم
ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم وقال ابن عباس لما فرغ ابو بكر من خطبته قال يا عمر انت الذي
بلغني انك تقول ما مات رسول الله اما ترى ان رسول الله قال يوم كذا كذا ويوم كذا كذا وقال الله تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون فقال عمر والله لكاني لم
اسمع هذا في كتاب الله قبل الان لما نزل بنا اشهد ان الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث وان الله حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون و
صلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسول الله ثم جلس الى ابي بكر وقالت عائشة لما اجتمعوا لغسله قالوا والله ما ندري كيف نغسل رسول الله
انجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا او نغسله في ثيابه قالت فارسل عليهم النوم حتى ما بقي رجل منهم الا واضع لحيته في صدره ثم قال قائل لا يدرون من هو
اغسلوا النبي وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل النبي صلى الله عليه في قميصه حتى اذا فرغ من غسله كفن وقال علي لم يلق الله وجهه اذ لم يخلع
قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله ثيابه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقين فما نشا ان نقلب منه عضوا لم يبلغ
فيه الا قلب لنا حتى نفرغ منه وان معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله فانكم ستكفون فهكذا كان رسول الله
صلى الله عليه ولم يترك شيئا ولا يبدل الا دفن معه وقال ابو جعفر فرش لحده بمفرشه وقطيفة وفرشت ثيابه التي كان يلبس يقظان على
القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في اكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى في حياته لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ففي وفاته عليه السلام
للمسلمين به اسوة حسنة وفاة ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما احتضر ابو بكر جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت
لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت
منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد احوج من الميت وقالت عائشة عند موته وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل فقال ابو بكر ذاك رسول الله ودخلوا عليه فقالوا الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك فقال قد نظر الي طبيبي وقال اني فعال لما اريد
ودخل سلمان الفارسي عليه يعوده فقال يا ابا بكر اوصنا فقال ان الله تعالى فاتح عليكم الدنيا فلا تاخذن منها الا بلاغا واعلم ان من صلى صلاة
الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل ابو بكر واراد ان يستخلف استخلف عمر فقال الناس استخلف
علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك فقال اقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم ارسل الى عمر فجاء فقال اني موصيك بوصية ان لله حقا في النهار
لا يقبله في الليل وان له حقا في الليل لا يقبله في النهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم

الحق

الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل
وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل انا دون
هؤلاء ولا ابلغ مبلغ هؤلاء وان الله تعالى ذكر اهل النار باسوا اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القائل انا افضل من هؤلاء وان الله تعالى
ذكر اية الرحمة واية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقي بيده الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا
يكونن غائب احب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكونن غائب ابغض اليك من الموت ولست بمعجزه وقال سعيد بن المسيب لما
احتضر ابو بكر اتاه ناس من اصحابه فقالوا اخلفنا رسول الله زودنا فانا نراك لما بك فقال ابو بكر من قال هولاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه
في الافق المبين قال ما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار واشجار تغشاه كل يوم مائة رحمة من قال هذا القول جعل الله روحه
في ذلك المكان اللهم انك ابتدات الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم
خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس
قبل ان تخلقها فلا محيص لهم مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان احدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتي ان اشاء ما يقربني اليك اللهم
انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء الا باذنك فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا
يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما اهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك اردت بقوم
الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدري للايمان وزينه في قلبي اللهم انك دبرت الامور فجعلت مصيرها اليك فاحيني بعد الموت حيوة
طيبة وقربني اليك زلفى اللهم من اصبح وامسى وثقته ورجاؤه غيرك فانت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابو بكر هذا كله في كتاب
الله تعالى وفاة عمر رضي الله عنه قال عمرو بن ميمون كنت واني لقائم غداة اصيب عمر ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر
بين الصفين قام بينهما فاذا راى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرا سورة يوسف او النحل او نحو ذلك في اول
الركعة حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني الكلب حين طعنه ابو لؤلؤة عليه اللعنة فطار العلج لعنه الله بسكين ذات
طرفين لا يمر على احد يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه
برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر نفسه لعنه الله وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد راى ما رايت واما
نواحي المسجد فلا يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا
قال يا ابن عباس انظر من قتلني فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة قال قاتله الله لقد امرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل
منيتي بيد رجل مسلم قد كنت انت وابوك تحبان ان تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس اكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت اي
ان شئت قتلنا قال بعدما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل
يومئذ فقائل يقول اخاف عليه وقائل يقول لا باس فاتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ثم اتي بلبن فشربه فخرج من جوفه فعرفوا انه ميت
قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال ابشر يا امير المومنين ببشرى من الله تعالى قد كان لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه
وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة قال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل اذا ازاره
يمس الارض فقال ردوا علي الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك واتقى لربك ثم قال يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه
فوجدوه ستة وثمانين الفا او نحوه فقال ان وفى به مال ال عمر فاده من اموالهم والا فسل في بني عدي بن كعب فان لم تف اموالهم فسل في قريش
ولا تعدهم الى غيرهم واد عني هذا المال وانطلق الى عائشة ام المؤمنين وقل ان عمر يقرا عليك السلام ولا تقل امير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين
اميرا وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله فسلم واستاذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرا عليك
عمر بن الخطاب السلام ويستاذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي ولاوثرنه اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء
قال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير المؤمنين قد اذنت قال الحمد لله ما كان شيء اهم الي من ذلك فاذا انا قبضت
فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر بن الخطاب فان اذنت لي فادخلوني وان ردتني ردوني الى مقابر المسلمين وجاءت ام المؤمنين حفصة والنساء

يسترونها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة فاستأذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاها من الداخل وقالوا أوص يا أمير
المؤمنين استخلف فقال ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة
وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له فإن أصابت الإمارة سعدا فذاك وإلا فليستعن به أيكم أمر
فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة وقال أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيرا الذين
تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو
وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضى منهم وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام وأن يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم
وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله
بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب فقالت أدخلوه فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث وعن النبي قال قال لي جبريل ليبك الإسلام على موت
عمر وعن ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجل قد أخذ منكبي فالتفت فإذا
هو علي بن أبي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك وايم الله إن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك
وذلك أني كنت كثيرا أسمع النبي يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر فإن كنت لأرجو أو لأظن أن
يجعلك الله معهما وفاة عثمان الحديث في قتله مشهور وقال عبد الله بن سلام أتيت أخي عثمان لأسلم عليه وهو محصور فدخلت
عليه فقال مرحبا يا أخي رأيت رسول الله في هذه الخوخة وأشار إلى خوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال أعطشوك قلت نعم قال فأدلى دلوا
فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر
عنده فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه
يقول اللهم اجمع أمة محمد ثلاثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت
الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي قال فجيء بهما كأنهما جملان أو حماران فأشرف عليهم عثمان فقال أنشدكم بالله
والإسلام هل تعلمون أن رسول الله قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين
بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر قالوا اللهم نعم قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن
المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي
فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون
أن رسول الله كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله فقال اسكن ثبير فإنما عليك نبي و
صديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد وروى شيخ من ضبة أن عثمان حين ضرب والدماء تسيل على لحيته
جعل يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم إني أستعديك عليهم وأستعينك على جميع أموري وأسألك الصبر على ما ابتليتني وفاة
علي رضي الله عنه قال الأصبغ الحنظلي لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد
إليه وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيك ولا تجزع من الموت إذا حل بواديك فلما بلغ الباب
الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت أم كلثوم بنت علي تقول ما لي ولصلاة الغداة قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الغداة وقتل أبي صلاة الغداة
وعن شيخ من قريش أن عليا لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي أنه لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض و
لما ثقل الحسن بن علي دخل عليه الحسين فقال يا أخي لأي شيء تجزع من الموت تقدم على رسول الله وعلى علي بن أبي طالب وهما أبواك وعلى خديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد وهما أماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك قال يا أخي أقدم على أمر لم أقدم على مثله وعن محمد بن الحسن قال لما نزل القوم بالحسين بن علي وأيقن
أنهم قاتلوه قام في أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد نزل بي ما ترون وإن الدنيا تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت حتى لم يبق
منها إلا صبابة كصبابة الإناء إلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى وإني لا أرى الموت إلا سعادة
والحياة مع الظالمين إلا برما

## الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين

لما حضر معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال

أقعدوني

قال أقعدوني فقعد فجعل يسبح الله ويذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطام ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان
وبكى حتى علا بكاؤه وقال يا رب ارحم الشيخ العاصي والقلب القاسي اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق بأحد سواك
وروى شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة عليه في مرضه فرأوا في جلده غضونا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فهل الدنيا إلا ما جربنا
ورأينا أما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثت الدنيا أن نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة
فأصبحت الدنيا قد وترتنا وأخلقتنا واستلامت إلينا فأف للدنيا من دار ثم أف لها من دار وروي أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال أيها
الناس إن من زرع قد استحصد وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدي إلا وهو شر مني كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد إذا دنا أجلي فول غسلي
رجلا لبيبا فإن اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله وقراضة من شعره و
أظفاره فاستودع القراضة الفم والأذن والعين واجعل الثوب على جلدي دون أكفاني ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين فإذا
أدرجتموني في جريدتي ووضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وأرحم الراحمين وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعاوية الموت قال يا ليتني كنت رجلا
من قريش بذي طوى وأني لم أل من هذا الأمر شيئا ولما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال من جانب دمشق يلوي ثوبا بيده ثم يضرب
به المغسلة فقال والله ليتني كنت غسالا آكل من كسب يدي يوما بيوم ولم أل من أمر الناس شيئا فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم
الموت يتمنون ما نحن فيه وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال أجدني كما قال الله
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة الآية وقالت فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول
اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر وبيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته
يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف
له انظر أنائم هو فلما دخل صاح فوثبت فدخلت فإذا هو ميت وقيل له لما حضرته الوفاة اعهد يا أمير المؤمنين فقال أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد
لكم منه وروي أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب فلما نظر إليه الطبيب قال أرى الرجل قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال
ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل أحسست قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا أمير المؤمنين فإني أخاف
أن تذهب نفسك قال ربي خير مذهوب إليه والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فمسستها اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث إلا
أياما حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبشر فإن الله أحيى بك سننا وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف
وأسأل عن أمر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله إلا أن يلقنها حجتها فكيف بكثير مما صنعنا وفاضت
عيناه فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات ولما قرب موته قال أجلسوني فأجلسوه فقال أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات ولكن
لا إله إلا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر فقيل له في ذلك فقال إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن ثم قبض وحكي عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه
عند الموت وكان ينظر إليها ويقول ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وفرش المأمون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من
قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند الموت فقيل لا بأس
عليك يا أمير المؤمنين قال ليس إلا هذا لقد ذهبت الدنيا والآخرة وقال عمرو بن العاص في الوفاة وقد نظر إلى صناديق لبنيه من يأخذها بما فيها ليته
كان بعرا وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فإن الناس يقولون إنك لا تغفر لي فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكي
ذلك للحسن قال أقالها قيل نعم قال عسى

## أقوال جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف

لما حضر معاذ رضي الله عنه الوفاة قال اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس
الأشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع نزع نزعا لم ينزعه أحد فكان كلما أفاق
من غمرته فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك إنك تعلم أن قلبي يحبك ولما حضر سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكي جزعا على الدنيا
ولكن عهد إلينا رسول الله أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهما ولما حضر بلالا الوفاة
قالت امرأته واحزناه فقال بل واطرباه غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل

العاملون ولما حضر ابراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة او النار وحضر ابن المنكدر الوفاة فبكى
فقيل له ما يبكيك قال والله لا ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكن اخاف ان اتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم ولما حضر عامر بن عبد قيس الوفاة
بكى فقيل ما يبكيك فقال ما ابكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن ابكي على ما يفوتني من ظما الهواجر وعلى قيام الليل بالشتاء ولما حضر فضيل الوفاة
غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفراه واقلة زاداه ولما حضر ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل راسي على التراب فبكى نصر فقال
له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت هو ذا تموت فقيرا غريبا قال اسكت فاني سالت الله تعالى ان يحييني حياة الاغنياء وان يميتني موت
الفقراء ثم قال له لقني ولا تعد علي الموت فقيرا غريبا قال اسكت فاني سالت الله تعالى ان يحييني ما لم اتكلم بكلام ثان وقال عطا بن يسار تبدى ابليس
لرجل عند الموت فقال له انجوت فقال ما امنتك بعد وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال اية في كتاب الله تعالى قوله انما يتقبل الله من المتقين
ودخل الحسن على رجل يجود بنفسه فقال ان امرا هذا اوله لجدير ان يتقى اخره وان امرا هذا اخره لجدير ان يزهد في اوله وقال الجريري
كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرا القران فختم القران فقلت في هذه الحالة يا ابا القاسم قال ومن
اولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي وقال رويم حضرت وفاة ابي سعيد الخراز وهو يقول حنين قلوب العارفين الى الذكر وتذكارهم وقت المناجاة [للسر]
اديرت كوس المنايا عليهم فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي الشكر همومهم جوالة بمعسكر به اهل ود الله كالانجم الزهر
فاجسامهم في الارض قتلى بحبه وارواحهم في الحجب نحو العلا تسري فما عرسوا الا بقرب حبيبهم وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر
وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت لم يكن يعجب ان يطير روحه اشتياقا وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي قال
ان اعرفه قبل موتي بلحظة وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله فقال الى متى تقولون وانا محترق بالله تعالى وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري
فقدم فقير وقال السلام عليكم هل ههنا موضع نظيف يمكن للانسان ان يموت فيه قال فاشاروا اليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير وضوءا
ثم ركع ما شاء الله ومضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات وكان ابو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امراة تواجدا فقال لها موتي
فقامت المراة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه وقالت قد مت ووقعت ميتة ويحكى عن فاطمة اخت ابي علي الروذباري قالت لما قرب اجل
ابي علي الروذباري وكان راسه في حجري فتح عينيه فقال هذه ابواب السما قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قايل يقول قد بلغناك الرتبة
القصوى وان لم تردها ثم انشا يقول وحقك لا نظرت الى سواكا بعين مودة حتى اراكا اراك معذبي بفتور لحظ وبالخد المورد من حياكا
وقيل للجنيد قل لا اله الا الله فقال ما نسيته حتى اذكره وسال جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رايت منه عند موته فقال
قال علي مظلمة درهم وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضئني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد امسك على
لسانه فقبض على يدي وادخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في اخر عمره ادب من اداب الشريعة وقيل لبشر بن الحارث
لما احتضر وكان يشق عليه كانك تحب الحيوة فقال القدوم على الله شديد وقيل لصالح بن مسمار الا توصي بابنك وامراتك فقال اني لاستحيي من
الله ان اوصي بهم الى غيره ولما حضر ابا سليمان الداراني الوفاة اتاه اصحابه فقالوا له ابشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال الا تقولون
احذر فانك تقدم على رب يحاسب بالصغير ويعاقب بالكبير ولما احتضر الواسطي قيل له اوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر بعضهم فبكت
امراته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك ابكي قال ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة وقال الجنيد دخلت على سري السقطي
اعوده في مرض موته فقلت له كيف تجدك فانشا يقول كيف اشكوا الى طبيبي ما بي والذي اصابني من طبيبي فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف
يجد روح المروحة من روحه يحترق ثم انشا يقول القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق كيف القرار على من لا قرار له
مما جناه الهوى والشوق والقلق يا رب ان كان شيء فيه لي فرج فامنن علي به ما دام بي رمق وحكي ان قوما من اصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو
في الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فانشا يقول ان بيتا انت ساكنه غير محتاج الى السرج وجهك المامول حجتنا يوم ياتي الناس بالحجج
لا اتاح الله لي فرجا يوم ادعو منك بالفرج وحكي ان ابا العباس بن عطا دخل على الجنيد وقت نزعه فسلم فلم يجبه ثم اجابه بعد ساعة
ثم قال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب اجلي
ما اخبرتكم وقفت على باب قلبي اربعين سنة فكلما مر به غير الله حجبته عنه وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاه الحق

فعلت

فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه قد كان وكان وذكرت محاسنه فافاق وقال من المتكلم فقلت انا فقال ان ملك الموت يقول
لي اني بكل سخي رفيق ثم طفى ولما حضر يوسف بن اسباط الموت شهده حذيفة فوجده قلقا فقال يا ابا محمد ما هذا اوان القلق والجزع فقال يا ابا عبد الله
وكيف لا اقلق ولا اجزع واني لا اعلم اني صدقت الله في شي من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته انه لا يعلم انه صدق الله تعالى
في شي من عمله وعن المغازلي قال دخلت على شيخ من اصحاب هذه القصة وهو عليل وهو يقول مليك ان تقبل ما تريد فاقض لي ودخل بعض المشايخ [ح]
على ممشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له فعل الله وصنع من باب الدعا فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما اعرتها طرفي [في]
وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله فقال لا احسن غيره ولما حضر النوري الوفاة قيل له قل لا اله الا الله فقال اليس الحق ثم اعرض
ودخل المزني على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي توفي فيه فقال كيف اصبحت يا ابا عبد الله فقال اصبحت عن الدنيا راحلا وللاخوان
مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكاس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا ادري اروحي تصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم
انشا يقول فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك اعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما ولولاك لم يغوى بابليس عابد فكيف وقد اغوى صفيك ادما ولما حضر حمد
بن خضرويه الوفاة سيل عن مسالة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت ادقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح لي الساعة لا ادري ايفتح
بالسعادة او بالشقاوة فاني لي اوان الجواب فهذه اقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف احوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجا [ج]
وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد على مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة الى احوالهم

## الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور

اعلم ان الجنايز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير الا لاهل الغفلة فانها لا تزيدهم مشاهدتها
الا قساوة لانهم يظنون انهم ابدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنايز يحملون او يحسبون ذلك ولكنهم على القرب
لا يقدرون ولا يتفكرون ان المحمولين على الجنايز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد الى جنازة
الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكان قد ولعله في غد او بعد غد ويروى عن ابي هريرة انه كان اذا راى جنازة قال
امضوا فانا على الاثر وكان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رايحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر لا عقل
له وقال اسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشي سوى ما هو مفعول به وما هو صاير اليه ولما مات اخو مالك بن دينار خرج مالك في
جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت ولا اعلم ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنايز فلا ندري من نعزي لحزن
الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنايز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت والان لا تنظر الى جماعة يحضرون جنازة الا و
اكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر اقرانه واقرباؤه الا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد
الا ما شا الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم
الاخر والاهوال التي بين ايدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسال الله اليقظة من هذه الغفلة فان احسن احوال الحاضرين على الجنايز [من]
بكاوهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على انفسهم لا على الميت نظر ابراهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو تترحمون انفسكم لكان خيرا
لكم انه نجا من اهوال ثلثة وجه ملك الموت قد راى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن قال ابو عمرو بن العلا جلست الى جرير وهو يملي على
كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فامسك وقال شيبتني هذه الجنايز وانشا يقول تروعنا الجنايز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات كروعة ثلة لمغار ذيب
فلما غاب عادت راتعات فمن اداب حضور الجنايز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي امامها على هيئة التواضع كما ذكرناه اداب وسننه في فن
الفقه ومن ادابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لا تدرى
حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها
فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا فلان فقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا
غير مذنب وغير ذي خطايا ويحكى ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم يجد امراته من يعينها على حمل جنازته اذ لم
يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه فاستاجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه احد فحملتها الى الصحرا للدفن وكان على جبل قريب من الموضع

راهد من الزهاد دالكنان وراوه كالمنتظر للجنازة ثم قصد ان يصلي عليها فانتشر الخبر في البلد بان الزاهد نزل ليصلي على فلانة فخرج اهل البلد
فصلى الزاهد وصلوا عليها وتعجب الناس من صلوة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام انزل الى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها الا امراة فصل عليه
فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امراته وسالها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت لما عرفت كان طول نهاره في الماخور مشغولا
بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيا من اعمال الخير قالت نعم ثلثة كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح فيبدل ثيابه ويتوضا ويصلي الصبح في
الجماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسوق والثاني انه كان ابدا لا يخلو بيته من يتيم ويتيمين وكان احسانه اليهم اكثر من احسانه الى اولاده و
كان شديد التفقد لهم والثالث كان يفيق في اثنا سكره في ظلام الليل يبكي ويقول يا ربي اي زاوية من زوايا جهنم تريد ان تملاها من هذا الخبيث
ويعني به نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله عن امره وعن صلة بن اشيم وقد دفن اخ له فقال على قبره فان تنج منها تنج من ذي عظيمة والا فاني لا اخالك ناجيا
حال القبر واقاويلهم على القبور قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا
وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد من ايامه غدا وعد نفسه من اهل القبور وقيل لعلي ما شانك جاورت القبور قال اني اجدهم جيران صدق يكفون
الالسنة ويذكرون الاخرة وقال رسول الله صلى الله عليه ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
فجلس الى قبر فبكى وبكيت وبكى القوم فقال الا ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر امي آمنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنته
في ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان بن عفان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة
والنار ولا تبكي وتبكي اذا وقفت على قبر فقال اني سمعت رسول الله يقول ان القبر اول منزل من منازل الاخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر منه و
ان لم ينج منه فما بعده اشد منه وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه قال ذكرت اهل القبور وما حيل
بينهم وبينه فاحببت ان اتقرب الى الله تعالى بهما وقال مجاهد اول ما يكلم ابن ادم حفرته فتقول انا بيت الدود انا بيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة
هذا ما اعددت لك فما اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس
الى قوم يذكروني معادي وان قمت لم يغتابوني وكان [illegible] ياتي المقابر ليلا ويقول يا اهل القبور [illegible] اذا دعوتكم [illegible] يقول [illegible]
منهم وبين [illegible] وكان [illegible] يستقبل الصلوة الى طلوع الفجر وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد ارقت الليلة اتفكر في القبر
[illegible] الميت بعد ثلثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولرايت بيتا تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع
تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة فخر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول ايها المقبور في حفرته
والمتخلي في القبر بوحدته المستانس في بطن الارض باعماله ليت شعري اي اعمالك استبشرت وباي اخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى يبل لحيته ثم يقول
استبشر والله باعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه [illegible] على طاعة الله وكان اذا نظر في القبر خار كما يخور الثور وقال حاتم الاصم من
[illegible] فلم [illegible] لنفسه ولم يدع لهم [illegible] نفسه [illegible] وكان بكر العابد يقول يا اماه ليتك كنت بي عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا ومن بعد
ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من اين تجيبه ان اجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليها دخلتها و
ان اجبته من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح اذا اشرف على القبور يقول ما احسن ظواهرك انما الدواهي في بواطنك وكان عطا السلمي اذا جن
عليه الليل خرج الى المقابر ثم يقول يا اهل القبور متم فوا موتاه وعاينتم اعمالكم فوا عملاه ثم يقول غدا عطا في القبر فلا يزال ذلك دابه حتى يصبح و
قال سفيان الثوري من اكثر ذكر القبور وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره
قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد
رجعتك فاعمل وقال احمد بن حرب تعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فيقول يا ابن ادم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء و
قال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم اقبل علي وقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل
الدنيا في لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى واصابت الهوام مقيلا في ابدانهم ثم بكى وقال والله لا اعلم احدا انعم
ممن صار الى هذه القبور وقد امن من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما اردت الخروج منها فاذا انا بصوت قائل يقول يا ثابت
لا يغرنك صموت اهلها فكم من نفس مغمومة فيها ويروى ان فاطمة بنت الحسين نظرت الى جنازة زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت

فكانوا رجاء فامسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت وقيل انها ضربت فسطاطا على قبره واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط
ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا صوتا من الجانب الاخر بل يئسوا فانقلبوا وقال ابو موسى التميمي توفيت
امراة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا ابا فراس ماذا اعددت لهذا اليوم قال شهادة ان لا اله الا الله
منذ ستين سنة فلما دفنت اقام الفرزدق على قبرها فقال اخاف وراء القبر ان لم تعافني اشد من القبر التهابا واضيقا اذا جاءني يوم القيمة قائد
عنيف وسواق يسوق الفرزدقا لقد خاب من اولاد ادم من مشى الى النار مغلول القلادة ازرقا وقد انشدوا في اهل القبور قف بالقبور وقل على ساحاتها
من منكم المغمور في ظلماتها ومن المكرم منكم في قعرها قد ذاق برد الامن من روعاتها اما السكون لذي العيون فواحد لا يستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك لاخبروك بالسن تصف الحقائق بعد من حالاتها اما المطيع فنازل في روضة يفضي الى ما شاء من دوحاتها والمجرم الطاغي بها متقلب
في حفرة يأوي الى حياتها وعقارب تسعى اليه فروحه في شدة التعذيب من لدغاتها ومر داود الطائي على امراة تبكي على قبر وهي تقول
عدمت الحيوة فلا نلتها اذا انت في القبر قد الحدوكا فكيف اذوق طعم الكرى وانت بيمناك قد وسدوكا ثم قالت يا ابناه ليت شعري
باي خديك بدا الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فانشأت اقول اتيت القبور فناديتها
اين المعظم والمحتقر واين المدل بسلطانه واين المزكي اذا ما افتخر قال فنوديت من بينهم اسمع صوتا ولا ارى شخصا وهو يقول
تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور فيا سائلي عن اناس مضوا اما لك فيما ترى معتبر لقد قلق القوم [illegible]
قال فرجعت وانا باك [illegible] ووجدت مكتوبة على القبور وجد على قبر مكتوبا يا جبل اخوان وهم سلوت وسكانا تحت التراب خمود
[illegible] جمع الدنيا لغيره بلاغة لمن يجمع الدنيا ولست بموقت ووجد على قبر اخر اما غانم اما ذاك فواسع وقبل معمور الجوانب محكم ما ينفع المقبور عمران قبره
اذا كان فيها جسمه يتهدم وقال ابن السماك مررت بالمقابر فاذا على قبر مكتوب مر اقاربي جنبات قبري كان اقاربي لم يعرفوني ذوو الميراث يقتسمون مالي
وما يالون ان جحدوا ديوني وقد اخذوا سهامهم وعاشوا فيا لله اسرع ما نسوني ووجد على قبر مكتوب ان الحبيب من الاحباب مختلس
لا يمنع الموت بواب ولا حرس فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من تعد عليه اللفظ والنفس اصبحت يا غافلا في النقص منغمسا وانت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذي كان منه العلم يقتبس كم اخرس الموت في قبر وقفت به عن الجواب لسانا ما به خرس قد كان قصرك معمورا له شرف
فقبرك اليوم في الاجداث مندرس ووجد على قبر اخر مكتوب وقفت على الاحبة حين صفت قبورهم كافراس الرهان فلما ان بكيت وفاض دمعي
رات عيناي بينهم مكاني ووجد على قبر طبيب مكتوب قد قلت لما قال لي قائل قد صار لقمان الى رمسه فاين ما يوصف من طبه وحذقه في الماء مع جسه
هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه ووجد على قبر اخر مكتوب يا ايها الناس قد كان لي امل قصر بي عن بلوغه الاجل فليتق الله ربه رجل
امكنه في حيوته العمل ما انا وحدي نقلت حيث ترى كل الى مثله سينتقل فهذه ابيات كتبت على القبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت
والبصير هو الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين اظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم
يوم واحد من ايام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك احب اليهم من الدنيا بحذافيرها لعلمهم قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الامور وانما حسرتهم على
يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم
في ساعة من العمر وانت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الا
ان انت لم تاخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رايت اخا لي في الله فيما يرى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب
العالمين قال لان اقدر على ان اقولها يعني الحمد لله رب العالمين احب الي من الدنيا وما فيها ثم قال الم تر حيث كانوا يدفنوني فان فلانا قام يصلي ركعتين
لان اكون اقدر على ان اصليهما احب الي من الدنيا وما فيها ما قيل عند موت الولد حق على كل من مات ولد او قريب من اقاربه ان ينزله
في تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو كانا في سفر فسبقه ولده الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تاسفه لعلمه بانه لاحق به على القرب
وليس بينهما الا التقدم والتاخر وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى ان يلحق المتاخر واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لاسيما وقد ورد في موت
الولد من الثواب ما يتعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه لان اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وانما ذكر
السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب وقال زيد بن اسلم توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل

لو كان عوده عندك قال ملء الأرض ذهبا قيل له فإن لك من الأجر مثل ذلك وقال رسول الله لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له
جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله أو اثنان فقال أو اثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فإنه أرجى دعائه وأقربه إلى الإجابة ووقف
محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم إني أصبحت أرجو لك وأخاف عليك فحقق رجائي وآمن خوفي ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال اللهم إني
قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فإنك أجود وأكرم ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له
ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه عمر بن ذر بعد وضعه في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري
ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم إن هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتي اللهم فما
وعدتني عليه من الأجر في مصيبتي فقد وهبت لك ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا
إلى إنسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك ونظر رجل إلى امرأة بالبصرة فقال ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من
قلة الحزن فقالت يا عبد الله إني لفي حزن ما يشركني فيه أحد قال وكيف قالت إن زوجي ذبح شاة في يوم الأضحى وكان لي صبيان مليحان فقال
الكبير للأصغر أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة قال نعم فأخذه وذبحه وما شعرنا به إلا متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى جبل
فرهقه ذئب فأكله فخرج أبوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فأفردني الدهر وعن أنس رضي الله عنه قال لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة
وقالوا قتل محمد حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة فخرجت امرأة من الأنصار متحزمة فاستقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها لا أدري بأيهم استقبلت
بها أولا فلما مرت على آخرهم قالت من هذا قالوا أبوك أخوك زوجك ابنك وهي تقول ما فعل رسول الله صلى الله عليه فيقولون أمامك حتى رفعت إلى رسول الله
فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذا سلمت من عطب فأمثال هذه المصائب ينبغي أن يتذكر عند موت الأولاد ليتسلى
بها عن شدة الجزع فما من مصيبة إلا ويتصور ما هو أعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الأكثر

زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه نهى عن زيارة
القبور ثم أذن بعد ذلك روي عن علي عن رسول الله أنه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجرا وزار
رسول الله قبر أمه … فلم ير باكيا أكثر من يومئذ وفي هذا قال أذن لي في الزيارة دون الاستغفار كما ذكرناه من قبل وقال ابن أبي مليكة أقبلت
عائشة يوما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها ولا ينبغي أن
يتمسك بهذا فيؤذن للنساء في الخروج إلى المقابر فإنهن يكثرن التهجم على رؤوس المقابر … ولا يخلون في الطريق عن تكشف و
تبرج وهي عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لأجلها نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على
الدعاء وترك الحديث على رأس القبر وقال أبو ذر قال رسول الله زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة
وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فإن الحزين في ظل الله وقال ابن أبي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم فإن
لكم فيهم عبرة وعن نافع أن ابن عمر كان لا يمر بقبر أحد إلا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبي كانت تزور قبر عمها حمزة
في الأيام فتصلي وتبكي عنده وقال النبي من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه إن
الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال صلى الله عليه من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي وقال عليه السلام
من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال كعب ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون
بأجنحتهم ويصلون على النبي حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم وصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة
يوقرونه والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا لوجه الميت وأن يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فإن ذلك من عادة
النصارى عليهم لعائن الله تترى وقال نافع كان ابن عمر رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي ثم
ينصرف وعن أبي أمامة قال رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي ثم انصرف وقالت عائشة قال
رسول الله ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمان بن سحيم رأيت رسول الله في النوم فقلت يا رسول الله
هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم وقال أبو هريرة إذا مر الرجل بقبر رجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام

وعرفه

وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الجحدري رأيت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت
أليس قد مت قال بلى قلت فأين أنت قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبي بكر بن عبد الله
المزني فنتلاقى أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم فقال هيهات بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا إياكم قال نعلم بها عشية
الجمعة ويوم الجمعة كله وليلة السبت إلى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الأيام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع يزور يوم
الجمعة فقيل له لو أخرت إلى الاثنين فقال بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل
طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبان
فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب المقابر وقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل حسناتكم لا يزيد
على هؤلاء الكلمات قال الرجل فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلي فلم آت المقابر وأدعو كما كنت أدعو فبينا أنا نائم إذا بخلق
كثير قد جاءوني فقلت من أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل المقابر قلت وما حاجتكم قالوا إنك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك
قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو بها قلت فإني أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك وقال بشار بن غالب النجراني رأيت رابعة العدوية
العابدة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت يا بشار هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعاء
المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتي به الميت فقيل هذه هدية فلان
إليك وقال رسول الله ما الميت في قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كان أحب إليه من
الدنيا وما فيها وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار وقال بعضهم مات أخ لي فرأيته في المنام فقلت ما كان حالك حين وضعت
في قبرك قال أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعا لي لرأيت أنه سيضربني به ومن هذا استحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له
قال سعيد بن عبد الله الأودي شهدت أبا أمامة الباهلي وهو في النزع فقال إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله فقال إذا مات أحدكم
فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم يقول يا فلان بن فلانة الثانية فإنه يستوي
ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله و
أن محمدا رسول الله وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه نبيا وبالقرآن إماما فإن منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه فيقول
انطلق بنا ما نقعد عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه قال فلينسبه إلى حواء
ولا بأس بقراءة القرآن على القبور لما روي عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع أحمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن
الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد يا أبا عبد الله
ما تقول في مبشر بن إسماعيل فقال ثقة قال فهل كتبت عنه شيئا قال نعم قال فأخبرني مبشر بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء اللجلاج عن أبيه
أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها قال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له أحمد فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ وقال
محمد بن أحمد المروزي سمعت أحمد يقول إذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل
المقابر فإنه يصل إليهم وقال أبو قلابة أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على قبر فنمت
ثم انتبهت فإذا صاحب القبر يشتكيني يقول لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال إنكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتان
اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله أهل الدنيا عنا خيرا اقرئهم السلام فإنه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال والمقصود
من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وإنما يحصل الاعتبار
بأن يصور في نفسه الميت كيف تفرقت أجزاؤه وكيف يبعث من قبره وأنه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف بن أبي بكر الهذلي قال كانت عجوز
في عبد القيس متعبدة فكانت إذا جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور فبلغني أنها عوتبت في كثرة إتيانها
المقابر فقالت إن القلب القاسي إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى وإني لآتي القبور فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأني أنظر إلى تلك الأوجه
المتعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للأنفس وأشد تلفها

للابدان بل ينبغي ان يخشى من صورة الميت كما ذكر عن عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له كيف لو رأيتني بعد ثلاث وقد ادخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الاسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتا البطن فعلا على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت اعجب مما تراه الان ويستحب الثنا على الميت وان لا يذكر الا بالجميل قالت عايشة قال رسول الله اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه لا تسبوا الاموات فانهم افضوا الى ما قدموا وقال لا تذكروا هلكاكم الا بخير فانهم ان يكونوا من اهل الجنة تاثموا وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما هم فيه وقال انس مر بجنازة على رسول الله فاثنوا عليه شرا فقال وجبت ومروا باخرى فاثنوا عليه خيرا فقال وجبت وساله عمر عن ذلك فقال ان هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وانتم شهدا الله في الارض وقال ابو هريرة قال النبي ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثنا يعلم الله منه غيره فيقول الله لملايكته اشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي والله اعلم

## الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور

حقيقة الموت اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد اخطؤا فيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا راي الملحدة وكل من لا يؤمن بالله واليوم الاخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتالم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وقال اخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر اصلا وكل هذه الظنون فاسدة مايلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الايات والاخبار ان الموت تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضا الات للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشيا بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح فالروح تعلم الاشيا بنفسها من غير الة ولذلك قد يتالم بنفسه بانواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضا فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما لها بواسطة الاعضا فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد فلا يبعد ان تعاد الى الجسد في القبر ولا يبعد ان تؤخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل اعضا الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضا والالات وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصا الاعضا كلها وكل الاعضا الات والروح هي المستعملة لها واعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم والالام والغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضا لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل منها الافراح والغموم ولا بطل منها قبولها للالام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم والالام واللذات وذلك لا يموت اي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن ان يكون الة له كما ان معنى الزمانة خروج اليد عن ان تكون الة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضا كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من جهتين احديهما انه سلب منه عينه واذنه ويده ورجله وجميع اعضايه وسلب منه اهله وولده واقاربه وساير معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وساير املاكه ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشيا من الانسان وبين ان يسلب الانسان من هذه الاشيا فان المولم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة بان يسبى الرجل عن المال والالم واحد في الحالين وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم اخر لا يناسب هذا العالم فان كان له في الدنيا شي يانس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاوه في مفارقته بل يلتفت قلبه الى كل واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله ولا يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوايق والشواغل اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا احد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحيوة والثاني انه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفا له في الحيوة كما ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفا له في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انكشفت الشواغل انكشف له جميع اعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر تحسرا يؤثر ان



يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق اعني فراق ما كان يطمين اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقته لبقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم ياخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة وكان يود ان تنقطع ضرورته ليستغني عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه انواع من العذاب والالام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد لنوع اخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمين اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحرمه اعتمادا على ان الملك يتساهل في امره او على ان الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط غيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يتشفع اليه في العصاة عليه فانظر الى حال هذا الماخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحيا والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغرور بالدنيا المطمين اليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله منها فان الخزي والافتضاح وهتك الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها اولو البصاير بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة العين وتشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطا عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحيوة ومعرفة الحيوة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه ان يتكلم فيها ولا ان يزيد على ان يقول الروح من امر ربي فليس لاحد من علما الدين ان يكشف سر الروح وان اطلع عليه وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها ايات واخبار كثيرة اما الايات فما ورد في حق الشهدا اذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم ولما قتل صناديد العرب يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه فقال يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال صلى الله عليه والذي نفسي بيده انهم لاسمع بهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص في بقا روح الشقي وبقا ادراكها ومعرفتها والاية نص في بقا ارواح الشهدا ولا يخلو الميت عن سعادة او شقاوة وقال صلى الله عليه القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنان وهذا نص في ان الموت تغير الحال فقط وان ما يكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تاخر وانما تاخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله وروى انس عن النبي عليه السلام انه قال الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته وقال صلى الله عليه اذا مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار ويقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من العذاب والنعيم في الحال وعن ابي قيس انه قال كنا مع علقمة في جنازة فقال اما هذا فقد قامت قيامته وقال علي رضي الله عنه حرام على نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم من اهل الجنة هي ام من اهل النار وقال ابو هريرة قال النبي عليه السلام من مات غريبا مات شهيدا ووقي فتاني القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة وقال مسروق ما غبطت احدا ما غبطت مومنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وامن من عذاب الله تعالى وقال يعلى بن الوليد كنت امشي يوما مع ابي الدردا فقلت له ما تحب لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المومن والموت اطلاق المومن من السجن وانما احب قلة المال والولد لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بمن لا بد من فراقه غاية الشقا فكل ما سوى الله وذكره فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمر انما مثل المومن حين تخرج نفسه او روحه مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له انس الا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات توذيه فكان في الموت خلاصه من جميع الموذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عايق ولا دافع وما اجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات واكمل اللذات للشهدا الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علايق الدنيا مشتاقين الى لقا الله راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها بالاخرة والبايع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الاخرة فقد اشتراها ويتشوق اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا راه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله قد يتفق في بعض الاحوال ولكن

لا لانه الموت عليه بسببه والقتال سبب الموت وكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا اعظم النعم اذ معنى الانسان ما يريده
قال الله تعالى ولكم فيها ما تشتهون فكان هذا اجمع عبارة لمعاني لذات الجنة واعظم العذاب ان يمنع الانسان عن مراده كما قال تعالى وحيل
بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لعقوبات اهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تاخير وهذا امر انكشف لارباب
القلوب بنور اليقين وان اردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع احاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة
اخرى فقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه لجابر الا ابشرك يا جابر وكان قد استشهد ابوه فقال بلى بشرك الله
بالخير فقال ان الله تعالى احيا اباك فاقعده بين يديه فقال تمن علي عبدي ما شئت اعطكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان
تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى فقال له انه قد سلف مني انك اليها لا ترجع وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي
فيقال له لم تبكي وانت في الجنة قال ابكي اني لم اقتل في سبيل الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد فاقتل فيه قتلات واعلم ان المؤمن
ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب
الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه اقصاه فيه انواع الاشجار والازهار والطيور والثمار فلا يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب
رسول الله مثلا فقال لرجل مات اصبح هذا قد ترحل من الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا يسر احدكم ان
يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الاخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في
بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا راى الضوء ووضع لم يحب ان يرجع الى مكانه فكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه
لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه وقيل لرسول الله صلى الله عليه ان فلانا قد مات فقال مستريح او مستراح منه اشار بالمستريح
الى المؤمن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه وقال ابو عمر صاحب السقيا مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة
بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب الى يوم القيمة وعن عمرو بن
دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال مالك بن انس بلغني ان ارواح
المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمان بن بشير سمعت رسول الله على المنبر يقول الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب تمور في جوها فالله
الله في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو هريرة قال النبي عليه السلام لا تفضحوا موتاكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم
من اهل القبور ولذلك قال ابو الدرداء اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان خاله وسئل عبد الله
بن عمرو بن العاص عن ارواح المؤمنين اذا ماتوا اين هي قال صور طير بيض في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة وقال ابو سعيد
الخدري سمعت رسول الله يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت
فتقول ارواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان ماواك وفي اي الجسدين كنت في طيب ام خبيث وقال عبيد بن عمير اهل القبور يتوكفون
الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول الم ياتكم او ما قدم عليكم فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا
وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره وروى ابو ايوب الانصاري
عن النبي انه قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان
في كرب شديد فيسالونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سالوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلي قالوا انا لله ذهب
الى امه الهاوية **كلام القبر للميت** وكلامه للموتى اما بلسان المقال او بلسان الحال التي هي افصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في
تفهيم الاحياء قال رسول الله صلى الله عليه يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن ادم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة و
بيت الدود ما غرك بي اذ كنت تمر بي فذاذا فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب القبر فيقول ارايت ان كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر
اني اذا اتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله تعالى والفذاذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر اخرى كذلك فسره الراوي
وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت
اليوم عليك رحمة وان كنت عاصيا فانا عليك اليوم نقمة انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح





بلغني ان الرجل اذا وضع في قبره فعذب او اصابه بعض ما يكره ناداه بعض جيرانه من الموتى ايها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اما كان
لك فينا معتبر اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما رايت انقطاع اعمالنا عنا وانت في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها
المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه محمولا تهاداه
احبته الى المنزل الذي لابد منه وقال يزيد الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله فقالت ايها العبد المنفرد في حفرته
انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا انيس لك اليوم عندنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته اعماله الصالحة الصلوة والصيام والحج
والجهاد والصدقة قال فتجي ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلوة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد طال ما قام لله عليهما فياتونه من قبل
راسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد طال ظماه لله في الدنيا فلا سبيل لكم عليه فياتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه
فقد انصب نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه فياتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من
هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتاتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا
من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وقال عبد الله بن عبيد في جنازة
بلغني ان رسول الله قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء الا قبره فيقول ويحك ابن ادم اليس قد حذرتني وحذرت ضيقي
ونتني وهولي ودودي فما ذا اعددت لي **عذاب القبر وسؤال منكر ونكير** قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه على
جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله على قبره منكسا راسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلثا ثم قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الاخرة
بعث الله ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون منه مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض
وكل ملك في السماء وفتحت ابواب السماء فليس منها باب الا يحب ان تدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل اي رب عبدك فلان فيقول
ارجعوه فاروه ما اعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الاية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا
من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد قال فينتهرانه انتهارا شديدا وهي اخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال
ذلك نادى مناد ان صدقت وهو معنى قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا الاية ثم ياتيه ات حسن الوجه طيب الريح
حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وانت فبشرك الله بخير من انت فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت ان
كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له فرشا من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش
له فرش من الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال واما الكافر فاذا كان في قبل من الاخرة وانقطاع
من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك
في السماء وتغلق ابواب السماء فليس منها باب الا يكره ان تدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل اي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا ارض
فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الاية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال
له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيقول لا دريت ثم ياتيه ات قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط من
الله وبعذاب اليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك
الله شرا فيقول وانت فجزاك الله شرا ثم يقيض له اصم اعمى ابكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على ان يقلوها لم يستطيعوا او وضعت
بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم يعود فيه الروح فيضرب بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارض الا الثقلين قال ثم ينادي مناد
ان افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت يموت الا مثل له عند
الموت اعماله الحسنة واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته وقال ابو هريرة قال النبي ان المؤمن اذا احتضر اتته الملائكة
بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضيا عنك الى روح الله
وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة
بمسح فيه جمر فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت

روحه وضعت على تلك الخرقة وان لها نشيشا وتطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين وعن محمد بن كعب القرظي انه كان يقرأ قوله تعالى
حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال اي شيء تريد في اي شيء ترغب اتريد ان ترجع لتجمع المال او تغرس الغراس
او تبني البنيان او تشقق الانهار فقال لا لعلي اعمل صالحا فيما تركت فقال الجبار كلا انها كلمة هو قائلها اي ليقولنها عند الموت وقال ابو هريرة
قال النبي المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما انزلت فان له
معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل
حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغي ان يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه الحيات
والعقارب بعدد اعداد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها اصولا معدودة ثم تتشعب
منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها الى اقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي باعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوي منها
يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذي ايذاء الحية وارباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات
وانشعاب فروعها الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة وامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية لكنها عند ارباب
البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي ان ينكر ظواهرها بل اقل درجات الايمان التسليم والتصديق فان قلت فنحن نشاهد الكافر
في قبره مدة ونراقبه فلا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلاث مقامات في التصديق بامثال هذا
احدها وهو الاظهر والاصح والاسلم ان تصدق بانها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة
الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بانه
عليه السلام يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح اصل الايمان بالملائكة والوحي اهم عليك وان آمنت به وجوزت ان يشاهد النبي ما لا يشاهده
الامة فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات
عالمنا بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة اخرى المقام الثاني ان تتذكر امر النائم وانه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى
تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولا
ترى حواليه حية والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد واذا كان العذاب في الم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد
المقام الثالث انك تعلم ان الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها هو السم ثم السم ليس هو الالم بل عذابك في الاثر الذي يحصل فيك من السم
فلو حصل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذي يفضي اليه في
العادة فانه لو خلق في الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها الا بالاضافة اليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب
ويكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس
عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود الحيات وانقلاب الصفة مؤذية يضاهي انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق
فانه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلما حتى يرد على القلب من انواع العذاب ما يتمنى معه انه لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو
احد انواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه ومعارفه ولو اخذ جميع ذلك
في حياته من لا يرجو استرجاعها منه فماذا ترى يكون حاله اليس يعظم شقاؤه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط فليس
لا يتأذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيا وتركها دفعة واحدة فكيف يكون حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد فما حال من
لا يفرح الا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا ويسلم الى ضده ثم يضاف الى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله تعالى فان حب غير الله
يحجبه عن لقاء الله والتنعم به فيتوالى عليه الم فراق جميع محبوباته وحسرته على ما فاته من نعيم الآخرة ابد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى وذلك هو
الذي يعذب به اذ لا يشعله العراق الا الجحيم قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم واما من لم يانس بالدنيا ولم يحب
الا الله وكان مشتاقا الى لقاء الله تعالى فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف
وتوفر عليه النعيم مع الامن من الزوال ابد الآباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون والمقصود ان الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين ان يؤخذ منه

ومن

ومن ان يلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب فاذا الم فراق الفرس عنده اعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه اذا
اخذ منه فرسه فليستعد لمثل هذه اللدغات فان الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره واهله وولده واحبته ومعارفه ويأخذ منه جاهه
وقبوله بل يأخذ منه سمعه وبصره وييأس عن رجوع جميع ذلك اليه فاذا لم يحب سواه وقد اخذ جميع ذلك منه كان ذلك اعظم عليه من العقارب والحيات
ولو اخذ ذلك منه وهو حي فيعظم عذابه فكذلك اذا مات لانا قد بينا ان المعنى المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت اشد
لانه في الحياة يتسلى باسباب يشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود اليه ويتسلى برجاء العوض عنه والسلو بعد الموت
اذ قد انسد عليه طرق التسلي وحصل اليأس فاذا كل قميص له ومنديل مما كان قد احبه بحيث كان يشق عليه لو اخذ منه فانه يبقى متأسفا
عليه ومعذبا به فان كان يخلو من الدنيا سلم وهو المعنى بقوله نجا المخففون وان كان مثقلا اعظم عذابه وكما ان حال من يسرق منه دينار
اخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم اخف من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله صلى الله عليه صاحب الدرهم
اخف حسابا من صاحب الدرهمين وما من شيء من الدنيا يخلف عنك عند الموت الا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستقل وان شئت فاستكثر
فان استكثرت فلست مستكثرا الا من الحسرة وان استقللت فلست تخفف الا عن ظهرك وانما تكثر الحيات والعقارب في القبور للاغنياء الذين
استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا اليها فهذه مقامات الايمان في حيات القبر وعقاربه وفي سائر انواع عذابه راى
ابو سعيد الخراز ابنا له قد مات في المنام فقال يا بني عظني قال لا تخالف الله تعالى فيما يريد قال يا بني زدني قال يا ابي لا تطيق قال قل قال لا تجعل
بينك وبين الله قميصا فلبس قميصا ثلاثين سنة فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث فاعلم ان في الناس من لم يثبت الا الاول
وانكر ما بعده ومنهم من انكر واثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا الثالث واما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان
وان من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره فينكر من افعال الله تعالى ما لم يأنس به ويألفه و
ذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاث في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع ورب عبد
يجمع عليه هذه الانواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا
والذي اوصيك به ان لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيف ما كان فان اهملت العمل والعبادة
واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع انفه فاخذ طول الليل يتفكر في انه هل يقطعه بسكين او بموسى او
بسيف واهمل طريق الحيلة في دفع اصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عذاب عظيم او نعيم
مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد له فاما البحث عن تفصيل العذاب والثواب ففضول وتضييع زمان سؤال منكر ونكير وصورتهما
وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما
منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي فان كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره فيقال له نم فيقول دعوني ارجع الى
اهلي فاخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله
صلى الله عليه لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك
وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلون عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف
واعينهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويبحثان القبر بانيابهما فيتلتلاك وترترك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي مثل عقلي
الآن قال نعم قال اذا اكفيكهما وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام
واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الاعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك
للاشياء ولو تناثرت اعضاء الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك الذي لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك
بعد الموت فان ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم وقال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر في قبره يسلط عليه دابة عمياء صماء في يدها سوط
من حديد في رأسه مثل غارب الجمل تضربه به الى يوم القيامة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في قبره جاءت

اعمالك الصالحة تحتوشه فان اتاه من قبل راسه جاءت قراءة القرآن وان اتاه من قبل رجليه جاء قيامه وان اتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه وان جاء من قبل فمه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلوة والصبر ناحية فيقول اما اني لو رايت خللا لكنت انا صاحبه قال سفيان تحاجش عنه اعماله الصالحة كما يحاجش الرجل عن اخيه واهله وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك نعم الاخلاء اخلاؤك ونعم الاصحاب اصحابك وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله في جنازة فجلس على راس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المومن في هذا ضغطة تزول منها حمائله وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة لو سلم او نجا منها احد لنجا سعد بن معاذ وعن انس قال توفيت زينب بنت رسول الله وكانت امراة مسقامة فتبعها رسول الله فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله راينا منك شيئا فمم ذاك قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فاتيت فاخبرت ان قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين والله اعلم

## الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

اعلم ان انوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ومن مناهج الاعتبار تعرفنا احوال الموتى على الجملة وانقسامهم الى سعداء واشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف به اصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له وان عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه واذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما يرى بعين اخرى خلقت تلك العين في قلب كل انسان ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله الدنيا وبه صارت لا يبصر بها ولا يتصور ان يبصر بها شيئا من عالم الملكوت ما لم ينقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة عن اعين الانبياء فلا جرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا عجائبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم واخبروا عنهم ولذلك راى رسول الله ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال ابي جابر لما استشهد اذ اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبياء والاولياء الذين تقرب درجتهم منهم وانما الممكن في امثالنا مشاهدة اخرى ضعيفة الا انها ايضا مشاهدة نبوية واعني بها المشاهدة في المنام وهي من انوار النبوة كما قال النبي عليه السلام الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهو ايضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة عن القلب ولذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر فساده ومعاصيه اظلم قلبه فكان ما يراه اضغاث احلام ولذلك امر رسول الله بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة الى طهارة الباطن ايضا فهو الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها فمهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقلما يخلو الانسان عن منامات دلت على امور فوجدها صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله وبدائع فطرة الآدمي وهو من اوضح الدلالة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علوم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب مثاله مثال مراة تتراءى فيها الصور وحقائق الامور وان كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم الى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب او حديد او عظم وان الكتاب من كاغد او رق بل ينبغي ان تفهم قطعا ان لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذات الله وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب مثالا يقربه الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كانه حين يقرؤه ينظر اليه ولو فتشت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله وقضاه واللوح في المثال كمراة تظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المراة مراة اخرى لكانت صورة تلك المراة تتراءى في هذه الا ان يكون بينهما حجاب فالقلب مراة تقبل رسوم العلوم واللوح مراة رسوم العلوم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت فان هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلالا في مراة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب

وما دام مستيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم ان تركد الحواس فلا تورد على القلب فاذا تخلص منها ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مراة في مراة اذا ارتفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات اثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال فيحتاج المعبر ان ينظر ان هذا الخيال حكاية اي معنى من المعاني فيرجع الى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني وامثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو ان رجلا قال لابن سيرين رايت كان بيدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان فقال صدقت فانظر ان روح الختم هو المنع ولاجله يراد الختم وانما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس من الاكل والشرب ولكن الخيال الف المنع عند الختم بالخاتم فمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذي لا تنحصر عجائبه وكيف لا وهو اخو الموت وانما الموت هو عجيب من العجائب وهذا يشبهه من وجه ضعيف اشبه في كشف الغطاء عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فما ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تاخير نفسه اما محفوفة بالانكال والمخازي والفضائح ونعوذ بالله من ذلك واما في نعيم مقيم وملك كبير لا آخر له وعند هذا يقال للاشقياء وقد انكشف الغطاء لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقيل افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا انما تجزون ما كنتم تعملون واليهم الاشارة بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فاعلم الخلق واعرف الخلق ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر بباله قط ولا اختلج بضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا الفكر في خطر تلك الحال وان الحجاب عما ذا يرتفع وما الذي ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة او سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا واسبابنا واولادنا بل باعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن اين من نفث روح القدس في روعه فقيل له ما قيل لسيد المرسلين احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وان حبه ملك مجامع قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب وقد قال لامته قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فما احبته الا من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فانه ما دعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من احبته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك الا لاجل الدنيا العاجلة ثم تطمع ان تكون غدا من اتباعه واشياعه ما ابعد ظنك وما ابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا فيه فقد امتد عنان الكلام الى غير مقصده ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات

## بيان منامات تكشف عن احوال الموتى والاعمال النافعة في الآخرة

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من راني فقد راني فان الشيطان لا يتمثل بي وقال عمر بن الخطاب رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فرايته لا ينظر الي فقلت يا رسول الله ما شاني فالتفت الي وقال الست المقبل وانت صائم قال والذي بعثك بالحق لا اقبل بعدها امراة وانا صائم ابدا وقال ابن عباس كنت وددت العمر فاشتهيت ان اراه في المنام فما رايته الا عند قرب الحول فرايته يمسح العرق عن جبينه ويقول هذا اوان فراغي ان كاد عرشي ليهد لولا اني لقيته رؤوفا رحيما وقال الحسين قال لي علي ان رسول الله سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير لي منهم وابدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم وقال بعض الشيوخ رايت رسول الله فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك لم تسال شيئا قط فقلت لا فاقبل علي وقال غفر الله لك وروي عن

العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لابي لهب مصاحبا له فلما مات واخبر الله عنه بما اخبر حزنت عليه واهمني امره فسالت الله ان يريني
اياه في المنام قال فرايته يلتهب نارا فسالته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح لي الا ليلة الاثنين في كل الليالي والايام
قلت وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه فجاتني اميمة فبشرتني بولادة امنة اياه ففرحت به واعتقت وليدة لي فرحا به فاثابني الله بذلك
ان يرفع عني العذاب في كل ليلة الاثنين وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا
وصلى على النبي فسالته عن ذلك فقال اخبرك عن ذلك خرجت اول مرة الى مكة ومعي ابي فلما انصرفت نمت في بعض المنازل فبينا انا نايم اذ اتاني آت
فقال لي قم فقد امات الله اباك وسود وجهه قال فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت اسود الوجه فدخلني من ذلك رعب فبينما
انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على راس ابي اربعة سودان معهم عمد من حديد اذ اقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين فقال لهم
تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني فقال قم فقد بيض الله وجه ابيك فقلت له من انت بابي انت وامي فقال انا محمد قال فقمت فكشفت الثوب عن وجه ابي فاذا
هو ابيض فما تركت الصلوة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وعن عمر بن عبد العزيز قال رايت رسول الله صلى الله عليه وابو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان
فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذ اتي بعلي ومعوية فادخلا بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع ان خرج علي وهو يقول
قضي لي ورب الكعبة فما كان باسرع ان خرج معوية على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة واستيقظ ابن عباس من نومه مرة فاسترجع فقال قتل
الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فانكر اصحابه فقال رايت رسول الله ومعه زجاجة من دم فقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي قتلوا ابني الحسين
فهذا دمه ودم اصحابه ارفعها الى الله عز وجل فجاء الخبر بعد اربعة وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي راه وروي الصديق فقيل له انك كنت
تقول في لسانك ان هذا اوردني الموارد فما فعل الله بك قال قلت به لا اله الا الله فاوردني الجنة منامات المشايخ رضي الله عنهم قال
بعض المشايخ رايت منهم الدوقي في المنام فقلت يا سيدي ما فعل الله بك قال ديرني في الجنان فقيل لي يا هيثم هل استحسنت فيها شيا فقلت
لا يا سيدي فقال لو استحسنت منها شيا لوكلتك اليها ولم اوصلك الي وروي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي
فقيل بماذا قال بما خلطت جدا بهزل وعن منصور بن اسمعيل قال رايت عبد الله البزاز في النوم فقلت ما فعل الله بك قال وقفني الله بين يديه فغفر لي
كل ذنب اقررت به الا ذنبا واحدا كنت استحيي ان اقربه فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت الى غلام جميل
فاستحسنته فاستحييت من الله ان اذكره وقال ابو جعفر الصيدلاني رايت رسول الله في المنام وحوله جماعة من الفقرا فبينا نحن كذلك اذا انشقت
السما ونزل ملكان احدهما بيده طست والاخر ابريق فوضع الطست بين يدي رسول الله فغسل يديه ثم امر حتى غسلوا ايديهم ثم وضع الطست بين يدي
فقال احدهما للاخر لا تصب على يديه فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اليس قد روي عنك انك قلت المرء مع من احب قال بلى فقلت يا رسول الله فاني
احبك واحب هولاء الفقرا فقال صب على يديه فانه منهم وقال الجنيد رايت في النوم كاني اتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال اقرب ما تقرب به
المتقربون ماذا فقلت عمل خفي بميزان وفي فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله وروي مجمع في النوم فقيل كيف رايت الامر فقال رايت الزاهدين
في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والاخرة وقال رجل من اهل الشام للعلاء بن زياد رايتك في النوم كانك في الجنة فنزل عن مجلسه واقبل عليه ثم قال لعل
الشيطان اراد امرا فعصمت منه فاشخص رجلا يقتله علي وقال محمد بن واسع الرويا تسر المومن ولا تغره وقال صالح بن بشر رايت عطا السلمي
في النوم فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دايما فقلت في اي الدرجات انت قال
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الاية وسيل زرارة بن اوفى في المنام اي الاعمال افضل عندكم قال الرضى وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور
رايت الاوزاعي في المنام فقلت يا ابا عمرو دلني على عمل اتقرب به الى الله قال ما رايت هنالك درجة ارفع من درجة العلما ثم درجة المحزونين قال
وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه وقال ابن عيينة رايت اخي في المنام فقلت يا اخي ما فعل الله بك قال كل ذنب استغفرت منه غفر لي
وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال علي الطلحي رايت في المنام امراة لا تشبه نسا الدنيا فقلت من انت فقالت حورا فقلت زوجيني نفسك فقالت
اخطبني الى سيدي وامهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن افاتها وقال ابرهيم بن اسحق الحربي رايت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك قالت
غفر لي فقلت لها بالنفقة في طريق مكة قالت اما النفقات التي انفقتها رجعت اجورها الى اربابها وغفر لي بنيتي ولما مات سفين الثوري روي في
المنام فقيل ما فعل الله بك قال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال احمد بن ابي الحواري رايت فيما يرى النايم جارية ما رايت

احسن منها وكان يتلالا وجهها فقلت لها مما ضو وجهك فقالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعك فمسحت
بها وجهي فمن ثم ضو وجهي كما ترى وقال الكتاني رايت الجنيد في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك العبارات و
ما حصلنا الا على ركيعات كنا نصليها في السحر وريت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله بك فقالت غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله افني بها
عمري لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي لا اله الا الله القى بها ربي وروي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله
بك فقال رحمني ربي وقال يا بشر اما استحييت مني كنت تخافني كل ذلك الخوف وروي ابو سليمن في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني
وما كان شي اضر علي من اشارات القوم الي وقال ابو بكر الكتاني رايت في النوم شابا لم ار احسن منه فقلت من انت قال التقوى قلت
فاين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امراة سودا فقلت من انت فقالت السقم قلت فاين تسكنين قالت كل قلب فرح
مرح قال فتنبهت واعتقدت الا اضحك الا غلبة وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ابليس وثب علي فاخذت العصا لاضربه
فلم يفزع منها فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف من هذه انما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي رايت ابليس في المنام فقلت اما
تستحيي من الناس فقال بالله ما هولا ناس لو كانوا من الناس ما كنت العب بهم طرفي النهار كما يلعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هولاء
قد اسقموا جسمي واشار بيده الى اصحابنا الصوفية وقال ابو سعيد الخراز كنت في دمشق فرايت في المنام كان النبي صلى الله عليه جاني
متكيا على ابي بكر وعمر فجا فوقف علي وانا اقول شيا من الاصوات وادق في صدري فقال شر هذا اكبر من خيره وقال النبي عسنه قال رايت
كاني في الجنة نظرت الى شجرة فقلت لها اوصني فقال اقل من معرفة الناس وروي ابو حاتم الرازي عن
قبيصة بن عقبة قال رايت سفيان الثوري فقلت ما فعل الله بك فقال نظرت الى ربي كفاحا فقال لي هنيا رضاي عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قواما اذا اظلم الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد فدونك فاختر اي قصر اردته وزرني فاني منك غير بعيد وريي الشبلي بعد
موته بثلثة ايام فقيل له ما فعل الله بك فقال ناقشني حتى ايست فلما راى ياسي تغمدني برحمته وريي مجنون بني عامر في المنام فقيل له ما فعل
الله بك فقال غفر لي وجعلني حجة على المحبين وريي الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمني فقيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو
ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين وروي بعضهم فسيل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا وريي مالك بن انس فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان عند روية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت وريي في الليلة التي مات الحسن البصري كان ابواب السما
مفتحة وكان مناديا ينادي الا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض وريي الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك فقال شعر ولا تكتب بخطك غير شي
يسرك في القيامة ان تراه وراى الجنيد ابليس في المنام عريانا فقال الا تستحيي من الناس فقال وهولاء ناس الناس اقوام في مسجد الشونيزية
قد اضنوا جسدي واحرقوا كبدي قال الجنيد فلما اصبحت غدوت الى المسجد فرايت جماعة قد وضعوا روسهم على ركبهم يتفكرون فلما راوني
قالوا لا يغرنك حديث الخبيث وريي النصراباذي بمكة بعد وفاته في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت
يا ابا القسم بعد الاتصال انفصال فقلت لا يا ذا الجلال فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالاحد وراى عتبة الغلام حورا في المنام على صورة
حسنة فقالت يا عتبة انا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الاعمال شيا تحال بيني وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلثا لا رجعة لي عليها حتى القاك
وقيل راى ابو ايوب السختياني جنازة عاص فدخل الدهليز لئلا يصلي عليها فراه بعضهم الميت في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي وقال
لي قل لايوب قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وقال بعضهم رايت الليلة التي مات فيها داود الطائي نورا
وملايكة نزولا وملايكة صعودا فقلت اي ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال ابو سعيد الشحام
رايت سهلا الصعلوكي في المنام فقلت ايها الشيخ قال دع التشييخ قلت تلك الاحوال التي شاهدتها قال لم تغن عنا فقلت ما فعل الله بك قال
غفر لي بمسايل كان يسال عنها العجز وقال ابو بكر الرشيدي رايت محمد الطوسي المعلم في النوم فقال لي قل لابي سعيد المودب الصفار شعر
وكنا على ان لا نحول عن الهوى فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا قال فانتبهت فاديت اليه ذلك فقال كنت ازور قبره كل جمعة فلم ازره هذه الجمعة
وقال ابن راشد رايت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فما صنع بك ربك قال غفر لي مغفرة احاطت بكل ذنب قلت
فسفين الثوري قال بخ بخ ذلك من الذين انعم الله عليهم من النبيين الاية وقال الربيع بن سليمن رايت الشافعي بعد وفاته في المنام فقلت يا ابا عبد الله

ما صنع بك قال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب ورأى رجل من اصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كأن مناديا ينادي
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن بن ابي الحسن على اهل زمانه وقال ابو يعقوب القاري الدقيقي
رأيت في منامي رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا قالوا اويس القرني فاتبعته فقلت له اوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت
مسترشد فارشدني ارشدك الله فاقبل علي وقال ابتغ رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم
ولى وتركني وقال ابو بكر بن ابي مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا ورقاء قال نجوت بعد كل جهد قلت فأي الاعمال وجدتم افضل قال
البكاء من خشية الله وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية في طاعون الجارف فلقيها ابوها في النوم فقال لها يا بنية اخبريني عن الآخرة قالت يا ابت
قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان او ركعة او ركعتان في صحيفة عملي احب الي من الدنيا وما فيها
وقال بعض اصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة في المنام فقلت ما صنع الله بك فقال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك فلما اصبحت جئت الى
بيتي فاذا خط عتبة في حائط البيت مكتوب يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين
كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين وقال موسى بن حماد
رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة الى نخلة ومن شجرة الى شجرة فقلت يا ابا عبد الله بم نلت هذا قال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذاك لا يكاد د
يرى الا كما يرى الكوكب ورأى رجل من اهل بعض النبي في المنام فقال يا رسول الله عظني قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو في النقصان ومن كان
في النقصان فالموت خير له وقال الشافعي وهي في هذه الايام امر اهمني واكمدني ولم يطلع عليه غير الله فلما كان البارحة اتاني آت في منامي
فقال يا محمد بن ادريس قل اللهم اني لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع ان آخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا
ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية فلما اصبحت اعدت ذلك فلما ترحل النهار اعطاني الله طلبتي وسهل لي الخلاص مما
كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها فهذه جملة من المكاشفات تدل على احوال الموتى وعلى الاعمال المقربة الى الله تعالى زلفى فلنذكر بعد
هذا ما بين يدي الموتى من اول نفخة الصور الى آخر القرار اما في الجنة او النار

## الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت في احوال الميت

من اول نفخة الصور الى آخر الاستقرار في الجنة او النار وتفصيل ما بين يديه من الاهوال والاخطار وفيه بيان نفخة الصور وصفة ارض المحشر
واهله وصفة عرق اهل المحشر وصفة طول يوم القيامة وصفة يوم القيامة ودواهيه واساميه وصفة المساءلة عن الذنوب
وصفة الميزان وصفة الخصماء ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم واهوالها
وانكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة واصناف نعيمها وعدد الجنان وابوابها وغرفها وحيطانها وانهارها واشجارها ولباس
اهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر الى وجه الله تعالى وباب في سعة رحمة الله
تعالى وبه ختم الكتاب ان شاء الله

### صفة نفخة الصور

قد عرفت فيما سبق شدة احوال الميت في سكرات الموت وخطره في خوف العاقبة
ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ثم عذاب القبر وخطره ان كان مغضوبا عليه واعظم من ذلك كله الاخطار التي بين
يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير والجواز
على الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد واما بالاشقاء فهذه احوال واهوال
لا بد لك من معرفتها ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم اعمال الفكر فيها لتنبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها واكثر الناس لم يدخل
الايمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء افئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم
وبرد زمهريرها مع ما يكتنفه من المصاعب والاهوال بل اذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به السنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن اخبر بأن ما بين يديه من
طعام مسموم فقال لصاحبه الذي اخبره صدقت ثم مد يده لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل ابلغ من تكذيب اللسان وقد قال
النبي عليه السلام قال الله تعالى يشتمني ابن آدم وما ينبغي له ان يشتمني ويكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه
فيقول لن يعيدني كما بدأني وانما قصور الخواطر عن توهم النشء والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لامثال تلك الامور ولو لم يشاهد
الانسان توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به

ولذلك

ولذلك قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى
ففي خلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب اعضائه اعاجيب تزيد على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى
وحكمته من يشاهد ذلك في صنعته وقدرته فان كان في ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في النشأة الاولى فان الثانية مثلها واسهل منها
وان كنت قوي الايمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار واكثر فيها التفكر والاعتبار ليسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر
للعرض على الجبار وتفكر اولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فانها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة
واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من قرنك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العينين نحو النداء
وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد ازعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة
الامر كما قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وقال تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير وقال الله
تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون فلو لم يكن بين يدي الموتى الا هول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات ومن في الارض يعني يموتون
بها الا من شاء الله وهم بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة واصغى بالاذن
متى يؤمر فينفخ وقال مقاتل الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات
والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من في السموات والارض اي مات كل حيوان من شدة
الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت ان يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل
ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى في البرزخ اربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيأمره ان ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم
نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام على ارجلهم ينظرون الى البعث قال صلى الله عليه وسلم بعثت انا وصاحب الصور فاهوى بيده الى فيه وقدم رجلا
واخر اخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ الا فاتقوا النفخ فينظر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة والنظر لما
تقضي عليهم من سعادة او شقاوة وانت فيما بينهم منكس كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من اهل التنعم والاغنياء المتنعمين فملوك
الدنيا في ذلك اليوم هم اذل اهل الجمع واصغرهم واحقرهم يوطئون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من الجبال والبراري منكسة
رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتها شدة الصعقة وهول النفخة وشغلها ذلك عن
الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة
لهيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك

### صفة ارض المحشر واهله

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة الى ارض المحشر ارض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا
ولا امتا ولا ترى عليها ربوة يختفي الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليها
زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة
هي النفخة الثانية وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار ان تكون خاشعة قال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ارض
بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لاحد قال الراوي والعفرة بياض ليس بالناصع والنقي هو النقي عن القشر والنخالة والمعلم اي بناء يستر
ولا تفاوت يرد البصر ولا تظن ان تلك الارض مثل ارض الدنيا بل لا تشابهها الا في الاسم قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ت
وقال ابن عباس يزاد فيها وينقص ويذهب اشجارها وجبالها واوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي ارض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها
دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات يذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فاذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد
تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس القمر والشمس واظلمت الارض بخمود سراجها فبينما هم كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت مع
غلظها وشدتها وغلظها خمسمائة عام والملائكة قيام على ارجائها وحافاتها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء

مع صلابتها وشدتها ثم تهي وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السما كالمهل وصارت الجبال كالعهن المنفوش
واشتبك الناس كالفراش المبثوث فاذا اجملت فيما عملت فلست تدري حال تحصيلك وسوف يعرض عليك العامة ومن صيل ولا اباديه وحسا وبه قال انس
شهدت عليك جوارحك قال انس كنا مع رسول الله فضحك فقال اتدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من محاطبة العبد ربه يقول العبد يا رب
الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على
فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول لاعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من الافتضاح على
ملأ الخلق بشهادة الاعضاء الا ان الله وعد المؤمن ان يستر عليه ولا يطلع عليه غيره سال ابن عمر رجل فقال كيف سمعت رسول الله في النجوى قال
قال رسول الله يدنو احدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول اني سترتها عليك في الدنيا و
انا اغفرها لك اليوم وقد قال عليه السلام من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة فهذا انما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه
تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهو جدير بان يجازى بمثله في القيامة وهب انه قد ستر عليك عن غيرك
اليس قد قرع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طاير وفرايصك مرتعدة وجوارحك
مضطربة ولونك متغير والعالم من شدة الهول عليك مظلم فقدر نفسك وانت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما يقاد الفرس المجنوب
وقد رفعت الخلايق اليك ابصارهم وتوهم نفسك في ايدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من ايديهم وناداك الله سبحانه بعظيم
كلامه يا ابن ادم ادن مني فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة غفلت عن افاتها فانكشفت لك عن مساويها ولم لك من حصر وعجز وليت شعري باي قدم تقف بين يديه وباي لسان
تجيب وباي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في عظم حيائك اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي اما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي فاظهرت
لهم الجميل اكنت اهون عليك من ساير عبادي استخففت بنظري اليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري الم انعم عليك فماذا غرك بي اظننت اني لا اراك وانك
لا تلقاني قال رسول الله ما منكم من احد الا ويسأله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال عليه السلام ليقفن احدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب
فيقول له الم انعم عليك فيقول بلى فيقول الم ارسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق احدكم النار
ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة قال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله تعالى به كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن ادم ما غرك بي يا ابن ادم
ما عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين يا ابن ادم الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر بها الى ما لا يحل لك الم اكن رقيبا على اذنيك وهكذا حتى عد ساير
الاعضا وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يساله عن اربع خصال عن عمره فيما افناه وعن علمه فيما عمل به وعن جسده فيما ابلاه
وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه فاعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فانك بين ان يقال لك سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فعند ذلك
يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الاولون والاخرون واما ان يقال للملايكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت عليك السماء
والارض لكان ذلك جديرا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعت به اخرتك من دنياك ثم لم يبق معك صفة الميزان ثم
لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب الى الايمان والشمايل فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق اسود فيلتقطهم
لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار وتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقسم اخر لا سيئة لهم فينادي المنادي ليقم
الحامدون لله تعالى على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيع عن ذكر الله وينادى
عليهم سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الاكثرون خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم
ولكن يابى الله الا ان يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب
الميزان وتشخص الابصار الى الكتب اتقع في اليمين او في الشمال ثم الى لسان الميزان ايميل الى جانب الحسنات او السيئات وهذه حالة هايلة تطيش فيها
عقول الخلايق روى الحسن ان رسول الله كان راسه في حجر عايشة فنعس فذكرت الاخرة فبكت حتى سال دمعها على خد رسول الله فانتبه فقال ما يبكيك
يا عايشة قالت ذكرت الاخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيامة قال نعم والذي نفسي بيده الا في ثلث مواطن فان احدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت
الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن ادم ايخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف حتى ينظر ابيمينه ياخذ كتابه ام بشماله وعند الصراط وعن انس قال يؤتى

بابن ادم

ومنها يحشر الناس [illegible] وهم حفاة عراة مشاة

بابن ادم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلايق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها
ابدا وان خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلايق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وعند خفة الميزان يقبل الزبانية بايديهم مقامع
من حديد وعليهم ثياب من نار فياخذون نصيب النار الى النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة انه يوم ينادي الله تعالى فيه ادم فيقول قم
يا ادم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل الف تسعماية وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك ابلسوا حتى ما اوضحوا بضاحكة فلما راى النبي
الذي عند اصحابه قال اعملوا وابشروا فوالذي نفسي بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع احد قط الا كثرتاه مع من هلك من بني ادم وبني ابليس قالوا وما هما
يا رسول الله قال ياجوج وماجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفسي بيده ما انتم في الناس يوم القيامة الا كالشامة في جنب
البعير او كالرقمة في ذراع الدابة صفة الخصما ورد المظالم قد عرفت هول الميزان وخطره وان الاعين شاخصة الى لسان الميزان فمن
ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية واعلم انه لا ينجو من خطر الميزان الا من حاسب نفسه في الدنيا ووزن فيها بميزان
الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب عن
كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصير في فرايض الله تعالى ويرد المظالم حبة حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء
ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة حتى يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم احاطت به خصماؤه فهذا اخذ
بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلببه هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزات بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني
وهذا يقول جاورتني فاسات جواري وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني واخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت
في سعر متاعك وهذا يقول رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم فداهنت الظالم وما
راعيتني فبينا انت كذلك وقد انشب الخصما فيك مخالبهم واحكموا في تلابيبك ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك احد عاملته على
درهم او جالسته في مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة او خيانة او نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء الى سيدك
ومولاك لعله يخلصك من ايديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار
وتتذكر ما انذرك الله به على لسان رسوله حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم
الاية فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك اموالهم وما اشد حسراتك في ذلك اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب
السياسة وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على ان ترد حقا او تظهر عذرا فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك
عوضا عن حقوقهم قال ابو هريرة قال رسول الله اتدرون من المفلس قالوا المفلس يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من امتي من ياتي يوم القيامة
بصلوة وزكوة وصيام وياتي وقد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت
حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم لك حسنة من افات الريا
ومكايد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك واخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت مواظب على صيام النهار
وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عليك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من اكل الحرام والشبهات
والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجما من القرنا فقد روى عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى شاتين ينتطحان
فقال يا ابا ذر اتدري فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة وقال ابو هريرة في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه
الا امم امثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهايم والدواب والطير وكل شي فيبلغ من عدل الله عز وجل ان ياخذ للجما من القرنا ثم يقول كوني ترابا
فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف انت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك فتقول اين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة
خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال
هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وساير اصناف
المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس ان تعبد الاصنام بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما دون ذلك بالمحقرات
وهي الموبقات فاتقوا المظالم ما استطعتم فان العبد ليجي يوم القيامة بامثال الجبال من الطاعات فيرى انهن سينجينه فما زال عبد يجي فيقول يا رب

[illegible] ان فلانا ظلمني [illegible]

ويهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت سودة زوج النبي
فقلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض قال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فأعظم بيوم تنكشف فيه
العورات ويؤمن فيه مع ذلك عن النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشي على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم وقال أبو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال الذي أمشاهم
على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم وفي طبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف
لأنكر تصور المشي على غير رجل والمشي بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فإياك وأن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في
الدنيا فإنك لو لم تكن شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارا لها فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقف
عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو الشقاوة وأعظم هذه الحالة فإنها عظيمة صفة
العرق ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش
وسباع وطير فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسين فلم
يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به إلا المقربون فمن بين مستظل بالعرش ومن بين مضح لحر الشمس قد صهرته
بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الأقدام وانضاف إليه شدة الخجلة والحياء من
الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من
كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع إلى أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم إلى شحمة
أذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه وقال أبو هريرة
قال عليه السلام يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي
حديث آخر قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس
يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته
ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على رأسه هكذا فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم و
إن فيهم من ينادي ويقول رب أرحني من هذا الكرب ولو إلى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فإنك واحد منهم ولا تدري أين يبلغ بك العرق واعلم
أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله تعالى من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف أو نهي عن منكر
فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات
أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه يوم عظيم شديد طويل مدته صفة طول يوم القيامة يوم تقف الخلائق
شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في أمورهم يقفون ثلاثمائة عام لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة ولا يجدون
فيه روح نسيم وقال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون مقدار ثلاثمائة عام قال وقال عبد الله بن عمرو تلا رسول الله هذه الآية ثم قال كيف
بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم وقال الحسن ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا
فيه أكلة ولم يشربوا فيه شربة حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها و
اشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي إلا دفعهم وقال دعوني دعوني
شغلني أمري عن أمر غيري واعتذر كل واحد بشدة غضب الله وقالوا قد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولا يغضب بعده مثله حتى
يشفع نبينا لمن يؤذن له فيه ولا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار
الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم أن من طال انتظاره للموت في الدنيا لشدة مقاساته الصبر عن الشهوات فإنه يقصر انتظاره في ذلك اليوم
خاصة قال رسول الله لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في
الدنيا فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس في عمرك فالأمر إليك والاستعداد بيديك فاعمل في أيام قصار لأيام طوال تربح



ربح الامتثال للشرع واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة فإنك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلا للتخلص من يوم مقداره
خمسون ألف سنة فلو لم يحصل إلا الخلاص من ذلك اليوم دون نجاة الجنة وخوف النار لكان ذلك يسيرا فتعجل لبيان صفة يوم القيامة ودواهيه
وأساميه فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب أوانه يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب من هوله قد انتثرت والنجوم
الزواهر قد انكدرت والشمس قد كورت والجبال قد سيرت والعشار قد عطلت والوحوش قد حشرت والبحار قد سجرت والنفوس إلى الأبدان قد
زوجت والجحيم قد سعرت والجنة قد أزلفت والجبال قد نسفت والأرض قد مدت يوم ترى الأرض قد زلزلت فيه زلزالها وأخرجت الأرض
أثقالها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم يوم تحمل فيه الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء
فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الأرض
بارزة يوم ترج الأرض رجا وتبس الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم
تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الأرض غير الأرض
والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يوم ترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان يوم يمنع العاصي فيه من الكلام
ولا يسأل فيه عن الإجرام بل يؤخذ بالنواصي والأقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا
بعيدا يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخرت يوم تخرس فيه الألسنة وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين إذ قال
له الصديق أراك قد شبت يا رسول الله قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت فيا أيها القارئ العاجز
إنما حظك من قراءتك أن تمجمج القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقرؤه لكنت جديرا بأن تشق مرارتك فيما شاب منه شعر سيد المرسلين
وإذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن فالقيامة أحد ما ذكر فيه وقد وصف الله تعالى بعض دواهيها وأكثر من أساميها لنقف بكثرة
أساميها على كثرة معانيها فليس المقصود بتكرار الأسامي والألقاب بل الغرض تنبيه أولي الألباب فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر وفي كل نعت
من نعوتها معنى فاحرص على معرفة معانيها ونحن الآن نجمع لك أساميها فهي يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم المحاسبة و
يوم المسائلة ويوم المسابقة ويوم المناقشة ويوم المنافسة ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة
ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الآزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق
ويوم القرار ويوم اللقا ويوم البقا ويوم القضا ويوم الجزا ويوم المساق ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب ويوم المآب و
العذاب ويوم الفرار ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل
ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الفتح ويوم الخزي ويوم عظيم ويوم عسير ويوم عقيم ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم المصير
ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم الجزع ويوم المنتهى ويوم المأوى
ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم المرصاد ويوم القلق ويوم العرق ويوم الافتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق و
يوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم الوعيد ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لا ريب فيه
يوم تبلى السرائر يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا يوم تشخص فيه الأبصار يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا يوم لا تملك نفس لنفس شيئا يوم يدعون إلى
نار جهنم دعا يوم يسحبون في النار على وجوههم يوم تقلب وجوههم في النار يوم لا يجزي والد عن ولده يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوم لا مرد له من الله يوم هم بارزون يوم هم على النار يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم ترد فيه المعاذير يوم تبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الأستار يوم تخشع فيه الأبصار وتسكن الأصوات ويقل فيه
الالتفات ويبرز فيه الخفيات وتظهر الخطيئات ويوم يساق العباد ومعهم الأشهاد ويشيب الصغير ويسكر الكبير فيومئذ وضعت الموازين
ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم وأغلي الحميم وزفرت النار ويئس الكفار وسعرت النيران وتغير الألوان وخرس اللسان ونطقت
جوارح الإنسان فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم حيث أغلقت الأبواب وأرخيت الستور واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور

فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين يرسل الله الينا سيد المرسلين وينزل علينا الكتاب المبين ويخبرنا
بهذه الصفات ونعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه
وهم يلعبون لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقتربت الساعة وانشق القمر انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا
ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ دراسة هذا القرآن عملا ولا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف هذا اليوم واساميه ولا نستعد للخلاص
من دواهيه فنعوذ بالله من هذه الغفلة ان لم يتداركنا الله بواسع الرحمة ... المسكين لم تكن يا مسكين بعد هذه الاحوال فيما تتوجه عليك
من السؤال شفاها ومن غير ترجمان فتسال عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينا انت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها اذ نزلت الملائكة
من ارجاء السماء باجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان ياخذوا بنواصي المجرمين الى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه
ان لله ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هولاء الملائكة ارسلوا اليك لياخذوك الى مقام العرض
الاكبر فترتعد على عظم اشخاصهم منكسرين لشدة ذلك اليوم مستشعرين بما بدا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح
الا ويخرون لاذقانهم خوفا من ان يكونوا هم الماخوذين فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر اقوام من شدة الفزع ويقولون افيكم
ربنا وذلك لعظم مواكبهم وشدة هيبتهم فيفزع الملائكة من سؤالهم اجلالا لخالقهم عن ان يكون فيهم فينادوا باصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه اهل الارض
فقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع والهيبة والخوف
والمهابة لشدة ذلك اليوم وعند ذلك يصدق الله قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين فوربك لنسألنهم
اجمعين عما كانوا يعملون فيبدا بالانبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا فيا لشدة يوم تذهل عقول الانبياء وتمحى علومهم
من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلائق وقد كانوا علموا فيدهش عقولهم فلا يدرون ماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة
لا علم لنا انك انت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون اذ طارت منهم العقول وامحت العلوم الى ان يقويهم الله فيدعى نوح فيقال له هل بلغت
فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير ويوتى بعيسى فيقول الله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فيبقى متشحطا
تحت هيبة هذا السؤال سنين فيا لعظم يوم تقام فيه السياسة على الانبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل الملائكة ينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلان
هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار ولا تعرض قبائح اعمالهم على الجبار
ولا يكشف سترهم على ملا الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب ... كل عبد باقبال الجبار لمسايلة
العباد وظن كل احد انه ما يريد احدا سواه وانه المقصود بالاخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار عند ذلك يا جبريل ائتني بالنار فيجيء بها جبريل
فيقول لها يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندائه ان ثارت وفارت وزفرت الى الخلائق وشهقت وسمع
الخلائق تغيظها وزفيرها وانتهضت خزانها متوثبة الى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف امره فاخطر ببالك واحضر في قلبك حالة قلوب
العباد وقد امتلات فزعا ورعبا فتساقطوا جثيا على ركبهم وولوا مدبرين وترى كل امة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه منكبين ونادى الظالمون
والعصاة بالثبور والويل ونادى الصديقون نفسي نفسي فبينا هم كذلك اذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا انهم
ماخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق لوجوههم وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف خاشع خفي وانصدعت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت
الحناجر كاظمين وذهبت العقول من السعداء والاشقياء اجمعين وبعد ذلك اقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا اجبتم فاذا راوا ما قد اقيم من السياسة
على الانبياء اشتد الفزع على العصاة ففر الوالد من ولده والاخ من اخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظرا الامر يوخذ واحدا واحدا فيسال الله تعالى
شفاها من قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه واعضائه قال ابو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون في رؤية
الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال والذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم فيلقى العبد
فيقول اي فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول العبد بلى فيقول اظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اني انساك كما نسيتني فتوهم
نفسك يا مسكين وقد اخذت الملائكة بعضديك وانت واقف بين يدي الله فيسالك شفاها فيقول الم انعم عليك بالشباب ففيماذا ابليته الم امهل
لك في العمر ففيماذا افنيته الم ارزقك المال فمن اين اكتسبته وفيماذا انفقته الم اكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت

وهو قوله فماذا عملت فيما علمت

ان فلانا ظلمني بمظلمة فيقول اخذ من حسناته فما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة ثم شيء وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم
حطب فتفرق القوم فاحتطبوا فلم يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم
القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله ايكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي
حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد فما اعظم شدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال
انس سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول يحشر الله تعالى العباد عراة غرلا بهما قال قلنا وما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه
من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار عنده مظلمة ولا لاحد من اهل النار
ان يدخل النار ولاحد من اهل الجنة عنده مظلمة حتى اقتصه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما ناتي الله عراة غرلا بهما قال بالحسنات والسيئات
فاتقوا الله عباد الله مظالم العباد باخذ اموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين الله وبين العبد
خاصة فالمغفرة اليه اسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر استحلال ارباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض
الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله تعالى فعساه تقربه الى الله فينال به لطفه الذي ادخره لاوليائه المؤمنين في
دفع مظالم العباد عنهم كما روي عن انس عن النبي انه قال بينما رسول الله جالس اذ رايناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما اضحكك يا رسول الله
بابي انت وامي قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله اعط اخاك مظلمته فيقول يا رب لم
يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء قال يا رب يحمل عني من اوزاري قال وفاضت عينا رسول الله بالبكاء ثم قال
ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل من اوزارهم قال فقال الله تعالى للطالب ارفع راسك فانظر الى الجنان فرفع راسه فقال يا رب ارى مدائن من
فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي صديق هذا او لاي شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال انت تملكه
قال وما هو قال عفوك عن اخيك قال يا رب اني قد عفوت عنه فقال الله تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله عند ذلك اتقوا الله واصلحوا
ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق الله وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق المحمودة فتفكر
الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم او تلطف لك حتى عفي عنك وايقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من فصل القضاء وقد خلع
عليك خلعة الرضى وعدت بسعادة ليس بعدها شقاوة وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار
واشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا راسك خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضى يتلالا من وجهك و
خلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك في حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك ينادون على رؤوس الاشهاد هذا
فلان بن فلان رضي الله عنه وارضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا افترى ان هذا المنصب ليس اعظم من المكانة التي ينالها في قلوب الخلق في الدنيا
بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة
في معاملتك مع الله تعالى فلن تدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ بالله بان خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فمقتك
لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا اتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله فيقولون عليك لعنتنا
ولعنة الخلائق اجمعين وعند ذلك تسارع اليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بفظاظتها وزعاقها وصورها المنكرة فاخذوا بنا
صيتك
يسحبونك على وجهك على ملا الخلائق وهم ينظرون الى سواد وجهك والى ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لا تدعوا اليوم ثبورا
واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وتنادي الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان قد كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقي شقاوة
لا يسعد بعدها ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خيفة من عباد الله او طلبا للمكانة في قلوبهم او خوفا من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك اذ تحترز من الا
فضاح
عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملا العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم والسياق
بايدي الزبانية الى سواء الجحيم فهذه احوالك وانت بعد لم تشعر بالخطر الاعظم وهو خطر الصراط صفة الصراط ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قوله
تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا الاية وفي قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤولون فالناس
بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار احد من السيف وادق من الشعر فمن استقام في هذه الدار على الصراط المستقيم

خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعثر في أول قدم من الصراط وتردى فتفكر
الآن فيما يحل بفؤادك من الفزع إذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت
أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشي على بساط الأرض فضلا عن حدة
الصراط فكيف بك إذا وضعت إحدى رجليك فأحسست بحدته واضطررت إلى أن ترفع القدم الآخر والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون
وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر كيف ينكسون فتسفل إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم فيا له من منظر ما أفظعه
ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك تلتفت يمينا وشمالا إلى الخلق
وهم يتهافتون في النار والرسول عليه السلام يقول يا رب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل
عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل والثبور وقلت هذا ما كنت أخافه فليتني قدمت لحياتي
يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليتني لم تلدني أمي وعند ذلك تختطفك
النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن
عقلك وهذه الأخطار بين يديك فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وإن كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد
له متهاونا فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يبعثك على السعي في طلب رضى الله بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك إلا
أهوال الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز وإن سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا قال رسول الله يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون
أول من يجوز بأمته من الرسل ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم
شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تختطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم
من يخردل ثم ينجو وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا
وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق الخاطف ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الفرس المجرى ومنهم من
يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون وأما ناس فيؤخذون
بخطايا وذنوب فيحترقون فيصيرون حمما ثم يؤذن في الشفاعة وذكر إلى آخر الحديث وعن ابن مسعود أنه قال يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم
معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث إلى ذكر سجود المؤمنين قال ثم يقول ارفعوا رؤوسكم فيرفعون
رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل
النخلة بيمينه ومنهم من يعطى أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه فيضيء مرة ويطفأ أخرى فإذا أضاء قدم قدمه فمشى وإذا
طفئ قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب
ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي يعطى نوره على قدر إبهامه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر يد
وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطاني الله تعالى
ما لم يعط أحدا إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل وقال أنس سمعت النبي يقول الصراط كحد السيف أو كحد
الشعرة وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي وإني أقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير
فهذه أهوال الصراط وعظائمه فطول فيه فكرك فإن أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيه فكره في الدنيا فإن الله لا يجمع على عبد بين خوفين فمن
خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة ولست أعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب و
تعود إلى لهوك ولعبك فما لك من الخوف في شيء بل من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك إلا خوف يمنعك عن معاصي الله ويحثك على
طاعته وأبعد من رقة النساء رقة الحمقى إذا سمعوا الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم استعنت بالله نعوذ بالله اللهم سلم سلم وهم مع
ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضاري في صحراء ووراءه حصن فإذا
رأى أنياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدة بنيانه وإحكام أركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد

على مكانه

مكانه فأنى يغني ذلك عنه من السبع فكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول لا إله إلا الله صادقا ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله
ولا معبود إلا إياه ومن اتخذ إلهه هواه فهو بعيد عن الصدق في توحيده وأمره مخطر في نفسه فإن عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله حريصا على
تعظيم سنته ومتشوقا إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركا بأدعيتهم فعساك أن تنال من شفاعته وشفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة

صفة الشفاعة اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين بل شفاعة العلماء
والصالحين وكل من له عند الله جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم
رتبة الشفاعة وذلك بأن لا تحقر آدميا أصلا فإن الله خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية فإن
الله تعالى خبأ غضبه في معصيته فلعل المقت فيه ولا تستحقر طاعة أصلا فإن الله تعالى خبأ رضاه في طاعته فلعل رضاه فيه ولو الكلمة
الطيبة أو اللقمة أو النية الحسنة أو ما يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى
وروى عمرو بن العاص أن رسول الله تلا قول إبراهيم إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم وقول عيسى
عليه السلام إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم ثم رفع يديه وقال أمتي أمتي ثم بكى فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فسله ما يبكيك فأتاه فسأله فأخبره
والله أعلم به فقال يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك وقال صلى الله عليه أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت
بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجدا وترابها لي طهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل
وأعطيت الشفاعة وكل نبي بعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة وقال صلى الله عليه إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم و
صاحب شفاعتهم غير فخر وقال صلى الله عليه أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أول من تنشق عنه الأرض وأنا أول شافع وأول مشفع بيدي لواء الحمد
تحته آدم ومن دونه وقال النبي عليه السلام لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وقال ابن عباس قال رسول الله
للأنبياء منابر من ذهب يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي
فأقول يا رب أمتي فيقول الله تعالى يا محمد وما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل حسابهم فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد بعث بهم
إلى النار حتى إن مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت للنار لغضب ربك في أمتك بقية وقال صلى الله عليه إني لأشفع يوم القيامة لأكثر
مما على وجه الأرض من حجر ومدر وقال أبو هريرة أتي رسول الله بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال أنا سيد الناس يوم القيامة
وهل تدرون مم ذاك يجمع الله تعالى الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم
والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول الناس بعضهم لبعض
عليكم بآدم فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا
ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم عليه السلام إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي
نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع
لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على
قومي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى خليلي إبراهيم خليل الله فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى
ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب مثله بعده وإني كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرها نفسي نفسي
اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك
ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى
غيري اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع
لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري
اذهبوا إلى محمد فيأتون محمدا فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه
فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم قال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه

واسمع تشفع فأرفع رأسي فأقول أمتي أمتي يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس
فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى وفي حديث آخر هذا السياق
بعينه مع ذكر خطايا إبراهيم وهو قوله للكوكب هذا ربي وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله إني سقيم فهذه شفاعة رسول الله وآحاد أمته من العلماء
والصالحين شفاعة أيضا حتى قال رسول الله يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر وقال صلى الله عليه يقال للرجل قم يا فلان فاشفع
فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل وللرجلين على قدر عمله وقال أنس قال رسول الله إن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على
رجل من أهل النار فيناديه رجل من أهل النار فيقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما أعرفك فيقول أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة
ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى ويقول إني أشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال هل تعرفني قلت
لا من أنت قال أنا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار وعن أنس قال قال رسول الله
أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وقال عليه السلام
فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وقال ابن عباس جلس ناس من أصحاب رسول الله ينتظرونه فخرج
حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام
موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو
كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وآدم صفي الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة
ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين
والآخرين ولا فخر

صفة الحوض

اعلم أن الحوض مكرمة عظيمة خص الله تعالى بها نبينا وقد اشتملت الأخبار على وصفه ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى
في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فإن من صفاته أن من شرب منه لم يظمأ أبدا قال أنس أغفى رسول الله إغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا يا رسول الله لم ضحكت
فقال آية نزلت علي آنفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال إنه نهر وعدنيه
ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم وقال أنس قال رسول الله بينا أنا أسير
في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فضرب الملك بيده فإذا طينته مسك أذفر
قال وكان رسول الله صلى الله عليه يقول ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعاء أو مثل ما بين المدينة وعمان وروى ابن عمر أنه لما نزل قوله إنا أعطيناك
الكوثر قال هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان
وقال ثوبان مولى رسول الله قال رسول الله إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء
من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب ومن هم يا رسول الله قال هم الشعث رؤوسا
الدنسة ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد فقال عمر بن عبد العزيز والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت
لي أبواب السدد إلا أن يرحمني الله تعالى لا جرم أني لا أدهن رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ وعن أبي ذر قال قلت
يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب منها لم يظمأ بعدها يشخب
فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وأيلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وعن سمرة قال قال رسول الله إن لكل نبي حوضا
وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين وليحذر
أن يكون متمنيا ومغترا وهو يظن أنه راج فإن الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الأرض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالإنبات ودفع
الصواعق إلى أوان الحصاد فأما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة فهو مغتر
ومتمن وليس من الراجين في شيء وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة فإن الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا
قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

صفة جهنم وأهوالها وأنكالها

أيها الغافل المغرور بما أنت
فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن النار مورد

للجميع

للجميع إذ قال وإن منكم إلا واردها الآية فأنت من الورود على يقين ومن النجاة على شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك
تستعد للنجاة منه وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبينما هم في كربها وأهوالها واقفين ينتظرون حقيقة أنبائها
وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ
والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا أين
فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه
إلى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق إنك أنت العزيز الكريم فأسكنوا دارا ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة
المهالك يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك و
ما لهم منها فكاك قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها
يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود فتقول الزبانية هيهات
لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه عائدون فعند ذلك يقنطون
وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم
والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع
وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل
ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتنقطع
من العطش أكبادهم ويسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف شعورها كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها
وعري من اللحم عظامها فبقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون
فكيف بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أشد سوادا من الحميم وأعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وجدعت آذانهم ومزقت
جلودهم وغلت أيديهم إلى أعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤون حسك الحديد بأحداقهم فلهيب النار
سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم هذه جملة أحوالهم وانظر الآن في تفصيل أحوالهم وتفكر
أيضا في أودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف
ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي قال رسول الله تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن
قالوا يا رسول الله وما جب الحزن أو وادي الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين فهذه
سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها
فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن في عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق
شهوات الدنيا فكما لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة كنا مع رسول الله
فسمعنا وجبة فقال أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن حين انتهى إلى قعرها ثم انظر إلى
تفاوت الدركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خائض
فيها إلى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيف كان بل
لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه إلا أن أقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله إن
أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما شككت
في شدة عذاب النار فقرب إصبعك من النار وقس به ذلك ثم اعلم أنك أخطأت في القياس فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد
عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا
عبر في بعض الأخبار حيث قيل إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا بل صرح رسول الله بصفة نار جهنم فقال أمر الله

ان توقد على النار الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتا ونفس في الصيف فاشد ما تجدونه في الصيف
من حرها واشد ما تجدونه في الشتا من زمهريرها وقال انس بن مالك يوتى بانعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رايت
نعيما قط فيقول لا ويوتى باشد الناس ضرا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رايت ضرا قط فيقول لا وقال ابو هريرة لو كان في المسجد
مائة الف او يزيدون ثم تنفس رجل من اهل النار لماتوا وقال بعض العلما في قوله تعالى تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما ابقت لحما
على عظم الا القته عند اعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم حتى يغرقوا فيه وهو الغساق وقال ابو سعيد الخدري قال
رسول الله صلى الله عليه لو ان دلوا من غساق جهنم القي في الدنيا لانتن اهل الارض فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطش فيسقى احدهم من ماء صديد
يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا بما كالمهل الاية ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى
ثم انكم ايها الضالون المكذبون الاية وقال تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رووس الشياطين وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين انية
وقال تعالى ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما وقال ابن عباس قال رسول الله لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت
على اهل الارض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ذلك وقال انس قال رسول الله ارغبوا فيما رغبكم الله فيه واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه
من جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي انتم فيها حلتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في الدنيا التي انتم فيها خبثتها عليكم وقال
ابو الدردا قال رسول الله يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثوا بالطعام فيغاثوا بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من
جوع ويستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد
فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعا الكافرين الا في ضلال قال فيقولون ادعوا
مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش انبئت ان بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم الف عام قال فيقولون ادعوا
ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسئوا فيها
ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك اخذوا في الزفير والحسرة والويل وقال ابو امامة قال رسول الله في قوله تعالى ويسقى من ماء
صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيكرهه واذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاه حتى
يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاهم وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بما كالمهل يشوي الوجوه فهذا شرابهم وطعامهم عند
عطشهم وجوعهم فانظر الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم اشخاصها وفظاظة منظرها وقد سلطت على اهلها فاغريت
بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال ابو هريرة قال رسول الله من اتاه الله مالا فلم يود زكوته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له
زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ بلهازمه يعني اشداقه فيقول انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم بل هو شر لهم الاية وقال رسول الله ان في النار لحيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وان فيها لعقارب
مثل البغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وهذه العقارب والحيات انما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسو
الخلق وايذا الناس ومن وقي ذلك وقي هذه الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في عظم اجسام اهل النار فان الله يزيد في اجسامهم طولا
وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببها فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع اجزائها دفعة واحدة على التوالي قال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه ضرس الكافر في النار مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلث وقال صلى الله عليه شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة
قد غطت وجهه وقال صلى الله عليه ان الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيامة يتوطاه الناس ومع عظم الاجسام كذلك تحرقهم النار مرات
ويجدد جلودهم ولحومهم وقال الحسن كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم
عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الان في بكا اهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك تسلط عليهم في اول القائهم في النار قال رسول
الله صلى الله عليه يوتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك وقال انس قال رسول الله يرسل على اهل النار البكا فيبكون حتى





الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الاخدود ولو ارسلت فيها السفن لجرت وما داموا يوذن لهم في البكا والزفير والشهيق
والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون ايضا من ذلك وقال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع فاذا كانت
الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم
بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تومنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل
فيجيبهم الله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله تعالى
اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها وذلك غاية شدة العذاب وقال مالك بن انس قال زيد بن اسلم في قوله تعالى سوا علينا اجزعنا ام صبرنا
ما لنا من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم قالوا سوا علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال عليه السلام يوتى بالموت يوم القيامة كانه
كبش املح فيذبح ويقال يا اهل الجنة خلود ولا موت ويا اهل النار خلود ولا موت وعن الحسن قال رجل يخرج من النار بعد الف سنة وليتني كنت
ذلك الرجل وروي الحسن جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي فقال اخشى ان يطرحني في النار ولا يبالي فهذه اصناف عذاب جهنم على
الجملة وتفصيل غمومها واحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية لها فاعظم الامور عليهم مع ما هم فيه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت
لقا الله وفوت رضاه مع علمهم بانهم باعوا كل ذلك بثمن بخس ودراهم معدودة اذ لم يبيعوا ذلك الا بشهوات حقيرة في الدنيا اياما قصيرة وكانت غير صافية
بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في انفسهم واحسرتاه كيف اهلكنا انفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف انفسنا الصبر اياما قلايل ولو صبرنا لكانت
قد انقضت عنا ايامه وبقينا الان في جوار رب العالمين متنعمين بالرضى والرضوان فيا لحسرة هولا وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شي من نعيم
الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله يوتى يوم القيامة بناس من الناس الى الجنة حتى اذا
دنوا منها واستنشقوا رايحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع
الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريتنا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فيقول ذلك اردت
بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس
ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم العذاب الاليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم وقال احمد بن حرب ان احدنا يوثر الظل على الشمس
ثم لا يوثر الجنة على النار وقال عيسى كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين اطباق النار يصيح وقال داود الهي لا صبر لي على حر شمسك
فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الاهوال واعلم ان الله تعالى خلق النار باهوالها
وخلق لها اهلا لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا امر قد قضي وفرغ منه قال الله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة ولعمري الاشارة
به الى يوم القيامة ولكن ما قضي الامر يوم القيامة بل في ازل الازل ولكن اظهر يوم القيامة ما سبق به القضا فالعجب منك اذ تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات
الدنيا ولست تدري ان القضا بما ذا سبق في حقك فان قلت فليت شعري ما ذا موردي والى ماذا مالي ومنقلبي وما الذي سبق به القضا في حقي فلك
علامة تستانس بها وتصدق رجاك بسببها وهي ان تنظر الى احوالك واعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر
فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا الا ويحيط بك العوايق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر اسبابه فاعلم انك مقضي عليك بالنار فان
دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على
الايتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله اعلم

القول في صفة الجنة واصناف نعيمها

اعلم ان تلك الدار التي عرفت غمومها وهمومها
تقابلها دار اخرى فتامل سرورها ونعيمها فان من بعد عن احديهما استقر لا محالة في الاخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في اهوال الجحيم
واستثر الرجا بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجا الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك
العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر في اهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر من الياقوت الاحمر في خيام من اللولو
الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكين على الارايك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالولدان والغلمان مزينة
بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن قبلهم انس ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احديهن في مشيتها حمل
اعطافها سبعون الفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللولو والمرجان شكلات غنجات

عطرات آمنات من الهرم والبوس مقصورات في قصور من الياقوت بيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم و
وعليهن باكواب واباريق وكاس من معين بيضا لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كامثال اللولو المكنون جزا بما كانوا يعملون وهم امنين
في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد اشرقت في وجوههم نضرة النعيم
لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم على ريب
المنون آمنون فهم فيها يتنعمون وياكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها لبنا وعسلا وخمرا في انهار ارضها من فضة وحصباها مرجان وعلى
ارض ترابها مسك اذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويوتون باكواب واي اكواب اكواب من فضة
مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج بالسلسبيل العذب كوب يشرق نوره من صفا جوهره ويبدو الشراب من وراه لرقته
وحمرته لم يصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صنعته في كف خادم يحكي ضيا وجهه للشمس في اشراقها ولكن من اين للشمس مثل حلاوة ثغره
وحسن اصداغه وملاحة احداقه فيا عجبا لمن يومن بدار هذه صفتها ويوقن بانه لا يموت اهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث
بعين التغيير الى اهلها كيف ياسن بدار قد آذن الله في خرابها ويتهنى بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الموت
والعطش والجوع وساير اصناف الحدثان لكان جديرا ان يهجر الدنيا بسببها وان لا يوثر عليها ما التصرم والتنغيص من ضرورته كيف واهلها
ملوك آمنون وفي انواع السرور ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم بفنا العرش يحضرون الى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر
من الله ما لا ينظرون معه الى ساير نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين اصناف هذه النعيم يترددون وهم من زواله آمنون قال ابو هريرة عن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا
فلا تباسوا ابدا فذلك قوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة فاقرا القرآن فليس وراء بيان
الله بيان واقرا من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر السورة واقرا الواقعة وساير السور وان اردت ان تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتامل الآن
تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها وتامل اولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان
من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول
الطاعات كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي قال ابو هريرة قال رسول الله من انفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من ابواب الجنة وللجنة ابواب فمن كان من
اهل الصلوة دعي من باب الصلوة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعي من
باب الجهاد فقال ابو بكر والله ما على احد من ضرورة من ايها دعي فهل يدعى احد منها كلها فقال نعم وارجو ان تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن علي انه ذكر
النار فعظم امرها وذكر ما لا احفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من
تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احديهما كانما امروا به فشربوا منها فاذهبت ما في بطونهم من اذى وباس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها
فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير اشعارهم بعدها ابدا ولا تشعث رؤوسهم كانما ادهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
ثم تلقاهم الولدان يطوفون بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون له ابشر بما اعد الله لك من الكرامة قال ثم ينطلق غلام من اولئك
الولدان الى بعض ازواجه من الحور العين فيقولون قد جا فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول انت رايته فيقول انا رايته وهو ذا اثري فيستخفها
الفرح حتى تقوم على اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا جندل اللولو فوقه صرح اخضر واحمر واصفر من كل لون ثم يرفع راسه
فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق ولولا ان الله تعالى قدره له لالم ان يذهب ببصره ثم طاطا راسه فاذا ازواجه قيام والاكواب موضوعة ونمارق مصفوفة
وزرابي مبثوثة ثم اتكاوا فقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون ابدا وتقيمون فلا تظعنون
ابدا وتصحون فلا تمرضون ابدا وقال رسول الله آتي يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد
قبلك ثم تامل الآن في غرف الجنة واختلاف درجاتها في العلو قال الله تعالى وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان بين الناس في الطاعات الظاهرة
والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر وان كنت تطلب اعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة
الله تعالى فقد امرك الله تعالى بالمسابقة والمنافسة فيها فقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك





اقرانك او جيرانك بزيادة درهم او بعلو بنا ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر في الجنة و
انت لا تسلم فيها من اقوام يسبقونك بلطايف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف
فوقهم كما تتراءون الكوكب الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال
آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال ايضا ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق من آفاق السما وان ابا بكر وعمر منهم
وانعما وقال جابر قال لنا رسول الله الا احدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله بابينا انت وامنا قال ان في الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله يرى ظاهرها
من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات ما لا عين رات ولا اذن سمعت قال قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام و
اطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق هذه قال امتي تطيق ذلك وساخبركم عن ذلك من لقي اخاه فسلم
عليه او رد عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة ايام فقد ادام
الصيام ومن صلى العشا الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله عن قوله تعالى
ومساكن طيبة في جنات عدن فقال قصور من لولو في كل قصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سرير على كل سرير
سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة
ويعطى المومن في كل غداة من القوة ما ياتي على ذلك اجمع [صفة] حايط الجنة وارضها واشجارها وانهارها تامل في صورة الجنة وتفكر في غبطة
سكانها وفي حسرة من حرمها لقناعته بالدنيا عوضا عنها فقد قال ابو هريرة قال رسول الله ان حايط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها
زعفران وطينها مسك وسيل صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضا مسك خالص وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يسقيه الله الخمر
في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره ان يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا انهار الجنة تجري من تحت تلال او من تحت جبال ولو كان ادنى اهل
الجنة حلية عدلت بحلية اهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله به في الآخرة افضل من حلية اهل الدنيا جميعا وقال ابو هريرة قال رسول الله ان في الجنة شجرة يسير
الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرءوا ان شئتم وظل ممدود وقال ابو امامة كان اصحاب رسول الله يقولون ان الله ينفعنا بالاعراب ومسائلهم
اقبل اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله تعالى في القرآن شجرة موذية وما كنت ارى ان في الجنة شجرة توذي صاحبها فقال عليه السلام وما هي قال السدر فان لها شوكا
فقال قال الله تعالى في سدر مخضود يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما منها لون يشبه الآخر
وقال جرير بن عبد الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نايم تحت شجرة قد كادت الشمس ان تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فاظله فانطلق فاظله فلما استيقظ
فاذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فان من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لا ادري
قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ عويدا لا اكاد اراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده قلت يا ابا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصولها الذهب
واللولو واعلاها الثمر [صفة] لباس اهل الجنة وفرشهم وسررهم وارائكهم وخيامهم قال الله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا ولباسهم
فيها حرير والآيات في تفصيل ذلك كثيرة وانما [يكفي] تفصيله في الاخبار فقد روى ابو هريرة ان النبي عليه السلام قال من يدخل الجنة ينعم لا ييأس
ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اتخلق
تخلقا ام تنسج نسجا فسكت رسول الله وضحك بعض القوم فقال رسول الله مم تضحكون من جاهل سال عالما ثم قال بل تتشقق عنها ثمر الجنة مرتين وقال ابو هريرة
قال رسول الله اول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة
ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا
وفي رواية على كل زوجة سبعون حلة وقال عليه السلام في قوله يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان ادنى لولوة فيها تضيء ما بين المشرق
والمغرب وقال عليه السلام الخيمة درة مجوفة طولها في السما ستون ميلا في كل زاوية منها للمومن اهل لا يراهم الآخرون رواه البخاري في الصحيح وقال
ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة آلاف مصراع من ذهب وقال ابو سعيد الخدري قال عليه السلام في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين
كما بين السما والارض [صفة] طعام اهل الجنة [بيان] طعام اهل الجنة مذكور في القرآن من الفواكه والطيور والمن والسلوى واللبن والعسل واصناف
كثيرة لا تحصى قال الله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها وذكر الله شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة

وفيه قال ثوبان مولى رسول الله كنت قائما عند رسول الله فجاء حبر من احبار اليهود وذكر اسولة الى ان قال فمن اول الناس اجازة فقال فقرا المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان ياكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا قال صدقت وقال ليهودي ان رجلا من اليهود جاء الى رسول الله فقال يا ابا القاسم الست تزعم ان اهل الجنة ياكلون فيها ويشربون وقال لاصحابه ان اقر لي بها خصمته فقال عليه السلام والذي نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع قال اليهودي فان الذي ياكل ويشرب يكون له الحاجة فقال عليه السلام حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر وقال ابن مسعود قال رسول الله انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا وقال حذيفة قال رسول الله ان في الجنة طيرا امثال البخاتي قال ابو بكر انها لناعمة يا رسول الله قال انعم منها من ياكلها وانت ممن ياكلها يا ابا بكر وقال عبد الله بن عمرو في قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب قال يطاف عليهم بسبعين صحفة كل صحفة فيها لون طعام ليس في الاخرى وقال عبد الله بن مسعود ومزاجه من تسنيم قال يمزج لاصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا وقال ابو الدرداء في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل يده فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها صفة الحور العين والولدان قد ذكر في القرآن اوصافهم ووردت الاخبار بزيادة تشرح فيه روى انس ان رسول الله قال لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم او موضع قده من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت الى اهل الارض لاضاءت وملات ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها يعني الخمار وقال ابو سعيد قال رسول الله في قوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى وجهها في خدرها اصفى من المراة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال انس قال رسول الله ليلة اسري بي دخلت الجنة موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام استاذن ربهن في السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا وقرا رسول الله قوله تعالى حور مقصورات في الخيام وقال مجاهد في قوله تعالى ازواج مطهرة قال من الحيض والغائط والبول والبزاق والنخامة والمني والولد وقال الاوزاعي في شغل فاكهون قال شغلهم افتضاض الابكار وقال رجل يا رسول الله ايباضع اهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد افضل من سبعين منكم وقال عبد الله بن عمر ان ادنى اهل الجنة منزلة من يسعى معه الف خادم كل خادم على عمل ليس صاحبه عليه وقال رسول الله ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة الاف بكر وثمانية الاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا وقال صلى الله عليه ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شرى الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها لمجتمعا للحور العين يرفعن باصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نباس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له وقال يحيى بن ابي كثير في قوله في روضة يحبرون قال السماع في الجنة وقال انس قال رسول الله ان الحور في الجنة يتغنين يقلن نحن الجواري الحسان خبئنا لازواج كرام وقال ابو امامة الباهلي قال رسول الله ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند راسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه باحسن صوت يسمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه بيان جمل متفرقة من اوصاف اهل الجنة وردت بها الاخبار روى اسامة ان رسول الله قال الا هل من مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلالا وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله ثم ذكر الجهاد وحض عليه وجاء رجل الى رسول الله فقال هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت ذلك اتيت بفرس من ياقوتة حمراء فيطير بك في الجنة حيث شئت وقال رجل اخر ان الابل تعجبني فهل في الجنة من ابل فقال يا عبد الله ان دخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك وعن ابي سعيد قال قال رسول الله ان الرجل من اهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي ويكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة وقال عليه السلام اذا استقر اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير ذا الى سرير ذا حتى يلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا اخي اتذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله فغفر لنا وقال رسول الله اهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون ابناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في سبعة اذرع وقال رسول الله ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء وان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال نظرت الى الجنة فاذا

الرمان بمنزلة الجرد المقتب واذا طيرها كالبخت واذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن انت فقالت لزيد بن حارثة واذا في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال كعب خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون صفة انهار الجنة ذكرناها جملة ثم لعلنا ما نفصله وقد ذكر الحسن البصري جملتها فقال ان رمانها مثل الدلاء وان انهارها لمن ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وانهار من خمر لذة للشاربين لا تسفه الاحلام ولا يصدع منها الرؤوس وان فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمون ابناء ثلاث وثلاثين سنة في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كحل جرد مرد امنوا العذاب واطمانت بهم الدار وان انهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم عظمها الا الله وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وان لهم فيها لخيلا وابلا هفافة رحالها وازمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وازواجهم الحور العين كانهن بيض مكنون وان المراة لتاخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة قد طهر الله الاخلاق من السوء والاجساد من الموت لا يتمخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشاء ورشح مسك لهم الرزق فيها بكرة وعشيا اما انه ليس ليل يكر الغدوة على الرواح والرواح على الغدوة وان آخر من يدخل الجنة وادناهم منزلة ليمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه تغدى عليهم بسبعين الف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحفة لون ليس في الاخرى يجد طعم آخره كما يجد طعم اوله وان في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل دار سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وارفعهم الذي ينظر الى ربه بالغداة والعشي وقال سعيد بن المسيب ليس احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ وقال ابو هريرة ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى حولها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا مهر الآخرة وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الجنة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تعالى قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة النظر الى وجه الله وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم اهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة قال جرير كنا جلوسا عند رسول الله فراى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وهذا مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرا رسول الله قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هذا الموعد الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه وقد رواه حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من النعيم عندها نسي وليس لسرور اهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة الى لذة اللقاء وقد اوجزنا الكلام فيهن لما فصلناه في كتاب المحبة والرضى فينبغي ان لا يكون مهم العبد من الجنة شيء سوى لقاء المولى واما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى فلنختم الكتاب بباب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل به فقد كان رسول الله يحب الفال ولسنا من الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله في التفاؤل ونرجو ان يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله وقد قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية وقال ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الآية ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زل به القدم او طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا توافقها اعمالنا ونستغفره من ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجه الله ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدناه من انفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة انعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتزين للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان يكرمنا بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع ما ظهر وما بطن فان الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلائق فائض

لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه وقد قال رسول الله صلى الله عليه ان لله تعالى مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس
والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ويروى انه اذا كان يوم القيامة اخرج الله
كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثلا اهل الجنة وقال رسول الله يتجلى الله لنا يوم القيامة ضاحكا
فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا او نصرانيا وقال النبي صلى الله عليه يشفع الله ادم يوم
القيامة من جميع ذريته في مائة الف الف وعشرة الاف الف وقال رسول الله ان الله تعالى يقول للمؤمنين هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول
لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي وقال رسول الله يقول الله يوم القيامة اخرجوا من النار من ذكرني يوما او خافني في
مقام وقال رسول الله اذا اجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى عنكم اسلامكم
اذ انتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله ما قالوا فامر باخراج من كان في النار من اهل القبلة فاذا راى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا
كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا ثم قرا رسول الله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال عليه السلام لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها
وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيامة فذلك
الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله لمن اوبق نفسه واثقل ظهره ويروى ان الله تعالى قال لموسى يا موسى استغاث بك قارون
فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه وقال سعد بن بلال يؤمر يوم القيامة باخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى لهما ذلك
بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويامر بصرفهما الى النار فيعدو احدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الاخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما فيقول
للذي عدا الى النار قد جربت من وبال المعصية فلم اكن اتعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني ان لا تردني اليها فقال الاعرابي
لكم ونبيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي وروى ان اعرابيا سمع ابن عباس يقرا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها
والله ما انقذهم منها وهو يريد ان يوقعهم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت
فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف احدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ان الله سيخلص رجلا من امتي
على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب
فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم قال فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة
فلا يثقل مع الله شيء وقال عليه السلام في اخر حديث طويل في صفة يوم القيامة والصراط ان الله تعالى يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير
فاخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون لم نذر فيها احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون لم نذر فيها
خيرا قال ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما
قال فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما
فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منه كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون مما يلي الحجر او الشجر ما يكون الى الشمس اصفر
واخضر وما يكون منها الى الظل ابيض قالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء
الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله
لكم عندي افضل من هذا فيقولون يا ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم بعده ابدا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وروى البخاري
ايضا عن ابن عباس قال خرج الينا رسول الله ذات يوم فقال عرضت علي الامم فاتى النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي معه
الرهط فرايت سوادا كثيرا فرجوت ان يكون امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرايت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرايت
سوادا كثيرا فقيل لي هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله فتذاكر اصحابه ذلك فقالوا



الماحق لذنوبنا فانا لا نشرك ولكن قد امنا بالله ورسوله وهؤلاء هم ابناؤنا فبلغ ذلك رسول الله فقال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله ان يجعلني منهم يا رسول الله فقال انت منهم ثم قام اخر فقال مثل قول عكاشة فقال سبقك بها عكاشة
وعن عمرو بن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول الله ثلاثا لا يخرج الا لصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست
عنا حتى ظننا انه قد حدث حادث فقال لم يحدث الا خير ان ربي وعدني ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي في
هذه الثلاث المزيد فوجدت ربي ماجدا واجدا كريما فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا قال قلت يا رب وتبلغ امتي هذا قال اكمل
لك العدد من الاعراب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة
فقلت يا جبريل وان سرق وزنى قال نعم وان سرق وزنى قلت وان سرق
وزنى قال وان سرق وزنى وشرب الخمر قال ابو الدرداء قرا رسول الله صلى الله عليه
ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق
وان رغم انف ابي الدرداء وقال النبي اذا كان يوم القيامة دفع الى كل مؤمن رجل
من اهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة انه حدث
عمر بن عبد العزيز عن ابيه ابي موسى عن النبي قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله
مكانه النار يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو
ثلث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله فحلف له وروى انه وقف صبي في بعض المغازي
ينادى عليه فيمن يزيد في يوم صائف شديد الحر فبصرت به امراة في خباء القوم فاقبلت
تشتد واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي والصقته الى بطنها والقت
ظهرها على حر البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس
وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتها ثم
بشرهم فقال اعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال فان الله ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون على اعظم السرور واعظم البشارة
فهذه الاحاديث وما اوردناه في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى ونرجو الله تعالى ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا
بما هو اهله بمنه وسعة جوده ورحمته تم كتاب ذكر الموت بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين والصلوة على نبيه محمد واله اجمعين

وبتمامه تم كتاب احياء علوم الدين من تصنيف الامام الاجل
السيد الاوحد حجة الاسلام زين الملة والشريعة والدين
ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه العزيز
على يدي اضعف عباد الله الكبير همام بن شهاب بن عمر [illegible]
اصلح الله تعالى شانه وصانه عما شانه ورزقه علم ما كتب
الا للعمل والعمل بمقتضاه واعطاه ما هو [illegible]
عقباه واسكنه في اعالي الجنان مع [illegible] صدر
[illegible] واطرافه واعطاهم [illegible]
للناس والمؤمنين [illegible]
[illegible] في يوم الخميس تاسع المحرم المكرم
سنة تسع وسبعين وسبعمائة الهجرية
والله اعلم [illegible]